JASRNB

# الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية
علمية محكمة

ISSN (Print) 2569-7269
ISSN (Online) 2569-734X

المركز الديمقراطي العربي

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

JASRNB

# Journal of african studies & river nile basin

International scientific periodical journal

المركز الديمقراطي العربي
Democratic Arabic Center

# مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

## مجلة دورية محكمة

تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي" ألمانيا – برلين.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل.

**المجلد السادس/العدد الثاني والعشرون ايلول – شتنبر 2023.**

**تنسيق: د.حجوبي سكينة**

**الترميز الدولي:**

ISSN (Print) 2569-7269

ISSN (online) 2569-734X

**التصنيف حسب AIMGSJ**

**B+**

**المركز الديمقراطي العربي-ألمانيا، برلين**

Berlin 10315 Gensinger Str: 112

Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375
030- 91499898
030- 86450098

mobiltelefon: 00491742783717

**رئيس المركز الديمقراطي العربي**

أ. عمار شرعان

**رئيس التحرير :**

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

**نائب رئيس التحرير :**

د. سعيد كمتي: تخصص الجغرافية البشرية، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال، المغرب.

**نائب رئيس التحرير التنفيذي**

د. ادريس الدعيفي: تخصص علم الاجتماع، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب

**مدير التحرير**

د. عبد الله الحجوي: تخصص جغرافية الأرياف، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

**نائب مدير التحرير**

د. شيماء الهواري: دكتورة في القانون العام والسياسات العمومية، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ومتخصصة في الإعلام السياسي الدولي، المغرب

**أعضاء هيئة التحرير**

- د. فاطمة الزهراء زنواكي – جامعة ابن طفيل القنيطرة – المغرب.
- د. محمد أبحير– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. جمال الدين ناسك – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- د. إبراهيم النجار: نائب رئيس تحرير الأهرام ومدير المركز المصري للتواصل الحضاري ومناهضة التطرف الفكري، باحث في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- حسن كلي ورتي، موظف في وزارة الشؤون الخارجية/قسم التكامل الإفريقي، التشاد، محضر درجة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس بالرباط أكدال. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الرباط.
- د.ليلى حنانة – جامعة محمد الخامس الرباط– المغرب.

**التنسيق والمراجعة اللغوية:**

✓ **اللغة العربية:**

- ليلى حنانة، باحثة في السيميائيات، جامعة محمد الخامس.
- د. فاطمة الزهراء إلهامي، باحثة في السوسيولوجيا.
- د. خالد العلوي، باحث في الجغرافيا.

- أنور بنيعيش: عضو هيأة التفتيش التربوي بأكاديمية طنجة الحسيمة تطوان – المغرب.
- احمد هيهات: مفتش تربوي للتعليم الثانوي بأكاديمية بني ملال خنيفرة – المغرب.
- حسين حسين زيدان: د. العلوم التربوية والنفسية الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي العراق.
- فضيل ناصري: مفتش التعليم الثانوي، تخصص اللغة العربية–جهة العيون الساقية الحمراء (المغرب)
- شكاك سعيد: ذ. بالمركز الجهوي للتربية والتكوين الدار البيضاء–سطات المغرب.
- د. أيوب أيت فارية أستاذ اللغة العربية بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب.
- د. مصطفى محمد أبو النور أستاذ اللغة العربية بجامعة الشارقة.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الفرنسية:**

- ذ. عبد الرؤوف مرتضى – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- ذ. عمادي عبد الحكيم: ذ. اللغة الفرنسية– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.

- **اللغة الإنجليزية:**

- ذ. خالد الشاوش كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان (المغرب).
- ذ.هشام معدان المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال

**رئيس اللجنة العلمية:**

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

**اللجنة العلمية:**

- الدكتورة إيمان مختاري: دراسات استراتيجية–المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. آمال خالي: دكتوراه دراسات دولية/المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية– الجزائر.
- د. لطفي صور: علوم سياسية ودراسات دولية – جامعة معسكر – الجزائر.
- د. حلال أمينة: علاقات دولية ودراسات أفريقية– جامعة الجزائر 3.
- د. عبد الرزاق أبو الصبر، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. محمد حسان دواجي: دراسات دولية ونظم سياسية مقارنة/جامعة مستغانم – الجزائر.
- دة. وفاء الفيلالي: أستاذة التعليم العالي تخصص القانون الدستوري وعلم السياسة كلية الحقوق الرباط –المغرب.
- د. عبد الواحد بوبرية: أستاذ التعليم العالي، الجغرافيا البشرية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله المغرب.
- د. عبد المالك بنصالح، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د.بوجمعة وعلي– المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب.
- عيسى البوزيدي، أستاذ التعليم العالي، شعبة الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

- د. البشير المتقي: أستاذ التعليم العالي، القانون الدستوري بجامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. عبد العزيز والغازي: أستاذ الجغرافيا بجامعة ابن زهر أكادير– المغرب
- د. سعيد كمتي، أستاذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. الحسين عماري: دكتوراه في التاريخ – المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال – المغرب
- د. بلبول نصيرة: أستاذة علم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية جامعة زيان عاشور الجلفة –الجزائر.
- د. رحماني ليلى: أستاذة محاضر قسم ب، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية– المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر.
- د. غادة أنيس أحمد البياع: مدرس الاقتصاد، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة مصر.
- د. عبد الواحد شيكر، ذ باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين خريبكة، المغرب.
- د. سالم تالحوت، ذ. باحث، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، الدار البيضاء، المغرب.
- د. بوعروج لمياء: أستاذة محاضرة قسم أ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.
- د. حطاب أسمهان: أستاذة مؤقتة في جامعة الجزائر 3 قسم العلوم السياسية والإعلام والاتصال الجزائر.
- د. إدريس بوزيدي: دكتور في القانون العام واللغة والتواصل جامعة الحسن الثاني المحمدية المغرب.
- د. رانيا عبد النعيم العشران: دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع / الجامعة الأردنية.
- د. آمنه حسين محمد سرحان: دكتورة علوم سياسية مسار علاقات دولية من جامعة القاهرة مصر.
- د. جامع سموك: كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة القاضي عياض مراكش– المغرب.
- د. محمد جلال العدناني: أستاذ اقتصاد جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال– المغرب.
- د. بن عمـــارة محمـد: أستاذ جامعي: بجامعة ابن خلدون تيارت – الولاية تيارت الجزائر.
- د على عبودي نعمه الجبوري أستاذ جامعي وباحث في إدارة الأعمال جامعة الكوفه العراق أستاذ تسويق والموارد البشرية العراق.
- د. أوان عبد الله الفيضي، كلية الحقوق – جامعة الموصل، العراق.
- د. أحمد عبد السلام فاضل مهدي السامرائي، التاريخ الحديث والمعاصر، العلاقات الدولية المغرب، اسبانيا–العراق.
- د.خاليد الحاضري كلية الاداب والعلوم الانسانية مراكش
- د. محمد بواط: أستاذ محاضر قسم أ كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.
- د. مشرفي عبد القادر: أستاذ محاضر كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- د. سمير بوعافية: أستاذ محاضر بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة البشير الإبراهيمي –الجزائر.
- محمد عدار ابن علي وعميروش بهجة: أستاذ محاضر(ب) جامعة "أمحمد بوقرة" بومرداس المدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس –باجي مختار–الرويبة –نع1 الجزائر.
- د. قحطان حسين طاهر: دكتوراه علوم سياسية أستاذ مساعد جامعة بابل العراق.
- د. محمد بوبوش: أستاذ التعليم العالي، الكلية المتعددة التخصصات–الناظور–جامعة محمد الأول المغرب.

- د. بوذريع صاليحة: أستاذة محاضرة علوم بيئية جامعة حسيبة بن بوعلي شلف الجزائر.
- د. قاضي نجاة: أستاذة محاضرة كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وجامعة خميس مليانة الجزائر:
- د. جاسم محمد علي الطحان رئيس قسم الإدارة والاقتصاد أستاذ مساعد كلية الرشيد للتعليم المختلط تركيا.
- د. سالم محمد ميلاد الحاج: ذ مساعد جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم مسلاته، علم الاجتماع، ليبيا.
- د. لحرش عبد الرحيم: أستاذ مؤقت، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، غرداية الجزائر.
- د. عمرو محمد يوسف محمد المدرس: أستاذ بقسم الاقتصاد والمالية العامة المعهد المصري أكاديمية الإسكندرية للإدارة والمحاسبة وزارة التعليم العالي جمهورية مصر العربية.
- د. بوصبيع صالح رحيمة: أستاذ محاضر "أ" جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي الجزائر.
- د. حسن رامو: أستاذ التعليم العالي مؤهل، معهد الدراسات الأفريقية – جامعة محمد الخامس –الرباط المغرب.
- د. خليدة محمد بلكبير أستاذة محاضرة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة الجيلالي بونعامة الجزائر.
- الدكتور عبد القادر التايري أستاذ الجغرافيا البشرية بجامعة محمد الأول، وجدة.
- د. جواد الزروقي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

## شروط النشر بالمجلة:

1. أن يكون البحث أصيلا معدّ خصيصا للمجلة، وألا يكون جزءا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
2. ألا يكون البحث قد نشر جزئيا أو كليّا في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
3. أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
4. يرسل الباحث البحث المنسّق في ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:
   africa@democraticac.de
5. تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سرّي من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوضة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
6. يبلّغ الباحث باستلام البحث ويحوّل بحثه مباشرة للهيئة العلمية الاستشارية.
7. يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وبموافقة هيئة التحرير على نشرها.
8. الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكّم مع مرفق خاص بالملاحظات، على الباحث الالتزام بالملاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.

يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع لتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.

9. للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على الترميز الدولي:

**ISSN 2569-734X**

10. لا يراعى أي أسبقية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلّة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادّة العلمية وسلامة اللغة والعناية بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.
11. أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلّق بالسرقة العلمية فسيحمّل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.
12. تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.
13. تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.
14. لغات المجلّة هي: العربية، الإنجليزية والفرنسية.
15. في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

## كيفية إعداد البحث للنشر:

–يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

–الملخص التنفيذي باللغة العربية– الإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.

–تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

كما يجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة بيبليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

– أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمده" المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع.

– تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.

–ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:

أ– إذا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب– إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج– إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د– إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن نتشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هدا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس 25/21، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

–نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو **Sakkal Majalla**

–حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.

–حجم 11 عادي للجداول والأشكال ، وحجم 12عادي بالنسبة للملخص والهوامش.

–نوع الخط في الأبحاث باللغة الإنجليزية **Times New Roman** ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 12 عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال، 10 عادي للملخص والهوامش.

–يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسب 2,5 على اليمين واليسار و2 أعلى وأسفل،

قصد تسهيل عملية تنسيق المقالات والأبحاث فإن المجلة تضع رهن إشارة المهتمين قالب يحترم الضوابط الشكلية.

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الأفريقية وحوض النيل"

الفهرس


| ر.ت | مؤلف/مؤلفو المقال<br>Author(s) | عنوان المقال<br>Title | الصفحات<br>Page Range |
|---|---|---|---|
| | | افتتاحية العدد | |
| | | مقالات باللغة الفرنسية | |
| 01 | عبد الكريم سومع | رهان التنمية المستدامة بين الإكراهات الجيومرفلوجية ومحدودية الموارد الطبيعية بإقليم الدريوش | 13 - 11 |
| 02 | محمد جاد | و اقع تدبير النفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة | 41 - 27 |
| 03 | التهامي التهامي | الزراعات المسقية باللكوس، ودورها في تحقيق الأمن الغذائي بالمغرب | 63 - 42 |
| 04 | مصطفى الهبطي | الطفولة وسؤال القيم: قراءة في قيمة الاحترام واحترام القيم في زمن الاستثناء المعاصر "كورونا" | 82 - 64 |
| 05 | عبد القادر النايري، مصطفى وادريم، رشيدة المرابط | استغلال الدرجات النهرية السفلى بواد زلتن تبعا لطبيعة الدينامية الحالية عند عالية واد القصب بالأطلس الكبير الغربي | 92 – 84 |
| 06 | بلال لمعلم، محمد الراجي | التدبير التقليدي لمياه السقي بين و اقع الندرة المائية وضرورة التأقلم: حالة الحوض المائي بني بوفراح (الريف الأوسط. المغرب) | 115 - 100 |
| 07 | عبد الكريم سومع | الدينامية الترابية بإقليم الدريوش بين التقسيمات الإدارية والتحولات السوسيو-مجالية | 132 - 116 |
| 08 | نهاد محمود أحمد | الانخراط الصيني في أفريقيا.. مالي نموذجًا | 150 - 133 |
| 09 | ياسين حسون، محمد مدينة | التشغيل الفلاحي وإشكالية التغيرية المطرية بسهل دكالة | 176 - 151 |
| 10 | نجاة فارس، جميلة سعيدي | التهيئة الصناعية بعمالة المحمدية منطقة الصناعية عين حرودة نموذجا | 186 - 177 |
| 11 | هشام الطاهري | دور المقومات الطبيعية في عملية التحديث الزراعي بمنطقة الغرب"جماعة البحارة أولاد عياد نموذجا" | 202 - 187 |
| 12 | سهام الزيتوني، محمد الراضي | تدبير الموارد المائية بتساوت العليا بين الاستغلال ورهانات التنمية المستدامة (المغرب) | 215 - 203 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 13 | هشام شعايبي | حكامة تدبير الموارد المائية والدينامية الحضرية بضاحية فاس الجنوبية حالة الجماعة الترابية عين الشقف | 235 - 216 |
| 14 | أمغار أحمد | الخصائص المورفومترية لحوض واد الشارف شمال شرق المغرب، ودورها في إحداث خطر الفيضانات | 244 - 236 |
| 15 | الهادي شهيد، ضميري صلاح الدين، محمد أبحير، إبراهيم الأنصاري | أهمية التواصل بين الأسرة والمدرسة في تجويد التعلمات | 261 - 245 |
| 16 | إسماعيل الراجي ،المصطفى مرتبط | المجال بين مطالب التنمية وخصائص الثروة المائية: أزمة شح المياه في المغرب على ضوء أزمة الماء في بعدها الدولي | 282 - 262 |
| 17 | نهاد محمود أحمد | مآلات خطرة: و اقع أمن الحدود والجريمة المنظمة في مالي منذ عام 2012 | 303 - 283 |
| 18 | إسماعيل الراجي | شذرات عن الشأن الصحي في المجتمع المغربي: ما بين كورونا والطاعون في الثقافة الشعبية ملاحظات وتقاطعات من وحي جائحة كورونا وأوبئة الطاعون | 324 - 304 |
| 19 | ياسر عبدالتواب زكي عمارة، سعد عبدالمنعم بركة، محب محمد شعبان، تامر جاد راشد | مُقومات سياحة الكهوف في مصر: وادي صورا أنموذجًا: دِراسة ميدانيَّة في الأنثروبولوجيا الثقافية | 352 - 225 |
| 20 | م.م منار عز الدين محمود | تشابك المصالح الدولية و انعكاسها على الاستقرار السياسي في الصومال | 389 - 372 |
| 21 | مراد احتي | الإستثمار ورهان تحقيق العدالة المجالية بالمغرب في ضوء القانون الإطار بمثابة ميثاق الإستثمار | 389 - 372 |
| مقالات باللغة الفرنسية | | | |
| 22 | Bouchta EL HAZIBI | Le Maroc des années soixante et soixante-dix ou le défi de la démocratisation | 402 – 390 |

ISSN 2569-734X

# افتتاحية العدد

تحتضن القارة الإفريقية حوالي مليار و200 مليون نسمة أي ما يمثل حوالي 16% من مجموع سكان العالم، محتلة بذلك المرتبة الثانية من حيث الوزن الديموغرافي بعد آسيا، وتتسم الساكنة الإفريقية بارتفاع نسبة الفئة النشيطة بفضل النمو الديموغرافي السريع، كما أنها تغطي مساحة شاسعة تقدر بأكثر من 30 مليون كلم مربع، فضلا عن غناها بالموارد الطبيعية المتنوعة (شساعة السهول والهضاب المنبسطة، وفرة الموارد المائية السطحية من أنهار كبرى وبحيرات، ضخامة الثروات الباطنية المعدنية والطاقية...). إذا كانت هذه المعطيات البشرية والطبيعية تتيح للأفارقة بناء مجتمعات متقدمة ومزدهرة، فإن واقع الحال أفرز وضعية اجتماعية واقتصادية متناقضة بين الغنى الطبيعي والفقر البشري، فالقارة الافريقية تحتضن ملايين الفقراء، إنها قارة الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية بامتياز إذ تحتضن 60% من مجموع فقراء العالم.

يفرض تعثر واقع التنمية في القارة الإفريقية مساءلة السياق التاريخي والعوامل المفسرة لهذا الوضع المتأزم اجتماعيا واقتصاديا، ألا يحق لساكنة افريقية التمتع بظروف عيش تحفظ كرامتها وانسانيتها؟ إذا كانت التنمية تعد سيرورة ومسار مستمر تهدف من خلاله المجتمعات إلى الرقي بأوضاعها في مختلف جوانب الحياة الانسانية ( اجتماعيا، اقتصاديا، بيئيا، سياسيا، ثقافيا..)، فإن هذا المسار ظل متعثرا في القارة الإفريقية، بالرغم من تعدد المؤتمرات الدولية وخطابات المؤسسات المالية (البنك الدولي، صندوق النقد الدولي..) التي كثيرا ما تغنت بعزمها المساهمة في تنمية إفريقيا.

لقد ظلت غالبية بلدان افريقيا ترزح تحت وطأة تفاقم المديونية وتجذر مشكل التبعية للقوى الرأسمالية الكبرى، مما أفرز وضعية معرقلة لنهضة تنموية ذاتية، إذ ظلت القوى الاستعمارية السابقة، وفي مقدمتها فرنسا، تتحكم عبر الشركات متعددة الجنسيات في استغلال الموارد الطبيعية بمختلف أنواعها: البترول، الغاز الطبيعي، الثروة المعدنية... فضلا عن كون التوترات السياسية التي شكلت القارة الافريقية معقلا لها (الانقلابات العسكرية، الحروب الأهلية، النزاعات الحدودية..) كان لها وقع سلبي على الواقع الاجتماعي والاقتصادي، وساهمت بشكل حاسم في تأزم الأوضاع وتعثر مسار التنمية.

من هذا المنظور، نعتقد ان النهوض بالقارة الإفريقيا تنمويا يمر بالضرورة عبر مسار للإصلاحات السياسية الجذرية لإرساء استقرار سياسي يمكن الشعوب من التعبير بإرادتها الحرة عن اختياراتها السياسية، في أفق انبثاق أنظمة سياسية سيادية

تقطع مع مرحلة التبعية المطلقة للقوى الرأسمالية الكبرى. فضلا عن ضرورة إعادة النظر في النموذج الاقصادي السائد المتمثل في سيادة الاقتصاديات الريعية التي ترتكز على تصدير المواد الأولية ( البترول، الغاز الطبيعي، الثروة المعدنية، الثروة السمكية، المنوجات الفلاحية..)، من خلال التوجه نحو بناء اقتصاد حديث يثمن الموارد الطبيعية عبر صناعة وطنية مستقلة تمكن من خلق القيمة المضافة وتعزز التنافسية الاقتصادية للبلدان الافريقية.

**بقلم: ذ. عبد الله الحجوي. ذ.باحث. المدرسة العليا للتكنولوجيا. خنيفرة.**

# رهان التنمية المستدامة بين الإكراهات الجيومرفلوجية ومحدودية الموارد الطبيعية بإقليم الدريوش

# Sustainable development issue between geomorphological constraints and limited natural resources in the region of Driouch.

د. عبد الكريم سومع[1]

**ملخص:**

تهدف هذه المداخلة إلى تحديد رهان التنمية المستدامة بين الإكراهات الجيومرفلوجية ومحدودية الموارد الطبيعية بإقليم الدريوش، وذلك من خلال تحديد خصائص التكوينات السطحية، وعلاقتها بالإكراهات التي أضحى يعاني منها المجال الطبيعي، والتطرق لبعض أساليب التدبير السليم لضمان تنمية مستدامة لموارده الترابية والمائية.

من أجل دراسة جوانب الإشكالية المطروحة، سيتم الاعتماد على التشخيص العلمي الدقيق لمميزات الموارد الطبيعية للدريوش، ووصف مظاهر التدهور والاختلال، مع التركيز على تحليل العوامل لمتحكمة في هذا التدهور من خلال توظيف المقاربة الإحصائية والخرائطية الحديثة (ArcGIS).

لقد ساهم قدم التعمير بمجال الدراسة، في الرفع من نسبة استغلال الموارد الطبيعية، مما عجل في تراجع مساحات مهمة من نسبة الأراضي الصالحة للزراعة نتيجة طبيعة الصخارة المتميزة بالهشاشة والعطوبية السريعة، وبالتالي سيؤثر على سبل استقرار واستغلال الإنسان لمجاله، مما يستوجب ضرورة التدخل لربح رهان التنمية المستدامة بإقليم الدريوش.

الكلمات المفاتيح: الإكراهات الجيومرفلوجية، النفاذية، الموارد الطبيعية، الهجرة، التنمية المستدامة.

**Abstract**:

This intervention aims at determining the issue of sustainable development in the province of Driouch, between geomorphological constraints and the lack of natural resources, by determining the characteristics of natural environments, and their relationship with space constraints, and by addressing certain good management methods to ensure the sustainable development of its land and water resources.

In order to identify the problematic aspects of this study, it is necessary to master the knowledge of the characteristics and particularities of the natural environment, to determine the factors which contribute to the acceleration of the degradation of natural resources and consequently the increase in vulnerability natural and human environments in the province, through the analysis and processing of data based on geographic information systems using the "ArcGIS" program and fieldwork, to determine the most important of these risks and their impact on the sustainability of resources in the province of Driouch.

[1]- جامعة محمد الأول، وجدة – المغرب soumaa_k@yahoo.fr

**مقدمة**

يتميز الريف الشرقي عامة، وإقليم الدريوش خاصة، باستقرار بشري قديم تدرج عبر حقب تاريخية طويلة بالرغم من عدم ملاءمة الوسط الطبيعي وقساوته وشح الموارد الاقتصادية. وقد تميزت مراحل النمو السكاني التي عرفها المجال باختلالات مستمرة ما بين قدم التعمير بالمرتفعات الجبلية وبداية الاستقرار بالمنخفضات مع بداية القرن العشرين، وبالتالي بداية ظهور الخلل بين حجم السكان ومحدودية الموارد المتوفرة. مما سيمهد لبداية الرفع من نسبة استغلال الموارد الطبيعية، مقابل تراجع مساحات مهمة من نسبة الأراضي الصالحة للزراعية نتيجة طبيعة الصخارة، وكذا بنيتها الضعيفة إلى منعدمة النفاذية، والتي ستحد من وفرة الفرشات الجوفية المهمة، وبالتالي ستؤثر على سبل استقرار واستغلال الإنسان لمجاله، فكان لزاما على الدولة التدخل لربح رهان التنمية بمجال الدراسة.

## 1. الإطار المنهجي للبحث

### 1.1 إشكالية البحث

تعتبر دراسة الوحدات التضاريسية من المراحل الأساسية المساهمة في توزيع الموارد الطبيعية من جهة، وربطها بالعلاقة القائمة بين الوسط وحركة السكان من جهة ثانية، بالتالي الوقوف على دور خصائص التضاريس والجيومرفلوجية في التحولات العامة التي يعرفها إقليم الدريوش.

تسعى هذه الدراسة إلى تحديد أهم العوامل المتحكمة في تحقيق التنمية المستدامة بإقليم الدريوش، من خلال إبراز خصائص الموارد الطبيعية المساهمة في استقرار الساكنة، مما يستوجب ضرورة الإجابة على الإشكالية التالية: ما دور الاكراهات الجيومرفلوجية في محدودية الموارد الطبيعية بإقليم الدريوش؟ وما هي سبل التدخل لربح رهان التنمية؟

### 2.1 أهداف البحث:

يتم التركيز في هذه الدراسة على تحديد الخصائص الطبيعية للإقليم، ودورها في تحديد أنماط الاستغلال من خلال:

- دراسة مميزات الموارد الطبيعية لإقليم الدريوش
- إبراز دور الوحدات البنيوية في تطور الموارد الطبيعية
- التطرق لدور الإنسان في تدهور الموارد الطبيعية والتدابير المتخذة لحمايتها.

### 3.1 منهجية البحث:

تطلب انجاز هذه الدراسة توظيف المنهج الوصفي لتحديد أهم الخصائص الطبيعية لمجال الدريوش، وبالتالي الوصول لتشخيص علمي ودقيق لمميزات الموارد الطبيعية للدريوش، ومن أجل فرز العوامل لمتحكمة في تدهور هذه الموارد تم توظيف المقاربة الإحصائية والاستعانة بتحليل ومعالجة المرئيات الفضائية، وكذا الاعتماد على الخرائط الطبوغرافية والعمل الميداني، ودراسة ومقارنة المعطيات المحصل عليها باستعمال برنامج ArcGIS لتشخيص التحولات التي يشهدها الإقليم.

### 4.1 الموقع الجغرافي لمجال الدراسة:

ISSN 2569-734X

تنتمي منطقة الدريوش لسلسلة جبال الريف الشرقي، ويمتد مجال الدراسة من حوض واد كرت شرقا إلى حوض واد النكور غربا، ومن البحر الأبيض المتوسطي شمالا إلى جبل الحسان المطل على عين الزهرة جنوبا (الشكل .1.).

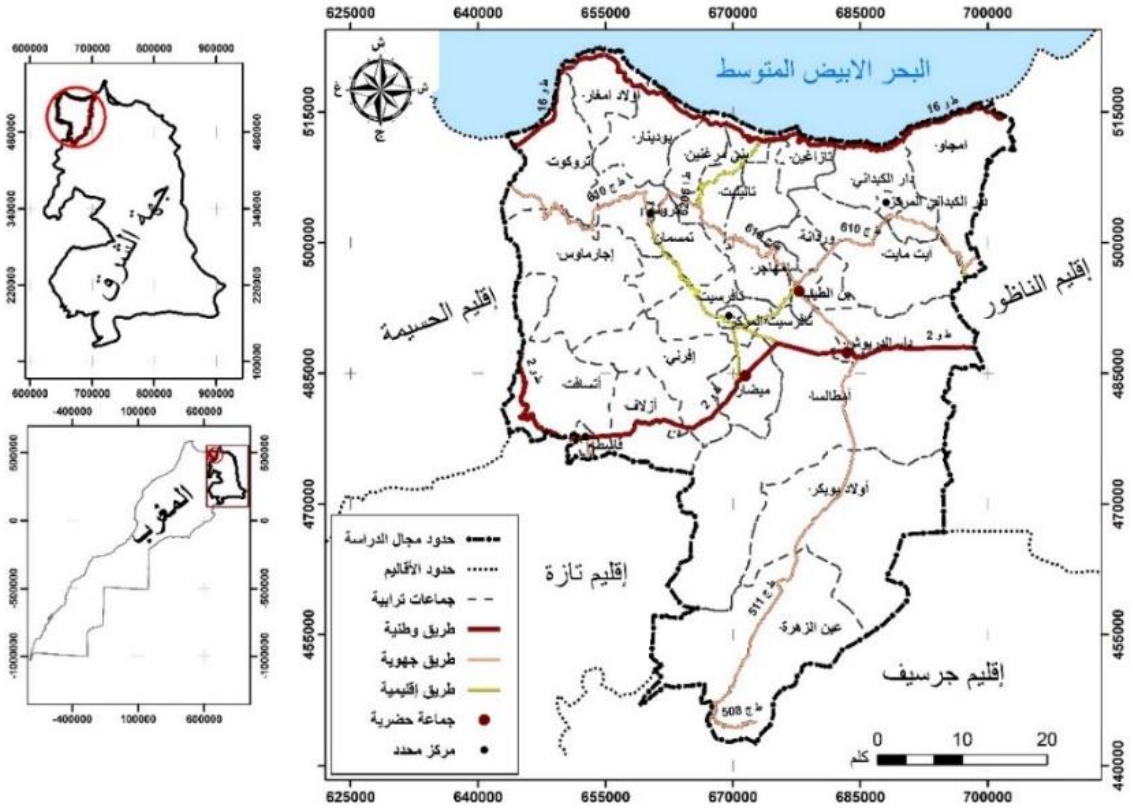


المصدر: عمالة إقليم الدريوش والناظور والمندوبية السامية للتخطيط، وجدة

الشكل 1: توطين مجال الدراسة

يعتبر إقليم الدريوش من الناحية الإدارية جزءا من جهة الشرق، والذي أحدث بتاريخ 28 أكتوبر 2008 بمقتضى مرسوم رقم 520-08-02، يحده غربا إقليم الحسيمة وشرقا إقليم الناظور، ومن الجنوب إقليمي جرسيف وتازة.

## 2. النتائج

### 1.2 إقليم الدريوش: موارد طبيعية محدودة وسريعة العطوبية

#### 1.1.2 تضاريس تتميز بسيادة المرتفعات والمنحدارات

ينتمي إقليم الدريوش لسلسلة جبال الريف الشرقي، ويغلب على بنيته التضاريسية طابع التجزؤ، ويتميز بتنوع وحداته التضاريسية، من مرتفعات بالشمال والجنوب؛ حيث تمتد سلاسل بني سعيد وبني توزين وبني اوليشك شمالا، والتي تمثل 50% من مجموع مساحة الإقليم، وسلسلة الدرويش وعين الزهرة بالجنوب.

تتنوع السفوح المكونة للكتل الجبلية لمجال الدراسة وتختلف حسب شدة الانحدار، بين سفوح شديدة التقطع تتخللها مسيلات، قد تضم شواهد عن تدهور هذه السطوح مخلفا تراجعا في التغليفات النباتية (الصور 1 و2 والشكل 1).

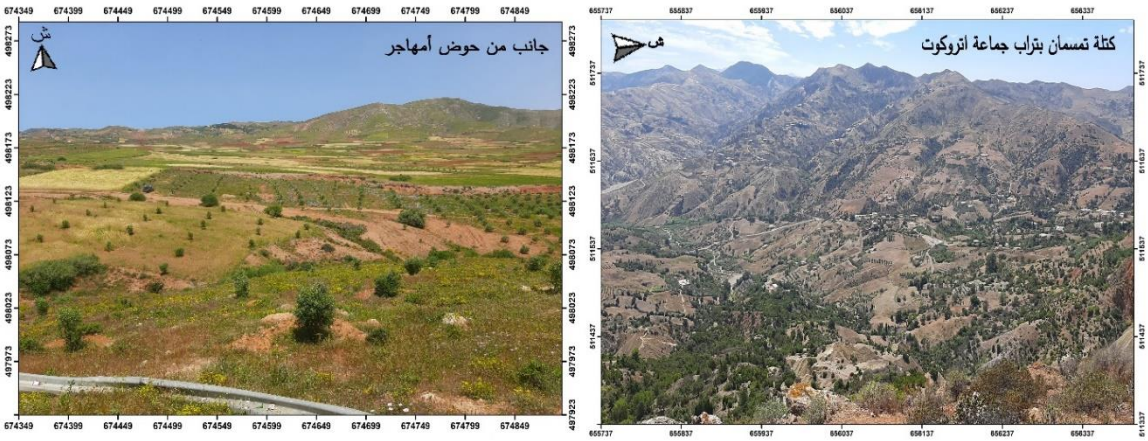


المصدر: عمل ميداني أبريل 2021

الصورة 1: تنوع تضاريس إقليم الدريوش

عملت غلبة الطابع الجبلي على تقليص مساحة المجالات السهلية، وبالتالي ندرة الأراضي الزراعية، لكن هذا لم يمنع من انتشار بعض الأحواض التي ساهمت العوامل الجيولوجية والطبوغرافية في تشكيلها وفي تنوع خصائصها، فتنتشر بعض الهضاب والأحواض بالداخل وبجانب الأودية، بحيث تمثل المساحات السهلية 31% من مجموع مساحة الإقليم، وتمتد بالمناطق الساحلية، خاصة حوض بودينار ومنطقة أمهاجر ودار الكبداني، بالإضافة إلى الهضاب وتمثل 19% بجنوب الإقليم، خاصة بحوض أولاد بوبكر-عين الزهرة (الشكل .2.)

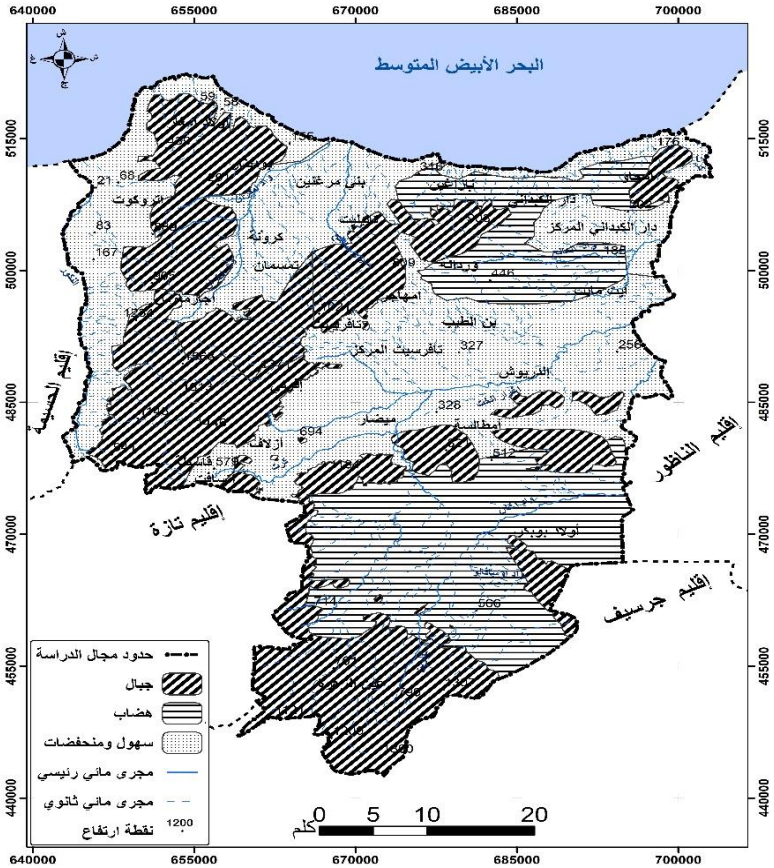


المصدر: الخرائط الطبوغرافي 1/100000 ل الحسيمة وأكنول وتيزطوطين ودار الكبداني + خريطة الارتفاعات

الشكل 2: الوحدات التضاريسية لإقليم الدريوش

أدت هذه الوضعية إلى سيادة انحدارات مهمة جعلت المنطقة صعبة الولوج، فعملت غلبة الطابع الجبلي على تقليص مساحة المجالات السهلية، مما يطرح مجموعة من العقبات والتحديات التي يتعين على الساكنة المحلية مواجهتها، أهمها ندرة الأراضي الزراعية، التي ستتعرض للاستغلال المفرط، وبالتالي ارتفاع نسبة التعرية المائية (الشكل .3).

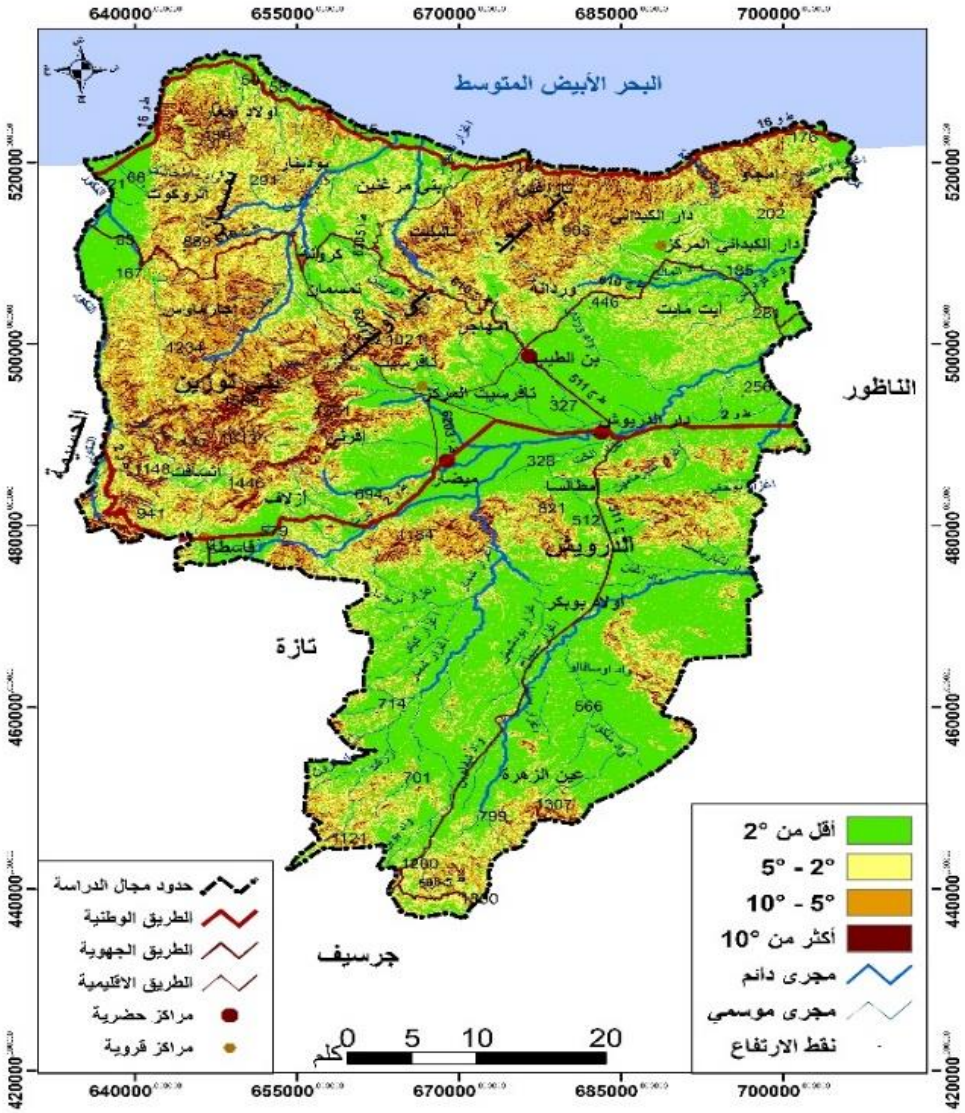


المصدر: الخرائط الطبوغرافي 1/100000 ل الحسيمة وأكنول وتيزطوطين ودار الكبداني + خريطة الارتفاعات

الشكل 3: خريطة الانحدارات

### 2.1.2 وحدات بنيوية وجيولوجية حديثة

تتميز الوحدات الجيولوجية للدريوش بحداثة بنائها المورفولوجي، بحيث تنتمي لنطاق الريف الأوسط (الميزوريف)، بالإضافة إلى التكوينات اللاحقة للفرشات الزاحفة، التي توضعت بها وحدات من الميوسين الطرطوني والبليوسين الأسفل، ووحدات من البليوسين الأوسط والأعلى مع إرسابات من الزمن الرباعي بحوض كرت الأوسط والسافلة.

عرفت جبال الريف مجموعة من الحوادث الانكسارية، ساهمت في تشكيل السلاسل الجبلية للدريوش، أهمها انكسار المياسر بحوض النكور والانكسار الغربي ببودينار، بحيث سيساهم انكسار النكور في انبعاث أقدم بناء بركاني

ISSN 2569-734X

لجبال الريف، وهو بركان رأس الطرف بجماعة أولاد أمغار، الذي تكون من صهارة بازلتية صلبة من نوع الأنديزيت القاعدي (Andésitiques basiques).

تتميز الوحدات الجيولوجية بحداثة بنائها المورفولوجي، بحيث تسود بالوحدات الجبلية مساحات مهمة من الطمي الأحمر، فوق تكوينات قديمة تتخللها مساحات من الشيست والحث، مع الرصيص الفيلافرونشي؛ فبكتلة تمسمان وبني توزين تمتد طيات بني بويعقوب المكونة من الشيست والطفل تنتمي إلى الكريطاسي الأعلى، وكتلة بني ميجين واجرمواس المتميزة بتواجد باقات من الكلس والكوارتزيت والشيست من الكريطاسي الأعلى؛ وبمنطقة رأس الطرف تنتشر صخور بركانية تنتمي للميوسين. بينما في بني سعيد وبني أوليشك تنتشر تشكيلات من الطيات المحلية الشرقية المتحولة تعود لعصر الجوراسي والكريطاسي، مع توضعات من الميوسين والبليوسين، بالإضافة إلى تكوينات من الشيست والطفل الرباعي بالمناطق المنخفضة من سهل كرت، وحوض أولاد بوبكر-عين الزهرة (الشكل .4).

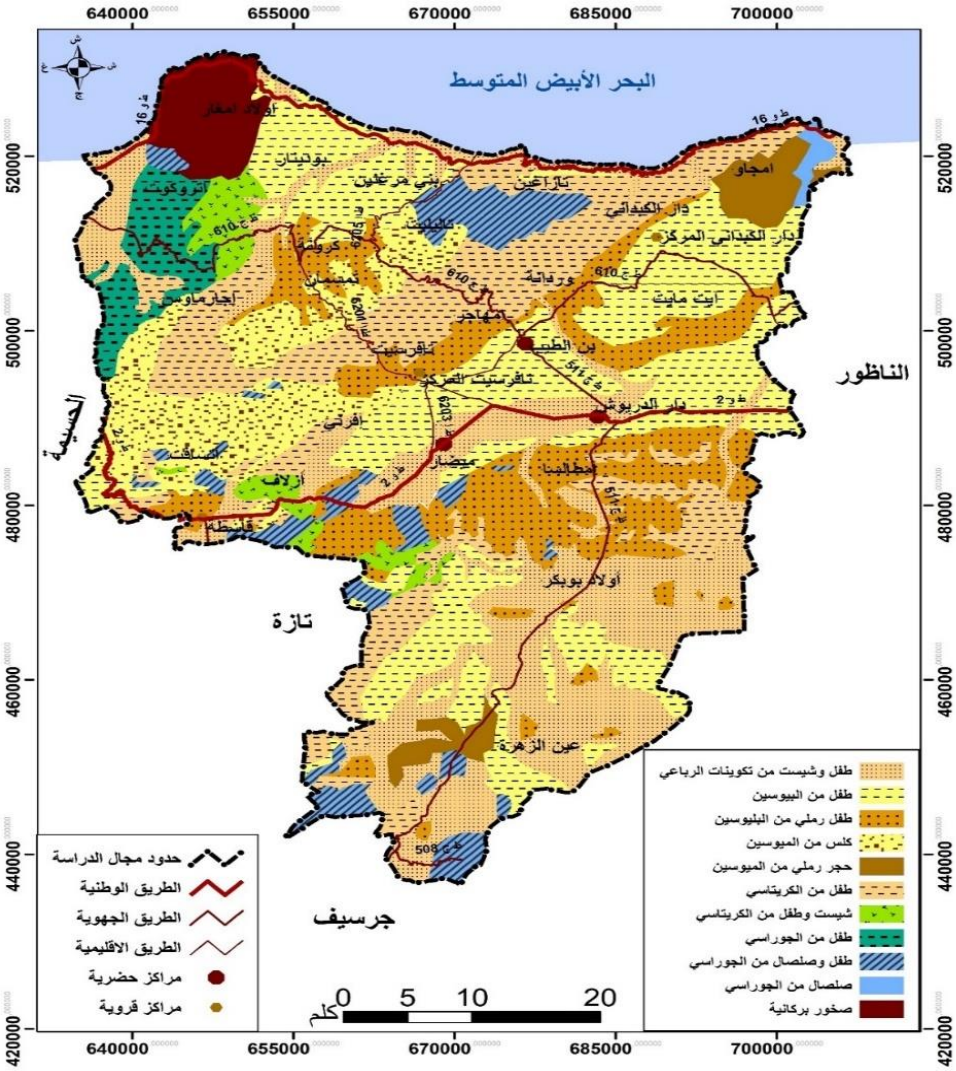


المصدر: خريطة وجدة الجيولوجية 1/500000

الشكل 4: الخريطة الجيولوجية لإقليم الدريوش

يتكون التركيب الجيولوجي للريف عامة، ومجال الدراسة على وجه الخصوص، من إرسابات توضعت خلال الزمنين الثاني والثالث، مكونة من الصلصال والطين والنضيد والحجر الرملي والكلس، وساهمت هذه الوضعية في انتشار

تربة تتميز بمحدودية وظيفتها، لضعف مخزونها من الموارد الخصبة وتملح بعض أجزائها؛ إضافة إلى أنها تتميز في بعض المجالات باحتضانها لمواد خشنة مما يحد من إمكاناتها في خزن المياه. كما تطرح صعوبات في استغلالها نتيجة بنيتها الفقيرة وغير السميكة، ولسيادة السفوح شديدة الانحدار، مما ساهم في تنشيط عملية الانجراف وزحف التربة؛ وبالتالي تنشيط عملية التعرية، لكثرة المسايل، وهذا أمر لا يساعد على التخفيف من حدة القحولة، ويساهم في ضعف قدرتها على خزن الماء.

يلعب عامل التعرية المائية دورا أساسيا في تدهور السطوح، خاصة مع سيادة مناخ يتميز بقلة التساقطات وعدم انتظامها، ويتراوح معدل التهاطل ما بين 200 و300 ملم/السنة، إضافة إلى عنفها وفجائيتها فوق السفوح ذات التكوينات الصلصالية، والتكوينات الرباعية الحديثة، مما يتسبب في إتلاف أجزاء مهمة من الأراضي الزراعية التي تتحول مع مرور الزمن إلى أراضٍ ضعيفة الإنتاجية أو قد تتطور باتجاه الأساحل، والتي تمثل 30% من مجموع مساحة الدريوش (الصورة 2.).

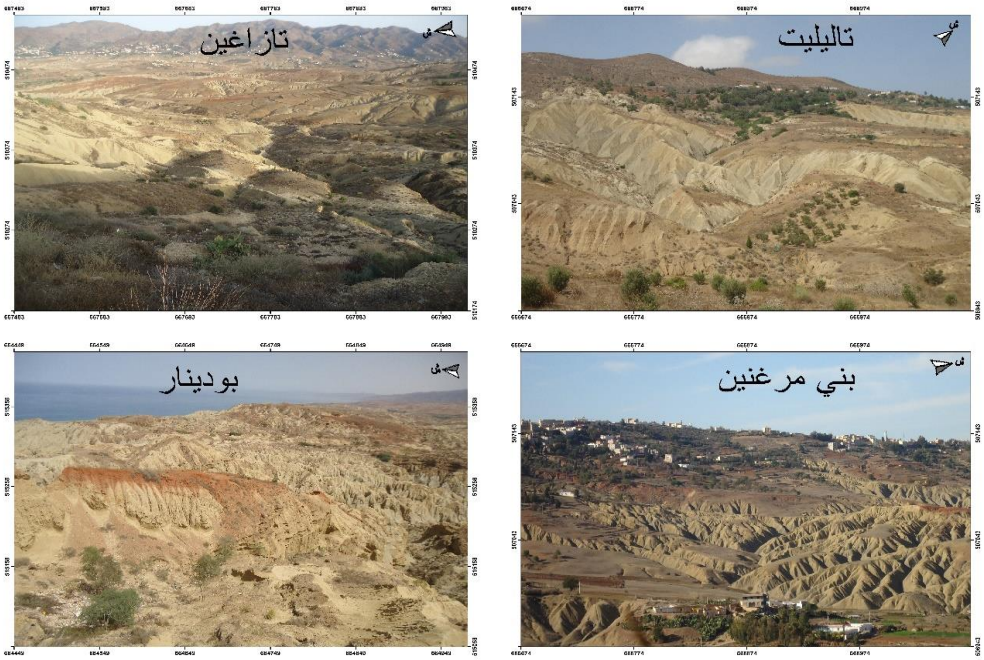


المصدر: عمل ميداني أبريل ويوليوز 2021

الصورة 2: جانب من تدهور التربة وانتشار الأساحل

ساهمت الظروف المناخية في تشكيل الرصيد الموروث من التربة، والتي تتصف تشكيلاتها بالهشاشة وفقر مكوناتها، وبالتالي قابليتها للتدهور، وغالبا ما توجد على أطراف الوديان والمنحدرات، فتتوزع بين تربة رملية على طول الساحل وبجانب الأحواض النهرية، والحمراء منها فوق المسطحات الهضبية، أما الكلسية فبالهضاب والتلال، في حين توجد التربات المعدنية الخشنة والمحدودة التطور بمنحدرات عالية الجبال.

يتميز القسم الشمالي من إقليم الدريوش بانتشار تربة حمراء فوق تكوينات من الجوراسي والكريتاسي والميوسين بمنطقة أولاد أمغار التي تطل على الكتلة البركانية لرأس الطرف، أما بكتلة بني توزين نجد بعض التربات المختلطة والكلسية

والضعيفة التطور، في حين ينتشر بكتلة بني سعيد تربة غنية بالحديد المختلط فوق تكوينات الميوسين والبليوسين (الشكل .5).

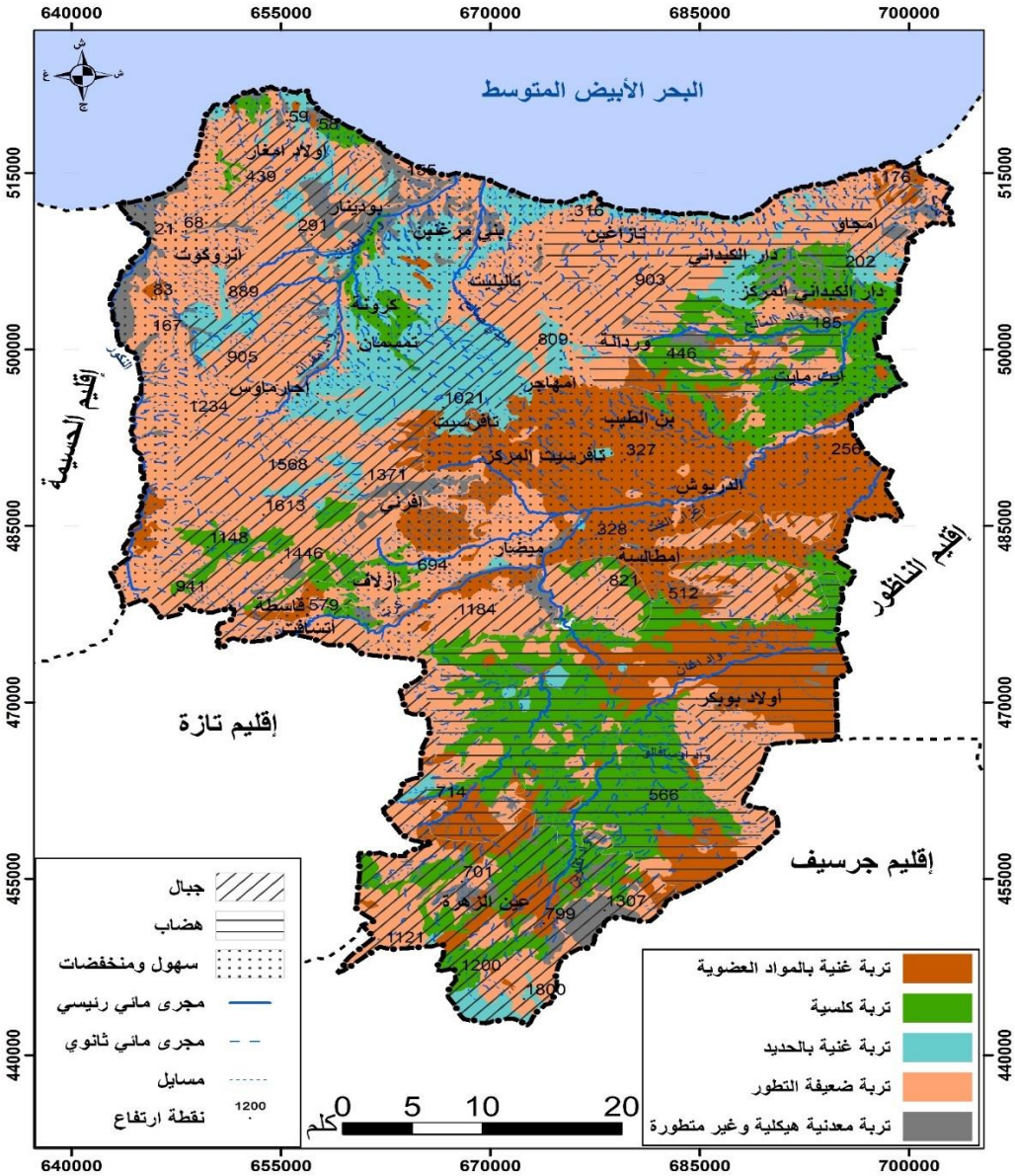


المصدر: خريطة التربة لإقليم الناظور 1/100000, 1994 /MV/ 24/ DPA/ 27 N° marché

الشكل 2: توزيع أنواع التربة بإقليم الدريوش

يتضح اعتمادا على الشكل .5. أن حوض بودينار يعرف انتشار تربة ضعيفة التطور فوق تكوينات من طفل بليوسيني وكلس ميوسيني وطفل الكريتاسي، وبمرتفعات دار الكبداني، تنتشر التربة المعدنية الخام والمختلطة ضعيفة التطور فوق سطوح من طفل الكريتاسي وصلصال الجوراسي مع كلس الميوسيني، بينما بحوض النكور وفوق تكوينات رباعية حديثة النشأة، تنتشر تربة مالحة وضعيفة التطور فوق تكوينات من الشيست والطمي.

يتميز حوض كرت بانتشار تربة غنية بالمواد العضوية والكلسية وكذا مجالات ذات تربة مختلطة ضعيفة التطور بالجنوب الشرقي، فوق تكوينات من الطفل الرملي البليوسيني والطفل الكريتاسي مع كلس الميوسين، ومجالات ذات تكوينات رباعية حديثة النشأة من شيست وطمي على طول ضفاف واد كرت، وإلى الجنوب وبالقرب من أدرار أمقران، تنتشر

بعض الترسبات من الطفل الكريتاسي، بينما تنتشر بحوض عين الزهرة - أولاد بوبكر تربة ضعيفة التطور وغنية بالمواد العضوية فوق تكوينات رباعية حديثة النشأة من الشيست والطمي وترسبات من كلس الميوسين، بالإضافة إلى تكوينات من طفل الكريتاسي قرب مركز عين الزهرة. وشرق أولاد بوبكر، وتمتد مساحات من كلس الميوسين مع مساحات شاسعة من التكوينات الرباعية الحديثة النشأة.

أدت الخصائص الجيولوجية إلى انتشار تربة فقيرة وضعيفة وغير سميكة نتيجة سيادة السفوح شديدة الانحدار؛ بحيث تنتشر التربة ضعيفة التطور والغنية بالحديد بالمرتفعات الجبلية، مما يسرع في تنشيط عملية الانجراف وزحف التربة نحو الأسفل، ويستوجب ذلك ضرورة التدخل لتدارك هذا التدهور الذي تتعرض له، وخاصة التربة الحمراء المنتشرة بالأحواض الساحلية وشبه الساحلية، والتي تتعرض للتدهور بفعل التعرية المائية، وبالتالي ظهور النتوءات الصخرية والأساحل.

## 2.2 دور الإنسان في تدهور الموارد الطبيعية والتدابير المتخذة لحمايتها

### 1.2.2 دور أنماط الاستغلال في تدهور الموارد الطبيعية

شكلت مرحلة فرض الحماية الإسبانية على الريف الشرقي خلال النصف الأول من القرن العشرين، بداية لاضطراب العلاقة القائمة بين الساكنة ومحيطها، بحيث تحولت الحركة السكانية من تجمعات معزولة بالمناطق الجبلية إلى بداية الاستقرار بالمنخفضات والسفوح غير الآهلة للاستقرار. وأمام ارتفاع الكثافة السكانية، وتوالي سنوات الجفاف ازداد الضغط على الموارد المائية والترابية من خلال اجتثاث مجالات غابوية، والحرث في اتجاه الانحدار.

يؤدي الحرث بالجرار في اتجاه الانحدار إلى تراجع الحصيلة الترابية للمشارة، بحيث يعمل على إتلاف القشرة الترابية وتناقص أطرافها بالمسايل التي تتكاثر بفعل الزخات المطرية المفاجئة والعنيفة، فترسم أخاديد تفقد المشارة التوازن في الإنتاج والاستغلال وتصبح بذلك عرضة للتعرية التراجعية (الصورة 3.).

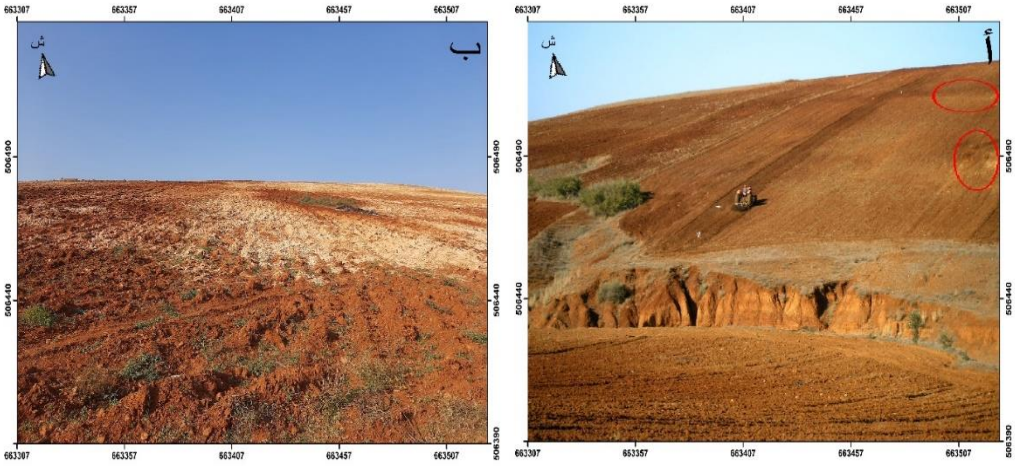


مصدر: العمل الميداني (غشت 2003 و2021)

الصورة 3: ظهور الصخر الأم بإحدى المستغلات بجماعة تمسمان بين 2003 و2021

تساهم زيادة تفتيت التكوينات السطحية في تسريع عملية النقل بظهور العلامات الأولى لعملية التخديد بالمشارة وبوادر تحول هذه المشارات إلى أراضي بائرة، مع بروز الصخر الأم على السطح.

أفرزت هذه الأنماط الاستغلالية جملة من مظاهر التدهور على مستوى التغليفات الترابية والنباتية التي عجلت بتراجع القيمة الزراعية لهذه الأراضي (الشكل .6). فقد ساهم ارتفاع الضغط البشري على الموارد الطبيعية بالعالم القروي إلى تراجع نسبة المستغلات الفلاحية، التي أضحت تعاني من ارتفاع نسبة التعرية وتراجع المحصول؛ مما سيؤدي إلى الرفع من نسبة الهجرة القروية نحو المراكز القروية والحضرية، وبالتالي سيلحق خللا بين مقومات الوسط والأحجام الديموغرافية المحلية.

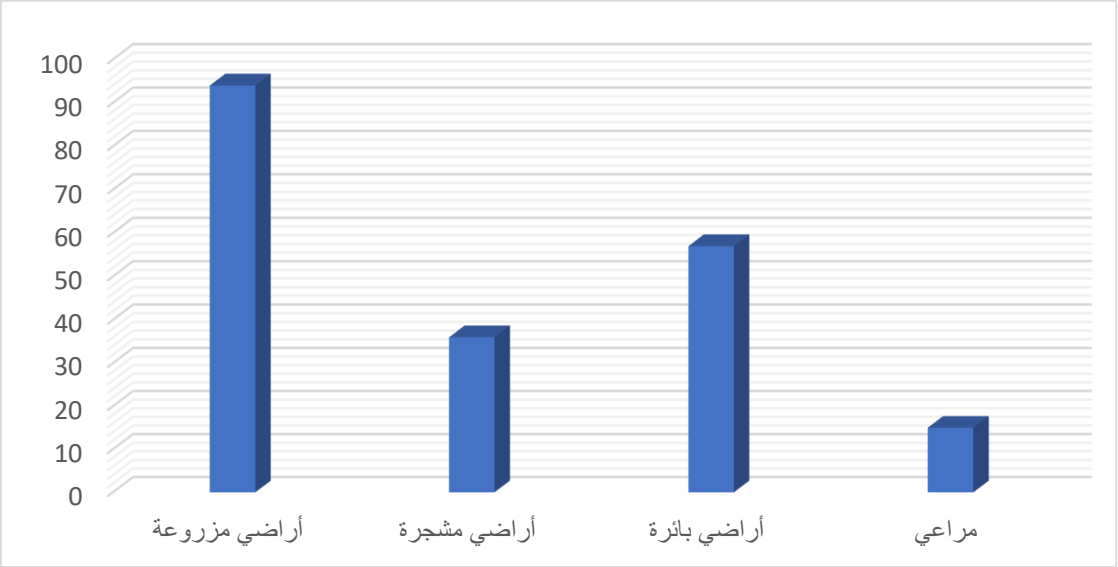


المصدر: نتائج البحث الميداني (غشت 2021)

الشكل 6: نوع وبنية الأراضي المتدهورة

ساهمت الدراسة المورفوبنيوية في إبراز الارتباط القائم بين البنية الجيولوجية والقاعدة الصخرية في توزيع الخصائص الترابية، ودور تدرج انتشار أنواع التربة، من قمم الجبال إلى الأحواض، في تنشيط التعرية المائية وتهديد الإمكانيات المتاحة للاستغلال؛ بالتالي تساهم هذه العوامل في بروز حركية سكانية بهدف البحث عن سبل جديدة للحياة، خاصة بعد تداخل هذه العوامل مع تنوع خصائص مناخ الإقليم وأثرها في الموارد المائية المتاحة.

تؤدي الهجرة إلى التخلي التدريجي عن استغلال الأراضي الخصبة في تحولها إلى أراضي ذات خدود وتعاني من الانجراف، وتحولها إلى مجالات تتميز بمحدودية وظيفتها، وضعف مخزونها من الموارد الخصبة وتملح بعض أجزائها، إضافة إلى احتضانها لمواد خشنة مما يحد من إمكانياتها في خزن المياه، ويطرح مجموعة من الصعوبات في أشكال استغلالها، مما يستوجب ضرورة التدخل من أجل التخفيف من حدة تدهور الموروث الترابي لمجال الدراسة.

ISSN 2569-734X

### 2.2.2 أساليب التدخل لمحاربة تدهور الموارد الطبيعية وربح رهان التنمية

من أجل تجنب آثار هذه التحديات على العالمين القروي والحضري سيتم اتخاذ مجموعة من التدابير الإصلاحية من طرف الساكنة المحلية بأرياف الدريوش، وستتدخل الدولة بدورها بمجموعة من تدابير التهيئة من أجل تثبيت الساكنة والرفع من مستوى العيش، عبر إعادة هيكلة المجال الفلاحي.

يعتبر استثمار الموارد المالية القادمة من الخارج في المجال الزراعي، بمثابة عامل استقرار هذه الأراضي، حيث شهدت مجموعة من المشارات تحولات مهمة في نمط استغلالها؛ وذلك باستخدام أساليب المحافظة على الموارد المائية والترابية من قبيل الاعتماد على العدن، والسقي بالتنقيط، إضافة إلى عملية التشجير وإقامة المدرجات فوق بعض السفوح لكسر قوة الانحدار.

عملت الدولة بدورها على التدخل لتدارك الإكراهات المرتبطة بتراجع الموارد المائية والترابية، عبر إعادة الاعتبار للأراضي المزروعة، وذلك بإدخال مزروعات أخرى، وتحسين وتثمين الإنتاج الفلاحي في إطار مشروع المغرب الأخضر، باستبدال مزروعات الحبوب بغرس أشجار الزيتون واللوز (الشكل .7).

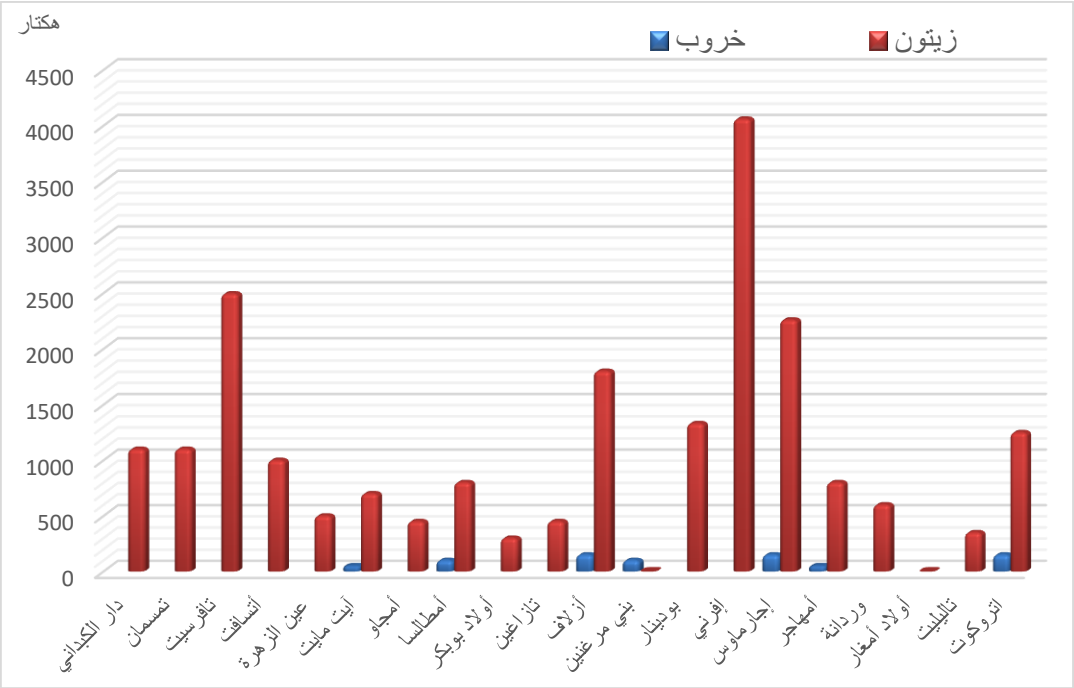


المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة، الناظور، قسم الإعداد والبرمجة

شكل 7: خصائص مشروع المغرب الأخضر

سعيا وراء إنزال مضمون مشاريع المغرب الأخضر، اعتمدت المديرية الإقليمية للفلاحة بإقليم الدريوش على مقترحات المخطط المديري للتنمية الفلاحية (SDDA) المقترح بحوض كرت وتعميم التجربة بباقي جماعات الإقليم؛ بحيث يستهدف هذا المشروع تدارك الخلل وهيكلة المجالات الفلاحية وتهيئتها، وضمان الدخل القار للفلاح من جهة، وللحد من ظاهرة التعرية بالجماعات ذات الزراعة البورية من جهة ثانية؛ فقد استفادت جماعات الإقليم، في إطار المشروع ومنذ سنة 2010، من غرس 19843 هكتار من الزيتون و800 هكتار من الخروب وتوزيع 778 خلية نحل.

في إطار محاولة تحسين دخل الفلاح والمحافظة على الموارد المحلية بالمجالات المسقية، اهتمت الدولة بإعادة تهيئة الدوائر السقوية؛ فاستفاد بذلك الإقليم من تمويل ألماني عن طريق البنك الفيدرالي الألماني « KFW» لتحقيق برنامج تهيئة وتنمية مجالات السقي الصغير والمتوسط، والتي تبلغ 21 دائرة سقوية. يهدف المشروع إلى إعادة هيكلة السواقي، من خلال بنائها بطريقة عصرية تستجيب لمعايير الانحدار والسطح، تعمل على التخفيف من ضياع المياه والتقليل من التبخر في مجموعة من الدوائر السقوية (الشكل .8. والصورة .4.).

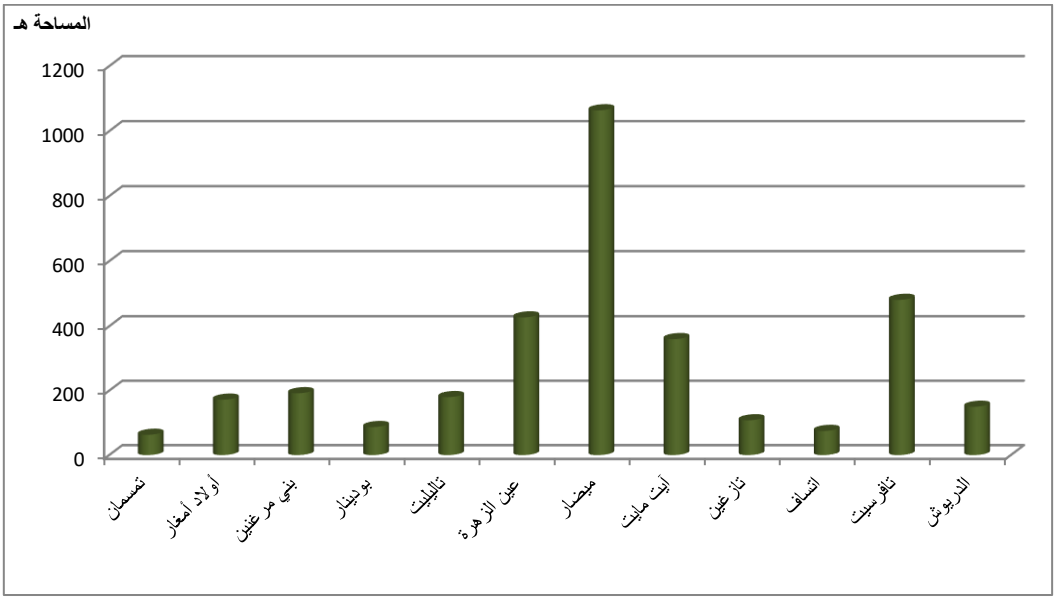


المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة، الناظور، قسم الإعداد والبرمجة

الشكل 8: السواقي المعاد تهيئتها بالدوائر السقوية

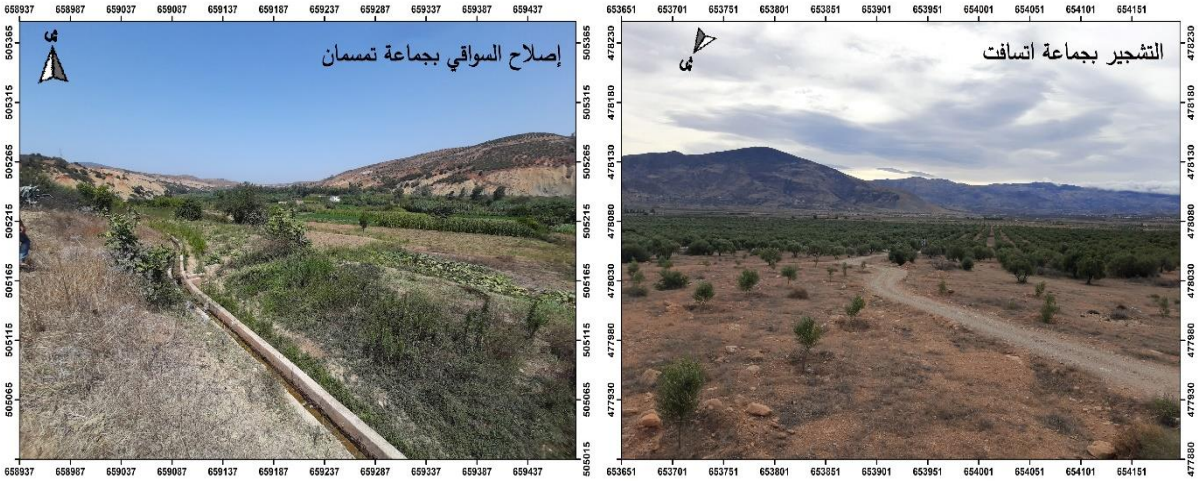


مصدر: العمل الميداني (غشت 2021)

الصورة 4: جانب من المشاريع الفلاحية للدولة بإقليم الدريوش

تتجلى الأهمية الإستراتيجية لهذه الدوائر السقوية الصغيرة والمتوسطة PMH بجماعات الإقليم في قرب اغلبها من أهم وأكبر التجمعات السكنية (مدينة الدريوش، ميضار، بن الطيب، بودينار، أنوال، كرونة..) وكذا في الدور الحساس الذي تلعبه الموارد المائية بالمنطقة خاصة مع منافسة ميادين أخرى غير فلاحية في استهلاكها.

## 3. المناقشة

أدى ارتفاع الكثافة السكانية، خاصة بعد الستينات من القرن العشرين، وتطوير أساليب الاستغلال الفلاحي إلى بداية تراجع قيمة الموارد الطبيعية لإقليم الدريوش؛ فتكثيف عملية استعمال الجرار والحرث باتجاه الانحدار، وعزوف الشباب عن العمل الفلاحي والهجرة، ساهم في تسريع أشكال التعرية وتوسيع مساحة الأراضي البائرة، وكذا تحول مجموعة من المساحات المستغلة إلى أساحل، بالإضافة إلى إفراغ المناطق الجبلية مقابل تعمير السفوح والمنخفضات، مما ساهم في تدهور الأراضي المزروعة والمهجورة نتيجة غياب حمايتها بالمرتفعات الجبلية.

من أجل مواجهة هذه التحديات، عملت الساكنة المحلية على استغلال الموارد المالية، القادمة من خارج الإقليم، لتنويع وسائل الاستغلال الفلاحي، وتطوير الزراعة المسقية بالاعتماد على حفر الابار وتقنيات الري الموضعي، والاعتماد على الزراعة العلفية لتربية الماشية.

تدخلت الدولة من أجل تحسين المجال الفلاحي بالإقليم، من خلال إطلاق مجموعة من المشاريع والتدابير الإصلاحية لتحقيق التنمية بالعالم القروي. بالتالي إعادة الاعتبار للأراضي المزروعة عن طريق تثمين مجالات الفلاحة المسقية عبر ترميم المدارات المسقية، وتنمية نشاط الرعي وتثمين المجالات البورية عبر تبديل نشاط زراعة الحبوب بغرس الأشجار المثمرة في إطار مشروع المغرب الأخضر.

يتبين من خلال قراءة مضمون مشاريع إعادة تهيئة المجالات البورية والمسقية، مدى الاهتمام الذي توليه الدولة لإشكالية تدارك تدهور الموارد المحلية، ومن أجل محاربة آفة الانجراف والتعرية التي تعاني منها الاستغلاليات الفلاحية. كما أولت اهتماما خاصا بالفلاح وبتحسين موارده الذاتية من خلال إشراكه في مراحل إنجاز المشروع من جهة، ودعمه بمشاريع مرافقة كتربية النحل والماعز والأرانب من جهة أخرى، وبالتالي إعادة الثقة للفلاح في أرضه، وكذا إحياء العلاقة التي كانت تربط على الدوام الإنسان بمجاله. إلا أن نجاح المشروع على أرض الواقع تعرقله بعض التحديات التي يمكن تلخيصها في:

- إشكالية قلة استيعاب الساكنة لمبدأ المقاربة التشاركية، ومدى التجاوب الذي توليه هذه الساكنة مع سير أشغال المشروع، يتبين هذا التجاوب السلبي في الحضور شبه المنعدم في الدورات التكوينية وفي مرحلة الغرس، وإهمال المساحات المشجرة بعد مرور سنتين من المعاينة التي تقوم بها الدولة.
- مشروع السقي الصغير والمتوسط يعمل على مقاومة ضياع الموارد المائية، لكن أهم عائق يقف أمام هذا المشروع هو التراجع المستمر لمخزون الموارد المائية، مما يحتم ضرورة التفكير في أنماط استغلال تتكيف مع هذه التحولات العامة التي تشهدها المناطق المستغلة.

تساهم هذه المشاريع الفلاحية، دون شك، في إعادة هيكلة الأراضي الفلاحية للدريوش، من خلال المساهمة في المحافظة على الموارد المحلية ومحاولة عصرنة الإنتاج الفلاحي؛ مما يرفع من مدخول الفلاح وتثبيته بالمجال.

**خاتمة**

يعاني إقليم الدريوش من إكراه محدودية موارده الطبيعية، وذلك نتيجة البنية الجيومرفلوجية، الممتدة من الجوراسي إلى التكوينات الحديثة من الزمن الرابع، والتي ستساهم في تشكل الوحدات التضاريسية بالإقليم؛ وتنوع الصخارة بين الصلصال والطفل والشيست مع تركز المواد الدقيقة.

يساهم المناخ بدوره في الرفع من حدة عطوبية هذه الموارد؛ كما يعتبر العامل البشري في أحيان كثيرة مسؤولا وبشكل كبير في التسريع من وتيرة التدهور التي تمس المورد الترابي والمائي الريفي، خاصة مع تفشي الاستغلال الجائر والحرث باتجاه الانحدار الذي يسرع من التعرية.

كل هذه العوامل دفعت بالساكنة القروية نحو الهجرة باتجاه المراكز القروية والحضرية، مما استوجب ضرورة التدخل لتدارك الخلل، وضمان تنمية ترابية منسجمة مع عناصر الوسط الطبيعي لإقليم الدريوش.

عملت الساكنة المحلية على اتخاذ مجموعة من المبادرات للتعبير عن التشبث بالأرض، كما لعبت الدولة دورا محوريا في محاولة تدبير الاختلال القائم بين الموارد الطبيعية المتاحة والحركية الديموغرافية عبر عدة تدخلات مست المجالين البوري والمسقي.

## لائحة المراجع:

1.عبد الكريم سومع (2022)، المجال الترابي لإقليم الدريوش بين التحولات المجالية وتدبير الموارد الطبيعية، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، 351 ص.

2.عبد الكريم سومع، محمد صابري (2021): "دور نظم المعلومات الجغرافية في تحديد المجالات الزراعية المهددة بالمخاطر الطبيعية بإقليم الدريوش (حالة جماعة اجارماوس)"، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 19 يونيو2021، المركز الديموقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ISSN 2568-6739 V.R 33616برلين ألمانيا؛ ص 325 – 340.

3.El Abbassi H.1987 : « Essai sur la dynamique des milieux dans le bassin de Boudinar (Rif Oriental, Maroc) », thèse en vue du doctorat de l'Université Louis Pasteur, centre d'Etudes et de Recherches Eco-Géographiques, Strasbourg 1.

## وثائق إدارية:

- المديرية الإقليمية للفلاحة بالناظور والدريوش.
- عمالة إقليم الدريوش: وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة (2002)، مديرية إعداد التراب الوطني "خطة التنمية وإعداد المجال بالجهة الشرقية، مجالات المشاريع والبرمجة".
- وزارة الداخلية، ولاية جهة الشرق، مجلس جهة الشرق، المجلس الإقليمي للدريوش بجهة الشرق: دراسة إعداد مخطط التنمية الاستراتيجية لإقليم الدريوش (2019).

# و اقع تدبير النفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة.

# HOUSEHOLD SOLID WASTE MANAGEMENT IN KELAA DES SRAGHNA CITY: A FINGER ON THE REALITY.

محمد جاد[2]

**الملخص:**

فرض تزايد إنتاج النفايات المنزلية الصلبة وتراكمها بمختلف أحياء مدينة قلعة السراغنة بفعل النمو السكاني، التوسع العمراني وظهور سلوكات و أنماط استهلاكية جديدة، على الفاعلين المحليين ضرورة تبني أشكال تدبير مختلفة للتخفيف من أخطار النفايات، انتقلت من التسيير العمومي المباشر إلى التدبير المفوض حاليا.

**الكلمات المفاتيح:** التدبير المباشر_ الفاعلون _ النفايات المنزلية الصلبة_ التدبير المفوض.

**Abstract** :

Population growth, Urban expantion, and the emergence of new comsumption behaviors and patterns have all led to an unprecedented increase in the production and accumulation of household solid waste along in the various neighborhoods in the city of Kelaa des Sraghna, Morocco. To readdress the situation the municipality and stakeholders should implement a strategic vision to manage household solid waste effectively and efficiently, such a vision should move beyond the public (direct) management to delegated management.

**Key Words** : public management- actors- household solid waste- delegated management.

[2]- طالب بسلك الدكتوراه جامعة بن طفيل، المغرب.Mohammed609jad@gmail. com

## مقدمة

يشكل تدبير النفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة، تحديا كبيرا فرضته عوامل منها، التزايد السكاني الملحوظ، التوسع العمراني وتغير أنماط الاستهلاك. ففي سنة 2021 قدر الإنتاج السنوي للنفايات المنزلية ب 31156 طن، وتشير التوقعات إلى إمكانية ارتفاع هذه الكمية إلى 37237 طن في أفق سنة 2028[3]. فجهود الفاعلين المحليين، أعاقتها إكراهات القطاع سواء في مرحلة التسيير العمومي المباشر أو حاليا على مستوى التدبير المفوض لخدمة النظافة، لأن واقع التدبير يكشف عن عدم قدرة القطاع حل مشكل النظافة ونيل استحسان السكان وضمان سلامة المشهد الحضري، فمسألة تدبير النفايات وتحدياتها، مسؤولية مشتركة بين أطراف متعددة، تكتنف دراستها صعوبات جمة، مما سيجعلنا في هذا المقال التركيز على أشكال تدبير الفاعلين المحليين للنفايات المنزلية الصلبة والصعوبات التي تعترضه.

- **إشكالية الدراسة.**

يشكل تراكم النفايات المنزلية الصلبة وآثارها السلبية، من الأخطار البيئية التي أضحت تشغل بال صناع القرار على الصعيد الوطني، فترجم ذلك في إخراج ترسانة من القوانين والاستراتيجيات المعنية بتقنين طرق تدبير قطاع النظافة، فأصبح لزاما على الفاعلين المحليين بالمجال الحضري ضرورة التقيد بهذه الضوابط التنظيمية. وفي هذا السياق، فالإشكالية المطروحة هي: ما أشكال تدبير قطاع النظافة للنفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة؟ وماالتحديات المطروحة؟

ومن خلال الإشكالية المركزية، يمكننا طرح التساؤلات الفرعية التالية:

- ما واقع تدبير قطاع النظافة للنفايات المنزلية الصلبة بالمدينة؟ وما مدى نجاعتها للحد من تلوث البيئة الحضرية؟
- ما دور باقي الفاعلين المحليين في التدبير والصعوبات المرافقة؟

- **فرضيات الدراسة.**

انطلاقا من الإشكالية و التساؤلات المركزية والملاحظات الأولى حول موضوع أشكال تدبير أخطار النفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة، فإن الفرضيات الأساسية التي سنحاول في هذا البحث تأكيدها أو نفيها حول هذا الموضوع هي:

- أدت التدخلات العمومية غير الرشيدة بالمدينة في إطار التهيئة الحضرية إلى تفاقم هذه الأخطار.
- الجهود المبذولة وأشكال التدبير المتخذة من طرف الفاعلين المحليين غير كافية لمواجهة هذه الأخطار.
- تعيق عمليات تدبير النفايات المنزلية الصلبة تحديات متعددة قانونية، تنظيمية وسوسيواقتصادية.

- **منهجية الدراسة وأدواتها.**

تعرف المنهجية على أنها الخطوات العلمية التي يتبعها الباحث في إنجاز دراسته منذ المرحلة الأولى التي تسبق تحديد الموضوع وصولا إلى استكمال معالجته، وقد تم التركيز على المنهج الكمي الإحصائي في تحليل المعطيات، إضافة إلى المنهج الوصفي التفسيري الذي سيمكننا من تتبع آليات تدبير النفايات، ويتيح إمكانية الملاحظة، الوصف والتحليل لإظهار العناصر المكونة للمجال من حيث الشكل والتوطين والحركة، كما اعتمدنا المنهج الاستقرائي الذي مكننا من التدرج المنهجي في التعامل مع قضايا البحث، لتوضيح العلاقة القائمة بين عدة متغيرات والظاهرة المدروسة وتمثيلها بأساليب التعبير البياني لتيسير فهمها.

[3] cahier des charges de gestion déléguée du service public des déchets ménagers et assimiles . commune urbaine d' el kelaa des sraghna.

ISSN 2569-734X

- **مجال الدراسة.**

تنتمي مدينة قلعة السراغنة إلى جهة مراكش أسفي ،تمت ترقيتها إلى عمالة سنة 1973، تقع على حدود عمالة مراكش في الجنوب الغربي وإقليم أزيلال في الجنوب الشرقي وإقليم بني ملال في الجهة الشمالية الشرقية وإقليم الرحامنة شمالا، كما تتموضع وسط المغرب بمنطقة منبسطة في أغلبها، وهي جزء من المجال الاطلنتي الداخلي[4].

**خريطة رقم 1: توطين مدينة قلعة السراغنة إقليميا.**

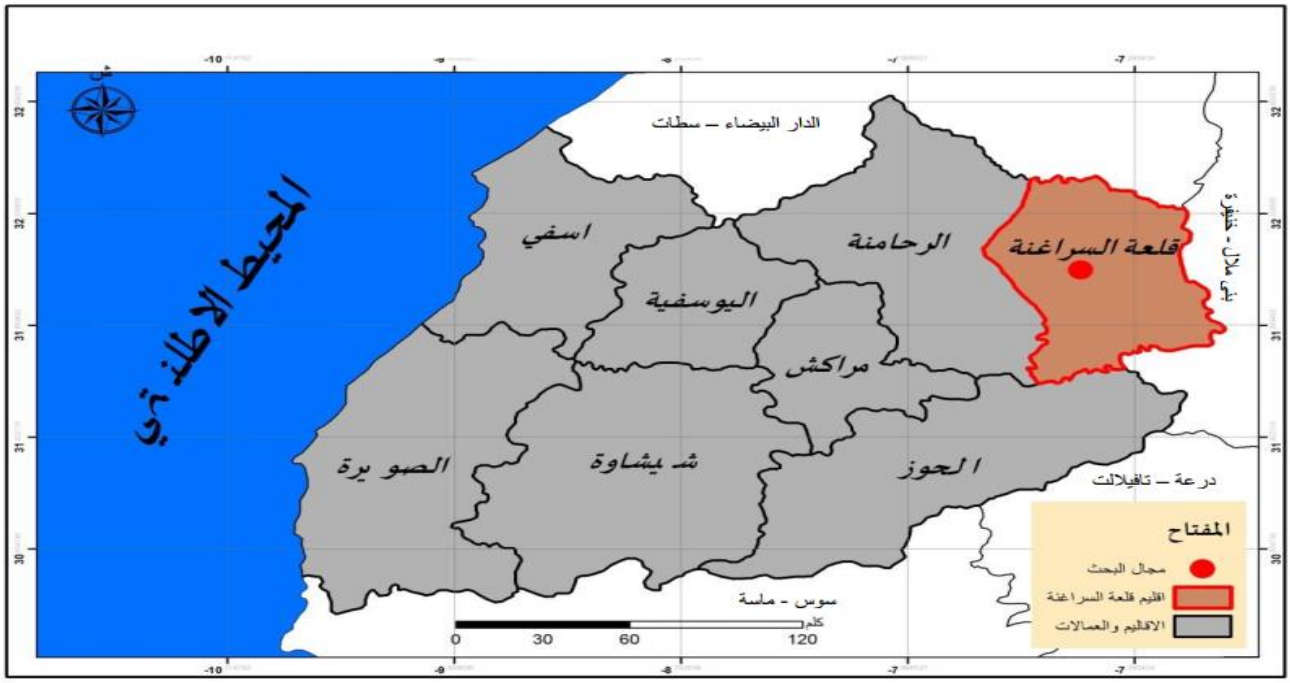


المصدر: إنجاز شخصي سنة2023.

**I- أشكال تدبير قطاع النظافة للنفايات المنزلية الصلبة وتحدياته.**

لدراسة موضوع تدبير النفايات المنزلية الصلبة، يستدعي منا رصد آليات تدبير قطاع النظافة و التطور الذي عرفه، وذلك بالمقارنة بين نظام التسيير المباشر، وأسلوب التدبير المفوض لخدمات تدبير النفايات وأدوار الفاعلين المحليين، واستخلاص التحديات التي تواجهه، إذ أن سياسة التدبير تخضع لاعتبارات تشريعية وتنظيمية وسوسيو اقتصادية للمرافق العمومية.

**1- الإطار القانوني لتدبير قطاع النفايات الصلبة.**

**1-1- مكونات القانون0 0- 28 المتعلق بتدبير النفايات الصلبة والتخلص منها.**

يرتبط تدبير النفايات الصلبة في المغرب بالقانون 00-28 الصادر بتاريخ 22 نونبر2006 والمتعلق بتدبير النفايات والتخلص منها بطريقة تحترم البيئة وتحافظ على صحة الإنسان. ويتضمن هذا القانون برامج ومخططات تهدف إلى:

- تطبيق أساليب الو قاية من النفايات وتقليص كمية إنتاجها وتنظيم عمليات جمعها وتخزينها ومعالجتها والتخلص منها بطريقة عقلانية، مع تثمينها بإعادة استعمالها أو تدويرها.

[4] Monocraphie del' kelaa des sraghna 2017.

- نهج سياسة التخطيط على الصعيد الوطني، الجهوي والمحلي في مجال تدبير النفايات والتخلص منها، مع وضع نظام للمراقبة وزجر المخالفات المرتكبة من طرف الشرطة البيئية.

- تكثيف حملات التوعية بأخطار النفايات على الصحة العمومية والبيئة، والتدابير اللازم اتخاذها للوقاية من آثارها[5].

**2-1- ملاحظات عامة حول القانون00-28 المخصص لتدبير النفايات الصلبة والتخلص منها.**

يتضح من خلال قراءة متأنية للقانون 00- 28، وجود عدة نقائص. والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- غياب المرونة والوضوح في النصوص القانونية وازدواجيتها و غير مواكبة للأخطار المحدقة بالبيئية، وعدم استقلالية المؤسسات المختصة بشؤون البيئة و تمتعها بسلطة الرقابة وازدواجية عملها وتداخل اختصاصاتها.

- قصور العقوبات الزجرية بالنظر للمخالفات المضرة بالبيئة وافتقار النصوص التشريعية للمستجدات الراهنة، وضعف تكوين وتخصص الموارد البشرية المهتمة بالشأن البيئي وغياب أجهزة وآليات تنفيذ الأحكام القضائية.

- وجود بون كبير بين الإطار النظري لهذا القانون والتطبيق الذي يتوقف على مواجهة أخطار النفايات على السكان والبيئة، مما يطرح تساؤل جوهري عن جدوى هذه التشريعات[6].

**2- تدبير قطاع النظافة للنفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة وإكراهاته.**

**2-1- تدبير مرفق النظافة بالتسيير المباشر ومشاكله.**

ظل مرفق النظافة بمدينة قلعة السراغنة يواجه عدة إكراهات حالت دون تطور الخدمات التي تقدمها الجماعة المحلية طيلة فترة تسييرها المباشر لهذا المرفق، مما ساهم في تدهور البيئة الحضرية، وقد اعتمدت الجماعة الحضرية بالمدينة على أسلوب التدبير المباشر لمرفق النظافة، باستخدام الوسائل التقنية والموارد البشرية والمالية الخاصة.

**2-1-1- طرق إدارة التسيير المباشر للنفايات المنزلية الصلبة.**

تولت بلدية المدينة التدبير المباشر لمرفق النظافة، اعتماد على إمكانياتها المالية والبشرية الخاصة للحفاظ على نظافة البيئة وتحميل المجالس المنتخبة والمصالح التقنية للجماعة المحلية هذه المسؤولية. لذلك فنظام التسيير المباشر لا يتمتع بشخصية مستقلة عن الهيكل التنظيمي للجماعات المحلية، ويستخدم أموال عامة تخضع للقواعد المقررة لميزانية الجماعات المحلية، وموظفين يخضعون لنظام الوظيفة العمومية، كما يخضع نشاط وسير المرفق لقواعد القانون العام للإدارة العمومية.

وقد تجسد أسلوب التسيير المباشر في تدبير مرفق النظافة بمدينة قلعة السراغنة، باعتماد نظام جمع النفايات من أبواب المنازل، خاصة بداخل الأحياء الشعبية وتوزيع حاويات متوسطة إلى كبيرة الحجم في أحياء مختارة، و بالشوارع الكبرى والأحياء الراقية للمدينة، بغية تجويد خدمات النظافة والتخلص من طريقة الجمع المباشر قبالة أبواب المنازل، التي كانت تتطلب توظيف موارد لوجستيكية وبشرية مهمة تستنزف مالية الجماعة المحلية.

**2-1-2- نتائج التسيير المباشر لقطاع النظافة.**

[5] قانون رقم 00-28 المتعلق بتدبير النفايات والتخلص منها.

[6] حميد موفراجي، أطروحة دكتوراه" النفايات الصلبة وتأثيرها على المجال الحوزي للدار البيضاء،" نونبر 2018.ص 138-142.

واجهت الجماعة أزمة نفايات تجلت في تناثر الحاويات المتسخة والمكدسة بالنفايات على مدار اليوم بمختلف الشوارع والأحياء، مما زاد من تفاقم تدهور جودة الحياة الحضرية، وتشويه المنظر العام للمدينة، استعصى حلها على الجهات المسؤولة. خصوصا في ظل ضعف الموارد المالية والبشرية للجماعة الحضرية، الشيء الذي خلف تباينا إيكولو - مجاليا صارخا بين مختلف أجزاء المدينة، سواء على مستوى جودة خدمات النظافة المقدمة من طرف الجهات الوصية على القطاع، أو على مستوى جودة البيئة الحضرية للمدينة بشكل عام ويعتبر التداخل المؤسساتي وضعف العمل الإداري وكذا النظم الكلاسيكية المتجاوزة المعتمدة في تدبير قطاع النفايات الصلبة، من بين العوامل المسؤولة عن تلك الوضعية المتردية[7].

**2-1- 3- مشاكل الإدارة المباشرة لمرفق النظافة بمدينة قلعة السراغنة.**

واجه نظام الإدارة المباشرة لتدبير مرفق النظافة تحديات جمة، كتعقد الإجراءات الإدارية، ضعف الإمكانيات المادية واللوجستية وعدم توفر الموارد البشرية المتخصصة، مما انعكس بشكل سلبي على الوضع البيئي للمدينة.

**2-1-3-1- ضعف الإمكانيات اللوجيستية.**

عانى مرفق النظافة ببلدية قلعة السراغنة من نقص كبير في الآليات المختصة في جمع النفايات، بحيث كانت تتوفر فقط على سبع شاحنات تغطي مجمل المجال الحضري، معظمها قديمة ومتهالكة ولا تغطي بعض أحياء المدينة، كحي الغابية الذي كان يضطر سكانه إلى رمي نفاياتهم بواد كاينو، وفي مناسبة عيد الأضحى تضطر البلدية إلى إرسال جرار لجمع الكم الهائل من النفايات التي تنتج خلال العيد أو استئجار شاحنات من البلديات المجاورة للمدينة "تملالت".

وحسب رشيد الهلالي مهندس ورئيس مصلحة النظافة ببلدية المدينة، يرجع اهتراء الشاحنات المخصصة لجمع النفايات إلى قدمها، حيث مر على اشتغالها أكثر من 15 سنة، إضافة إلى أن مادة( الليكسفيا ) وهي عصارة النفايات الملوثة تقضي حتى على الحديد، كما أن الوضعية الميكانيكية لشاحنات جمع القمامة استنزفت أموالا طائلة في اقتناء قطع الغيار، وحطمت أرقاما قياسية في الإصلاح مع أنها متقادمة توارثها المسؤولون الذين توالوا على تدبير الشأن المحلي منذ السبعينيات، إضافة إلى عقم مسطرة اقتناء الآليات والتجهيزات، كما كانت تستخدم الجماعة وسائل وتقنيات بسيطة وغير كافية لتنظيف الشوارع والأزقة "مكانس يدوية مصنوعة من سعف النخيل أو بعض الألياف، مجرفات حديدية، عربات حديدية ثقيلة الوزن..."[8]. **ومن خلال الصورتين التاليتين رقم 1و2، نبرز بعض الآليات المستعملة في إطار التسيير المباشر.**

المصدر:بحث الإجازة للطالب:محمد البرهمي 2011/2012 .

[7] حميد موفراجي، مرجع سابق.

[8] النفايات الصلبة والسائلة بمدينة قلعة السراغنة وتأثيرها على البيئة، إنجاز الطالب محمد البرهمي، إشراف د. الكاسمي بن علي، السنة 2011- 2012.

**2-1-3-2- موارد بشرية محدودة وغير متخصصة.**

كان يشتغل بقطاع النظافة ببلدية قلعة السراغنة في إطار التسيير المباشر حوالي 78 عاملا،إضافة إلى عمال مياومين يدخلون في إطار الإنعاش الوطني، هذا الكم من العمال لا يتناسب مع حجم النفايات الهائل الذي تنتجه الساكنة، ومعظم هؤلاء العمال لا يتوفرون على أي تكوين أو خبرة في هذا المجال، ولا على الآليات الضرورية لانجاز عملهم، بل يعتمدون على أدوات بدائية بسيطة غير فعالة لتدبير قطاع النظافة، ووضعيتهم المهنية مزرية، يعانون من كثرة ساعات العمل والآجر المتدني وكذا ضعف الإطار القانوني الذي ينظم هذه المهنة، وهكذا يظهر أن الشغيلة في هذا القطاع لا يمكن أن تقوم بمهامها على الوجه المطلوب، مما انعكس بشكل كبير على الوضعية البيئية للمدينة، التي تتطلب إمكانات ووسائل لوجيستكية وأطر ذات تكوين في الميدان لتفادي العشوائية في التدبير.

**2-1-3-3- مشاكل أخرى.**

أمام عجز المجلس البلدي عن تدبير قطاع النظافة والحفاظ على سلامة البيئة الحضرية، وفي ظل محدودية الآليات المرصودة لجمع الكميات المتزايدة من النفايات، كان السكان يتخلصون من النفايات المنزلية بطريقة عشوائية وغير حضرية، في حين كانت وعود وآمال مسؤولو البلدية لتدبير النفايات تفوق إمكانات الجماعة الحضرية. وترجع أسباب هذا القصور في:

- نقص في اليد العاملة المؤهلة و الأطر المختصة في هذا المجال (مهندسين,تقنيين...) وغياب الانسجام والتضامن بين المؤسسات المكلفة بهذا المجال(البلدية,العمالة,المجتمع المدني).

- غياب المسؤولية عند السلطات المختصة والمواطنين وعدم التوفر على الآليات والوسائل الضرورية، وقصور دور الجمعيات في توعية السكان بأخطار التلوث وتدني الوعي البيئي لدى السكان،وظهور تصرفات غير مسؤولة في التعامل مع الظاهرة..

أثبت التدبير المباشر على عدم نجاعته وأصبح غير قادر على مواجهة المشاكل اليومية للقطاع وتعقيداته خصوصا في مجالي مراقبة الانجاز والتدخل الاستعجالي، و نظرا أيضا لارتفاع تكاليف هذه الخدمة من محروقات وقطع الغيار وإصلاح وصيانة مرآب الشاحنات وأجور الأعوان العرضيين وغيرها من النفقات المرتبطة بهذا المجال التي تتقل كاهل ميزانية الجماعة.

وبالتالي، شكل تقديم خدمات النظافة إحدى أصعب المهام التي أسندت للمجالس المحلية وأغلاها كلفة، كما ساهم في تعقيد مهام المصالح التقنية الوصية على مرفق النظافة بالجماعة المحلية، وفي تأزم أدائها الوظيفي. ولتجاوز النقائص المرتبطة بتباين مستوى جودة خدمات تدبير النفايات المنزلية الصلبة، عمدت السلطات العمومية إلى تغيير نظام تسيير مرفق النظافة، باعتماد نظام التدبير المفوض. فإلى أي حد ستتمكن هذه السياسة من تجاوز التحديات التي تخبط فيها مرفق النظافة في ظل نظام التسيير المباشر المعتمد خلال الحقبة السابقة؟

**2-2- تدبير مرفق النظافة: من التسيير المباشر إلى التدبير المفوض.**

في ظل عجز التدبير المباشر لقطاع النظافة، تم اعتماد طريقة التدبير المفوض، حيث قام المجلس البلدي بتفويت هذا القطاع إلى القطاع الخاص بتكلفة تقدر ب 11298703.53 درهم لمدة 7 سنوات من سنة 2015 إلى سنة 2021، وبهذا اللجوء إلى التدبير المفوض عن طريق شراكة متخصصة وبناء على كناش التحملات حددت فيه التزامات هذه الشراكة الخاصة.

**2-2-1-التدبير المفوض لمرفق النظافة.**

**-2-2-1-1-التدبير المفوض في إطار العقد القديم(2015_ 2021).**

أخضع قطاع النظافة للتدبير المفوض ما بين سنتي 2015 و 2021، قدر فيه عدد المستخدمين ب 106 بمختلف تخصصاتهم، وبتكلفة مالية بلغت 11.298.703.53 درهم، حيث تم تفويض خدمات التنظيف، جمع النفايات، نقل النفايات إلى المطرح. أما الآليات المقتناة من طرف الشركة المدبرة للمرفق: 11 من وآليات الجمع و5 مركبات ومعدات متواجدة لدى الجماعة والموضوعة تحت تصرف الشركة، 2من سيارات الخدمة و 12 دراجة نارية. لكن هذا العقد انتهى في سنة 2021، فتم إضافة ملحق يمتد على

مدى ستة أشهر خول لنفس الشركة الخاصة (كازا تكنيك) مواصلة تدبير قطاع النظافة في انتظار المصادقة على العقد الجديد. وتوضح الصورتين التاليتين رقم 3و4: جوانب من إجراءات الشركة الخاصة في تدبير القطاع.

المصدر: تصوير شخصي سنة 2021.

**2-2-1-2- المطرح البلدي.**

في ظل تزايد كمية النفايات التي تنتجها المدينة، فإنها لا تتوفر إلا على مطرح واحد للنفايات، يقع ضمن المجال الحضري خلف الحي الصناعي بالقرب من الطريق المتجهة نحو أولاد يعقوب ولا تتجاوز مساحته 2 كلم مربع، ترمى به جميع نفايات المدينة دون مراقبة أو معالجة ويتم التخلص منها عن طريق الحرق وهذا بدوره يطرح مشكلا كبيرا، كما نجد أن الساكنة المجاورة لهذا المطرح تستغله في رعي مواشيها، وأصبح قبلة للمنقبين عن القمامة حيث أصبح مصدر رزق لهم. وخضع المطرح البلدي لعملية إصلاحية، من طرف شركة ألمانية بغية تأهيله وتحويله إلى مجال لطمر النفايات، لكن غياب المتابعة من مسؤولي مرفق النظافة، أعاده إلى وضعيته الأولى. وتوضح **الصور التالية أرقام 5و6 و7: وضع المطرح أثناء الإصلاح وبعده.**

المصدر: تصوير شخصي سنة 2023.

**2-2-1-3- نتائج التدبير المفوض.**

من إيجابيات التدبير المفوض لمرفق النظافة، لوحظ تحسن نوعي في الخدمات المقدمة واستحسان الساكنة لهذه الخدمة ، إضافة إلى وضع الأعوان والموظفين الجماعيين رهن الشركة، مما مكن الأعوان العرضيين من الحصول على أجر محترم وأيضا تسجيلهم في لوائح الضمان الاجتماعي و خلق أيام عمل جديدة لمجموعة من الشباب العاطلين. وقد مكن التدبير المفوض للقطاع من الرفع من "جودة النظافة " وضبط مستوى"مراقبة والانجاز " وحل مشكل السرعة في التدخلات" الاستعجالية "،كما كان له آثار اجتماعية ايجابية على مستوى التشغيل وعلى مستوى الحياة الاجتماعية للعمال .

لكن من خلال الملاحظة الميدانية لأحياء المدينة، لمسنا استمرار عدة مظاهر سلبية، تتمثل في كون السكان لا زالوا يقومون برمي القمامة على الأرض ويجمعونها في الساحات المكشوفة، حيث سجلنا في بعض المناطق من الأحياء غياب وسائل جمع النفايات

(الحاويات,أكياس بلاستيكية...)، مما جعل الأماكن العمومية وجوانب الطرقات والمنازل وكذلك في بعض الساحات كما هو الحال بحي جنان بكار والسويكية...، مرتعا لتركز المطارح العشوائية والصغيرة، كما أن معظم السكان يجمعون النفايات في أكياس بلاستيكية لا تحترم المعايير البيئية (لاتتحلّل بسرعة). إضافة إلى ذلك نجد بعض السكان يقومون بحرقها لنصبح أمام تلوث الهواء, ومنهم من يبحث عن بقايا قشور الخضر والفواكه لماشيته، فيعمدون إلى إفراغ هذه الأكياس ويتركونها ملقاة على الأرض دون الإكتراث بالنظام البيئي أو بآثار ذلك على الساكنة المجاورة.

وفي ما يلي تبرز **الصورتين التاليتين رقم 8و9: بعضا من هذه المظاهر.**

المصدر: تصوير شخصي سنة 2023.

ومن خلال ذلك نستنتج بعض الصعوبات التي تحول دون تجاوز هذا الوضع وتتمثل في ما يلي :

- ✓ ضعف مساهمة المجتمع المدني في تنظيم رمي و جمع الأزبال وعدم تنظيم وقت إخراج السكان للنفايات ولا لمرور الشاحنات.
- ✓ ضيق المسالك داخل الأحياء القديمة يعرقل مرور الشاحنات وتواجد المطرح االبلدي داخل تراب الجماعة.

تواجه البيئة الحضرية بقلعة السراغنة إكراهات متعددة، تستدعي اقتراح حلول عملية وتدخلات عاجلة لمسؤولي قطاع النظافة، من أجل الحد من تفاقم هذه المشاكل البيئية.

**2-2-1-4- صعوبات تدبير النفايات حسب الأحياء.**

يواجه قطاع النظافة صعوبات كثيرة ومتفاوتة في تدبير النفايات المنزلية الصلبة بمختلف أحياء المدينة، وقد اتضح من خلال الدراسة الميدانية أن حجم ونوع النفايات يتباين حسب نوع السكن الذي تقطنه الأسر، بل يمتد هذا الاختلاف ليشمل شكل تدبير القمامة. ويتمثل ذلك في:

- إن تدبير نفايات أحياء الفيلات، غالبا ما يتم بسلاسة من قبل عمال شركات التدبير المفوض، بحيث تتم عملية الجمع من أمام أبواب المنازل، نظرا لاعتماد الساكنة على أوعية أو حاويات خاصة بكل مسكن.

- تواجه عملية جمع النفايات بأحياء السكن الاقتصادي والاجتماعي الكثير من الصعوبات، بفعل عدم احترام الساكنة لنقط تجميع النفايات، ولا لأوقات مرور الشاحنات، ناهيك عن عدم توفير الشركات المكلفة بتدبير مرفق النظافة، القدر الكافي من الحاويات لهذه الأحياء، الشيء الذي يجعل من معظمها نقط سوداء تعج بالنفايات ليل نهار.

- تختلف صعوبة تدبير النفايات المستخلصة من السكن المغربي من حي لآخر، فكلما ارتفعت الكثافة السكانية تزداد تحديات الجمع والتخلص من النفايات، إضافة إلى أن ضيق المسالك والانتشار الواسع لتجارة الرصيف والباعة المتجولين، يشكلون عائقا أمام ولوج الشاحنات لعدد من الأحياء، كما هو الشأن بالنسبة لأحياء المدينة القديمة.

- تنتج الأسر القاطنة بأحياء السكن الصفيحي كميات قليلة من النفايات المنزلية الصلبة، ويفسر ذلك بانتشار الفقر والهشاشة الاجتماعية، ضعف معدلات الاستهلاك وإعادة استعمال الكثير من النفايات المنزلية الصلبة إما كعلف للماشية، أو من خلال إعادة بيع بعضها خصوصا النفايات البلاستيكية والزجاجية منها لإعادة تدويرها.

ويواجه تدبير النفايات الصلبة بالأحياء العشوائية صعوبات كثيرة، حيث يستحيل على الشاحنات كيفما كان حجمها اختراقها لهذه النطاقات، مما يؤدي إلى تكدس كميات كبيرة منها في صناديق ضخمة،علاوة على عدم توفير الجهات المسؤولة حاويات وتجهيزات تتلاءم ومورفولوجية تلك الأحياء، وعدم التزام الساكنة برمي النفايات في الأماكن المخصصة لها. وتخلف هذه الوضعية آثارا سلبية على وضعيتها البيئية[9].

**2-2-2- التدبير المفوض في إطار العقد الجديد (2021-2027).**

تطبيقا لمقتضيات المادة 28 من القانون التنظيمي رقم 14-113المتعلق بالجماعات، عقدت اللجنة المكلفة بالميزانية والشؤون المالية والبرمجة، اجتماعا لها بتاريخ 13 و16و21 أبريل 2021، وذلك لدراسة عدة نقط كدراسة كناش التحملات المتعلق بتدبير قطاع تطهير الصلب، جدوى العقد الجديد للتدبير المفوض ومناقشة برنامج استعمال حصة الجماعة في إطار برنامج تقوية نجاعة الأداء الجماعي.

**2-2-2-1- دفتر التحملات المتعلق بتدبير قطاع تطهير الصلب.**

تضمن دفتر التحملات دراسة جدوى العقد الجديد للتدبير المفوض والمنهجية المعتمدة لانجاز صفقة التدبير المفوض،وكذا تبيان كذلك الهدف من هذه الدراسة، والذي يتجلى في تقييم الحالة المالية، وتقدير تكاليف الخدمة المقترحة، واقتراح الحلول لتحسين جودة خدمات الجمع، والتنظيم، من أجل تدبير جيد لخدمة النظافة، كما تمت دراسة وتشخيص الوضع الحالي لتدبير النفايات في جماعة قلعة السراغنة.

أما وضعية التدبير الجديد، ومن أجل تحقيق جودة خدمات أفضل خلال سنوات 2021-2027، اقترح مكتب الدراسات رؤية جديدة. بالنسبة للمجال الترابي للمرفق خلال العقد الجديد، فقد أخذت الدراسة تطور السكان وكمية النفايات المنتجة حسب السنوات، فبالنسبة لتطور السكان فسينتقل عددهم من 113811 نسمة سنة 2021 إلى 132605 نسمة سنة 2027، وكذا زيادة كميات النفايات المنتجة من 31156 طن في سنة 2021 إلى 36301 طن سنة 2027. كما أن النطاق الجديد للإدارة المفوضة سيرتفع إلى 07 مناطق بالمدينة.

**2-2-2-2- مضمون العقد الجديد للتدبير المفوض.**

- **الشق التقني في عقد التدبير المفوض الجديد .**

يمتد العقد الجديد من سنة 2021 إلى سنة 2027 (07 سنوات )، سيشمل تفويض خدمات جمع النفايات وتتضمن 07 مناطق بالمدينة إضافة إلى مناطق جانبية، البانكة، كدية الجمالة، العساسلة، السوق الأسبوعي، دراع العياشي 2. إضافة إلى عمليات الكنس اليدوي، الكنس الميكانيكي، عمليات الغسل ونقل النفايات إلى المطرح. أما آليات ومعدات جمع النفايات المقترحة خلال

[9] Etude du plan directeur provincial de gestion des déchets ménagers et assimilés de la province d'El kelaa des sraghna, p33.

العقد الجديد: فقد تم اقتراح 6 شاحنات سعة 12 متر مكعب، وشاحنة حجم 18 متر مكعب مع كاسحة، وشاحنة حجم 6 متر مكعب، بالإضافة إلى شاحنتين ذات خصائص متنوعة.

وبالنسبة للحاويات المقترحة خلال العقد الجديد: 05 حاويات مطمورة، 30 حاوية أرضية، 340 حاوية من حجم 660 لتر و200 حاوية من حجم 200 لتر و50 موضع مخصص للحاويات في الشوارع. وفيما يتعلق بغسل الحاويات، فقد تم ملاحظة أن الطريقة لا تتم بالشكل الجيد حاليا، وذلك عبر حمل تلك الحاويات في الشاحنات إلى مقر الشركة لغسلها، مع ترك مكانها فارغا لعدة ساعات، وبالتالي يتم وضع النفايات من طرف الساكنة مباشرة على الأرض فارغا، كما أن موضعها لا يتم غسله وتعقيمه بتاتا، و قد تم اقتراح أن تكون عملية غسل الحاويات في مكان وجودها بواسطة شاحنة مجهزة.

وفيما يتعلق بعمليات التنظيف، فالكنس اليدوي تم اقتراح ترددين، تردد ستة أيام في الأسبوع للطرق الرئيسية والشاحنات، وتكرار يومين في الأسبوع بالنسبة للمحاور الثانوية، الكنس الميكانيكي بالمحاور الرئيسية ثلاثة أيام في الأسبوع، الغسل الميكانيكي في الفضاءات العامة، الشوارع الرئيسية، أمام المنشآت الإدارية، محطة الحافلات تردد يوم واحد في كل 15 يوم، ثم جمع النفايات الخضراء الناتجة عن تشذيب نباتات التسييج، قص الأعشاب الخضراء، أغصان وجذوع الأشجار، إزالة الأعشاب الضارة بشكل يدوي أو كيميائي (احتمالا) من الطرق المعبدة والأرصفة ومياه المجاري، وفيما يخص الموارد البشرية، باختلاف أصنافها ستبلغ في العقد الجديد 107 عنصرا بشريا.

- **الشق المالي في عقد التدبير المفوض الجديد**، ويتضمن:

تكلفة الأشغال ومؤشرات تجويد المرفق، من خلال الزيادة في عدد الآليات والمعدات وتجهيز اليد العاملة بلوازم تقنية جديدة، وستصل التكلفة المالية للعقد الجديد حوالي12.571.200.00 درهم، مقارنة بالتكلفة المالية للعقد القديم التي قدر ت ب 11.298.703.53 درهم.

**2-2-2-3- المنهجية المعتمدة لإنجاز صفقة التدبير المفوض.**

بعد المصادقة والتأشير على دراسة الجدوى للتدبير المفوض لمرفق النظافة، من طرف وزارة الداخلية والمديرية العامة للجماعات المحلية في المرحلة الأولى، يتم الشروع في إعداد مكونات عقد التدبير المفوض في المرحلة الثانية، ويتكون من الاتفاقية، دفتر التحملات، الملحقات وقانون المشاركة، أما التقويم الزمني للصفقة يتضمن نشر إعلان المنافسة، زيارة المكان، إعداد وإنهاء العقد، مداولات المجلس في عقد الإدارة المفوض، إرسال العقد والمستندات للتأشير عليه من طرف وزارة الداخلية، كما أن هناك الملف التقني والملف المالي للشركات المنافسة، ويتم احتساب النقطة النهائية للمرشحين بطريقة جد علمية، ويكون المترشح الحاصل على أعلى درجة في النقطة النهائية هو الذي يفوز بالصفقة.

- **الاقتراحات والتوصيات المطروحة.**

_ توقيت عمليات جمع النفايات المعمول به حاليا، والذي يبتدئ بعد صلاة الفجر، برزت فيه عدة عيوب على أرض الواقع، فالحاويات تبقى ممتلئة بالنفايات طول النهار، مما يشكل ضررا للساكنة، من خلال الروائح الكريهة وانتشار الذباب والحشرات، لدى وجب التفكير في توقيت جديد للجمع أو عبر زيادة ترددات شاحنات الجمع.

_ الحملات التحسيسية، فكناش التحملات القديم، كان قد أشار إلى القيام بحملتين تحسيسيتين في السنة، وهي غير كافية، لأن عملية التحسيس لها دور محوري، فهي تساعد الجماعة، والساكنة على فهم واستيعاب طرق التعامل مع النفايات و أوقات طرحها أو إخراجها من البيوت والدكاكين، حفاظا على البيئة والمحيط.

_ عمليات الكنس فقد تمت الإشارة إلى أن هذه العملية سوف لا تشمل كافة الأحياء والأزقة بالمدينة، فالتردد سيكون إما 4/7 أو 5/7، في حين أن بعض الأحياء تكون عملية الكنس بها مرة في الأسبوع، وتم اقتراح الحاويات المطمورة في بعض المناطق، نظرا لمزاياها البيئية والجمالية، أما بالنسبة لشاحنات جمع النفايات، فقد تم التنبيه إلى أن دخول بعضها، وخصوصا ذات الحمولة الثقيلة، قد أضر ببنية بعض الأزقة المبلطة لذا وجب التفكير في الشاحنات الصغيرة والخفيفة[10].

- **دراسة برنامج استعمال حصة الجماعة في إطار برنامج تقوية نجاعة الأداء الجماعي.**

في هذا الإطار، أوضح السيد وكيل المصاريف، أن الأمر يتعلق بحصول جماعة قلعة السراغنة، على منحة التميز ضمن برنامج نجاعة أداء الجماعات الترابية والتي تقدر ب1.487.004.00 درهم ، وقد تم استغلاله في شقين، الشق الأول يتعلق بتدبير واستغلال المطرح العمومي، لأن الصفقة ذات الصلة والمبرمة خلال سنة 2020 قد أشرفت على النهاية، وبالتالي وجب التفكير في تخصيص ورصد مبالغ أخرى، لاستمرارية استغلال المطرح والحيلولة دون عودته إلى وضعه العشوائي السابق، والشق الثاني يتعلق بأشغال صيانة الطرق بالمدينة، نظرا لما أصاب العديد منها، التلف وبروز الحفر بها[11].

وبعد التداول في الموضوع، وتبادل الآراء والاقتراحات، وافقت اللجنة على المشروع التالي المبين في **الجدول رقم 1** أسفله:

| نوع المشروع | الاعتماد المقترح بالدرهم |
|---|---|
| _ استغلال وتدبير المطرح العمومي | 1.000.000.00 |
| _ أشغال صيانة الطرق بالمدينة | 487.004.00 |
| المجموع | 1.487.004.00 |

المصدر: محضر الدورة العادية الثانية لشهر ماي 2021 للمجلس الجماعي لمدينة قلعة السراغنة.

**II- دور باقي الفاعلين المحليين في تدبير النفايات والمحافظة على البيئة بالمدينة.**

**1- دور الوكالة الحضرية.**

قامت باتخاذ عدة إجراءات في إطار الاتفاقيات الموقعة مع المتدخلين المحليين بالمدينة أهمهم المجلس البلدي، تعنى بالاهتمام بالبعد البيئي وجعله قطاعا رهينا ذي نهضة وتنمية اقتصادية واجتماعية مستدامة و شاملة[12].

[10] cahier des charges de gestion déléguée du service public des déchets ménagers et assimiles . commune urbaine d' el kelaa des sraghna.

[11] محضر الدورة العادية الثانية لشهر ماي 2021 للمجلس الجماعي لمدينة قلعة السراغنة.

[12] عن الوكالة الحضرية بمدينة قلعة السراغنة.

**2- دور الجمعيات غير حكومية.**

إلى جانب المتدخلين الرسميين فان موضوع المحافظة على البيئة أصبح إحدى القضايا المهمة التي أخذت تستقطب اهتمام العديد من الجهات غير الرسمية ، نظرا لتنامي الوعي البيئي والشعور بالمسؤولية. وسنعرض في هذه النقطة دور الجمعيات غير حكومية و الأفراد في التحسيس بأهمية المحافظة على البيئة، وسنعرض هذه الجمعيات رغم قلتها مبرزين أهم مجهوداتها في مجال المحافظة على البيئة.

**2-1-النادي البيئي بمركز التربية البيئية.**

أسس النادي البيئي بمدينة قلعة السراغنة تحت إشراف مجموعة من الأساتذة كان همهم الوحيد المحافظة على فضاء مدينة قلعة السراغنة كنطاق غني بيولوجيا بجمع الأنواع من النباتات و الحيوانات ، منذ مطلع النصف الأخير من القرن الماضي و من أهم أهداف هذا المركز:

_ التكوين في مجال البيئة ودعم و تنشيط الأندية البيئية بالمؤسسات التعليمية بالمنطقة.

_ عقد لقاءات تحسيسية لفائدة المتمدرسين و المدرسين وكذا مختلف الشرائح بالمدينة من أجل خلق وعي بيئي.

_ تنظيم عدة لقاءات و ندوات ومبادرات محلية ووطنية ذات علاقة بالمجال البيئي وتنظيم خرجات واحتفالات بأيام عالمية ذات علاقة بالبيئة.

وبهذا يكون المركز قد لعب أدوارا مهمة في التحسيس بالواقع البيئي و التوعية بضرورة المحافظة على البيئة بالمدينة.

**2-2-جمعية مدرسي علوم الحياة و الأرض.**

قامت هذه الجمعية منذ تأسيسها بادوار طلائعية في مجال المحافظة على البيئة، وهدفت في جل مشاريعها إلى إشراك الشباب المحلي في قضايا البيئة و التنمية المستدامة ،كما ساهمت في تنظيم مجموعة من الدورات التكوينية لفائدة الأساتذة ومنشطي الجمعيات العامة في مجال التربية البيئية والصحة، إقامة خيمة بيئية للتحسيس بالواقع البيئي بالمدينة بساحة كرو، تنظيم خرجات سياحية بيئية ، توزيع مطويات إعلامية وتنظيم عروض، أيام دراسية حول البيئة و التنمية المستدامة وورشات في تدبير الماء و النفايات وكذا حملات للنظافة والتوعية بالجانب البيئي و التربية الصحية وتنظيم ندوات ولقاءات للحد من استفحال ظاهرة التلوث بالمدينة.

ولتحقيق هذه الغايات عقدت هذه الجمعية مجموعة من الشراكات و الاتفاقيات مع مجموعة من المؤسسات الرسمية و الجهوية و الوطنية و الدولية ،كل هذا من أجل التعريف بالواقع البيئي لمدينة قلعة السراغنة، فكان لجمعية مدرسي علوم الحياة والأرض دور مهم في التخطيط و التحسيس والتوعية والتكوين والتنسيق والبحث عن بعض الحلول ،التي يمكن اتخاذها للتخفيف من خطر التلوث المحدق بالمدينة.

**2-3-جمعية ابن خلدون .**

تعد جمعية ابن خلدون من بين الجمعيات التي تهتم بالجانب البيئي بالمدينة،رغم إمكانياتها المحدودة التي لا تتجاوز مساهمات المنخرطين،وبعض المساعدات التي تتلقاها من جمعيات أخرى،عن طريق عقد مجموعة من اتفاقيات الشراكة مع جمعيات أخرى، وقد قامت عمالة المدينة بمنح هذه الجمعية بقعة أرضية استغلتها في انجاز فضاء أخضر الذي يعتبر متنفسا لسكان الحي الذين ساهموا بدورهم في انجازها.

كما قامت هذه الجمعية بعمليات التشجير داخل الحي، وكذا إحداث مشاريع مستقبلية من أجل إنجاز فضاءات خضراء بأحياء أخرى، وبشراكة مع جمعيات أخرى، وللتخلص من مشكل النفايات الصلبة قامت الجمعية باقتناء مجموعة من حاويات القمامة وتوزيعها في الحي، فضلا عن قيامها بمجموعة من الحملات التحسيسية،للتخفيف من ظاهرة التلوث[13].

### 2-4-جمعية عواطف للتنمية وحماية البيئة.

سلكت جمعية عواطف للتنمية وحماية البيئة مسار الجمعيات الأخرى في التوعية والتحسيس بالواقع البيئي الهش الذي تعرفه مدينة قلعة السراغنة، وذلك بتسطير أهداف و مشاريع محاولة منها التخفيف من مشكل النفايات الصلبة بالمنطقة رغم حداثة التجزئة ونشاط التعمير بها، إلا أنها تعاني من اكتساح التلوث لمجالاتها، ولتتمكن الجمعية من السيطرة على هذا الوضع قامت بتأطير مجموعة من حملات النظافة، وكذا ندوات للتحسيس والتوعية بخطورة تراكم النفايات الصلبة بالمنطقة .

ونظرا لموقع التجزئة وقربها من السوق الأسبوعي الذي يطرح نفاياته بجوار التجزئة. وهذا فضلا عن ما تنقله الرياح من أكياس بلاستيكية وروائح كريهة ناتجة عن مخلفات الخضر و الفواكه وبقايا الحيوانات[14]. وبالتالي فعمل هذه الجمعية لازال لم يرق بعد لتطلعات الساكنة بفعل تواجد السوق الأسبوعي بجوار المنطقة.

### 2-5- دور السكان في تدبير النفايات المنزلية الصلبة.

في استطلاع لآراء بعض ساكنة مدينة قلعة السراغنة، حول كيفية تدبير قطاع النظافة للنفايات المنزلية، أكدوا بعدم توفرهم على أي معلومات، سواء تلك المرتبطة بالتكلفة المالية الإجمالية لتسيير النفايات بالمدينة، أو حول كمية النفايات الإجمالية التي يتم إنتاجها بالمدينة ولا بوقت مرور الشاحنات أو الوقت المطالبين به لإخراج النفايات من المنازل، مقابل ذلك، أكد 66 % من المستجوبين أنهم غير راضين عن نظافة المدينة، كما أعلنوا أن المواطن يعتبر جزءا من المسؤولية في ترسيخ هذه الوضعية. وبذلك تكون مساهمة السكان في تدبير النفايات المنزلية ضعيفة، بحكم عدم وعيهم بضوابط المحافظة على البيئة من التلوث بالنفايات المنزلية .

## 3- تقييم الخدمات من طرف ساكنة المدينة والرغبة في المشاركة فيها.

### 3-1- تقييم تدبير النفايات من طرف الساكنة.

أصبحت الساكنة تقدم تقييما شخصيا وجماعيا لطرق تدبير قطاع النظافة للنفايات وما يرصده من خدمات وتجهيزات لأجل ذلك، ويعبرون عن ذلك بواسطة مجموعة من الممارسات سواء الفردية من خلال الكتابات الحائطية أو جماعية من خلال الاحتجاج في حالة عدم الرضى أو بتعابير أخرى في حالة الرضى.

**جدول رقم 2: تقييم الخدمات من طرف الساكنة**

| التقييم | تحسن الخدمات | | وتيرة تطور الخدمات | | | الرضى على الخدمات | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | نعم | لا | ضعيفة | متوسطة | سريعة | نعم | لا |
| العدد | 90 | 30 | 35 | 65 | 20 | 40 | 80 |
| % | 75 | 25 | 29,16 | 54,17 | 16,67 | 33,33 | 66,67 |

[13] عقد لقاء مع أحد أعضاء جمعية ابن خلدون بمدينة قلعة السراغنة.

[14] تصريح لرئيس جمعية عواطف للتنمية وحماية البيئة.

**المصدر**: الاستمارة الميدانية 2023 .

من خلال الجدول نلاحظ أن أن 75% من ســاكنة المدينة ترى أن هناك تحســن في الخدمات المقدمة، وذلك من خلال جمع النفايات وتنظيف الشــوارع والأزقة ...إلخ، وأن 25% ترى العكس. أما بخصــوص وتيرة تطور هذه الخدمات فإن **29,16** % تراها ضـعيفة، أما نصـف العينة المسـتجوبة فترى أن الخدمات تتم بوتيرة متوسـطة، وفقط **16,67**% ترى أن هذه الخدمات تتطور بسرعة وخاصة من طرف الفئات غير المتعلمة التي تعتبر كل جديد تحسن وأفضل حال مما كانت عليه.

أما بخصـوص الرضـى عن الخدمات المقدمة فإن **66,67**% من المسـتجوبين غير راضـيين عن الخدمات المقدمة لها لأنها غير كافية، ويبررون ذلك باسـتمرار تراكم القمامة بالحاويات طوال النهار ومحدودية الحاويات وضـعف تغطيتها لمناطق واسـعة من الأحياء السكنية.

**2-3- مشاركة الساكنة في تدبير المشاكل وتحسين الخدمات.**

تتميز ساكنة قلعة السراغنة بغياب كبير عن المشاركة الفعلية في حل مشاكل مدينتهم، فمن خلال العمل الميداني خلصنا إلى أن 79,10% من المسـتجوبين لم يشـاركوا في حل مشـكل في مدينتهم، وأن 20,90 % فقط هم الذين سـبق لهم وشـاركوا في حل مشـكل ما وتدبير الشـأن المحلي سـواء كفاعلين حقيقيين في المجالس المنتخبة أو موظفين عموميين أو من خلال المشـاركة ضـمن المجتمع المدني أو كمنعشين عقاريين مع الإشارة إلى مشاركتهم بطريقة غير مباشرة فتتم من خلال الممارسة الإنتخابية.

أما بخصـوص الرغبة في المشـاركة في حل المشـاكل فإن 61,36% من المسـتجوبين لهم الرغبة في المشـاركة في حل المشـاكل، وأن 38,64% من المسـتجوبين ليسـت لهم الرغبة ويمكن أن يفسـر ذلك باعتقادهم الراسـخ بأن تدبير النفايات يبقى من مسـؤوليات الجماعة الحضرية للحفاظ على بيئة المدينة.

نسـتخلص أن دور الفاعلين في ميدان تدبير النفايات المنزلية الصـلبة، في محاولة منهم لمواجهة هذه الأخطار البيئية، قاموا بمجهودات سـواء عن طريق التحسـيس و التوعية أو عن طريق بعض المشـاريع والدراسـات البيئية التي من شـانها التخفيف من حدة هذه المشـاكل والحفاظ على بيئة سـليمة، علما أن حماية البيئة يقتضـي تضـافر جهود أصـحاب القرار والفاعلين الاقتصـاديين، والاهتمام بالأفراد وذالك عن طريق التربية البيئية سـواء النظامية أو غير النظامية باعتبارها الوسـيلة الفعالة في تغيير سلوكهم تجاه البيئة.

**خاتمة عامة.**

استهدفت هذه الدراسة تحديد الطرق المعتمدة في تدبير مرفق النظافة، والآليات التشريعية والمؤسساتية واللوجستيكية التي يتم توظيفها في جمعها والتخلص منها. وقد مكنتنا هذه الدراسة استخلاص الاستنتاجات التالية:

_ غياب الإدارة الجيدة لمرفق النظافة من قبل المؤسسات المعنية بمدينة قلعة السراغنة، يعد من بين الأسباب المسهمة في تفاقم مشكلة النفايات الصلبة بالمدينة، وهو ما يؤكد صحة الفرضية الأولى.

_ يعتبر سوء توزيع الموارد البشرية، والاختيار غير الموفق لحاويات جمع النفايات بمدينة قلعة السراغنة ، إضافة إلى غياب الوعي البيئي لدى الساكنة، من العوامل التي أسهمت في تدني مستوى الخدمات التي تقدمها شركات التدبير المفوض، وفي تدهور الوضعية البيئية بالمدينة، وهو من المؤشرات الدالة على صحة الفرضية الثانية والثالثة.

أن التدبير الجيد للنفايات الصلبة أمر ضروري من أجل التقليل من الأخطار الناتجة عنها، ويمكن تحسين هذا التدبير عن طريق تدعيم تدخل السلطات المحلية، وذلك بتطوير آليات مراقبة عمل شركات التدبير المفوض، إلى جانب تفعيل النصوص التشريعية. من أجل الوصول إلى تدبير مستدام وناجع للنفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة.

## المراجع المعتمدة.

- **المراجع بالعربية.**

_حميد موفراجي، أطروحة دكتوراه" النفايات الصلبة وتأثيرها على المجال الحوزي للدار البيضاء،" نونبر 2018.ص 138-142.

_النفايات الصلبة والسائلة بمدينة قلعة السراغنة وتأثيرها على البيئة، إنجاز الطالب محمد البرهمي، إشراف د. الكاسمي بن علي، السنة 2011-2012.

_ قانون رقم 00-28 المتعلق بتدبير النفايات والتخلص منها.

_ محضر الدورة العادية الثانية لشهر ماي 2021 للمجلس الجماعي لمدينة قلعة السراغنة.

- الوكالة الحضرية بمدينة قلعة السراغنة.
- عقد لقاء مع أحد أعضاء جمعية ابن خلدون بمدينة قلعة السراغنة.
- تصريح لرئيس جمعية عواطف للتنمية وحماية البيئة.

- **المراجع بالفرنسية.**

- Etude du plan directeur provincial de gestion des déchets ménagers et assimilés de la province d'El kelaa des sraghna.

-cahier des charges de gestion déléguée du service public des déchets ménagers et assimiles . commune urbaine d' el kelaa des sraghna.

- Monocraphie del' kelaa des sraghna 2017.

# الزراعات المسقية باللكوس، ودورها في تحقيق الأمن الغذائي بالمغرب

التهامي التهامي (دكتور في علم المناخ ) أستاذ باحث بالتعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالرباط (المغرب)
رئيس فريق البحث والتجديد والتكوين في علوم المجال والمجتمع بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالرباط (المغرب)
كاتب عام للجمعية المغربية للمناخ بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء (المغرب)
عضو اللجنة الادارية للجمعية المغربية للجغرافيين المغاربة بجامعة محمد الخامس بالرباط (المغرب)
etthami.crmefr.ac@gmail.com

**الملخص :**

على الرغم من توفر المقومات الطبيعية، من أراض ومياه والموارد البشرية، فإن الفلاحة العربية لم تحقق بعد اكتفاءها الذاتي من الغذاء. فالتجأت هذه الدول إلى استيراد حوالي نصف احتياجاتها من السلع الغذائية الرئيسة، لذا ارتفعت نسبة المبادلات التجارية العربية مع اوربا مثلا إلى 75%، في الوقت التي لا تتعدي فيه التجارة العربية البينية 8.5%. حجم هذا الاستيراد يزيد من تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالضغط على ميزان أدائها التجاري. تزداد حدة هذا الضغط خلال الأزمات بما فيها الاقتصادية (الأزمة الاقتصادية 2008) والبيئية (توالي سنوا الجفاف) وأخيرا الصحية (جائحة كورونا أكبر نموذج). مما يهدد الأمن الغذائي لهذه البلدان ويفقدها سيادتها الغذائية.

هذا، وبفضل مقوماتها الفلاحية، راهنت بعض دول المغرب العربي، وخصوصا تلك التي لا تتوفر على ثروات نفطية، على القطاع الفلاحي في تحقيقها لأمنها الغذائي **(المغرب وتونس مثلا)**. بالفعل، تلعب الفلاحة في جل الدول المغاربية دورا رائدا، إذ تشغل من اليد العاملة مابين 20% بموريطانيا، و36% بالمغرب، وتتميز بالتنوع، من حبوب إلى خضراوات وبقليات إلى أعلاف تعمل هي الأخرى على تطوير قطاع مهم يساهم بدوره في استقرار ورفع دخل الفلاح، ألا وهو قطاع تربية الماشية حيث يتراوح حجم القطيع ما بين 9400000 رأس بليبيا و 2535160000 رأس بالمغرب. يرجع ذلك إلى مؤهلات عدة، وعلى رأسها توفر الأراضي الزراعية، إذ تتراوح مساحتها ما بين 20 و50% من المساحة العامة لهذه البلدان، بينما تقل هذه النسبة عن 5% في معظم دول المشرق العربي. تنحصر جل هذه الأراضي بشمال دول المغرب العربي، حيث يسود المناخ المتوسطي الملائم، والذي يوفر لجل هذه البدان موارد مائية هامة، خصوصا في المرتفعات، حيث تعتبر جبال الريف والأطلس المتوسط بالمغرب خزانا هائلا للماء بالمنطقة. مكنت هذه الموارد المائية، وبفضل مجهودات عدة من تطوير زراعات مسقية، ذلك أن عملية السقي فعالة جدا، إذ مكنت وإلى حدود منتصف الثمانينيات من القرن الماضي من توفير 50 مليون هكتار من الأراضي الزراعية على مستوى سطح الأرض. أما في المغرب مثلا، فاقت المساحة المسقية المليون هكتار، مهيكلة أساسا في تسع قطاعات سقوية، من بينها **قطاع اللكوس**.

الإشكالية المطروحة في هذا البحث إذن هي: إلى أي حد يمكن للزراعات المسقية باللكوس، أن تساهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائي بالمغرب، لمواجهة التحديات العالمية الكونية؟

**الكلمات المفتاحية:** الأمن الغذائي، السيادة الغذائية، التغيرات المناخية، الزراعات المسقية، اللكوس، المغرب.

**Abstract : Irrigated Cultures in Lokouss and Food Security in Morocco**

Despite the abundance of natural resources, including land, water, and human capital, Arab agriculture has not attained self-sufficiency in food production. Consequently, these nations rely on the importation of half of their primary food commodities, leading to a surge in Arab trade with Europe, reaching 75%. Conversely, intra-Arab trade remains modest at 8.5%. This reliance on imports exacerbates economic and social challenges, imposing strain on their trade balance. The intensity of this pressure is amplified during crises, encompassing economic downturns (e.g., the 2008 financial crisis), environmental perturbations

(e.g., recurrent droughts), and health emergencies (e.g., the COVID-19 pandemic). Consequently, the food security of these nations is jeopardized, compromising their food sovereignty.

Capitalizing on their agricultural potential, some Arab Maghreb countries, particularly those lacking oil resources, have placed their confidence in the agricultural sector to attain food security (e.g., Morocco and Tunisia). Agriculture assumes a pivotal role in most Maghreb countries, employing a substantial workforce ranging from 20% in Mauritania to 36% in Morocco. The agricultural sector exhibits diversity, spanning from staple crops to horticulture, legumes, and animal fodder. Furthermore, it fosters the development of an influential sub-sector, livestock breeding, which contributes to stability and income elevation for farmers. This phenomenon can be attributed to multiple factors, primarily the availability of arable land. Most of such land is concentrated in the northern regions of the Arab Maghreb, characterized by a favorable Mediterranean climate and ample water resources, particularly in high-altitude regions. The Rif and Atlas Mountains in Morocco, for instance, serve as expansive water reservoirs within the region. Leveraging these water resources, coupled with concerted efforts to advance drip irrigation systems, resulted in the provision of 50 million hectares of irrigated agricultural land by the mid-1980s. In Morocco alone, the cultivated area utilizing drip irrigation exceeded one million hectares, distributed across nine major irrigation sectors, including the "lakouss" sector.

Therefore, the fundamental research question addressed in this study is: To what extent can drip irrigation systems, specifically within the "lakouss" sector, contribute to achieving food self-sufficiency in Morocco to effectively confront global challenges?

**Keywords:** Food security, food sovereignty, climate change, drip irrigation systems, lokouss, Morocco.

**مقدمة**

تم تكريس الفلاحة المسقية بالمغرب كمكون أساس في الاقتصاد الوطني والجهوي باعتبارها رافعة لإنتاج الثروات وخلق فرص العمل. رغم استغلالها ل 15% من المساحات المزروعة فقط، فإن الفلاحة المسقية تساهم بحوالي 45% من معدل القيمة المضافة الفلاحية و75% من الصادرات الفلاحية. هذه المساهمة تتجلى بوضوح في فترات الجفاف حيث يتأثر الإنتاج بالمناطق البورية بشكل مباشر وعميق كما وقع خلال الموسم الفلاحي 1994-1995، الذي عرف بجفافه، حيث فاقت مساهمة الزراعة المسقية 70% من القيمة المضافة.

يرجع ذلك إلى مؤهلات عدة، وعلى رأسها توفر الأراضي الزراعية. ثم المناخ المتوسطي الملائم، والذي يوفر للبلاد موارد مائية هامة، خصوصا في المرتفعات، حيث تعتبر جبال الريف والأطلس المتوسط بالمغرب خزانا هائلا للماء. مكنت هذه الموارد المائية، وبفضل مجهودات هذه الدول من تطوير زراعات مسقية ذلك أن عملية السقي فعالة جدا، إذ فاقت بالمغرب مثلا المليون هكتار، مهيكلة أساسا في تسع قطاعات سقوية، من بينها **قطاع اللكوس**،

والآن كيف تتجلى الوضعية على المستوى الجهوي، والمثال من شمال المغرب **(الدائرة المسقية للكوس)**. أي ما مدى مساهمة هذه المنطقة في الأمن الغذائي للبلاد؟

**1. تقييم ثروات الفلاحة المسقية باللكوس الأسفل**

منطقة **اللكوس الأسفل** بالمغرب الأقصى. أو المنطقة التي اتخذت، بعد تهيئتها، اسم **الدائرة المسقية للكوس**. توجد شمال غرب البلاد بين طنجة والعاصمة (الرباط). تمتد من الشمال إلى الجنوب على جزء من منطقة طنجة، وعلى كل من منطقة الهبط، وعلى شمال سهل الغرب. كما تمتد من المحيط الأطلنتي غربا إلى مقدمة جبال الريف الغربي شرقا. المساحة الإجمالية للمنطقة 2562 كلم2 أي ما يعادل 256200 هكتار (خريطة رقم 1).

خريطة رقم 1: الارتفاعات باللكوس الأسفل

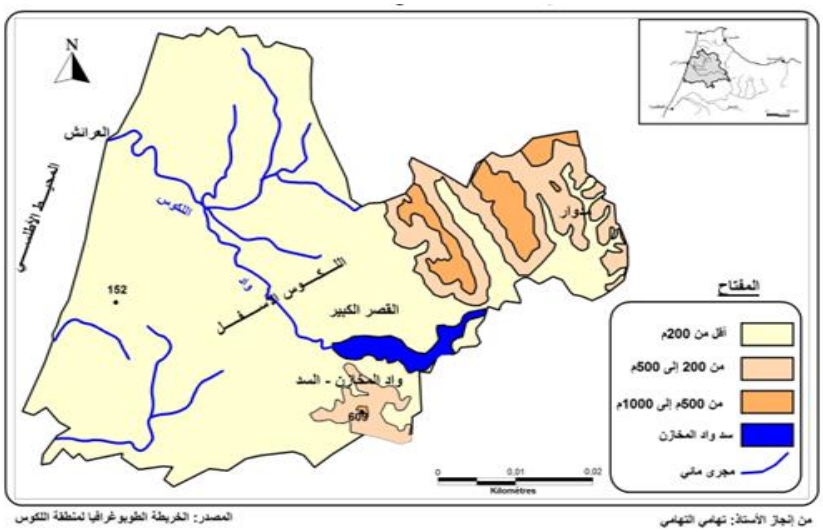


المصدر: الخريطة الطوبوغرافية لمنطقة اللكوس
من إنجاز الأستاذ: تهامي التهامي

يقطن المنطقة حوالي 535174 نسمة[15]. مما يجعل الكثافة السكانية مرتفعة . أكثر من 200. نسمة/م2 . عن المعدل الوطني 35/ كلم2. أغلب هؤلاء السكان قرويون 294577 نسمة، مقابل السكان الحضريون 240597 نسمة. كل هذا يفسر الضغط على الأراضي الفلاحية بحيث ترتفع الكثافة الزراعية كذلك إلى 200 نسمة/ الهكتار. كما يفسر الطلب الكبير والمتعدد على الماء والمنافسة عليه.

**1.1 .يتوفر حوض اللكوس الأسفل على مصادر تر ابية ومناخية إيجابية للفلاحة المسقية**

أ . **التضاريس:** تتميز تضاريس اللكوس الأسفل بالانخفاض، وبضعف الانحدار (الخريطة رقم 1)، تمتد الدائرة المسقية للكوس على منطقة منخفضة، ارتفاعها المتوسط لا يتعدى 200م. إذ تتراوح ارتفاعاته من الغرب إلى الشرق ما بين أقل من 0 م و400 م. نفس الشيء بالنسبة للانحدارات، والتي تتدرج هي الأخرى من الغرب إلى الشرق ما بين 5 و30 %. تبعا لذلك تتوزع العناصر الطبوغرافيا من السهول بالغرب، إلى الجبال بالشرق، مرورا بالهضاب والتلال.

ب . **التربة:** تتميز تربة اللكوس الأسفل بالتنوع وبأهمية خصوبتها. يعود التنوع إلى تعدد وتداخل عوامل تكونها وتطورها وتحولها، لذا فهي الأخرى تختلف من الغرب (السهول) إلى الشرق (الجبال). فهي إذن تربة غير متجانسة، وأن التربة الخصبة منها هي تربة السهول. تليها تربة الهضاب، ثم تربة التلال. بينما تربة الجبال هي تربة فقيرة، حيث تتطور فيها الغابة، وتعرف لدى السكان بالتربة الغابوية (غابة). توفر التربة للمنطقة إذن، إمكانات فلاحية عالية متنوعة وجيدة[16]. لكن مع ذلك تعاني هذه التربة من بعض المشاكل قد تحد من خصوبتها، مثل ارتفاع الملوحة ببعض الأماكن بالسهول، وذلك بفعل ضعف الانحدار والنفاذية، وعدم القدرة على تصريف المياه[17].

ج . **المناخ:** ينتمي مناخ اللوكس الأسفل إلى المناخ المتوسطي، لكن مع نزعة محيطية، يتعاقب فيه فصلين بارزين الصيف والشتاء، لا من حيث الحرارة ولا من حيث الأمطار.

. **الحرارة:** عامل مهم للأمطار ومؤثر في باقي العناصر المناخية الأخرى. تتميز الحرارة باللكوس الأسفل، سواء منها العليا أوالدنيا بعدم الانتظام سواء في الزمان أو المكان. بموازاة ذلك يتوزع المدى الحراري. إذ ترتفع المتوسطة منها، من الساحل نحو الداخل (17° بمحطة العرائش 21° بمحطة واد المخازن-السد) ومن الشمال نحو الجنوب (18° بمحطة ثلاث الريصانة شمال المنطقة 19° بمحطة عرباوة جنوبها) وبالعكس تنخفض مع الارتفاع (21° بمحطة واد المخازن-السد وسط الحوض 17° بالمحطة الجبلية تا نقوب شرق الحوض). أ ما فيما يخص الحرارة العليا القصوى، قد ترتفع إلى 37° حتى في المنطقة الساحلية بالعرائش. وبالمقابل قد تنزل الحرارة الدنيا القصوى إلى الصفر[18].

---

[15] - الإحصاء العام للسكن والسكنى 2004.

[16] - C I D et all ,1994 (p 24).

[17] -ELECTOWATT ,1971, (p 2)

[18].عن المديرية العامة للأرصاد الجوية بالدار البيضاء بالمغرب (2022).

.**التساقطات:** المتوسط السنوي للأمطار بالمنطقة هو 700 ملم، لكنه يتغير في الزمان والمكان. فعلى المستوى المجالي، تزداد الكمية المتساقطة من الغرب (محطة العرائش 598) في اتجاه الشمال (محطة دار الخرفة 728 ملم)، وفي اتجاه الشرق (محطة مدوار 783 ملم)، كما تزداد قوة مع الارتفاع في المحطات الجبلية باللكوس الأعلى شرقا (محطتي قنطرة أووقحان وباب تازة بالتتابع 756,5 وأكثر من1024ملم). أما على مستوى الزمان، فالتذبذب واضح وبكل المحطات. ذلك نسبة تطور التساقطات السنوية، قد تتراوح حسب المحطات ما بين 30 و70%. لكن مع ذلك هناك نزعة واضحة نحو التراجع، مع تردد السنوات المتطرفة، وبالأخص الجافة منها. الشيء الذي يبرر تبني سياسة السقي بالمنطقة (المبيان1)

مبيان رقم 1: التطور الزماني للأمطار السنوية باللكوس (محطة عرباوة) فيبابين (1916 و2022)

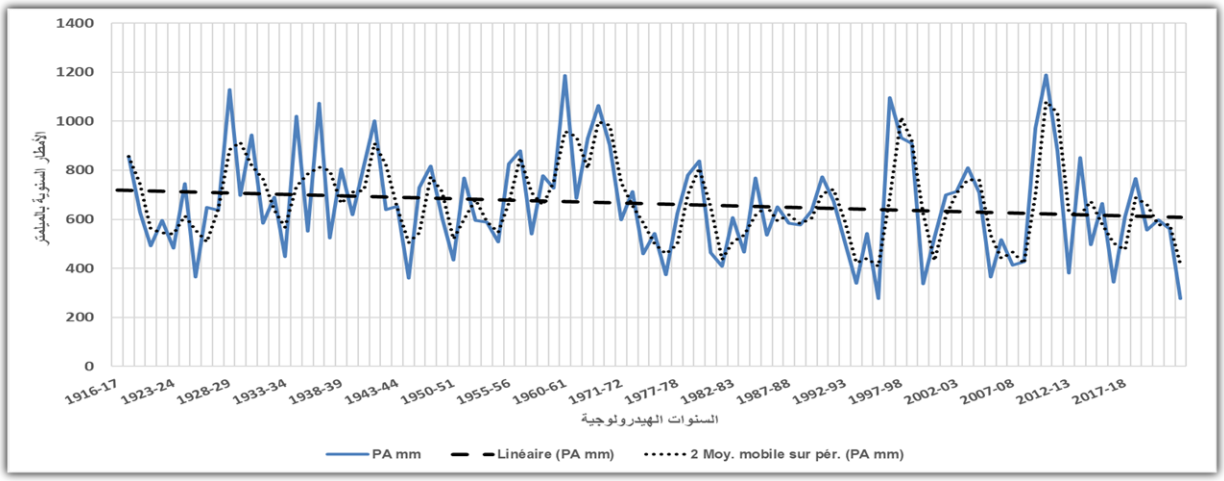


- المصدر: إحصائيات المديرية العامة للأرصاد الجوية بالدار البيضاء بالمغرب (2022).

### 2.1. يتوفر حوض اللكوس الأسفل على ثروات مائية مهمة للفلاحة المسقية

بفضل ايجابيات مناخ المنطقة، وغزارة أمطار الحوض المائي للكوس ككل، فالحوض الأسفل منه غني بثرواته المائية، سواء منها السطحية أو الباطنية.

أ. **المياه السطحية:** تضم المنطقة شبكة مائية كثيفة جدا، يمثل فيها نهر اللكوس، حيث أخذ اسم المنطقة المجرى الرئيسي. تتميز هذه الشبكة الهيدروغرافية بنظام جريان متوسطي، أي بالموسمية. تتجلى هذه الأخيرة في الفيضانات القوية والسيول الجارفة في فصل الشتاء، وبالعكس في الجريان الضعيف أو المنعدم في الصيف.

. **الأحواض النهرية:** تنتظم الشبكة الهيدروغرافية باللكوس في 4 أحواض أساسية. منها حوض اللكوس الذي يعتبر أهم حوض هيدروغرافي بالمنطقة. تغطي مساحة هذا الحوض 2620 كلم2 [19]. يمتد نهر اللكوس الذي يهيمن على المصادر المائية للمنطقة على مسافة 180 كلم، من الشرق (1900م) إلى الغرب (أقل من 0م)، أي من جبال الريف إلى المحيط الأطلنتي[20]. أما حوض واد المخازن يحتل المرتبة الثانية داخل المنطقة. واد المخازن، هو الرافد الأساس لنهر اللكوس. يغطي حوضه

[19] - EL GHARBAOUI. A, 1981 (p50 ).

[20]. نفس المرجع، نفس الصفحة.

حوالي 880 كلم2[21]. توجد منابعه عند ارتفاع 380م بكتلة جبلية توجد شمال شرق المنطقة المدروسة[22]. لذلك فهو عبارة عن حوض مرتفع ذو ميل قوي في عاليته، وبالعكس منخفض ذو ميل ضعيف عند سافلته، مما يفسر مساهمته الفعالة، إلى جانب روافده المتعددة، في الفيضانات التي تضرب المنطقة. هذا بالإضافة إلى حوضين ثانويين: حوض الدرادر- السواير، يغطي الجزء الجنوبي الغربي من المنطقة المدروسة وحوض المدا في أقصى جنوبها[23] (الخريطة رقم 2).

.**نظام الجريان باللكوس الأسفل نظاما متوسطيا:** تتميز المجاري المائية بالمنطقة كما هو الشأن بالمجال الريفي، و بالمناخ المتوسطي ككل، بنظامها السيلي و بصبيبه القوي، و الذي يتماشى مع النظام المطري المتوسطي. وهكذا يرتفع الصبيب في الفصل المطير وينخفض بل قد تجف بعض المجاري في الفصل الجاف. هذه الخصائص تساهم فيها إلى جانب التساقطات، طبيعة صخور المنطقة، والتي تهيمن عليها الصخور الصلصالية والطفلية والشستية. هذا بالإضافة إلى حداثة بنية المنطقة خصوصا في الجزء الشرقي منها، حيث قوة الانحدار تزيد من حدة وقوة وعنف الجريان.

وهكذا، يتميز الصبيب بالمنطقة، بعدم الانتظام في الزمان والمكان. يتجلى عدم الانتظام الزماني هذا داخل السنة و من سنة لأخرى. فخلال سنة (1970-1971) مثلا، كان الصبيب المتوسط عند قنطرة اللكوس حوالي 7.30 م$^3$/ث. إلا أن هذا الرقم لم يعبر عن التوزيع الحقيقي للصبيب لهذه السنة، إذ ارتفع هذا الرقم إلى 30.6 م$^3$/ث خلال شهر أبريل، بل إلى أكثر من 475 م$^3$/ث كصبيب أعلى مطلق وذلك يوم 21 يناير على الساعة 17، وبالمقابل نزل هذا الصبيب إلى 0.48 م$^3$/ث في شهر غشت[24]. كما أن هذا الجريان يتغير من سنة لأخرى، الشيء الذي تؤكده الأمثلة التالية: كان الصبيب المتوسط بمحطة المريسة سنة (1970-1971) 41.4 م$^3$/ث، بينما في السنة الموالية (1971-1972) لم تتعدى قيمته 8.7 م$^3$/ث، والسبب في ذلك هو أن السنة الأولى كانت أكثر رطوبة من السنة الثانية[25]. يتراوح الصبيب عند مصب نهر الدرادر بين 300 ل/ث في السنوات الجافة و500 ل/ث في السنوات العادية[26]. أما الاختلافات المجالية للصبيب، يمكن فهمها من خلال مقارنته بكل من محطتي قنطرة اللكوس في العالية (عند ارتفاع 140 م) و المريسة في السافلة (عند ارتفاع 2.5 م)، وذلك خلال سنة (1970-1971)[27] (جدول رقم 1).

خريطة رقم 2: الأحواض النهرية باللكوس

[21] EL GHARBAOUI. A (1981) : p27.
[22] - DERRO (1973) : p18 p23.
[23] - DERRO (1973) : p 18-23.
[24]- EL GHARBAOUI. A (1981) p53.
[25]- المرجع السابق. نفس الصفحة .
[26] CID et al (1994) : p 19.
[27] -EL GHARBAOUI. A (1981) : p 52-53.

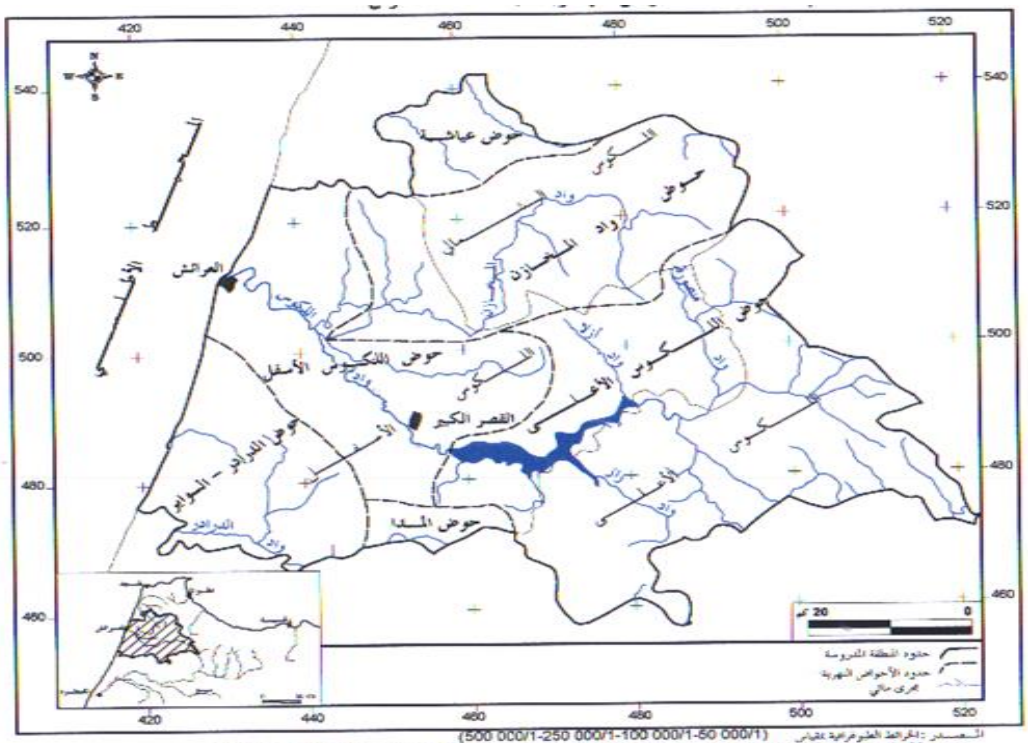


جدول رقم 1: التوزيع المجالي للصبيب بحوض اللكوس الأسفل

| المحطة | الصبيب المتوسط | الصبيب الأعلى المطلق |
|---|---|---|
| قنطرة اللكوس | 7.30 م³/ث | 475 م³/ث (71/01/21) الساعة 17 |
| المريسة | 41.40 م³/ث | 1070 م³/ث (71/04/03) الساعة 11 |

ويفسر هذا الاختلاف بكون المجرى الأسفل للكوس يتلقى المياه الكثيرة من روافده المتعددة. كل هذا دفع إلى تعبئة هذه المياه واستغلالها في السقي.

**ب. المياه الباطنية:** و تتلخص هذه الثروات في:

. **فرشة هضبة الرمل – العرائش:** توجد جنوب مدينة العرائش، مساحتها 240 كلم²، تعتبر خزانا مائيا باطنيا مهما بالمنطقة، بالإضافة إلى جودة هذه المياه. تقدر الاحتياطيات المائية لهذه الفرشة بحوالي 122 م م³، مما يؤكد هذه الوفرة هو ارتفاع مستوى المياه بهذه الفرشة وبالأخص في جزئها الجنوبي، الشيء الذي يطرح مشكل غمر الأراضي الفلاحية خلال الفترة المطيرة من السنة. هذا وتساهم هذه الفرشة المائية مساهمة فعالة في تغذية المنطقة بحاجياتها المائية و في مجالات مختلفة، كما تضيع منها كميات مهمة إما عن طريق الجريان السطحي (332 ل/ث)، أو عن طريق الجريان الباطني في اتجاه المحيط.

**ب. فرشة الدرادر-السوايرر:** توجد جنوب الفرشة السالفة الذكر، بل هي امتداد لها. تمتد هذه الفرشة على 500 كلم$^2$. تتغذى هذه الفرشة أساسا بمياه الأمطار حيث تقدر حمولتها المتوسطة السنوية بحوالي 55 م م$^3$.[28]

**ج. فرشة واد المخازن-عياشة:** أثبت الدراسات أن الثروات المائية الباطنية بهذه المنطقة تفوق حاجياتها، إلا أن جودة هذه المياه ضعيفة[29].

كما تتوفر المنطقة على فرشات باطنية مائية أخرى، لكنها تعاني من مشاكل: فرشة سهل ولاد بوعقبة بمنطقة عرباوة، لكن احتياطها ضعيف، وفرشة الضفة اليمنى للمجرى الأسفل لنهر اللكوس، لكن مياهها مالحة هي الأخرى[30].

هذا ومن خلال ما سبق، فإن المنطقة المدروسة تتوفر على ثروات مائية سطحية وباطنية مهمة وجيدة. إلا أن هذه الثروات تتوزع بشكل غير منتظم في المجال. كما أن العناصر الطبيعية بالمنطقة، لا تتدخل بشكل ايجابي فقط، بل تتدخل بشكل سلبي أكثر، وذلك عن طريق التعرية والفيضانات واللتان تتمان بشكل متزامن بفعل قوة الجريان. فكيف تم تدبير هذه التناقضات لصالح المنطقة ولفلاحتها المسقية؟

**2. تدبير المياه باللكوس الأسفل و انعكاساته المجالية**

تم تجهيز هذه المنطقة بتجهيزات حديثة ومهمة للسقي. نمت على إثرها قطاعات مسقية شاسعة، وصناعات فلاحية غذائية واعدة. وقد مرت هذه التجهيزات بمرحلتين أساسيتين، الأولى قبل السبعينيات والثانية بعدها:

**1.2. مرحلة ما قبل السبعينيات**

لقد تنبه الاستعمار الإسباني إلى أهمية اللكوس الأسفل. ذلك أن المنطقة تتوفر على مياه وفيرة، مشكلة بذلك منطقة برمائية واسعة. إلا أن هذه الوفرة من الماء كانت لها انعكاسات سلبية. تتمثل هذه السلبيات أساسا في انتشار الأمراض، كحمى المستنقعات، وفي تقليص المجالات الفلاحية. الشيء الذي كان يتحكم في استقرار الإنسان. وهكذا بدأت الارهاصات الأولى لتجهيز المنطقة في عهد الحماية. إذ قامت "**الشركة الإسبانية الفلاحية لوكوس**" سنة 1930، ببناء الحواجز على الضفة اليسرى لنهر اللكوس، وبتجفيف مياه المستنقعات عن طريق انشاء تجهيزات لصرف المياه. فأنجزت قطاعا مسقيا يمتد على مساحة 3500 هكتار[31]. من هنا بدأت الهيمنة الاستعمارية القوية على المنطقة. والتي اعتبرها المستعمر كباقي سهول البلاد، أراضي خصبة. فاستقر بها وجهزها تجهيزا متطورا.

إلا أن أهم الانجازات في ميدان الحماية من الفيضانات وتطوير السقي العصري، هي التي عرفتها المنطقة بعد استقلال البلاد. مع بداية هذه الفترة، انطلقت مجموعة من الدراسات في إطار مشروع سبو، والذي كان ممولا من طرف

---

[28] -CID et al (1994): p 19.
[29] Projet DERRO TETOUAN (1973), p 13.
[30] - ELECTRO-WATT ; 1971 (p 29).
[31]. وثائق المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس (1987).

كل من "برنامج الأمم المتحدة للتنمية" و "المنظمة العالمية للتنمية والزراعة" والدولة المغربية. وهكذا، وفي سنة 1960، تم الشروع في انجاز دراسات شاملة للصرف السطحي، والسقي والاستثمار الفلاحي بحوض الأسفل للكوس على مساحة 1600 هكتار. تكلفت بهذه الدراسة إدارة الهندسة القروية بتطوان[32]. ومنذ تأسيس المكتب الوطني للري، تغيرت النظرة إلى الموضوع حيث انطلقت سلسلة من الدراسات على صعيد أحواض الصرف، أنجز آخرها سنة 1971، من طرف شركة إلكترووواط، وبتمويل من وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي آنذاك. عملت هذه الدراسة على تقييم كل الإمكانات من أجل استصلاح واستثمار هذه الأراضي.

إلا أن هذه الدراسة، كشفت عن مشكل أساسي ناذر ببلادنا. يتمثل هذا المشكل، في وفرة المياه بالحوض المعني، مقابل قلة الموارد الأرضية. لهذا كان من اللازم البحث عن أراضي يمكن سقيها بضخ المياه ولو على علو يتعدى 100 م. لذلك تم تمديد المشروع على مجموعة من القطاعات خارج حوض اللكوس في اتجاه الجنوب، أي على شمال سهل الغرب. كما ترتب عنه إدماج استصلاح القطاعات المسقية ومناطق البور في مشروع شامل[33]. فكيف تمت إدارة هذه الموارد في ضل هذه الاشكاليات[34] ؟.

**2.2. مرحلة بداية السبعينيات إلى لآن**

تتمثل في مشروع اللكوس، والذي تتلخص أهدافه ومبادئه في:

**أ. أهداف مشروع اللكوس:**

. المساهمة في تحقيق الاكتفاء الذاتي عل المستوى الوطني (انتاج: السكر، الزيوت، الحليب، وبالأخص الحبوب).

. المساهمة في تحسين الميزان التجاري للبلاد بتصدير المنتوجات الفلاحية وبالأخص الخضراوات.

. تحسين دخل السكان القرويين وتوفر فرص الشغل، والمساهمة في الحد من الهجرة القروية.

. المساهمة عن طريق الجماعات المحلية، في تحسين ظروف عيش الفلاحين، بإنجاز تجهيزات اجتماعية (الماء الشروب، الانارة، الطرق.....).

**ب. توجهات مشروع اللكوس:**

[32]. وثائق المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس (1987).

[33] - MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DE LA REFORME AGRAIRE 1971; p 1.

[34] . المنطقة المدروسة **(الدائرة المسقية للكوس)** إذن، تأخذ مفهوما واسعا، لكونها تغطي منطقة جغرافية مندمجة، وليس فقط حوضا للصرف.

• **على المستوى المجالي:** تهيئة ثلاث مناطق فلاحية كبرى، وهي كالتالي[35]:

. **المنطقة الأولى:** تتكون من قطاعات مسقية، تمتد على 40500 هكتار. تنقسم إلى : . الرمل 15000 هكتار . سهول اللكوس وهضاب القصر الكبير 14000 هكتار . اللكوس الجنوبي (المرجة و الدرادر) 11500 هكتار.

. **المنطقة الثانية:** تشكلها منطقة البور القابلة للاستصلاح مساحتها 45000 هكتار، تخصص للإنتاج الشمندر السكري والحبوب والكلأ.

. **المنطقة الثالثة:** استهدفها هي الأخرى الاستصلاح. تتكون من أراضي صالحة لزراعة الحبوب، بالإضافة إلى الغابات والمراعي.

• **على المستوى التنوع**[36] : وجهت اختيارات التنمية القروية الهادفة إلى استصلاح المنطقة، مشروع اللكوس إلى المنتوجات التالية:

. **الانتاج النباتي:** تمثلت هذه المنتوجات في المزروعات السكرية، حيث المساحة المخصصة لها هي 9500 هكتار لزراعة قصب السكر، 8000 هكتار للشمندر السكري. قدر انتاجها بحوالي 100 ألف طن من السكر المصفى سنويا. هذه الكمية يمكن أن تساهم مساهمة فعالة في تلبية حاجيات البلاد من مادة السكر (ثاني منطقة سكرية بالمغرب بعد منطقة الغرب).

المزروعات الزيتية، إذ تتلائم ظروف المنطقة مع زراعة كل من الفول السوداني، ونوارة الشمس، والسلجم، والسوجا، وأشجار الزيتون. لذا خصص لهذه الزراعات ما يفوق عن 20 ألف هكتار. الشيء الذي يمكن من انتاج 17 ألف طن من الزيوت سنويا.

الخضروات، والتي خصص لها حوالي 10 ألف هكتار. جزء مهم منها يوجه للتصدير. اذ اعتبرت الخضر ثاني سلسلة زراعية بالمنطقة من حيث الأهمية.

الحبوب، حظيت هي الأخرى، وبالأخص القمح الطري، بأهمية كبرى داخل مشروع اللكوس 30% من المساحة القابلة للتناوب.

وأخيرا، المزروعات الأخرى، كالقطاني، الأشجار المثمرة، الشاي. تم الاحتفاظ بهذه المزروعات ضمن مشروع اللكوس. هذا إلى جانب الاهتمام بزراعة الكلأ، من أجل الرفع من قيمة الانتاج الحيواني لتعويض الخصاص الحاصل في المراعي.

---

[35]. وثائق المكتب الجهوي للإستثمار الفلاحي باللكوس (1987).

[36]. وثائق المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس (1987).

.**الانتاج الحيواني:** أساسا إنتاج الحليب واللحوم. ففيما يخص انتاج الحليب، هدف مشروع اللكوس إلى انتاج 140 مليون لتر من الحليب سنويا، يوجه منها حوالي 52 مليون لتر للتجميع والتصنيع. أما على مستوى انتاج اللحوم، هدف مشروع اللكوس إلى انتاج 9600 طن من اللحوم عند نهاية التجهيز. 8500 طن من لحم البقر، و1100 طن من لحم الأغنام والماعز. هذا بالإضافة إلى الاهتمام بإنتاج اللحوم البيضاء.

أما تنفيذ هذه العمليات تكلف بها في البداية، المكتب الجهوي للإصلاح الفلاحي باللكوس، ثم من بعده المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس. فكيف تم ذلك؟

**2.3. المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس**

مؤسسة عمومية، تحت وصاية وزارة الفلاحة والتنمية القروية والصيد البحري. يتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي. أحدث بموجب ظهير شريف بمثابة قانون رقم 1. 74. 238 بتاريخ 11 ربيع الثاني 1395 (الموافق 23 أبريل 1975)، الذي حدد دائرة نفوذه وهيكلته وأهدافه، ووسائل عمله. كما عين جميع اختصاصاته، في ميادين التجهيز وإدارة المياه، والاستثمار الفلاحي، وتربية المواشي[37]، الخ..... كما عرف التنظيم الاداري للمكتب عدة تطورات تماشيا مع التقدم في الإنجاز وتطور الاستراتيجيات الفلاحية بالبلاد. تتكون البنية الادارية للمكتب حسب القرار الوزاري الصدر في 5 فبراير 1993 من وحدات إدارية مركزية، وأخرى خارجية.

**أ. تصب كل الأهداف، في أن يصبح المكتب أداة للتنمية المستدامة**

. تسطير محاور استراتيجية للتدخل: وتتلخص في: تطوير خدمات ماء السقي وتوسيع التقنيات المقتصدة للماء والطاقة، تهيئة البور الملائم وإنعاش المناطق الجبلية، دعم التنمية الفلاحية بتأطير ودعم التنظيمات المهنية للقطاع. وإعداد المشاريع المستقبلية.

. اعتماد الحكامة والشفافية: بتوثيق وتدعيم وتنمية العلاقات التعاقدية مع مختلف الشركاء والمتدخلين في القطاع بما في ذلك التنظيمات المهنية ووحدات الصناعة الفلاحية-الغذائية، الغرف المهنية .... وكذا متابعة تنمية الخبرة وتطوير أدوات التدبير والتسيير، من محاسبة، افتحاص، مراقبة، اعلاميات، وبالأخص تدبير الموارد البشرية.

**ب. من خلال قراءة نصوص التأسيس، تتجلى اختصاصات وصلاحيات المكتب كالتالي:**

. السهر على إتمام عمليات تجهيز شبكات الري والصرف وأشغال ضم الأراضي. وبشكل عام كل أشغال التهيئة والاعداد، والتي تهدف إلى تطوير إنتاجية الأراضي الفلاحية.

[37] - وثائق المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس (دجنبر 2007).

.تأمين استغلال المنشآت العمومية للسقي والصرف.

.إنجاز العمليات العقارية المرتبطة بممتلكات الدولة والجماعات المحلية، واستثمار وتثمين هذ الممتلكات.

الحرص على حسن تطبيق القوانين المرتبطة بالسياسة العمومية للقطاع.

ج .**لتحقيق أهدافه، رصدت للمكتب موارد بشرية ومالية مهمة:** يتكون موظفو المكتب من مستخدمين، يتم توظيفهم مباشرة من طرف المؤسسة بواسطة المباريات، إضافة إلى الموظفين الملحقين. حسب توسيع وتطور مهام المكتب، ارتفع عدد موظفيه، ليصل أقصاه مع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات. ثم بدأ في التراجع بفعل عدة عوامل، وعلى رأسها السياسة المالية للبلاد. كما عرف تحولا على مستوى بنيته السوسيومهنية. هذ التطورات حصلت كذلك في الجانب المالي، وبالأخص في ميزانية التجهيز، والتي تراجعت بعد إنجاز التجهيزات الكبرى لمشروع اللكوس.

**3. التجهيزات الهيد وفلاحية بالدائرة المسقية للكوس**

**1.3. المنشآت الكبرى للسقي بالدائرة المسقية للكوس:**

في إطار السياسة الوطنية للإعداد الهيدروفلاحي، واعتمادا على المؤهلات الطبيعية لمنطقة اللكوس. انطلقت عملية تجهيز الدائرة المسقية للكوس منذ سنة 1973، حيث انشئت المنشأة المائية الكبرى، والتي تتمثل في سد واد المخازن، ثم من بعده سد الصيانة، بالإضافة إلى سد دار الخرفة بشمال الحوض والذي تم تدشينه مؤخرا:

أ . **سد واد المخازن:** المنشأة المائية الأساسية بالمنطقة، حيث يعتبر النواة الأولى للإعداد الهيدروفلاحي بالدائرة المسقية للكوس. هذا السد من التراب المتراص، يمتد حوض صرفه على مساحة 1820 كلم2. سعة بحيرته 724 مليون م3. بالإضافة إلى سقي الأراضي الفلاحية أحدث هذا السد من أجل حماية الأراضي المنبسطة من الفيضانات، وإنتاج الطاقة الكهربائية وتوفير الماء الصالح للشرب. انطلقت عملية استغلال مياهه في شهر ماي 1979.

وإذا كان سد واد المخازن، لم يمنع الماء تماما عن سهل اللكوس بفعل انخفاضه، فإنه مع ذلك يساعد في حمايته من الفيضانات والكوارث التي كانت تضربه موسميا في الماضي. كما أنه مكن وعلى وجه الخصوص من خلق وتنمية قطاعات مسقية واسعة، انتشرت عليها زراعات صناعية، تعتبر من أكثر الزراعات إنتاجية ومردودية في البلد.[38]

ب .**سد الصيانة:** أنشئ سنة 1983، عند سافلة كل من نهر اللكوس والدائرة المسقية. الشيء الذي يفسر الهدف من بنائه، والمتمثل في حماية المجرى الأسفل من النهر، من تسرب المياه المالحة الصاعدة من المحيط. وكذا في تكوين بحيرة مائية والتي تقدر سعتها حاليا بحوالي 4.7 مليون م3. تمكن من تزويد محطات الضخ الموجودة بقربها بمياه السقي.

[38] - جون فرانسوا تروان وآخرون 2006: ص 107.

### 2.3. البنية التحتية التي أحدثها المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس

تتجلى هذه التجهيزات في مجموعة من الخزانات ومحطات للضخ، قنوات للسقي والصرف، وكذا من شبكة للطرق لتثمين هذه التجهيزات وفك العزلة عن المنطقة (الجدول رقم 2):

جدول رقم 2: البنية التحتية للسقي بالدائرة المسقية للكوس

| النوع | القيمة |
|---|---|
| السدود | 3 وحدات |
| محطات الضخ | 21 وحدة |
| خزانات مرتفعة | 14 وحدة |
| خزانات التسوية | 5 وحدات |
| مآخذ المياه | 4000 وحدة |
| قنوات السقي | 862 كلم |
| قنوات الصرف | 3253 كلم |
| حواجز | 107 كلم |
| شبكة الطرق | 856 كلم |

وثائق المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس 2007، جدول تركيبي

أما فيما يخص تقنيات السقي فهي تتوزع كالتالي **(الجدول رقم 3):**

جدول رقم 3: أنواع السقي بالدائرة المسقية للكوس بالهكتار

| النوع | السقي الكبير | السقي الصغيروالمتوسط | المجموع |
|---|---|---|---|
| **الرش** | 21380 | 0 | 21380 |
| **الانجذاب** | 5200 | 4200 | 9400 |
| **التنقيط** | 3320 | 8300 | 11620 |
| **المجموع** | 29900 | 12500 | 42400 |

وثائق المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس 2007، جدول تركيبي

حيث نلاحظ الأهمية الكبرى لتقنية الرش، والتي عرفتها المنطقة منذ بداية تجهيزها. فيما تقنية الانجذاب ظلت محدودة، واهتم بها الخواص والتعاونيات أكثر. أما تقنية التنقيط دخلت المنطقة حديثا، لكنها توسعت بسرعة، خصوصا لدى الخواص والتعاونيات، بفعل تدعيمها من طرف الدولة، خصوصا مع مخطط المغرب الأخضر. حيث وضع هذا الأخير

مجموعة من البرامج للاستثمار في مجال الري، من بينها البرنامج الوطني للمياه يمتد على 10 سنوات، بغلاف مالي يضم 50 مليار درهم[39].

### 3.3. التوزيع المجالي للقطاعات السقوية باللكوس الأسفل

تتكون الدائرة المسقية حاليا، من ست قطاعات سقوية، وهي كالتالي (الخريطة رقم 3):

خريطة رقم 3: استصلاح الأراضي بالدائرة المسقية للكوس

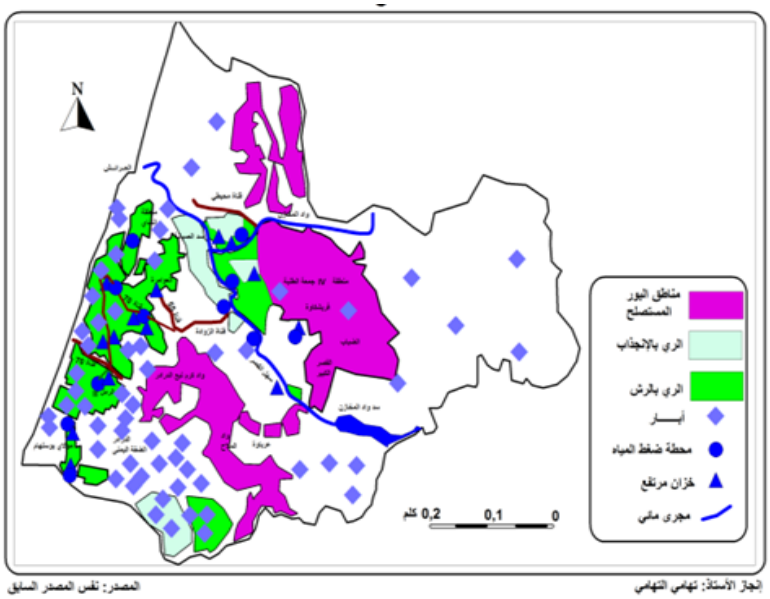


المصدر: نفس المصدر السابق
إنجاز الأستاذ: تهامي التهامي

**أ. قطاع الدرادر:** أنجز هذا القطاع السقوي سنة 1978 على مساحة 1614 هكتار. تتنوع مصادر مياه سقيه، فبالإضافة إلى سد وادي المخازن وواد الدرادر، هناك شبكة من الآبار الخاصة التي تتغذى من الفرشة المائية للمنطقة. اعتمد في البداية في سقيه على تقنيات الرش.

**ب. قطاع الرمل: أنجز** سنة 1980 على مساحة 14065 هكتار. يسقى فقط من مياه سد واد المخازن بتقنيات للسقي معقدة جدا[40]

**ج. قطاع سهل القصر الكبير والتلال المنخفضة:** تمت تهيئة هذا القطاع والذي يمتد على 3700 هكتار سنة 1990. مصدر سقي هذا القطاع مياه سد واد المخازن. هذه المياه توجه من حاجز السد إلى المناطق المسقية، عن طريق محطة للضخ وأخرى للضغط. هذه الآليات تزود سهل القصر الكبير بما قدره 35000 م3 سنويا، كما تزود التلال المنخفضة بحوالي 46000 م3 سنويا.

---

[39] – الموقع الالكتروني للمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس (2023).

[40] - وثائق المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس 1987.

ISSN 2569-734X

**د. قطاع سهل الضفة اليمنى:** يتم سقي هذا السهل من مياه سد واد المخازن. بعد إطلاقه المياه من حاجز السد، تجري عند مستوى سرير نهر اللكوس لتصب في سرير واد المخازن، وذلك بمساعدة محطتين للضغط. ثم توجه هذه المياه عبر محطات الضخ، مباشرة إلى شبكة السقي. كما توجد بهذا القطاع أربع محطات مرتفعة تقوم بتسوية المياه. تمت تهيئة هذا القطاع عبر مرحلتين: الأولى سنة سنه 1997 تمت فيه تهيئة 5520 هكتار بالسقي بالرش. أما الثانية 1794 هكتار أنجزت سنة 2000 بتقنية الانجداب. المساحة الإجمالية لهذا القطاع 7014 هكتار.

**هـ. قطاع المرجة:** تمت تهيئته سنة 1980، على مساحة 3500 هكتار. يتغذى هذا القطاع بمياه سبو. وذلك بفضل مجموعة من محطات الضخ التابعة للمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بالغرب، حيث وقع المكتبين معا اتفاقية تهم استعمال هذه المياه.

تغطي هذه القطاعات إذن، حوالي 29900 هكتار كلها من السقي الكبير، أنجزت فيما بين 1978 و2000. وإذا أضفنا إليها 1200 هكتار من السقي الصغير والمتوسط، تصبح مساحة الأراضي الفلاحية المسقية بالدائرة المسقية باللكوس هي 42400 هكتار. يساهم فيها الخواص إلى جانب الدولة. تمثل هذه المساحة حوالي 29% من المساحة الصالحة للزراعة، و18.5% من المساحة العامة للمنطقة. أما حاليا، المساحة الإجمالية للسقي بالمنطقة هي 59000 هكتار، وذلك بفضل 16600 هكتار التي أضيفت مع انطلاق استغلال مياه سد الخروفة مؤخرا.

### 4.3. الوقاية من الفيضانات

إن سد واد المخازن غير كاف لحماية السهل الموجود بين القصر الكبير والعرائش من الفيضانات. ذلك أن مصدر هذه الفيضانات ليس واد اللكوس وحده. الشيء الذي فرض إحداث جهاز للوقاية وصرف المياه، كفيل بحماية سهل اللكوس من الفيضانات، والتجهيزات من التلف. إن الأبعاد الوقائية لهذا الجهاز تنبني على وثيرة وكمية وتردد صبيب فيضانات نهر اللكوس وروافده. مكنت الدراسات التي انجزت بالمنطقة، من وضع برنامج وقائي يتضمن العناصر التالية[41]:

أ. احتفاظ سد واد المخازن بجزء من مياه الفيضانات، وذلك بحصر الصبيب المقذوف في الوادي في 400 م3/ الثانية.

ب. إنشاء قنوات بمنطقة القصر الكبير لجلب مياه الأودية القادمة من الهضاب المجاورة وصرفها نحو واد اللكوس.

ج. إنشاء مجرى مائي عند سفح هضاب الضفة، بهدف تحويل مياه واد المخازن وواعرور و صبها في واد اللكوس عند سافلة سد الصيانة.

د. إقامة حواجز على واد اللكوس عند مروره بالسهل.

[41] - بحث ميداني، دجنبر 2023.

ISSN 2569-734X

كل هذه التجهيزات، لم تستطع أن تحد نهائيا من الآثار السلبية للفيضانات التي تضرب المنطقة. لذا، وفي إطار الدعم الجهوي للمخطط الأخضر، والذي اعتبر المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس، من بين أربع المكاتب الجهوية النشيطة بالبلاد، تم تبني مشروع سد دار الخروفة على واد المخازن بشمال المنطقة المدروسة.

### 5.3. تهيئة مناطق البور

فرضت دراسة مشروع اللكوس، كما سلف الذكر، الاهتمام كذلك بمناطق البور، أي الأراضي الفلاحية التي يتعذر تقنيا واقتصاديا سقيها. لذا وضع المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس مخطط توجيهي لاستصلاح مناطق البور بدائرة نفوذه. شمل هذا المخطط 110000 هكتار، منها 45000 هكتار برمجت لتهيئة مكملة للقطاعات المسقية[42]. انطلقت بالفعل ومنذ بداية الثمانينيات، عملية الاستصلاح هاته. شملت هذه العملية التدخلات التالية:

أ. **البنية التحتية الأساسية:** يتجلى دورها في إقامة شبكة من الطرق غير المعبدة، تربط بين مختلف الملكيات العقارية، وصلت مسافتها بالمجالات البورية إلى 200 كلم.

ب. **الاستصلاحات العقارية:** همت البنية العقارية عن طريق ضم الملكيات الزراعية. كما اهتمت باستصلاح الأراضي بإزالة الحجارة والدوم، وصرف المياه السطحية.... الخ

ج. **محاربة انجراف التربة:** وذلك بتعميم الحرث وفق خطوط التسوية. القيام بالتناوب الزراعي على الانحدارات التي تتراوح ما بين 5 و10%. غرس الأشجار في الأراضي التي يتراوح انحدارها ما بين 12 و30 %. بناء جدران صغيرة وغرس الحافات بالأعشاب. هذ بالإضافة إلى الارشاد الفلاحي.

## 4. الزراعات المسقية باللكوس الأسفل والمساهمة في الأمن الغذائي للمغرب

### 1.4. أدت الاستصلاحات السالفة الذكر، إلى ثورة نوعية وكمية في فلاحة المنطقة

أ. **الانتاج النباتي:** انعكست كل هذه المجهودات على الإنتاج الفلاحي بشكل ايجابي جدا. ويتجلى ذلك في ارتفاع المردود الذي يعبر عن جودة العلاقات بين كل مدخلات الإنتاج. تطور هذا المتغير ما بين بداية انطلاق مشروع اللكوس وسنة 2007 مثلا، بنسبة تفوق 100% (بالنسبة للحبوب 120%، إذ انتقل من 46 إلى 55 ق/ه) و (الفول السوداني 108%، إذ انتقل من 25 إلى 26 ق/ه). بفعل هذه التطورات أصبح اللكوس الأسفل يساهم مساهمة فعالة في الانتاج الفلاحي الوطني، وذلك عن طريق تطور الانتاج هو الاخر(المبيان رقم 2).

[42] - وثائق المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس 1987.

تتجلى هذه المساهمة في وفرة المنتوجات وفي تنوعها، أكثر من باقي المناطق الفلاحية الأخرى بالبلاد: توت الأرض والهليون والبطيخ وجميع أنواع الخضر والفواكه والحبوب كالأرز، والمزروعات الزيتية والسكرية...الخ. كما تكاد تتخصص في البعض منها كالفول السوداني مثلا.

مبيان رقم 2: تطور الانتاج النباتي باللكوس الأسفل بين الموسمين الفلاحيين (2008-2009 و2019-2020 بآلاف الأطنان

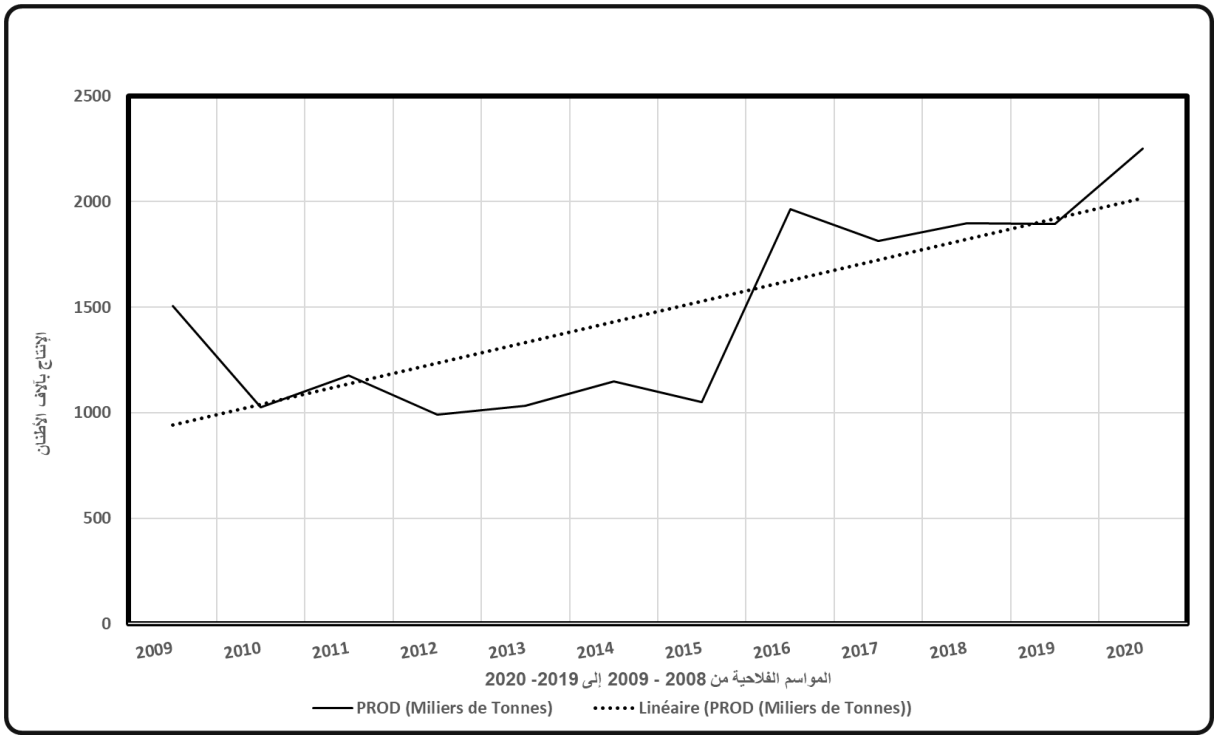


.مصدر المعطيات الاحصائية: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس – القصر الكبير، دجنبر 2022.

إلا أن التطور الكبير هو الذي حصل في الفلاحة المسقية، حيث ظهرت نتائجه الأولى في العشرية الأولى للاستصلاح.

مبيان رقم 3: حصة المزروعات من المساحة المسقية باللكوس الأسفل بالنسب المئوية

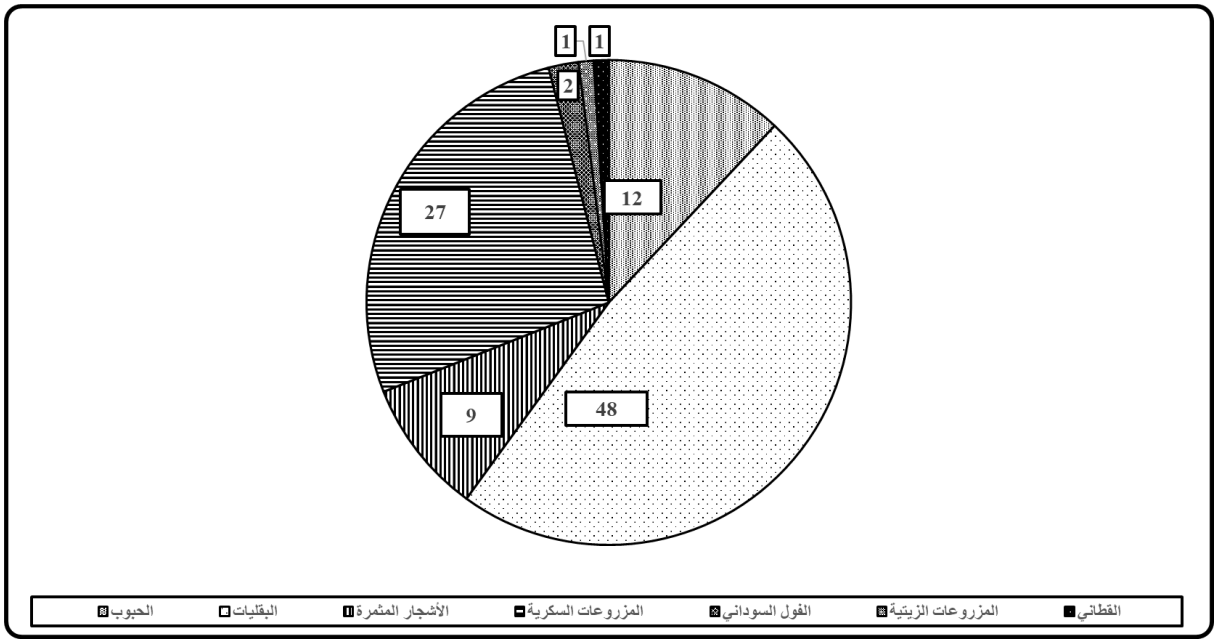


.مصدر المعطيات الاحصائية: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس – القصر الكبير، دجنبر 2022.

ISSN 2569-734X

كانت نسبة إنجاز الأهداف التي حددها مشروع اللكوس بالقطاعات المسقية مرتفعة جدا، خصوصا في بعض المزروعات وبالأخص الصناعية والتسويقية منها، وعلى رأسها الفول السوداني. عند منتصف الثمانينيات فقط، كانت نسب الانجاز في مساحة هذا المزروع، قد فاقت كل التوقعات (273 %). أصبحت مساحة الفول السوداني، إذن تساوي 9.5 % من المساحة المزروعة، مقابل 11.5 الذي حددها المشروع.

وصل الانتاج سنة (2006-2007) مثلا، أرقاما قياسية فاقت كل التوقعات في الكثير من المنتوجات السالفة الذكر. وأخص بالذكر دائما الفول السوداني والخضراوات وكذا الحبوب. كانت نسبة الانجاز بالتوالي 270 و114 و70%. إذن بالإضافة للتنوع، الإنتاج الفلاحي النباتي المتوسط الحالي للمنطقة، مرتفع حوالي 1479560 طن. تهيمن على هذا الإنتاج الزراعات الإستراتيجية كالحبوب، أو الاقتصادية ذات القيمة المضافة، كالبقليات (الخضر والفواكه وبالأخص الفواكه الحمراء) مثلا (مبيان رقم 3).

**ب. الإنتاج الحيواني:** عرف قطيع الماشية بالمنطقة كذلك، تحسنا كبيرا على مستوى العدد والجودة. إذ أصبح يساهم مساهمة فعالة في إنتاج الحليب واللحوم.

وهكذا انتقل العدد الاجمالي لهذا القطيع من 360500 رأس عند انطلاق مشروع اللكوس إلى 493000 خلال الموسم الفلاحي (2006-2007). لكن التغير والتحسن الكبيرين هما اللذان حصلا في بنيته، وبالأخص لدى الأبقار، إذ أصبحت الهيمنة سنة 2007 مثلا للأصناف الأصيلة (70% من مجموع قطيع الأبقار) وهي أصناف ذات مردودية كبيرة جدا، عوض الأصناف المحلية (90 % من مجموع قطيع الأبقار) عند بداية المشروع. كل هذا سيؤدي إلى تحسن الانتاج الحيواني بشكل عام، بما فيه إنتاج الحليب وإنتاج اللحوم. وصل إنتاج الحليب سنة 1986 مثلا إلى 30.5 مليون لتر تقريبا، منها ست ملايين تم تجميعها وتسويقها من طرف 8 مراكز، مع العلم أن هذه العملية لم تكن تتعدى 7200 لتر سنة 1976. أما في سنة 2007 وصل هذا الإنتاج إلى 138 مليون لتر، ما يساوي 470 مليون درهم. انتقل إنتاج اللحوم الحمراء كذلك من 3450 طن سنويا (سنة 1686) إلى 6586 طن (سنة 2007) بقيمة نقدية تساوي 330 مليون درهم. المردودية النقدية للحليب واللحوم معا إذن، هي 800 مليون درهم. وهو مبلغ كبير يساهم لا محالة في تحسين الوضعية الاقتصادية والاجتماعية لفلاحي المنطقة، وبالتالي تحقيق الاكتفاء الذاتي لسكانها. أضف إلى ذلك المساهمة الفعالة للحوم البيضاء.

مبيان رقم 4: المردودية الاقتصادية والاجتماعية للفلاحة باللكوس الأسفل

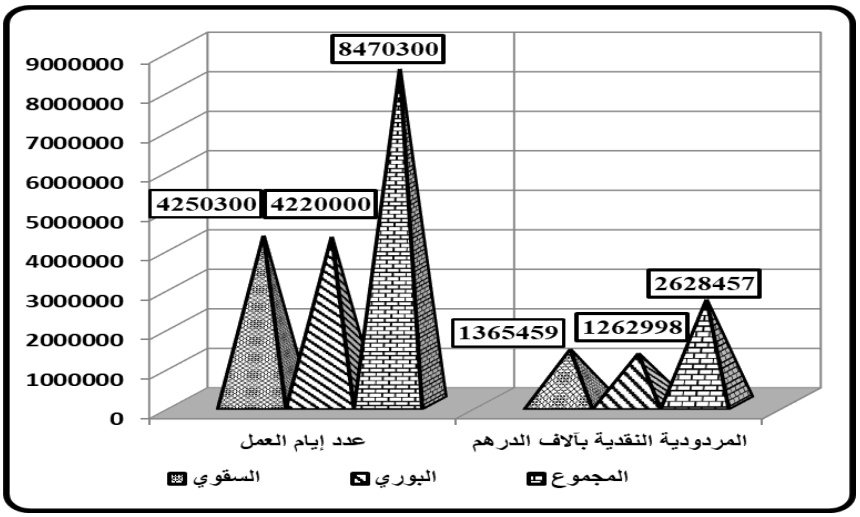


.مصدر المعطيات الاحصائية: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس – القصر الكبير، دجنبر 2022.

### 4. 2. خلقا كل من وفرة وتنوع الانتاج الفلاحي بالمنطقة حركة صناعية وتجارية نشيطة

**أ. البنية الصناعية باللكوس الأسفل:** هذا ولتثمين هذه المنتوجات، تم إنشاء مجموعة من معامل الصناعة الفلاحية – الغذائية بهذه المنطقة. خلقت هذه الوحدات الصناعية أقطابا مهيكلة في أرياف اللكوس الأسفل، والتي كانت تتجاذبها فقط مدينتي العرائش والقصر الكبير (الجدول رقم 4):

جدول رقم 4: البنية الصناعية باللكوس الأسفل

| الوحدة | العدد | القدرة |
|---|---|---|
| معامل السكر | 2 | 770 ألف طن / السنة |
| المطاحن الصناعية | 3 | 168500 طن / السنة |
| معاصر الزيتون العصرية | 4 | 31.2 طن / اليوم |
| معمل معالجة الطماطم و الفلفل | 1 | 16 ألف طن سنويا |
| وحدات التخزين و التكييف | 12 | متغيرة |
| محطات التبريد | 24 | متغيرة |
| وحدات تخزين البذور | 3 | 51 ألف طن |
| مراكز تجميع الحليب | 120 | 250 ألف ليتر / اليوم |
| وحدة معالجة الحليب | 1 | 10 طن / الساعة |
| وحدة إنتاج الأعلاف | 1 | 10 طن / الساعة |
| المجازر | 10 | 2000/ طن السنة |

وثائق المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس – القصر الكبير، دجنبر 2022.

كل هذه المنشآت موزعة عبر السهل، معززة بذلك تجمعات سكانية كانت وظيفتها في الماضي تنحصر في استقبال المهاجرين القرويين، لكنها أصبحت اليوم عبارة عن أقطاب للتشغيل ومراكزا للإشعاع الجهوي[43].

**ب. تسويق منتوجات اللكوس الأسفل:** يحقق اللكوس الأسفل إذن، فائضا في الانتاج الفلاحي الطري والمعالج منه، خصوصا في بعض المنتوجات، يتم تسويقه خارج المنطقة بل خارج البلاد. بالنسبة للقمح مثلا، وهو مادة إستراتيجية ببلادنا يثقل كاهل الميزان التجاري المغربي، تنتج منه المنطقة نسبيا الفائض[44]. ذلك أن مقدار استهلاك سكان المنطقة من هذه المادة هو 1070348 قنطار في السنة مقابل 1410590 قنطار/ سنويا كمعدل إنتاج المنطقة [45]. أما إذا عممت هذه التجارب على كل المناطق الفلاحية بالمغرب، سيكون بمقدوره إنتاج ما يفوق 100 مليون قنطار سنويا من الحبوب، وقد حصل ذلك في بعض السنوات، سنة 1996 أفضل نموذج لكونها كانت رطبة جدا. وآخرها سنة 2021، قبل السنتين الجافتين الأخيرتين، حيث تدهور إنتاج المغرب من الحبوب، إذ نزل إلى 34 مليون قنطار. هذا يعني أن المغرب عند استغلال كل إمكانياته وقدراته الفلاحية وعلى رأسها السقي، يستطيع إنتاج ما يقارب ضعف حاجياته من الحبوب مثلا[46].

هذا وبفضل عدة عوامل كالطريق السيار وخطوط السكك الحديدية، والتي عرفتها المنطقة منذ العهد الاستعماري، جل منتوجات الدائرة المسقية للكوس تصدر خارجها إلى باقي أرجاء الوطن، أو خارج البلاد عبر مينائي طنجة والدار البيضاء. كما أن إنشاء الربط المتوقع عبر جبل طارق قد يرفع من حجم الصادرات اتجاه أوربا، وبالأخص اتجاه فرنسا وإسبانيا القريبتين من المنطقة. الشيء الذي قد يجعل من هذه المنطقة وفي ظل العولمة منطقة هامشية بالنسبة لأوروبا.

**خاتمة**

إن تعميم هذه التجربة الناجحة لهذه السياسة، على كل المناطق الفلاحية بالمغرب. قد تمكن هذ الأخيرة من رفع وتنويع إنتاجها الفلاحي، وبالتالي من تحقيق اكتفائها الذاتي الغذائي، ومعه كل من السيادة الغذائية والأمن الغذائي لبلادنا.

هذا، وبشكل عام وفي الظروف العادية، يساهم القطاع السقوي بالمغرب، بما معدله 99% من إنتاج السكر و82% من الخضروات و100% من الحوامض و75% من الأعلاف و75% من الحليب. كما يساهم هذا القطاع بخلق ما يناهز 120 مليون يوم عمل بالسنة، أي حوالي مليون و65 ألف فرصة عمل منها 250 ألف فرصة عمل دائمة. يضاف إلى هذه المعطيات أنه بفضل السقي، تم تحسين مداخيل الفلاحين التي تضاعفت ب 5 إلى 13 مرة حسب المجالات، كما تم فك

---

[43] - جون تروان فاي (2006): مصدر سابق ص 100.

[44]- يقدر متوسط الاستهلاك الوطني من الحبوب، بقنطارين للفرد في السنة.

[45]- التهامي التهامي (2020) : ص 9.

[46] - نفسه

العزلة عن الفلاحين بولوجهم إلى خدمات عامة جماعية كالماء الصالح الشرب والكهرباء، إضافة إلى النتائج الهامة للأشغال العمومية والصناعات والخدمات التي انعكست لاحقا على قطاع الصناعات الغذائية[47].

من خلال ما سبق، يتبين أن المغرب يحقق أو يكاد يحقق اكتفائه الذاتي من الغذاء عن طريق الفلاحة المسقية وحدها. أما إذا أضفنا إليها منتوجات الفلاحة البورية، خصوصا في السنوات الجيدة من حيث الأمطار، يمكن القول إن المغرب يحقق الفائض من الغذاء يصدره إلى الخارج، دون أن يؤثر ذلك على الأمن الغذائي الداخلي للبلاد.

**البيبليوغرافيا:**


- .بوبلال حفصة، باحو عبد العزيز (2022): تأثيرات التغيرات المناخية على وضعية الموارد المائية بالواحات المغربية الجنوبية الشرقية زيز-غريس"، واقع ومستقبل التغيرات المناخية العالمية، التقرير الاستراتيجي السنوي، المركز الديموقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، بيرلين، ص ص 213 -229.
- . التهامي التهامي (2022): تكيف الفلاحة المغربية مع ظاهرة الإحترار المناخي (دراسة حالات)، كتاب جماعي حول "تنمية الأرياف المغربية: بين تدخلات الفاعلين وانتظارا السكان" تنسيق الدكتور زهير النامي، المركز الديموقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، بيرلين، ألمانيا، الطبعة الأولى، ماي 2022، ص-ص 51 – 67.
- .التهامي التهامي (2020): الأمن المائي والأمن الغذائي بالمغرب: أية علاقة؟، المجلة المغربية للبحث الجغرافي، العدد الأول، المجلد الأول، نونبر 2020، جامعة محمد الخامس بالرباط، المغرب، ص - ص 13 – 33.
- . التهامي التهامي (2020): التساقطات وزراعة الحبوب بمنطقة اللكوس (مساهمة في علم المناخ الزراعي) نور للنشر، بيرلين، ألمانيا، أبريل 2020.
- . جون فرانسوا تروان وآخرون (2006): المغرب، مقاربة جديدة في الجغرافية الجهوية، طارق للنشر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب.
- . حسيني عمر (2021): التغير المناخي وتأثيره السلبي على النشاط الزراعي دراسة لواقع التغير المناخي للجزائر، كتاب جماعي تحت عنوان "حوكمة إدارة المياه بين الواقع بين الواقع وإستراتيجية التنمية" المركز الديموقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، بيرلين، ص ص51 – 57
- .مصطفى العزاني، عماد فنجيرو (2021): حصيلة الاستثمارات المغربية في قطاع الماء، كتاب جماعي تحت عنوان "حوكمة إدارة المياه بين الواقع بين الواقع وإستراتيجية التنمية" المركز الديموقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا، بيرلين، ص ص74 – 85
- .المركز المغربي للمواطنة (2023): نتائج استطلاع رأي المغاربة حول مخطط المغرب الأخضر، التقرير التركيبي، الرباط المغرب، ماي 2023.


**BIBLIOGRAPHIE**


- CID et all (1994) : Etude d'évaluation environnementale du périmètre du Loukkos MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DE LA MISE EN VALEUR AGRICOLE, Maroc.

- .ELECTOWATT (1971): Conclusions et synthèses ; MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DE LA MISE EN VALEUR AGRICOLE.
- EL GHARBAOUI. A (1981) : La terre et l'homme dans la péninsule tingitane : étude sur l'homme et le milieu naturel dans le Rif occidental, Thèse de Doctorat, Université Paris 7, Travaux de l'Institut Scientifique, Rabat.


[47]. - الموقع الالكتروني لوكالة التنمية الفلاحية بالمغرب

- EL MORHIT Mohammed (2009) : Hydrochémie de différentes composantes d'un écosystème estuarien (BAS LOKKOS) ; Thèse de Doctorat ; UNIVERSITE MOHAMMED V – AGDAL ; FACULTÉ DES SCIENCE, MROC.
- GROUPE EAU (2022) : Un livre blanc sur les ressources en eau au Maroc ; Pour une gestion durable assurant la sécurité hydrique du pays ; Document préparé par un groupe d'expert lauréat de l` IAV HASSAN 2 ; Rabat ; Maroc ; octobre 2022.
- MINISTERE DE L'INTERIEUR (1973) : Etude de la situation actuelle et de la vocation de l'unité de développement rural, UDR de ASILAH. Projet DERRO TETOUAN 1973.
- Royaume du Maroc (2020) : Examen nationale volontaire de la mise en ouvre des objectifs de développent durable ; Rapport national 2020.

# الطفولة وسؤال القيم:

## قراءة في قيمة الاحترام واحترام القيم في زمن الاستثناء المعاصر"كورونا"

## Childhood & the values question:

Reading in the value of respect and respect of values during the contemporary exceptional time, "Covid19"

مصطفى الهبطي *

**ملخص:** تعالج هذه المقالة موضوع الطفولة من منظور السؤال القيمي عبر إجراء قراءة في قيمة الاحترام واحترام القيم في زمن الاستثناء المعاصر "كورونا"، باعتباره فضاء رامزا وطقوسيا لا منتهيا، ويمثل معملا دلاليا واسعا ترتبط به العديد من التلفيظات والمصطلحات والمفاهيم التي نراهن من خلالها على الوصف، التفسير ثم تأويل التأويل عبر مفاتيح أربعة: مفتاح مفهمة القيم، مفتاح الطفل والطفولة في بيت المؤسسة الأسرية والمؤسسة التعليمية، مفتاح طفولة زمن الاستثناء "الكُورُوني" ثم مفتاح نموذج قيمي يجتمع فيه المفرد والجمع المتعدد، قيمة الاحترام واحترام القيم، حيث نقرأ في الاحترام كل القيم.

**الكلمات المفاتيح**: الطفولة – قيمة الاحترام – منظومة القيم – سوسيولوجيا الطفولة – قيمة القيم

**Abstract :** This article discusses the subject of childhood from the perspective of the valuable question by reading in the value of respect and respect of values during the contemporary exceptional time, "Corona virus19", through four keys that are betting on the description, explanation and interpretation: first, the understanding of values; second, the child and childhood in the family and educational institution; third, the childhood of the exceptional time, "Corona "; and finally, the key of valuable model in which the singular and the multiple plural are meeting, the value of respect and respect of values, where we find all values.

**Keywords:** childhood - respect value - values system - sociology of childhood - value of values

* باحث في سلك الدكتوراه، مختبر الدراسات النفسية والاجتماعية والثقافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب
* مفتش تربوي بمديرية فاس، وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة، المغرب.

**على درب التوطئة:**

يوما ما، بصم المهدي المنجرة في أثره المعرفي "قيمة القيم" بقوله: "لأن يكون الإنسان واعياً بقيمة القيم فإن ذلك قيمة في حد ذاتها"[49]؛ وعي لربما يفترض مساءلة ماهية المنظومة القيمية التي ينفرض علينا الانهمام بها - أصلا - وبقيمتها، سواء في التربة المجالية المشكلة للمجتمع المغربي القروي أو غيره من المجالات الضاجة بالمعنى، في أفق تحرير العقول والأذهان مما علق بها من تصورات قائمة على نمط الطبيعية، وتعويض الماهوية البيولوجية بالبناء الثقافي القيمي المحض؛ فالقيم التي تشغل موقع المرجعيات المؤطِّرة والموجِّهة لغايات العيش المشترك، ترتبط بسيرورة الواقع البشري وبدينامية المجتمعات وتحولاتها؛ وتزداد تلك "الشغلانية" قوة وعمقا كلما حاولنا إسقاط تلك المنظومة (القيمية) أفقيا وعموديا، وقراءة انعكاساتها السوسيولوجية، على شريحة مجتمعية تُنعت بالطفولة.

الأمر الذي يجعل من "تقعيد" القيم في السجل الطفولي، أساسا وتأسيسا، يتحدد انطلاقا من مفهوم الدور كنموذج سلوكي للفرد، ويتبلور من خلال المكانة التي ينبغي أن يحتلها الفاعل الاجتماعي في نسق محدد سوسيولوجيا ومنظم بسلسلة من الضوابط والأبعاد، في ظل مؤسسات التنشئة الاجتماعية - للطفل - المتعددة الروافد والمشارب؛ وكلما حاول هذا الفاعل تجاوز معايير الأدوار المحددة لمكانته، ودرجة استحضاره للآخر حسب وضعيته الشخصية (أفراد، مؤسسات...) والمعنوية (قوانين، ظروف، ثقافات، عادات...)، فإنه من الضروري أن يتلقى جزاءات تتوزع بين طابع اقتصادي، اجتماعي، سياسي، أخلاقي وصحي. فعن أي قيم طفولية نتحدث مغربيا؟ ومن يقوم بتحديد هذه القيمة أو تلك؟ هل هي ثابتة أم متغيرة؟ هل نتحدث عن قيمة واحدة بلغة المفرد أم عن قيم بلغة الجمع المتعدد؟ ألا يصح الاعتقاد بوجود تراتبية على مستوى القيم لدرجة استدماج قيمة ما لقيم أخرى جزئية؟ كيف يتم تأهيل وتنشئة الطفولة اجتماعياً لتنزيل هذه القيمة أو تلك في جغرافيات اليومي؟ ثم ما السبيل لتأكيد أو نفي قراءات الامتداد القيمي في كنف الطفولة من قيمة الاحترام نموذجاً إلى "احترام القيم" عموماً؟

**مفتاح مفهمة القيم:**

إن سياق الانشغال بالبحث في متون المفهمة لَيجعلُنا نستحضر أبوابا خماسية، أولها وثانيها "السوسيونوما والإيكونوما"[50] لتفكيك قيم المجتمعات و"آدم - سميثيتها" (نسبة إلى الاقتصادي آدم سميث Adam Smith) وإعادة تركيبها من جديد، وثالثها التأريخانية لتفسير الأحداث والعلاقات وصناعة قيم الغلبة والقهر والخضوع فيها، ورابعها الجغرافيا للوعي بمواقعها وخرائط قيم ثقافاتها، ثم خامسها باب الفلسفة للوقوف على تمثلات البناء المفاهيمي القيمي فيها ومن خلالها، خصوصا إذا علمنا أن "العقل الأخلاقي يؤسسه ويوجهه نظام القيم وليس النظام المعرفي" كما أشّر على ذلك محمد عابد الجابري في أحد محطاته الكتاباتية[51]؛ وهكذا يرى الكثير من العامة والخاصة، أفرادا أو جماعات، في القيم

---

[49] المنجرة المهدي ، قيمة القيم، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 2007، ص.16.
[50] إحالة على علوم الاجتماع والاقتصاد
[51] الجابري محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي، الطبعة السادسة، بيروت، 2014، ص.53.

مُثلا عليا تتموقع في عمق يوميات الحياة الاجتماعية، فكرا وخطابا، سلوكا وممارسة، مثلما يُؤشَّر عليها في أحايين كثيرة كمصدر للقرارات والأحكام القبلية والبعدية. الأمر الذي يجعل منها - مبدئيا - نسقا مرجعيا يتقعّد في ثلاثية: بعضها يأخذ شكل نماذج غائية وآفاقا للفعل، رغم كونها تبدو مثالية وبعيدة المنال داخل الواقع الاجتماعي كما هو الشأن مع قيمة المساواة؛ وبعضها الآخر يمثل مبادئ فعلية للسلوك الإنساني بغرض تدبير الحياة الاجتماعية الفعلية، تماما كقيم النزاهة، التسامح، والاستقامة نموذجاً؛ بينما يتخذ بعضها الآخر شكل معايير عملية عامة للحكم على الممارسة في سياق التغيير أو التحديث، من قبيل المصلحة والنجاعة والفعالية[52]. وفي ذلك تأكيد أيضا على وظيفية القيم سواء في السياق الفردي أو الجمعي، إذ نلمسها حينا عبر محاولات ضبط السلوك تبعا لتشكيلة من المواصفات والمحددات الأخلاقية وما يرتبط بها من إقدار الفرد على التكيف والتوافق مع الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، ومنحه فرصة للتعبير عن ذاته في تناغم مع الكل الاجتماعي، وحينا آخر نلمسها من خلال تنظيم البنية العلائقية للروابط الاجتماعية البين- فردية عبر توصيفات تهيّئ للمشترك وتمأسسه في إطار قواعد ومبادئ سوسيواقتصادية[53].

لكن قبل الغوص في عمق تقريب مفهوم "القيمة" إلى الأذهان أكثر مما هو عليه ربما، نستدعي المتون الاقتصادية[54] على سبيل البسط الأولي ليس إلا، فهذان شركتان يصول ويجول اسم إحداهما في المتخيل السوسيواقتصادي برتبة "عقيد"، بينما تقبع الأخرى في السطح الكابورالي (نسبة إلى كابورال "Caporal": رتبة أقل من سابقتها)، حيث تقومان معا بإنتاج نفس المنتوج "X"، ومن نفس المواد المكونة "Y و Z"، وعند طرحه في الأسواق تُرَقمِن الشركة "العقيد" ثمنه بضعف ما تثمّنه الشركة "الكابورال"؛ لكن من الغرائبية أن المستهلك يميل إلى شراء المنتج الباهظ الثمن اعتباراً "لقيمة" الشركة المصنعة له...! فما السر في إعلاء قيمة هذا ودحض ذاك؟

ملاحقتنا اللغوية لمفردة "القيم" تحيلنا - مبدئياً - إلى جمع متعدد لكلمة "قيمة"، وإلى الجذر اللغوي (ق- و- م) في صحاح الجوهري، حيث أصل الياء واو، فنقرأ في "قوّم الشيء، أي جعله قويما، أي مستقيما"[55]، تماما كما هو الحال عند ابن منظور في لسان العرب[56]، الذي يحيل على المستمسك والثابت والمستقيم؛ معاني تتوافق – إلى حد ما - مع التأصيل اليوناني لكلمة "Axios"، والمنحوت الإنجليزي "Value" أو حتى الفرنسي "valeur"، والتي تشير في شموليتها إلى "الاعتدال، الاستواء وبلوغ الغاية"[57]. لكن بتغيير مسار الملاحقة هذه المرة، نحو نفس وجهة "القيم"، لكن عبر ما هو اصطلاحي، نجد أن هناك ثراءً وتنوعاً واختلافاً لدرجة التعقيد والتضارب، ففي الوقت الذي ترتبط فيه القيم بما هو شخصي (قيم شخصية)، نجدها تنتظم - وبموازاة مع ذلك - عبر ترتيب هرمي في قالب جمعي (قيم اجتماعية)، وفي الحين الذي نحياها

---

[52] Halstead (J.) & Taylor (M.), Values in education and education in values, Falmer Press, London, 1996, pp.38-42
[53] DENGLOS (G.), La création de valeur : modèles, mesure, diagnostic, Dunod, Paris, 2003, p.91
[54] DENGLOS (G.), Ibid, p.27
[55] الجوهري إسماعيل بن حماد، الصّحاح، الجذر (ق – و – م)، الجزء الخامس، بيروت، 1999، ص.2016
[56] ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، الجزء 12، بيروت، نسخة 2003، ص.615
[57] العوا عادل، "قضايا القيم" في الفكر العربي الإسلامي: الأصول والمبادئ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص.94

معززة مكرمة في تانديت، تيساف، مرموشة، كاع جابر، طكنتشة، إزلفان، أدرار، تسيوانت العليا وويزغت[58]، نلحظ الضعف والوهن والتراجع لها في بقاع أمكنة وأزمنة أخرى متعددة (نسبية القيم)، ذلك أن القيم في كل ثقافة ليست كلها في مستوى واحد، بل هناك قيم أساسية أو رئيسية تتفرع عنها قيم أخرى أدنى منها مرتبة. وأكثر من ذلك يمكن التمييز في كل ثقافة بين ما ندعوه هنا "القيمة المركزية" التي تنتظم حولها جميع القيم، في عصر من العصور، وبين القيم الأخرى المندرجة تحتها[59]. ففي الوقت الذي اعتبرها تيودور نيوكامب (Theodore Newcomb)، مثلا، مجموعة من الدلائل المرجعية التي تستخدم في تقويم الخبرة والسلوك مع المتفق عليه اجتماعيا[60]، يراها آخرون جملة من الرغبات التي يسعى الفرد والجماعة إلى تحقيقها ليس إلا[61].

لكن إبحارنا في رحلة الاطلاع والمقارنة بين رزنامة لا بأس بها من تعاريف "القيم" يحيلنا إلى استخلاص ثلاثة اتجاهات منهجية، **أولها**، اعتبار القيم معايير نسجتها الخبرة الإنسانية تبعاً لعلاقة التأثير والتأثر بها، ويمكن من خلالها إصدار حكم/أحكام على الأشياء والتصرفات من حيث جدتها أو رداءتها، قبولها أو رفضها ثم حسنها أو قبحها؛ ومن جملة ما نلمس في هذا الباب التعريف التالي:"القيمة مقياس أو مستوى أو معيار، نستهدفه في سلوكنا، وينظر إليه على أنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه"[62]. **وثانيها**، يربط بين القيم والتفضيلات التي يختارها الفرد، مؤشرا على أن ميول وانحياز هذا الأخير لسلوك ما بشكل اختياري فإن ذلك يعني تفضيله على غيره من السلوكات الأخرى، وذلك اعتقادا منه، أو من المجتمع الذي يحيى فيه، بأن هذا التفضيل مصقول بالإيجابية لجلبه اللذة، أو بالسلبية لدفعه الألم. أما **ثالث ثلاثة**، فيختزل القيم في الفردانية واستعداداتها وسماتها العلائقية لحظة الاتصال مع الغير، وهو ما يجعل من ثنائية الأنا والآخر علامة سيكولوجية للتأسيس لقيمة معينة بشكل فردي أو دحضها، مقابل العلامة السوسيولوجية التي يؤصل لها علماء الاجتماع عبر الانتصار للقيم في صورتها الجماعية. وهكذا تدخل القيم مفاهيميا خانة السهل الممتنع، ومحاولة التعريف والنبش فيها نتحسسه في جلدة العالم الاقتصادي، والتربوي، والسيكولوجي، والسوسيولوجي والفيلسوف؛ وهو ما يؤشر دلالياً على كون القيم "ثيمة" حاضرة وذات أهمية في مختلف الحقول المعرفية، ومنهجياً على أن المنشغل بدراسة مجالها ونظامها مرهون بمهمة مزدوجة تزاوج بين التأريخ للآني ثم التحليل والمقارنة لتمظهراتها بعداً[63].

وحيث إن العلوم الإنسانية تُحسب لها "يوسفيتها" لمفهوم القيم على مستوى الانسيابية التي تجعل منه مفهوما "مطاطيا" يأخذ شكل المجتمع الذي يوجد فيه، فلا جرم من التساؤل آنا عن حضور أو غياب خصائص معينة تحد من عملية التمطيط تلك أو تزيد منها لدرجة التمزق والانفلات. وهكذا يجوز التأشير على أن القيم تخضع لمعادلة الثابت

---

[58] مداشر قروية بإقليم بولمان - ميسور، جهة فاس مكناس، المملكة المغربية
[59] الجابري محمد عابد، مرجع سابق، ص.127
[60] كامل محمد عويضة، دراسة علمية بين علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1996، ص.105
[61] نيلر جورج (Kneller G.)، في فلسفة التربية، ترجمة محمد منير موسى وآخرون، عالم الكتب، القاهرة، 1972، ص.88
[62] معتز سيد عبدا لله وعبد اللطيف محمد خليفة، علم النفس الاجتماعي، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2001، ص.159
[63] الجابري محمد عابد، مرجع سابق، ص.182

والمتحول، كما لا تخضع عادة للمبدأ الرياضياتي "الخطي"، بل يمكن أن نلمس قيم جديدة تطفو على السطح المجتمعي وأخرى تتراجع إلى الخلف، مثلما نقرأ أيضا قيما تخاطب الوعي والعقليات وأخرى تخاطب التقاليد والعادات؛ خاصة أن المربع القيمي ينهمِم بالمجتمع ومجالاته التي تحتضن الفرد كفاعل والجماعة كمؤسسة ناظمة للمخيال الجمعي ومؤطرة للهوية والانتماء داخل النسق المجتمعي، عبر قيم وأحكام ونظرة للكون تتموقع أساسا بين زاويتي الحد الكامل والحد المشوه؛ لكن العين السوسيولوجية تؤكد أنه في إطار سيرورة "القرونة" تتغير القيم وتتداخل معاييرها، حيث يتم الانتقال من تربة قيمية "خصوصانية" تتوزع - مغربياً - بين قيم "جبالة"، قيم الشرق وقيم "صحراوة"...، إلى تربة قيمية "عبورانية" عابرة للمجال والثقافات؛ ومن ثمة مساءلة نوعها (القيم) عن منطق تلك التي تنسحب والأخرى التي تبقى بارزة مشعة محافظة على وجاهتها، في أفق صناعة الضبط الاجتماعي. الشيء الذي يجعلنا نقر، في ورقتنا هاته، بأن لسان حال السوسيولوجيا في امتدادها المعرفي قد راهن ويراهن بامتياز على ديناميات الهدم والتفكيك والقراءة غير العادية لمختلف التفاصيل التي تعرفها تضاريس المنظومة القيمية وفاعليها، بحثا عن المعاني الصريحة والضمنية لمفهومنا "الضبابي"، القيم، المتحول مجالياً، حضريا وقرويا، طفولة وشبابا، تذكيرا وتأنيثاً...، وما رافقه ويرافقه من استراتيجيات تدبير الصراع والتقارب والمصالح، سواء عبر بوابة الصلحاء والمواسم والأضرحة (القيم المقدسة نموذجا)، أو من خلال سمفونية حاجات هرم "ماسلو"[64] والمواقف الحياتية، أو في إطار العنف الرمزي "المشرعن" له في سياق قيم السلم الاجتماعي؛ خصوصا إذا استحضرنا أن واقع الحال والمآل يؤكد أن منظومة القيم، من الخطاب إلى الممارسة، هي مجالات ناطقة وضاجة بالمعنى. ويزداد "صراخ" تلك المعاني عند إسقاط كل ذلك على المرحلة الأولى من عمر الإنسان، الطفولة؛ فكيف نتلمس خيوط النظام القيمي في السجل الطفولي؟ وكيف يتم تأهيل وتنشئة هذه الشريحة المجتمعية لتنزيل هذه القيمة أو تلك في جغرافيات اليومي؟ ذلك ما سنحاول التأشير عليه في المحور/المفتاح الموالي.

**مفتاح الطفل والطفولة:**

إن الحديث عن الطفولة يحيلنا حتما إلى منتسبيها الذين لم يخرجوا عن الرقعة الزمنية "من وإلى"، وهو ما يعني ضمنيا انتصاراً رمزياً لليومي؛ غير أن استحضارنا لأولئك الأفراد يجعلنا نفكك – مبدئيا – شخصياتهم لنقرأ فيها الثلاثية المتعارف عليها: الجانب المعرفي، الجانب المهاري السلوكي، ثم الجانب الوجداني الانفعالي، على أساس أن أي تغليب لأحد هذه الجوانب على الآخر ينتج عنه حتما تشوّه وقصور في شخصية الفرد/الطفل وتنشئته الاجتماعية والسوسيوتربوية[65]، ولعل من أهم توصيات المشتغلين بالحقل التربوي - نموذجاً - ضرورةَ الاهتمام بهذه الجوانب الثلاثة في تكاملها وانسجامها، بهدف البناء المتوازن لذات قادرة على التكيف مع محيطها الاجتماعي القريب والبعيد[66]. ومن ثمة، لا مناص من استنطاق

[64] Maslow (A.H.), Motivation and Personality, NY Harper & Row Publishers, New York, 1954, p.54
[65] SIROTA (R.) (dir.), Éléments pour une sociologie de l'enfance, Presses universitaires de Rennes, Rennes, 2006, pp.31-33
[66] GARNIER (P.) & RAYNA (S.), Recherches avec les jeunes enfants: perspectives internationales, Peter Lang, Bruxelles, 2017, p.46

السجل الطفولي ونفض الغبار عن هواجس فكرية تراود الكبار سنا قبل الصغار، وتنتصر لهكذا سؤال: إلى أي حد نقرأ مفاهيميا الطفل والطفولة؟ ثم كيف يُنظر إلى هذه الأخيرة بعين سوسيولوجية؟

إبحارنا في سفينة المحاولة للإحاطة بمتن المفهمة، يمر مرور الكرام لغوياً، ويرسو ويقرّ اصطلاحياً بأن هناك انشغالا ليس بالهين على مستوى تعريف **الطفل والطفولة** من قِبل العديد من العلماء والباحثين، وهو ما أفرز اختلافا على مستوى زوايا التعريف، لكن هذا الاختلاف يكشف للقارئ عن المعايير التي تمّ الاعتماد عليها والارتكان إليها في البدء والختام؛ والملاحظ، في "مساقية" هذه وتلك، أن الخطاب الأفهومي لتعريف الطفولة قد انتصر فعلا للمعادلة الزمنية "من وإلى". انتصار يجسده اللسان القانوني في ربطها بالصيغة الرقمية ما دون سن "الثامنة عشر"[67]، حيث يصبح العمر، إلى جانب الجنس، "مكونًا أساسيًا للهوية"، كما تصير تصرفات فرد "الما بعد" الطفولة (بعد سن 18) في كنف المسؤولية من الناحية القانونية، فتخضع بذلك لقيم الضبط وقواعد "العقاب" في حالة مخالفتها للنظام القيمي والإطار الإيديولوجي والسوسيوثقافي الذي يحكمها ويضبط يومياتها القانونية؛ أما الفكر السيكولوجي فنظر إليها (إلى الطفولة) كوحدة متكاملة من مراحل حياة الأفراد، تقوم العلاقات فيها ومن خلالها على أساس ما فُعِل وانفُعِل في يومياتها التي تحوي العديد من القيم والتمظهرات والتطورات للفرد/الطفل على مستوى مراحل نموه، منذ نعومة أظافره إلى غاية مرحلة المراهقة وزيادة، لدرجة جعلت أحد زعماء التحليل النفسي يقرّ بأن "الطفل هو أبو الرجل"[68]. في حين، اعتبرها السوسيولوجيون تلك الفترة المبكرة من الحياة الإنسانية التي يعتمد فيها الفرد على أبويه -أحدهما أو كلاهما أو دونهما- اعتماداً كلياً فيما يحفظ حياته، فيتعلم ويتمرن وينضبط فيها قيميّاً استعدادا للفترة التي تليها، مما يجعل منها جسرا يعبر به ومن خلاله الفرد/الطفل للوصول لدرجة النضج الفيزيولوجي والعقلي والاجتماعي والنفسي...، والتي ترسم معالم حياته ككائن اجتماعي.

والملاحظ أنه يمكن التمييز في البيت الداخلي للطفولة بين محطات متعددة تختلف تسمياتها باختلاف الحقل المعرفي أيضا، لكن يمكن الاختيار من متعدد، وانتقاء تصنيف نراه أقرب إلى الفهم والإفهام؛ وهكذا يمكن التأشير - اصطلاحيا - بين صفحات اليومي للطفولة على طفولة صغرى أو مبكرة، وأخرى وسيطية أو متوسطة وثالثة كبرى أو متأخرة، على أساس أن المعيار الزمني لهذه وتلك قد يزيد أو ينقص تبعاً للمتغيرات البيئية والقيمية والاقتصادية والسوسيومجالية؛ ومن باب الأجرأة، أجرأة كل فترة من مراحل الطفولة، يمكن التنصيص على ثلاثية عمرية ذات وُسع - بلغة الرياضيات – مساوٍ لست (6) سنوات[69]، يتكرر حسب كل محطة طفولية (من الميلاد إلى 6 سنوات، من 6 سنوات إلى 12 سنة ثم من 12 إلى 18 سنة). وموازاة مع ذلك كله، تخضع الطفولة، شأنها شأن الإنسانية جمعاء، لحاجات يؤكد ماسلو أنها ضرورية، وقد لخصها في الهرم المعروف باسمه هرم ماسلو[70]، والذي يشير من خلاله إلى تنوع حاجات الإنسان وتدرجها في عتبات من حاجات فيزيولوجية إلى حاجات لتحقيق الذات، مروراً بحاجات الأمان والحاجات الاجتماعية

---

[67] الجمعية العامة للأمم المتحدة، اتفاقية حقوق الطفل، المادة 49، 1989

[68] فرويد سيغموند، ترجمة سامي محمد علي، الموجز في التحليل النفسي، مكتبة الأسرة، الأسكندرية، 2000، ص.31

[69] هو تقسيم منهجي نتيجة إجراء مجموعة من القراءات العائمة حول محاولات بعض المفكرين تقديم وضبط مراحل النمو عموماً، ومرحلة الطفولة تحديداً

[70] Maslow (A.H.), Ibid, p.54

والحاجة للتقدير، ومن أمثلة هذه وتلك نورد: الطعام والشراب، النوم وإخراج الفضلات، السلامة الجسدية والأمن الأسري والصحي والوظيفي، الألفة الجنسية والصداقة والعلاقات الأسرية، الثقة وتقدير الذات والاحترام المتبادل مع الآخرين ثم الابتكار وحل المشاكل وتقبل الحقائق.. الأمر الذي يعزز مسألة القيم التي تواكب تلك الحاجيات تبعا لصنافاتها التدريجية، والذي يفتح باب التساؤل من جديد عن الاختلافات المحتملة لتلك القيم في نفس "الدرجة الحاجياتية" في صيغة الميكرو (الفردي)، ثم في مواقع اجتماعية أخرى تنتصر للماكرو (الجمعي) كوعاء لإنتاجها (القيم) من قبيل: الأسرة، المدرسة، الشارع، الإعلام، مؤسسة الجمعية، وأخيرا زمن الاستثناء "الحجر الكوروني" لفيروس كوفيد 19.

**طفولة الأسرة وسؤال القيم:**

إن الحديث عن القيم في الرقعة المجتمعية المعاصرة، ونواتها الأسرة، يكتسب أهمية كبرى لاعتبارات عدة تجعل منها محضن الهوية وحصنها، خاصة في سياق العولمة التي تحاول إلغاء الخصوصانية الحضارية والثقافية لنواة المجتمع، الأسرة. ولما كان الطفل جزءا من هذه التركيبة النووية للمجتمع الذي يعيش فيه، فإنه معني بالضرورة برزنامة القيم التي أنتجها المجتمع الأم، وتعمل أسرته على تأطيرها والمحافظة على استمراريتها عبر ثنائية الأمر والنهي المشكّلة لوظيفة التنشئة والدمج الاجتماعيين. فتحت غطاء القيم، تُسلب طفولة الأسرة ذاتها، بالمعنى الرمزي لفعل الاستيلاب، إذ تحوّل وجود الأفراد المنتمين لهذه الفئة داخل حضن الأسرة إلى وجود بالقوة، وجود يرسم الخطوط الحمراء والأضواء الخضراء في الفعل الاجتماعي، وما هو المسموح به، وما ينبغي تأجيله إلى الخاص والخصوصي وطي النسيان في إطار تكرارية الالتزام الأخلاقي بالمعنى الذي وسمه به كيرك غارد (Soren Kierkegaard) ب "الاستيلاب الأنطولوجي"[71].

ومادام الرابط الاجتماعي بين المنتمين للطفولة وأسرهم لا يوجد إلا في حالة إعادة تنشيط للقيم المضمرة، وتأشير على الأخرى الصريحة، سواء بطرحها على طاولة التنشئة الاجتماعية للأسرة أو بتأويلها وتذييلها في سياق وضعيات تواصلية تفاعلية دالة، فإن ذلك من شأنه تعزيز ظهور قيم معينة وأفول أخريات، وذلك تبعا للأجندة الأسرية وربابنتها؛ فالقيم التي تشربها الأب أو الأم، أحدهما أو كلاهما، هي التي يسمح لها بالدخول في القالب التنشئوي لأطفالهم، على الأقل داخل المأوى المكاني، البيت، وهو ما يؤهلنا – ربما – للتساؤل من جديد عن تلك القيم التي "يؤمن" بها الصغار، ولا تتوافق مع الهوية البطريركية لآبائهم، تبعا للتحولات التي عرفتها وتعرفها الأسر، في سياق طاعة الأبناء للآباء والزوجة للزوج، والتي تحولت نحو قيم التراضي والتفاهم نموذجا، وغيرها من القيم التي أقرها التحول المجتمعي وتعددية مصادر القيم داخله، لدرجة أصبح معها عالم التقننة الافتراضي يشكل حلقة مهمة ولاعبا أساسيا في منظومة القيم، حيث يتم الترويج داخله لقيم تتعدد بتعدد الليل والنهار، قيم عابرة للقارات كسرت جدار التلقي الاجتماعي لعبارات "عيب، عار، احشومة..." عبر بطاقة "جواز" (Passeport) الحرية والتحرر وما جاورهما. فالبنت/الطفلة التي كانت تنحاز للاقتداء بأمها ملبسا وسلوكا اجتماعيا، غيرت من استراتيجيتها الاختيارية بدعوى الموضة والمعاصرة، مثلما آثرت ثقافة الأصابع بالجنوح نحو مداعبة الهاتف عوض مساعدة أمها في أعمال البيت؛ والولد/الطفل الذي كان ينضبط لقرارات الأب أو الولي حول النظام الأسري

[71] CHARLES (M.), Kierkegaard, atmosphère d'angoisse et de passion, L'Harmattan, Paris, 2007, p.116

(أوقات الدخول والخروج نموذجا) بات يفضل التغريد خارج السرب الأسري، رفقة أقرانه، متأبطا جهاز هاتفه، و"مزركشا" بنوع من الحلاقة "المتعصرنة" بعيدا عن قيم الآباء والأجداد؛ الشيء الذي أهّل الباحثة رحمة بورقية، ذات سياق محاضراتي[72]، إلى التأشير على ظهور ما أسمته "سوق للقيم" الآخذة في التوسع والانتشار. غير أن درجة اهتزاز القيم على سلم المجتمعات عموما، والمغربي على وجه الخصوص، يكاد يجزم بأن هناك اختلافا على مستوى درجة تأثير وتأثر التربة القيمية، حيث كلما توجهنا نحو المجالات الحضرية يبدو جليا ارتفاع المنسوب القيمي الذي خضع للاهتزاز، وكلما غيرنا الوجهة نحو المجالات القروية تقل درجة الاهتزاز في قيم الطفولة، ونلحظ شبه استمرارية قيمية بعذريتها المعلومة. الأمر الذي يجعل من الاهتمام بالأسرة، وطفولة الأسرة، من المجالات القروية إلى المجالات الحضرية، ومن أزمنة العادي إلى أزمنة الاستثناء – زمن كورونا نموذجا -، محطة أساسية لتفادي اضطرابات القيم داخل المجتمع.

ومع ذلك كله، يعتبر الرابح الأكبر من الزمن المعاصر "المُكَوْرن"، زمن الكوفيد19، هو العودة للأسرة النووية وما تطلع به من دور مهم في التنشئة الاجتماعية للطفولة، لكن أظن أنها عودة ملغومة بمتلازمة الافتراضي والبروز القوي "للتكنو- الاجتماعي" في سيرورة اليومي، خصوصا أن "الكل الأسري" يرى - آنا- في عالم التقننة طريق الخلاص من رتق الانغلاق و"الأسْر" في حديدية الأربع جدران؛ وهو ما قد يجعل من الطفل – خاصة في الوسط الحضري – أسيراً، أكثر مما كان سابقا، لعوالم الافتراضي، وما قد ينتج عنه بعداً من تحولات قيمية واجتماعية في الواقع المعيش. لكن الأقرب إلى "الما- ينبغي أن يكون" هو ضرورة استثمار هذه اللحظات "الحميمية" سوسيولوجياً لملامسة الخيط الناظم بين الطفل وأوليائه لإعادة ترتيب أوراق التنشئة الاجتماعية قيمياً من جهة، ومحاولة استئصال كل ما من شأنه التأثير في المسار المتعارف عليه تربوياً[73]..

**طفولة المدرسة وسؤال القيم:**

لعل المتتبع للسياق التربوي يلحظ أن المدرسة المغربية تهدف - مِن خلال تنويع أنشطتها - إلى تأهيل الطفل المتعلم لبناءِ شخصيته بناءً متوازنًا ومتكاملًا من الناحية المعرفية، والمهارية، والوجدانية، في أفق بناءِ وترسيخ القيم الإنسانية لديه؛ وهي وظيفة من الخطورة بمكان، باعتبار موضوعها ومحورها هو الطفل، الإنسان. فامتلاك الطفل المتمدرس لمفاهيم ومعارف صحيحة من خلال "مروره بخبرات تربوية تعليمية متعددة" تعتبر "دليلا على مستوى تطور منظومة القيم لديه"[74].

فداخل أسوار الحرم المدرسي، تكون عملية نقل القيم إلى الأطفال المتمدرسين مهمة ومكثفة، حيث يستوعبون ما هو قيمي في قالب ما هو تعليمي ومعرفي عبر مواقف تواصلية وبيداغوجية دالة. فرسم مربع تتوسطه نجمة، ومطالبة

---

[72] بورقية رحمة ، الحس المدني والقيم والتربية، ضمن أعمال ندوة المجلس الأعلى للتربية والتكوين حول «المدرسة والسلوك المدني»، المغرب، 2007، ص.ص 41-42

[73] الهبطي مصطفى، طفولة الوسط القروي في زمن كورونا كوفيد19: مقاربة تربوية إمبريقية، بحث سوسيوتربوي داخل بيت العائلة التربوية م.ر.ط.ش، المغرب، 2020

[74] الصمدي خالد، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو، الطبعة الأولى، الرباط، 2008، ص.94

المتعلمين(ات) بتلوينه بالأخضر والأحمر، في السياق المغربي مثلا، كناية على التربية على قيم المواطنة؛ واستصدار نص قرائي في المستوى الثاني ابتدائي نموذجا بعنوان "نظافة عماد"، ومضمون يحيل على تواترية تقليم الأظافر وغسل شعر الرأس واستبدال الملابس الداخلية، يحيل على قيم الطهارة والتطهر... غير أن لسان الحال والمآل يشير أن تلك القيم في شموليتها لا تبقى حبيسة "الركح المدرسي"، بل تخضع لثنائية التطوير والتغيير باستمرار في سياق حضور متدخلين آخرين في مسلسل التنشئة الاجتماعية، سواء ارتبط الأمر بوسائل الإعلام، أو الفنون، أو الثقافة والمثاقفة[75]، أو الدين، أو الخبرات الشخصية للطفل.

وهكذا تشكل تربية الطفل على القيم مكوناً مُهيكلا لبنية وظائف المدرسة، ولا سيما وظيفتها المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية والتعليم والتثقيف، عن طريق الممارسة والقدوة التي نلمسها في المدرّس أو المدرّسة حينا، ثم في القرين حينا آخر. ذلك أن المدرسة فاعل اجتماعي وثقافي وقيمي أيضا، فهي إحدى آليات الإدماج الاجتماعي والثقافي للأطفال المتعلمين، وتقوية الروابط الاجتماعية وتحقيق تماسك المجتمع، إلى جانب كونها تشكّل أحد مداخل وأركان المنهاج الدراسي الهادف إلى تشرّب القيم والتشبع بها، والتمكن من اللغات والمعارف والكفايات المرتبطة بها.

غير أن ما يُلاحظ على المستوى الأمبريقي يجعل المتتبع للطفولة في الحقل المدرسي يقر بصعوبة الاشتغال على التربية على القيم في السياق المدرسي ومع شريحة طفولية بامتياز، نظرا لغياب أجندة تكوينية تؤهل القائم بفعل التربية، على هكذا قيم لهكذا شريحة مجتمعية، للقيام بهذه المهمة الصعبة في غلاف زمني يطلق عليه "موسم تربوي" (سنة دراسية واحدة). الأمر الذي يجعل – ربما – من عمليات الانشغال بغرس القيم وتنشئة الطفل عليها مهمة تلفّها صعوبة التنزيل، خاصة إذا استحضرنا متطلبات العملية التربوية القيمية التي تحتاج إلى متابعة وتخطيط محكم، وطول نفس، مع صعوبات في تقويم النتائج، على خلاف المعارف والمهارات التي يسهل بناؤها وتتبعها وتقويمها.

غير أن اعتبار قيم الطفولة في التربة المدرسية، كمعايير عقلية ووجدانية، تستند إلى مرجعية ثقافية حضارية، ينبغي أن يمكّن صاحبها من الاختيار، كما يؤشر على ذلك السياق الموسوم بالتربوي، بإرادة حرة وواعية، وبصورة متكررة نشاطاً تربوياً إنسانياً يتسق ويتناسق فيه الفكر والقول والفعل، بل ويرجحه على ما عداه من أنشطة أخرى متاحة؛ فيستغرق فيه، ويسعد به، ويحتمل فيه ومن أجله أكثر مما يحتمل في غيره، دون انتظار لمنفعة ذاتية[76]... تماما كما هو الشأن في قيم التعايش والعدل والحرية المرغوب فيها مجتمعياً، مهما اختلفت المواقع التربوية والمعتقداتية والأسرية. غير أن ذروة سنام الاختلاف تكمن هاهنا: في مفهوم الحرية، حيث يستند كل طفل متمدرس - بحريته وأريحيته - إلى مرجعيته في تحديد مفهوم القيمة، مما يؤهلنا مرة أخرى - ربما - للقول بأنه ينبغي أن تكون المرجعيات المجتمعية مصدر تأصيل للمنظومة القيمية المدرسية، بل وللمفهوم الذي تعطيه لكل قيمة من قيم المنظومة، فتقرّ من خلال ذلك بالاختلاف،

[75] Cuche (D.), La notion de culture dans les sciences humaines, Edition la découverte, Paris, 1996, p.53
[76] عبد الحليم أحمد مهدي، تعليم القيم فريضة غائبة في نظم التعليم، مجلة المسلم المعاصر، جمعية المسلم المعاصر، عدد 65-66، مصر، غشت 1992

وتحترم الخصوصانية الحضارية والثقافية؛ وفي سياق هذا الإقرار والاحترام، تتم المأسسة التي يتوقع أن تنتهي بتثبيت المفهوم المعتمد لقيمة معينة وقبوله ثم نشره[77].

وقد حاولت أحد المؤسسات المشرفة على المدرسة في التربة المغربية (المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي) الاجتهاد في رسم قيم مدرسية عبر تأكيدها على المسؤولية المتقاسمة للتربية على القيم بالمدرسة، إلى جانب باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية ذات الصلة بالتربية والتثقيف والتأطير. في ذات السياق، أوصى هذا المجلس ببلورة إطار مرجعي لمنظومة القيم المدرسية، التي يتعين استهدافها في برامج وأنشطة التربية القيمية، استنادا إلى المرجعيات الاجتماعية والثقافية والتعاقدية والتشريعية الأساسية للمجتمع المغربي، ولاسيما الدستور باعتباره أقوى وثيقة متوافق عليها اجتماعيا، والاتفاقيات الدولية التي صادق عليها المغرب، والمواثيق والعهود الدولية المتعلقة بالحقوق المصرح بها للطفل والمرأة والإنسان بوجه عام. ويحدد هذا الإطار المرجعي نسق الحقوق والواجبات المتعلقة بالأطفال المتمدرسين والفاعلين(ات) التربويين(ات)، حيث تمت محاولة حصر قيم المجال المدرسي في رباعية[78]: قيم الانتماء الديني والوطني، قيم المواطنة المحلية، قيم المحافظة على البيئة وتنميتها المستدامة، تماشيا مع المبادئ والتوجهات العامة للاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة، خصوصا اعتبارها تنمية العنصر البشري والتماسك الاجتماعي إحدى الدعامات الأربع الأساسية للتنمية، إلى جانب تقوية التنافسية الاقتصادية، والمقاربة النسقية للإشكاليات البيئية، وتأمين تنمية مناسبة للخصوصيات الثقافية، وأخيرا قيم البيئة المدرسية من قبيل الاعتزاز بالانتماء لمجتمع المدرسة والانخراط الفعال في تنميته.

فقيَم الطفولة في التربة المدرسية، إذن، فضاء رامز وطقوسي، وتمثل معملا دلاليا واسعا ترتبط به العديد من التلفيظات والمصطلحات والمفاهيم الأخرى (قيمة القيم، المفهوم، المرجعيات، المؤشرات والدلالة...)، وبالتالي فهي تخضع لشروط وعوامل في المعنى والمبنى جغرافية مجتمعية، اقتصادية سياسية قبل الحكم عليها بالانتماء لدائرة القيم المدرسية وبعده، على اعتبار أن هذا التوصيف لا يتم إلا على شكل سيرورة مندمجة في المكان والزمان التربوي التنشئوي، قد لا تختلف عن المعنى الاصطلاحي للمنحوت اليوناني للكلمة Value، لكنها تأخذ منحى نسقيا تحدده آليات ضبط ومعايير عقل جمعي في بيئة عهد لها المجتمع بالتنشئة وتربية أطفال اليوم، رجال الغد، وفق فلسفة إيديولوجية. ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه منذ دائما: إلى أي حد نلمس ونتلمس توافقا بين قيم المدرسة، التي تعمل هذه الأخيرة على تمريرها وتقعيدها لدى الأطفال من جهة، وقيم المجتمع حسب ما يؤشر عليها الواقع الاجتماعي خارج أسوار المدرسة من جهة أخرى، خاصة في زمن الاستثناء "الكُورُونِي"؟

**مفتاح طفولة زمن الاستثناء "الكُورُونِي":**

---

[77] Lovat (T.) & Toomey (R.), Values Education and Quality Teaching,The Double Helix Effect, Springer Dordrecht, The Netherlands, 2009, pp.1-11

[78] المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، تقرير التربية على القيم في المنظومة الوطنية للتربية والتكوين، رقم2017/01، الرباط، يناير 2017

... لكون الزمن الراهن، زمن كورونا الفيروس 19، وعالميته تعدت حدود المتعارف عليه في هكذا أمراض وفيروسات، وخسائره تجاوزت إصدارات المتوقع، وقراراته وصلت ونُفذت في العديد من بقاع العالم بأنواعه، الثالث والثاني والمتقدم، فإن المتتبع له يرصد أن تبعات كل ذلك انعكست وتنعكس في السجل اليومي للمجتمعات، وهو ما جعل من هذه الأخيرة عجينة (Plasticine) لتكييف كذا وكذا سلوكات اجتماعية مع واقع زمن الجائحة، واتخاذ تدابير قد تسهم في مواجهة الداء والحد من الوباء؛ ومن بين تلك التدابير نجد "الحجرالصحي" والتقليل لدرجة المنع من الخروج من البيت إلا للضرورة.

ولكون الطفولة مرحلة من حياة الإنسان، ولكون الطفل عنصر من عناصر المجتمع فإنه حتما يخضع - كما نخضع جميعا - لهكذا حجر صحي وهكذا قرارات، بالتزامه رفقة أسرته - أو أوليائه - بالبيت، وهو ما يجعلنا نتساءل آناً عن سيرورة اليومي عند الطفل في الزمن الاستثنائي الكوروني، خصوصا أن الأبجديات الاجتماعية تؤكد أنه رجل الغد، وأي تأثير أو تأثر في يومية الأطفال سينعكس حتما على المجتمع ككل إن عاجلا أم آجلا.

وفي خضمّ البحث في المتاح آناً للطفولة المغربية تحديدا، يمكن أن نميّز مبدئيا بين "ال- في" السجل القروي ونظيره الحضري؛ فإذا كانت ممكنات الأول تكاد لا تختلف نسبيا عن الوضع ما قبل الكوفيد19، من لعب في "حوش الدار" ومداعبة وملاعبة الحيوانات الأليفة، وذهاب إلى الحقل والمرعى والساقية لقضاء المآرب، مع تسجيل "شبه قطيعة" مع الأم الثانية، المدرسة، في المجالات القروية التي تفتقر لخدمات ووسائل التقننة بغرض التعليم عن بعد، أو تفتقر أحيانا للوعي بأهمية توظيفها، مع التأشير على استثناءات هنا وهناك، فإن الطفل في السجل الحضري يشهد جمودا في الواقع وحركية منقطعة النظير في الافتراضي بتفاوتات مختلفة تبعاً لأجندة "تعبئة الرصيد" وممكنات الإبحار في عالم النت. وهكذا يتوزع اليومي عند الطفل في الوسط الحضري في زمن الجائحة بين الحاجيات الفيزيولوجية – تماما كالقروي - من مأكل ومشرب ونوم، ودراسة عن بعد - إن توفرت الإمكانات - عبر الفضاء الأخضر (Wathsapp) أو الأزرق (Facebook)، أو مختلف ممكنات شبكات التواصل الاجتماعي، أو المسطحة الرسمية (Teams)، أو عبر قنوات التلفزة المدرسية والمواقع الرسمية التي أعدتها الوزارة الوصية لهذا الغرض؛ أيضا، يواصل طفل المجال الحضري تأريخه اليومي بالدردشة عن بعد - افتراضيا- مع أصدقائه ربما، واللهو بألعاب إلكترونية – قتالية أو تنافسية بالأساس- مباشرة ( Free Fire أو ما شابهها) أو غير مباشرة (ألعاب PlayStation أو PSP وغيرها) في حالة توفرها؛ طبعا دون أن ننسى "استمتاع" الطفل ببرامج التلفزة عبر الساتل من رسوم متحركة أو أفلام أو مسلسلات..

ومن جملة ما يمكن الاستنجاد به في هكذا حالات نجد اللعب المباشر مع الأطفال بألعاب "داخلية" كما يسميها المتن التنشيطي عند الجمعيات السوسيوثقافية، وهي ألعاب تختزن تنشيطاً وترفيهاً، لكنه هادف بالأساس لكونه يتضمن تقاسم معارف أو مهارات أو مواقف وقيم أيضا؛ ومثال ذلك لعبة (بنصب اللام) "الإشاعة الكاذبة"[79] كأن يتوزع أفراد الأسرة التنشئوية (إحالة على الأسرة والعائلة البيولوجية أو الجمعية ومنخرطيها) على شكل حرف U، إن أمكن، ويقف اثنان خارج المجلس، فيهمس أحدهما للآخر جملة قصيرة من اختياره، ويطالبه بنقلها سراً – وبسرعة – بهمس في أذن

[79] هي لَعبة داخل فضاء مغلق منتقاة من المتن التنشيطي لجمعية مغرب الطفولة والتمكين (ملتقى ربيع الطفولة والشباب سابقا) - فرع ميسور

الجالس على يمين حرف U، ثم يقوم هذا الأخير بنفس الفعل وبسرعة حتى تصل إلى آخر مشارك، بعدها يُطلب من هذا الأخير أن يطلع الجميع عن فحوى ومضمون ما وصل إليه من الجملة المنقولة، ويقارن مباشرة بالمضمون الأصلي للجملة عند المشارك الأول، فيلاحظ أن هناك فرقاً كبيرا بين الأصل والفرع، ومن ثمة تستثمر اللعبة في **تمرير قيم** حول كيفية انتشار الخبر وحدوث الإشاعة الكاذبة..

أيضا من التقنيات التي يمكن الاعتماد عليها لتنشيط الأطفال نجد الأنشودة التربوية، التي تنتظم في مجموعة كلمات مذيلة بلحن ممتع[80]، ومن ثمة تجمع بين جمالية المضمون وخُلقية وقيمية المسموع ثم تذوق لحن الإيقاع؛ وهو ما يجعل من الإقبال عليها أمراً محسوساً من طرف الصغار، ولربما الكبار أيضاً. وأمثلة هذا الباب كثيرة، والذاكرة التربوية لجمعية مغرب الطفولة والتمكين (ملتقى ربيع الطفولة والشباب سابقا)[81] وشقيقاتها في الميدان الجمعوي التربوي زاخرة و"مثخنة" بما لذ وطاب أنشودياً، أستقي منها، من باب النمذجة ليس إلا، أنشودتان:

- **الأنشودة الأولى:**

مدرستي مدرستي

فيك أمي فيك أبي  فيك خلاني وأصحابي

يا أستاذي لك مني أحلى سلام

أستاذتي لك مني أحلى سلام

- **الأنشودة الثانية:**

حطت علي قطرة ندى

قالت هيا قم يا فتى

قم إلى العمل ففيه الأمل

من جد وصل للخير اهتدى

ومن عتبات ما يمكن توظيفه قيميا في هكذا أزمنة معاصرة، نستنجد بألعاب متن الموروث الثقافي التي – ربما – بدأت تتآكل وتقبع في طي النسيان، وبذلك نمارس نوعا من المصالحة مع الماضي، فتصبح مادة دسمة للتقاسم وإعادة الإحياء من جديد، خصوصا أن واقع الحال يؤكد أنها متنوعة بتنوع قيم وثقافات ومجالات المغرب الواحد؛ أيضا نجد

[80] بن رحال رضوان، محاضرات وعروض التدريب الربيعي، مديرية الشباب والثقافة والتواصل بإقليم بولمان، ميسور، 2009
[81] هي جمعية وطنية تعنى بالشأن التربوي والاجتماعي والثقافي، مقرّها المركزي يوجد بمدينة ميسور، إقليم بولمان، جهة فاس مكناس، المملكة المغربية، وتضم - لحد الآن - ما يزيد عن 97 فرعاً وطنياً بجميع جهات المملكة، غالبيتهم بالمجال القروي.

الألعاب العائلية في صورتها الحديثة من شطرنج وتركيب صور حيوانات أو فواكه أو ما شابه ذلك (Puzzle) في حالة التوفر عليها، أما في حالة العدم، فعن طريق محاولة تقطيع صور أو رسومات أو غيرها، والعمل على تركيب أجزائها الصغيرة؛ أضف إلى ذلك كله، ممكنات التحفيز على أنشطة إبراز المهارات والمواهب الفنية والتشكيلية والإبداعية عبر جلسات اكتشاف المواهب، أو شبيهاتها من جلسات الاستماع، استماع للحديث عن الذات وما يخالجها أثناء احتكاكها باليومي اليومي.. وتبقى "للحجاية" (الحكاية) مكانة متميزة في المتن التنشيطي عبر الإبحار بمخيلة الأطفال نحو عوالم اللامرئي "المحمود"، خصوصا أننا مجتمع حكّاء، يعشق الحكاية ويستمتع بمضمون أحداثها؛ ومن ثمة، يمكن لأولياء الأطفال سرد حكايات حقيقية عن ذواتهم أو أحداث خاصة بغرض استخلاص الدروس والعبر، أو حكايات من متن المتخيل المشوّق والهادف، ثم استثمار هذه أو تلك دوما وأبداً في تمرير قيم مقصودة ومحددة بعينها..

هكذا نصل أن أهم ما يمكن التأشير عليه في البدء والختام هو ضرورة إيفاء الطفولة وأبطالها ما يستحقون من العناية والاهتمام في هذه المرحلة بالذات، مرحلة الجائحة، وذلك باستثمار القرب "السوسيو- جغرافي" الذي يحتمه الحجر الصحي، "مشكورا"، للتواصل اليومي والتفاعل وممارسة **الفعل التنشيطي** أكثر فأكثر مع أطفالنا، رجال الغد، **وعدم** إقحامهم في اليوميات الرقمية لارتفاع حصيلة المصابين أو الوفيات بالكوفيد19 في هذا القطر أو ذاك، لكون ذلك ينبغي أن يخضع لنظام مراقبة شبيه - إلى حد ما - بنظام الرقابة الفنية وتوصيات تصنيف المحتوى المبرمج (فيلم، برنامج وثائقي...) لمرحلة عمرية معينة دون أخرى (مثال: يمنع مشاهدته/سماعه/الحديث عنه لأقل من سن كذا..)؛ فإلى أي حد ينجح خط الدفاع السوسيولوجي الأخير - الأسرة - في الانتصار لرجالات الغد؟ ذلك ما سيؤكده أو ينفيه مغرب 2030 أو 2040 ميلادية، ربما !

**مفتاح قيمة الاحترام:**

إذا ما حاولنا تقليص زاوية الرؤية (Zoom out) وتخصيص دائرة القيم "عامة" بالحديث عن قيمة خاصة هي قيمة الاحترام، فإن الأسئلة القبلية السالفة الذكر تنحفظ كليا بلغة الفيزياء، على أمل الإسقاط الكلي أو الجزئي في بيئة المجتمع المغربي والزمن الكُورُونِيّ "الشقي" بمختلف تلاوين يومياته. إسقاط لا يستقيم دون تعطيل (Turn off) الملكات الفطرية في التفكير والمعايشة الذاتية وتشغيل (Turn on) نظيراتها الموضوعية المخلخلة لمفهوم الاحترام أولا، ثم للراهن في التنزيل والانتقال من قيمة الاحترام إلى احترام القيم الوطنية والكونية ثانيا وأخيراً. خاصة أن جل التعاريف المرصودة حول مفهومنا المحوري، الاحترام، عبر محركات البحث الإلكترونية مثلا[82]، تشكل جانبا إيجابيا من حيث بسط تمظهرات قيمة الاحترام في هذا القطر المجتمعي وذاك من حيث رؤى وروحانيات زاوية نظر هذا الناظر/الباحث/الكاتب وذاك، لكن موازاة مع ذلك فهي تمنحنا اليقينيات في صورة "قنبلة موقوتة" معرفياً، وهذا اليقين - أظن - أنه المسؤول عن صناعة إعاقة على مستوى فهم وتنزيل قيمة الاحترام تحديدا، و"ترميقية" الاستيعاب والامتداد. فكيف نقرأ ونقرّ الوعي والفهم بقيمة الاحترام؟ وكيف نتلمس جغرافياتها في ظروف فيروس كورونا كوفيد 19؟

[82] تم الاقتصار في تجربة البحث الإلكتروني على محركات: كوكل(Google)، ياهو(Yahoo)، بينغ(Bing) وآسك(Ask)

تفاعلا مع الشق الأول من السؤال، ومن خلال السفر في البُعد المفاهيمي، يمكن تسجيل أن من بين الأعطاب التي قد تصيب البنية المفاهيمية للقيم عموما، وقيمة الاحترام حاليا على وجه الخصوص، نجد "العداوة" مع الفلسفة المؤطرة للسياق والجهل بالتاريخ الحامل لهذا السياق، فحينما نستحضر الاحترام نجد أنه ينتصر للآني ( A part of moment) في علاقة الذات بالغير، الذات بالآخر الحي وغير الحي، احترام يختصره الموروث اللغوي والثقافي في مقولة "اِحْتَرِمْ تحْتَرَم"، احترام يتطلب وجود ذات قابلة للاحترام (محترِمة) مباشرة أمام ذوات أخريات قابلة لأن تحترَم (محترَمة)، دونما اعتبار - ربما - "لفقه تنزيل" تلك القيمة وسياقاتها التأريخية، على الرغم مما تتضمنه مشتقاتها اللغوية من حرَم وحُرْمة، وحَرام مقدس وحِرْمان، وما بين طياتها من أحاسيس وانفعالات وجدانية (تقدير، عناية، التزام وحب...)، ومن استحضارٍ لثنائية الحق والواجب، ونتوءات الآخر ثقافيا ورمزياً، وقانونياً وسياسياً أيضا[83]. ومن ثمة، بقدر ما يمكن أن نُلبِسَ الاحترام شيع الفردانية في تقدير الذات للذات و تقدير الآخر لذاته بقدر ما نتشبع بامتداداته الاجتماعية الماكرو والميكرو، وهو ما يجعل من نشأة اصطلاح تقني لقيمته يترعرع بعيدا - أحياناً - عن الخماسية المتعارفة: من نحترم؟ ماذا؟ بماذا؟ كيف؟ ولماذا نحترم؟، حيث لا يصير (هذا الاصطلاح) في أحسن قراءاته وتجلياته إلا تعريفا تقنيا معطوباً، لا ينسجم بالضرورة وواقع المجتمعات التي لم ينشأ فيها ولم يحدث من أجلها، ومثال ذلك احترام عامل النظافة أو المرأة نموذجاً في العديد من الأقطار المجتمعية العربية والغربية.

مظهر آخر من مظاهر قيمة الاحترام نلمسه سوسيولوجياً بشكل صارخ في مجتمعات النذرة (المجالات القروية تحديدا)، في احترام الابن لأبيه والأخ لأخيه الأكبر، واحترام "شيئيات" النذرة ذاتها، لكن إشعاعات هذه القيمة - قيمة الاحترام- خارج أسوار القروياتية قد تحتمل نوعا من "الفبركة" بتلاوين درجات متفاوتة حسب الإناء الجغرافياتي والاجتماعي الذي توجد فيه، حيث لا تبقى حبيسة العضوية في الأسرة النووية أو الممتدة في هكذا مجالات، بل تتعداها إلى احترام الرمزي في طقوسه الاعتقادية أو الثقافية أو الأخلاقية أوالقانونية. ومن ثمة، نتلمس معالم تنزيل الذات لقيمة الاحترام نحو ذاتها أصلا، و/أو نحو العائلة بدءاً بالوالدين، و/أو نحو أهل العلم بدءاً بالمدرس، و/أو نحو الشخص الآخر خاصة كبار وصغار السن، و/أو نحو البيئة بمكوناتها النباتية والحيوانية والجمادية، و/أو نحو المعتقد الديني والعاداتي، و/أو نحو السلطة الرمزية للدولة، القانون، المسؤول والمجتمع...؛ خلاصة القول احترام الذات والآخر، واستحضار تاء التأنيث في كل ما قيل آنفاً، مع التأشير أن الاحترام كقيمة يلعب - هنا وهناك - وظيفة "المايسترو" الذي ينظم نسقية الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي، وبالتالي فهو يخضع بدوره لثنائية المدخلات والمخرجات، حيث تحضر التنشئة الاجتماعية عقيقته عبر مؤسساتها المختلفة، فترافقه وتسقي وتؤطر يومياته لحظة بلحظة.

وحيث أن باب قيمة الاحترام موسوم بالتعددية على مستوى التكوين والتأهيل، فإن الإنسانية اختلفت وتختلف حتماً على مستوى التنزيل، ومن ثمة يمكن الحديث عن محترم (بكسر الراء حيناً وفتحها حيناً) بدرجات وعتبات متفاوتة. في هذا المضمار، قد نقرأ قيمة الاحترام في أبهى صورها الإيجابية، تماما كما قد نصادف سلبياً غيابها الذي قد يحيل على

[83] Melchior (M.), Valeurs humaines: essai, sur le chemin d'une éthique quotidienne, Éditions Persée, France, 2014, p.47

أن هناك هروبا اضطراريا أو مقنَّعا من واقع ما، واقع "معاناة" عبر إحساس سيكوسوسيولوجي مصحوب بانفعال صادم يترك ألما عميقا على الذات المتصفة به، و ألما مضاعفاً ينعكس - ربما - على الآخر الموجَّه إليه[84]؛ وبالتالي يبدو أن "انمحاء" قيمة الاحترام، أو تراجعها إلى الخلف والدونية، فيه نوع من عدم الرضى والقبول بالتفاعل والتواصل مع الآخر في إشارة إلى الرفض و"الانسلاخ" من جلدة المجتمع..

**.. من قيمة الاحترام إلى احترام القيم**

بعد رحلة "المسح الطبوغرافي" للمفاهيم المفاتيح في مقالتنا هذه، القيم والطفولة، وصلنا الآن لبيت القصيد، حيث نسائل قيمة الاحترام من مدخل جغرافيات اليومي في الزمن الراهن، زمن كورونا الفيروس، وعتبات الانتقال من قيمة الاحترام إلى احترام القيم؛ خاصة أن سجل اليومي لكوفيد19 يعكس حدوداً متقلبة في شتى الأبعاد والمستويات الاجتماعية والاقتصادية، الثقافية والسياسية.. فعالميته تعدت حدود المتعارف عليه في هكذا أمراض وفيروسات، وخسائره تجاوزت إصدارات المتوقع، لدرجة يمكن وصفه بالعاكس (Reflector) لقيمة الاحترام عبر نماذج ضاجة بالمعاني والتبريرات، مظاهر وتبريرات تزاوج بين الحدية والمطلق. وأول هذه المظاهر نشهده في **احترام** المنتظم الأممي لشعوبه بقرارات أصدِرت و"نُفذت" في العديد من بقاع العالم بأنواعه، الثالث والثاني والمتقدم[85]، عبر إعلان الفيروس جائحة عالمية ترقى إلى مستوى التهديدات الخطيرة، وبالتالي النصح بأخذ الحيطة والحذر، **واحترام** الذات عبر نظافة أطراف المبدن والملبس والمأكل، ثم **احترام** الآخر عبر الحفاظ على "مسافات الأمان"؛ تلته قرارات الدولة الأم – مغربياً مثلا - عبر **احترام** مواطنيها بتقنين (من القوانين) كذا وكذا سلوكات إدارية واجتماعية مع واقع زمن الجائحة، واتخاذ تدابير قد تسهم في مواجهة الداء والحد من الوباء؛ ومن بين تلك التدابير نجد إلغاء الرحلات الجوية والبحرية، وإغلاق الحدود البرية لمحاصرة الفيروس، وإصدار قرارات[86] بتنفيذ "الحجرالصحي" داخلياً، الذي تجاوب معه المواطنون **باحترام** – إلى حد ما - من خلال التفعيل والتقليل لدرجة المنع من الخروج من البيت إلا للضرورة. وبغرض تجميع الجهود المادية، نلمس مظهراً آخر من مظاهر قيمة **احترام** قيم المواطنة والتضامن، والتعاون والتآزر، عبر إحداث صندوق دعم خاص بالجائحة اقترحته ودشنته أعلى سلطة في البلاد، ثم تلته مظاهر لنفس القيمة من زوايا متعددة بضخ مساهمات فئات عريضة من المجتمع المغربي في ذات الصندوق، وانخراط عفوي لجانب من جمعيات المجتمع المدني[87] في عمليات التحسيس والتوعية والتنظيف، خاصة في بعض المواقع والطرقات التي تعرف حركية واكتظاظ لأفراد المجتمع، ثم تفعيل قوافل تضامنية، رفقة جماعات ترابية أحياناً، عبر توزيع مواد غذائية على عَينة/عينات من المنتمين لعتبات الفقر

---

[84] Chataigné (C.), Psychologie des valeurs, Editions De Boeck, 1ére édition, Belgique, 2014, p.11

[85] قرارات الأمم المتحدة، منظمة الصحة العالمية، الجمعية العامة، منظمة الأغذية والزراعة... حول اعتبار الفيروس جائحة عالمية

[86] مرسوم بقانون رقم 2.20.292 صادر في 28 من رجب 1441 ) 23 مارس 2020 الخاص بسن أحكام خاصة بحالة الطوارئ الصحية بالمملكة المغربية وإجراءات الإعلان عنها، ومرسوم رقم 2.20.293 صادر في 29 من رجب 1441 (24 مارس 2020) المرتبط بإعلان حالة الطوارئ الصحية بسائر أرجاء التراب الوطني لمواجهة تفشي فيروس كورونا - كوفيد 19، وما تلاهما من قوانين ومذكرات تنظيمية مواكبة للجائحة

[87] الجمعية الوطنية مغرب الطفولة والتمكين نموذجاً وشقيقاتها في العمل التطوعي المواكب لزمن الجائحة

والهشاشة. وتربوياً، تم **احترام** الطفولة والشباب عبر ضمان مواصلة عملية التعليم عن بعد[88] بإحداث منصات ومسطحات رقمية للتدريس، **واحترام** الفئات المحرومة إلكترونيا من الشبكة العنكبوتية، خاصة بالمجالات القروية، بتسخير قنوات تلفزية لبث دروس تعليمية فيما سمي ب"التلفزة المدرسية"؛ كما تمت مواصلة تنزيل قيمة **الاحترام** تلك بتشجيع البحث العلمي بموارد مالية مهمة عبر إصدار مذكرة لاقتراح مشاريع علمية تكشف عن الجائحة وتقترح حلولا لها. كما واصلت الدولة **احترامها** لأفراد المجتمع عبر مواكبة الجائحة بشكل يومي من خلال إصدار تقارير يومية تكشف عن حالات المرض/الفيروس بالأرقام حسب عدد المصابين فعلا وعدد الحالات المستبعدة وكذا عدد الذين وافتهم المنية، بل أحدثت منصة رقمية لذلك أيضا[89]. **واحتراماً** دائماً للمواطن الذي أفقدته الجائحة عمله – بشكل أو بآخر – فأفقدته أجرته، قامت الدولة **باحترام** أسر هذه الفئة عبر دعمهم ماديا بمبالغ متفاوتة حسب الوضعية السوسيواقتصادية لهذا وذاك، مثلما تم **احترامهم** عبر التسريع في هذه العملية. أفراد المجتمع المغربي من جهتهم حاولوا التجاوب بإيجابية – إلى حد ما - مع الوضع الذي يفرضه الزمن الكوروني، فقاموا **باحترام** ذواتهم عبر الإنفاق من مدخراتهم، والخروج من صخب المدنية إلى "كهوف" العزلة، ثم عبر منعها عن بعض الطقوس التي كانت توصف بالاعتيادية في زمن "الما- قبل"، سواء من قبيل التجول في الساحات العمومية، أو عبر التبضع لساعات طوال، أو من خلال ارتياد محلات الوجبات والأكلات الخفيفة والسريعة...؛ مثلما واصلوا تفعيل **احترام** الذات والآخر بارتداء "لثام اليوم" (الكمامة) لمضاعفة مُعامل حماية هذا وذاك، واحترام "مسافات الأمان" أثناء عملية التبضع بمستلزمات المأكل والمشرب وغيرهما، وكذا **احترام** الإله عبر القيام بمناسك المعتقد الديني داخل البيوت الأسرية أو بيوت الله "بِشُروط"، وبالتالي الانتقال من مسجد لكل حي أو مجمع سكني إلى مساجد داخل البيوت الشخصية، ومن إمام لكل مسجد إلى أئمة داخل الأسر والعائلات، خاصة في فترة الشهر الفضيل، رمضان. ومن رحم يوميات الجائحة، يُسجل أيضاً تنامي ملحوظ في **احترام** بعض المهن، خاصة مهن الصفوف الأمامية في مواجهة كورونا الفيروس، من قبيل: الطبيب والممرض، عامل النظافة، الأستاذ والعالم، البقال والخضار والجزار، ورجال الأمن بمختلف ألوانهم ورتبهم...، مع استحضار تاء التأنيث مرة أخرى في جميع المهن المذكورة وغير المذكورة. وداخل الأسرة النووية، نتلمس خيوط **احترام** الأم أو الزوجة عبر مساعدتها في أعمال المنزل، **واحترام** رب الأسرة، الأب أو الولي، عبر الاستحضار بوعي تام كدّه وجهده لتوفير أسباب الحصول على دراهم لقمة العيش في عمله اليومي، ثم **احترام** المسنّ ومحله من "إعراب التناسي والإهمال" من خلال الاستيقاظ من سبات التثاؤب، والإحساس تلو الإحساس ب"حجره" اليومياتي داخل أسوار هذا البيت وذاك في زمن "الما- دون" كورونا. نفس الأسر النووية، يلاحظ أن ظروف الجائحة أحيت فيها كفايات تواصلية عبر **احترام** أطفالها وشبابها بالتفاعل وتنشيط النقاش اليومي في أفق استثماره وتمرير كذا وكذا قيم.

---

[88] نسخ من المذكرات والبلاغات الرسمية للتدبير الاستثنائي للاستمرارية البيداغوجية في فترة الجائحة توجد في الموقع الرسمي لوزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة www.men.gov.ma

[89] أطلقت وزارة الصحة المغربية بوابة رسمية www.covidmaroc.ma تضم جميع القراءات الرقمية لفيروس كورونا كوفيد 19 بالمغرب، ابتداء من يوم 18 مارس 2020

لكن أمام هذه العنقوديات والخوارزميات من يوميات قيمة الاحترام في الزمن الكوروني، ورغم كل ما قيل، يمكن التأشير على مظاهر فتية أو "شيبانية" موازية "لِلاّ- احترام"، أو قلة الاحترام، وبدرجات متفاوتة؛ حيث نرصد كما رصدت القنوات "المتلفزة" عدم امتثال بعض أفراد المجتمع لمِحكّ "الحجر الصحي"، وخروجهم عن المألوف صحياً، بالتظاهر علناً ضد تنفيذ "الحجر"، ثم بعدم ارتداء كمامات "اللثام" الواقي وما بين هذا وذاك من عدم احترام مسافات الأمان والنصائح الاعتيادية للنظافة.. وعلى مستوى الطفولة، يُسجل "إقبار" أحلامها الدافئة المتمركزة حول "أمن وأمان الإنسان" وصراع الخير والشر، واحتلالها الصف ما قبل الأخير على مستوى تفعيل التنشيط اليومي والترفيه الموسمي لها لكي تنسى أو تتناسى "الساحر القاتل" كورونا على الأقل. وفي خضمّ البحث في المتاح آناً للطفولة المغربية، وارتباطا بتراجع أو انعدام قيمة الاحترام، يُلاحظ ظهور "مفبرك ومحتشم" للتوجيه المدرسي المناسب وغير المناسب للمقبلين(ات) منهم(هن) على هذه العملية في المستويات الدراسية الإشهادية، وهو ما قد يسائل"المشاريع الشخصية" الحاضرة الغائبة للطفولة عموماً، وللمدرسين والممدرسات والموجّهين والموجّهات خصوصاً؛ كما يتم الوقوف في المشهد القروياتي تحديداً على "شبه قطيعة" مع الأم الثانية، المدرسة، في هكذا مجالات حيث تصبح البادية "غير بادية" تماما كما أشّر عليها ملقبوها، إذ ينتفي في جغرافيات كثيرة منها ما يحضر "بكرامة" في غيرها؛ ومن ثمة نتلمس، من جديد، خصوصية "انمحاء" الاحترام بقلة أو انعدام خدمات ووسائل التقننة بغرض التعليم عن بعد، وتعويضها – أحياناً - بالورقي "المحرم" صحياً، أو الافتقار أحيانا أخرى إلى الوعي بأهمية توظيف هذه وتلك. وبقدر ما أشاد ويشيد "الكل" الاجتماعي بمكانة وقيمة مهن الصفوف الأمامية، من صحة وتعليم ونظافة وأمن، ومن منطلق أن "التفكير في سوسيولوجيا الحياة اليومية يرتهن إلى مقاربة ترنو إلى تفكيك منطق الخلل في مختلف الديناميات المجتمعية، بما هي بحث مستمر عن المعنى، واشتغال مختلف جذور العطب القديم"[90]، يُسجل في ذات الآن غياب قيمة الاحترام لتلك الفئة من المهنيين بعدم الإقرار الرسمي - لحد الآن على الأقل- باعتلاء أجورها وتعويضاتها مراتب الصفوف الأمامية تماماً كما هو الحال بأماميتها في مواجهة الداء الوباء، وبالتالي تحويل الاحترام من "قصوره العاجية" المُرصّعة بالقول فقط إلى دائرة الفعل والتفعيل..

**في الاحترام كل القيم..**

على إيقاع طبول الحرب النفسية والاجتماعية للطفولة، كورونا المعاصرة ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، والمسلسل القيمي في يومياتها لا يعدو أن يكون "تقويماً تشخيصياً" لجملة من القيم الوطنية والكونية في التربة المغربية، وعلى رأسها الاحترام، احترام الذات والآخر؛ لكن الأكيد الأكيد أن هذا الوحش "المُكوْرَن" الحاضر الغائب، الظاهر الباطن، الذي جعل البشرية - بغثة - تغدو مطأطئة الرؤوس و"مكبلة" الأيدي والأفكار، الذي اجتاحها من داخل الحدود فأغلقها، ومن داخل المدن فقطع أوصالها، ومن داخل البيوت والمقربين فباعد بينهم بمجرد "تماس تحية واستئناس"، لن يكون سوى سحابة عابرة في تاريخ الأمة المغربية – والإنسانية - إذا ما تم استثمار لحظاته في تعزيز كذا وكذا قيم. لكن الخوف كل الخوف أن يرنو تنزيل قيمة الاحترام تحديداً في زمن الكوفيد19 الاستثنائي إلى إنتاج "وعي مُعلّب" لهذه القيمة، فيتحول انشغال أصحابها من "صلحاء" عن قناعة فكرية وسلوكية بها إلى "صلحاء" بقوة الأشياء وموسمية تأريخ اليوميات

[90] العطري عبد الرحيم، سوسيولوجيا الحياة اليومية: الرمزي أفقا للتفكير، مطبعة وراقة بلال، الرباط، 2018، (صفحة الغلاف)

لحصد عدد معدود من "اللايكات" والإعجابات؛ آنئذ لن تكون هناك **قيمـــــة لقيمة الاحترام** أصلا بقدر ما يكون المصبّ والغاية هو الاشتغال على **العقليـــــات "المُتــأقْــيِــمَة"** بها (أي المتظاهرة بقيمة الاحترام). إلى ذلكم الحين أقول: "احترم، احترم"، ليس فقط لكي تُحترم كما المُشاع، ولكن **"احْتَرِمْ، لِأَنَّ فِي الاِحْتِرَامِ الاِحْتِرَامِ.. كُلّ القِيَم"**.

## المراجع العربية:


- ✓ **ابن منظور** محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، الجزء 12، بيروت، نسخة 2003؛
- ✓ **الجابري** محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي: دراســة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي، الطبعة السادسة، بيروت، 2014؛
- ✓ **الجوهري** إسماعيل بن حماد، الصّحاح، الجذر (ق – و – م)، الجزء الخامس، بيروت، 1999؛
- ✓ **الجمعية العامة** للأمم المتحدة، اتفاقية حقوق الطفل، المادة 49، 1989؛
- ✓ **الصمدي** خالد، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو، الطبعة الأولى، الرباط، 2008؛
- ✓ **العطري** عبد الرحيم، سوسيولوجيا الحياة اليومية: الرمزي أفقا للتفكير، مطبعة وراقة بلال، الرباط، 2018؛
- ✓ **العوا** عادل، "قضايا القيم" في الفكر العربي الإسلامي: الأصول والمبادئ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987؛
- ✓ **المجلس الأعلى** للتربية والتكوين والبحث العلمي، تقرير التربية على القيم في المنظومة الوطنية للتربية والتكوين، رقم2017/01، الرباط، يناير 2017؛
- ✓ **المنجرة** المهدي ، قيمة القيم، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 2007؛
- ✓ **بورقية** رحمة ، الحس المدني والقيم والتربية، ضمن أعمال ندوة المجلس الأعلى للتربية والتكوين حول «المدرسة والسلوك المدني»، المغرب، 2007؛
- ✓ **عبد الحليم** أحمد مهدي، تعليم القيم فريضة غائبة في نظم التعليم، مجلة المسلم المعاصر، جمعية المسلم المعاصر، عدد 65-66، مصر، غشت 1992؛
- ✓ **فرويد** سيغموند، ترجمة سامي محمد علي، الموجز في التحليل النفسي، مكتبة الأسرة، الأسكندرية، 2000؛
- ✓ **كامل** محمد عويضة، دراسة علمية بين علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1996؛
- ✓ **معتز** سيد عبدا لله وعبد اللطيف محمد خليفة، علم النفس الاجتماعي، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2001؛
- ✓ **نيلر** جورج (Kneller G.)، فى فلسفة التربية، ترجمة محمد منير موسى وآخرون، عالم الكتب، القاهرة، 1972


## المراجع الأجنبية:


- ➢ **CHARLES** (M.), Kierkegaard, atmosphère d'angoisse et de passion, L'Harmattan, Paris, 2007;
- ➢ **Chataigné** (C.), Psychologie des valeurs, Editions De Boeck, 1ére édition, Belgique, 2014;
- ➢ **Cuche** (D.), La notion de culture dans les sciences humaines, Edition la découverte, Paris, 1996;
- ➢ **DENGLOS** (G.), La création de valeur : modèles, mesure, diagnostic, Dunod, Paris, 2003;
- ➢ **GARNIER** (P.) & RAYNA (S.), Recherches avec les jeunes enfants: perspectives internationales, Peter Lang, Bruxelles, 2017;
- ➢ **Halstead** (J.) & Taylor (M.), Values in education and education in values, Falmer Press, London, 1996;

- **Lovat** (T.) & **Toomey** (R.), Values Education and Quality Teaching,The Double Helix Effect, Springer Dordrecht, The Netherlands, 2009;
- **Maslow** (A.H.), Motivation and Personality, NY Harper & Row Publishers, New York, 1954;
- **Melchior** (M.), Valeurs humaines: essai, sur le chemin d'une éthique quotidienne, Éditions Persée, France, 2014 ;
- **SIROTA** (R.) (dir.), Éléments pour une sociologie de l'enfance, Presses universitaires de Rennes, Rennes, 2006.

# استغلال الدرجات النهرية السفلى بواد زلتن تبعا لطبيعة الدينامية الحالية عند عالية واد القصب بالأطلس الكبير الغربي

# The exploitation of the lower fluvial terraces of the Zaltan wadi is influenced by the dynamics of the currents at the upper wadi Ksob in the Western High Atlas.

**عبد القادر النايري:** طالب باحث بسلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية abdelkadernairi@gmail.com

**مصطفى وادريم:** أستاذ باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية ouadrim11@gmail.com

**رشيدة المرابط:** أستاذة باحثة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية rachidaelmorabet@yahoo.fr

Laboratoire Dynamiques des Espaces et des Sociétés (LADES-URL-CNRST-12)
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Mohammedia
Université Hassan II de Casablanca, Maroc

**ملخص**

تعتبر دراسة الدرجات النهرية في إطار علاقتها بالاستعمالات الفلاحية، من أهم الأسس التي أصبحت تعتمد عليها الجغرافية الطبيعية الحديثة، فالاستعمالات الفلاحية لها تأثير كبير على هذه الدرجات، سواء من حيث المساهمة في استقرارها أو المساهمة في الرفع من حدة تعريتها. نهدف من خلال هذا المقال إلى محاولة دراسة الدرجات النهرية بمختلف الاستعمالات الفلاحية، وكذلك بالاستعمالات الغير فلاحية، حتى تتسنى لنا وضع مقارنة لحالة الدرجات النهرية بالمجالات الفلاحية وغيرها، من خلال مجموعة من المتواليات المشهدية، التي تم اختيارها.

تم اختيار ست مشاهد جغرافية ممتدة من العالية إلى السافلة على طول واد زلتن، إذ تعتبر هذه المشاهد التي تم أخذها نموذجية لدراسة استعمالات التربة بالدرجات النهرية ومقارنتها بسطوح الهضاب الكريطاسية، حيث شملت كل الاستعمالات الموجود بالحوض ككل من زراعات بورية، أشجار مثمرة، غابات، مطورال، وذلك بهدف ابراز كل الاختلافات الموجودة في استغلال الدرجات النهرية بعالية الحوض لواد القصب.

تنبني المنهجية المتبعة في دراسة هذه المشاهد الجغرافية للدرجات النهرية الحديثة لواد زلتن عند عالية الحوض النهرية لواد القصب على تحليل صور الأقمار الصناعية، للتعرف على أنواع الاستغلال بالدرجات النهرية، ثم تحليل المعطيات المستقاة من الميدان بالإضافة إلى معالجة مرئيات Google Earth لسنة 2021، التي من خلالها سنحدد المناطق المتجانسة في المجال من حيث نوعية الاستغلال.

**الكلمات المفتاح:** الاستغلال البشري - الدرجات النهرية السفلى – الدنامية الحالية - الحوض النهري لواد زلتن - الأطلس الكبير الغربي

**Summary**

The study of rain terrace levels, in the context of their relationship to agricultural uses, is considered one of the most important foundations on which modern physical geography now relies. Through this article, we aim to study the levels of rain terraces in various uses, whether agricultural or not, in order to be able to compare the state of river levels with that of agricultural fields and other elements, through a set of selected landscape sequences.

Six geographical scenes were chosen, extending from top to bottom along the Zelten wadi. These selected scenes are considered typical for studying land uses in rain-fed terraces and comparing them with the surfaces of the Cretaceous plateaus. Indeed, they encompassed all the uses present in the entire basin, including fallow land, fruit trees, forests, and landscaping, with the goal of highlighting all the differences in watercourse exploitation in the upper basin of the Ksob wadi.

The methodology used to study these geographical scenes of the modern watercourses of the Zelten wadi, in the upper watershed of the Ksob wadi, is based on the analysis of satellite images aimed at identifying the types of watercourse exploitation. Subsequently, this methodology relies on the analysis of data collected in the field, as well as the processing of Google Earth images for the year 2021. Thanks to this methodology, we will be able to identify homogeneous areas on the ground in terms of operational quality.

**Keywords:** human exploitation - lower rain terraces - current dynamics - Zelten wadi watershed - Western High Atlas.

ISSN 2569-734X

## تقديم

تتميز المشاهد الريفية بالحوض النهري لواد زلتن بكثافات سكانية ضعيفة مقارنة مع المجالات الحضرية، لكن يبقى النشاط الفلاحي أهم نشاط يتم مزاولته، إلا أنه يتسم بالتباين من منطقة إلى آخرى وذلك تبعا للخصائص الطبوغرافية ونوعية التربة والمناخ.

تعتبر الزراعات البورية وتربية الماشية بالحوض ركيزة اقتصادية أساسية على الرغم من صعوبة المجال وما يشهده من ديناميات متعددة، إلا أنها تلعب دورا أساسيا ليس فقط على مستوى كمية الإنتاج المتوفرة والمتنوعة، ولكن أيضا على مستوى استقطاب السكان خاصة بجنبات الأودية.

يتخذ الاستقرار البشري شكل تجمعات، مشكلا بذلك مجموعة من الدواوير التي تحيط بالمراكز القروية والحضرية، التي أصبحت تستغل قعور الأودية بشكل مكثف نظرا لقلة الأراضي الصالحة للزراعة، وغياب التربات الخصبة. هذا الاستغلال للمشاهد أصبح يؤثر سلبا على الأراضي الفلاحية وكذلك تدهور أتربة الدرجات النهرية، وذلك من خلال القيام بزراعات تنهك التربة، من خلال الاستعمال المفرط لأسمدة والمبيدات وكذلك صغر مساحة الملكية الفردية.

تسارعت وثيرة الاستغلال البشري بالدرجات النهرية لواد زلتن، حيث كانت الساكنة المحلية تستغل الدرجات النهرية العليا والمتوسطة، إلا أنه خلال السنوات الأخيرة أصبحت الاستغلاليات الزراعية، تتقدم تدريجيا إلى أن أصبحت أحيانا تمتد حتى داخل حدود الملك العام المائي. كل هذا جعل من الدرجات النهرية الحديثة تعرف خلال السنوات الأخيرة نوعا من الخلل البيئي بسبب كثافة وطرق الاستغلال دون مراعاة خصوصيات هذه المجالات الهشة.

خريطة رقم (1): موقع الحوض النهري لواد زلتن ضمن الحوض النهري لواد القصب بالأطلس الكبير الغربي

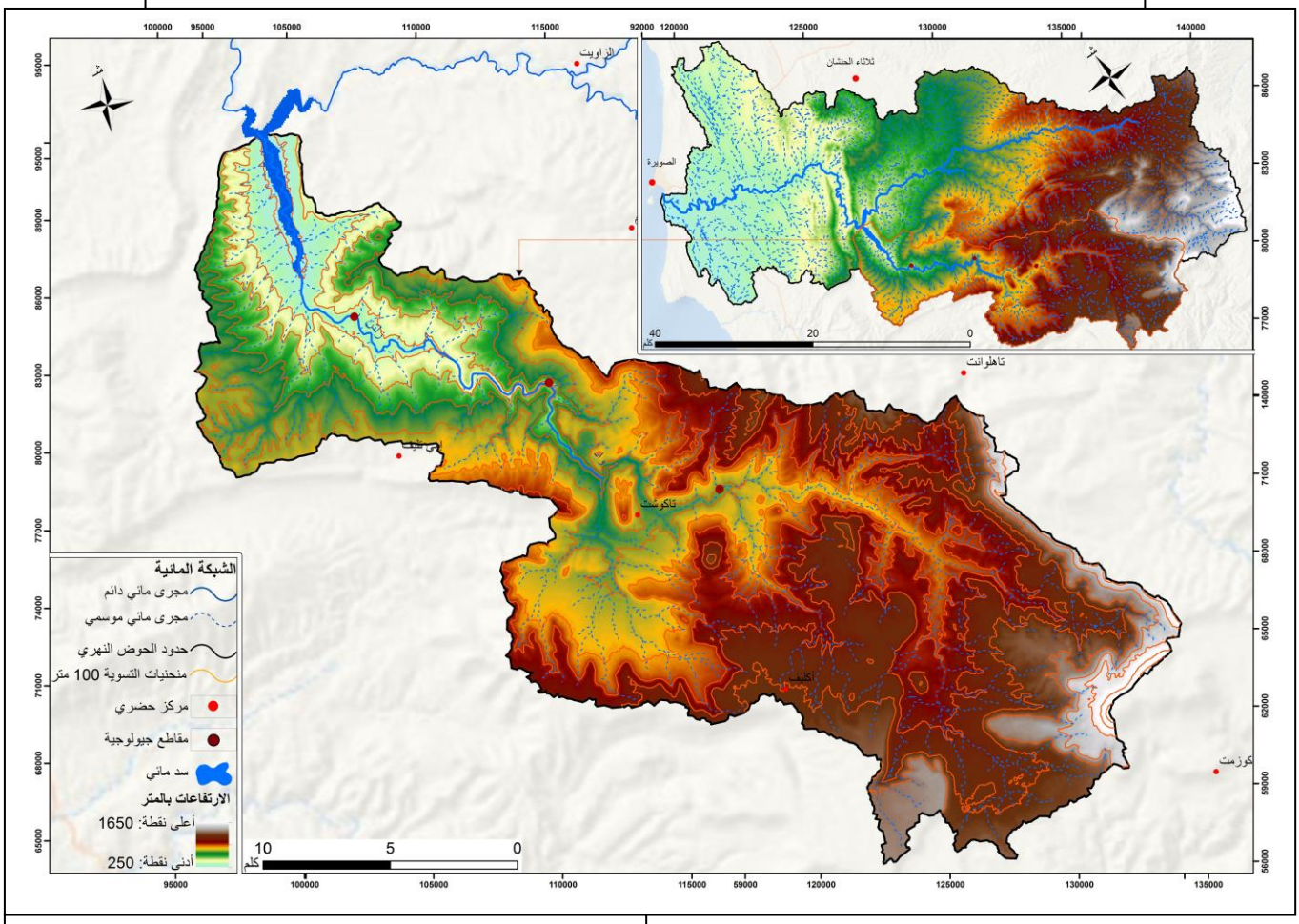


المصدر: التقسيم الجهوي لسنة 2016 + نموذج الارتفاعات الرقمية 30 متر

## I. الإطار المنهجي

### 1. إشكالية الدراسة

أضحى موضوع للاستغلال البشري في علاقتها بالموارد الطبيعية عامة والدرجات النهرية خاصة، محط اهتمام العديد من الباحثين والمتخصصين والفاعلين، وذو صدى محلي، وإقليمي ودولي، لذلك انصب اهتمامنا في هذه الدراسة على معالجة إشكالية محورية تتعلق أساسا بمدى تأثير الاستغلال البشري للدرجات النهرية، لتفكيك هذه الإشكالية المطروحة نصوغها على النحو الآتي: ما هي وضعية الاستغلال البشري للدرجات النهرية؟ وإلى أي حد تأثرت الموارد الترابية للدرجات النهرية من جراء هذا الاستغلال؟ وما طرق المحافظة على هذا الموروث الطبيعي الهش، مع تحديد العناصر المؤثرة فيه ؟

### 2. أهداف الدراسة

يسعى هذا المقال إلى بلوغ الأهداف التالية:

- تشخيص وضعية الاستغلال البشري للدرجات النهرية السفلى بواد زلتن بعالية تبعا للدينامية البيئية الحالية؛
- البحث عن طرق المحافظة على هذا الموروث الطبيعي الهش، مع تحديد العناصر المؤثرة فيه؛
- تحديد المخاطر الطبيعية التي تعاني منها مع تقديم بعض المقترحات والسبل للمحافظة عليها؛

### 3. منهجية العمل

ارتباطا بالإشكالية التي نعالجها وما تفرضه قواعد البحث العلمي وفق مقاربة جغرافية سنعتمد على المنهجين الوصفي والتحليلي من خلال تشخيص وضعية الاستغلال البشري للموارد الترابية للدرجات النهرية السفلى وتحليل النتائج المتوصل إليها من أجل فهم تأثير هذا الاستغلال على الموارد الترابية للدرجات النهرية.

جمع المعطيات الميدانية كالإحصاءات التي توفرها المصالح الخارجية، والدراسات والمقابلات والاستمارة، بالإضافة إلى وسائل التعبير الجغرافي كالخرائط والجداول ثم الاعتماد على صور الأقمار الصناعية، كأداة أولية للتعرف على أنواع الاستغلال بالدرجات النهرية، حيث تم اختيار خمس مشاهد جغرافية معبرة، ممتدة على طول واد زلتن ومتنوعة من حيث الاستغلال وذلك بهدف ابراز كل الاختلافات الموجودة في استغلال الدرجات النهرية السفلى بواد زلتن عند عالية واد القصب.

### 4. الجهاز المفاهمي

✓ المشهد الجغرافي

يشكل المشهد وحدة مجالية محددة طبيعيا ذات مقومات تضاريسية، جيولوجية، مناخية، مائية ترابية، نباتية، حيوانية والمطبوعة بتدخل بشري متوافق لحد ما مع بيئته بثقافات ودراية محلية اكتسبها عبر الممارسات والتاريخ(**م. محي الدين، ع. بوزوكار2019**). فالمغرب يحق له أن يفتخر بتعددية مشاهده البيئية والثقافية ومن تم قوته، فإذا كانت مصر مشهد نهري في صحراء رتيبة، وليبيا مشهد واحي عبر التاريخ في صحراء ممتدة، تونس والجزائر مشاهد مؤطرة بجبلين وواحات داخل مشهد صحراوي كبير، فإن المغرب يعتبر في كلياته مشهدا كبيرا ومتنوعا، أطره الجبل.

يعتبر المشهد نتاج تطور جيومرفلوجي أطفى عليه الإنسان لمسات ثقافية عبر صيرورة زمنية ممتدة، أسفر عنه رساتيق بمنتوجاتها المميزة بفعل دراية الإنسان المواكبة، مما جعلنا نعتبر المشهد تراثا طبيعيا والرستاق ومنتوجاته تراثا

ماديا والدراية والمهارة والأساليب تراثا لا ماديا(**م. محي الدين، ع. بوزوكار 2019**). فالدرجات النهرية مشهد وتراث طبيعي، والرساتيق (المنتوجات الزراعية) تراثا ماديا، أما طرق التعامل والاستدامة فهي التراث اللامادي.

✓ **الدرجات النهرية**

تعتبر الدرجات النهرية أحد العناصر المورفلوجية للوادي (**1955 C.René**)، عبارة عن مستويات طبوغرافية مسطحة نسبيا معلقة فوق القعر الحالي للمجرى المائي عبر منحدر، موروثة عن الظروف الهيدروديناميكية. توجد في جميع خطوط العرض وكذلك في جميع أنواع المناخات (**2008 Y.Dewolf et G.Bourrié**). ترتبط الدرجات النهرية بالتوضعات النهرية، واستعملت لتدل على أشكال طبوغرافية خاصة ولتوضعات غرينية تعلو الأودية الحالية ( **J. Gartet, A.Gartet 2013**).

اعتبرها E.Chaput 1924 تركمات غرينية في شكل سطوح شبيهة بالأفقية، يمكن مقارنتها بالسهول الفيضية، أما J.Tricart 1947 فيشترط أن يكون سطح الدرجة مستو وتوضعاته سميكة لتجنب أي خلط بالدرجة النحتية (Replat d'érosion) فهو يميز بين الدرجات التي تخلفها عمليات النحت ودرجات الردم والارتكام ( Remblaiment) (**ع. النايري وآخرون 2023**).

يعتبر G.Arnaud-fasseta 2008 الدرجة النهرية على مستوى الشكل الهندسي على أنها عبارة عن مستوى طبوفرافي نسبيا مسطح معلق في أعلى السرير(lit) الحالي لمجرى مائي حالي بواسطة حافة (تسمى حافة الدرجة) واضحة، حافة الدرجة هاته تمكننا من التمييز بين عدة أنواع من الدرجات النهرية التي سنتطرق لها لاحقا(**ع. النايري وآخرون 2023**).

يعتبر F.Joly 1997 الدرجة النهرية في ارتباطها بالأسرة النهرية على أنها جزءا من سرير نهر قديم، صخري أو غريني، سطحه مستو أو قليل الانحدار، مهجور ومعلق بالمجرى الأكبر الحالي للنهري ، ووصف E. Saaidi 1979 الدرجة النهرية على أنها امتداد لسطح الأرض على شكل سطح بقمة مستوية، ينتهي هذا السطح بحاشية (rebord) أو بمنحدر واضح. تعتبر جميع الدرجات النهرية أقدم من حيث أنها أعلى من المجرى الحالي للواد وبالتالي فإن ترقيمها يزداد من الأعلى نحو الأسفل على الشكل الجانبي للمجرى، فأحدث الدرجات النهرية تكون على بعد أمتار قليلة من المجرى الحالي بينما كلما ارتفعنا عن المجرى الحالي أصبحت الدرجات النهرية أقدم.

**II. أنماط الاستغلال البشري للدرجات النهرية السفلى على طول مجرى واد زلتن تبعا للدينامية الحالية**

تم تصنيف أنواع استعمال الأرض رغم تعددها بالدرجات النهرية الحديثة لواد زلتن، في ثمانية أنواع كبرى كما هو مبين في الجدول رقم 13 وهي: أراضي فلاحية بها أشجار الأركان، أراضي زراعية بها أشجار مثمرة (زياتين، التين، الكروم،..)، أراضي فلاحية بورية، غابة الأركان، مطورال الأركان، تجمعات سكنية، قعر الواد، ثم مجالات فارغة (مراعي).

يتبين من خلال تحليل هذا الجدول، هيمنة الأراضي الفلاحية التي تحتضن أشجار الأركان متبوعة بغابة ومطورال الأركان، بينما لا تتجاوز مساحة قعر الواد 09.04 % من المجال، وتستحوذ مجالات فارغة (مراعي) على 02.04 % أما الأراضي الزراعية التي تحتضن الأشجار المثمرة (زياتين، التين، الكروم،...) فهي تمثل 01.64 % في حين أن الأراضي الفلاحية البورية، فهي تمثل 00.38 %، في حين تستحوذ التجمعات السكنية، على 00.39 % من مجال الدرجات النهرية لواد زلتن.

**جدول رقم(1): توزيع استعمال الأرض بالدرجات النهرية الحديثة لواد زلتن**

| الصنف | المساحة بالكيلومتر | النسبة المئوية من مجموع المساحة | المساحة بالهكتار |
|---|---|---|---|

| | | | |
|---|---|---|---|
| أراضي فلاحية بها أشجار الأركان | 4,25 | 31,06 | 424,92 |
| أراضي زراعية بها أشجار مثمرة (زياتين، التين، الكروم،...) | 0,22 | 1,64 | 22,44 |
| أراضي فلاحية بورية | 0,05 | 0,38 | 5,15 |
| غابة الأركان | 4,02 | 29,39 | 401,99 |
| مطورال الأركان | 3,57 | 26,07 | 356,66 |
| مجالات فارغة (مراعي) | 0,28 | 2,04 | 27,86 |
| تجمعات سكنية | 0,05 | 0,39 | 5,28 |
| قعر الواد | 1,24 | 9,04 | 305,60 |
| المجموع | 13,68 | 100,00 | 1549,91 |

المصدر: تحليل مرئيات google earth لسنة 2020 والعمل الميداني لسنة 2021

**خريطة رقم (2): توطين المشاهد الجغرافية للاستغلال المجالي للدرجات النهرية بعالية الحوض على طول واد زلتن**

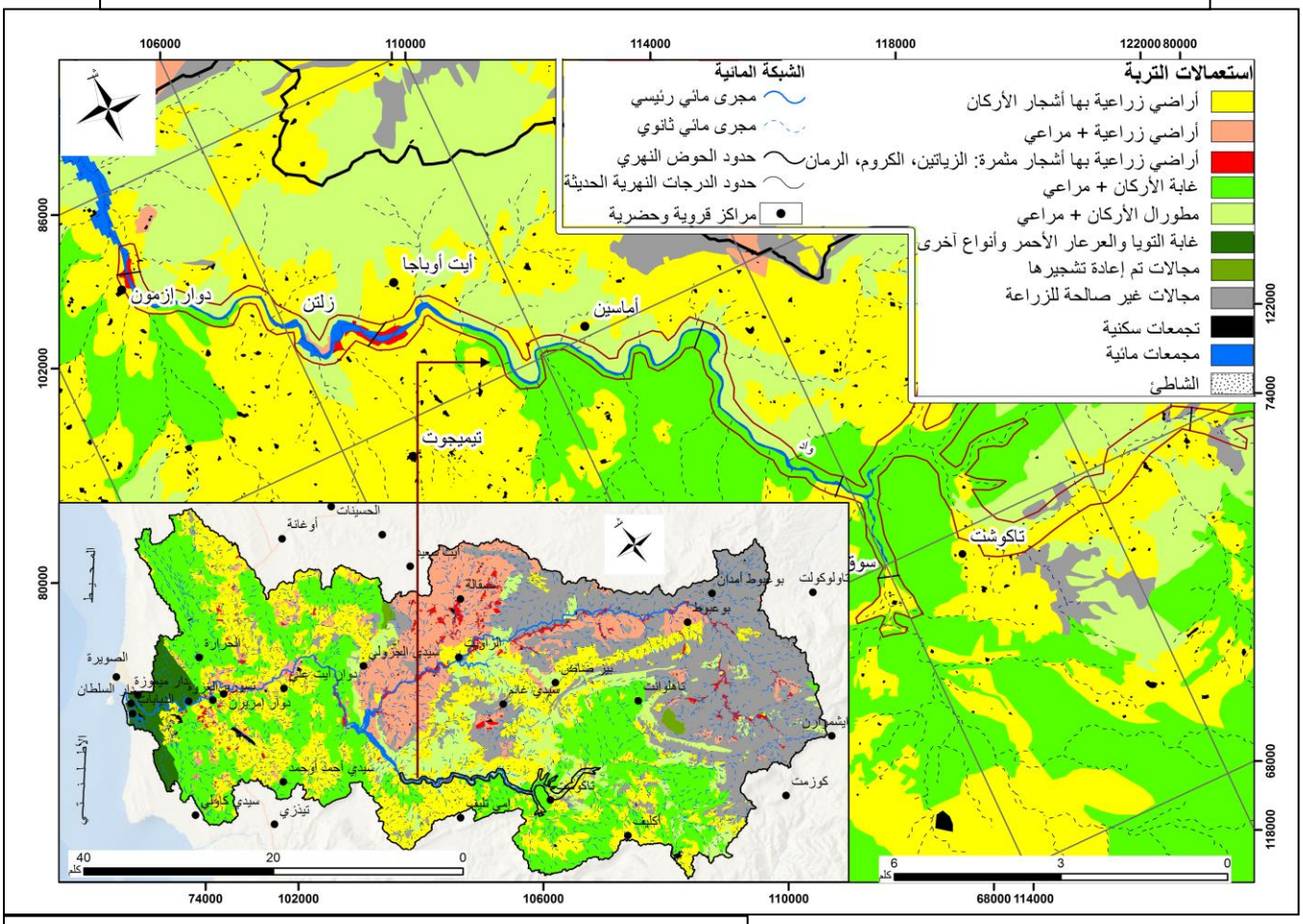


المصدر: تحليل مرئيات google earth لسنة 2021 ونتائج العمل الميداني لسنة 2022

ISSN 2569-734X

**1. مشهد رقم 1 شرق الجماعة الترابية تاكوشت**

يتواجد هذا المشهد شرق الجماعة الترابية تاكوشت بعالية حوض زلتن، على ارتفاع يتراوح ما بين 305 و330 متر بفارق ارتفاع لا يتجاوز 25 متر، حيث يتكون هذا المشهد من ثلاث استعمالات رئيسية، تشغل معظم المشاهد المجاورة وهي:

- ✓ **أراضي زراعية بها أشجار الأركان:** هذا النوع من الاستعمال للدرجات النهرية هو قليل مقارنة مع حوض زلتن، حيث تعمل الساكنة المحلية على المزاوجة في الاستغلال بين أشجار الأركان، سواء كانت هذه الأشجار موروثة أو متجددة من طرف الإنسان، والزراعات البورية، التي تتكون أساسا من القمح والشعير مع خلق نوع من التناوب الزراعي بالقطاني كالعدس مثلا.
- ✓ **مطورال الأركان:** يستقر هذا النوع من الاستغلال على السفوح المتوسطة الانحدار للدرجات النهرية لواد زلتن، حيث تكون الأتربة غير مستقرة، وبالتالي فهي غير صالحة للزراعة، وإنما غالبا ما تتم في رعي الماشية خاصة الماعز، مما يجعل شجرة الأركان تتعرض للتدهور مع مرور الزمن وعدم التجديد.
- ✓ **مجالات غير صالحة للزراعة:** ينتشر هذا النوع من الأراضي فقط بعالية الحوض، حيث نجد بروز القاعدة الصخرية، نحو السطح مع غياب شبه تام للأتربة، لذا نجد هذه المجالات تستعمل في الرعي من طرف الساكنة عند نمو بعض الحشائش خلال فصل الربيع.

**شكل رقم (1): نمذجة استغلال المجال الجغرافي للدرجات النهرية لواد زلتن بمشهد تاكوشت**

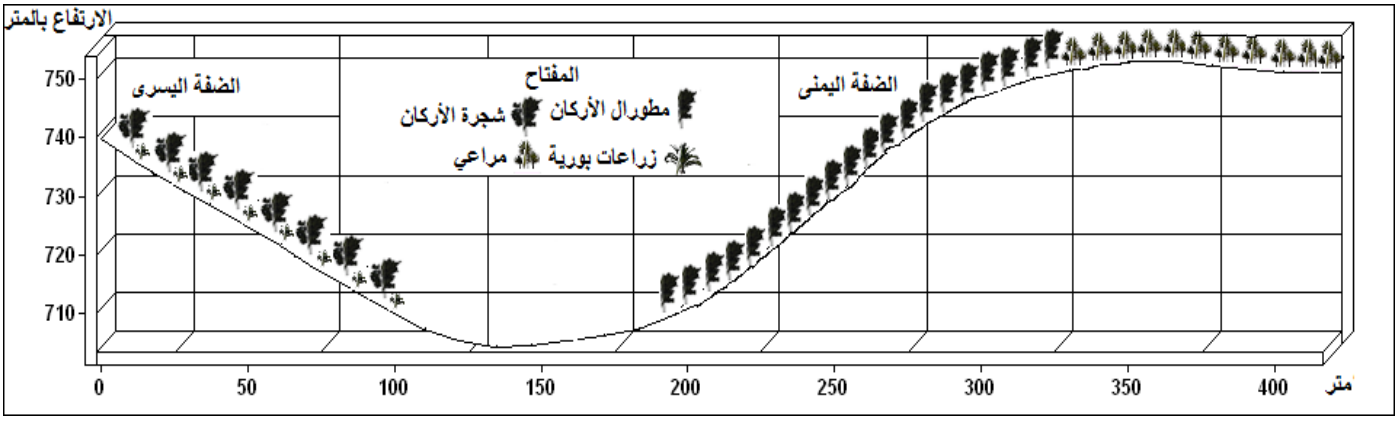


المصدر: خريطة استعمالات التربة + العمل الميداني 2022

**2. مشهد رقم 2 عند سوق الأربعاء**

يقع مشهد سوق الأربعاء بالجنوب الغربي للجماعة الترابية تاكوشت عند سوق الأربعاء، على ارتفاع يتراوح ما بين 610 و635 متر على السطوح الجنوبية الغربية لهضبة إدا أوزمزن على مجرى واد زلتن، حيث يتكون هذا المشهد من أشجار مثمرة متنوعة، مع سيادة بعض الزراعات والعلفيات المسقية، التي تتم بالموازاة مع الأشجار المثمرة.

تهيمن على هذا المشهد شجرة الأركان، التي تنمو على الضفة اليسرى للوادي، مع وجود بعض الجيوب من الزراعات البورية تحت شجرة الأركان نظرا لشدة الانحدار التي يعرفها المجال، وعلى العكس من ذلك نجد بالضفة اليمنى شجرة الأركان معلقة فوق سفوح الوادي مقاومة للظروف الطبيعية، التي على رأسها التعرية المائية والمناخ الجاف.

تستغل الدرجات الحديثة لواد القصب كذلك في غرس الأشجار المثمرة خاصة الزياتين والتين والكروم والرمان، بالمجالات الشبه المستوية عند مجرى واد القصب مع بعض الزراعات المسقية، التي تتم تحت الأشجار المثمرة، التي تتمثل في الحبوب وبعض الخضروات كالبصل مثلا ثم بعض العلفيات كالذرى لتغذية الماشية.

**شكل رقم (2): نمذجة استغلال المجال الجغرافي للدرجات النهرية لواد زلتن بمشهد سوق الأربعاء**

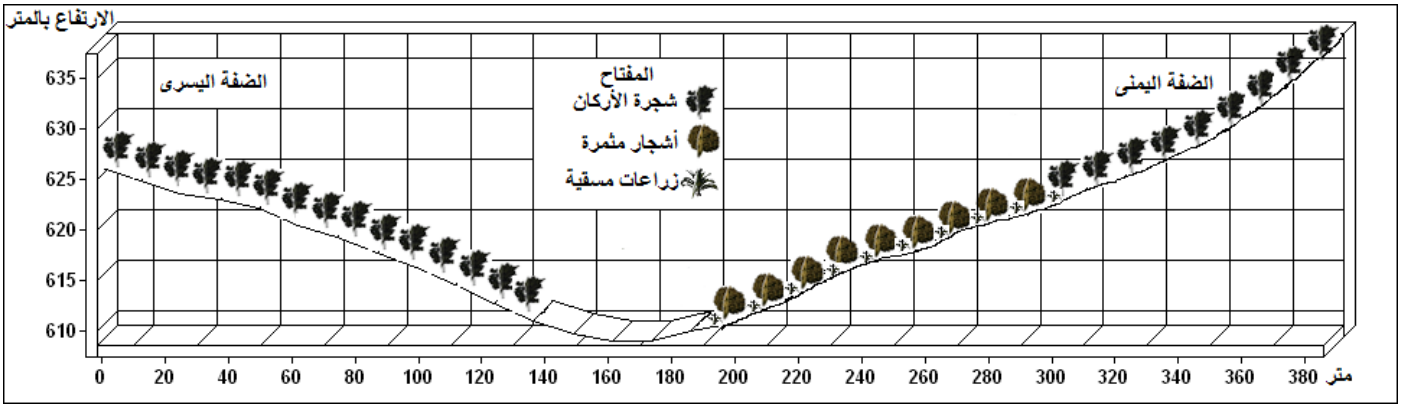


المصدر: خريطة استعمالات التربة + العمل الميداني 2022

**3. مشهد رقم 3 بالشمال الغربي للجماعة الترابية تكوشت**

تستغل المنحدرات المتوسطة الانحدار في الزراعات البورية تحت أشجار الأركان مع استغلالها في الرعي بعد موسم الحصاد كما هو الحال بالنسبة الصفة اليسرى لواد زلتن عند مشهد رقم 3، هذه الزراعات البورية تتم بالموازنة مع أشجار الأركان، وهي متنوعة نجد على رأسها زراعة الحبوب، التي تتناوب مع القطاني وذلك بهدف الحفاظ على استقرار التربة وتماسكها.

تعمل الساكنة المحلية على الأنشطة الرعوية بالسفوح الشديدة الأنحدار، كما هو الشأن بالنسبة الضفة اليمنى لواد زلتن بحكم احتوائها على شجرة الأركان، بالإضافة إلى نمو بعض الحشائش خلال فصل الربيع. يشكل الرعي حق من حقوق الانتفاع، الذي حضيت بها الساكنة المحلية، في إطار التشريعات الصادرة بخصوص الشأن الغابوية للأركان.

ترتب عن هذا الاستغلال، الذي يمزج بين الزراعة والرعي، ضغوط متصاعدة على المساحات الغابوية للأركان، حيث أصبحت أكثر معاناة وتضررا، لأن النشاط الرعوي أصبح يمارس على مدار السنة في إطار نمط رعوي-زراعي-غابوي، كما أصبح هذا الرعي المستمر على طول السنة يسبب اندكاكا للتربة وتغير خصائصها والتأثير على انتاجيتها بالنسبة للأركان، كما أنه يعيق تفاعل البدور مع التربة.

**شكل رقم (3): نمذجة استغلال المجال الجغرافي للدرجات النهرية لواد زلتن بالمشهد الغربي لتكوشت**

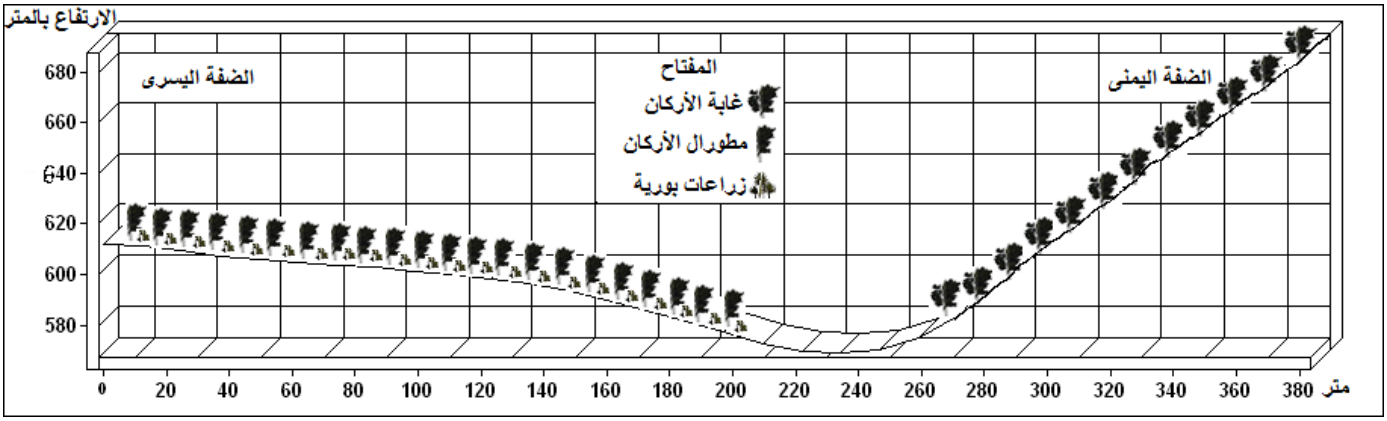


المصدر: خريطة استعمالات التربة + العمل الميداني 2022

**4. مشهد رقم 4 بأماسين**

تعمل الساكنة المحلية على استغلال أشجار الأركان على طول مجرى واد زلتن، التي تنمو على المنحدرات المتوسطة والشديدة الانحدار، مع استغلالها في رعي الماشية وعلى رأسها الماعز، حيث تحتل منتجاتها شجرة الأركان مكانة مهمة في تحقيق تنمية ترابية لدى الساكنة، كما تعرف هذه المنتجات اقبالا متزايدا من طرف السكان المحليين وكذا من مختلف بلدان العالم.

تشكل شجرة الأركان مجالا رعويا مهما لساكنة عالية حوض زلتن، لأنها تعتبر مورد غذائي لقطيع الماعز والإبل، التي تستهلك أوراق شجرة الأركان وثمارها معا خلال فترة مطولة من السنة خلال السنوات الجافة.

كل هذا يجعل لشجرة الأركان أهمية بيئية واقتصادية بالغة بالنسبة للساكنة المحلية، كما أنها تلعب دورا أساسيا في استقرار الساكنة، بمثل هذه المجالات المتضرسة، لذا يجب على عمليات التهيئة أن تجعل من بين أولوياتها حماية وصون هذه الشجرة الموروثة.

**شكل رقم (4): نمذجة استغلال المجال الجغرافي للدرجات النهرية لواد زلتن بمشهد أماسين**

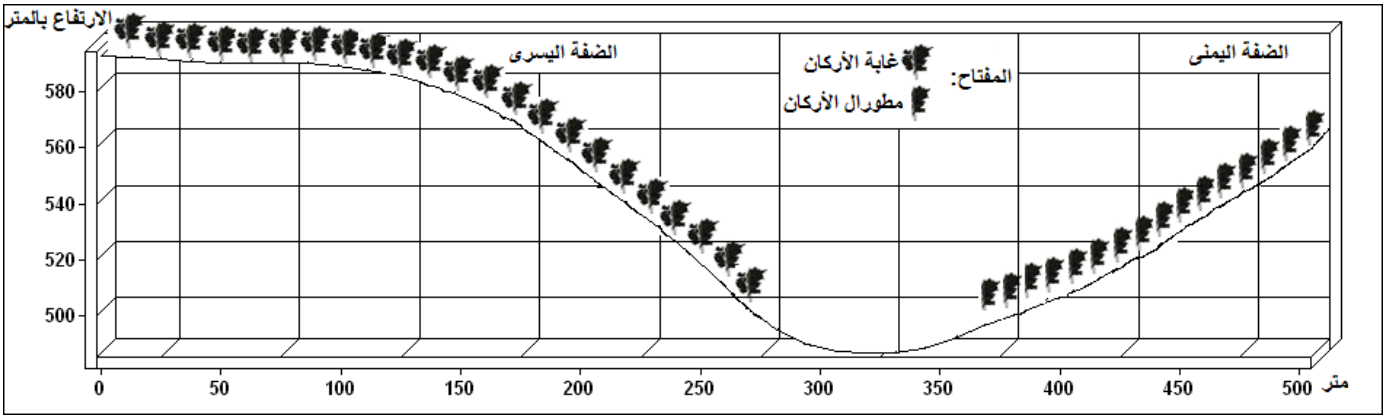


**5. مشهد رقم 5 بأيت أوباجا** المصدر: خريطة استعمالات التربة + العمل الميداني 2022

يتواجد هذا المشهد بالشمال الغربي للجماعة الترابية إمي تليف عند سافلة حوض زلتن، على ارتفاع يتراوح ما بين 360 و420 متر بفارق ارتفاع لا يتجاوز 80 متر، حيث يتكون هذا المشهد من أربع استعمالات رئيسية، تشغل معظم المشاهد المجاورة وهي:

- ✓ **أشجار الأركان:** هذا النوع من الاستعمال للدرجات النهرية هو قليل مقارنة مع عالية حوض زلتن، حيث تشغل الدرجات العليا والسهول الفيضية ثم سطوح الهضاب العليا، إذ نجد درجة الانحدار لا تتجاوز 20 درجة في أقصى الحالات، حيث تكون الأتربة غير مستقرة، وبالتالي فهي غير صالحة للزراعة، وإنما غالبا ما تتم في رعي الماشية خاصة الماعز، مما يجعل شجرة الأركان تتعرض للتدهور مع مرور الزمن وعدم التجديد.
- ✓ **الأشجار المثمرة:** يستقر هذا النوع من الاستغلال على السفوح المتوسطة الانحدار للدرجات النهرية لواد زلتن، بالقرب من مجرى الوادي، حيث تكون أتربة الدرجات الحديثة خصبة، مع وجود فرشة مائية مهمة سواء السطحية أو الباطية، كلها تجعل من هذه الأشجار المثمرة ذات إنتاجية عالية، التي نجد على رأسها شجرة الزيتون والكروم والتفاح والعنب.
- ✓ **الزراعات المسقية:** ينتشر هذا النوع من الزراعات تحت الأشجار المثمرة، لما تتوفر عليه تلك الدرجات النهرية الحديثة من أتربة خصبة وماء ومناخ، حيث نجد على رأس هذه الزراعات المسقية: الذرة مثلا وبعض الخضروات كالبطاطس ثم بعض العلفيات للماشية.
- ✓ **الزراعات البورية:** تنتشر بالمجالات التي تحتضن مطورال الأركان حيث تعمل الساكنة المحلية على المزاوجة في الاستغلال بين أشجار الأركان والزراعات البورية، التي تتكون أساسا من القمح والشعير مع خلق نوع من التناوب الزراعي مع القطاني.

شكل رقم (5): نمذجة استغلال المجال الجغرافي للدرجات النهرية لواد زلتن بمشهد أيت أوباجا

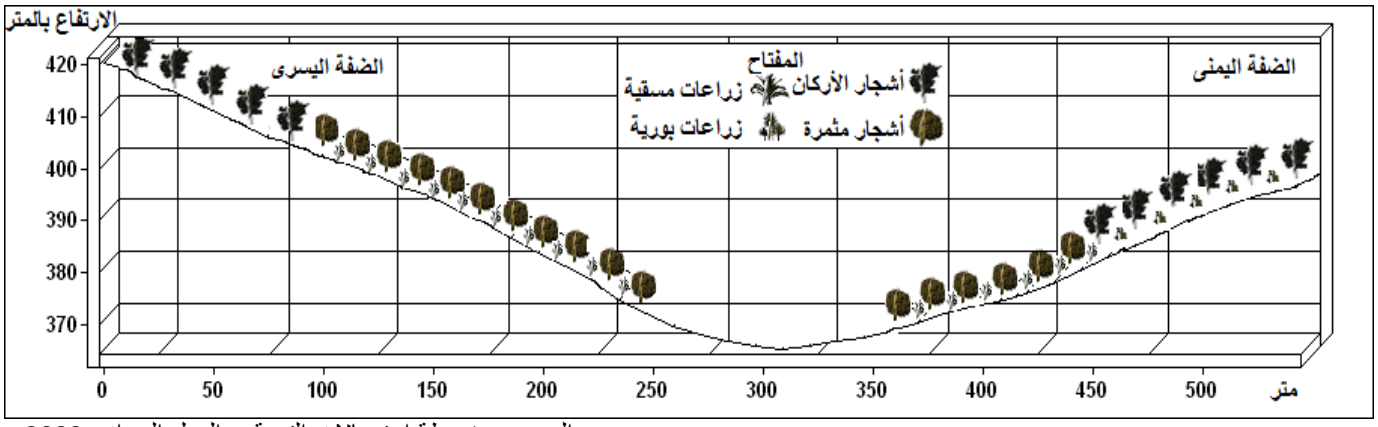


المصدر: خريطة استعمالات التربة + العمل الميداني 2022

**6. مشهد رقم 6 بدوار أزمون**

يقع هذا المشهد بالقرب من سد زرار على مجرى واد زلتن على ارتفاع يتراوح ما بين 305 و330 متر على السطوح الغربية لهضبة إدا أوزمزن، حيث يتكون هذا المشهد من أشجار مثمرة متنوعة، مع سيادة بعض الزراعات والعلفيات المسقية، التي تتم بالموازاة مع الأشجار المثمرة ثم بعض الزراعات البورية مع مطورال الأركان.

تهيمن على هذا المشهد الأشجار المثمرة، التي تنمو على الضفة اليسرى اليمنى المجاورة لقعر للمجرى، مع وجود بعض الجيوب من الزراعات السقوية تحت هذه الأشجار المثمرة، وعلى العكس من ذلك كلما كان الانحدار شديد أو ابتعدنا عن قعر الوادي وجدنا شجرة الأركان معلقة فوق سفوح الوادي مقاومة للظروف الطبيعية، مع سيادة بعض الزراعات البورية التي تتم بالموازنة مع شجرة الأركان.

تستغل الدرجات الحديثة لواد القصب كذلك في غرس الأشجار المثمرة خاصة الزياتين والتين والكروم والرمان، بالمجالات المتوسطة الانحدار عند مجرى الوادي مع بعض الزراعات المسقية، التي تتم تحت الأشجار المثمرة، التي تتمثل في الحبوب وبعض الخضروات كالبصل مثلا ثم بعض العلفيات كالذرى لتغذية الماشية.

شكل رقم (6): نمذجة استغلال المجال الجغرافي للدرجات النهرية لواد زلتن بمشهد دوار أزمون

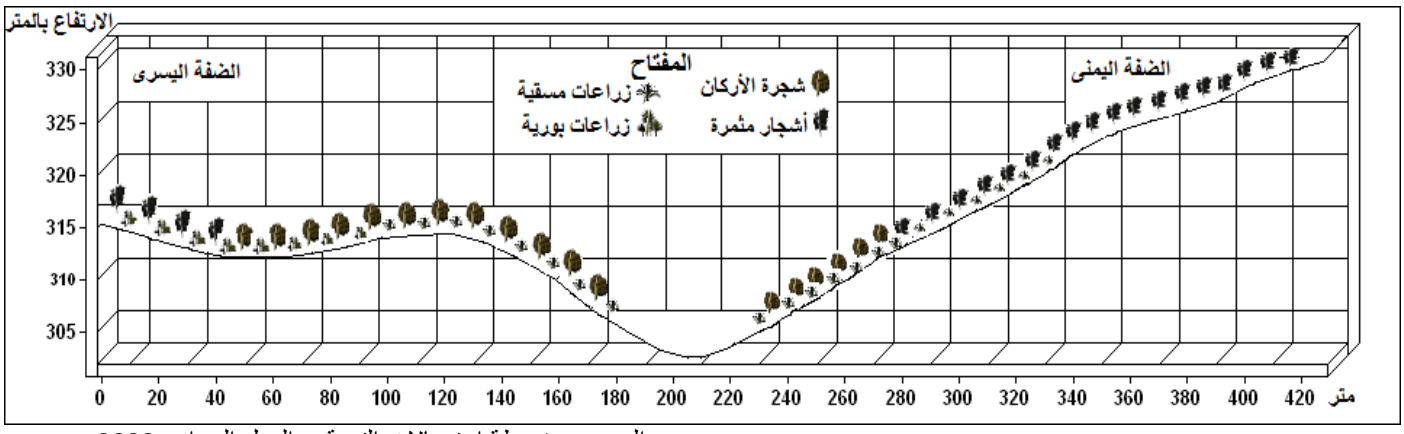


المصدر: خريطة استعمالات التربة + العمل الميداني 2022

**صورة رقم (1): استغلال المجال الجغرافي للدرجات النهرية الحديثة لواد زلتن عند السافلة**

المصدر: عمل ميداني بتاريخ 25/ 07/ 2022

**خريطة رقم (3): خريطة تركيبية للمشاهد الجغرافية للاستغلال المجالي للدرجات النهرية بعالية الحوض على طول واد زلتن**

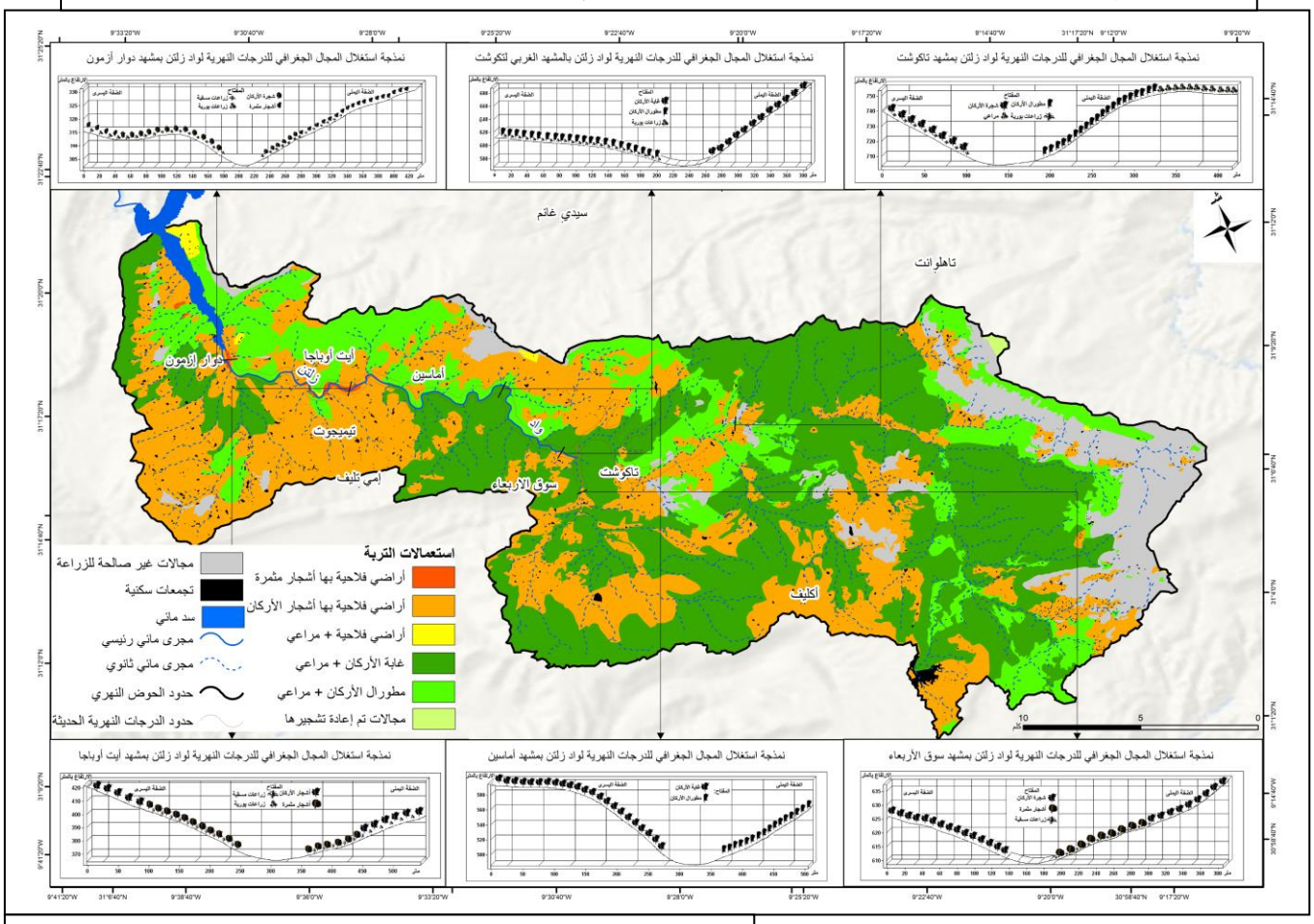


المصدر: تحليل مرئيات google earth لسنة 2021 ونتائج العمل الميداني لسنة 2022

## III. دور العامل البشري في تدهور الوسط الطبيعي للدرجات النهرية لواد زلتن

**1. الوضعية العقارية من أسباب التدهور**

تهيمن الملكية العقارية للدولة على النظام العقاري للحوض النهري لواد زلتن عامة والدرجات النهرية خاصة، هذه الهيمنة هي نتاج لنوعية الأراضي الغابوية، التي عملت على تطور نظام الملكية العقارية للدولة بنسبة 85 % على حساب الأنظمة العقارية الأخرى خاصة الملك الفردي الذي يكتسي طابع المنفعة الخاصة، الذي يمثل 15% من مجموع الأراضي.

**شكل رقم (7): نوعية النظام العقاري لأراضي قعور الأودية بالحوض النهري لواد زلتن**

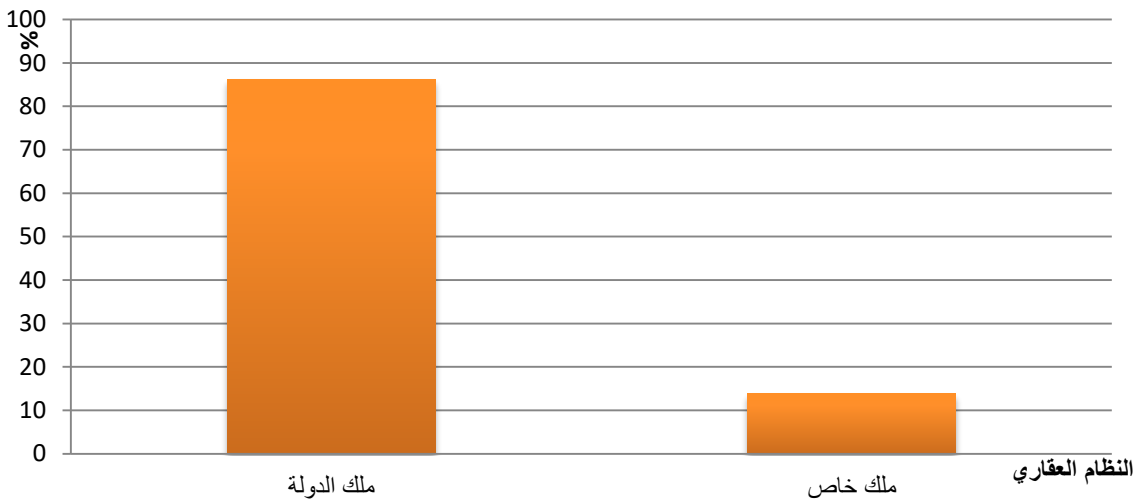


المصدر: عمل ميداني بتاريخ 25 يوبوز 2022

عرفت هذا الملك الخاص للأراضي الفلاحية تطورات عدة تحت تأثير الضغط الديموغرافي وما ينتج عنه من تقسيم لأراضي، واتساع الهوة بين فئات الملاكين وطغيان الملكية الصغيرة التي تقل مساحتها عن خدام التي تتجه بصفة عامة نحو التكاثر العددي على طول قعر واد زلتن من العالية نحو السافلة، في حين نجد الملكية الكبيرة التي تصل أحيانا إلى أقل من هكتار خاصة بالقرب من سد زرار.

**شكل رقم (8): تشتت قطع الملكية الفردية لقعور الأودية بالحوض النهري لواد زلتن**

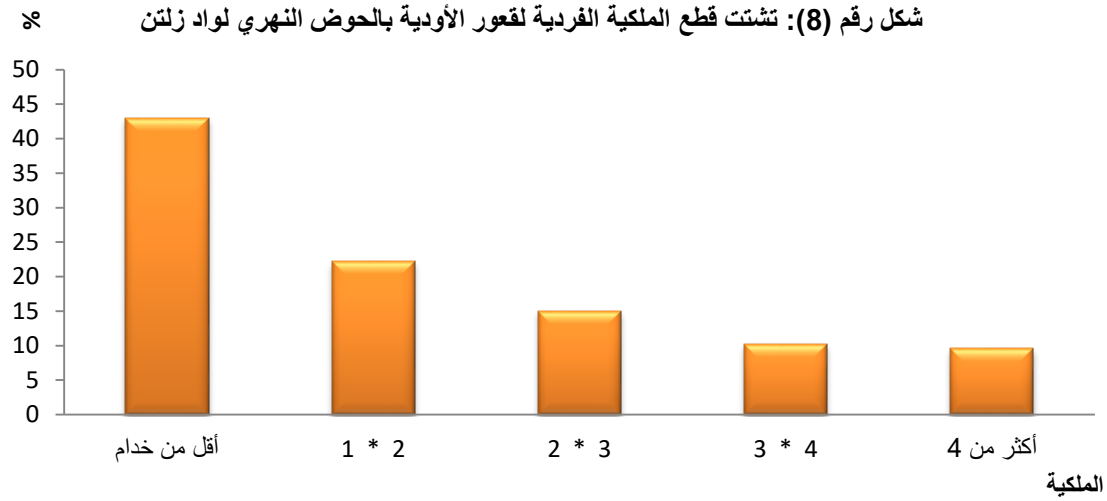


المصدر: عمل ميداني بتاريخ 25 يولوز 2022

يبين الشكل أعلاه أن الملكية الصغيرة أصبحت تتخذ شكل مجال ضيق ممتد من عالية السفح إلى أسفله عند المجرى المائي لواد زلتن، حيت نجد 44 % من الأراضي الفلاحية، تقل مساحتها عن الخدام الواحد، و21.15 % من هذه الأراضي لا تتجاوز الخدامين، ثم

9.57 % من الأراضي الفلاحية التي لا تتجاوز مساحتها الهكتار الواحد، الأمر الذي يجعل معظم الأراضي تحرث حسب أكبر انحدار مما يزيد من خطورة التعرية المائية، التي تستغل أخاديد الحرث وبالتالي تدهور سفوح الوادي وقعره، التي تشكل المتنفس الوحيد بالنسبة للساكنة بعد شجرة الأركان.

**2. استعمال المكننة**

تميزت الفلاحة في المرحلة القديمة باستعمال أدوات فلاحية تقليدية تندرج ضمن السياق العام للمرحلة التاريخية التي تعيشها الساكنة، لكن مع دخول المعمر بدأت تظهر وسائل إنتاج حديثة، التي أصبحت تلعب دورا مهما في الرفع من المردودية الزراعية، مما شجع على استعمالها والتخلي تدريجيا عن استعمال الوسائل التقليدية.

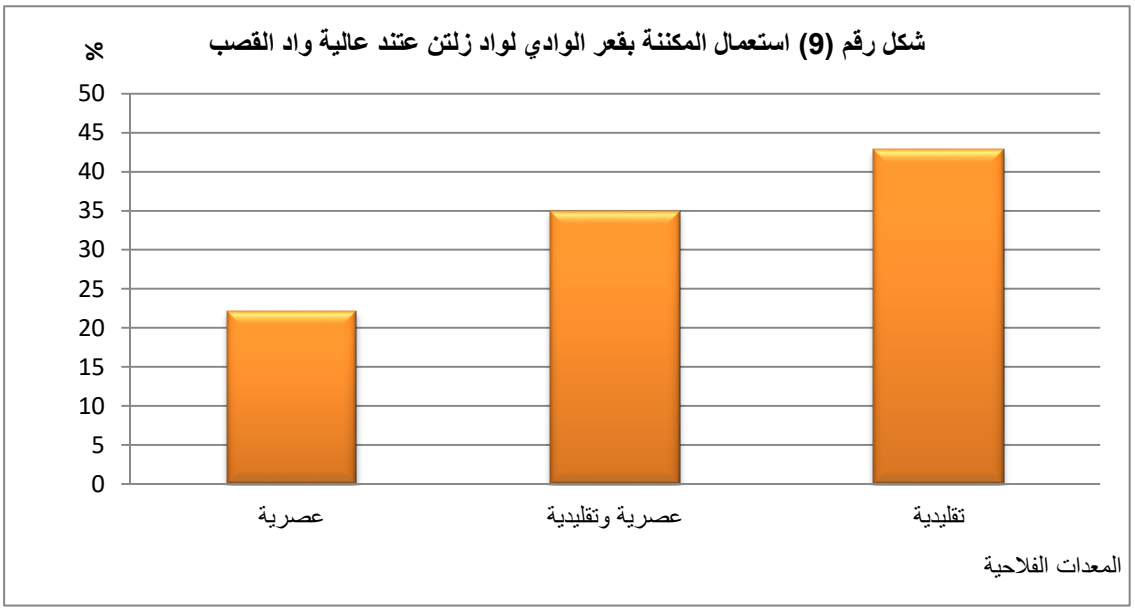


المصدر: عمل ميداني بتاريخ 25 يوليوز 2022

نسجل كذلك هناك تباين واضح في استعمال الأدوات الفلاحية، حيث نجد القسم الشرقي عند العالية مازال محافظا على ما هو تقليدي، حيث نجد الفلاحين يعتمدون في نشاطهم الفلاحي على أدوات تقليدية كالمحراث الخشبي... ، وذلك نظرا ضيق المجال ولصعوبة التضاريس الطبوغرافية، التي لا تسمح بدخول الجرار ولا آلة الحصاد، في حين أن القسم الغربي أصبح يستعمل وسائل وتقنيات فلاحية عصرية، حيث أصبح 65 % من الفلاحين يعتمدون في حرثهم على الجرار والباقي يستعمل الجرار إلى جانب المحراث الخشبي.

هذا الانتقال التدريجي عبر المراحل التاريخية، من ما هو تقليدي إلى ما هو عصري خاصة بالدرجات النهرية عند سد زرار، رغم ايجابياته فله مجموعة من السلبيات خاصة على مستوى التكوينات السطحية، حيث يتم استعمال أدوات لا تعمل على تهوية التربة بل تهم القشرة السطحية فقط في حين أن المسكات السفلى لاتزال متكلسة ولا تسمح بتسرب المياه كما أن توالي عمليات الحرث من هذا النوع يكون سببا في تنشيط عمليات التعرية خاصة آلية النقل بواسطة الرياح أثناء وبعد عملية الحرث وبالتالي تعرض التربة للإفقار تدريجيا.

**3. استعمال الأسمدة الحبوب المختارة**

نظرا لتعاقب نفس المنتجات الفلاحية ( حبوب + القطاني ) على الدرجات النهرية لواد زلتن أو بعض الخضروات والأعلاف السقوية، على نفس الأراضي وعدم استراحتها، الأمر الذي أدى إلى فقدان التربة مجموعة من المكونات الرئيسية، وبالتالي

ضعف خصوبتها ومردوديتها، الشيء الذي دفع أغلب الفلاحين إلى خلق نوع من التوازن بواسطة استعمال الأسمدة بنوعيها، ويبقى الهدف الوحيد من وراءها هو تحسين الإنتاج وتحقيق مردودية من أجل الاكتفاء الذاتي.

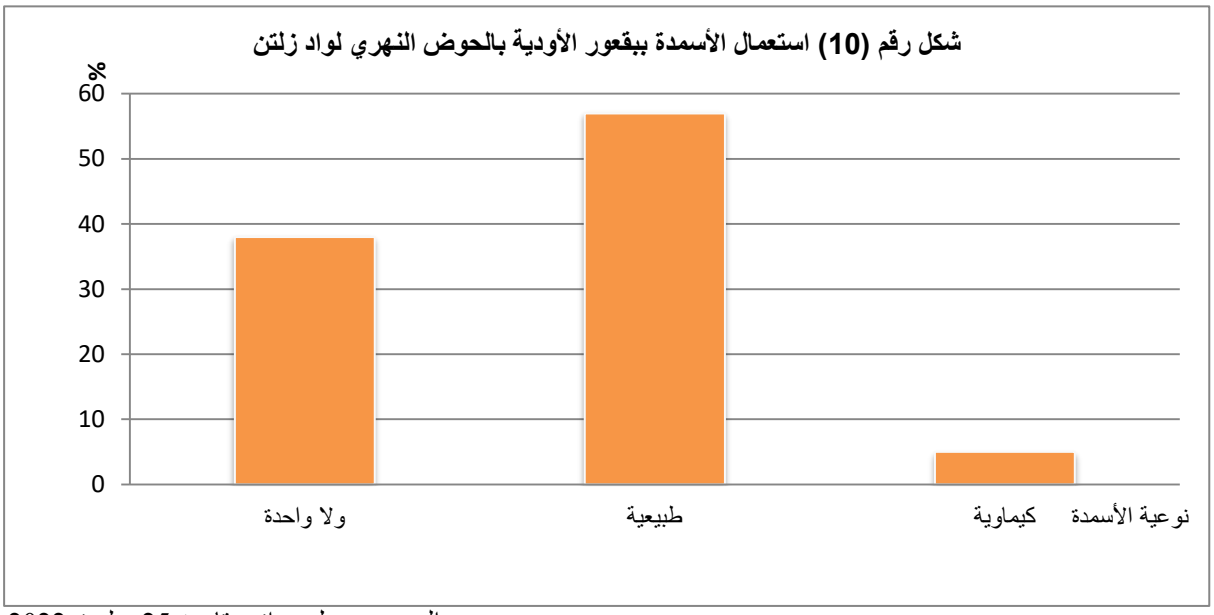


المصدر: عمل ميداني بتاريخ 25 يوليوز 2022

تبين انطلاقا من العمل الميداني أن هناك تحفظ في استعمال الأسمدة حيث أن أكثر من 50 % من الفلاحين يستعملون الأسمدة الطبيعية(روث الحيوان)، في حين أن أقل من 5 % من الفلاحين هم من يستخدمون السماد الكيماوي، ويمكن تفسير ذلك بأن الساكنة المحلية المستغل للمجال ليست لها دراية بالأسمدة الكيماوية بالإضافة إلى صغر الاستغلاليات الزراعية.

## IV. أساليب المحافظة على تربة الدرجات النهرية وعناصر الوسط الطبيعي

إذا كانت كل العوامل المورفومترية لحوض زلتن وطبيعة العلاقة البشرية مع هذا الوسط تنذر بتقهقر المجال وتعرضه لخطر تعرية السفوح، بمساهمتها في نقل الصلب والعالق نحو سد زرار، فإن الجهات المسؤولة لجأت إلى أساليب التهيئة - حتى لا يختل التوازن الطبيعي – تتمثل في مجموعة من التدخلات التي تهدف أساسا إلى:

- ✓ المحافظة على توازن الوسط الطبيعي عامة والدرجات النهرية عى الخصوص؛
- ✓ الوصول إلى استغلال محكم مع الأخذ بعين الاعتبار درجة حساسية الدرجات النهرية لواد زلتن؛
- ✓ رفع المستوى المعيشي للساكنة المستوطنة لهذا الحوض؛

### 1. إعادة تشكيل الغطاء النباتي وتنظيمه

يعتبر الغطاء النباتي الغابوي عنصرا أساسيا في الوسط الطبيعي، فللغابة دور فعال في حماية التربة من الانجراف عامة وترية الدرجات النهرية خاصة، وبما أن تدهور هذا الغطاء الغابوي هو المسؤول عن اندلاع عملية غسل السفوح فإن التدخلات استهدفت اعادة تشجير بعضها، خاصة المهددة منها أكثر، أي السفوح الوعرة جدا والمكونة من صخور هشة كما هو الحال بالهوامش المتدهورة بالحوض وهوامش المنشآت المائية. وفي هذا الاطار نفسه، تقوم المندوبية السامية للمياه والغابات بالتوزيع المجاني لعدة أصناف من الأشجار المثمرة كل سنة، حيث بلغ عدد الشجيرات الموزعة ابتداء من 1983 ولحد الآن 455 000 وحدة موزعة مابين أنواع اللوز والزيتون والتفاح.

### 2. اقتراحات خاصة بالجانب الفلاحي

يعتبر هذا القطاع احدى الركائز الأساسية للاقتصاد بحوض زلتن، لذلك كان من الواجب العناية به لتحقيق تنمية اجتماعية بهذا الوسط، ولا يتأتى ذلك إلا بالاهتمام بالفلاح عن طريق تكوينه وتزويده بالمزروعات والوسائل الفلاحية المتطورة وتحسيسه بأهمية التكثيف الزراعي.

**أ . التكثيف والتحسين الزراعي**

إن النظام الزراعي الحالي المتبع في الحوض له سلبيات تجعلنا نسعى إلى خلق نظام زراعي جديد نستطيع من خلاله تحقيق التوازن الطبيعي، إذ نعلم أن مجال دراستنا يسيطر عليه نظام إراحة الأرض والزراعات الواسعة (الحبوب) وعدم تطبيق النظام الثنائي (التناوب الزراعي)، لذلك يتطلب اتخاذ مجموعة من الاجراءات أهمها: التقليص من مدة ومساحة الأراضي الزراعية بتطبيق الدورة الثنائية إلى الثلاثية بدلا من الدورة الزراعية (زراعة / إراحة)، لما لها من أهمية فيزيائية كإكساب التربة قيمتها الزراعية وتجنبها الغسل المفرط وتوفير نسبة عالية من الدبال، ثم أن التناوب الزراعي لا يبقي الأراضي عارية في الفترات الممطرة، مع إدخال زراعة الفول والبرسيم في هذا التناوب لكونهما يعملان على إغناء التربة بالأزوت مما يزيد من خصوبتها بفضل الجذور القوية لها.

**ب. تنظيم عملية الحرث**

يجب أن نحترم فترات الحرث حسب المناخ باستعمال الأدوات التي تتماشى مع نوعية التربة، وإنجاز عملية الحرث من الناحية التقنية حسب خطوط التسوية (متوازية) وهذا من أجل إيقاف النزيف الذي تتعرض له تربة الدرجات النهرية لواد زلتن من جراء الحرث الغير المناسب ( تعامد خطوط الحرث مع خطوط التسوية)، تعد هذه الظاهرة خطيرة على السفوح والتربة معا ويجب زوالها نهائيا وتعويضها بالطريقة التي تسمح بكبح وإيقاف الجريان وتعزيز الاحتياطات المائية الباطنية اللازمة والظرورية للإنتاج الفلاحي أثناء المراحل الجافة، خاصة عند ارتفاع درجة الحرارة (فصل الصيف)، كما يجب تعميق الحرث لتفكيك التربة وتهويتها، مع الإكثار من استعمال الأسمدة الطبيعية.

**ب. عملية البذر**

يخضع اختيارها للظروف السائدة على كل موسم فلاحي لذا يجب اختيار البذور إما مبكرة أو متأخرة وذلك حسب نوعية التربة، بعد عملية التنقية ووضعها في وقتها المناسب.

**ج. استعمال المبيدات الزراعية**

يجب ضبطها والتقليل من استخدامها للحفاظ على جودة المياه السطحية والباطنية والحصول على غذاء نباتي سليم، كما نقترح أيضا في هذا الجانب تطوير الزراعات المسقية.

**د. الجانب الحيو اني**

إنشاء اسطبلات لمنع تنقل الحيوانات والتوجه إلى تربية الأبقار والتقليص من تربية الماعز لسوء تصرفها مع الغطاء الغابوي، ثم التوجه أيضا نحو تربية النحل.

**3.3.3.3. مقاومة التعرية الأخدودية**

نظرا لطبيعة تضاريس المنطقة فإن انحدارات المجاري المائية بها غالبا ما تكون شديدة وبالتالي يستمر خطر الأخاديد على الدرجات النهرية، وفي هذه الحالة لا يمكن حل هذه المشكلة إلا باستخدام حواجز ميكانيكية وأخرى طبيعية حيث تنفذ بعناية تامة مع الصيانة الجيدة والمنظمة حتى تقاوم خطر جريان تدفق المياه السيلية على الدرجات النهرية الحديثة ومن أهمها:

✓ **بناء كاسرات عنف المياه الجارية**

تمكن هذه التقنية من الحد من التعرية المائية في المجالات التي تتوفر على انحدارات تقل عن 15%، كما أنها تساعد على تحسين الانتاج الزراعي والرعوي، وهي تقنية سهلة التطبيق بسيطة وغير مكلفة تساعد على الحد من حركية المواد على السفوح وتساعد على الانفتاح الزراعي المحلي.

تقلل هذه التقنية كذلك من سرعة السيل وبالتالي التقليل من عنفها وقوتها والنتيجة منع كسح وكشط التربة في غياب غطاء نباتي يقوم بتثبيت هذه المواد الدقيقة والحديثة التكوين، مما يؤدي إلى نشوء حاجز تنشأ على مستواه مجموعة مواد دقيقة تشكل مجالا ملائما لنمو وتطور غطاء نباتي طبيعي وبالتالي حماية السفوح من التراجع.

✓ **حماية ضفاف الأودية**

تتعرض ضفاف الأودية بحوض واد زلتن لتعرية من نوع خاص، لأن المستوى المتغير للمياه يترك أجزاء كثيرة من الضفة تكون عارية وغير محمية بالنباتات وبالتالي يكون للكميات الكبيرة للمياه الجارية دور في تجهيز الطاقة التخريبية للمياه، خاصة خلال العواصف المطرية وتكون التعرية أكثر شدة على طول جوانب الوديان التي تشهد حركات جانبية نشطة نتيجة اصطدام المياه الجارية بها خاصة في فصل الخريف والربيع.

يتسبب التآكل لجوانب الدرجات النهرية في فقدان توازن سفوحها فيتسبب في ضياع مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية وإلحاق خسائر فادحة بالمباني والمنشآت البشرية، التي بنيت عليها وبذلك تصبح مسؤولة عن نسبة كبيرة من الرواسب التي يستقبلها سد زرار، ومن هذا المنطلق فإن أهم التدابير والإجراءات العملية التي يجب تطبيقها هي:

✓ إنشاء الحواجز الشبكية على طول الجوانب التي تشهد حركات نشطة عند نقط التأثير بحركة المياه العنيفة؛

✓ إنشاء مكاسر طولية: يمكن من خلالها حماية جوانب الدرجات المعرضة للانجراف بإنشاء مكاسر حجرية مشبكة توضع في أماكن محددة ويستوجب تحقيق هذه العملية دراية تامة بالطرق الخاصة بها كما هو مبين في الصورة رقم.... وحتى يكون لها دور كبير في الحماية ينبغي أن لا تعيق الجريان الطبيعي للمياه.

**صورة رقم (2): متاريس طولية على ضفاف واد زلتن لحماية الدرجات النهرية من الانجراف**

المصدر: عمل ميداني بتاريخ 08/08/ 2021

**4. دور الأفراد والجمعيات المحلية في مكافحة التعرية وإحياء الوسط الطبيعي للدرجات النهرية**

في إطار الاختصاصات التي تضطلع بها المصلحة الاقليمية للمياه والغابات ودورها في المحافظة على البيئة والتنوع البيولوجي والحد من التصحر وإحياء الغطاء النباتي، وسعيا منها للنهوض بمستوى التنمية القروية بالحوض، بتعاون مع العديد من الفعاليات والجمعيات وذلك عن طريق الاسهام في عدد من الأنشطة وإبرام اتفاقيات شراكة وتعاون وذلك بهدف:

- ✓ دعم الجهود الرامية إلى الحفاظ على البيئة الغابوية والطبيعية عبر التربية والتعليم والتكوين؛
- ✓ تقديم عروض لفائدة التلاميذ من أجل تحسيسهم بأهمية الوسط الطبيعي والتنوع البيولوجي ثم بخطورة حرائق الغابات والآثار السلبية الناتجة عنها؛
- ✓ الاحتفال بالأسبوع البيئي الغابوي كل موسم: حملات التشجير وأيام تكوينية مع توزيع الملصقات وتقديم عروض حول المجال الغابوي والحرائق...؛
- ✓ إعداد ملفات التهيئة والتدبير التشاركي للمناطق ذات الأهمية البيولوجية والايكولوجية؛
- ✓ المساهمة في إعداد الدراسات التقنية الخاصة بالتنوع البيولوجي استغلال قعور الأودية والسياحة المستدامة وترشيد استغلال حطب التدفئة وتحسين المراعي؛
- ✓ وضع برامج هادفة إلى المحافظة على الأراضي باعتماد الأشجار المثمرة، محاربة انجراف التربة، ثم التأطير التقني المستمر للأفراد؛

## خاتمة

عرفت المصاطب النهرية تغيرا تدريجيا سواء على مستوى المنتوجات الزراعية التي أصبحت تتطلب عناية فائقة من طرف الفلاح كتزويد المحصول بالأسمدة واستعمال الأدوية الشيء الذي يؤثر على التربة وفقدانها لخصوبتها الطبيعية.

يرجع ذلك لما تتوفر عليه من أتربة خصبة وصالحة للزراعة، حيث تشكل المتنفس الغذائي الرئيسي عند عالية حوض واد زلتن بالنسبة للساكنة المحلية بعد غابة الأركان، حيث تستغل هذه الدرجات النهرية في الزراعات الغذائية الأساسية المعيشية كزراعة القمح والشعير والفول والجلبان مع زراعة الأشجار المثمرة كالكروم والرمان وأشجار الزيتون...،

بدأ الإنسان في ظل هذا الاستغلال المكتف للدرجات النهرية يلجأ إلى استعمال الأسمدة والمبيدات لتكثيف الإنتاج وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وذلك بهدف تثبيت الساكنة بمثل هذه المجالات، التي تتميز بوجود تضاريس وعرة جدا مع غياب شبكة مائية دائمة وأراضي صالحة للزراعة.

عمد الإنسان في ضل هذه التغيرات العامة إلى عدة أساليب للمحافظة على المورد الترابي بالدرجات النهرية لواد زلتن، أهمها التناوب الزراعي، إقامة الحواجز الاصطناعية والبيولوجية، بناء كاسرات عنف المياه الجارية، تهيئة المجاري المائية، تنظيم عملية الحرث، كل هذا بغية الحفاظ على الموارد الترابية للدرجات النهرية لواد زلتن عند عالية حوض واد القصب.

## المراجع

**محي الدين. م، بوزوكار. ع (2019):** فهم البيئات الحالية من خلال التطورات الماضية لضبط تنمية محلية مستدامة مقاربة مشهدية منهجية، الجهة والبيئة وإعداد التراب، تنسيق الحسين بن الأمين، الإشراف: محمد الأسعد ومحمد محي الدين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الطبعة الأولى مارس 2019.

**النايري ع، وادريم م والمرابط ر(2023):** الدرجات النهرية: المفهوم والنظريات، مجلة أطلنتس،عدد خاص: الإنسان والبيئة مقاربات وتقاطعات، 2023.

**Arnaud-Fassetta. G (2008): Les terrasses fluviales.** In (Dewolf Y., Bourrié G. Eds.) Les formations superficielles. Genèse, typologies, classification, paysages et environnements, ressources et risques. Ellipses Édition Marketing, Paris, 236-243.

**Chaput. E (1924):** Recherches sur les terrasses alluviales de la Seine entre la manche et Montereau, Bull. Serv. Carte géol., France, 153,

**Gartet. J, Gartet. A (2013):** Signification des formes et des formations fluviatiles du Quaternaire supérieur dans la vallée de l'Ouerrha, Rif méridional – Maroc, septentrional, Revista de géomorphologie , vol. 15, 2013, pp. 99-107.

**Jolly. F (1997):** Glossaire de géomorphologie. Base de données sémiologiques pour la cartographie, Edition Armand Colin, 325 p.

**René. C (1955):** Les terrasses fluviales. In: L'information géographique, volume 19, n°5, pp. 189-191; doi : https://doi.org/10.3406/ingeo.1955.6442/ Fichier pdf généré le 08/05/2018.

**Saaidi .E (1979):** Etude géologique du quaternaire de la Meseta côtière Marocaine. Terrasse fluviatiles et autres types d'épandage. Thèse d'Etat, Univ. Med V, Rabat, 279 pages.

**Tricart. J (1947):** Méthode d'étude des terrasses", Bull. Soc. Géol., 5, XVII, 559-575.

# التدبير التقليدي لمياه السقي بين و اقع الندرة المائية وضرورة التأقلم: حالة الحوض المائي بني بوفراح (الريف الأوسط. المغرب)

# Traditional Management of Irrigation Water: Between the Reality of Water Scarcity and the Necessity of Adaptation: A Case Study of the Beni Boufrahan Watershed (Central Rif - Morocco).

بلال لمعلم، طالب باحث في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب

محمد الراجي، أستاذ باحث، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب-

البريد الاكتروني:LAMALLEM89@GMAIL.COM

## ملخص:

تعاني المجالات الجافة والشبه جافة بالمغرب من ندرة الموارد المائية، وتواجه تحديات كبيرة في تدبير المياه نتيجة لتراجع التساقطات المطرية وظهور تقنيات حديثة لاستغلال هذه ا لموارد في مجال السقي. هذه التقنيات المتطورة تزيد الضغط على الموارد المائية وتؤدي إلى تلاشي التقنيات التقليدية في استغلال وتدبير الموارد المائية كما هو الحال بمجال درستنا.

ويعرف حوض بني بوفراح خلال العقود خيرة الاستغناء التدريجي عن التقنيات التقليدية، لصالح تقنيات جديدة تستغل كميات أكبر من المياه الجوفية المتاحة. وبالتالي ازدياد الاستغلال العشوائي لهذه الموارد. حيث تتجه الساكنة نحو حفر الآبار الخاصة لامتلاك مصادر المياه الفردية أو العائلية. هذا ينجم عنه تراجع استخدام التقنيات التقليدية التي كانت تستند إلى مبادئ محلية كالتعاون والتقاسم في استغلال وتدبير الموارد المائية المحلية.

**كلمات مفتاحية**: حوض بني بوفراح ، الموارد المائية، التدبير التقليدي، السقي، التقنيات.

Abstract :

Vast regions in Morocco suffer from water scarcity, posing significant challenges in water management due to declining rainfall and the emergence of modern technologies for resource exploitation. These advanced techniques exert increased pressure on water resources and contribute to the disappearance of traditional methods in water utilization and management, as is the case in our study area.

Over the decades, the Beni Boufrah basin has witnessed a gradual abandonment of traditional techniques in favor of new approaches that exploit larger quantities of available groundwater. Consequently, there has been a surge in haphazard exploitation of these resources, with communities resorting to digging private wells to secure individual or familial water sources. This shift has resulted in a decline in the use of traditional techniques that were rooted in local principles such as cooperation and resource sharing in water utilization and management.

**Keywords**: Beni Boufrah watershed, water resources, traditional management, irrigation, techniques.

## مقدمة

عرف تدبير الموارد المائية تطورا ملحوظا في التقنيات المرتبطة بالاستغلال الأمثل لها، وقد ساهم في هذا التطور التغيرات المناخية التي بات يعرفها العالم خلال العقود الأخيرة، حيث لم يسلم المغرب من آثارها السلبية في تراجع الواردات المائية، كما أن التقدم الواضح في التقنيات المرتبطة باستغلال واستعمال المياه أدى إلى ازدياد الضغط على هذه الموارد، ولا سيما في المناطق التي تعاني من ندرة المياه. ومنذ القدم، استخدمت العديد من التجمعات القروية بالمغرب وسائل تقليدية لاستغلال الماء وخاصة في مجال السقي، غير أن هذه التقنيات ستعرف تطورا في أساليب الاستغلال كما وكيفا وتأقلمها مع التغيرات الحاصلة.

وفيما يتعلق بمجال دراستنا، فإن تدبير الموارد المائية في مجال الري بحوض بني بوفراح عرف تنظيما واستغلالا تقليديا من خلال مجموعة من القوانين العرفية المتوارثة والتقنيات العتيقة، والتي تختلف من مدشر (تجمع سكاني قروي) لآخر باختلاف خصائصه الطبيعية والبشرية، غير أن هذه الأعراف والتقاليد المرتبطة بتدبير الماء تتلاشى شيئا فشيئا في معظم مداشر الحوض بسبب التغيرات المناخية التي ساهمت في تراجع الإمكانات المائية الجوفية ونضوب معظم العيون المائية والآبار الجماعية، وغياب الجريان المائي السطحي، مما أدى إلى تزايد الاستغلال العشوائي لنقط الماء الجماعية المتبقة، وفي هذا السياق ستظهر نزعة نحو امتلاك فردي أو عائلي للمياه من خلال حفر الآبار الخاصة، وفي الوقت نفسه ستحل تقنيات تخزين واستغلال حديثة مكان الوسائل والطرق العتيقة التي تتجه نحو الاختفاء.

## المفاهيم الأساسية المهيكلة لموضوع البحث

- الحوض المائي: مفهوم متعدد التصورات

الحوض المائي هو مساحة اليابس الذي تغذي قنوات أو أودية محددة بالماء اللازم لجريانها، وتشمل جميع الشبكة المجاري الفرعية أو الروافد التي تنقل مياهها السطحية الي الجريان المائي السطحي للمجرى الرئيسي كالأنهار، ويغطي المساحة التي تحدها وتحيط بها خطوط تقسيم المياه من جميع الجوانب التي تمثل مناطق المنابع وتجري على سطحها المياه السطحية بفعل الجاذبية الأرضية لتلتقي في المجرى المائي الرئيسي[1].

[1] أبو حجر (آمنة)، 2009، "المعجم الجغرافي"، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ص299.

من جانب آخر، عرفه الحسن المحداد بأنه" وحدة جغرافية وظيفية تتوافق مع قسم الموارد المائية العامة وتتحكم في سلوك تياراته المائية. ويتميز بحالات تتحكم في توزيع المخزون المائي وتياراته المختلفة، ويعرف تبادلات مائية على شكل إتاوات وصادرات تحدد موازنته، ويسجل تفاعلات معقدة بين مختلف مكوناته تحدد الخاصيات الكيفية للموارد المائية، ويتمتع بسلوك تتحدد خصائصه بالعلاقة مع طبيعة الضغوطات الخارجية التي يتعرض لها"[1].

- التدبير: مفهوم يكتنفه التعقيد

مفهوم التدبير يعني الترتيب والتنظيم والقدرة وحسن القيام بأمر ما وتقويمه، وتشتق كلمة التدبير من فعل دبر تدبيرا مصدر دبر احتياط واستعداد، وهو القدرة على إنجاز أشياء يجب أن تتحقق بعقلانية مع الترصد للعواقب قبل الإقدام على أي شيء. وكان يعني التدبير قديما إدارة الممتلكات برؤية ورجاحة عقل[2].

ويمكن تعريف التدبير أيضا بأنه فن علم يهتم بالحصول على الموارد المادية والبشرية وتنميتها والتنسيق بينها وذلك قصد تحقيق هدف أو أهداف معينة، وحسب "فايول" الأب الروحي للتدبير يمكننا رصد أربعة وظائف رئيسية لهذا العلم وهي : التخطيط، التنظيم، التوجيه والمراقبة[3].

- الموارد المائية: نبض الحياة

يعتبر الماء من أهم العناصر المميزة لكوكب الأرض، فهو ينفرد عن باقي الكواكب الأخرى داخل المجموعة الشمسية على أكثر من صعيد، فالأرض وحدها يوجد الماء على حالاته الفزيائية الثلاث، وخصوصا في حالته السائلة مما جعل بعض الباحثين يسمونه بالكوكب الأزرق.

ويقصد بالموارد المائية كل المياه المتواجدة على سطح الأرض، أو بعبارة أدق الرصيد المائي المتاح والقابل للاستغلال في أي وقت من طرف القطاعات السوسيواقتصادية.

إشكالية البحث

تتمحور الإشكالية الرئيسة لموضوع "التدبير التقليدي لمياه السقي بين واقع الندرة المائية وضرورة التأقلم: حالة الحوض المائي بني بوفراح" حول الإمكانات المائية المتوفرة والمتاحة، وطرق التدبير المحلي التقليدي في خضم التحولات الراهنة لطرق

---

[1] المحداد (الحسن)، 2003، "الماء والإنسان بحوض سوس: إسهام في دراسة نظام مائي مغربي"، مركز ابن تومرت للدراسات والنشر والوثيق، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة، أكادير، المغرب، ص 26.

[2] المشاط (نور الدين)، تعريف التدبير، الرابط الإلكتروني: http://education2015blogspot.com./2011/05/gestion.htm ، اطلع عليه بتاريخ: 112023/03/

[3] المرجع نفسه، نفس تاريخ الاطلاع.

الاستغلال من جهة والتغايرية المناخية وانعكاساتها على قطاع الفلاحة السقوية المعاشية من جهة ثانية، وفهم طرق التأقلم مع هذه التغيرات.

## أهداف البحث

نتوخى من خلال الإجابة عن اشكالية البحث تحقيق الأهداف التالية:

- ✓ رصـــد مظاهر التدبير التقليدي للماء، والتحول الذي عرفه من حيث التنظيم والاســـتغلال نتيجة التغيرات المناخية والتحولات السوسيواقتصادية؛
- ✓ عرض أشـــكال التأقلم مع الإمكانات المائية المتاحة والتغيرات الحاصـــلة على مســـتوى تدبير مياه الســـقي التقليدي.

منهجية وأدوات الدراسة

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الاستنباطي بهدف استخراج النتائج من المعنى العام إلى الجزء البسيط، أو إثبات ما يصدق على الكل يصدق على الجزء، أو أن الجزء يقع ضمن الكل، وذلك من خلال الدقة في المفاهيم والإقناع العلمي في النتائج اعتمادا على أدوات عقلية وقوانين بحثية أولية، وانطلاقا منها تستنبط حقائق البحث[1].

كما اعتمدنا على مجموعة من الوسائل والتقنيات، وذلك وفق الضوابط المعمول بها في البحث العلمي الجغرافي، فبعد تحديد موضوع ومجال الدراسة، شرعنا في العمل البيبليوغرافي من خلال الاطلاع على البحوث التي كتبت حول موضوع دراستنا وعلى مجالها أو خارجها، ثم القيام بزيارات ميدانية مكثفة لمختلف مناطق الحوض (خلال سنتي 2021 و2022) قصد الملاحظة والتوثيق والوقوف على تفاصيل الموضوع عن قرب وإجراء مقابلات مع الساكنة المحلية.

## موقع مجال الدراسة

ينتمي الحوض المائي بني بوفراح من الناحية الطبيعية لسلسلة جبال الريف، ويقع تحديدا شمال الريف الأوسط على الساحل المطل على البحر الأبيض المتوسط، بين خطي طول '4°17 و '4°25غربا وبين خطي عرض '35°7 و '35°9 شمالا. ويبعد مركز الحوض عن مدينة الحسيمة في اتجاه الغرب بحوالي 40 كلم، ويخترقه الطريق الساحلي في الشمال على مستوى سافلة الحوض والطريق الوطنية رقم 2 على مستوى الحدود الجنوبية.

[1] بولربح (علي)، 2017،"منهجية البحث في الجغرافية: أدوات وتقنيات"، مطبعة فولك، طنجة، المغرب، ص 18، 19 و 20.

ويعتبر الحوض المائي لبني بوفراح من الأحواض المائية الصغرى ، حيث يمتد على مساحة 162,25 كلم مربع ، ويبلغ طوله حوالي21 كلم أما عرضه فيبلغ حوالي 9 كلم . يحد الحوض المائي من جهة الشمال خط تقسيم مياه واد غيس وغربا خط تقسيم واد العنصر، أما من جهة الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن جهة الشرق خط تقسيم مياه واد فضال.

هذا، وينتمي الحوض المائي بني بوفراح إداريا حسب التقسيم الجهوي الجديد بالمغرب لسنة 2015 لجهة طنجة .تطوان. الحسيمة، حيث يمتد على تراب خمس جماعات ترابية تقع شمال غرب اقليم الحسيمة وهي: جماعة بني بوفراح، بني جميل مسطاسة، سنادة، بني جميل مكصولين، وسيدي بوتميم، ويمثل تراب جماعة بني بوفراح حوالي ثلاثة أرباع المساحة الإجمالية للحوض بنسبة تصل لحوالي 74,38%، أما الجماعات الأربع المتبقية فتمثل مساحة الربع المتبقي بنسب متفاوتة.

الوثيقة رقم 1: خريطة توطين المجال المدروس

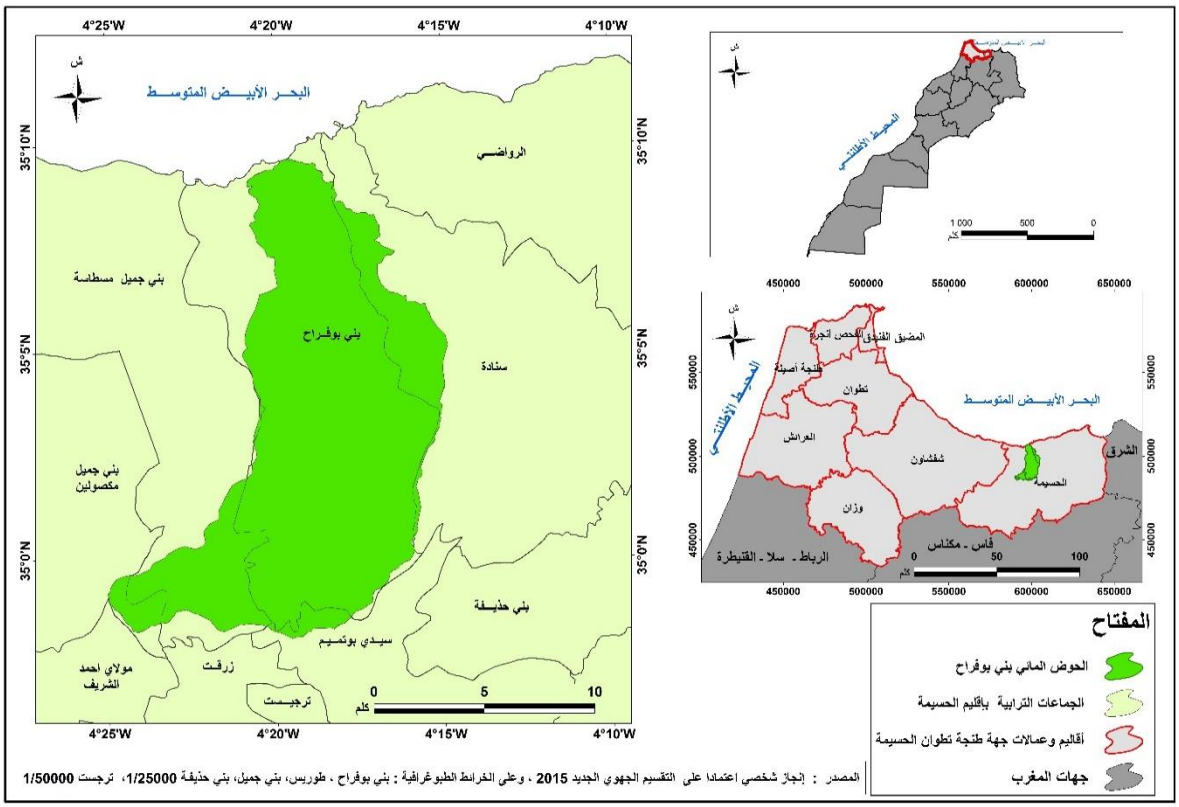


## نتائج الدراسة ومناقشتها

### 1. الآبار مصدر أساسي لمياه السقي بعد نضوب معظم العيون المائية بحوض بني بوفراح

تنتشر بحوض بني بوفراح عدة رساتيق زراعية تنسجم والطابع التضاريسي المتسم بقلة المجالات المنبسطة ولاسيما وسط وعالية الحوض، إذ تستغل الساكنة ضفاف الأودية في خلق دوائر مسقية مجهرية، ونظرا للتذبذب الذي يصيب إيقاع التساقطات خلال السنة الهيدرولوجية، فإن الانسان في مجال دراستنا تأقلم مع هذه الخصائص الطبيعية، من خلال استغلال العيون المائية المنبثقة وحفر الآبار في المناطق التي تتوفر على مياه جوفية قريبة من السطح.

الوثيقة رقم 2: خريطة توزيع العيون والآبار المائية بحوض بني بوفراح

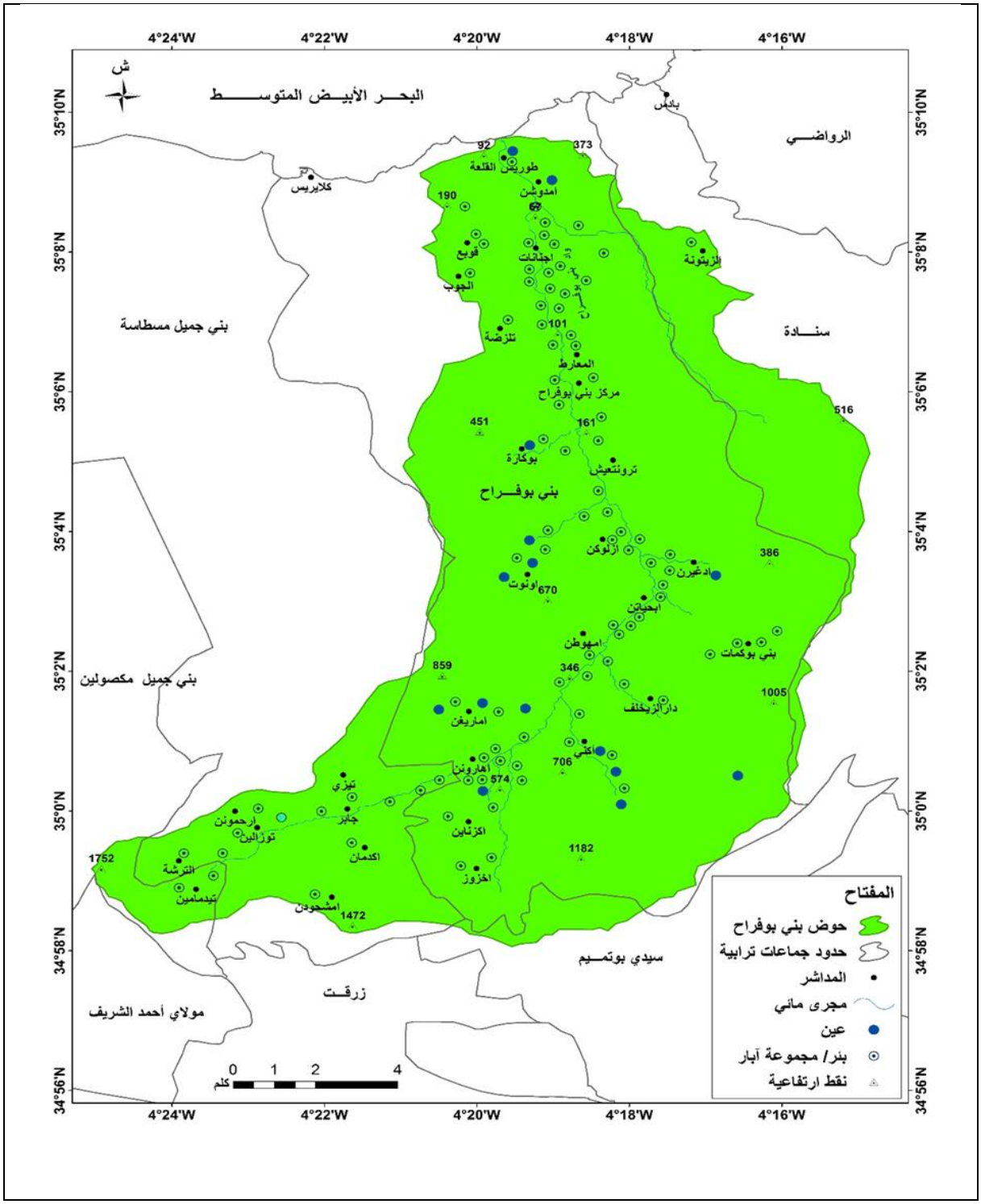


المصدر: انجاز شخصي اعتمادا على نتائج البحث الميداني ومعطيات المكتب الوطني للكهرباء والماء الصالح للشرب، قطاع الماء بالحسيمة، 2022. والخرائط الطبوغرافية: بني بوفراح، بني جميل، طوريس 1/25000 وترجيست 1/50000.

### 1.1 تفاقم نضوب العيون المائية

أدى توالي سنوات الجفاف، وتراجع الاتاوات المطرية السنوية، وتعاظم استغلال المياه الجوفية أدى إلى نضوب معظم العيون المائية او تراجع صبيبها مما جعل استغلالها يقتصر على التزود بالماء للاستعمال المنزلي، إذ أن مداشر اهارونن، اكزناين، أكني، ثم بعد ذلك اباحياتن ودارزيخلف كانت تعتمد خلال ثمانينيات القرن الماضي على مياه العيون في مد الدوائر السقوية المحلية التي تشكل أهمية كبرى في توفير المواد الزراعية الأساسية بالمنطقة، وتستغل هذه العيون من خلال ربطها بالسقايات التي تجر المياه إلى المنازل والدوائر السقوية، يتم توزيع المياه المتاحة على المشارات باتباع قوانين وأعراف محلية، والتي تزداد صرامة مع انخفاض الصبيب ولا سيما خلال فصل الصيف وفترات الجفاف[1].

وحسب الإحصاء الفلاحي لسنة 1977.1976، فإن 26% من المساحات المزروعة بمدشر اهارونن مسقية من مياه العيون، ومعظم هذه المساحة التي تقدر بحوالي 4,4 هكتار يتم سقيها انطلاقا من عينين مائيتين بصبيب يبلغ 0,3 ل/ث، حيث يتم نقل مياههما عبر مئات الأمتار إلى خزانين مائيين متواجدين أعلى المشارات المسقية أسفل السفح، فالصهريج الأول الواقع في الشرق تصل سعته لحوالي 26,2 متر مكعب، أما الثاني الواقع غربا فتصل سعته لحوالي 24,8 متر مكعب[2].

وخلال زياراتنا الميدانية لمدشر اهارونن الواقع غرب عالية حوض بني بوفراح، اتضح لنا الاستغناء الكلي عن مياه العيون المائية في سقي المشارات بسبب تراجع الصبيب بشكل حاد إلى درجة النضوب خلال الصيف والفترات الجافة أو بشكل دائم، حيث أصبح الاعتماد على مياه الآبار المصدر الأساسي لسقي المحاصيل الزراعية خلال الصيف والفترات الجافة.

[1] PASCON (Paul) et HERMANVAN (Der wusten) ,1983, "Les Béni Boufrah, essai d'écologie sociale d'une vallée rifaine (Maroc)," Institut Universitaire de la Recherche Scientifique, Rabat, Maroc, p 133.
[2] Ibid, p 134.

الوثيقة رقم 3: صورة لعين مائية ناضبة بمدشر اهارونن

أدى تراجع كميات التساقطات السنوية وتردد فترات الجفاف خلال العقود الأخير إلى نضوب العديد من العيون المائية بحوض بني بوفراح، مما انعكس سلبا على السقي الفلاحي المعتمد على هذا المصدر المائي، وتمثل الصورة رقم الملتقطة بمدشر اهارونن إحدى هذه العيون التي انقطع صبيبها بشكل تدريجي منذ سنوات،

عدسة الباحث بلال لمعلم، بتاريخ: 11 يناير 2022.

**2.1 استفحال ظاهرة حفر الآبار المائية**

أضحى حفر الآبار لتوفير مياه السقي ظاهرة منتشرة بمعظم مناطق بالحوض، وساهم الانتشار الواسع لزراعة "الكيف" على السفوح وضفاف الأودية والأراضي الفلاحية، بعد أن كان يقتصر انتشارها على المجال الغابي في استعمال تقنية الري بالرش أو الري الموضعي بالنسبة لبعض أنواعها الكبيرة الحجم كتلك المسماة محليا بنبتة "تريتيكا"، إذ أصبحت هذه الزراعة تزاحم زراعة الحبوب والزراعات المسقية[1]، حيث تحتاج هذه الزراعات كميات كبيرة من المياه وخاصة خلال فصل الصيف الذي يتسم بندرة التساقطات المطرية، كما أن تراجع عدد العيون المائية وتعدد استعمالات مياهها، وغياب الجريان المائي السطحي، كلها عوامل ساهمت في تعاظم حفر الآبار لاستغلال المياه الجوفية المتاحة.

وتجدر الإشارة إلى أن عمليات حفر الآبار بحوض بني بوفراح، كما هو الحال في معظم البوادي المغربية "تتم في معظم الحالات بدون رخصة إدارية، علما بان الرخصة تصبح من الناحية القانونية ضرورية إذا كانت كميات الماء المراد استخراجها تتجاوز 200 م3/اليوم حسب ما نص عليه ظهير فاتح غشت 1925 المتعلق بنظام المياه واستغلال الموارد المائية الباطنية"[2]، كما أن قانون الماء رقم 36.15 المعمول به حاليا يسمح للملاكين بحفر الآبار وجلب كميات من الماء بدون ترخيص شرط أن لا تتعدى

---

[1] ، "توسع زراعة القنب الهندي وإشكالية تدهور الموارد الطبيعية بالريف الغربي، في: "مجلة جغرافية 2008 بحادة (منانة)، العوينة (عبد الله)، صابر (محمد)، المغرب، الجمعية المغربية للجغرافيين المغاربة"، ص 84.

[2] الاكحل (المختار)،1998، "الموارد الطبيعية بهضبة بن سليمان: الإمكانيات الطبيعية وحصيلة التدبير البشري"، في: " الاحواض النهرية بالمغرب وإشكالية التهيئة"، أعمال الملتقى السابع للجيومورفلوجيين المغاربة 18. 19 مارس 1998، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الندوات رقم 15، جامعة الحسن الأول، المحمدية، ص126.

العتبات المحددة بنص تنظيمي، غير أن هذه النصوص لا تطبق على أرض الواقع. وكان عدد الآبار المخصصة للسقي بحوض بني بوفراح خلال السنوات الأولى من ثمانينات القرن الماضي إلى حوالي 135 بئرا، منها حوالي ما بين 80 و90 بئرا كان يستغل فعليا[1]، أما حاليا، ومن خلال بحثنا الميداني تبين أن هذا الرقم تضاعف عدة مرات، إذ يصل معدل عدد الآبار لكل مدشر حاليا حوالي 20 بئرا، وهنا تجدر الإشارة حسب إفادات الساكنة المحلية. أن الآبار الموجهة للسقي والموجودة داخل التجمعات السكنية أو القريبة منها غالبا ما يتم استغلال مياهها للاستعمال المنزلي أيضا.

وكحال العيون المائية التي قل صبيبها أو نضبت بشكل نهائي، فإن مياه الآبار تعرف بدورها تأرجحا في حجم صبيبها حسب الفصول الهيدرولوجية والفترات المناخية؛ إذ يقل صبيبها في فصل الصيف وخلال استمرار المواسم الهيدرولوجية الجافة، وحسب إفادات أصحاب آبار أثناء مقابلات شخصية معهم بمداشر مختلفة من الحوض اجنانات، المعارط (سافلة الحوض) ،ازلوكن و ودارزيخلف ( وسط الحوض)، أكني، بني بوكمات، اماريغن واهارونن (عالية الحوض) اتضح وجود تباين واضح في عمق الآبار وحجم صبيبها بين سافلة الحوض وعاليته، إذ أن معدل عمق الآبار بالسافلة على ضفاف واد بني بوفراح يتراوح ما بين 10 و 15 مترا، بينما يزداد عمق الآبار كلما اتجهنا نحو العالية إذ يتراوح ما بين15 و 20 مترا وقد يتعدى ذلك بكثير كلما ابتعدنا من ضفاف الأودية في اتجاه السفوح كما هو الحال بمدشر بني بوكمات التي يصل فيه معدل عمق الآبار لأكثر من 20 مترا

الوثيقة رقم 4: صور للآبار والتجهيزات الهيدروليكية المعدة لسقي المزروعات

[1] P ASCON (Paul) et HERMANVAN (Der wusten) ,1983, op.cit, p 141 .

ISSN 2569-734X

تبين الصـور بعض الآبار والتجهيزات الهيدروليكية المرتبطة بها. الصـورة االألى تُظهِر بئررامجهزا بمضـخة هيدروليكية كهربائية تستخدم لسقي المشارات على الضفة اليمنى لواد بني بوفراح على مستوى سافلة الحوض (مدشر اجنانات)، أما الصورة الثانية تظهر استخراج المياه باستخدام مضخات هيدروليكية كهربائية قرب التجمعات السكنية (مدشر اهارونن عالية الحوض)، بينما الصـورة الثالثة تظهر اسـتخراج المياه باسـتخدام مضـخة هيدروليكية تعمل بالغاز الطبيعي بعيدًا عن التجمعات السكنية (مدشر اهارونن).

عدسة الباحث بلال لمعلم، بتاريخ: 11يناير 2022.

**2 - الساقية موروث مائي أصيل في طريق الاندثار**

تعد الساقية واحدة من التقنيات التقليدية الأكثر شيوعا في جبال الريف. ويشهد حوض بني بوفراح وجود عدة سواقٍ جماعية، تستخدم لتنظيم الري الزراعي في الحوض. حيث تشكل السواقي وسيلة أساسيةة لنقل المياه من نقاط المصدر إلى المشارات الزراعية. ومع ذلك، فإن استمرار هذه التقنية أصبح مهددا، ويمر بمرحلة شبه اندثار. ويعزى ذلك إلى تقدم التقنيات وانتشار الأساليب الحديثة للري، والتغيرات التي حدثت في نوعية المحاصيل الزراعية المعتمدة من قبل المزارعين،

الوثيقة رقم 5: صورتان لآثار سواقي معطلة بحوض بني بوفراح

تغيرت طرق ومواد بناء السواقي حسب تطور التقنيات مع الزمن، حيث استعملت في البداية تقنية حفر قناة في التراب وترصيصها بالأحجار من الجوانب لمنع انسكاب الماء وانهيار القناة، ثم تطورت التقنية وانتشرت بعد الاعتماد على مادة الاسمنت المدعمة بالحجارة ومادة الحديد في بناء السواقي وجر المياه لمسافات أكبر وحتى في السطوح المنحدرة والمخددة. (الصورة الأولى لجزء من ساقية/قناة مائية مندثرة نتيجة نجخ ضفاف واد توارضوين بعالية الحوض، أما الصورة الثانية فهي لساقية اسمنتية غير مستعملة على مستوى سافلة الحوض بمدشر اجنانات). عدسة الباحث بلال لمعلم، بتاريخ 15 يونيو 2021.

كما ساهمت التغيرات المناخية وتراجع الواردات المائية السطحية والجوفية بدور كبير في الاستغناء عن نظام السواقي التي كانت ترتبط معظمها بالعيون المائية والجريان المائي السطحي للأودية، حيث أن هذه التقنيات كانت تنتشر أكثر بالمناطق التي تزخر بالعيون المائية والجريان السطحي للأودية. فحسب إفادة أحد المستجوبين. صاحب ساقية قديمة بمدشر المعارط. فإن اهمام السواقي يرجع إلى وجفاف الآبار والعيون المائية بالمنطقة خلال العقود الأخيرة التي استعملت لمدها بالمياه.

غير أن مبادرات إحياء هذا الموروث المائي لاتزال قائمة، كما هو الشأن بمنطقة تفروين الواقعة في غرب عالية حوض بني بوفراح، إذ سيساهم هذا المشروع في زيادة حجم الإمكانات المائية للمجال المسقي بهذه المنطقة.

الوثيقة رقم 6: صورتان لأشغال إعادة ترميم وتهيئة ساقية تفروين

تبين الصورتان جانب من أشغال ترميم وإعادة بناء ساقية تفروين، ويتم بناء القناة كما يتضح من خلال الصور بمادة الاسمنت المدعمة بالحديد والأحجار.

عدسة الباحث بلال لمعلم، بتاريخ 11 يناير 2022.

وتعتمد تقنية الساقية على عامل الجاذبية في جر المياه من المنابع المائية في اتجاه المشارات المسقية مباشرة أو بعد ملء صهريج مائي ومن خلاله يتم توزيع المياه على هذه المشارات، وحسب المعاينة الميدانية بمنطقة تفورين، فإن بناء الساقية يتم بمادة الاسمنت المدعمة بالحديد والأحجار على طول يقدر بحوالي كيلومتر تقريبا، وهي تتخذ شكلا عرضيا مع ميلان بسيط يسمح بانسياب الماء من المنبع نحو مجال المشارات بعد تكسيرها ببناء صهريج على مستوى الربع الأخير من مسار القناة. وتم بناء صهريج اسمنتي لتجميع مياه الساقية في الربع الأخير من القناة.

### 3. الناعورة وسيلة سقي بائدة بحوض بني بوفراح

الناعورة أو النوريا "مصطلح إيطالي" وهي دولاب أو عجلة تستخدم في أغراض الري لنقل الماء من الآبار أو المجاري النهرية إلى الحقوق الزراعية بواسطة الحيوان أو قوة اندفاع الماء"[1]. يرتبط استخدام الناعورة بالمناطق المنبسطة حيث تنصب على جانبي الأودية لرفع المياه باستخدام دلاء مثبتة على طول العجلة التي تدور بانتظام عكس اتجاه تدفق المياه. توجد النواعير في المناطق الوسطى والشمالية لحوض بني بوفراح حيث تمتد على طول ضفتي واد بني بوفراح.

الوثيقة رقم 7: صور لبقايا نواعير بسافلة حوض بني بوفراح

[1] أبو حجر (آمنة)، 2009، مرجع مذكور، ص401.

توثق الصور الملتقطة في مداشر المعارط والمرج واجنانات بقايا النواعير التي كانت تستخدم لاستخراج المياه الجوفية على ضفاف واد بني بوفراح على مستوى السافلة.. تظهر الصور شكل بئر مستطيل الشكل يحتوي على آلية يتم من خلالها سحب المياه. آلة خشبية تتألف من عجلة رئيسية تعتمد على عمود خشبي قوي، وعجلة أخرى صغيرة الحجم وأسطوانية الشكل توضع فوق الهيكل الخشبي، وتُثبت بعمود خشبي آخر يتيح دورانها بفضل الدواب (حصان او حمار). يتم بفضل هذا النظام الدائري رفع الدلاء من قاع البئر، وبعد وصولها إلى السطح، يتم تفريغها عبر قناة خشبية مائلة نحو صهريج لتجميع المياه. يتم توزيع المياه على الحقول باستخدام نظام السقاية. ومع ذلك، توضح الملاحظات الميدانية أن معظم الآبار التي تعتمد على هذه التقنية قد تمامًا أو صبح صبيب المياه فيها ضئيلا. ولذلك، تم استبدال هذا النظام بمضخات هيدروليكية كهربائية لاستخراج المياه من الآبار.

عدسة الباحث بلال لمعلم بتاريخ: 15 يونيو 2021.

كشفت نتائج البحث الميداني وجود خمس نواعير في منتصف وسفل حوض بني بوفراح، وهي ناعورتان في المرج (مركز جماعة بني بوفراح حالياً) وناعورة واحدة في كل من مداشر المعارط وأزلوكن واجنانات. كانت هذه النواعير تستخدم مياهها لسقي الحقول القريبة وللاستخدامات المنزلية. ووفق إفادات ملاك هذه النواعير، فقد تم استخدامها لأغراض متنوعة بما في ذلك سقي المحاصيل الزراعية. ومع ذلك، توقف استخدام النواعير في بداية القرن الحالي نتيجة لتراجع التساقطات المطرية وانخفاض مستوى المياه الجوفية في الآبار المخصصة لهذه الآلات الخشبية التقليدية. بالإضافة إلى ذلك، ساهم ربط المنطقة بالكهرباء ابتداء من سنة 2003 استخدام المضخات الهيدروليكية الكهربائية، وهي كلها عوامل رئيسية ساهمت في اهمال هذه الوسيلة التقليدية بحوض بني بوفراح.

### 4 - المطفيات والصهاريج منشآت مائية فرضها و اقع ندرة الموارد المائية بحوض بني بوفراح

المطفية أو المطفيات عبارة عن صهاريج محفورة في فضاء مفتوح ، ذات أحجام من بضع أمتار مكعبة، يتم فيها تخزين المياه الجارية في الطريق وداخل حدود حوض مائي[1]، أو فوق اسطح المنازل، واستعمال مياهها في سقي المزروعات وضمان توريد الماشية وتوفير الماء المنزلي.

الوثيقة رقم 8: صهاريج لتخزين مياه السقي بسفوح حوض بني بوفراح

تشكل الصهاريج المائية جزءا أساسيا للمشهد الزراعي بوسط وعالية حوض بني بوفراح، إذ تساعد هذه الوسيلة في تسهيل عملية سقي المزروعات على السفوح وعلى ضفاف الاودية، كما تساهم عملية تخزين المياه هذه في التقليل من التكلفة المادية وفي تنظيم عملية الري عبر الأنابيب البلاستيكية، معظم الصهاريج صغيرة الحجم لا تتجاوز سعتها في الغالب 10 أمتار مكعبة، ويتم بناؤها بمادتي الآجر والإسمنت.

عدسة الباحث بلال لمعلم، بتاريخ: 22 ماي 2021

وتعرف المطفيات والصهاريج المائية انتشارا واسعا بحوض بني بوفراح، حيث تتخذ موقعا بالقرب من المنازل أو داخل فنائها والتي تكون بمثابة خزان للمياه المجمعة من أسطح المنازل، غير أن المياه المجمعة في المطفيات غالبا ما لا تكفي لسد مختلف حاجيات الأسر، ولاسيما خلال فصل الصيف، حيث يشتد الحر وتزداد حدة الجفاف. وقد تؤدي الصهاريج نفس الأدوار وتعرف نفس طرق التعبئة، غير أن الملاحظ من خلال دراستنا الميدانية وجود عشارات الصهاريج بمجالات بعيدة عن التجمعات السكانية، وتتخذ موقعا مرتفعا من الرساتيق الزراعية.ونظرا للطابع المتضرس للمجال- حيث أن هذه المنشآت المائية الاسمنتية تؤدي دورا تنظيميا وتقنيا في توزيع مياه السقي على المشارات المنتشرة على سفوح وضفاف الأودية، إذ يعمد

[1] بوطلاقا (محمد)، بنبراهيم (يوسف)، شعوان (جمال)، العمراني (عبد الواحد)، 2019،" تدبير الموارد المائية زمن الندرة من خلال نموذج المطفيات: دراسة حالات من حوض ورغة (الريف الأوسط)"، Revue Espace Géographique et Société Marocaine, n° 30.208 ، ص

الفلاح إلى بناء صهريج في موضع مرتفع من مشاراته يسمح له باستغلال مياهه بتكلفة أقل، وذلك باستغلال عامل الجاذبية عبر ربطه بأنابيب ري بلاستيكية تتوزع على امتداد المشارة.

## خلاصة وتوصيات

أصبح تطوير تقنيات الري السبيل الوحيد لتدبير الموارد المائية في القطاع الزراعي بحوض بني بوفراح، باعتبار التقنيات الحديثة أقل استهلاكا للماء، وخاصة في ري نبتة القنب الهندي "الكيف"، نظرا لتأثيرها القوي على المنظومة البيئية والعلاقات الاجتماعية، وفي استنزاف الموارد المائية.

ونظرا للتخبط الذي تعيشه منظومة السياسة المائية المحلية، ولاسيما تلك المتعلقة باستغلال المياه الجوفية، في ظل صعوبة المراقبة من طرف الجهات الرسمية، فإن تدبير هذه المادة الحيوية يبقى عشوائيا في معظم حالاته، كما أن مسألة استدامة هذه الموارد تبقى رهينة بالظروف المناخية السائدة - التي تتجه حسب عدة دراسات نحو الانخفاض في الإرادات المائية-، وأيضا على حسن تدبيرها، وهنا الأمر يتطلب توجيه الاهتمام إلى تطوير تقنيات مستدامة وفعالة لتدبير المياه بشكل عام ومياه الري بشكل خاص، وإيلاء الموروث المحلي عناية خاصة. ويجب أن تلعب الدولة والمجتمع المدني أدوارا رئيسية في تنظيم وتدبير هذا القطاع من خلال تفعيل برامج سياسات مائية وطنية وتطبيق القوانين اللازمة لتحقيق استدامة المياه وتلبية احتياجات الساكنة.

## لائحة المراجع

### باللغة العربية


- أبو حجر (آمنة)، 2009، "المعجم الجغرافي"، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1024 صفحة
- الأكحل (المختار)،1998، "الموارد الطبيعية بهضبة بن سليمان: الإمكانيات الطبيعية وحصيلة التدبير البشري"، في:" الاحواض النهرية بالمغرب وإشكالية التهيئة"، أعمال الملتقى السابع للجيومورفلوجيين المغاربة 18.19 مارس 1998، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الندوات رقم 15، جامعة الحسن الأول، المحمدية، المغرب، الصفحات 134.111.
- بحادة (منانة)، العوينة (عبد الله)، صابر (محمد)، 2008، "توسع زراعة القنب الهندي وإشكالية تدهور الموارد الطبيعية بالريف الغربي، في: "مجلة جغرافية المغرب، الجمعية المغربية للجغرافيين المغاربة"، الصفحات 81. 93.
- بوطلاقا (محمد)، بنبراهيم (يوسف)، شعوان (جمال)، العمراني (عبد الواحد)، 2019،" تدبير الموارد المائية زمن الندرة من خلال نموذج المطفيات: دراسة حالات من حوض ورغة (الريف الأوسط)"، Revue Espace Géographique et Société Marocaine, n° 30، الصفحات 201. 217.
- بولريح (علي)، 2017،"منهجية البحث في الجغرافية: أدوات وتقنيات"، مطبعة فولك، طنجة، المغرب، 93 صفحة.
- المحداد (الحسن)، 2003، "الماء والإنسان بحوض سوس: إسهام في دراسة نظام مائي مغربي"، مركز ابن تومرت للدراسات والنشر والوثيق، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة، أكادير، المغرب، 498 صفحة.


### باللغة الفرنسية:


- PASCON (Paul) et HERMANVAN (Der wusten) ,1983, "Les Béni Boufrah, essai d'écologie sociale d'une vallée rifaine (Maroc)," Institut Universitaire de la Recherche Scientifique, Rabat, Maroc, 297p.

- ARRAJI (Mohamed) ,1995, "Le climat du versant méditerranéen du Rif central (Maroc) : une géographie de la pluie, mécanismes pluviogènes et temps pluvieux" Thèse de Doctorat, Université de Toulouse II- le Mirail, 334p.
- AL KARKOURI (Jamal), 2003, "Dégradation du milieu naturel dans le bassin versant de Béni Boufrah (Rif central-Maroc) : Analyse des facteurs et des processus, essai de quantification et de modélisation spatiale",Thèse de doctorat d'État ès lettres. Université Mohammed V, Rabat,Maroc,377p.

# الدينامية الترابية بإقليم الدريوش بين التقسيمات الإدارية والتحولات السوسيو-مجالية

# The territorial dynamics in the province of Driouch between administrative divisions and socio-spatial transformations

د. عبد الكريم سومع، جامعة محمد الأول، وجدة – المغرب soumaa_k@yahoo.fr
Dr. SOUMAA Abdelkarim, University Mohammed I, Oujda -Morocco

**ملخص:**

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد أهم مخلفات التحولات السوسيو_مجالية التي شهدها إقليم الدريوش خلال القرن العشرين ودورها في دينامية المشهد الجغرافي، خاصة مع نمو المدن المتسارع على حساب الأراضي الفلاحية، مقابل إفراغ البوادي.

لقد تبين من خلال توظيف المنهج التاريخي، والمقاربة الوصفية والإحصائية وكذا العمل الميداني، أن للتقطيعات الترابية بالمملكة دور في ظهور الإقليم والمدن الثلاثة من جهة، وفي اختلاف أنماط إعادة تدبير المجال من جهة ثانية.

الكلمات المفاتيح: التحولات، السوسيو-مجالية، إقليم الدريوش، المشهد الجغرافي.

**Abstract**: This study aims at determining the socio-spatial transformations which have occurred in the province of Driouch, during the twentieth century and its role in the dynamism of the geographical landscape, especially with the rapid growth of cities at the expense of agricultural lands, on account of countryside's evacuation.

Through employing the historical method, the descriptive statistical approach, fieldwork, relying on geographic information systems and the modern cartographic approach (ArcGIS), we deduce that the territorial fragments in the Kingdom play a role in the emergence of the province and the three cities on the one hand, and in the different types of management spatial on the other hand.

Keywords: transformations, socio- spatial, Driouch province, geographical landscape.

**مقدمة:**

تتميز علاقة الإنسان بالمجال بالتكامل بين متطلبات الإنسان وما توفره الأرض من موارد، وذلك لضمان مبدأ الارتباط بين الإنسان ووسطه؛ فقد ساهمت التحولات المجالية التي عرفها إقليم الدريوش في إفراز حركية ديموغرافية واقتصادية، خلفت بدايات تغيير على مستوى أنظمة الاستغلال والإنتاج، ومع تقاطع وانتقال لثقافات اجتماعية واقتصادية جديدة.

مع بداية القرن العشرين، ومن أجل التحكم في التحولات التي شهدها مجال الإقليم، تم توظيف التقطيع الترابي لتدبير المجال، كنوع من أساليب التدخلات الإدارية والمجالية، والذي تجسد في مختلف المراجعات التي عرفها التقسيم الإداري لحدود الجماعات الترابية بالبلاد من سنة 1912 إلى غاية آخر تقسيم لسنة 2015.

من أجل دراسة جوانب هذه الدينامية، ولتحديد العناصر المتحكمة في التحولات التي شهدها إقليم الدريوش، تم الاعتماد على التشخيص العلمي الدقيق لمجمل التحولات الترابية التي شهدها مجال الدراسة، ووصف مظاهر ونتائج الدينامية السوسيو-مجالية لحدود الجماعات الترابية.

## 4. الإطار المنهجي للبحث

### 4.1 إشكالية البحث

تسعى هذه الدراسة إلى تحديد أهم مراحل التحولات المجالية التي عرفها المجال الدراسي، من خلال تتبع تطورات الخريطة الإدارية للدريوش، والإجابة على الإشكالية التالية: ما دور الدينامية الترابية في التحولات السوسيو-مجالية التي شهدها إقليم الدريوش؟

### 2.2 أهداف البحث:

تم التركيز في هذه الدراسة على تحديد أهم مراحل التحولات الترابية لخريطة حدود الإقليم، ودورها في ظهور المجالات الحضرية من خلال:

- دراسة التحولات الترابية لإقليم الدريوش تبعا للتقسيمات الإدارية للمغرب.
- تتبع مراحل تطور الخريطة الترابية لإقليم الدريوش.
- تحديد مراحل ظهور وتطور التجمعات الحضرية بإقليم الدريوش.

### 3.2 منهجية البحث:

تطلب انجاز هذه الدراسة توظيف المنهج التاريخي الوصفي لتحديد أهم التقسيمات الترابية، وتم توظيف نظم المعلومات الجغرافية والمقاربة الإحصائية من أجل تحليل ومعالجة المرئيات الفضائية، والاعتماد على الخرائط الطبوغرافية والعمل الميدان، ودراسة ومقارنة المعطيات المحصل عليها باستعمال برنامج ArcGIS لتشخيص التحولات التي عرفها المجال الترابي للإقليم.

### 4.2 الموقع الجغرافي لمجال الدراسة:

تنتمي منطقة الدراسة لسلسلة جبال الريف الشرقي، ويمتد الإقليم من حوض واد كرت شرقا إلى حوض واد النكور غربا، ومن البحر الأبيض المتوسطي شمالا إلى جبل الحسان المطل على عين الزهرة جنوبا (الشكل .1.).

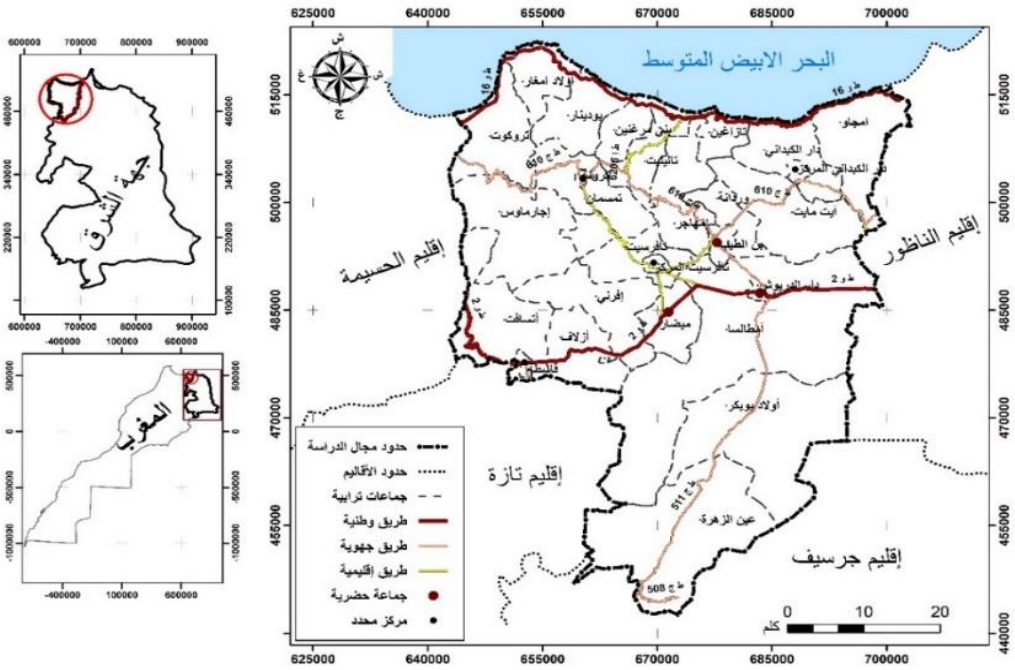


المصدر: عمالة إقليم الدريوش والناظور والمندوبية السامية للتخطيط، وجدة

الشكل 3: توطين مجال الدراسة

يعتبر الإقليم من الناحية الإدارية جزءا من جهة الشرق، والذي أحدث بتاريخ 28 أكتوبر 2008 بمقتضى مرسوم رقم 520-08-02، يحده غربا إقليم الحسيمة وشرقا إقليم الناظور، ومن الجنوب إقليمي جرسيف وتازة.

## 5. النتائج

### 1.2 التحولات الترابية لإقليم الدريوش تبعا للتقسيمات الإدارية للمغرب

شهد المغرب منذ فرض الحماية الاستعمارية إلى اليوم، مجموعة من التقسيمات الترابية التي تختلف وظائفها ومقاصدها من رسم الحدود باختلاف السياسة المراد إتباعها؛ إما من أجل السيطرة على الوضع العام وضبط الأمن، أو من أجل خلق إطار ملائم لتنفيذ سياسة إعداد التراب الوطني والتقليص من التباينات المجالية والاجتماعية والاقتصادية بين مختلف الجهات المغربية.

#### 1.1.2 تطور مجال الدريوش في التقطيع الإداري لتراب المملكة

شهد المجال الترابي للمغرب مجموعة من التقسيمات الترابية، منذ مرحلة الحماية الإسبانية إلى آخر تقطيع ترابي لسنة 2015، نتيجة اختلاف الأهداف والوظائف التي اعتمد عليها في هذه التقطيعات المجالية.

**أ. التدبير الترابي للدريوش زمن الحماية**

قبل دخول الاستعمار للمغرب سنة 1912، كانت السلطة مركزية بيد السلطان بمدينة فاس، وكان التقسيم الترابي في هذه الفترة تقسيما قبليا، حيث كانت القبيلة تمثلها جماعة تسهر على اختيار أعضائها المنحدرين من أعيان الدواوير. لكن مع دخول المستعمر إلى تراب البلاد، تغيرت خلفية التقسيم الترابي من هدف هيكلة التراب الوطني، إلى ضمان تأمين المراقبة وفرض السيطرة على أرجاء المملكة.

بعد توقيع معاهدة الحماية سنة 1912، تم تقسيم البلاد إلى ثلاث مجالات كبرى، بحيث تحولت طنجة إلى منطقة دولية، ومنطقة جبال الريف والصحراء تحت النفوذ الإسباني، بينما وسط البلاد ظل تحت الهيمنة الفرنسية (الشكل .2.)،

ومن أجل فرض القوة الاستعمارية عملت الدول الإمبريالية على خلق جهات عسكرية وأخرى مدنية؛ والتي سخرت كإطار لضمان الهيمنة العسكرية والاستغلال الاستعماري. ولتشديد الخناق والمراقبة على أرجاء البلاد.

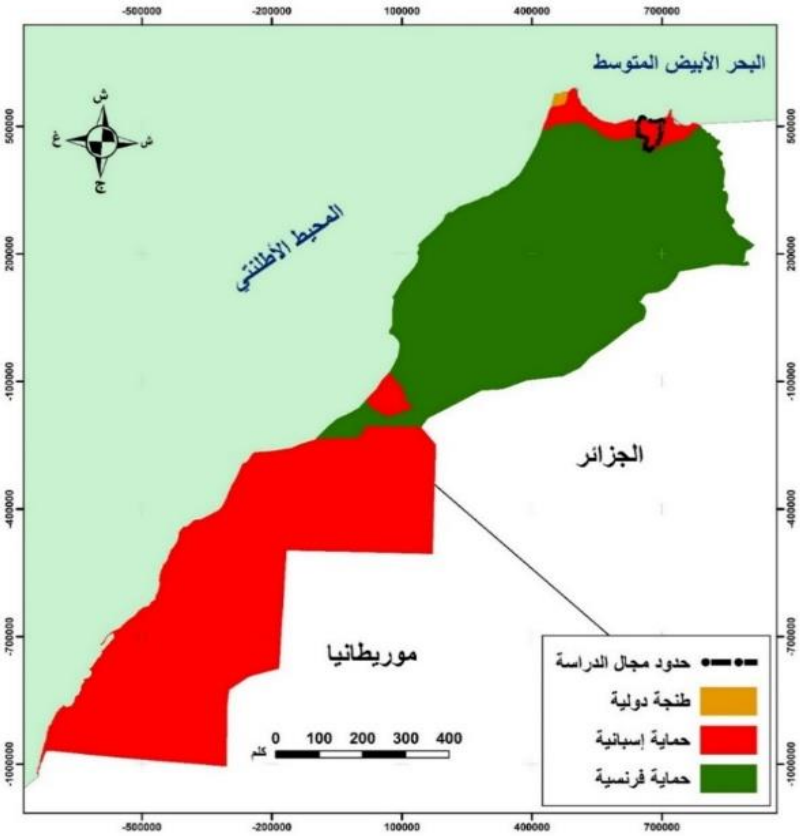


المصدر: التقسيمات الكبرى للمغرب لسنة 1912، المندوبية السامية للتخطيط، وجدة

الشكل 2: موقع إقليم الدريوش خلال التقسيم الاستعماري للمغرب سنة 1912

بعد القضاء على المقاومة المسلحة بالريف، عمدت الإدارة الاستعمارية الإسبانية إلى وضع أسس إدارية جديدة من أجل تسهيل عملية الاستغلال؛ فعملت على إعادة تقسيم الريف إلى خمس جهات إدارية، وهي مناطق اللوكوس وجبالة وغمارة غربا، وباتجاه الشرق جهة الريف وكرت التي ينتمي إليها مجال الدراسة. (الشكل .3. خريطة التقسيم الإداري للحماية الإسبانية).

المصدر: ميمون أزيزا، (2021)، ص 31 + نقلا عن: Service Historique de l'Armée de Terre-Château de Vincennes 3H139

الشكل 3: التقسيم الإداري خلال مرحلة الحماية الإسبانية لشمال المغرب سنة 1926

كما قسمت كل جهة إلى مكاتب محلية بهدف التحكم ومراقبة أمور القبائل؛ وبالتالي شهد مجال الدراسة الذي كان جزءا من المكتب الجهوي للناظور إنشاء خمس مكاتب محلية، (كما يبينه الجدول .1.):

الجدول 1: أهم المكاتب المحلية حسب القبائل بإقليم الدريوش

| الجهة | المكتب الجهوي | المكتب المحلي | القبائل |
|---|---|---|---|
| المنطقة الشرقية | الناظور | دار الكبداني | آيت سعيد |
| | | مركز الدريوش | أمطالسة |
| | | بودينار | تمسمان |
| | | عزيب ميضار | آيت توزين |
| | | بن الطيب | آيت وليشك وتافرسيت |

المصدر: ميمون أزيزا، (2021)، ص 194 بتصرف

سعت إسبانيا وراء هذا التعديل الإداري إلى ضمان الأمن والاستقرار من خلال إنشاء مجموعة من المراكز الإدارية والقواعد العسكرية؛ بحيث تعتبر كل من ميضار وبودينار ودار الدريوش ودار الكبداني مراكز إدارية، وكانت تضم إدارة القيادة ومحكمة ومكتب لجمع الضرائب المباشرة وغير المباشرة، بينما أنشئت بدار الدريوش وميضار وكرونة وبن الطيب ودار الكبداني واتسافت قواعد عسكرية لاستتباب الأمن، وبسيدي ادريس تم إنشاء مركز مراقبة لتتبع الملاحة البحرية الرابطة بين مليلية وخليج الحسيمة، كما ربطت بين هذه المواقع الإدارية والعسكرية مجموعة من المسالك الطرقية.

**ب. تطور الدينامية الترابية من سنة 1960 إلى تقسيم سنة 2015**

عرف المغرب بداية ترسيخ أسس اللامركزية الإدارية بعد إصدار الظهير الشريف المؤرخ في 2 دجنبر 1959 والذي اهتم بالتقسيم الإداري للمملكة[1] إلى 108 جماعة حضرية وقروية. وفي يونيو 1960 ظهرت بوادر الاعتماد على الميثاق

1الظهير المؤرخ في 2 دجنبر 1959 بمثابة التقسيم الإداري الأول للمملكة

الجماعي[1]، وفي سنة 1962وضع أول دستور للمملكة وقسم المجال المغربي إلى 9 جهات، وذلك بالاعتماد على نوع الأنشطة التي تميز كل منطقة، بينما في سنة 1970 تم تقسيم المغرب إلى 12 جهة وفق معيار الجهة الفلاحية.

في سنة 1971، حاولت الدولة التدخل من أجل الحد من الفوارق والاختلالات التي خلفتها المرحلة الاستعمارية، والحد من المركزية الإدارية والاقتصادية، والتخفيف من الضغط الديموغرافي على المجالات الساحلية، مما أفرز سبع جهات اقتصادية[2]، فأصبح مجال الدراسة جزءا من إقليم الناظور التابع للجهة الشرقية. لكن هذا التقسيم عجز على تحقيق العدالة المجالية، بحيث هيمنت جهة الجنوب على 70% من التراب الوطني، وجهة الوسط على 50% من النشاط الاقتصادي للبلاد، مقابل جهات غير متجانسة.

أمام هذه الاختلالات، ومن أجل نهج سياسة القرب وإقرار الديموقراطية المحلية والتخفيف من الفوارق الجهوية التي خلفتها الجهة الاقتصادية، أقر دستور 1992 على رفع الجهة إلى مستوى جماعة محلية وإلى مستوى المؤسسة الدستورية، وفي سنة 1996 تم تعديل الدستور من أجل إدماج البعد التنظيمي للجهات[3] من خلال بنود الظهير الشريف 1-97-84، لسنة 1997الذي قسم البلاد إلى 16 جهة سياسية[4]، وبقيت منطقة الدراسة جزءا من إقليم الناظور داخل الجهة الشرقية.

مع بداية القرن 21، حاولت سياسة إعداد التراب الوطني تخطي هفوات التقسيم الترابي لسنة 1997 والمتمثلة في التباينات المجالية والتفاوتات الاقتصادية والاجتماعية بين جهات المغرب، بل وداخل نفس الجهة؛ فبالجهة الشرقية ظل مجال الدراسة مهمشا ولم يستفد من الاهتمام الذي استفاد منه شرق إقليم الناظور، خاصة المدن الرئيسية للإقليم (الناظور وبني أنصار وسلوان).

من أجل معالجة الاختلالات التي خلفتها التقسيمات الترابية، ظهرت الجهوية المتقدمة بالمغرب كأساس لتحقيق الحكامة المحلية، عبر جعل الجهة رافعةً للتّنْمية الاقتصاديّة والبشريّة المُنْدمجة والمُستدامة، وبالتالي الحدِّ من الفوارق السوسيو_مجالية.

لقد فتحَ دستور 2011 آفاقا واسعة أمام بلوغ الأهداف المتوخاة من إقرار الجهوية المتقدمة، وذلك بإعطاء الجهةِ مكانةَ تبوئها الصدارة بالنسبة للجماعات الترابية الأخرى، في عمليات إعداد وتتبع برامج التنمية الجهوية، وفي نطاق احترام الاختصاصات الذاتية لهذه الجماعات الترابية[5].

لتفعيل دستور 2011 عمل المغرب على إعادة تدبير التراب الوطني سنة 2015 من خلال تقسيم جهوي جديد يتألف من 12 جهة، يشمل 75 عمالة وإقليم؛ نتج عنه استقلال التسيير الإداري لإقليم الدريوش عن الناظور (الشكل 4.).

---

1 البوابة الوطنية للجماعات الترابية https://www.collectivites-territoriales.gov.ma/ar/1976-1959-wd-allbnat-alasasyt-llamrkzyt

2جهة الجنوب - جهة تانسيفت - الجهة الوسطى - الجهة الشمالية الغربية - الجهة الوسطى الشمالية - الجهة الوسطى الجنوبية والجهة الشرقية التي ينتمي إليها مجال الدراسة.

3 الباب الحادي عشر الجماعات المحلية، الفصل المئة من نص الدستور المراجع 1996

4وادي الذهب الكويرة - العيون بوجدور الساقية الحمراء - كلميم سمارة - سوس ماسة درعة - مراكش تانسيفت الحوز - تادلة أزيلال - الشاوية ورديغة - دكالة عبدة - الدار البيضاء الكبرى - الرباط سلا زمور زعير - مكناس تافيلالت - فاس بولمان - تازة الحسيمة تاونات - الغرب الشراردة بني حسن - طنجة تطوان والجهة الشرقية التي تنتمي إليها إقليم الدريوش.

5 الفصل 143 من دستور 2011

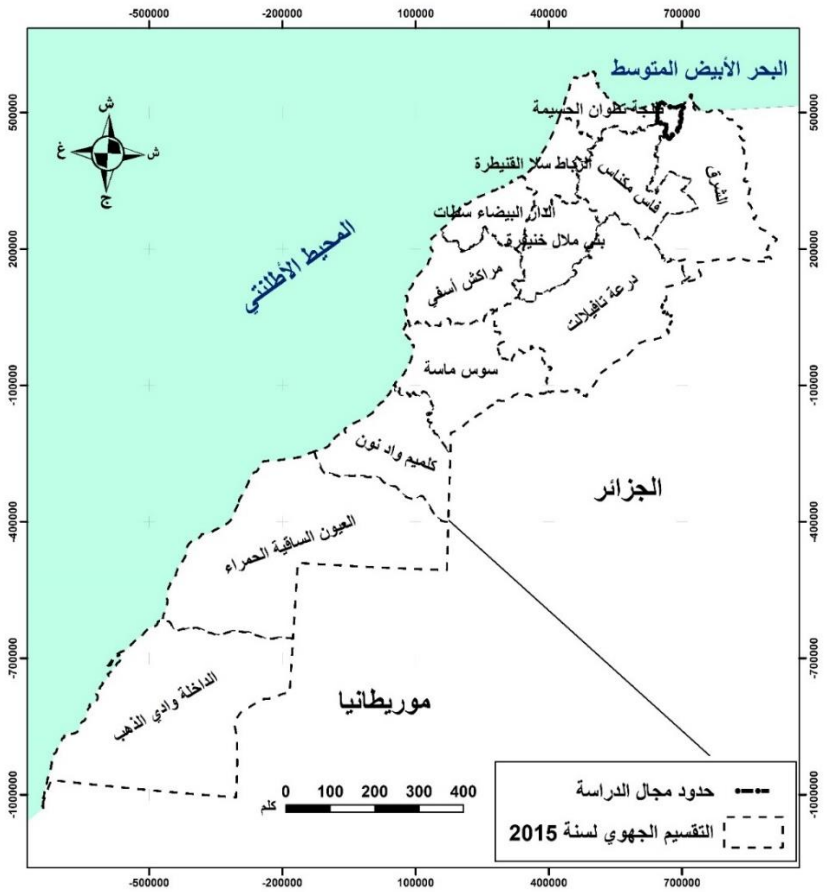


المصدر: التقسيمات الكبرى للمغرب لسنة 2015، المندوبية السامية للتخطيط، وجدة

الشكل 4: موقع إقليم الدريوش في التقسيم الجهوي للمغرب سنة 2015

### 2.1.2 مراحل تطور الخريطة الترابية لإقليم الدريوش

اعتمد المغرب منذ حصوله على الاستقلال على سياسة إعادة الاعتبار للمجال القروي، بهدف التحكم في الحركات السكانية وتخفيف الضغط على المجالات الحضرية. فعرفت الخريطة الترابية للمملكة عدة تحولات سياسية ومجالية، أهمها التقطيع الإداري لسنة 2009، والذي بموجبه ظهرت مجموعة من الأقاليم والعمالات الجديدة، من بينها إقليم الدريوش الذي تم إحداثه بأقصى غرب جهة الشرق.

تعرض المجال الترابي لإقليم الدريوش لدينامية ترابية نتيجة مجموعة من التحولات السوسيو_مجالية، ساهمت في تغيير أنماط التدخل لتحسين جودة تدبير شؤونه، مما انعكس على تطوير طرق الممارسة والاستغلال. فظهرت بذلك ثلاث مجالات حضرية، وهي مركز الدريوش وبن الطيب وميضار، بالإضافة إلى تحول بعض الدواوير إلى مراكز ذات طابع قروي رفعت من نسبة الهجرة القروية، مما ساهم في التأثير على أنماط استغلال المجال الريفي والحضري بالإقليم.

ظل المجال إلى غاية 2009 جزءا من إقليم الناظور، الذي أحدث بمقتضى الظهير الشريف رقم 351-59-1 بتاريخ 2 دجنبر1959 على مساحة تقدر بـ 3070 كلم². وشهد من سنة 1960 إلى غاية 2009 مجموعة من التحولات الترابية في إطار التقسيمات الإدارية التي اختلفت من إحصاء لآخر.

في إحصاء 1960 كانت المنطقة جزءا من إقليم الناظور، وقد تشكلت من 13 جماعة كلها قروية تابعة للدائرة الإدارية الريف، ما عدا جماعتي الدريوش وعين الزهرة اللتان كانتا تابعتان لدائرة لوطا، وظلت ساكنة الإقليم قروية تعتمد على الاقتصاد الفلاحي، وتعيش نوعا من التبعية الإدارية والاقتصادية للمركز بمدينة الناظور (الشكل .5).

المصدر: عمالة إقليم الدريوش والناظور والمندوبية السامية للتخطيط، وجدة

الشكل 5: حدود إقليم الدريوش في التقسيم الإداري لسنة 1960

في إحصاء 1982، تم إحداث دائرة الدريوش التي تكونت من جماعة الدريوش وعين الزهرة (والتان كانتا تابعتان لدائرة لوطا)، وجماعة دار الكبداني وتازاغين (كانتا تابعتان لدائرة الريف)، وظهرت مراكز قروية.

تعرض إقليم الناظور بعد سنة 1982 لدينامية مجالية، تمثلت في ظهور جماعات ترابية جديدة، بحيث انتقل عدد الجماعات بالإقليم من 33 جماعة إلى 52 جماعة (ضمنها جماعات مجال الدراسة) في التقسيم الإداري لسنة 1992 (الجدولان .2. و.3. والشكل .6. توضح أهم هذه التحولات) فانضافت بذلك مجموعة من الجماعات المحلية الجديدة إلى تراب الإقليم: أولاد أمغار وبني مرغنين وإفرني واتسافت وأمجاو وآيت مايت ووردانة وأولاد بوبكر وتاليليت.

الجدول 2: توزيع الجماعات الترابية حسب التقسيم الإداري لسنة 1992

| الدائرة | عدد الجماعات الحضرية | | عدد الجماعات القروية |
|---|---|---|---|
| | عدد البلديات | عدد المراكز | |
| دائرة الريف | 0 | 2 | 15 |
| دائرة الدريوش | 0 | 1 | 7 |

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، وجدة، الإحصاء العام للسكان والسكنى 1994

الجدول 3: التغيرات التي عرفتها أفخاذ مجال الدراسة حسب تقسيم 1992

| الجماعة الترابية | الفخذ الذي تعرض للتغيير | الجماعة المستفيدة من التغيير |
|---|---|---|
| عين الزهرة | أولاد ابراهيم + بن علي | أولاد بوبكر |
| دار الكبداني | أمجاو+ جزء من تشوكت | أمجاو |
| تازاغين | إزعومن + آيت مايت | آيت مايت |
| أمهاجر | بن عبد السلام + جزء من ازرو العليا | تاليليت |
| | ازرو السفلى + جزء من بن عبد السلام وجزء من بني خلف | وردانة |
| بودينار | بني بودير | أولاد أمغار |

| | | |
|---|---|---|
| تمسمان | بني مرغنين | بني مرغنين |
| ميضار | اغربيين لوطا + اغربيين الجبل | إفرني |
| ثلاثاء أزلاف | ايت سافت لوطا + ايت سافت الجبل | اتسافت |

المندوبية السامية للتخطيط، وجدة، الإحصاء العام للسكان والسكنى 1994

تميزت هذه المرحلة بتحول مركزي ميضار وبن الطيب في دائرة الريف، ومركز الدريوش بدائرة الدريوش إلى مراكز حضرية، ودوار كرونة بجماعة تمسمان إلى مركز قروي، مما ساهم في ارتفاع نسبة الحركة السكانية بسبب الهجرة نحو هذه المراكز.

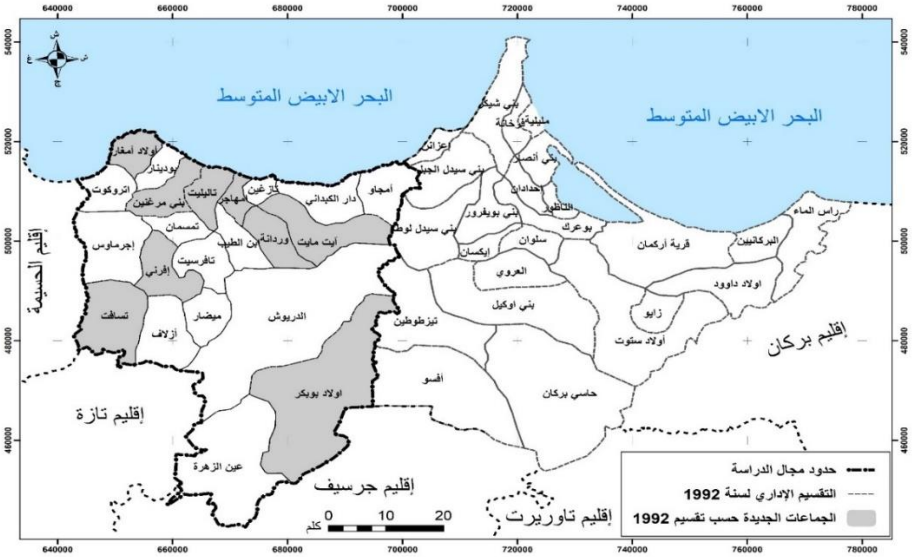


المصدر: عمالة إقليم الدريوش والناظور والمندوبية السامية للتخطيط، وجدة

الشكل 6: حدود إقليم الدريوش في التقسيم الإداري لسنة 1992

اختلفت الخريطة المجالية للدريوش، بعد ارتفاع عدد الجماعات المحلية إلى 22 جماعة؛ بحيث ساهم التقسيم الترابي الجديد لسنة 1992 في تراجع مساحة الجماعات التي انبثقت من فخذاتها الجماعات الترابية الجديدة المنضافة للإقليم (المقارنة بين الخريطتين في الشكل .7).

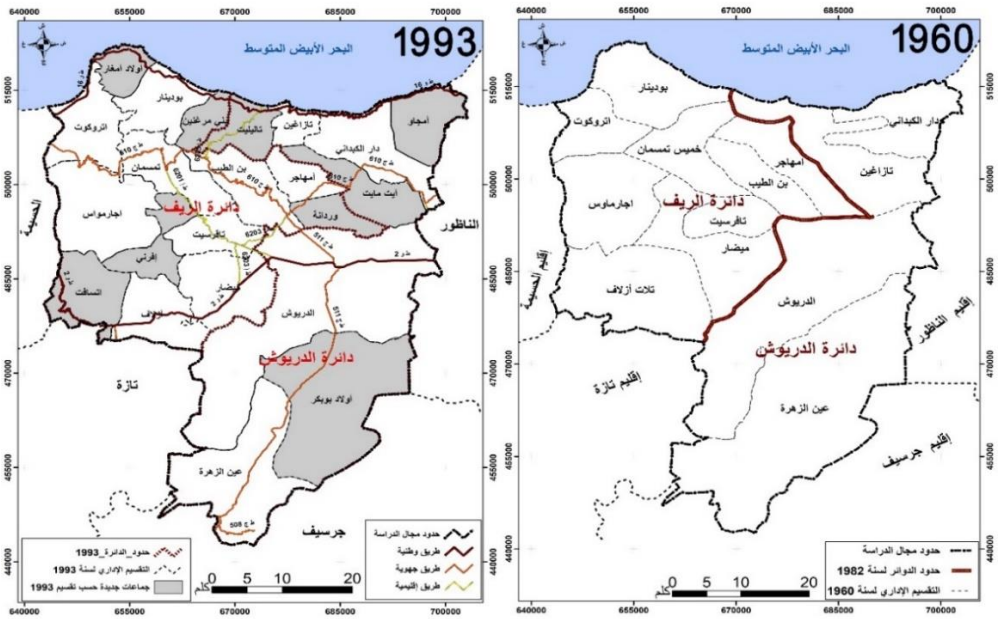


المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، وجدة

الشكل 7: تطور التقسيم الإداري لإقليم لناظور بين سنتي 1960 و1993 والجماعات الجديدة بإقليم الدريوش

في سنة 1993، تعرضت حدود الجماعات المحلية لتغيير مجالي جديد في المساحة، نتيجة تغيير نفوذ مجموعة من أفخاذ قبائل إقليم الدريوش (الجدول .4. يبرز أهم التغييرات المجالية لسنة 1993).

الجدول 4: التغيرات التي عرفتها أفخاذ إقليم الدريوش حسب تقسيم 1993

| الجماعة الترابية | الفخذ الذي تعرض للتغيير | الجماعة المستفيدة من التغيير |
|---|---|---|
| عين الزهرة | أولاد ابراهيم + بن علي | أولاد بوبكر |
| دار الكبداني | أمجاو + جزء من تشوكت | أمجاو |
| تازاغين | إزعومن + آيت مايت | آيت مايت |
| أمهاجر | بن عبد السلام + جزء من ازرو العليا | تاليليت |
| | ازرو السفلى + جزء من بن عبد السلام وجزء من بني خلف | وردانة |
| بودينار | بني بودير | أولاد أمغار |
| تمسمان | بني مرغنين | بني مرغنين |
| ميضار | اغربيين لوطا + اغربيين الجبل | إفرني |
| ثلاثاء أزلاف | ايت سافت لوطا + ايت سافت الجبل | اتسافت |

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، وجدة، الإحصاء العام للسكان والسكنى 1994

ساهمت هذه التطورات في تغيير حدود الدوائر الإدارية لتراب الإقليم، خاصة بعد تغيير مساحة الدواوير والقبائل، وبالتالي المجال الترابي للجماعات المحلية بإقليم الدريوش.

اعتمد إحصاء 1994 و2004 على التقسيم الإداري لسنة 1993 وعلى التوزيع الترابي للجماعات الترابية التابعة لدائرتي الريف والدريوش[1]، وتميزت مرحلة الإحصاءين بهيمنة الساكنة القروية وتراجع معدل النمو الديموغرافي.

مع بداية القرن الواحد والعشرين شهدت المنطقة تقسيما إداريا جديدا سنة 2009، بحيث تمت ترقية مجال الدراسة إلى إقليم وعمالة مستقلة عن الناظور، مع تحويل جماعة الدريوش وميضار وبن الطيب إلى بلديات[2] (الشكل .8.).

1المرسوم رقم 832.92.2 الصادر في 27 من ربيع الآخر 1414 (14 أكتوبر 1993) لتطبيق القانون رقم 90-12 المتعلق بالتعمير، والدورية عدد 245 بتاريخ 25 أكتوبر 1994 المتعلقة بتحديد أو تغيير دوائر الجماعات الحضرية والمراكز المحددة.

2 الجريدة الرسمية عدد 5744 بتاريخ 18 يونيو 2009 والإحصاءات العامة للسكان والسكنى 2014.

ISSN 2569-734X

المصدر: عمالة إقليم الدريوش والناظور والمندوبية السامية للتخطيط، وجدة

الشكل 8: التقسيم الترابي لإقليم الدريوش سنة 2009

ساهمت التقطيع الترابي الذي عرفه المغرب سنة 2009 في ترقية مجال الدراسة إلى عمالة مستقلة عن التبعية للناظور، فاستفاد من دعم الدولة في ترقية مراكز الدريوش وميضار وبن الطيب إلى مستوى بلديات حضرية، والتي تم تغطيتها بوثائق التعمير التنظيمية لمراقبة التوسع المجالي للمحيط الحضري، كما استفادت من موارد قارة، كالضرائب المحولة والتي ساهمت في توفير مجموعة من الخدمات والمرافق الإدارية والسوسيو_اقتصادية للساكنة.

أدت هذه التقسيمات الإدارية إلى إعادة هيكلة الإقليم، وإلى بداية ظهور تحولات مجالية متمثل في جذب المدن لكثافة سكانية مرتفعة، مقابل إفراغ دواوير أخرى خاصة بالمناطق الجبلية.

### 2.2 دور التجمعات الحضرية في الدينامية الترابية بإقليم الدريوش

لقد أشارت مجموعة من الكتاب مثل الحسن الوزان ومارمول كريخال... وغيرهم إلى قدم التعمير بحوض كرت، بحيث عرف الريف الشرقي قبل الحماية ظهور مجموعة من القرى المحصنة، والتي تشكلت لأسباب ودوافع سياسية وعسكرية، أهمها غساسة وثازوظة ومليلية وقلعة أمجاو.

انطلقت ظاهرة التمدن بالريف الشرقي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، خاصة بالناظور ومحيطه؛ إذ انتشرت على طول الطريق الرئيسية الرابطة بين مدينتي الناظور والحسيمة مجموعة من المراكز التي استفادت من البنيات الموروثة عن العهد الاستعماري.

ساهمت التحولات المجالية والاقتصادية والاجتماعية التي خلفها الاستعمار الإسباني بالريف الشرقي في ظهور دينامية ترابية تمثلت في تطور هذه المراكز إلى تجمعات حضرية، خاصة مع ارتفاع النمو الديموغرافي وتحسين المستوى المعيشي لساكنة الريف الشرقي، والمستفيدة من التحويلات المالية للمهاجرين، مما رفع نسبة الهجرة القروية نحو المراكز القريبة لاستغلال المرافق السوسيو_اقتصادية.

تدخلت الدولة من أجل تحسين جودة تدبير المجال عبر تطوير طرق الممارسة والاستغلال للمجال؛ وبالبحث عن طرق جديدة وأكثر نجاعة. فظهرت بذلك مجموعة من الأقاليم الجديدة كإقليم الدريوش سنة 2009، وارتقت ثلاثة مراكز محددة (مركز الدريوش وميضار وبن الطيب) إلى مستوى بلديات.

### 1.2.2 مراحل تطور التجمعات الحضرية بإقليم الدريوش

مع بداية القرن العشرين وفرض الحماية على المغرب، دخل الإقليم مرحلة جديدة من الدينامية الترابية؛ بحيث قام مهندسون من الإدارة العسكرية للحماية الإسبانية بوضع أولى المخططات والتصاميم لإعادة تقسيم وتدبير مجال الريف الشرقي معتمدا على الحدود الجغرافية، وربط المناطق الجبلية بمجموعة من الطرق[1]، فظهرت بمحاذتها مدن الدريوش وميضار وبن الطيب كتجمعات بشرية ونقط جذب للساكنة القروية (الصورة .1).

المصدر: العمل الميداني 2022-2023

الصورة 1: جانب من التجمعات السكنية بمدن إقليم الدريوش

بعد استقلال البلاد، ساهمت الهجرة القروية والموارد المالية للهجرة الخارجية في تطور المراكز القروية على طول الطريق الرئيسية وتحولها إلى مراكز حضرية ابتداء من ثمانينات القرن العشرين، مما ساهم في تأطير المجالات المحيطة بها.

#### أ. تطور المجال الترابي لمدينة الدريوش

عرف المجال الترابي لمدينة الدريوش، منذ سنة 1982، استقبال نسب مهمة من الهجرة القروية، خاصة من الجماعات المجاورة للمركز ومن جبال بني سعيد وبني توزين، مما ساهم في توسع المجال العمراني، والذي ارتفع من 22 هكتار سنة 1979 إلى 252 هكتار سنة 2021 ليغطي بذلك 41% من مساحة المدينة (الشكل .9).

1 Bravo Nieto Antonio, all, 2009: «De la posición militar al bunker arquitecturas militares y fortificaciones Españolas en el Norte de Marruecos (1908-1956)», pp 28.

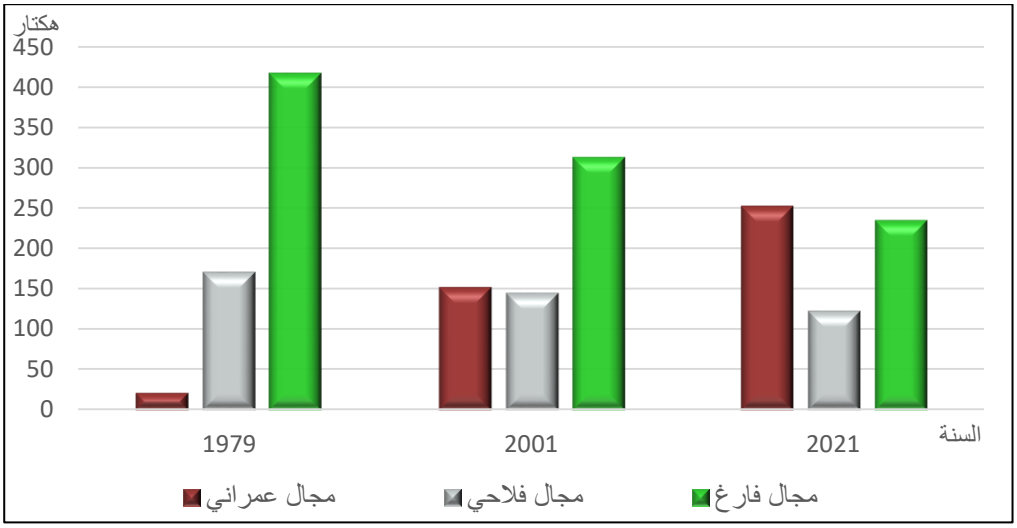


المصدر: تحليل نتائج مرئيات القمر الصناعي لاند ساتLANDSAT لسنوات 1979 و2001 و2021

الشكل 9: تطور استعمالات الأرض بمدينة الدريوش ما بين 1979 و2021

استفادت مدينة الدريوش، بعد ترقيتها إلى مستوى مركز الإقليم من اهتمام الدولة بتوفير مجموعة من المرافق والتجهيزات الإدارية والاجتماعية، أهمها مقر العمالة، وما خلفه من تحولات أدت إلى ظهور الأحياء الهامشية وغير المندمجة وبناء بعض المرافق الاجتماعية.

تعتبر مدينة الدريوش النواة المركزية لقبيلة امطالسة (جماعات امطالسة، أولاد بوبكر، عين الزهرة)؛ كما استطاعت المدينة التأثير على باقي جماعات الإقليم حسب نوع العلاقة الرابطة بينهما، مستفيدة من ضمها لمقر العمالة ومجموعة من المرافق الإدارية...، فأصبحت بذلك تلعب دور العاصمة الحضرية وتتزعم التموقع الإقليمي.

**ب. تطور المجال الترابي لبلدية ميضار**

أحدثت الجماعة القروية لميضار بموجب التقطيع الإداري الأول للمملكة المغربية وبمقتضى الظهير الشريف رقم: 1.59.351 الصادر في فاتح جمادى الثاني 1379 والموافق ل 2 ديسمبر 1959[1]، ثم استفادت من مركز حضري بعد التقسيم الإداري لسنة 1992، والذي يتميز بتموقعه بين الطريق الوطنية 02 الرابطة بين الناظور والحسيمة والطريق الإقليمية 6203 الرابطة بين ميضار وتافرسيت، ويضم مقر دائرة الريف وقيادة بني توزين وتافرسيت ومركز صحي ومدرسة وإعدادية وثانوية منذ سنة 1979[2]، فعرف المركز توسعا عمرانيا مهما (الشكل .10.).

1الجريد الرسمية عدد 2458 بتاريخ 04 / 12 / 1959 صفحة 3419: ظهير شريف رقم 1.59.351 بشأن التقسيم الإداري للمملكة.

2منوغرافية الجماعة لسنة 2010

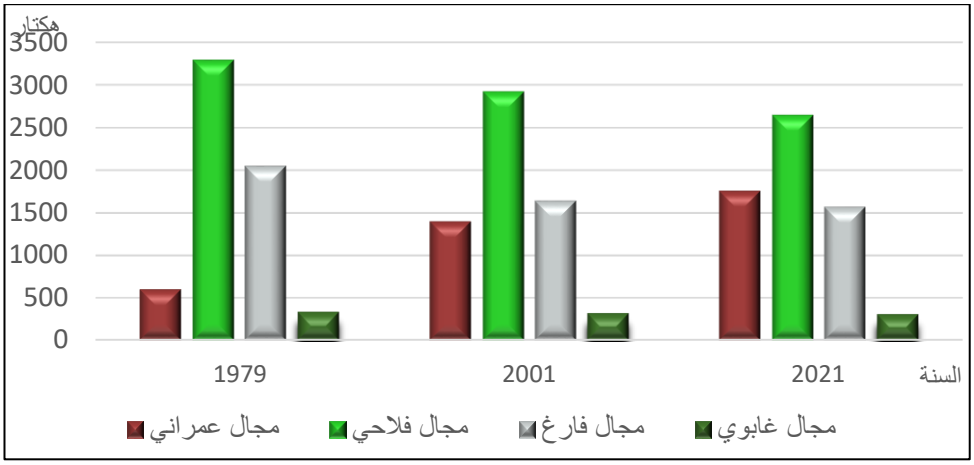


المصدر: تحليل نتائج مرئيات القمر الصناعي لاند ساتLANDSAT لسنوات 1979 و2001 و2021

الشكل 10: تطور استعمالات الأرض بمدينة ميضار ما بين 1979 و2021

ساهم توسع المجال العمراني في تقليص مساحة المجالات الفلاحية المستغلة من 53% سنة 1979 إلى 42% من مجموع مساحة المدينة سنة 2021، وقد شهد المجال الترابي للمدينة توسعا على حساب المجالات الفارغة، خاصة على طول ضفاف واد كرت؛ الذي يخترق المدينة من الجنوب الغربي باتجاه الشمال الشرقي.

تعتبر ميضار المدينة المنافس الأول لدريوش في مجال توسع المدار الحضري بالإقليم؛ فهي مركزا لقبيلة بني توزين (جماعات ميضار، اجارماوس، إفرني، أزلاف، اتسافت)؛ وتضم مقر دائرة الريف ومجموعة من المرافق الإدارية.

**ت. تطوربلدية بن الطيب**

لعبت الطريق الجهوية 511 الرابطة بين دار الكبداني – مدينة الدريوش والطريق الجهوية 610 الرابطة بين تمسمان – الناظور عبر مدينة الدريوش الدور الكبير في ظهور مركز بن الطيب بملتقى الطريقين، فعمل على استقبال ساكنة جبال بني سعيد وبني اوليشك خاصة بعد أن أحدثت الدولة الجماعة القروية لبن الطيب، بمقتضى الظهير الشريف رقم: 1.59.351 الصادر في 2 ديسمبر 1959 في شأن التقسيم الإداري للمملكة[1]، فاحتضنت مقر قيادة بني اوليشك والمكتب الفرعي لجماعة أمهاجر. نتيجة لوعورة التضاريس الجبلية بالقبيلتين ولتوالي سنوات الجفاف بالمنطقة، شكل هذا المركز مجالا لاستقطاب الساكنة التي تم طردها من دواويرها نتيجة الظروف غير الملائمة بداية من خمسينات القرن الماضي؛ فبدأت الحركة العمرانية بالمركز في التطور والتوسع منذ ستينات القرن الماضي، نتيجة توفره على مجموعة من المرافق (مركز صحي، مدرسة، إعدادية وثانوية)، مما أهله ليتحول إلى مركز إداري واقتصادي لساكنة قبيلتي بني اوليشك وبني سعيد، فارتفعت نسبة المجال المبني من 280هكتار سنة 1979 إلى 984 هكتار سنة 2001 (الشكل .11.).

1الجريد الرسمية عدد 2458 بتاريخ 04 / 12 / 1959 صفحة 3419: ظهير شريف رقم 1.59.351 بشأن التقسيم الإداري للمملكة.

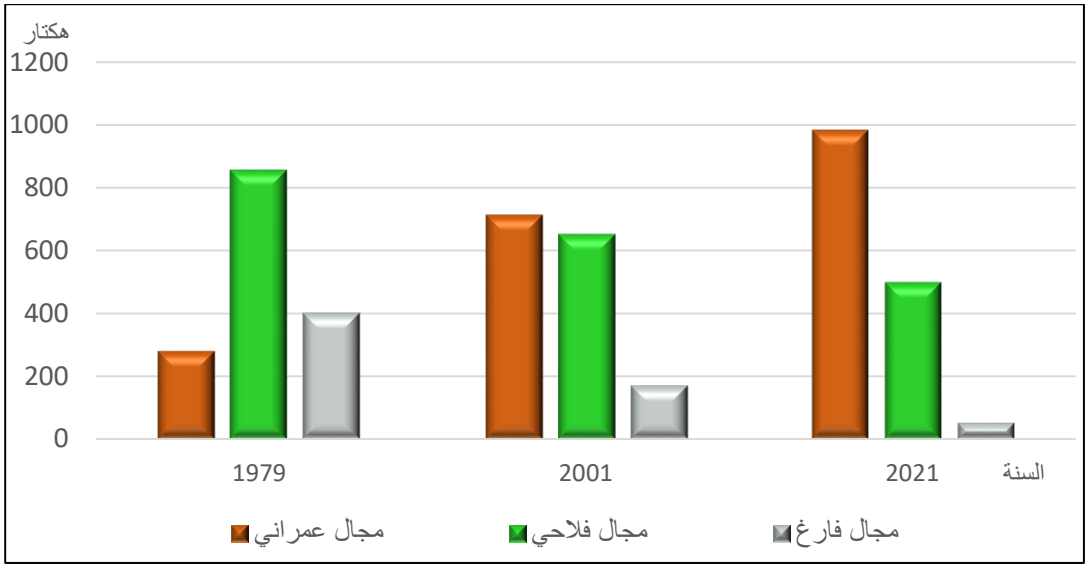


المصدر: تحليل نتائج مرئيات القمر الصناعي لاند ساتLANDSAT لسنوات 1979 و2001 و2021

الشكل 11: تطور استعمالات الأرض بمدينة بن الطيب ما بين 1979 و2021

عرف مركز بن الطيب، منذ سنة 1979، ارتفاعا ملموسا في مساحة المجالات المبنية مقابل تراجع مساحة المجالات الفلاحية من 56% سنة 1979 إلى 33% سنة 2021.

تعتبر مدينة بن الطيب مركز الخدمات لساكنة قبيلة بني اوليشك، فاستطاعت بذلك المدينة التأثير على جماعات القبيلة، مستفيدة من ضمها لمقر قيادة بني اوليشك والمكتب الفرعي لجماعة أمهاجر بالإضافة إلى مجموعة من المرافق التجارية والإدارية.

اتضح من خلال نتائج العمل الميداني، أن مدينة بن الطيب تربطها بجماعة أمهاجر علاقة مباشرة، مرتبطة باحتضانها للمكتب الفرعي لهذه الجماعة الترابية، وبالتالي تشهد المدينة تراقصا يوميا لساكنتها لتلبية حاجياتها الإدارية والسوسيو-اقتصادية.

### 2.2.2 دور التجمعات الحضرية في تدبير المجال الترابي لإقليم الدريوش

تساهم وفرة المرافق العمومية بالتجمعات الحضرية في جذب الساكنة القروية لتلبية حاجياتها الضرورية؛ بحيث تتصدر ميضار مساحة المرافق العمومية ب 37 هكتار، تليها مدينة الدريوش ب 15 هكتار وبن الطيب ب 12 هكتار. وعلى المستوى الكمي، تتصدر المجالات الفلاحية والغابوية أعلى نسبة ب 54% من حيث استعمال الأرض، ففي ميضار تهيمن الفلاحة على 3900 هكتار منها 600 هكتار مسقية، وبن الطيب 180 هكتار منها 20 هكتار مسقية، بينما في مدينة الدريوش 200 هكتار منها 70 هكتار مسقي؛ تليها المجالات الصلدة وغير المستغلة ب 40%، في حين أن المساحة المبنية لا تتعدى 6% (الشكل 12.).

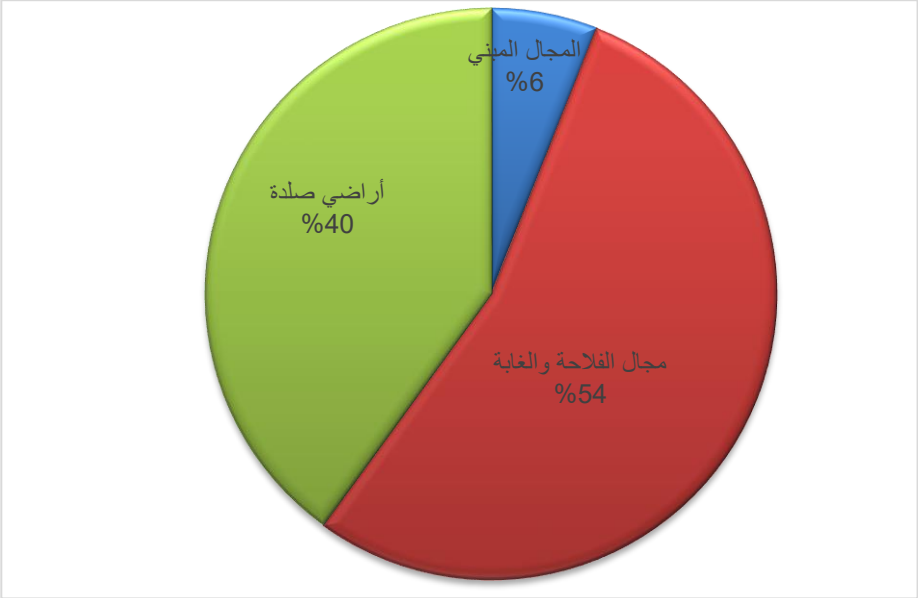


المصدر: الوكالة الحضرية للناظور؛ تقرير المخطط التوجيهي لتهيئة التكتلات العمرانية لسهل كرت

الشكل 12: خصائص استعمال الأرض بالمجالات الحضرية ومحيطها

يعتبر القطاع الفلاحي أساس المشاريع المهمة التي يمكن أن تعمل على إدماج المجالات الحضرية بمحيطها من الجماعات الترابية القروية بسهل كرت وبباقي جماعات الإقليم.

خلقت الأسواق الأسبوعية بالجماعات الحضرية نوع من الاندماج والتكامل بين هذه المراكز ومجالاتها القروية المحيطة بها؛ وذلك عبر خلق رواج تجاري بين المدينة والريف وتصريف الإنتاج الفلاحي القادم من الجماعات المجاورة للمراكز الثلاثة نحو الأسواق الأسبوعية؛ فعمل السوق الأسبوعي على خلق نوع من التبادل بين الفلاحين والساكنة الحضرية.

ساهم التجمع الحضري في تنوع الإنتاج الفلاحي لتلبية الحاجيات الضرورية للمدينة وبالتالي الانتقال نحو اقتصاد السوق، والاهتمام بإنتاج الزراعات المسقية ومحاولة عصرنة تربية الماشية. وتعتبر التجارة أهم نشاط اقتصادي بالمراكز الثلاث للإقليم، حيث تحتل المرافق التجارية الخاصة بمواد الغذاء واللباس وكذا مستلزمات الخدمات الريفية الصدارة في التوزيع التجاري والخدماتي بهذه المدن.

رغم ارتقاء هذه المراكز الثلاثة إلى مستوى تجمعات حضرية، إلا أن الطابع القروي مازال مهيمنا على مختلف الأنشطة والقطاعات المحلية؛ إذ تهيمن الأنشطة الزراعية والرعوية على معظم المعاملات التي تقوم بها الساكنة داخل المدينة، فمركز الدريوش مرتبطة بأنشطة الرعي وزراعة الزيتون سواء داخل محيط المدينة أو بالضواحي التابعة لجماعة امطالسة، أما ميضار فلها ارتباط مباشر بالمحيط القروي التابع لبني توزين (خاصة اتسافت)، في حين يرتبط نشاط ابن الطيب الاقتصادي بتطورات النشاط الزراعي لأمهاجر وتاليليت.

## خاتمة

شهد إقليم الدريوش دينامية مجالية نتيجة تطور التقطيع الإداري لمجاله الترابي منذ المرحلة الاستعمارية إلى تقسيم 2009، هذا الأخير الذي جاء من أجل ضمان تصور شمولي للتنمية المحلية، عبر إطلاق مجموعة من المشاريع المهيكلة في إطار الجهوية المتقدمة بالإقليم، فنقل بذلك مجال الدراسة إلى إقليم مستقل عن الناظور، وأدى إلى ظهور ثلاثة مراكز حضرية، مما ساهم في بروز تحولات سوسيو مجالية واجتماعية واقتصادية.

سرعت الهجرة القروية الدينامية العمرانية للتجمعات الحضرية خلال العقود الأخيرة، وقد اتخذت اتجاهات مختلفة باختلاف الظروف والعوامل المتدخلة؛ فامتداد السلاسل الجبلية لبني توزين وبني سعيد بالشمال والشمال الغربي قد أدى إلى التوسع العمراني لميضار وبن الطيب باتجاه الشرق والجنوب على حساب المجالات الزراعية لحوض تافرسيت، مما أدى إلى تراجع المساحات الصالحة للزراعة عن طريق تحويلها إلى أحياء سكنية.

من أجل تجنب آثار هذه التحديات على العالمين القروي والحضري، تدخلت الدولة لتقنين التوسع العشوائي للمدارات الحضرية بالإقليم، عبر إنجاز مجموعة من وثائق التعمير وإقرار آليات متنوعة للتهيئة، أهمها مخططات توجيهية للتهيئة العمرانية، وبرامج التهيئة الحضرية وتصاميم النمو، وذلك سعيا منها وراء ضمان تصور شمولي لإعداد التراب الوطني وضمان تنمية شاملة ومندمجة.

## لائحة المراجع:

4.عبد الكريم سومع (2022)، المجال الترابي لإقليم الدريوش بين التحولات المجالية وتدبير الموارد الطبيعية، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، 351 ص.

5.عبد الكريم سومع، محمد صابري (2022): "التحولات السوسيو_مجالية وإعادة تشكيل التراب بإقليم الدريوش (حالة المراكز الحضرية)"، مؤلف جماعي "الريف الشرقي المجال، التراث، المجتمع والتنمية المستدامة"، إعداد جميلة السعيدي، الطبعة الأولى، أكادير، ص 122 – 136.

6.محمد بريان، عبد الله لعوينة، عبد القادر قيطوني، عبد القادر كعيوة، محمد الناصري، فلورانس توران، جون فرانسوا تروان (2006)، "المغرب: مقاربة جديدة في الجغرافية الجهوية"، الطبعة الأولى، دار طارق للنشر، الدار البيضاء، 471 ص.

7.ميمون أزيزا (2021):"الريف زمن الحماية الإسبانية 1912-1956 الاستعمار الهامشي"، منشورات ملتقى الطرق، 2021، إقامة دبيبغ، الدار البيضاء، 428 ص.

8.BRAVO Nieto Antonio, Bellver Garrido, Juan Antonio; Gámez Gómez, Sonia; Domínguez Llosá, Santiago, Laoukili, Montaser; Aragón Gómez, Manuel; Lechado Granados, María (2009) : de la posición militar al bunker arquitecturas militares y fortificaciones españolas en el norte de marruecos (1908-1956), de erratas, f. e. legión1920, instituto de cultura mediterránea, digital melilla s.l.

## وثائق إدارية:

- المندوبية السامية للتخطيط، المندوبية الجهوية للشرق: منوغرافيات الجماعات الترابية
- المندوبية السامية للتخطيط، المندوبية الجهوية للشرق: الإحصاءات العامة للسكان والسكنى لسنوات 1960 و1971 و1982 و1994 و2004 و2014.
- عمالة إقليم الدريوش، قسم الجماعات المحلية: منوغرافية الجماعات الترابية للإقليم.
- وزارة الداخلية، ولاية جهة الشرق، مجلس جهة الشرق، المجلس الإقليمي للدريوش بجهة الشرق: دراسة إعداد مخطط التنمية الاستراتيجية لإقليم الدريوش (2019).
- موقع البوابة الوطنية للجماعات الترابية:

https://www.collectivites-territoriales.gov.ma/ar/la-prefecture-et-la-province

ISSN 2569-734X

# الانخراط الصيني في أفريقيا.. مالي نموذجًا

# China's Engagement in Africa: Mali as a case study

نهاد محمود أحمد - باحثة دكتوراه بالشؤون الأفريقية- جامعة القاهرة- مصر

nihad_mahmoud2015@feps.edu.eg

**ملخص تنفيذي:**

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف طبيعة الدور الصيني بالقارة الأفريقية، بدءًا من بداية هذا الحضور وما اقترن به من مصالح، وصولًا إلى أبرز التحديات الواقعة أمامه، مع التركيز على دولة مالي الواقعة بغرب أفريقيا كنموذج لهذا التواجد. وقد دارت مشكلة البحث الرئيسية حول تساؤل رئيس مفاده: إلى أي مدى تمكنت الدولة الصينية من استغلال الأدوات المتاحة لديها من أجل تعزيز دورها سواء داخل القارة الأفريقية أو داخل مالي؟ وقد توصلت الدراسة إلى أن الدولة الصينية بالفعل تمكنت على نحو متصاعد من التوظيف الجيد لما تمتلكه من إمكانات من أجل مزيد من تعزيز النفوذ داخل القارة الأفريقية وكذلك داخل دولة مالي، حالة الدراسة بهذه الورقة.

**كلمات مفتاحية:** الصين- أفريقيا- مالي- المصالح- التحديات.

**Executive summary:**

In this paper i will seek to explore the nature of China's role on the African continent, from the origins of this engagement and its specific benefits to the main challenges it faces, focusing on the West African country of Mali, which is a model of such a presence. The main research question revolves around one main question: to what extent is the Chinese state able to use the tools at its disposal to enhance its role, whether on the African continent or in Mali? The study concludes that the Chinese state is indeed increasingly able to use its capabilities to further expand its influence on the African continent and in Mali (the case study for this study).

**Keywords:** China- Africa- Mali -Interests - Challenges.

## مقدمة

شهد الحضور الصيني بالقارة الأفريقية في الآونة الأخيرة تصاعدًا ملحوظًا، وبخاصة مع النظر إلى المستجدات على الساحة الدولية والتي اتقنت بكين للغاية تسخيرها لصالحها، سواء كان ذلك على مستوى تداعيات كوفيد -19 أو الغزو الروسي الأوكراني، حتى مع التزامها الحياد تجاه الصراع الدائر، لكن إجمالًا يُلاحظ على الدولة الصينية تمكُنها من التوظيف الجيد للأدوات والاستراتيجيات التي هيّأت تغلغلها بالداخل الأفريقي في مختلف المجالات بدءًا من المجال السياسي والعسكري والأمني إلى الاقتصادي والثقافي والإعلامي، والتي كان لها بلا شك أثار وانعكاسات إيجابية على الطرفين الصيني والأفريقي، كما ستعرض الدراسة. مع التركيز على دولة مالي كنموذج لهذا الدور، والذي يجسد قدرة الصين على التواجد داخل البلدان الأفريقية حتى وإن عانت من الاضطرابات والأزمات السياسية، كدولة مالي التي شهدت تغيرّين بالسلطة خلال عامي 2020 و2021، ورغم ذلك مازالت بكين تحافظ على تواجدها داخل باماكو -العاصمة المالية- بل وتعمل على تحديث استراتيجياتها وجعلها أكثر مرونة وفقًا لخصوصية الدولة، كطبيعة البلدان الأفريقية؛ حيث السياق المتفرد والخصوصية اللافتة.

## أولًا: أهمية الدراسة

تتمثل أهمية هذه الدراسة في محاولة إخراج عمل بحثي يوضح ديناميات الدور الذي يقوم به فاعل دولي بارز كالصين داخل قارة أفريقيا، ومالي كنموذج لهذا التواجد بهذا الجزء من القارة، في محاولة لفهم واقع ما تقوم به الصين لمزاحمة القوى الكبرى المناوئة والمنافسة لها على مناطق النفوذ بالقارة الأفريقية.

## ثانيًا: إشكالية الدراسة

تحاول الدراسة فهم مصالح وأبعاد التغلغل الصيني داخل أفريقيا بشكل عام ودولة مالي على نحو أكثر تحديدًا، وعليه فإن إشكالية الدراسة تمثلت في: إلى أي مدى تمكنت الدولة الصينية من استغلال الأدوات المتاحة لديها من أجل تعزيز دورها سواء داخل القارة الأفريقية أو داخل مالي؟ ويتفرع عن التساؤل الرئيسي التساؤلات الفرعية التالية:

1- ما دوافع التواجد الصيني في أفريقيا؟
2- ما أثر التواجد الصيني بأفريقيا على القوى الدولية الأخرى ذات النفوذ بالقارة؟
3- ما أبرز ملامح الدور الصيني داخل مالي؟
4- كيف استغلت الدولة الصينية كل من التغيرات الإقليمية والدولية من أجل تعزيز دورها بالقارة ومالي؟

## ثالثًا: الإطار المكاني والزماني

تدور هذه الدراسة حول محاولة معرفة الدور الصيني في أفريقيا مع التركيز على دولة مالي. وقد اختيرت الفترة الزمنية منذ عام 2000 لأنه العام الذي تم فيه إنشاء منتدى التعاون الصيني الأفريقي "فوكاك"- Forum on China–Africa Cooperation وبدأ الدور الصيني داخل القارة في التبلور والظهور.

## رابعًا: فروض الدراسة

1- يؤدي تردي أوضاع الدول الأفريقية إلى زيادة التعاون مع الدولة الصينية.
2- كلما تراجع النفوذ الأوروبي والأمريكي داخل قارة أفريقيا ازداد النفوذ الصيني.

3- شهد الدور الصيني مزيد من الانخراط بدءًا من عام 2000 سواء بأفريقيا أو مالي تحديدًا.

4- رغم ما تمرّ به مالي من تحديات لازالت الصين تحافظ على شراكتها وتعاونها معها.

## خامسًا: الأدبيات السابقة:

سيتم تقسيم الأدبيات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة إلى محورين رئيسيين وذلك على النحو التالي:

**المحور الأول: دراسات خاصة بالتواجد الصيني في أفريقيا**

1- د. جيهان عبد السلام عباس، "العلاقات الصينية الأفريقية: دراسة تحليلية"، ***مجلة السياسة والاقتصاد*** (بني سويف: كلية السياسة والاقتصاد، جامعة بني سويف، المجلد 16، العدد 15، يوليو 2022).

هدفت الدراسة إلى تحليل طبيعة العلاقات الصينية الأفريقية والتطرق إلى معرفة أوجه الفرص والتحديات التي تنتج عنها وكذلك مجالات التعاون فيما بين الجانبين الصيني والأفريقي. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بالاعتماد على استخدام مؤشرات اقتصادية لتحليل هيكل التجارة والاستثمار والمساعدات الاقتصادية والقروض بين الصين وافريقيا. وقد توصلت الدراسة إلى:

أ- ساهم إنشاء منتدى التعاون الاقتصادي الأفريقي، الذي تم تدشينه عام2000، في تحسن العلاقات الاقتصادية الصينية الأفريقية على نحو ملحوظ؛ حيث ارتفعت مؤشرات التبادل التجاري والاستثمار بين الصين وأفريقيا بعد إنشاء المنتدى.

ب- أهمية مبادرة "الحزام والطريق" التي أطلقتها الصين بهدف تعزيز الترابط والتعاون في إحداث تغيرات كبيرة على مستوى الاقتصاد الأفريقي والتوازنات الجيوسياسية، التي يتعين على إفريقيا الاستفادة منها والمضي قدمًا فيها.

2- Dara Cheick, "China's Foreign Policy In The Sahel: Challenges And Prospects", **Published paper on Organization for Research on China and Asia",** (ORCA , May 2022).

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أهم التحديات التي تواجه سياسة الصين في منطقة الساحل، وآفاق تلك السياسة، وهدف الدولة الصينية من التواجد داخل القارة الأفريقية ومنطقة الساحل على وجه الخصوص. وجاءت أبرز نتائج الدراسة على النهج التالي:

أ- تعمل الصين على استخدام قوتها الاقتصادية بالأساس لإجبار الحكومات الأفريقية على منحها معاملة خاصة، كما حدث في زيمبابوي، أو للدفاع عن مصالح سياسيين بعينهم مؤيدين لمصالحهم، كما حدث في زامبيا، فهي تفعل مثل القوى الأوروبية التي انتقدتها سابقًا، فتحاول تحقيق مصالحها عبر مسارين إما الامم المتحدة أو استثماراتها وتواجدها الاقتصادي العملاق بدول الساحل.

ج- تدافع الصين عن تواجدها داخل قارة أفريقيا وبخاصة منطقة الساحل وتؤكد على أن وجودها يحمل منفعة متبادلة لها ولهذه البلدان وليس كما تروج الأطراف الأخرى، ويؤكد ذلك مساهماتها في مهام مكافحة الإرهاب إضافة إلى تطوير البنية التحتية في هذه الدول بما يناسب احتياجات هذه الدول في المقام الأول، كما حدث في جيبوتي.

3-"Secretariat of the China-Africa Economic and Trade Expo (CAETE), China- Africa Economic and Trade Relationship Annual Report" (Changsha, China-Africa Economic and Trade Expo, Sep 2021)

هَدف هذا التقرير إلى تحليل الدور الصيني في القارة الأفريقية من عدة اتجاهات؛ أهمها التجارة البينية للجانبين وتطورها وطبيعة السلع والخدمات محل التبادل، كذلك أهم الوجهات الأفريقية للتجارة الصينية والتي كان على رأسها: جنوب أفريقيا ونيجيريا وأنجولا والكونغو. وقد توصل إلى:

أ- وجود تطور إيجابي في العلاقات الاقتصادية الصينية الأفريقية، خاصة مع اتباع الصين منهج تحقيق الربح للطرفين، حيث تركزت الاستثمارات الصينية في مجالات تنموية هامة للقارة منها التعدين والنفط والبنية التحتية وتكنولوجيا المعلومات.

ب- انتهى التقرير إلى ضرورة أن تساعد الصين أفريقيا في النهوض بالصناعة بها، ورفع مستوى التدريب والتأهيل للقوة العاملة في أفريقيا، فضلاً عن حاجة أفريقيا إلى توظيف الاستثمارات الصينية في مجالات أوسع تواكب وتتلاءم مع الخطة التنموية لأفريقيا 2063.

**المحور الثاني: دراسات خاصة بالتواجد الصيني في دولة مالي**

1- Lina Benabdallah and Daniel Large, "China's Development-Security in Practice: The Case of Mali**", Published Paper in China Africa Research Initiative** (Washington, D.C.: Hopkins University School of Advanced International Studies, 2020).

هدفت هذه الدراسة إلى تتبع آليات الصين داخل قارة أفريقيا لزيادة تواجدها وحضورها وبشكل خاص دراسة ما تقوم به الدولة الصينية داخل دولة مالي. وقد توصلت الدراسة إلى ما يلي:

أ- تربط الصين بين الأمن والتنمية داخل الدول الأفريقية التي لها مصالح وعلاقات وتواجد قوي بها، فهي ترى أن الحفاظ على الأمن بهذه البلدان يضمن تحقيق التنمية ومن ثم ضمان استقرار مصالحها، مثل مشاركاتها في تنمية رأس المال البشرية وتقديم التدريبات للنخب السياسية هناك، سواء مالي أو غيرها من الدول الأفريقية التي تعاني من النزاعات مثل الكونغو الديمقراطية وجنوب السودان وغيرها من بلدان القارة السمراء.

ب- يستلزم التعامل مع الأزمة في مالي نهجًا شاملًا يرتكز على ثلاثة محاور رئيسة تتمثل في الأمن والتنمية والحوكمة، وحتى الآن نجحت الصين بشكل كبير في مشاريع تنموية فضلًا عن مساهماتها في قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة الرامية لبسط السلام داخل مالي، لكنها لم تفعل مجهودات كافية تذكر فيما يتعلق بالحوكمة هناك.

2- Marc Lanteigne, "China's UN Peacekeeping in Mali and Comprehensive Diplomacy", The China Quarterly (Cambridge: Cambridge University Press, Vol.239, Sep 2019).

هدفت هذه الدراسة إلى تتبع الدور الذي تلعبه الدولة الصينية فيما يتعلق بحفظ السلم والأمن داخل القارة الأفريقية عبر مساهماتها في قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة مع تركيز الضوء في هذا السياق على دولة مالي باعتبارها إحدى الدول التي تنخرط بها الدولة الصينية. توصلت الدراسة إلى ما يلي:

أ- تحاول الصين التأكيد على انخراطها بقوة داخل القارة الأفريقية متجاوزة دبلوماسية الموارد، ولتؤكد على أنها تهتم بحفظ السلم والأمن داخل قارة أفريقيا وأنها لا تركز فقط على الجوانب الاقتصادية وهو ما تأكد في مساهماتها داخل مالي رغم أن الأخيرة ليست بشريك تجاري رئيسي لها.

ب- تدرك الصين أن مشاركاتها في فرض الأمن داخل مالي لا يساعد فقط في حفظ وبناء السلام هناك ولكن هناك فوائد للدولة الصينية ذاتها، فهي تؤكد على أنها باتت تساهم وبشكل رئيسي فيما يتعلق بحل النزاعات الأهلية داخل البلدان المتضررة كمالي، والتدخل السريع لحفظ السلام وهو ما يؤكد ما تعلنه دومًا بأن مجيئها وحضورها إلى القارة كان من أجل بناء شراكات أفريقية حقيقية تعود بالنفع عليها وعلى البلدان الأفريقية.

3- Jean-Pierre Cabestan, "China's Involvement in Africa's Security: The Case of China's Participation in the UN Mission to Stabilize Mali", **The China Quarterly** (Cambridge: Cambridge University Press, Vol.235, Sep 2018).

هدفت هذه الدراسة إلى عرض انخراط وتوغل الدولة الصينية داخل قارة أفريقيا وبخاصة فيما يتعلق بالجوانب الأمنية مع دراسة حالة لمشاركة الصين ببعثة الأمم المتحدة لتحقيق الاستقرار في مالي. وقد توصلت الدراسة إلى :

أ- انخرطت الصين في البداية في اقتصاد وتجارة أفريقيا أكثر من مشاركتها في النواحي الأمنية، ولكن منذ العقد الأول من الألفية بدأت تنخرط أكثر فأكثر في النواحي الأمنية كمشاركاتها في عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام كما حدث في مالي "مينوسما" وجنوب السودان.

ب- تحاول الصين من خلال مشاركتها في مالي على وجه الخصوص على إثبات أنها قوة عظمى وتتحمل المسئولية بنواحيها المختلفة الأمنية والسياسية وليست فقط الاقتصادية، وتريد أن تنخرط داخل أفريقيا ومالي تحديدًا على غرار القوى الكبرى الأوروبية والأمريكية والتأكيد على أنها لا تنخرط في جانب دون غيره، بل أن مسئوليتها شاملة ومتعددة الأبعاد.

## سادسًا: اقتراب الدراسة:

ستقوم الدراسة بتبني اقتراب المصلحة الوطنية، ويرتكز هذا الاقتراب على حقيقة أن المصلحة الوطنية هي الهدف النهائي والأسمى لأي تحرك خارجي لأي دولة وهو ما يعكس مصلحتها الوطنية بل ويتم صياغتها وفقًا للمصلحة الوطنية؛ حيث تقوم الدولة بتحديد استراتيجيتها وسياستها حول القضايا الدولية وفقاً لأولوياتها. هذه الأولويات تعكس أهداف التحرك الخارجي للدولة كترجمة للمصلحة الوطنية. هذا وقد قسم "دونالد نوشترلين"، أحد رواد هذا الاقتراب، المصالح الوطنية من حيث أولوياتها إلى عدد من الأنماط:

1- مسائل مصيرية: تعرض وجود الدولة للخطر.
2- مسائل حيوية: وضع يمكن أن يحدث ضرر بالغ للدولة.
3- مسائل كبرى: تتعلق بالرفاهية السياسية والاقتصادية والأيديولوجية للدولة.
4- مسائل فرعية: تتعلق بالمصالح الخاصة لمواطني الدولة وشركاتها العاملة في الخارج.

بناء على ما سبق، ستعمل الدراسة على تطبيق هذا الاقتراب من خلال معرفة مصالح الدولة الصينية داخل قارة أفريقيا ومالي وما إذا كانت مصيرية أو حيوية أو غيرها، والتأكيد في العموم على ما يتبناه هذا الاقتراب من أن الدولة لا تتحرك إلا سعيًا لتحقيق مصالحها، ولكن تتنوع هذه المصالح وتتدرج حسب أهمية موضوعاتها بالنسبة للدولة والسياق والتوقيت الذي نتحدث من خلاله، كما أن العلاقة بين المصالح ديناميكية حركية ومتغيرة.

## سابعًا: تقسيم الدراسة:

ستقوم هذه الدراسة بتناول الانخراط الصيني داخل قارة أفريقيا وذلك من خلال محورين؛ يدور الأول حول ملامح الدور الصيني في أفريقيا من حيث نشأته والدوافع المُحركة له. أما الثاني فيدور حول الدور الصيني داخل دولة مالي من خلال عرض ملامح التواجد الصيني بمالي وتحديات هذا التواجد الصيني داخل مالي.

## المحور الأول: الدور الصيني في أفريقيا.. النشأة والدو افع

اكتشفت الصين أهمية القارة الأفريقية إثر الانفتاح على العالم الخارجي منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية، ورأت أن أهمية تواجدها في أفريقيا مرتبطة بموقعها الاستراتيجي، وتوسطها للممرات الملاحية الاستراتيجية، إضافة لتحكمها في حركة المواصلات العالمية وامتلاكها مصادر الطاقة وخام النقط والثروات الطبيعية وبالتالي فحضور الصين في أفريقيا ليس جديدًا كمان أن أفريقيا ليست جديدة في الحضور في الصين، فهناك تاريخ طويل من التواصل والتعاون بين الطرفين في عدد كبير من المجالات كما ستكشف الدراسة.[1] استنادًا لما سبق يسعى هذا المحور إلى دراسة الدور الصيني في أفريقيا عبر محورين فرعيين يناقش الأول إرهاصات نشأة الدور الصيني داخل أفريقيا، أما الثاني فيذهب لمناقشة الدوافع المُحركة لهذا الدور، وذلك فيما يلي:

### أولًا: التحرك الصيني داخل القارة الأفريقية: البزوغ والدو افع المُحركة

كانت أفريقيا من الدوائر الهامة والحاسمة بالنسبة لتحركات الصين الخارجية منذ نهاية الحرب الأهلية الصينية في عام1947، وصولًا لعام 2000 حيث الإعلان عن تأسيس منتدى صيني أفريقي، واستمرار التعاون حتى تاريخه، وذلك كما سنعرض على النحو التالي:

#### 1- بزوغ الدور الصيني بأفريقيا

ظهر الدور الصيني في أفريقيا قبل حصول البلدان الأفريقية على استقلالها، وتبلوّر هذا الظهور بشكل جلّي خلال الحرب الباردة وما بعدها، وبخاصة مع الإهمال والتهميش العالمي الذي عانت منه القارة وأحسنت استغلاله بكين، وتنوع هذا الظهور في محطات وأحداث عدة، كما سنعرض فيما يلي:

أ- **دعم حركات التحرر الأفريقية:** دعّمت الصين العديد من حركات التحرر الأفريقية خلال الحرب الباردة، وفي كل عام منذ عام 1950 باستثناء عام واحد، زار وزير خارجية جمهورية الصين الشعبية دولة أفريقية.[2] في عام 1971، مثّلت أصوات الدول الأفريقية أهمية كبرى في الفوز بسيطرة جمهورية الصين الشعبية على مقعد الصين في

---

[1] رابعة نور الدين وزير، "السياسة الخارجية الصينية في إفريقيا.. هل تستطيع الترويج لنموذجها في الديمقراطية؟"، **بحث منشور في مركز شاف للدراسات المستقبلية** (القاهرة: مركز شاف للدراسات المستقبلية وتحليل الأزمات والصراعات (الشرق الأوسط وأفريقيا)، 9 يناير 2022)، متاح على الرابط التالي: https://shorturl.at/aqwD8

[2] Dr Alex Vines OBE, Jon Wallace, "China-Africa relations", Chatham House, Jan 2023, on: https://shorturl.at/hwBU1

الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن - مما أدى إلى إزاحة ممثلي القوى القومية الصينية، التي هزمت في الحرب الأهلية وتحكم تايوان الآن. في العقود التالية، تحول تركيز الصين في إفريقيا إلى إلغاء كل الاعتراف المتبقي بحكومة تايوان. وحوّلت بوركينا فاسو وملاوي وليبيريا والسنغال وغيرها اعترافها من تايوان إلى جمهورية الصين الشعبية. وظلت إسواتيني هي الدولة الأفريقية الوحيدة التي لا تزال تعترف بحكومة تايوان في عام2023.[1]

ب- **تقديم الدعم المالي والاقتصادي بالتزامن مع سياسات التكيف الهيكلي:** برز دور الصين بوضوح خلال سياسات التكيف الهيكلي التي فرضتها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي على القارة الأفريقية خلال تسعينيات القرن الماضي وبداية الألفية، وفي الوقت الذي أعاقت هذه السياسات قدرة أفريقيا على الاستثمار، أصبح العديد من الزعماء الأفارقة ينظرون إلى الصين باعتبارها شريكًا اقتصاديًا أفضل من الغرب. وخلال هذا عرضت الصين على أفريقيا قروضًا بدون فوائد أو منخفضة الفائدة على بعض بلدان القارة الأفريقية. وعلى عكس القروض المقدمة من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والتي غالبًا ما تحمل فائدة عالية وتتطلب مراجعات مكلفة للرقابة والامتثال.[2]

ج- **تدشين استراتيجية الخروج نهاية التسعينيات:** في عام 1999، أنشأت الصين استراتيجية "الخروج"، والتي شجعت الشركات الصينية على الاستثمار خارج الصين. كانت الاستراتيجية بمثابة بيان للقوة الاقتصادية المتنامية للصين وخلقت موجة جديدة من المشاركة الصينية في إفريقيا. كما أنها كانت بمثابة مصدرًا هامًا للعمالة للمواطنين الصينيين في مشاريع البنية التحتية الجديدة.[3]

د- **إنشاء منتدى تعاون صيني أفريقي:** حيث أعلنت بكين في 2000 عن إنشاء منتدى التعاون الصيني الأفريقي "فوكاك" Forum on China Africa Cooperation "FOCAC" لتحسين التعاون بين الصين والدول الأفريقية، وعُقِد بالعاصمة بكين كأول مؤتمر لقمة تُعقد كل ثلاث سنوات للتعاون بين الصين وأفريقيا، وتمت الإشارة خلالها إلى مبادرة الصين الاستراتيجية المتنامية في أفريقيا.[4]

هـ- **المساهمة في تنفيذ مشروعات البنية التحتية:** على سبيل المثال، في عام 2004، عرضت الصين على أنجولا منحة بقيمة ملياري دولار لبناء السكك الحديدية والمدارس والطرق والمستشفيات والجسور ومكاتب المباني العامة وشبكات الألياف الضوئية. تم تنفيذ البناء من قبل الشركات الصينية. بالإضافة إلى ذلك تلقت أنجولا تسهيل ائتماني آخر من الصين تم ربطه بنسبة 1.5 في المائة على مدى 17 عامًا.[5]

و- **تكثيف الزيارات الصينية الرسمية إلى القارة:** فخلال العام الجاري 2023، لأول مرة يزور وزير الخارجية الصيني المعزول "تشين غانغ" خمس دول أفريقية والاتحاد الأفريقي في يناير2023، كما قام رئيس مجلس الدولة "شي جين

---

[1] **Idem**.

[2] Ousman Murzik Kobo, "A New World Order? Africa and China", Origins: Current Events in Historical Perspective, Mar 2013, on: https://shorturl.at/dhuS0

[3] Dr Alex Vines OBE, Jon Wallace, **Op.cit**.

[4] **Idem**.

[5] Ousman Murzik Kobo, **Op.cit.**

بينغ" بتخصيص عشر زيارات إلى أفريقيا بين عامي 2014 و2020، وهو ما يعكس أهمية القارة بالنسبة لبكين وتحركاتها الخارجية.[1]

أدى كل ما سبق إلى تعزيز المُدركات الأفريقية بخصوص تحركات الدولة الصينية إزائهم، وقد أظهرت استطلاعات الرأي أن غالبية المشاركين في البلدان الأفريقية ينظرون إلى الصين بشكل إيجابي، سواء من حيث نفوذها أو مساهماتها في تنمية القارة. في المتوسط، ينظر 63 في المائة من الأفارقة إلى النفوذ الاقتصادي والسياسي للصين على أنه إيجابي إلى حد ما أو إيجابي للغاية، وفقا لاستطلاع أجري عام 2016 في ستة وثلاثين دولة من قبل Afrobarometer، وهي شبكة أبحاث أفريقية. وأشاد العديد من القادة الأفارقة بفوائد الاستثمار الصيني لدعم النمو في بلدانهم.[2] كما يعتقد العديد من القادة الأفارقة أن الصين كدولة نامية زميلة لهم وليست قائدًا يُملي عليهم المشروطيات السياسية والاقتصادية كالحكومات والشركاء الغربيين. ويشيد القادة الأفارقة بمساهمات الصين في البنية التحتية لدولهم، ويسلطون الضوء على التحسينات الواضحة التي تسهم في توسيع النشاط الاقتصادي، وخلق فرص العمل للعمال المحليين، والتحسينات الملموسة في الطرق والسكك الحديدية والجسور وشبكات النقل الأخرى - وكلها أشياء تفيد المواطنين العاديين، ولو بشكل غير مباشر، وتعزز بشدة من قبول الدور الصيني داخل القارة.

على صعيد فكرة السياسة الصينية تجاه أفريقيا القائمة على عدم التدخل في شؤون الدول الأخرى، يعتقد "آرثر والدرون"، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة بنسلفانيا، أن هذه السياسة تحتاج إلى تشريح، وفقًا لوالدرون، فإن تفسير الصين لسياسة عدم التدخل يرتبط باعتبارات براغماتية. خاصة وأن مثل هذه السياسة تحظى بدعم النخب في أفريقيا. من وجهة نظر الغرب، قيل إن هذا يمنح الصين ميزة في العلاقات التجارية مع الدول الأفريقية، حيث تُفضل النخب السياسية هناك القروض والمساعدات والاتفاقيات التجارية من قوة عظمى لا تطالب بحقوق ليبرالية معينة، أو حكم خال من الفساد، أو شفافية، أو ديموقراطية. ويزعم آخرون أن هذه الاتجاهات مبالغ فيها، ويرجع ذلك في الأساس إلى عدم وجود نموذج واحد للتنمية تسعى الصين إلى تعزيزه. في الوقت نفسه لا يلتزم الغرب على الدوام بهذه المشروطيات، حيث فضّل الغرب في عدة مناسبات الأنظمة غير الديموقراطية طالما حققت مصالحهم وحافظت على تواجدهم، وسهّلت وصولهم للمواد الخام وفتحت أمامهم الأسواق وغيرها من العوائد الأوروبية جراء التعامل مع البلدان الأفريقية وغض الطرف عن ممارساتهم غير الديموقراطية.[3]

## 2- الدو افع المُحركة للتحرك الصيني

تتنوع الدوافع التي تُحرك بكين تجاه القارة الأفريقية ولكن يأتي أبرز هذه الدوافع هي الدوافع الاقتصادية حيث البحث عن الموارد المعدنية وإمدادات الطاقة اللازمة للتنمية الصينية، فضلًا عن الدوافع السياسية والعسكرية والأمنية، والتي نعرضها فيما يلي:

---

[1] Dr Alex Vines OBE, Jon Wallace, **Op.cit**.

[2] Eleanor Albert, "China in Africa", Council on Foreign Relations (CFR), on: Jul 2017, on: https://shorturl.at/oyET2

[3] Peter Stein, Emil Uddhammar, "China in Africa: The Role of Trade, Investments, and Loans Amidst Shifting Geopolitical Ambitions", Observer Research Foundation, Aug 2021, On: https://shorturl.at/mrsBY

أ- **أفريقيا كمصدر للنفط والمواد الخام:** عانت القارة الأفريقية من التهميش في أوائل تسعينيات القرن العشرين، وبخاصة مع تخلّي كل من الولايات المتحدة وروسيا عن حلفائهما الأفارقة، وتمكنت الصين من استغلال هذا الفراغ داخل القارة. لكن بدلًا من التركيز الأيديولوجي والعسكري الذي كان سائدًا بعد الحرب الباردة، ركزت الصين على تطوير العلاقات الاقتصادية؛ فالصين تنظر إلى أفريقيا كسوق ومصدر للمواد الخام (النفط والمعادن الثمينة في المقام الأول) وكذلك المنتجات الزراعية. لنبدأ باهتمام الصين بالنفط الأفريقي لأن الصناعة المزدهرة في الصين تعتمد على إمدادات مستقرة. وبعد أن كانت أكبر مصدر للنفط في آسيا، أصبحت الصين مستوردًا في عام 1993، ومن المتوقع أن تستورد أكثر من 45 في المائة من نفطها بحلول عام 2045. اعتبارًا من عام 2007، بدأت الصين استيراد حوالي ثلث نفطها من إفريقيا، أي حوالي 13 في المائة من صادرات النفط في إفريقيا. وظلت الولايات المتحدة أكبر مستورد صاف للنفط الخام الأفريقي .وتتقدم الصين على بقية القوى المتنافسة الكبرى في استغلال موارد النفط في أفريقيا.[1] في مقال نُشِر في يناير 2007، أشار: "إن طلب الصين الشره على الطاقة لتغذية اقتصادها المزدهر دفعها إلى البحث عن المزيد من إمدادات النفط من الدول الأفريقية بما في ذلك السودان وتشاد ونيجيريا وأنجولا والجزائر والجابون وغينيا الاستوائية وجمهورية الكونغو". وفي عام 2013 أعلنت شركة الطاقة الصينية المملوكة للدولة .CNOOC Ltd، أنها ستشتري حصة 45 في المائة في حقل نفط بحري في نيجيريا مقابل 2.27 مليار دولار. بالإضافة إلى النفط، توفر إفريقيا مجموعة واسعة من المواد الخام للصين. تستورد الصين حوالي 90 في المائة من الكوبالت، و 35 في المائة من المنجنيز، و 30 في المائة من التنتالوم، و 5 في المائة من أخشابها الصلبة من إفريقيا.[2]

ب- **ضمان الدعم السياسي الأفريقي:** تعتقد الحكومة الصينية أن تعزيز العلاقات الصينية الأفريقية يساعد في زيادة نفوذ الصين الدولي وبخاصة خلال صراعها مع تايوان. وتعرب معظم الحكومات الأفريقية عن دعمها لسياسة "صين واحدة" التي تنتهجها بكين، وهو شرط أساسي لجذب المساعدات والاستثمارات الصينية.[3] وبشكل عام فإن معظم الأعضاء الأفارقة في الأمم المتحدة، أي أكثر من ربع أعضاء الأمم المتحدة البالغ عددهم 193 عضوًا، يدعمون الصين ضد تايوان. ومن أجل تعزيز هذا الدعم، قامت بكين ببناء مقر الاتحاد الأفريقي بقيمة 200 مليون دولار في العاصمة الإثيوبية أديس أبابا.[4]

ج- **مصالح بحرية وأمنية:** تربط الصين وجودها العسكري بالقارة الأفريقية بشكل أساسي بحماية مصالحها الاقتصادية، على سبيل المثال سُجِل أول ظهور للسفن الحربية الصينية عام 2008 بساحل أفريقيا في المحيط الهندي، للمشاركة في عمليات دولية ضد القرصنة البحرية؛ وكانت هذه هي المرة الأولى التي تعمل فيها البحرية الصينية في هذه المياه منذ القرن الخامس عشر. لكن سرعان ما اتضح أن الوجود الصيني لم يكن يهدف فقط إلى محاربة هجمات القراصنة. وعندما هدأت أعمال القرصنة في عام 2012، بقيت السفن الحربية الصينية،

---

[1] Ousman Murzik Kobo, **Op.cit**.

[2] **Idem**.

[3] Larry Hanauer, Lyle J. Morris, "China in Africa: Implications of a Deepening Relationship", RAND Corporations, 2014, on: https://shorturl.at/axyK6

[4] Ousman Murzik Kobo, **Op.cit**.

وأعلنت الصين أن وجودها البحري جزء من طموحها لحماية مصالحها الاقتصادية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وشرق أفريقيا. ويمكن أيضًا اعتباره جزءًا من "طريق الحرير البحري"، وهو مشروع رئيسي للبنية التحتية اقترحه الرئيس شي جين بينغ في عام 2013 عرف بمبادرة الحزام والطريق، والذي سيشمل في المقام الأول الاستثمار الصيني في الموانئ، ولم تكتفي بكين بذلك بل تم توسيع الوجود البحري الصيني من خلال قاعدة بحرية في جيبوتي. في أغسطس 2017، تم افتتاح القاعدة. وهي أول قاعدة عسكرية بحرية للبلاد خارج الصين، ويتم استئجارها لمدة عشر سنوات، وتدفع الصين مقابلها 20 مليون دولار سنويًا.[1]

د- **دو افع عسكرية متصاعدة:** يعود الوجود العسكري الصيني في أفريقيا إلى سبعينيات القرن العشرين، عندما دعمت جماعات حرب العصابات -مثل يونيتا في أنجولا وفريليمو في موزمبيق- بالتمويل والأسلحة والخدمات اللوجستية. واليوم، تبيع الصين الأسلحة إلى العديد من دول المنطقة وتقدم التدريب للضباط الأفارقة الطامحين إلى العمل. كما أن هناك اتصالات مكثفة بين القادة العسكريين الصينيين ونظرائهم الأفارقة. فمن ناحية، تقوم الصين بتدريب الجيوش الأفريقية وقوات الشرطة والجنود المشاركين في عمليات حفظ السلام المتعددة الأطراف. كما تقدم الصين الدعم المالي للعمليات العسكرية للاتحاد الأفريقي، وتجري مناورات عسكرية مع الدول الأفريقية، وتلعب دورًا نشطًا في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في القارة.[2] ومن خلال المشاركة الاقتصادية والبشرية واسعة النطاق في العمليات العسكرية للأمم المتحدة، تأمل الصين أن ينظر إليها على أنها جهة فاعلة مسؤولة عن الحفاظ على النظام في المنطقة. وفي الأوقات التي خفضت فيها بلدان أخرى مثل هذا الدعم، كان ينظر إلى مشاركة الصين المتزايدة بشكل إيجابي في أفريقيا. بطبيعة الحال، توفر القارة أيضا ساحة حيث تمنح الصين الفرصة لاختبار أنظمة الأسلحة والمهارات العسكرية الأخرى. ومن خلال رعاية العلاقات مع القادة العسكريين في الدول الأفريقية، تسعى الصين إلى دمج أفريقيا في الاستراتيجية الجيوسياسية الأوسع للبلاد. فبالإضافة لكون الصين لاعبًا سياسيًا واقتصاديًا رئيسيًا في أفريقيا. في السنوات الأخيرة، أصبحت لاعبًا عسكريًا مهمًا.[3]

خلاصة ما سبق فيما يتعلق بالنفوذ الصيني داخل أفريقيا؛ أن بكين وعبر أذرع متنوعة ومتعددة (سياسيًا- اقتصاديًا- عسكريًا- أمنيًا- تجاريًا- إعلاميًا) تمكنت ليس فقط من الحفاظ على نفوذها بل تصاعد هذا الدور عامًا تلو الآخر وكانت هي الشريك الأكثر حضورًا بأصعدة متباينة بالقارة متفوقة في أحيان عدة على شركاء دوليين سواء كانوا دول كالولايات المتحدة أو تكتلات كالاتحاد الأوروبي، كما يوضح الشكل التالي حجم التبادل التجاري للصين مع القارة الأفريقية ومقارنته بالاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. جدير بالذكر أن الصين تعد الشريك التجاري الأكبر للقارة منذ عام 2009، وهي فترة ليست بالقليلة أن يتمكن فاعلًا من الحفاظ على هذه الشراكة بل ويعمد إلى

---

[1] Peter Stein, Emil Uddhammar, **Op.cit**.

[2] **Idem**.

[3] **Idem**.

مضاعفتها. فكما ذكرنا يميز الصين أنها لا تعتمد على استراتيجية وحيدة، ولا تُركز على مجالات بعينها، بل تعمد إلى تعميق نفوذها بالداخل الأفريقي بكل الأدوات والإمكانات الممكنة، فضلًا عن الاستغلال الجيد لما تمر به هذه البلدان من أزمات سواء كانت بسبب ظروف داخلية أو إقليمية أو نتيجة لصراعات عالمية كالغزو الروسي الأوكراني، والعمل على تقديم الدعم والمشروعات وبخاصة مشروعات البنية التحتية التي تتمكن من تنفيذها جيدًا والتي تحتاج إليها كثيرًا بلدان القارة خلال شراكتها مع الصين وغيرها من البلدان، في كل ما يتصل بالاستثمار والتصنيع وكافة مشروعات التنمية التي يعتمد نجاحها في الأساس على وجود بنية تحتية رصينة.

**شكل رقم (1)**

**حجم التبادل التجاري لأفريقيا مع الصين والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة**

**(مُقدرة بالمليار دولار أمريكي، في الفترة من 2002- 2019)**

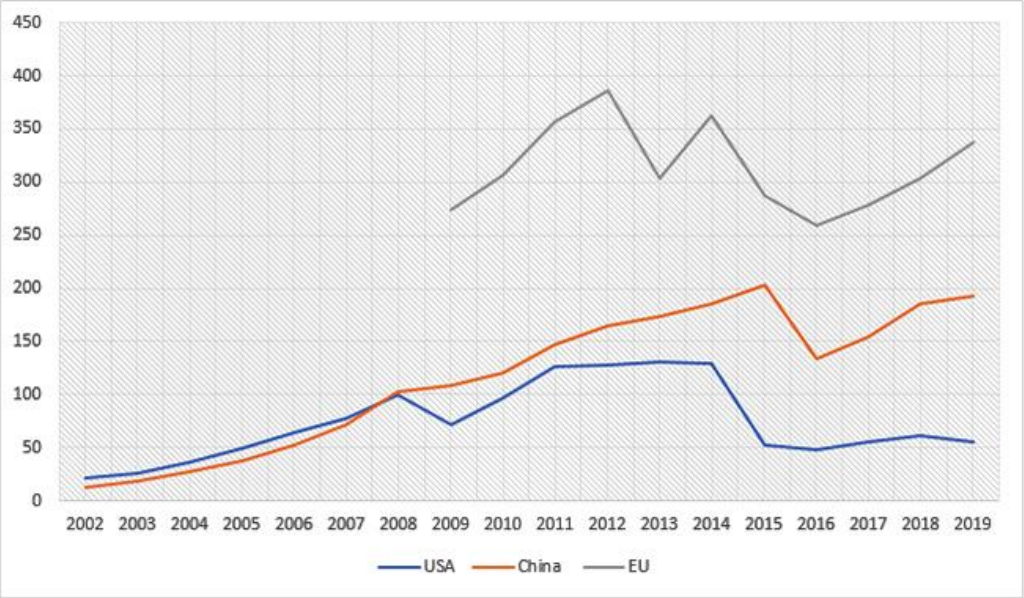


**Source**: SAIS-CARI and Eurostat.

## المحور الثاني: التواجد الصيني في مالي.. نفوذ متصاعد وتحديات مُعرقلة

فيما يتعلق ببداية العلاقات بين الصين ومالي؛ فقد تأسست بشكل رسمي العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في الخامس والعشرين من أكتوبر عام 1960، وقد ازداد التواجد الصيني في مالي عقب ترسيخ أقدام بكين بعدد من مدن القارة وإنشاء سفارات بها مثل القاهرة والرباط والخرطوم وكوناكري، وذلك في منتصف عام 1960.[1] وامتد ذلك النفوذ داخل مالي عبر أصعدة عدة شملت تنفيذ مشروعات للبنية التحتية وتقديم المساعدات الاقتصادية واللوجستية، فضلًا عن المساهمة في

]1[Sangare Zakaria Dit Zan, "Economic Impact of China's Investments in Mali's Construction Sector on Mali", **Journal of International Relations and Foreign Policy** (Madison: American Research Institute for Policy Development, No.2, Vol.3, Dec 2015), pp 27-28.

قوات حفظ السلام الدولية التابعة للأمم المتحدة بمالي "مينوسما"، والتي طالبت باماكو برحيلها وبدأت بسحب قواتها بالفعل خلال العام الجاري 2023. بناء على ما تقدّم يقوم هذا المحور بعرض أبرز دلالات التمدد الصيني داخل مالي وأبرز التحديات المُعرقلة للدور الصيني في هذا السياق.

## أولًا: دلالات الحضور الصيني بمالي

كما يتنوع التواجد الصيني بالقارة الأفريقية كما تمت الإشارة، ما بين الدوائر السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية والتجارية.. إلخ، فإن هذا التنوع يظهر كذلك بتحركات بكين داخل باماكو، وذلك على النهج التالي:

1- **مكافحة التمرد وحفظ السلام بالداخل المالي:** زادت الصين من مشاركتها في عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام، لا سيما في أفريقيا، ومالي على وجه الخصوص عامي 2012 و2013.[1] وكانت القوات الصينية في مالي على مدى نصف العقد الماضي تتمركز كجزء من القوى التي تعمل على تحقيق الاستقرار التي فوضتها الأمم المتحدة "مينوسما" -قبل بدء خروجها العام الجاري؛ حيث تم نشر هذه القوات بعد أن اجتاحت الجماعات المتمردة أجزاء كبيرة من شمال شرق مالي في عام 2013، ما يوضح كيف تقوم الصين باستخدام أنشطة حفظ السلام في مالي كفرصة لتدريب القوات واختبار معداتها في بيئة صعبة كمالي وكوسيلة لتوسيع نفوذها الدبلوماسي وقوتها الناعمة في إفريقيا وخارجها.[2] وقد ساهمت مشاركة الصين في بعثة الأمم المتحدة متعددة الأبعاد لتحقيق الاستقرار في مالي "مينوسما" MINUSMA في تحسين التفاعل مع السكان المحليين، وتعزيز التعاون مع الجيوش المحلية، وإيصال قيمة الدور الصيني المتنامي في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة للمواطنين الصينيين بشكل أفضل. ومع ذلك ظلت وحدة جيش التحرير الشعبي في مالي معرضة للمخاطر إلى حد كبير، لا سيما منذ هجوم مايو 2016 الذي أسفر عن مقتل جندي صيني وإصابة أربعة آخرين.[3] لكن إجمالًا يمكن القول بأن مشاركة الصين في مينوسما تعكس طموح الصين في أن تصبح لاعبًا رئيسيًا في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة والأمن الأفريقي.[4]

2- **تعزيز الحضور الدبلوماسي:** لعبت مساهمات الصين لمالي دورًا في توسيع فعالية الدبلوماسية الصينية الأفريقية في مطلع القرن العشرين؛ وتجلى ذلك في الزيارات المتبادلة بين الدولتين؛ حيث زار القادة الماليون الصين أربع مرات في الفترة من 2004 إلى 2010، كما قام الرئيس الصيني "شي جين بينغ" بجولة في مالي في عام 2009 كجزء من تعزيز حكومته السياسات الدبلوماسية الأفريقية.[5] وذكر الرئيس الصيني حينما ألتقى بالرئيس المالي السابق -المُطاح به لاحقًا عام 2020- "إبراهيم بوبكر كيتا" قبيل قمة بكين 2018 لمنتدى التعاون الصيني الأفريقي، إن الصداقة الصينية-

---

[1] Jean-Pierre Cabestan, "China's Involvement in Africa's Security: The Case of China's Participation in the UN Mission to Stabilize Mali", **Published paper in Cambridge University Press** (Cambridge: Cambridge University Press, **July 31, 2018) p1.**

[2] **Idem**.

[3] **Idem**.

[4] Marc Lanteigne, "China‘s Peacekeeping Policies in Mali: New Security Thinking or Balancing Europe?", Published paper in Freie Universität Berlin (Berlin: Freie Universität Berlin, August 2014), p 10.

[5] **Idem**.

المالية أسسها القادة من الجيل الأكبر سنا في البلدين؛ فقد ارتبط شعبيّ البلدين ارتباطًا وثيقًا خلال عملية النضال من أجل الاستقلال وتعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية.[1] على الصعيد ذاته وفي إطار تعزيز العلاقات بين البلدين؛ ففي 20 سبتمبر 2022، التقى مستشار الدولة ووزير الخارجية الصيني المُقال "وانغ يي" مع وزير الخارجية المالي "عبد الله ديوب" على هامش الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك. وقال "وانغ يي" حينها إنه في مثل هذا التوقيت الذي يشهد الكثير من التعقيدات والتقلبات على المستوى الدولي كالغزو الروسي الأوكراني وما صاحبه من تكلفة باهظة على القارة الأفريقية، فضلًا عن التحديات الداخلية التي تعاني منها، فإن الصين مستعدة للعمل مع مالي لدعم الثقة ببعضهما البعض، والمضي قدمًا لتعزيز الصداقة التقليدية بين البلدين، وتعزيز المنفعة المتبادلة. مع التأكيد على دعم الشعب المالي في اختيار طريق التنمية الذي يناسبه بشكل مستقل، وذلك من أجل طمأنة الدولة بأن الصين لن تتدخل في الشأن السياسي الداخلي وأنها تحترم في كل الأحوال ما يتوصل إليه المسئولين والمواطنين هناك، إضافة لدعم مالي في مكافحة الإرهاب وحماية الوحدة الوطنية، مع التأكيد على مواصلة الصين تقديم الدعم والمساعدة لتحقيق التنمية المُستدامة في مالي.[2]

ج- **تجديد الدعم لباماكو رغم مستجدات الداخل:** يميز بكين حرصها على تقديم الدعم لشركائها بغض النظر عما يجري بالداخل من متغيرات، على سبيل المثال رغم اعتراض بعض القوى الدولية على طلب مالي سحب قوات حفظ السلام لديها "مينوسما"، إلا أن الصين خرجت وأكدت على استمرارها في تقديم الدعم لمالي، وبرز ذلك خلال تصريح "داي بينغ"، نائب مندوب الصين الدائم لدى الأمم المتحدة، الذي قال إنه يتعين على المجتمع الدولي أن يضع السلام والاستقرار الشاملين في مالي والمنطقة في المقام الأول، وأن يساعد مالي على مواجهة التحديات بجميع أنواعها، وتسهيل التعاون الأعمق بين الأمم المتحدة ومالي في السياق الجديد.[3]

د- **الاضطلاع بتنفيذ مشروعات البنية التحتية:** ظهرت بوادرها حينما وقّعت الصين مع مالي اتفاقات بشأن مشروعات بقيمة 11 مليار دولار في عام 2012 -عقب اندلاع احتجاجات نتج عنها انقلاب عسكري أطاح بالرئيس المالي "أمادو توماني توري"؛ يهدف معظمها إلى تمويل مشروعين كبيرين للسكك الحديدية يربطان الدولة الحبيسة بالساحل. وقدّمت مالي تفاصيل قليلة عن شروط الاتفاقيات البالغ عددها 34، لكنها قالت إنها تتضمن بعض القروض. وتزامن ذلك مع محادثات جديدة مع صندوق النقد الدولي لمراجعة برنامج مالي واستئناف مدفوعات المساعدات التي توقفت خلال ذلك العام. وبالعودة إلى المشروعات التي ستعمل الصين على تنفيذها بمالي؛ فوفقًا لبيان نُشر على الموقع الإلكتروني لرئاسة مالي فإن أكبر المشاريع المخطط لها هو خط سكة حديد بطول 8 مليارات دولار و 900 كيلومتر (560 ميل) يربط العاصمة المالية باماكو بعاصمة غينيا كوناكري. وسيُستخدم 750 مليار فرنك أفريقي آخر (1.48 مليار دولار) لتجديد خط سكة حديد باماكو داكار الذي يربط مالي بالعاصمة السنغالية إلى الغرب. وتشمل المشاريع الأخرى

---

[1] China - Mali relations", CGTN Africa, Oct 25, 2018. Available on: https://shorturl.at/sBITX

[2] "Wang Yi Meets with Foreign Minister Abdoulaye Diop of Mali", Ministry of Foreign Affairs of the People's Republic of China, Sep 2022, on: https://shorturl.at/bjxBY

[3] "China calls for continued support for Mali after withdrawal of UN peacekeepers", Xinhua, Aug 29, 2023, on: https://rb.gy/w97py

بناء جسر عبر نهر النيجر في باماكو وإنشاء طرق خاصة في شمال البلاد الذي سيطر عليه مزيج من الانفصاليين والمتمردين المرتبطين بالقاعدة في عام 2012 .[1]

هـ- **إطلاق المشروعات التنموية:** تبرز ثلاثة مشاريع تنموية رئيسية بين مشاريع الصين العديدة في مالي، وهم مركز التكوين المهني في سينو، والمركز الجامعي لكابالا، ومركز بايلوت الزراعي في باجوينيدا. وتشترك هذه المشاريع الثلاثة في إمكانات هائلة لخلق فرص العمل، ونقل المهارات، وتحسين الظروف المعيشية في مالي. كما أنها تشترك أيضًا في كونها تقع في العاصمة أو بالقرب منها. كما أنه في باماكو، على مسافة ليست بعيدة عن مطار العاصمة، تم الانتهاء من إنشاء مركز التدريب المهني الجديد برعاية منظمة المعونة الصينية في عام 2018، وهو جاهز لتزويد الشباب المالي بالمهارات التقنية التي تؤهلهم لسوق العمل. من جهة أخرى كان التعاون الزراعي أحد الجوانب الثابتة للعلاقات الاقتصادية الصينية المالية؛ في عام 2009، خصصت شركة الصين للصناعات الخفيفة للتعاون الاقتصادي والفني الأجنبي والحكومة المالية 20 ألف هكتار من الأراضي لمشروع جديد للسكر N-Sukala.[2]

و- **تعزيز التعاون الثقافي:** في ظل تمويل منتدى التعاون الصيني الإفريقي "فوكاك"، تنوع التعاون الصيني المالي وتوسّع ليشمل المزيد من التبادلات الثقافية والتعليمية. تنظم الصين حوالي 80 ندوة للماليين سنويًا وترعى 300 دورة تدريبية احترافية. في الواقع شارك 2536 من مواطني مالي بالدورات التدريبية المهنية التي نظمها منتدى التعاون الصيني الأفريقي في الصين منذ عام 2017.[3]

**2- تحديات إزاء التمدد الصيني بمالي**

رغم أن الحضور الصيني داخل مالي يؤدي إلى جملة من المنافع المتبادلة للجانبين، إلا أنه يواجه عدد من التحديات، يأتي أبرزها البيئة المليئة بالاضطرابات والصراعات وتنامي أنشطة الجماعات المتشددة، كما سنذكر فيما يلي:

أ- **كثرة اندلاع الأزمات والاضطرابات:** تشير بكين دومًا إلى أنه رغم اعتبارها التنمية أبرز الحلول العملية لتحقيق السلام أو كما تقول بكين السلام من خلال التنمية "peace through development"، وبخاصة ببلدان أفريقيا الجاذبة للاضطرابات، إلا أن بعض من هذه الأزمات المؤدية للفوضى تُعيق في الكثير من الأحيان ما يتم إنفاذه من مشروعات، أو أنها تتم لكن لا تأتي عوائدها كما لو كانت الدولة مستقرة. على سبيل المثال تشير بكين إلى تأسيس إحدى مراكز التدريب المعنية ببناء القدرات لدى الشباب بما يمكنهم من العثور على وظائف مناسبة لتحسين ظروفهم المعيشية، إلا أن سلسلة الاضطرابات وبخاصة الانقلابين المتتاليين أغسطس 2020، ومايو 2021 تؤثر على بناء السلام بالدولة والاستفادة من هذه الكيانات الرامية لرفع قدرات المواطنين وتأهيلهم لسوق العمل.[4]

---

[1] Reuters Staff, "Mali says signed accords with China for projects worth $11 billion", Reuters, Sep 15, 2014. Available on: https://shorturl.at/iuwAQ

[2] Lina Benabdallah and Daniel Large, "Development, Security, and China's Evolving Role in Mali, Johns Hopkins SAIS", WATHI, Aug 2020, on: https://shorturl.at/KMQVY

[3] **Idem**.

[4] Lina Benabdallah and Daniel Large, **Op.cit**.

ب- **مخاطر تُعيق الاستثمار تتصل بالداخل المالي:** على الرغم من الفرص الواعدة للاستثمار الصيني بمالي، إلا أن هناك عقبات كبيرة أمام الاستثمار الأجنبي في مالي بشكل عام، بما في ذلك ضعف البنية التحتية، ومزاعم بشأن ممارسات للفساد، إضافة إلى عدم الاستقرار السياسي، وانعدام الأمن المستمر في أجزاء كثيرة من البلاد. لاشك في أن الإرهاب والاتجار بالمخدرات والتهريب، وخاصة في الأجزاء الشمالية والوسطى المتضررة من الصراع من البلاد، يعيق الاستثمار. بالإضافة إلى ذلك، تشير جهات الاتصال التجارية إلى أن الشركات المالية والأجنبية تواجه الفساد في مجال المشتريات والإجراءات الجمركية ودفع الضرائب وإدارة الأراضي. ويعكس تصنيف مالي المنخفض (المرتبة 148 من بين 190 دولة) في تقرير البنك الدولي لممارسة الأعمال لعام 2020 التحديات العديدة التي يمكن أن يواجهها المستثمرون الأجانب.[1]

ج- **اعتبار الصين و افدًا جديدًا على القارة:** في بعض الأحيان حينما تكون بكين بصدد المساهمة في عملية مكافحة الإرهاب، خاصة في منطقة الساحل -حيث تقع بها مالي- ينظر إلى الجهود الصينية كأنها لا تلاءم القارة لعدم دراية الصين بخصوصية البيئة الأفريقية، على عكس الشركاء الأوروبيين، حتى وإن تراجعت شعبيتهم إلا أنه ينظر إليهم كفاعلين قدامى على وعي بطبيعة البلدان الأفريقية وما يواجهونه من اضطرابات (حركات انفصالية- هجمات إرهابية.. إلخ).[2]

د- **صعوبة التنفيذ الأمثل الرؤى الصينية بالداخل المالي:** يشير الجانب الصيني إلى تأثير البيئة الأفريقية المحيطة على مسار استراتيجياته التي طالما كان واثقًا من نتائجها، على سبيل المثال رغم إدراك بكين أن رفع معدلات النمو الاقتصادي عبر إطلاق المشروعات والبرامج الاستثمارية والتنموية وغيرها يؤدي إلى بناء السلام والاستقرار، إلا أنها واجهت عدة صعوبات خلال تطبيق ذلك النهج على المجتمع المالي، وبخاصة مع حرص بكين على تنفيذ مشروعاتها دون أي تدخل بالشؤون الداخلية للبلدان الأفريقية، كما تؤكد دائمًا.[3]

## خاتمة:

عكس الوجود الصيني تصاعدًا ملحوظًا في مالي وفي إفريقيا بشكل عام، وعلى صعيد مالي وجدنا من خلال ما سبق من عرض لأبرز التحركات الصينية داخل باماكو كيف تحاول بكين ترسيخ حضورها على امتدادها، برغم التغير المتكرر في السلطة والذي تكرر مرتين منذ أغسطس 2020 ومايو 2021، فالدولة الصينية دائمة الحرص على التواجد وتعزيز التعاون مع شركائها ومن بينهم مالي، وتعمل دومًا على تطوير استراتيجياتها بما يلاءم طبيعة هذه البلدان. وهو ما يجيب على التساؤل البحثي للدراسة (إلى أي مدى تمكنت الدولة الصينية من استغلال الأدوات المتاحة لديها من أجل تعزيز دورها سواء داخل القارة الأفريقية أو داخل مالي؟ ) يدلل على ذلك ما حدث على مدار العقد الماضي وأكثر لمكانة الصين المتنامية في النظام العالمي وبخاصة الشق الاقتصادي منه، فقد أصبحت الدولة الصينية الآن ثاني أكبر اقتصاد في العالم؛ بعد الولايات المتحدة. وقد نمت قيمة تجارة الصين مع إفريقيا بشكل كبير من 1 مليار دولار أمريكي في عام 2000 إلى 55 مليار دولار أمريكي في عام

---

[1]U.S. Department of States, "2021 Investment Climate Statements: Mali", on: https://shorturl.at/coFX7

[2] Lina Benabdallah and Daniel Large, **Op.cit**.

[3] **Idem**.

2007 ، ووصلت إلى 198.4 مليار دولار أمريكي في عام 2012 ، و 221.88 مليار دولار أمريكي في عام 2014، وصولًا إلى 254.3 مليار دولار أمريكي عام 2021، بزيادة 35% عن عام 2020، كما أنه متوقع أن يصل حجم ما تستورده الصين من قارة أفريقيا بنحو 300 مليار دولار أمريكي بحلول عام 2025، فضلًا عن عزم الدولة الصينية على زيادة أعداد السلع والمنتجات المعفاة من الرسوم الجمركية التي يمكن دخولها من أفريقيا.[1] هو ما يعكس بقوة التواجد الصيني وتعضيد العلاقات بين الجانبين.[2] على صعيد القارة الأفريقية ككل، في عام 2009، تجاوزت الصين البنك الدولي كأكبر مُقرض في إفريقيا وأصبحت أيضًا الشريك التجاري الرائد لإفريقيا. وتؤكد كافة هذه المؤشرات على تزايد الانخراط الصيني داخل القارة، وتمكنها من استغلال أدواتها على نحو يؤدي لتعميق نفوذها وترسيخ وجودها بالداخل الأفريقي وسط التنافس الشرس بين الأطراف الدولية على القارة الأفريقية.

## قائمة المراجع:


### - مراجع باللغة العربية:

### أولًا: مقالات في دوريات

1- جيهان عبد السلام عباس، "العلاقات الصينية الأفريقية: دراسة تحليلية"، ***مجلة السياسة والاقتصاد*** (بني سويف: كلية السياسة والاقتصاد، جامعة بني سويف، المجلد 16، العدد 15، يوليو 2022).

2- د. حمدي عبد الرحمن، "مستقبل إفريقيا في ظل تحولات النظام الدولي"، ***السياسة الدولية*** (القاهرة: مؤسسة الأهرام، العدد 222، المجلد 55، أكتوبر 2020).

3- _____، "العلاقات الصينية الأفريقية: دراسة من منظور القوة الناعمة"، ***آفاق سياسية*** (الجيزة: المركز العربي للبحوث والدراسات، العدد 4، أبريل 2014).

### ثانيًا: البحوث المنشورة

1- رابعة نور الدين وزير، "السياسة الخارجية الصينية في إفريقيا.. هل تستطيع الترويج لنموذجها في الديمقراطية؟"، **بحث منشور في مركز شاف للدراسات المستقبلية** (القاهرة: مركز شاف للدراسات المستقبلية وتحليل الأزمات والصراعات (الشرق الأوسط وأفريقيا)، يوليو 2021).

### - مراجع باللغة الأجنبية

### A-Articles in Periodicals:


[1] Emmanuel Akyeampong, "China in West Africa's regional development and security plans", **Africa Development Journal** (Dakar: Council for the Development of Social Science Research in Africa, Vol.40, No., 2015) p1.

[2] Virusha Subban, "Africa: China's trade ties with the continent continue to strengthen", Global Compliance News (Chicago: Baker McKenzie, June 14, 2022). Available on: https://2u.pw/8FUXVB

1- Jean-Pierre Cabestan, "China's Involvement in Africa's Security: The Case of China's Participation in the UN Mission to Stabilize Mali", The China Quarterly (Cambridge: Cambridge University Press, Vol.235, Sep 2018).

2- Marc Lanteigne, "China's UN Peacekeeping in Mali and Comprehensive Diplomacy", The China Quarterly (Cambridge: Cambridge University Press, Vol.239, Sep 2019).

3-Sangare Zakaria Dit Zan, "Economic Impact of China's Investments in Mali's Construction Sector on Mali", **Journal of International Relations and Foreign Policy** (Madison: American Research Institute for Policy Development, No.2, Vol.3, Dec 2015).

**B-Published Papers:**

1- Dara Cheick, "China's Foreign Policy In The Sahel: Challenges And Prospects", Published paper on Organization for Research on China and Asia", (ORCA , May 2022).

2- Emmanuel Akyeampong, "China in West Africa's regional development and security plans", **Africa Development Journal** (Dakar: Council for the Development of Social Science Research in Africa, Vol.40, No., 2015).

3- Lina Benabdallah and Daniel Large, "China's Development-Security in Practice: The Case of Mali", **Published Paper in China Africa Research Initiative** (Washington, D.C.: Hopkins University School of Advanced International Studies, 2020).

4-Marc Lanteigne, "China's Peacekeeping Policies in Mali: New Security Thinking or Balancing Europe?", **Published paper in Freie Universität Berlin** (Berlin: Freie Universität Berlin, August 2014).

**C-Reports:**

1-"Secretariat of the China-Africa Economic and Trade Expo (CAETE) , China- Africa Economic and Trade Relationship Annual Report", (Changsha, China-Africa Economic and Trade Expo, Sep 2021).

**D-Internet Sources:**

1- Dr Alex Vines OBE, Jon Wallace, "China-Africa relations", Chatham House, Jan 2023, on: https://shorturl.at/hwBU1

2- Eleanor Albert, "China in Africa", Council on Foreign Relations (CFR), on: Jul 2017, on: https://shorturl.at/oyET2

3- Lina Benabdallah and Daniel Large, "Development, Security, and China's Evolving Role in Mali, Johns Hopkins SAIS", WATHI, Aug 2020, on: https://shorturl.at/KMQVY

4- Larry Hanauer, Lyle J. Morris, "China in Africa: Implications of a Deepening Relationship", RAND Corporations, 2014, on: https://shorturl.at/axyK6

5- Ousman Murzik Kobo, "A New World Order? Africa and China", Origins: Current Events in Historical Perspective, Mar 2013, on: https://shorturl.at/dhuS0

6- Peter Stein, Emil Uddhammar, "China in Africa: The Role of Trade, Investments, and Loans Amidst Shifting Geopolitical Ambitions", Observer Research Foundation, Aug 2021, on: https://shorturl.at/mrsBY

7- Peter Fabricius, "Mali gives China a reality check", Institute for security studies (Pretoria, ISIS, Oct 2020), on: https://t.ly/W5_Ag

8- Solène Benhaddou, "Côte d'Ivoire, Egypt, Mali… Where has China invested the most?", The Africa Report, Sep 2021, on: https://2u.pw/915Pja

9- Sneha Bhura, "FOCAC 2012 - Sino-African Ties Surge Ahead", The Manohar Parrikar Institute for Defence Studies and Analyses, New Delhi, Nov 2016, on: https://2u.pw/ILKvst

10- Virusha Subban, "Africa: China's trade ties with the continent continue to strengthen", Global Compliance News, June 14, 2022, on: https://2u.pw/8FUXVB

11- Huaxia, "Chinese, Malian FMs agree to deepen mutually beneficial cooperation", Sep 21, 2022, on: https://t.ly/vXC-y

12- Reuters Staff, "Mali says signed accords with China for projects worth $11 billion", Reuters, Sep 15, 2014, on: https://t.ly/g8pT8

13- Xinhua, "Chinese envoy calls for advancement of political process in Mali", China Daily, Oct 2022. Available on: https://2u.pw/KlTbGW

14- "China - Mali relations", CGTN Africa, Oct 25, 2018. Available on: https://t.ly/lHLAq

15- "Wang Yi Meets with Foreign Minister Abdoulaye Diop of Mali", Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, Sep 21, 2022. Available on: https://t.ly/Q8zI8

16- "Forum on China- Africa Cooperation", Official Website, on: https://rb.gy/1oiet

17- "The Chinese-African relationship is important to both sides, but also unbalanced", The Economist, May 22, 2022, on: https://2u.pw/Q73Xo3

18- "China calls for continued support for Mali after withdrawal of UN peacekeepers", Xinhua, Aug 29, 2023, on: https://rb.gy/w97py

19- U.S. Department of States, "2021 Investment Climate Statements: Mali", on: https://shorturl.at/coFX7

# التشغيل الفلاحي وإشكالية التغيرية المطرية

## بسهل دكالة

**ياسين حسون**، باحث في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

**محمد مدينة**، أستاذ التعليم العالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

**ملخص :**

تهدف هذه المقالة إلى إبراز اثر التغيرية المطرية على التشغيل الفلاحي بالمجالات الريفية من خلال دراسة حالة سهل دكالة، مع العلم أن القطاع الفلاحي يساهم بدور مهم في مجال التشغيل، حسب طبيعة المجال الزراعي ففي المجالات البورية يكون الشغل الفلاحي موسميا بينما يكون شبه دائم بالمجالات المسقية، علما أن المجالات المسقية لا تمثل سوى إلا 17 % من مجموع الاراضي المزروعة.

تتمحور إشكالية الدراسة حول أن الشغل بالأرياف يتأثر سلبا وإيجابا خلال المواسم الجافة والرطبة، فالفترات الرطبة تسمح بتوفير مناصب شغل مهمة بينما في المواسم الفلاحية الجافة والتي تتميز بقلة التساقطات المطرية تقل فرص الشغل، هذه الوضعية تؤثر على أحوال ساكنة الأرياف وخاصة الفئات الشابة التي في سن العمل، كما أنه من شأن استمرار هذا الوضع تدهور اطار الحياة بالأرياف، واشتداد الهجرة نحو المدن.

**الكلمات المفتاحية :** التشغيل– التغيرية المطرية – الحيازة الزراعية –المجال الفلاحي – سهل دكالة .

# Agricultural Employment and Climate variability

## A study case of the Dokkala Plain

**Abstract:**

The aim of this article is to show the effects of Climate variability on agricultural employment in rural areas through a study of the Dokkala Plain. The agricultural sector participates significantly in employment depending on the nature of the farming sector. In the arid farmlands areas agricultural employment is seasonal whereas it is almost permanent in the irrigated ones, knowing that the irrigated areas represent only 17% from the total of the cultivated lands.

The study argues that employment in rural areas is affected negatively and positively by dry and wet seasons respectively. The wet seasons offer an important rate of labor opportunities whereas during the dry seasons in which there is a scarcity of rain, labor opportunities decreases. This situation affects the habitants of rural areas specially theyoung. The continuation of this situation may result in the degradation of life in rural areas and consequently in unprecedented increase in urban migration.

**Key words:** employment – Climate variability –agricultural field – agricultural property– Dokkala Plain .

## -1- المقدمة :

### -1-1- السياق العام :

يعد التشغيل بالقطاع الفلاحي من أهم الركائز الأساسية للمجالات الريفية بالمغرب، من خلال تفعيل استراتيجيات القطاع على المستوى الوطني، الجهوي، والإقليمي. مع العلم أن هذا القطاع يعد من بين القطاعات الاقتصادية التي لها دور هام بخصوص التشغيل وخلق فرص العمل بالعالم القروي، إلا أن من أهم الاكراهات الطبيعية التي لها دور سلبي في فقدان أيام الشغل/العمل تتمثل في التغيرية المطرية والتي تحمل بين طياتها الجفاف، ويمكن التمييز في هذا الاخير بين جفاف مناخي، جفاف هيدرولوجي وجفاف فلاحي، فالجفاف المناخي يعد عاملا متحكما في الجانب الهيدرولوجي والفلاحي، إن هذا الاكراه الطبيعي له أثر سلبي على ساكنة العالم القروي بالمغرب.

يعرف العالم القروي أهمية ديمغرافية، اجتماعية واقتصادية وهو يغطي 90% من المساحة الإجمالية للمغرب ويمثل 13.5 مليون نسمة (40% من ساكنة البلاد ) كما يضم 85% من الجماعات (أي 1282 جماعة قروية من بين 1503 ) .

تبلغ المساحة الإجمالية للمغرب حوالي 71 مليون هكتار، منها 8.7 ملايين هكتار من الأراض الصالحة للزراعة وتنقسم هذه المساحة إلى أراض مسقية (1.5 مليون هكتار) وأراض بورية (7.2 ملايين هكتار )... كما تشتمل المناطق الجبلية على 70 % من الموارد المائية وتغطي 62% من الغابات المغربية .

يحتضن العالم القروي أيضا 43% من ثروات المغرب المتنوعة. فهو يغطي 15% من حاجيات الحبوب، 96% من حاجيات الحليب، 98% من حاجيات اللحوم الحمراء، 100% من حاجيات الدواجن ، 48 % من حاجيات السكر، 09% من حاجيات الزيت. ( **المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي: 2017- ص12**) واعتبار لذلك يعد القطاع الفلاحي من أهم القطاعات الاقتصادية حيث يساهم ب 13.7 % من الناتج الداخلي الخام.

يوفر القطاع الفلاحي 40% من فرص التشغيل على المستوى الوطني، وهو مصدر دخل لما مجموعه 80% من الساكنة القروية معظمها بالمجال الريفي والمناطق الريفية التي تعرف وضعا اقتصاديا واجتماعيا متباينا باختلاف المجالات الفلاحية. تتميز هاته المجالات (البورية) بسيادة الاستغلاليات الصغرى والتي ترتكز على الزراعات المعيشية باعتماد أساليب تقليدية خلال عمليات الحرث، الزرع، الحصاد وعلى العمل العائلي .

بالمقابل تسود الاستغلاليات المتوسطة والكبرى بالمجالات المسقية وتركز على الزراعات التسويقية والتصديرية، باعتماد أساليب عصرية، وعلى العمل المأجور وأيضا العمل العائلي بحسب المواسم .

تعد التغيرية المطرية من أهم الاكراهات الطبيعية التي يعرفها مجال الدراسة، والتي لها أثر سلبي بخصوص التشغيل الفلاحي بسهل دكالة، هذا الأخير ينقسم إلى مجالين فلاحيين: مجال فلاحي بوري يتأثر نتيجة التغيرية المطرية من خلال عدم انتظام التساقطات المطرية في الزمان والمكان، الشيء الذي ينتج عنه اشكال بخصوص عدد أيام الشغل بالوسط القروي، ومجال فلاحي سقوي يتأثر بطريقة غير مباشرة من خلال تراجع الموارد المائية المخصصة من طرف وكالة الحوض المائي للري، مما ينتج عنه إشكال بخصوص العمل الفلاحي.

**-1-1-1- تحديد المجال المدروس :**

يوجد سهل دكالة بجهة الدار البيضاء سطات، وتبلغ مساحة الجهة 20 ألف و394 كلم مربع ، من مساحة التراب الوطني وتعد القطب الاقتصادي الأول في المغرب ، يحدها شمالا جهة الرباط سلا القنيطرة وشرقا جهة بني ملال خنيفرة وجنوبا جهة مراكش اسفي وغربا المحيط الأطلسي وتتمتع بكثافة سكانية .

يعد القطاع الفلاحي من أهم الأنشطة الاقتصادية بالجهة، من خلال تواجد أحد أهم المجالات الفلاحية السقوية بالمغرب، المجال الفلاحي السقوي دكالة، وتخضع لنفوذ المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة تبلغ مساحته 516 ألف هكتار منها 312 ألف هكتار بإقليم سيدي بنور و204 ألف هكتار بإقليم الجديدة، في حين تبقى حدوده الجنوبية مرتبطة بالتدخل التقني للمكتب(7000 هكتار إقليم اسفي) كما توضح الخريطة1.

**الخريطة 1 : سهل دكالة ضمن جهة الدار البيضاء–سطات**

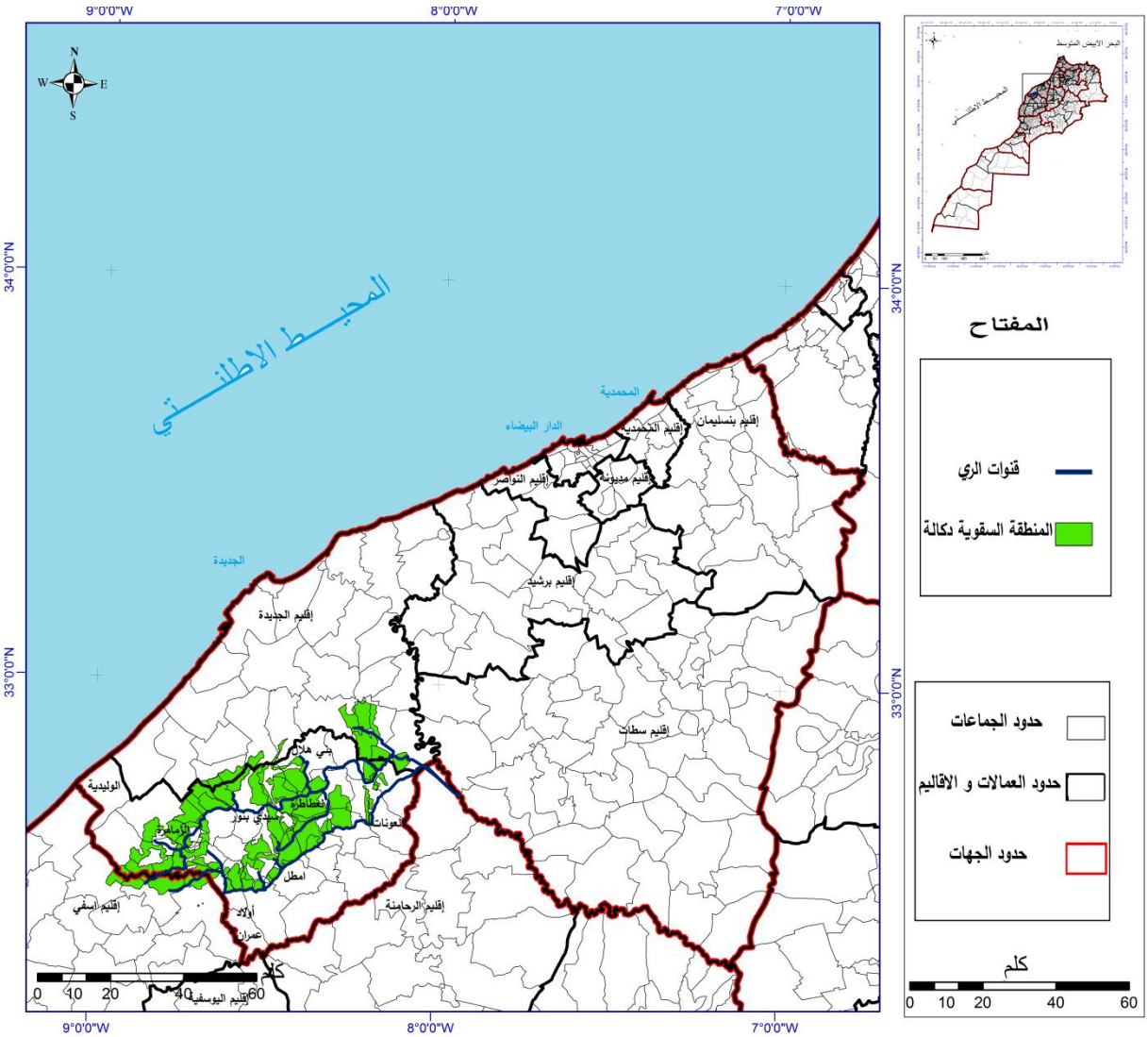


من إنجاز ياسين حسون

**2-1-1-الخصائص العامة للمجال المدروس :**

تعد دكالة أحد أهم المناطق الفلاحية بالمغرب، نظرا لأهميتها من حيث الانتاج الفلاحي والمساهمة في الإنتاج الوطني من الشمندر السكري 40 % ، إنتاج الحليب 22 %،... تعود هاته الأهمية إلى المميزات الطبيعية التي تحضى بها المنطقة والمتمثلة في كون سهل دكالة يعتبر من أهم السهول الأطلنتية بالمغرب، بتنوع تربته وتوفره على موارد مائية سطحية وجوفية تعرف تراجعا ملحوظا نظرا لإشكالية التغيرية المطرية، بالإضافة إلى التأطير الفعال والرئيسي للمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة .

تشكل مساحة الأراضي البورية بمنطقة نفوذ المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة 323757هكتار تليها المساحة المسقية بالري الكبير 96000 هكتار، الغابات والمراعي والأراضي الغير صالحة للزراعة 95000 هكتار، المساحة المسقية بالري المتوسط

والصغير 8300 هكتار، وتنقسم دكالة حسب التقسيم الإداري إلى إقليمين : سيدي بنور الذي يضم دائرتين سيدي بنور والزمامرة وإقليم الجديدة الذي يضم ثلاث دوائر الجديدة، ازمور وسيدي اسماعيل.ينتمي سهل دكالة للسهول الأطلنتية، يحده من الشمال الشرقي سهل الشاوية، الجنوب الغربي سهل عبدة، الجنوب الشرقي هضاب دكالة الشرقية وغربا المحيط الأطلنتي.

تتميز دكالة بتنوع تضاريسي، حيث تندرج في إطار المسيطا المغربية الجنوبية وتتشكل من وحدات طبيعية أهمها:

-وحدة الولجة : وهي عبارة عن سهل ساحلي طولي على هيئة منخفض، يتراوح عرضه بين 200 و800 متر...تعطي المنخفض تربة رمل كلسية مستغلة في اطار زراعة البقليات، خصوصا الطماطم الموجهة نجو التصدير، وتتطابق فيها ثلاث سدائم باطنية (رباعية، بليوسينية، كريطاسية) كلها مؤهلات طبيعية جعلت من الولجة مجالا زراعيا خصبا.

-وحدة الساحل : يتعدى الساحل المجال المشاطئ للبحر إلى أماكن نحو الداخل، يتمثل فيها الموروث البحري على هيئة كثبان أو سطوح برية قديمة. وتعد منطقة الساحل منطقة يقل فيها النشاط الزراعي بسبب سيادة الأراضي المكشوفة، تتميز بنشاطها الرعي زراعي.

-وحدة المسطحة: تتشكل من كثبان متصلبة حثية وصدفية في معظمها تنتمي إلى الزمن الرابع وتتراوح ارتفاعاتها مابين 40 و100 متر إلا أنه في غالب الحالات تبدو على هيئة سطح شبه منبسط.

-وحدة الكتبان المتصلبة: تتميز هذه الوحدة الكثيبية بمميزات لا تجتمع في مثيلاتها على المستوى الوطني وتتراوح ارتفاعاتها مابين 100 و180 متر تعود إلى الفترة المغربية تمتد في اتجاه دكالة.

-وحدة الهضاب النيوكومية: تشكل مجالا انتقاليا بين الرحامنة الأولية ودكالة الإغران الرباعي فهي عبارة عن هضاب متقطعة تخترقها أودية موسمية فيضية(امتطاحات) ككراندو والفارغ وامطل وبوشان الذي يفصل بينها وبين لكنتور. تعود صخور هذه الهضاب إلى الزمن الثاني.

-السهول الداخلية : السهول والهضاب الداخلية لها طبوغرافية تتخللها تموجات خفيفة وتقطيع بواسطة شبكة مائية موسمية... تتشكل تربات هذا الجزء من توضعات رباعية يصل سمكها إلى 90 متر كما هو الحال بسيدي بنور.

من أهم السهول بدكالة نجد سهل سيدي بنور وهو امتداد لسهل لقواسم ورار والعونات حيث يمكن اعتبار المستطيل المكون من مغرس، أولاد افرج شمالا حيث النهاية الشمالية الشرقية للساحل وبولعوان أربعاء العونات، حد العونات وخميس متوح

حيث النهاية الغربية للهضاب الشرقية لدكالة والمفصل مع الرحامنة عند بولعوان (من الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي) أما غربا فنجد الزمامرة مما يبين المجال الامتدادي لسهل سيدي بنور الذي لايمكن تمييزه إلا بتشكيله المنبسط الذي يختلف عن الهوامش المتموجة، أما تضاريسيا فتكاد دكالة كلها تكون متجانسة ( محي الدين: 2007 ص 15.14.13). كما توضح ذلك الخريطة2.

**الخريطة2 : الوحدات التضاريسية بدكالة**

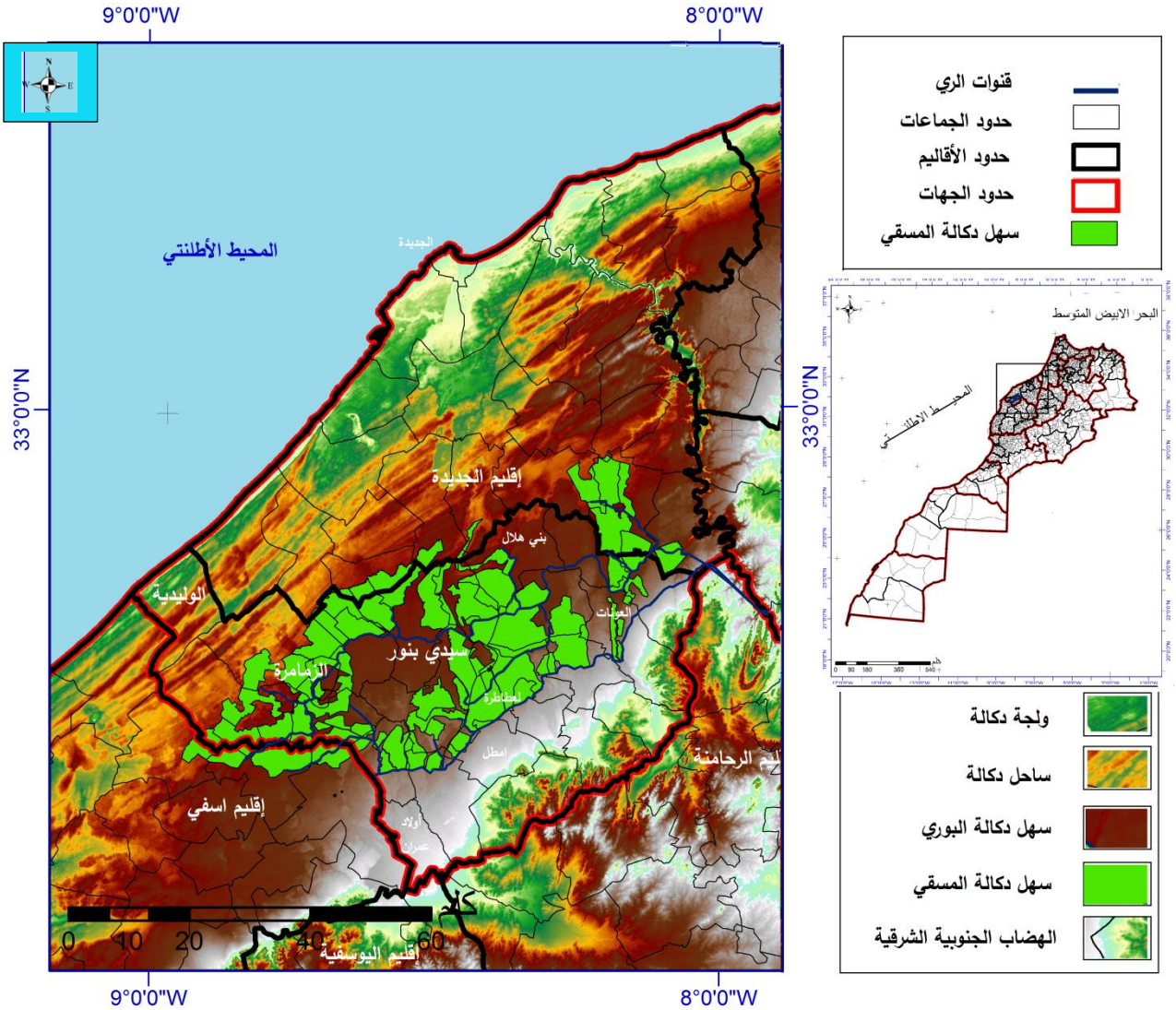


من إنجاز ياسين حسون

**-1-2- الإشكالية :**

يندرج موضوع الدراسة في إطار الجغرافية الفلاحية، وهي فرع معرفي من الجغرافية الريفية، يعنى بدراسة الأنشطة الفلاحية في بعدها المجالي، أنواع الفلاحات ونظام الاستغلال الفلاحي، ونظام الزراعة وتربية الماشية، والعقار الفلاحي والشغل الفلاحي...(ضايض:2021ص79) فالجغرافية الفلاحية تعنى بالجوانب التقنية والاقتصادية لمزروع معين...فهي من جهة

ISSN 2569-734X

تعتمد على هندسة الزراعة، التي تدرس العلاقات القائمة بين الانتاج الفلاحي والأساليب التقنية المستعملة لتوفيره، ومن جهة أخرى تهتم بالناحية الاقتصادية المتعلقة بهذا الانتاج.(بلفقيه:1988ص10).

تتمحور إشكالية هذا الموضوع حول اثر التغيرية المطرية على التشغيل الفلاحي بسهل دكالة على مستوى المجالين المسقي والبوري ، تنطلق الاشكالية من أهمية الشغل الفلاحي في هذا المجال واثره على دينامية النظام الرعي زراعي .

تعتبر التغيرية المطرية أكثر خطورة من الجفاف، ذلك أن هذا التدبدب المطري يدفع الإنسان إلى أن يؤقلم أدوات انتاجه مع قلة الماء ويصعب عليه ذلك في حالة التغيرية المطرية الكبيرة. . ( السلوي :2006-123 ).

إن إشكالية التغيرية المطرية والظواهر القصوى المتمثلة في الجفاف، لها علاقة بالتشغيل والتحكم في عدد أيام الشغل المرتبطة بالنشاط الفلاحي(الزراعة وتربية الماشية)، حيث أن المواسم الفلاحية الجافة والشبه جافة تؤثر بصفة مباشرة على عدد أيام الشغل وعلى فرص العمل المربطة بالأنشطة الفلاحية، خصوصا النشاط الزراعي، المعتمد على زراعة الحبوب باعتبارها تشكل مابين 60 إلى 70% من المنتوجات الزراعية المعتمدة، متبوعا بزراعة القطاني، الاشجار المثمرة، الزراعات الصناعية...فهذه الزراعات تساهم في توفير فرص عمل مباشر وغير مباشرة من خلال.

**-1-2-1- تحديد المفاهيم :**

يندرج موضوع التشغيل الفلاحي والتغيرية المطرية دراسة سهل دكالة في إطار دراسة جغرافية. يتأطر موضوع الدراسة بمجموعة من المفاهيم المهيكلة أهمها :

-**العمل :** هو الجهد المبدول في جميع الأنشطة التي يمارسها الأفراد بهدف الربح أو الحصول على أجرة معينة سواء كانت على شكل راتب شهري أو أجرة أسبوعية أو بالمياومة ...

-**العمل الزراعي :** هو كل عمل يهدف إلى استثمار الأرض والمنشات الزراعية استثمار زراعيا وكل عمل مرتبط به يغلب فيه الطابع الزراعي .

-**العمل العائلي :** يمارس من طرف أفراد الحيازة ، ويكتسي هذا العمل الطابع العائلي لكونه يندرج في الاستغلال المباشر للعمل الفلاحي .

-**العمل بالاجر (المأجور) :** يمارسه كل فرد يعمل لحساب فرد اخر أو لحساب منشأة أو جهة معينة وتحت إشرافها ويحصل مقابل عمله على أجر محدد سواءا كان بأجر على شكل راتب شهري أو أجرة أسبوعية أو بالمياومة ...

-**العامل الزراعي :** هو كل شخص طبيعي يعمل في عمل زراعي لقاء أجر لدى صاحب عمل زراعي تحت سلطته المباشرة أو غير المباشرة بموجب عقد عمل . كما أنه كل من يعمل أو عمل في الحيازة الزراعية في وقت ما خلال السنة المرجعية .

-**العامل الزراعي الدائم :** هو العامل الذي يؤدي خدماته بشكل منتظم ومستمر في الحيازة خلال الموسم الزراعي .

-**العامل الزراعي المؤقت :** هو العامل الذي يؤدي خدماته بشكل غير منتظم وغير مستمر في الحيازة خلال الموسم الزراعي ، وغالبا مايستخدم لفترات قصيرة لإنجاز مهام محدودة .

-**الحيازة الفلاحية :** وحدة إقتصادية للإنتاج الزراعي تخضع لإدارة واحدة ، وتشمل جميع رؤوس الماشية الموجودة فيها وكل الأرض المستخدمة لأغراض الإنتاج الزراعي سواء بصورة كلية أو جزئية. ( **البرنامج العالمي للإحصاء الزراعي 2020**).

-**التغيرية المطرية :** التغيرية حسب جل المعاجم ، مثل معجم الغني ، ومعجم الرائد ، والمعجم الوسيط ...، هذه الكلمة تعني التغير أو التذبذب أو التحول ، وتقابلها في اللغة الفرنسية كلمة Variabilité (التغير عبر الزمن ) ، وفي الإنجليزية Variability، والتغيرية سواء في اللغة العربية ، أو في اللغتين الفرنسية والإنجليزية ، هي صفة الشيء الذي يتغير ويتبدل ولايثبت على قيمة أو حالة واحدة ، وهي حالة الشيء الذي يتذبذب زمنيا.

اعتماد على ما سبق ، نستنتج أن التغيرية المطرية يقصد بها شدة التغير والتذبذب في كمية الأمطار من فصل لآخر ، أو من سنة لأخرى ، مما يؤدي إلى توالي سنوات جافة وسنوات مطيرة .

تنعكس التغيرية المطرية على الزراعات البورية وعلى انتاجها السنوي من الحبوب ، ففي المناطق التي تنخفض فيها حدة هذه التغيرية يؤدي الانتظام النسبي في الأمطار إلى حدوث نوع من الاستقرار في الزراعة البورية بحيث يكون الانتاج الزراعي قليل التذبذب ، بينما تتميز المناطق ذات التغيرية المطرية الشديدة باضطراب في الانتاج ... يعتبر تردد موجات الجفاف من أهم مظاهر التغيرية المطرية وأشدها ضررا على الزراعات البورية ، فالجفاف عجز قوي في التساقطات خلال فترة زمنية طويلة ...لايقتصر ذلك على الظروف الجوية فحسب ، بل يشمل أيضا كافة الموارد المائية السطحية والجوفية والترابية ، فالانقطاع المطول للمطر يتسبب عادة في حدوث انخفاض مهم لهذه الموارد المائية. ( باحو:2002.ص403 ) .

تجد دراسة التغيرية المطرية تبريرها في الأسباب التالية :

- توضح مدى التغيرية المطرية في المنطقة المدروسة ، زمانيا ومجاليا .
- تسمح بمقارنة التغيرية المطرية مع تغيرية باقي العناصر المناخية المكونة للحصيلة المائية.

- تعتبر التساقطات أحد أسباب الفيضانات والجفاف . ويعني فهم التغيرية المطرية التوفر على فكرة حول تردد الجفاف أو الفيضانات ... ( السلوي: 2006ـ ص 123ـ124)

**-2-2-1- السؤال الإشكالي :**

تعرف المواسم الفلاحية التي تتميز على المستوى المناخي بظاهرة الجفاف، بفقدان مناصب الشغل وعدد أيام العمل في الوسط القروي وبالأرياف الإشكالية المطروحة هنا :

ما أثر التغيرية المطرية على العمل الفلاحي بسهل دكالة؟

هل المجالات الفلاحية والريفية تقتصر على الأنشطة الفلاحية من أجل توفير فرص الشغل والرفع من عدد أيام العمل في الوسط القروي والأرياف أم تعرف أنشطة أخرى غير فلاحية ؟

كيف تتميز بنية التشغيل بالوسط القروي خصوصا بالقطاع الفلاحي لسهل دكالة ؟

-3-1-أهداف الدراسة : تهدف هذه الدراسة إلى التعرف أثر التغيرية المطرية على العمل الفلاحي.

- تحديد الأنشطة الفلاحية وغير الفلاحية التي يعتمدها أصحاب الحيازات .

- تشخيص الوضعية الحالية الخاصة بالأنشطة الفلاحية لسهل دكالة .

- رصد بنية التشغيل بالوسط القروي خصوصا بالقطاع الفلاحي لسهل دكالة.

التعرف على بنية التشغيل بالوسط القروي خصوصا بالقطاع الفلاحي لسهل دكالة.

**-1-3-1- الفرضيات :**

للإجابة على موضوع الدراسة تم الاعتماد على الفرضية الرئيسية التالية:

إن التشغيل الفلاحي يتأثر سلبا وإيجابا خلال المواسم الفلاحية الجافة والرطبة فإذا كانت المواسم الرطبة تسمح بتوفير مناصب شغل مهمة فإن المواسم الفلاحية الجافة والشبه جافة التي تتميز بقلة التساقطات المطرية تساهم في فقدان عدد مهم من مناصب الشغل والعمل المستأجر في الوسط القروي وبالأرياف بشكل عام.

تتفرع عن هذه الفرضية فرضيات ثانوية كالتالي:-للتغيرية المطرية أثر سلبي على الشغل الفلاحي من خلال فقدان فرص عمل مباشرة وغير مباشرة بالقطاع الفلاحي .

-يعتمد أصحاب الحيازات على مجموعة من الأنشطة الفلاحية ( الزراعة وتربية الماشية) في إطار توفير فرص شغل إضافية ، مما يساهم في تنشيط حركية الشغل بالمجال .

- خلال المواسم الجافة وشبه الجافة يعتمد أصحاب الحيازات الفلاحية على مجموعة من الأنشطة غير فلاحية .

**-2- المنهجية :**

للإجابة عن إشكالية وأهداف الدراسة تم الاعتماد على المنهج الاستقرائي من خلال مجموعة من الدراسات وعلى المنهج التحليلي الوصفي عن طريق بحث ميداني حيث تم الاعتماد على المقابلات الميدانية الفردية والجماعية بواسطة استمارة خاصة بفلاحي المنطقة حسب الوحدات المجالية بني هلال و أولاد عمران(أنظر الخريطة3). كما أن مشاركتي في إطار الاحصاء العام للسكان والسكنى 2014 والاحصاء العام للفلاحة 2016 ساعدتني في التعرف على المجال واشكالاته ومن بينها عنصر التشغيل.

**-1-2- الوحدات الترابية :** تنتمي الوحدات الترابية لإقليم سيدي بنور بجهة الدار البيضاء سطات ، الوحدة التضاريسية سهل دكالة (السهل المسقي والسهل البوري ) .من أهم الأنشطة الفلاحية المزاولة بسهل دكالة إنتاج الشمندر السكري ، الحبوب والزراعات العلفية مع تربية البقر والغنم مما يساهم في توفير فرص عمل مباشرة وغير مباشرة . يضم سهل دكالة جماعة بني هلال السقوية و جماعة أولاد عمران البورية . (الخريطة3).

**الوحدة الترابية الأولى : جماعة بني هلال :** تقع جماعة بني هلال بالسهل الأوسط الداخلي ، تتميز هذه الوحدة بتواجد مجال سقوي وبوري ، تتميز بسيادة زراعة الحبوب ، الزراعات العلفية والشمندر السكري ، مع تربية البقر والغنم ..

**الوحدة الترابية الثانية : جماعة اولاد عمران : هي جماعة بورية تقع بجنوب دكالة وهي امتداد للسهل الداخلي ، تتميز** بزراعة الحبوب والزراعات العلفية مع تربية البقر والغنم .

**الخريطة 3 : وحدات المعاينة الترابية بسهل دكالة**

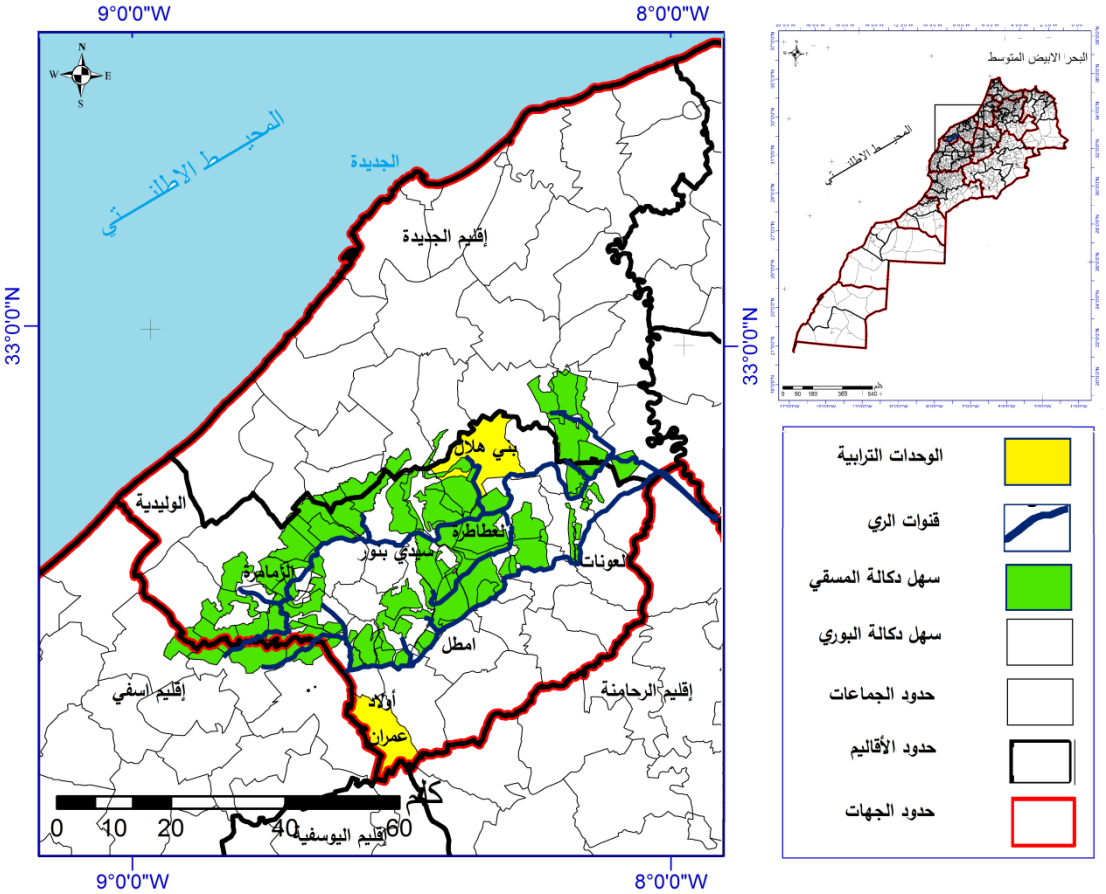


من إنجاز ياسين حسون

**-2-2- طريقة السحب**:تم الاعتماد على وحدة المعاينة الطبيعية الحيازة الفلاحية حيث تم التركيز على عينة مئوية وعلى طريقة سحب عشوائية بنسبة 5 % من مجموع الحيازات بكل جماعة.

**-2-3- أسلوب جمع البيانات :** تم الاعتماد على نوعين من البيانات : ميدانية وأخرى غير ميدانية . البيانات غير الميدانية تم تحصيلها من مجموعة مؤسسات اهمها : وكالة الحوض المائي أم الربيع ، المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة ، المديرية الجهوية للفلاحة الدار البيضاء سطات، المندوبية السامية للإحصاء والتخطيط - الاحصاء العام للسكان والسكنى 2014 وكذلك الاحصاء الفلاحي لسنة2016. أسلوب جمع البيانات الميدانية شمل 325 حيازة فلاحية بسهل دكالة، بالوحدات المجالية (بني هلال ، أولاد عمران ). كما أن مشاركتي في الاحصاء العام للسكان والسكنى 2014 والاحصاء العام للفلاحة 2016 بمجال الدراسة كان لها دور كبير في التعرف على خصوصيات المجال الدكالي عن قرب .العينة :استند البحث بصفة أساسية على البيانات الميدانية . باعتماد المعاينة أسلوبا لجمع المعلومات الكمية والكيفية منها ، عن طريق الاستطلاع الميداني بدون استمارة تم فيه الاعتماد على الملاحظة ، وفي مرحلة ثانية دراسة ميدانية عن طريق الاستمارة.

## -3- النتائج :

**-1 : التساقطات المطرية البيسنوية بسهل دكالة :**

**-1-1- محطة سيدي بنورومحطة الزمامرة تعرف تذبذب كبيرفي التساقطات المطرية البيسنوية :**عرفت محطة سيدي بنور تسجيل أعلى معدل للتساقطات المطرية 488 ملمتر خلال الموسم الفلاحي 1995-1996 في حين تم تسجيل أدنى قيمة 51 ملمتر ، وقد سجلت محطة ازمامرة أعلى معدل للتساقطات المطرية 653.3 ملمتر خلال الموسم الفلاحي 1665-1669 في حين سجلت أدنى قيمة 101.2 ملمتر خلال الموسم الفلاحي 1994-1995. يتضح أن التساقطات المطرية البيسنوية تتميز بسوء توزيعها حيث تتردد كمياتها بشكل متفاوت حيث تتردد الكميات الصغرى بنسب مرتفعة عكس الكبرى نجد أن كمية التساقطات أقل من 200 و 400 تسجل 83.3% في حين سجلت فئة بين 400 و أقل من 500 ملمتر 16.66 % .بمحطة سيدي بنور .

**-1- التساقطات المطرية البيسنوية بمحطة سيدي بنوروخميس الزمامرة**

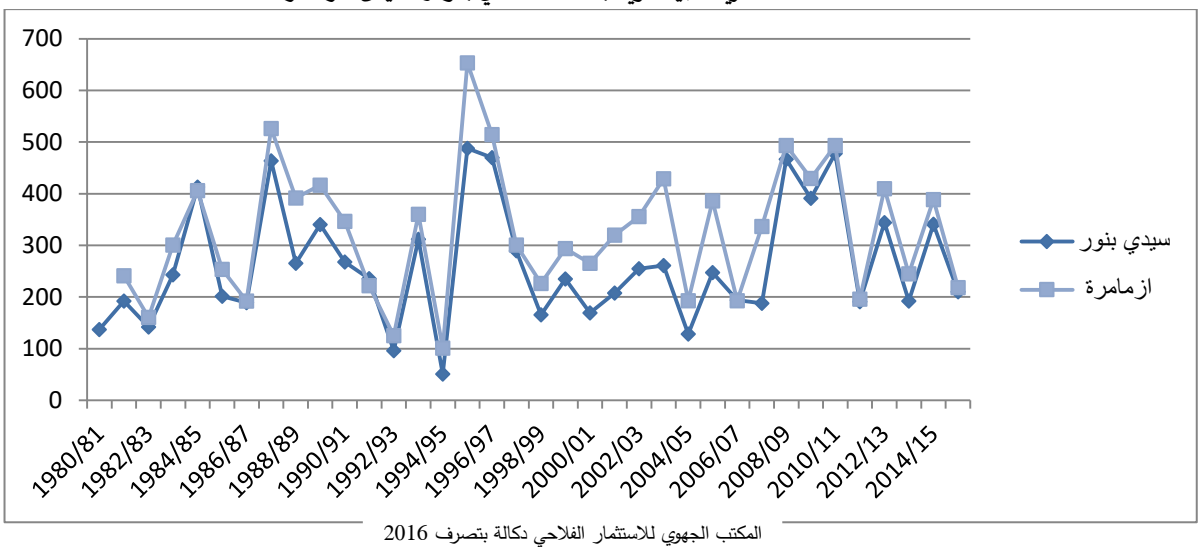


المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة بتصرف 2016

في حين سجلت محطة اخميس ازمامرة تردد الكميات الصغرى للتساقطات المطرية أقل من 200 و 400 ملمتر 69.43 % وسجلت الفئة بين 400 وأقل من 500 ملمتر 19.44 % وفئة أكثر من 500 ملمتر 10 %.

من خلال التوزيع البيسنوي للتساقطات يتبين عدم انتظام التساقطات المطرية في الزمان ، حيث يظهر اختلاف في كمية التساقطات التي سجلتها محطة سيدي بنور مركز 331 ، ومحطة اخميس ازمامرة، وبالتالي فقد عرفت محطة سيدي بنور ومحطة اخميس ازمامرة نسبا متفاوتة حيث ترددت التساقطات المطرية لفئة أقل من 200 ملمتر 7 سنوات اخميس ازمامرة في حين ترددت هذه الفئة بمحطة سيدي بنور 13 سنة حسب المدرج التكراري لتوزيع التساقطات المطرية.

**-1-2-التغيرية المطرية الفصلية :** يمثل فصل الشتاء من أهم الفصول التي تتلقى تساقطات مطرية مهمة حيث يتضح ذلك جليا من خلال محطة اخميس ازمامرة ومحطة سيدي بنور حيث نجد أن التساقطات المطرية تتوزع وفق تلاث فصول –

فصل الشتاء ، فصل الخريف ، فصل الربيع ثم فصل الصيف الذي تنعدم فيه التساقطات المطرية إلا في بعض الحالات (المبيان2-3).

**-2-النظام الفصلي بمحطة خميس الزمامرة**

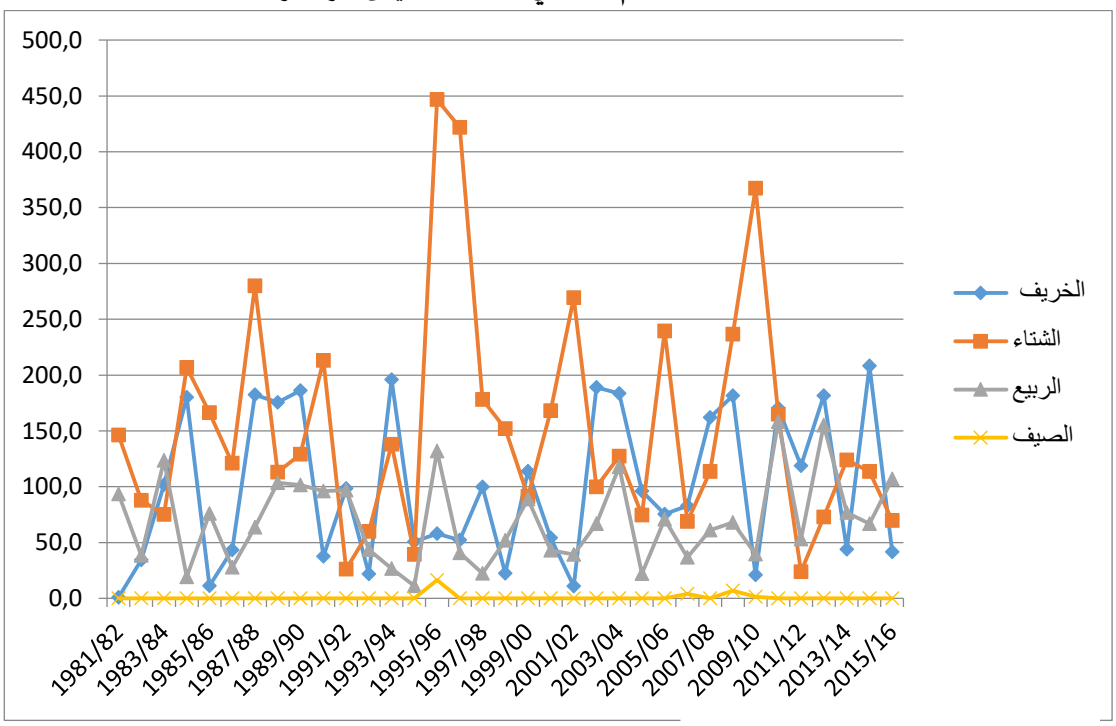


المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة بتصرف 2016

**– 3– النظام الفصلي للتساقطات بمحطة سيدي بنور–331–**

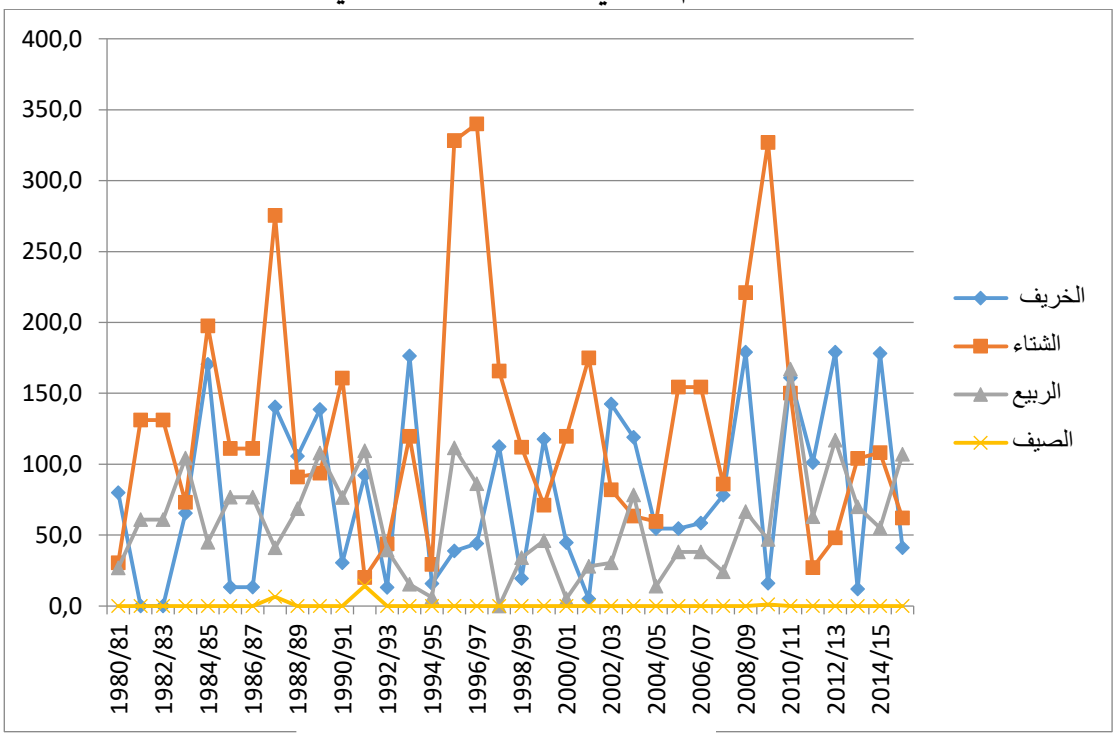


المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة بتصرف 2016

تزداد أهمية التساقطات المطرية بالمنطقة من فصل الخريف إلى فصل الشتاء ثم تتراجع في فصل الربيع لتعود إلى قيمها الدنيا في فصل الصيف . والملاحظ من خلال المحطات المناخية المعتمدة أن التساقطات الفصلية تعرف تغيرية مطرية وعدم استقرار مع اختلاف متوسط التساقطات المطرية ، ويمثل الصيف الفصل الاكثر جفاف.

**-1-3-دراسة التغيرية المطرية بسهل دكالة :**

إن دراسة التغيرية المطرية تجد تبريرها في الأسباب التالية :توضح مدى التغيرية المطرية في المنطقة المدروسة ، زمانيا ومجاليا . وتسمح بمقارنة التغيرية المطرية مع تغيرية باقي العناصر المناخية المكونة للحصيلة المائية.تعتبر التساقطات أحد أسباب الفيضانات والجفاف. ويعني فهم التغيرية المطرية التوفر على فكرة حول تردد الجفاف أو الفيضانات...تعني دراسة التغيرية السنوية لنظام التساقطات الفصلية التساؤل حول تمثيلية الانظمة المتوسطة وحول ما إذا كانت الفوارق بين هذه الأخيرة والأنظمة السنوية غير معبرة . من بين طرق دراسة التغيرية المطرية نجد : طريقة الفرق بالنسبة إلى المتوسط ، طريقة الحاصل بالنسبة للمتوسط وطريقة المدى المطري . تقتضي طريقة الفرق بالنسبة إلى المتوسط الحصول على الفرق بين مجموع تساقطات كل سنة والمتوسط السنوي ، بينما تقتضي طريقة الحاصل بالنسبة إلى المتوسط ضبط الحاصل بين مجموع تساقطات كل سنة والمتوسط السنوي . ويمكن ضرب هذا الحاصل في مائة (100)[1]( السلوي :**2006**-ص124).

تتميز التساقطات المطرية بتغيرية بيسنوية مابين الموسم الفلاحي (1980- 1981) و (2015-2016) ، حيث تم تسجيل أدنى قيمة خلال الموسم الفلاحي (1994-1995) ب 214- ملم عن المعدل بسيدي بنور و 224- عن المعدل بالزمامرة ، فيما شهد الموسم الفلاحي (1995-1996) أقصى كمية من التساقطات بكل من سيدي بنور ب 213 ملم عن المعدل و الزمامرة ب ب 328 ملم.

**1-4-التغيرية البيسنوية للتساقطات المطرية (ملم)**

يتراوح مجموع التساقطات المطرية مقارنة بالمتوسط بين 0 و 200 % و يمكن اعتبار الموسم الفلاحي (1995-1996) و الموسم الفلاحي (1996-1997) و (2010-2011) من أهم المواسم الفلاحية حيث وصلت التساقطات المطرية متوسطاتها 200%. كما يبين ذلك الشكل البياني .

- 4- التغيرية المطرية حسب المحطات المناخية سيدي بنوروالزمامرة

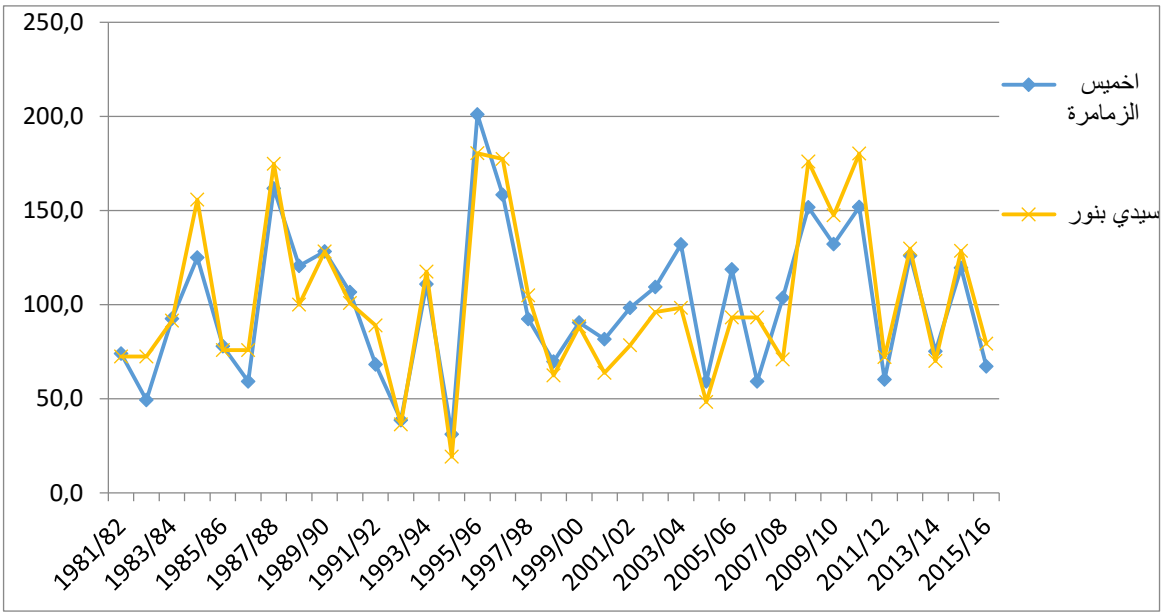


**-2- الأنشطة الفلاحية والتشغيل بالأرياف :**

يتأثر التشغيل الفلاحي سلبا وإيجابا خلال المواسم الفلاحية الجافة والرطبة هذه الأخيرة تسمح بتوفير مناصب شغل مهمة في حين أن المواسم الفلاحية الجافة والموسومة بقلة التساقطات المطرية، تساهم في فقدان عدد مهم من فرص الشغل والعمل المستأجر في الوسط الريفي.

تعرف المواسم الفلاحية التي تتميز على المستوى المناخي بظاهرة الجفاف والتي تشمل التراب الوطني مما ينتج عنه نقص في فرص الشغل وفي عدد أيام العمل في الوسط القروي مما يجعلنا أمام إشكالية علاقة الإنسان بالمجال باعتبار هذا الأخير هو بيئة بمكونيها الطبيعي والبشري، في حين يقا المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة بتصرف 2016 ع التغيرية المطرية.

وبالتالي نتساءل أولا عن طبيعة أنظمة التشغيل بالمجال الريفي خصوصا بالقطاع الفلاحي .

ثانيا ما هي الأنشطة الفلاحية البديلة أمام حدة التغيرية المطرية من أجل توفير فرص الشغل والرفع من عدد أيام العمل في المجال الريفي ؟

**-2-1-الأنشطة الفلاحية والتشغيل بالمجالات الفلاحية البورية والمسقية بالمغرب :**

تعد الأنشطة الفلاحية أحد أهم الركائز الأساسية للمجالات الريفية بصفة عامة والمجالات الفلاحية بصفة خاصة، حيث نجد الأنشطة المرتبطة بالزراعة وبتربية الماشية، تختلف باختلاف المجالات الفلاحية حسب خصوصية الوحدات الطبيعية.

تساهم المجالات المسقية في تحسين دخل الفلاحين، بحيث يتضاعف بنسبة 5 إلى 9 مرات عن ربح المجالات البورية وتعرف توفير ما يناهز 120 مليون فرصة عمل سنويا على صعيد المناطق السقوية، كما لها دور أساسي يتمثل في تقليص الهجرة القروية، بحيث أصبحت المجالات المسقية وجهة للمهاجرين خصوصا العمال الفلاحيين، ونتج عن ذلك فك العزلة عن مجموعة من المناطق بالمجالات المسقية ...واستفادة الساكنة من الخدمات الأساسية بفضل خلق تجمعات سكانية تتوفر على تجهيزات تحتية واجتماعية واقتصادية (الماء الصالح للشرب ، الكهرباء..)(الشاتي: 2006.)

تتميز المجالات الفلاحية المسقية بسيادة أساليب وتقنيات حديثة في الانتاج وتتم في استغلاليات كبرى ومتوسطة وتتميز بمردوديتها المرتفعة نظرا لأن إنتاجها موجه نحو الأسواق. تساهم المجالات الفلاحية المسقية في خلق دينامية سوسيواقتصادية عن طريق توفير فرص عمل بالرغم من تأثرها بصفة غير مباشرة بالتغيرية المناخية، التي لها أثر سلبي على الموارد المائية المخصصة للري عبر وكالات الأحواض المائية .

على صعيد اخر توفر المجالات المسقية فرص شغل مهمة ، نظرا للتنوع في الانتاج الفلاحي مما يساهم في توفير أيام شغل إضافية، كما يتم بالمجالات الفلاحية المسقية أيضا مزاولة زراعات ذات قيمة مضافة، وهو مايستدعي يدا عاملة متخصصة (زراعة الشمندر السكري ، قصب السكر ، القطن ، الخضر ، الفواكه ، الحوامض ...) تربية الماشية ( اصطبلات عصرية ، اصطبلات تقليدية ، الرعي الطليق ...) سواء اليد العاملة المأجورة أو العائلية أو هما معا بحسب طبيعة النشاط الفلاحي .

أما المجالات البورية فإنها تتضرر نتيجة عدم انتظام التساقطات المطرية في الزمان والمكان. تنقسم المجالات الفلاحية البورية بالمغرب إلى مجالات بورية ذات مؤهلات عالية (27%) مجالات بورية ذات مؤهلات متوسطة (27%) يليه مجالات بورية ذات مؤهلات ضعيفة (22%) ثم مناطق جبلية (06%) وباقي المناطق تمثل (18%).(الأسعد:2002)

تمثل المجالات الفلاحية البورية 7.2 مليون هكتار من المساحة الإجمالية للمغرب وتعتمد على التساقطات المطرية (فلاحة مطرية) تتميز بعدم انتظامها في الزمان والمكان، فالمجالات الفلاحية البورية تتأثر بطريقة مباشرة عكس المجالات الفلاحية المسقية التي تتأثر بصفة غير مباشرة من خلال تراجع الموارد المائية المخصصة للري .

إن إشكالية التغيرية المناخية والظواهر المناخية القصوى المتمثلة في الجفاف لها علاقة بالتشغيل والتحكم في عدد أيام الشغل المرتبطة بالنشاط الفلاحي (الزراعة وتربية الماشية) حيث أن المواسم الفلاحية الجافة والشبه جافة، تؤثر بصفة

مباشرة على عدد أيام الشغل وعلى عدد فرص العمل المرتبطة بالأنشطة الفلاحية خصوصا النشاط الزراعي المعتمد على زراعة الحبوب باعتبارها تشكل مابين 80 إلى 90 % من المنتوجات الزراعية المعتمدة متبوعة بزراعة القطاني والأشجار المثمرة ...فهذه الزراعات تساهم في توفير فرص عمل خلال عمليات الحرث، الزرع والحصاد ، الجني ...إذا ما قورنت مع المجالات المسقية .

**-2-2-الأنشطة الفلاحية والتشغيل بالمجالات الفلاحية البورية والمسقية بسهل دكالة:** يعد سهل دكالة من أهم السهول الأطلنتية التي لها دور كبير من خلال المساهمة في مجموعة من المنتوجات الفلاحية على المستوى الوطني(الشمندر السكري 40% ، الحبوب 07 % ، القطاني 10 % ، الخضر 08 % ، الحليب 22 % ، اللحوم الحمراء 06 % ، اللحوم البيضاء 06 % ) و تبلغ المساحة الإجمالية للمجال الفلاحي المسقي بسهل دكالة 96000 هكتار الري الكبير ، 8300 هكتار من الري المتوسط والصغير ، 3910 ري موضعي خاص وينقسم المجال الفلاحي المسقي بسهل دكالة إلى إقليمين سيدي بنور 312000 هكتار وإقليم الجديدة 204000 هكتار. يوفر المجال الفلاحي المسقي لسهل دكالة10 مليون يوم عمل في السنة(المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة2016)، فالتشغيل والأنشطة الفلاحية بالمجال المسقي لسهل دكالة يتميز بتنوع الزراعات المزاولة ، بحيث يزاول فلاحو المجال زراعات متنوعة أهمها :

- الزراعات الصناعية : الشمندر السكري (المنطقة المسقية بالري الكبير) على مساحة 20186هكتار .
- زراعة الحبوب : الشعير ، القمح بنوعيه على مساحة تقارب 50718 هكتار ،
- الزراعات العلفية : الفصة ، البرسيم ، الشعير العلفي ، الذرة العلفية على مساحة 15886 هكتار
- الخضروات : تمارس على مساحة تقارب 3300 هكتار .
- القطاني : تزاول علة مساحة 1656 هكتار .
- الكروم (العنب) : يزاول على مساحة 417 هكتار ، الذرة 1087 هكتار حسب سنة 2011 .وهذا ما يبينه لنا الشكل البياني التالي :

**-5-أهم المنتوجات المعتمدة بالمنطقة المسقية بالري الكبير**

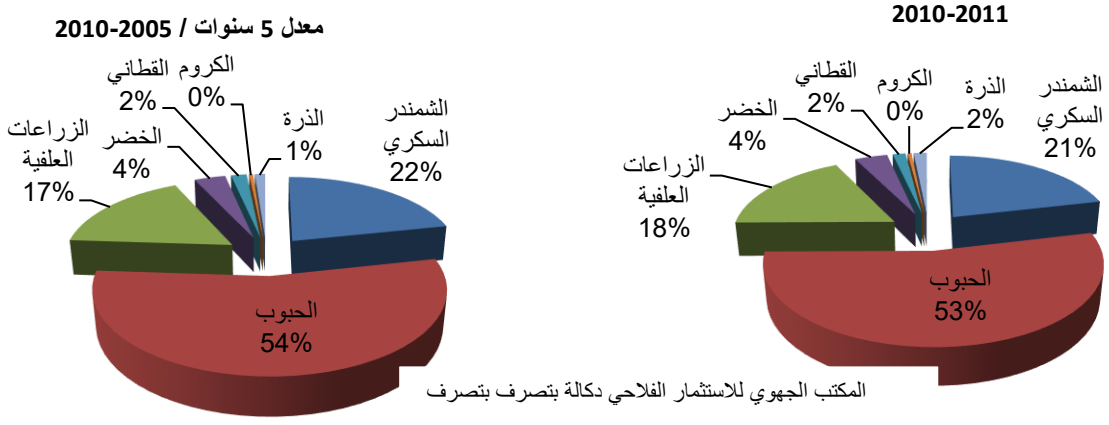


المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة بتصرف بتصرف

يتضمن مجال دكالة بغض النظر عن مجال السهل المسقي، مجال الولجة الذي يقوم أساسا على مياه الابار الفردية،

وتمتد على شكل شريط طولي ساحلي يقدر مساحته ب 50 كيلومتر في اتجاه جنوب الجديدة، علما أن عدد الابار المخصصة للري يصل إلى 850 بئرا وبعمق يتراوح مابين 8 إلى 50 مترا . ويوضح الجدول أسفله أهم المنتوجات المزاولة بمجال الولجة .

| 1-مساحة زراعة الخضر بالمنطقة الساحلية | | |
|---|---|---|
| **الدائرة السقوية** | المساحة(هكتار) | الإنتاج (طن) |
| **البواكر** | | |
| **الطماطم المغطات** | 55 | 4600 |
| **طماطم الحقل** | 230 | 10000 |
| **الخضروات الموسمية** | 1670 | 44100 |

المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة بتصرف بتصرف

وتختلف المجالات الفلاحية المسقية بسهل دكالة باختلاف أنظمة الري المعتمدة (نظام الري السطحي ، نظام الري بالرش ، نظام الري الموضعي ...).بالإضافة إلى تنوع الأنظمة العقارية أهمها أراضي الإصلاح الزراعي بالمجال المسقي لسهل دكالة حيث تبلغ عدد التعاونيات الإصلاح الزراعي بالمجالات المسقية لسهل دكالة 27 تعاونية على مساحة 4500 هكتار تضم 632 منخرط ،كما يتوفر سهل دكالة على مجموعة من التنظيمات السوسيومهنية والتعاونيات التي لها دورا في التشغيل الفلاحي أهمها تعاونيات جمع وتسويق الحليب التي يبلغ عددها 231 تعاونية تضم 12962 منخرط ، وبالتالي فإن التعاونيات الفلاحية الخاصة بجمع وتسويق الحليب لها دور أساسي ومهم في توفير فرص الشغل بالمجالات الريفية وخصوصا بسهل دكالة إنطلاقا من الحيازة الفلاحية، حيث تنخرط كل مكونات العائلة الفلاحية عن طريق عمليات توفير المزروعات العلفية ، الرعي الطليق وتربية وتسمين الأبقار الحلوب ، ثم نقل المنتوج (الحليب ) للتعاونية الفلاحية الخاصة بالحليب . أما المساحة الإجمالية للمجالات الفلاحية البورية بسهل دكالة فتبلغ 323757 هكتارا، ويزاول الفلاحون فيها مجموعة من المنتوجات الزراعية .

تتوفر المجالات البورية على مجموعة من التنظيمات السوسيومهنية، منها تعاونيات الإصلاح الزراعي التي يبلغ عددها 27 تعاونية على مساحة 6950 هكتار تضم 419 منخرط ومجموعة من التنظيمات والتعاونيات الفلاحية التي توفر فرصا للشغل بالمجال.

إن سهل دكالة بمجاليه المسقي والبوري يعرف تنوعا على مستوى الأنشطة الفلاحية بين النشاط الزراعي وتربية الماشية من خلال تعدد التعاونيات الفلاحية ( انظر الجدول 3 التعاونيات الفلاحية بسهل دكالة ) وخاصة تعاونيات جمع وتسويق الحليب التي لها دورا أساسيا في التنمية السوسيواقتصادية للفلاح بالمجال .

-3-التعاونيات الفلاحية بسهل دكالة

| نوع التعاونيات | العدد | عدد المنخرطين |
|---|---|---|
| الإصلاح الزراعي | 53 | 1051 |
| الحليب | 251 | 12962 |
| الخضروات | 30 | 188 |
| فلاحية متعددة التخصصات | 6 | 181 |
| التموين | 2 | 19 |
| التعاونية الفلاحية المغربية لدكالة | 1 | 149 |
| التسمين | 5 | 83 |
| الكروم | 2 | 150 |
| تربية النحل | 8 | 81 |
| تربية الدواجن | 2 | 19 |
| تربية الماعز | 7 | 121 |
| تربية الأغنام | 2 | 20 |
| تربية الحلزون | 1 | 7 |
| تربية الأرانب | 3 | 42 |

المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة بتصرف 2016 بتصرف

**3–بنية الحيازات الفلاحية بالوحدات الترابية والتشغيل الفلاحي:**

**-3-1- توزيع شكل نظام الاستغلال بالوحدات الترابية :**

تعرف الوحدات الترابية سيادة الاستغلال المباشر بالحيازات الفلاحية في حين يعرف الاستغلال غير المباشر تنوعا في أنظمته: الكراء ، النصف ، بالخبزة ... غير أنها تبقى نسبا متفاوتة. تعد جماعة بني هلال السقوية من بين الجماعات التي تعرف تركزا للاستغلال المباشر للحيازة الفلاحية بنسبة بلغت 93.26 % ويليه الاستغلال غير المباشر ، وخصوصا الكراء بنسبة 3.84% و 1.92 % بالنصف ثم 0.96 % بالخبزة .بناءا على البحث الميداني الذي قمنا به سنة 2016 ، وهذا مايبينه لنا الشكل البياني التالي :

**6-توزيع شكل نظام الاستغلال بالوحدات المجالية**

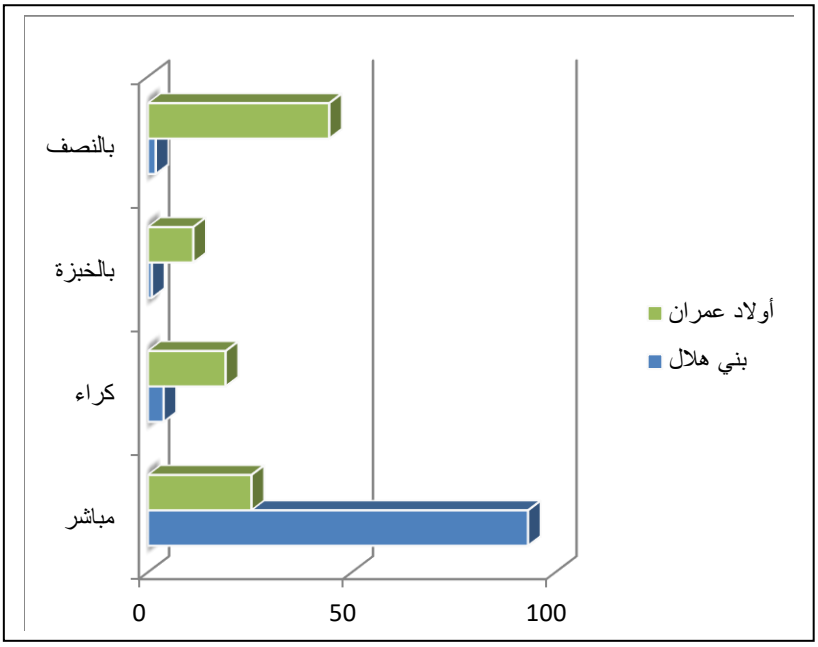


المصدر : بحث ميداني 2016

غير أن ما يلاحظ بأولاد عمران البورية، هيمنة الاستغلال الغير المباشر حيث أن جل أصحاب الحيازات بالمجال يمتلكون حيازات فلاحية صغرى ومتوسطة ، وفي هذا الاطار غالبا ما يلجأ الفلاح إلى كراء الارض ، بحيث أن الأرض المكترات تمثل 19.04 % بجماعة أولاد عمران ويمثل الاستغلال غير مباشر 11.12 % ويمكن تفسير ذلك أن أرباب الحيازات الفلاحية بالمنطقة يعتمدون على أنشطة غير فلاحية (أشغال البناء ، التجارة...). حسب نتائج البحث الميداني 2016 .

**-2-3-المهنة الرئيسية لأصحاب الحيازات الفلاحية:**

تعد المهنة الرئيسية لأصحاب الحيازات الفلاحية مؤشر أساسي لمعرفة طبيعة الأنشطة الفلاحية والأنشطة غير الفلاحية التي يعتمدها الفلاحون بالوحدات المجالية (بني هلال ، اولاد عمران ) حيث تتركز نسبة 80.76 % (مهنة رئيسية فلاح) تليها 60.73 % بجماعة بني هلال .

كما تعرف جماعة أولاد عمران البورية تركز نسبة 63.49 % فيما يخص مهنة فلاح تليها مهنة أشغال البناء بنسبة 15.87 % و 9.52 % التجارة ، 6.34 % عامل مياوم ، 1.58 % مستخدم ، بائع مواشي ، متقاعد .(كما يوضح الشكل 7).

-7- المهنة الرئيسية لأصحاب الحيازات الفلاحية

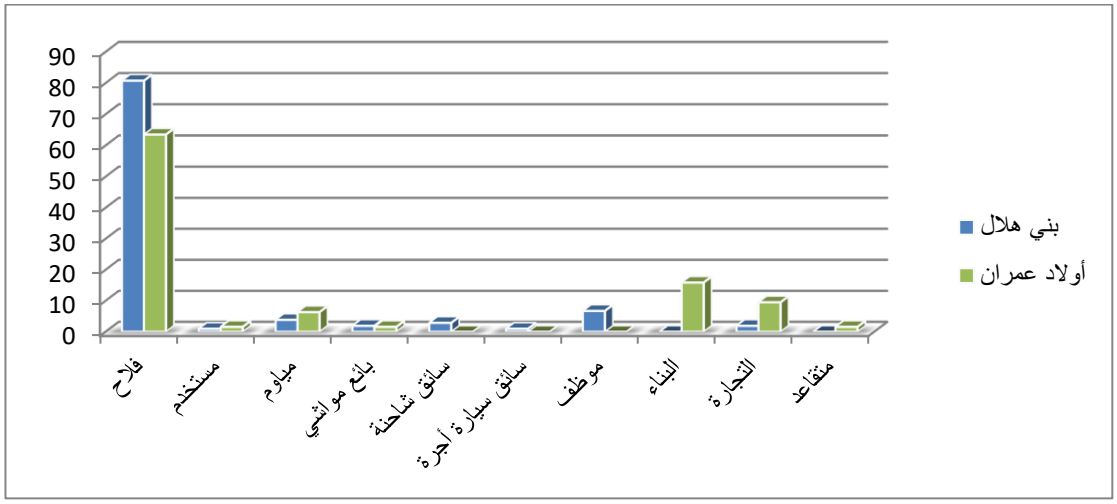


المصدر : بحث ميداني 2016

إن جماعة بني هلال تعرف تركزا كبيرا بنسبة 80.76% لمهنة فلاح تليها 3.84 % مياوم ، 6.73 % موظف في حين أن باقي المهن الأخرى تبقى منعدمة .

من خلال البحث الميداني يتضح أن المهنة الرئيسية لأصحاب الحيازات الفلاحية ترتبط بالفلاحة بنسبة تتراوح مابين 80.5% بجماعة بني هلال و 63.45 % بجماعة أولاد عمران .

**-3-3-الحيازات الفلاحية واليد العاملة :**

**-أ- اليد العاملة العائلية :** تعد اليد العاملة أداة أساسية للحيازات الفلاحية ، وتنقسم إلى يد عاملة عائلية وأخرى مأجورة ، يختلف تركزها من جماعة لأخرى وهذا ما يتضح من خلال المبيان التالي :

**-8- اليد العاملة العائلية المعتمدة بالحيازات الفلاحية**

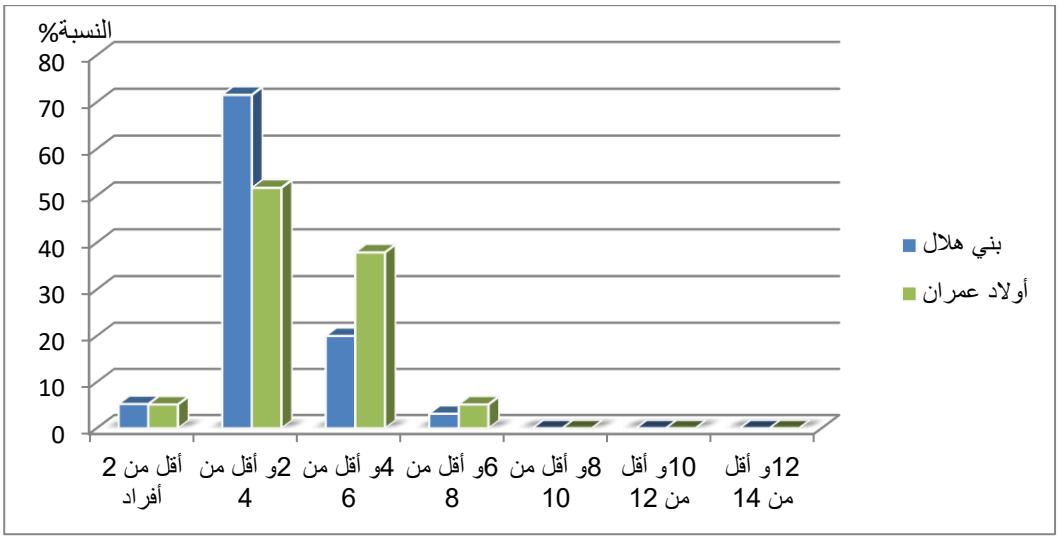


المصدر : بحث ميداني 2016

في حين يلاحظ أن بأولاد عمران نجد اعتماد أصحاب الحيازات الفلاحية على اليد العاملة العائلية (2 وأقل من 4 أفراد) بنسبة 51.72% تليها 37.93 % من أصحاب الحيازات على( 4و أقل من 6 أفراد) ثم 5.17% يعتمدون على أقل من 2 أفراد 5.17% يعتمدون على (6 وأقل 8 أفراد) . أنظر المبيان.

من خلال البحث الميداني الذي قمنا به ، يتبين أن أصحاب الحيازات الفلاحية بالجماعات الترابية بالسهل يعتمدون بالأساس على يد عائلية تختلف نسبها حسب عدد الأفراد .

**-ب- اليد العاملة المأجورة :**

تعرف الحيازات الفلاحية الكبرى والمتوسطة مجموعة من الأشغال تتطلب يدا عاملة وافرة في هذا الإطار أكد 67.24 % من أصحاب الحيازات الفلاحية بجماعة بني هلال اعتمادهم على اليد العاملة المأجورة (5 وأقل من 10 أفراد) تليها 18.96 % من الحيازات يعتمدون على (10 وأقل من 15 فردا ) وأكد 8,92 % من فلاحي المنطقة وأرباب الحيازات اعتمادهم بالإضافة إلى اليد العالمة العائلية على (أقل من 5 أفراد) في حين أوضح 5.17 % من الفلاحين أنهم يعتمدون على (15 وأقل من 20 فردا) بالحيازات الفلاحية الكبرى. وهذا يتضح من خلال الشكل البياني التالي :

**-9- اليد العاملة المأجورة المعتمدة بالحيازات الفلاحية**

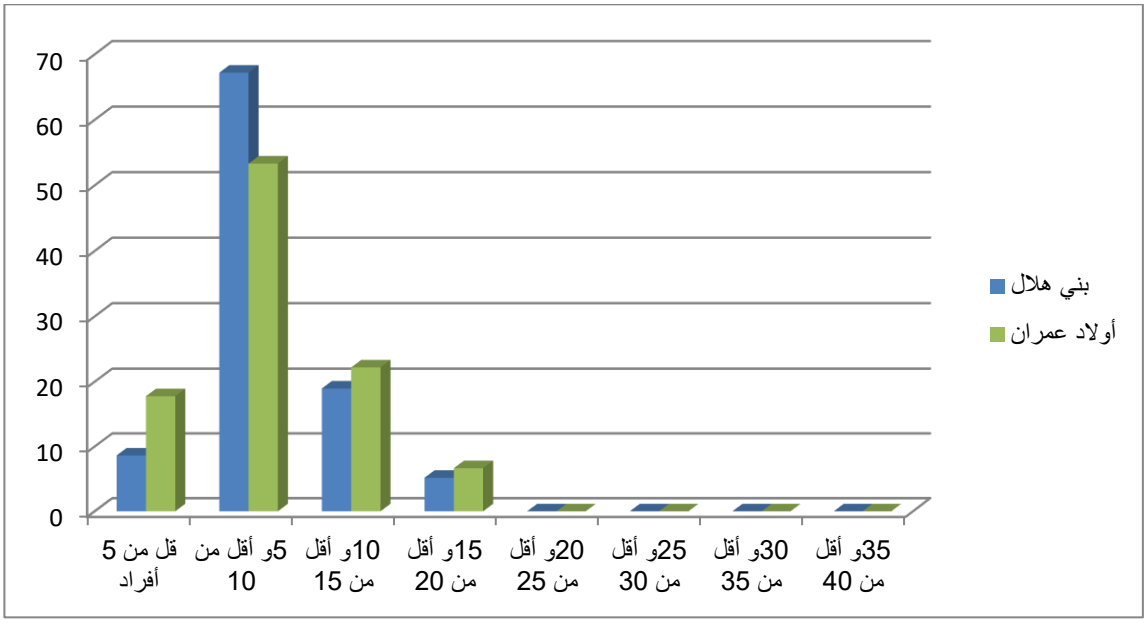


المصدر : بحث ميداني 2016

من جهة أخرى صرح فلاحو وأصحاب الحيازات الفلاحية بجماعة أولاد عمران البورية اعتمادهم على اليد العاملة المأجورة حيث أكد 53.33% منهم أنهم يعتمدون على( 5 وأقل من 10 أفراد) في حين عبر 22.22 % اعتمادهم على (10 وأقل من 15

فرد) . إن اليد العاملة المأجورة لها دور أساسي ومهم في تنمية الحيازات الفلاحية من خلال عمليات الحرث ، الزرع ، القلع (قلع الشمندر السكري ) والحصاد وفي الرفع من مردودية العمل الفلاحي بشكل عام .

**-3-4-أهم نتائج الدراسة:**

تتمثل أهم نتائج الدراسة في الاثار السلبية غير المباشرة للتغيرية المطرية للحوض المائي على المجال الفلاحي السقوي من خلال تراجع كمية الموارد المائية المخصصة للري، واثار سلبية مباشرة بالمجال الفلاحي البوري للسهل من خلال عدم انتظام التساقطات المطرية في الزمان والمكان.

إن تنوع الأنشطة الفلاحية عامل أساسي للتكيف والتأقلم مع التغيرية المطرية، التي يعرفها مجال الدراسة والمجالات الريفية بصفة عامة، من خلال الدور الرئيسي الذي تلعبه بالمجالات الفلاحية المسقية والبورية في خلق دينامية سوسيواقتصادية، وتوفير فرص عمل مهمة ومتنوعة، نظرا للتنوع في الإنتاج. كما تتمثل أهمية المجال الفلاحي البوري ذو المؤهلات العالية والمتوسطة في توفير فرص عمل بالنسبة للساكنة المحلية للأرياف المغربية.

يتميز سهل دكالة، بأهمية سوسيواقتصادية من خلال مساهمته في الإنتاج الوطني لمجموعة من المنتوجات الفلاحية، من خلال توفره على حيازات فلاحية كبرى، متوسطة وصغرى. ودورها في خلق دينامية، عن طريق يد عاملة عائلية ومأجورة تساهم في التنمية الفلاحية.

**-4- مناقشة نتائج الدراسة :**

يعرف سهل دكالة تغيرية مطرية، لها أثر سلبي بالمجالين البوري والسقوي. فمن خلال الدراسة التطبيقية لمجموعة محطات مناخية، يمثل فصل الشتاء من أهم الفصول التي تتلقى تساقطات مطرية مهمة، حيث تزداد أهمية التساقطات المطرية من فصل الخريف إلى فصل الشتاء ثم تتراجع في فصل الربيع، لتعود إلى قيمها الدنيا في فصل الصيف.

تنعكس الاثار السلبية للتغيرية المطرية على المجال الفلاحي، خصوصا التشغيل الفلاحي بالمجال الفلاحي البوري ، تتنوع الأنشطة الفلاحية بالمجالات البورية والسقوية، فهذه الأخيرة تتطلب يدا عاملة مؤهلة ومتخصصة، في حين تعرف المجالات البورية زراعات معيشية متنوعة.فالمجالين البوري والسقوي، وجهين لعملة واحدة(سهل دكالة)، هذا الأخير يساهم بنسب مهمة لمجموعة من المنتجات الفلاحية(النباتية والحيوانية).

تتمثل الأنشطة الفلاحية المساهمة في خلق فرص للشغل بالمجال الفلاحي لسهل دكالة، في الزراعة وتربية الماشية والدواجن، من خلال مجموعة من التنظيمات السوسيومهنية (تعاونيات فلاحية، جمعيات فلاحية، وحدات صناعية...) بالإضافة إلى العمل الرئيسي المتمثل في الأنشطة المزاولة بالحيازة الفلاحية، حيث تنخرط كل مكونات الحيازة في العمل الفلاحي.

تتنوع الأشغال الفلاحية من حرث وبذر وزرع وحصاد ونقل، بالمجالين البوري والمسقي ، وتساهم بذلك في توفير فرص عمل إما عائلية أو مأجورة ، يتميز المجال المسقي بتنوع الانشطة الفلاحية المزاولة بالإضافة إلى اعتماد الفلاحين على مجموعة من المنتوجات الزراعية ذات القيمة المضافة ، يتأثر المجال المسقي بطريقة غير مباشرة من خلال تراجع الموارد المائية المخصصة للري نتيجة التغيرية المطرية التي يعرفها حوض أم الربيع خلال المواسم الفلاحية الأخيرة ، وبالتالي تقلص مجال العمل بالحيازة الفلاحية .

كما أن المجال البوري لسهل دكالة يتأثر بطريقة مباشرة من خلال التغيرية المطرية البيسنوية والفصلية ، هاته الأخيرة لها ارتباط مباشر بالنشاط الزراعي حيث يساهم توزيع التساقطات المطرية بشكل مناسب ، خلال الفصول في توفير فرص عمل بينما عدم انتظام التساقطات وإشكالية التغيرية المطرية يكون لها دور سلبي من خلال تقلص عدد أيام العمل مع العلم أن فترة الحرث والزرع تنطلق منذ شهر شتنبر وأكتوبر . مما يدفع الفلاحين بالوحدات الترابية إلى القيام بأنشطة غير فلاحية والهجرة القروية الى المدن.

من خلال البحث الميداني الذي قمنا به عبر الملاحظة والمقابلة الميدانية بالوحدات الترابية والذي ساهم في الإجابة عن إشكالية الدراسة والتوصل إلى مجموعة من المعطيات الخاصة بالأنشطة الفلاحية والغير فلاحية المزاولة بالوحدات الترابية، حيث تساهم الانشطة الغير فلاحية في توفير فرص عمل إضافية بالنسبة للفلاح من خلال خلق دينامية سوسيواقتصادية لها دور أساسي .

وبالتالي يمكن القول أن هناك تلاؤم بين ماجاء في المقدمة والمنهجية والنتائج المتوصل إليها ، من خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بها عبر الملاحظة والمقابلة الميدانية بالوحدات المجالية التي مكنتنا من الإجابة عن السؤال الاشكالي وبلوغ الاهداف .

## مراجع باللغة العربية

الأسعد محمد(2002)اتخاذ القرار لدى الفلاحين في الأنظمة الرعي-زراعية بالبيئات شبه الجافة بالمغرب دراسة في الإيكولوجيا الثقافية، منشورات مؤسسة دكالة عبدة للثقافة والتنمية،المغرب.

باحو عبد العزيز(2002)،الجفاف المناخي بالمغرب: خصائصه وعلاقاته باليات الدورة الهوائية وأثره على زراعة الحبوب . أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافيا ، كلية الآداب والعلوم الانسانية المحمدية.

بلفقيه محمد(1988)، أوليات في الجغرافية الزراعية، الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع صومابروب، الرباط المغرب.

حسون ياسين(2021)، تنظيم المجال الفلاحي وتحدي التغيرية المطرية بالبيئات شبه الجافة "حالة سهل دكالة "، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا ، كلية الآداب والعلوم الانسانية بنمسيك ،جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء.

حسون ياسين، مدينة محمد(2019)، الشمندر السكري والتنمية السوسيواقتصادية بجهة الدارالبيضاء سطات، حالة المنطقة السقوية دكالة، أعمال المؤتمر الوطني الثالث للجغرافيين الشباب، الجهة والبيئة وإعداد التراب، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بنمسيك، جامعة الحسن الثاني-الدار البيضاء.

مدينة محمد(1996)، بعض مظاهر التكثيف الزراعي بالشاوية السفلى حالة الجماعة القروية أولاد علي إقليم ابن سليمان ، أعمال ندوة الملتقى الوطني الثاني لجغرافيي الارياف المغاربة ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ابن مسيك الدار البيضاء.

مدينة محمد(2007)، دينامية المجال الفلاحي بالشاوية السفلى دراسة في اشكالية التحول والتنمية المحلية بأحواز الدار البيضاء، أطروحة دكتوراه الدولة، الدار البيضاء.

محيي الدين محمد(2007)، التشكيل الجيومورفلوجي والدينامية البيئية لهضاب وسهول دكالة-عبدة من الرباعي الحديث إلى الوضع الحالي. أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط.

منوغرافية المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي دكالة 2016.

السلوي عبد المالك(2006) ، التساقطات والحصيلة المائية بالسهول الاطلنتية المغربية . سلسلة رسائل وأطروحات ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية المحمدية ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء.

الشاتي امحمد توفيق(2006)، الموارد المائية في المملكة المغربية المعوقات والافاق – الدورة التدريبية لتدريب المدربين حول التوعية المائية لدول إقليم المغرب العربي الرباط.

ضايض حسن(2021)، في معجم الجغرافيا الفلاحية شرح وتفسير، الطبعة الأولى، مطبعة أنفو-برانت فاس.

البرنامج العالمي للإحصاء الزراعي(2020)، المجلد الأول – البرنامج والمفاهيم والتعريفات – منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة.

المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي: تنمية العالم القروي التحديات والافاق2017.

## مراجع باللغة الفرنسية

Balaghi .R., Jlibene et M. Benaouda H(2010.) Projet d'Intégration du Changement Climatique dans la Mise en oeuvre du Plan Maroc Vert (PICCPMV) Doukkala abda.

Diouri Azzedine (2000) : Les changements climatiques et la gestion de la secheresse au Maroc travaux de l'académie du Royaume du Maroc .session d'automne–P-168 )

Guemimi Ahmed (2007) : Revue HTE N137 Juin 2007 : Aménagement hydro agricole du périmètre des Doukkala Abda Maroc Impact et indicateurs de suivi du développement de l'irrigation dans ce périmètre page 57 ; 58 Juin 2007

Guemimi Ahmed(2004) : Projet INCO-WADEMED Base de connaissances sur la gestion de la demande en eau dans les pays Méditerranéens Avril 2004Plan d'action d'économie de l'eau dans le périmètre des doukkala Séminaire sur : LA Modernisation de L'agriculture Irriguée Dans les Pays du Maghreb 19-21 Avril 2004 Rabat, Maroc Organise par L'Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II

Sghir Said(2002) : L'aménagement hydro agricole en Doukkala : Impact Sur l'organisation Socio – Economique et spatiale /Thesz de Doctorat de l'université de Metz Dixipline Géographie.

-ORMVAD -2016- Monographie de la zone d'action de l'office régionale doukkala

- ANNUAIRE STATISTIQUE (2016) – Direction Régional de casablanca-settat -Royaume du Maroc HAUT – COMMISSARIAT AU PLAN -.

-Monographie de la Province d'el Jadida 2016.

- Monographie de la Province sidi bennour 2016.

# التهيئة الصناعية بعمالة المحمدية منطقة الصناعية عين حرودة نموذجا

# "Industrial preparation in the prefecture of Muhammadiyah, Ain ".Harouda Industrial Zone, as a model

نجاة فارس ، طالبة باحثة (najat.fares02@gmail.com) مختبر دينامية المجالات : تكوين البيئية الســـاحلية التراث الطبيعي السياحة واللوجستيك

**الأستاذة جميلة سعيدي أستاذة بالتعليم العالي جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية**

**الملخص**: يرتبط توسع القطاع الصناعي في مدينة المحمدية ارتباطًا وثيقًا بالتنمية الاقتصادية للمنطقة. ويخلق هذا التوسع فرصًا اقتصادية جديدة ، ويحفز النمو ، ويساهم في تحسين مختلف جوانب الاقتصاد المحلي.

مع توسع القطاع الصناعي ، ترسخ الشركات الجديدة نفسها في المدينة ، مما يؤدي إلى خلق فرص العمل. وهذا يوفر فرص عمل للسكان المحليين ، ويقلل من البطالة ، ويحسن مستوى معيشة السكان. كما يجذب التوسع العمال المهرة والمتخصصين، مما يعزز القوى العاملة المحلية ويزيد الإنتاجية.

علاوة على ذلك ، فإن توسع القطاع الصناعي يدر إيرادات للمدينة من خلال الضرائب والرسوم التي تدفعها الشركات الصناعية. يمكن إعادة استثمار هذه الإيرادات في تطوير البنية التحتية والخدمات العامة والبرامج الاجتماعية ، وتحسين نوعية حياة السكان وجعل المدينة أكثر جاذبية للعيش والاستثمار.

**الكلمات المفاتيح** : التهيئة الصناعية ، ، التخطيط المكاني ،إدارة المساحة ، تدفق الإنتاج، البنية التحتية والخدمات، بيئة العمل والسلامة

## Summary

The expansion of the industrial sector in the city of Mohammadia is closely linked to the economic development of the region. This expansion creates new economic opportunities, stimulates growth, and contributes to improving various aspects of the local economy.

As the industrial sector expands, new businesses establish themselves in the city, leading to job creation. This provides employment opportunities for local residents, reduces unemployment, and improves the standard of living for the population. The expansion also attracts skilled and specialized workers, strengthening the local workforce and increasing productivity.

Furthermore, the expansion of the industrial sector generates revenue for the city through taxes and fees paid by industrial companies. These revenues can be reinvested in infrastructure development, public services, and social programs, enhancing the quality of life for residents and making the city more attractive for living and investing.

**تقديم :**

منذ أن حصل المغرب على الاستقلال[1] وهو يعتبر الصناعة من الركائز الأساسية التي يقوم عليها الاقتصاد الوطني ليومنا هذا، نظرا لمدى تأثيرها كنشاط اقتصادي في هيكلة المجال الحضري، ويتجلى هذا بالخصوص من خلال الحضور القوي للمصانع والتجمعات التجارية، ومرافق الخدمات عبر مختلف أرجاء المجال الحضري. فالصناعة تتميز بدورها الإيجابي المؤثر في البيئة الاقتصادية، كما تساهم في تطور المستوى المعيشي للأفراد في مختلف مجالاتها، بحيث تقدم للأفراد ما يريدون الحصول عليه من منتجات لإشباع رغباتهم كما تخفض نسبة البطالة والخروج من دائرة التخلف، والدفع بعجلة الاقتصاد إلى الأمام نظرا للموقع المتميز الذي للمجال المدروس فانه استطاع جلب العديد من الاستثمارات وذلك منذ بداية عهد الحماية على المغرب إلى يومنا هذا، حيث أنشئت العديد من المؤسسات الصناعية التي منها من تم التخطيط له وتهيئته ومنها من صهر بشكل تلقائي، فعين حرودة .

ولكونها نقطة وصل بين المحمدية والدار البيضاء ولكون اغلب أراضيها فارغة فقد ظهرت مجموعة من الوحدات الصناعية مشكلة مناطق صناعية وتارة متناثرة بشكل عشوائي ، ونجد بها أربع تجمعات صناعية مهمة )المنطقة الصناعية الجنوبية الغربية التي توجد على الحدود مع حي صناعي سيدي البر نوصي ،المنطقة الصناعية كريستال وسيدي احمد بن اشو ، ثم المنطقة الصناعية زناته التي تم افتتاحها خلال سنة 2019. أما فيما يخص الشلالات نجد منطقتين بارزتين مجمعا صناعيا، وهو المجمع الصناعي الصلب SOLB INDUSTRIEL PARCالذي يمتد على مساحة 180 هكتار المتخصص في الصناعات الحديدية واللوجستيك افتتح من طرف الملك محمد السادس سنة 2013. المنطقة شمال جنوب التي توجد بين الطريق السيار رقم 3 والطريق الوطنية رقم 9والتي تضم مؤسسات صناعية قديمة من عهد الحماية .أما فيما يخص سيدي موسى بن علي فنجد سيادة النشاط الفلاحي مع انتشار بعض المؤسسات الصناعية الصغيرة والثقيلة بالإضافة إلى وجود مجموعة من المستودعات.

**الخريطة رقم1 : توطين المجال المدروس على المستوى والجهوي، الإقليمي المحلي**

[1] Ministre de l'industrie du commerce et des nouvelles technologies

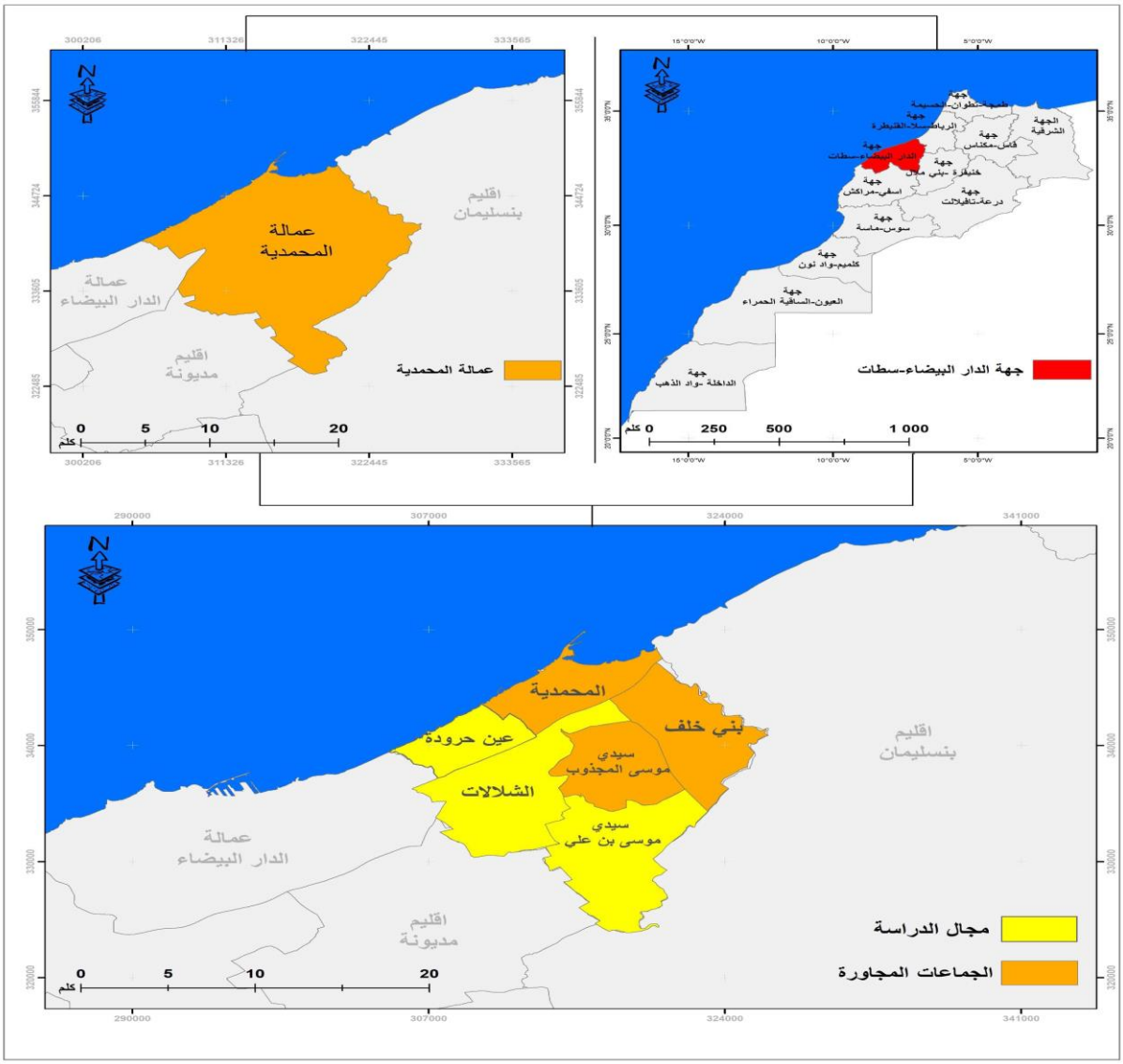


الخريطة رقم 2 : عدد السكان والكثافة السكانية بعمالة المحمدية سنة2014

ISSN 2569-734X

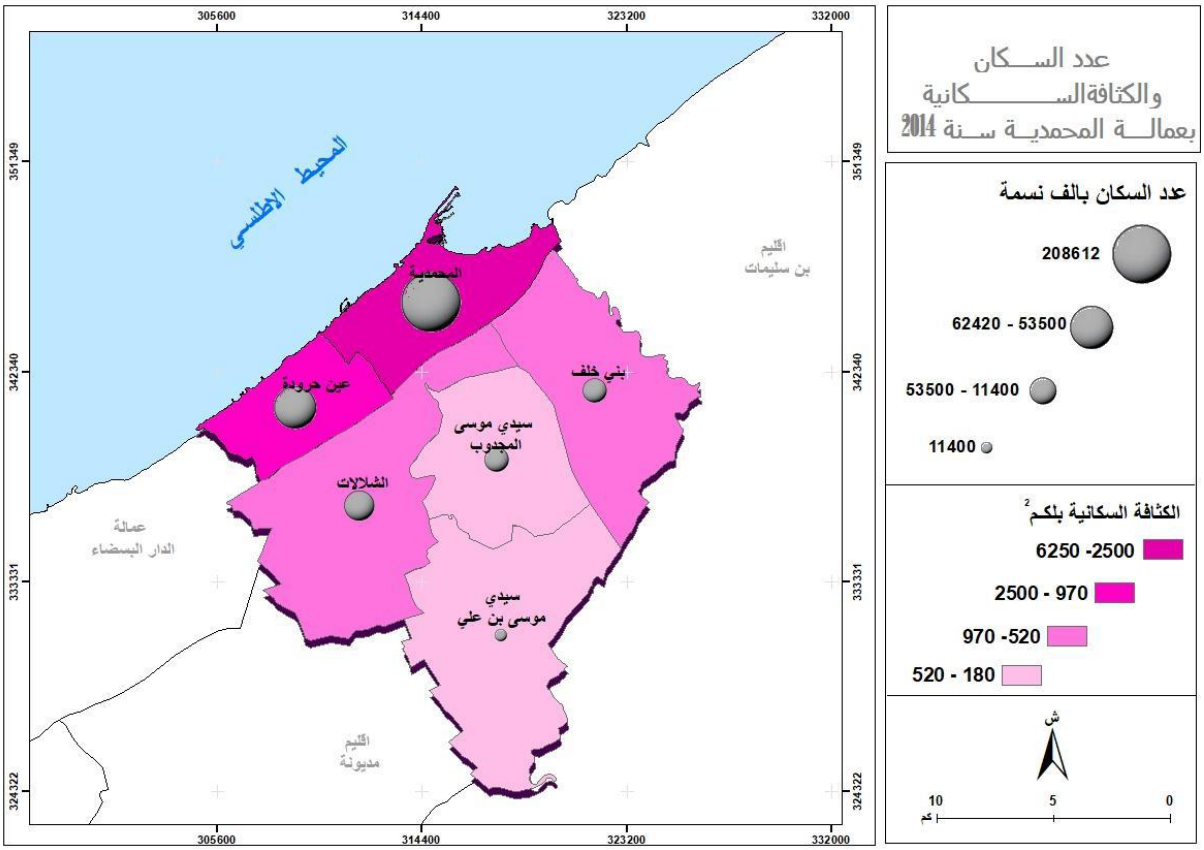


**المصدر :الإحصاء العام لسكن والسكان2014HCP**

**7 -الشبكة الطرقية**

تمتلك عمالة المحمدية شبكة طرق طولها 179 كلم .متصلة بالمقاطعات والمدن المجاورة بواسطة شبكة طرق سريعة وكثيفة تتكون من الطريق السريع الدار البيضاء-الرباط، والطريق السريع الدار البيضاء- مراكش والطريق الرئيسية .36B الوطنية 1 و 9 والجهوية 322 و - .323 شبكة السكك الحديدية تتميز عمالة المحمدية بشبكة سكك حديدية تمر عبرها حركة قطار مهمة وذلك نظراً لموقعها المركزي بين مدينتي الرباط والدار البيضاء.

-الموانئ تتميز عمالة المحمدية بتوفرها على ميناء مهم يقع على ساحل المحيط الأطلسي، غرب خط الطول 7'24وشمال خط العرض، 43' ° 33 على بعد 23 كلم من ميناء الدار البيضاء .لذا فهو قريب جدا من القطب الاقتصادي الرئيسي بالمغرب .ويعد ميناء ذا مياه عميقة دون مشاكل رسوبية( به ساحب مائي في المحطة النفطية بطول 17 متر، وساحب مائي آخر في الميناء الداخلي بطول 6,70 متر.)

**الخريطة رقم : 3 البنية التحتية لعمالة المحمدية.**

ISSN 2569-734X

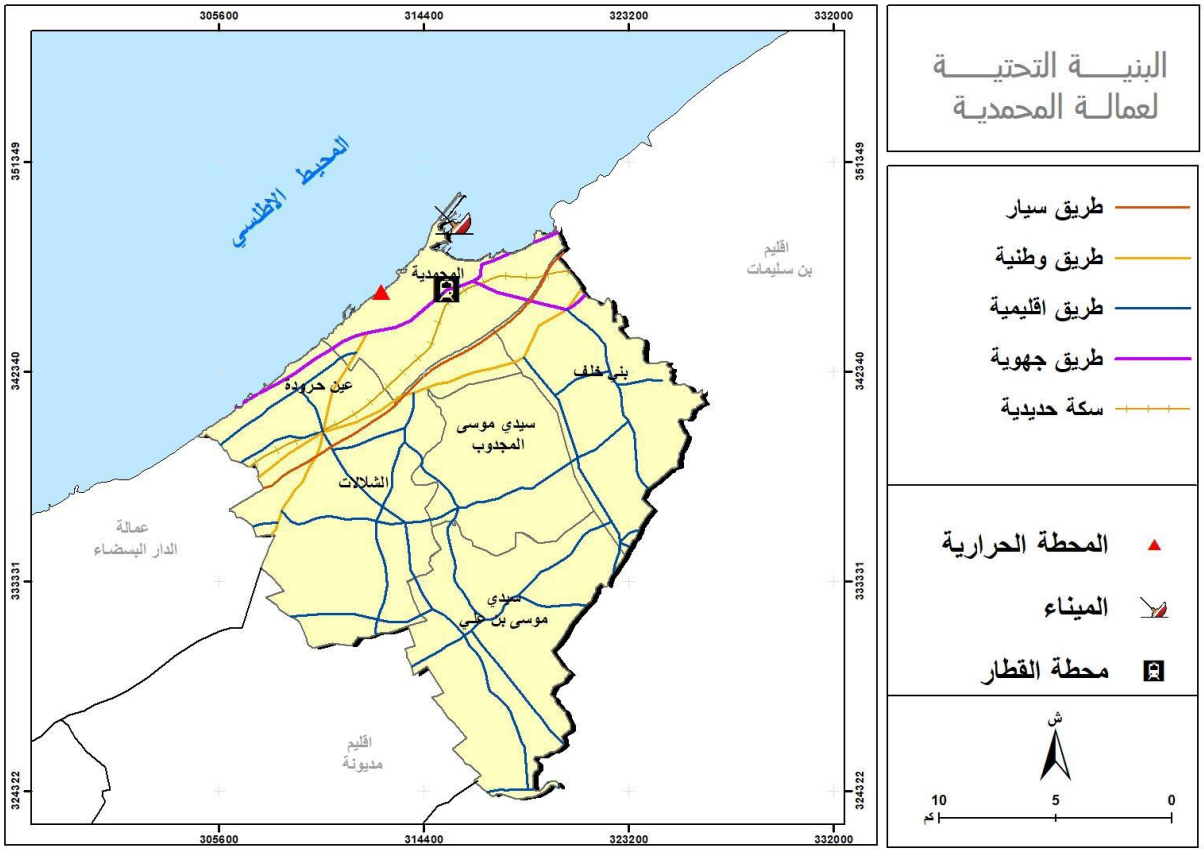


المصدر :صورة القمر الاصطناعي من البرنامجEARTHGOOG

## المجال الصناعي بجماعة عين حرودة.

**- 1السياق التاريخي لصناعة بعين حرودة:**

كان يرتكز النشاط الاقتصادي لعين حرودة في البداية على القطاع الفلاحي بالدرجة الأولى، حيث كانت المنطقة تتميز بجودة أراضيها وبكونها ضاحية فلاحيه توفر المواد الأزمة للمدن المجاورة، وفي اقل من ثلاثة عقود تحولت إلى منطقة صناعية قائمة بذاتها مسجلة نفسها في الخريطة الصناعية المغربية مستفيدة من انتمائها لعمالة المحمدية ولجهة الدار البيضاء الكبرى.

نشأت منطقة عين حرودة في منتصف الطرق بين المناطق صناعية للمحمدية والدار البيضاء، وباتت تشكل وسيطا بينهما وبدأ يزداد الاستثمار الصناعي بها مدعوما من طرف جهات معينة، ورغم تمركز الصناعات الملوثة بها واتساع خطر التلوث بحكم تواجها في مناطق الثقل السكاني والتوسع السكاني العمراني الكبير، فقد تزايد عدد المصانع بالمنطقة واتسع نطاقها إلى أن باتت تتضامن وتتوحد فيما بينها لتشكل إحياء صناعية قائمة بذاتها. ويمكن التمييز بين ثلاث مراحل لتطور الصناعي بعين حرودة:

**-المرحلة الاستعمارية** :التي تميزت الصناعة في هذه المرحلة ببنية ضعيفة تتشكل في قلت الوحدات الصناعية وصغر حجمها إذ لم يتجاوز عددها 8 وحدات صناعية.

**-مرحلة الاستقلال:**

بعد حصول المغرب على الاستقلال وجد أمامه بنية صناعية هشة مما جعله ينهج سياسة من اجل انعكاس القطاع الصناعي حيث عملت الدولة على تشجيع الاستثمارات مما ساهم في تعزيز حضور هذا القطاع بجماعة عين حرودة وارتفع بذلك عدد الوحدات الصناعية إلى 78 وحدة تشغل 12000 عامل خلال سنة 2013 ، تشغل ما يناهز 12 ألف.

**المرحلة الحالية:**

يعاني النسيج الصناعي بالمنطقة من سوء التنظيم وضعف إمكانيات الربط بمختلف شبكات النقل مما يؤثر سلبا على تنافسية المقاولات الموجودة في منطقة زناتة .من أجل النهوض بهذا القطاع، قامت شركة تهيئة زناتة بتجهيز وتطوير منطقة صناعية مساحتها 78 هكتارا وفق المعايير التقنية والبيئية الوطنية، وقد صُممت هذه المنطقة الصناعية خصيصا لاستقبال الوحدات الصناعية الموجودة بالمنطقة، وتوفير إمكانية تطويرها مع ضمان استمرارية 10.000 منصب شغل . وبدأت هذه المنطقة الصناعية العصرية تستقبل المستفيدين ابتداء من 2018 ، حيث وصل عدد الشركات المنجزة إلى ما يفوق 45 وحدة صناعية سنة. 2020

**- 2التجمعات الصناعية بجماعة عين حرودة**

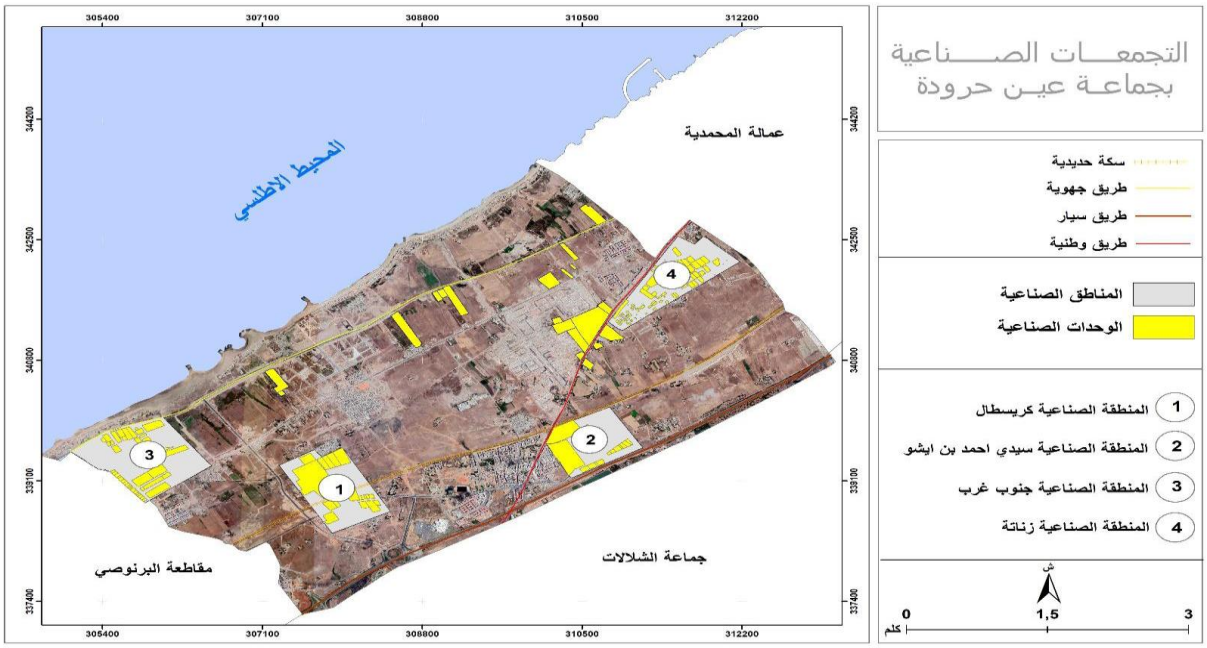


المصدر: بحث ميداني + صور القمر الصناعية 202

**الجدول رقم : 1 مراحل إنشاء الصناعات بعين حرودة**

| الفترات | عدد الوحدات | عدد العمال |
|---|---|---|
| قبل 1945 | 2 | **145** |
| **1945-1955** | 8 | **749** |
| **1956-1979** | 8 | **1385** |
| **1973-1980** | 15 | **1528** |
| 2013 | 78 | **12038** |
| 2019 | 50 | **3419** |

المصدر: جماعة عين حرودة + بحث ميداني

ISSN 2569-734X

**المنطقة الصناعية كريستال**

**- 1التأصيل التاريخي للوحدات الصناعية بالمنطقة الصناعية كريستال.**

تمتد على 110 مساحة هكتار، منها 42 هكتار مستغلة حاليا، أكثر من نصفها أنجز مستغل من طرف معمل كريسطال الذي تسميتها به، ورغم أهميتها من ناحية المواصلات إلا أنها تعرف عدد قليل من الوحدات الصناعية التي لا تتجاوز 19 وحدة أبرزها شركة كريستال التي انشات سنة 1942 وشركة Hachani التي انشات سنة 1977 ، Gimar المتخصصة في صناعة الحديد، بالإضافة إلى العديد من المؤسسات الصناعية التي لا تقل أهمية والتي بدورها تساهم في تنمية اقتصاد المنطقة.

خريطة رقم : 5 التأصيل التاريخي للوحدات الصناعية بالمنطقة الصناعية كريستال.

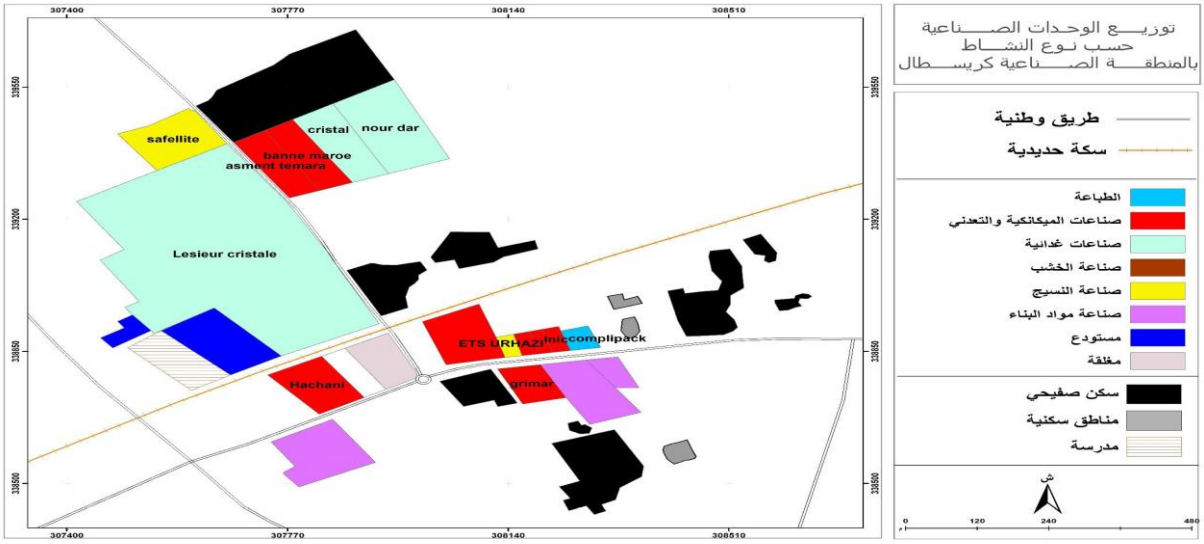


المصدر: المصدر :صورة فضائية سنة+ 2020 عمل ميداني2020

المبيان رقم:1 الوحدات الصناعية حسب نوع النشاط الصناعي بالمنطقة الصناعية كرسطال

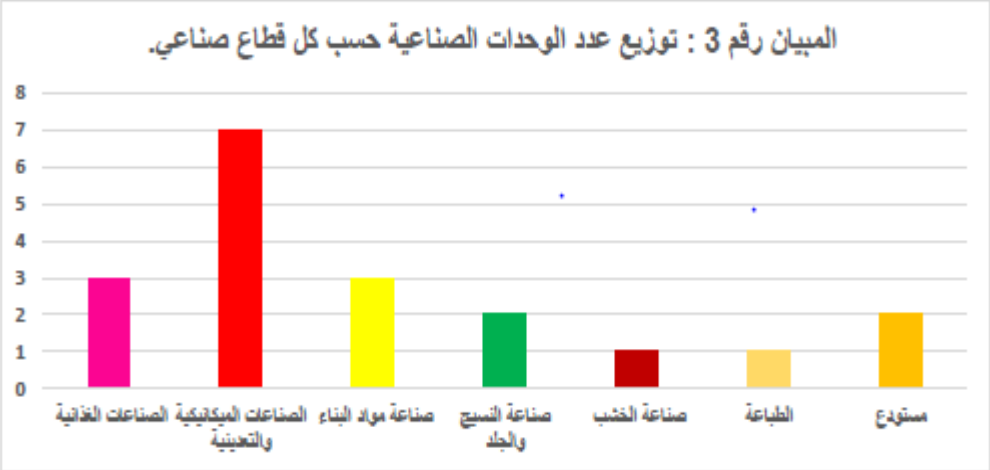


المبيان رقم :2 توزيع الوحدات الصناعية حسب القطاعات الصناعية بالنسبة المؤوية

ISSN 2569-734X

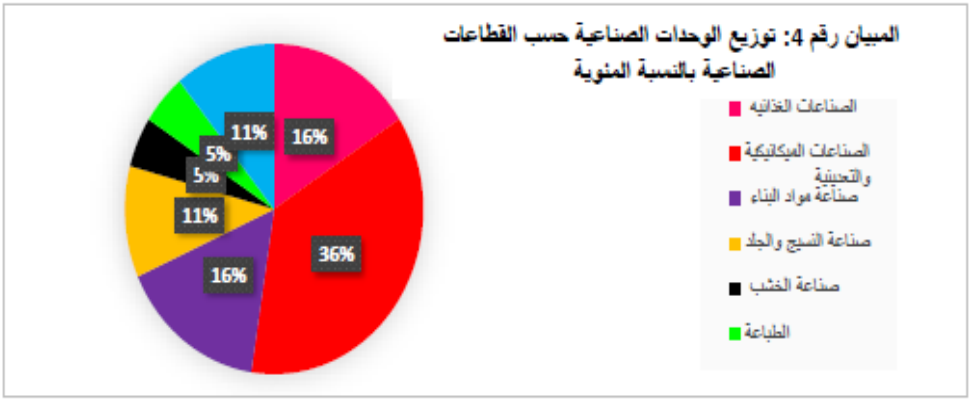


المصدر: جماعة عين حرودة + غرفة الصناعة التجارة المحمدية

نلاحظ من خلال المبينين أعلاه أن الصناعات التعدينية والميكانيكية تضم 7 وحدات صناعية، أي نسبة % 37 من مجموع الوحدات تليها الصناعات الغذائية وصناعة مواد البناء ب 6 وحدات صناعية أي نسبة. % 32أما فيما يخص قطاع النسيج والجلد فهو الآخر يحتضن % 11 من الوحدات الصناعية أهمها شركة.safillite

الصورة رقم :1 :شركة كريسطال لصناعات الغذائية

الصورة رقم 2: : شركة HACHANI لصناعة التعدينية

المصدر: البحث الميداني سنة 2020

مبيان رقم :3 توزيع عدد العمال بالمنطقة الصناعية كرستال

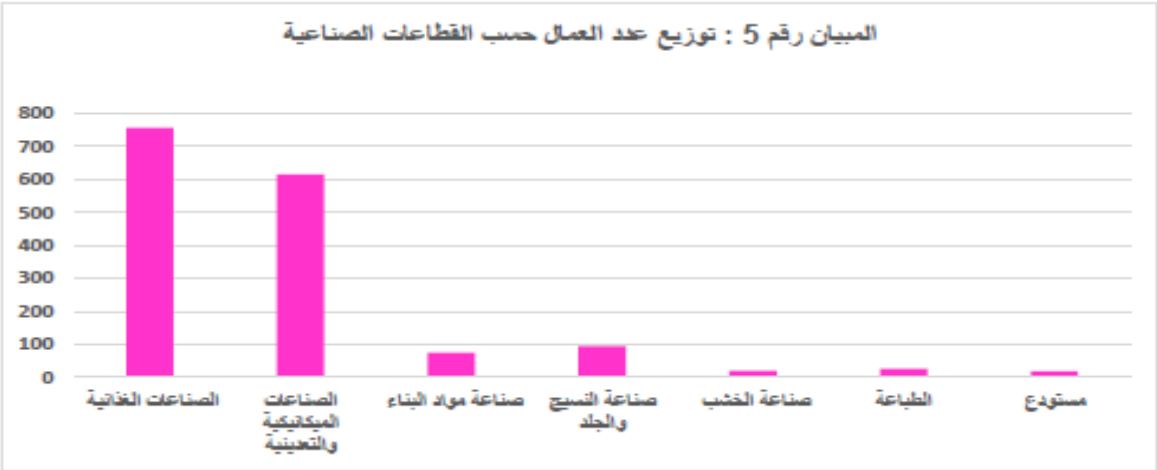


المصدر: عمالة المحمدية 2020

يتبين لنا من خلال المبينان الأعلى أن الصناعات الغذائية تشغل عدد كبير من العمال يفوق 700 عامل جلها مشغل من طرف شركة لسيور كريسطال التي لها إشعاع وطني. يليها قطاع الصناعات التعدينية والميكانيكية الذي يشتغل به أكثر من

ISSN 2569-734X

600، حيث تشغل شركة Hachani200 عامل، كما تتوفر هذه المنطقة الصناعية كذلك على 3 وحدات صناعية متخصصتان في صناعة مواد البناء منهم ,HOLCIM و betocim ، وفي مجال صناعة النسيج توجد شركتان SAFELLITE ، التي تشغل 150 عامل.

**خريطة رقم : 7 توزيع الوحدات الصناعية حسب عدد العمال.**

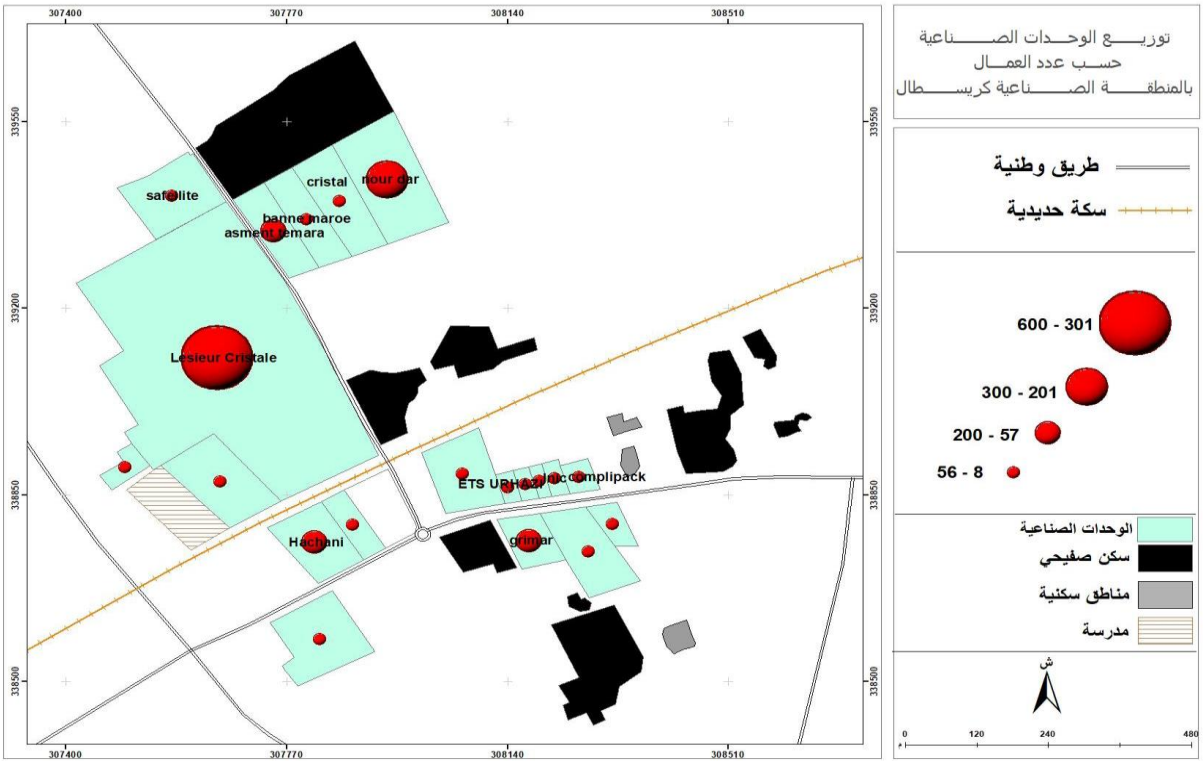


**المصدر :صورة فضائية سنة+ 2020 عمل ميداني202**

**خلاصة :**

عرف القطاع الصناعي بعمالة المحمدية نموا مطردا خلال القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، حيث أن المؤسسات الصناعية لم تظهر دفعة واحدة، ولكنها ظهرت بشكل تدريجي حسب كل مرحلة من المراحل وغداة حصول المغرب على الاستقلال استطاعت المنطقة أن تجلب استثمارات مهمة مكنتها من احتلال مكانة مهمة على الخريطة الصناعية الوطنية خاصة جماعة المحمدية وعين حرودة بفضل موقعهم الاستراتيجي المطل على المحيط الأطلسي ووجودهم بين العاصمتين الإدارية والاقتصادية فهما يشكلان حلقة وصل بينهم، فالقطاع الصناعي يشغل 22 ٪ من المجال الحضري لمدينة المحمدية وأكثر من 10 ٪ في جماعة عين حرودة، والملاحظ أن هذا المجال تبلور غالبا دون وجود ادني تصور أوشرط من شروط التهيئة، مما نتج عنه بروز العديد من المؤسسات الصناعية بداخل تجمعات سكانية، كما أن أغلب نطاقات الأحياء الصناعية تعرف استغلالا عشوائيا للمجال خاصة في عين حرودة والشلالات وسيدي موسى بن علي. ومن اجل النهوض بالمجال الصناعي وإعادة هيكلته بطريقة عصرية وبمعايير دولية من بينها احترام البعد البيئي فعلى مستوى عين حرودة فقد تم تهيئة المنطقة الصناعية

واللوجستيكية التي تعد الأكبر على المستوى الوطني والتي هدفها الأساسي هو إعادة توطين الوحدات الصناعية العشوائية الموجودة بتراب المنطقة، هذا المشروع سيدعم مكانة عمالة المحمدية في الخريطة الصناعية للمغرب، وسيشكل نقطة تحول جديدة في مسلسل التصنيع بالمنطقة.

## المراجع :


- احمد طلال خضر الطائي، إعداد خرائط الصناعة في محافظة نينوى باستخدام نظم المعلومات الجغرافية دراسة في الصناعة، كلية التربية.
- بحث لنيل شهادة الماستر تحت عنوان تدبير النفايات الصلة بمدينة المحمدية، بجامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية 2014 - 2013.
- سعيد المواق، توطين المناطق الصناعية ودراسة أثرها البيئي بالمحمدية وعين حرودة باستعمال نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد، بحث لنيل شهادة الماستر كلية الآداب والعلوم الإنسانية. 2010
- شيماء ملوك، واخرون، دور تهيئة المناطق الصناعية في إعادة التوطين الصناعي بإقليم النواصر، مقال، الندوة الدولية لمستخدمي نظم المعلومات الجغرافية وجدة،. 2017
- مراد خير، تأثير المنشآت الصناعية على البيئة الريفية دراسة ميدانية بقرية البديل والية المسيلة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اجتماع البيئة جامعة محمد يخضر بسكرة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. 2017 - 2016
- مصعب بالي، عمر موساوي، إدماج البعد البيئي في المؤسسات الصناعية الجزائرية، جامعة
- قاصدي مرباح-ورقلة . التقرير الوطني لمراقبة جودة مياه الشواطئ، وزارة الطاقة والمعادن والماء والبيئة، وزارة التجهيز والنقل واللوجستيك. 2020 - 2010
- تقرير ملخص الإستراتيجية الوطنية لتقليص وتثمين النفايات، وزارة الطاقة والمعادن2019


## المراجع باللغة الفرنسية :


- Ben cheikh Le-Hocine Med Fadel‘ ’Les polluants de l’environnement urbain et la santé" Thèse de doctorat de 3eme siècle، Université Mohamed Khider – Biskra، Algérie, 2003.
- Dezert Bernard. Études de géographie industrielle. In : Annales de Géographie, t. 88, n°489, 1979. pp. 614-624.
- Étude d’Impact Environnemental etوSocial (EIES), Projet d’aménagement de la ville nouvelle de ZENATA, 2014.
- Limane Nora, Pollution particulaire dans la Région du Grand Casablanca : Étude de Benchmarking et modélisation cartographique, Mémoire de Stage de Fin d’Études, Université Cadi Ayyad Faculté des Sciences et Techniques Département des Sciences de la Terre.
- Rapport، Cadastre des émissions de la région du grand Casablanca،
- Étude prospective d’évolution des émissions، Ministère de l’Énergie، des mines، de l'eau et de l’environnement.


المواقع الالكترونية :


- www.forumsig.org/
- www.mcinet.gov.ma
- www.minenv.gov.ma
- www.wikimapia.or

# دور المقومات الطبيعية في عملية التحديث الزراعي بمنطقة الغرب
# "جماعة البحارة أولاد عياد نموذجا"

# The role of natural factors in the process of agricultural modernization in the Gharb region

# " the commune of bahara ouled ayad as a model "

**هشام الطاهري:** أستاذ باحث بسلك الدكتوراه، في مختبر التراب والبيئة والتنمية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة_ المغرب.

ملخص:

نتوخى من خلال هذا المقال الوقوف على حجم التطور والتحديث الذي عرفه النظام الزراعي بجماعة البحارة أولاد عياد، بحكم أنها تنتمي إلى أحد أهم المناطق الزراعية بالمغرب، والتي تراهن عليها الدولة بشكل كبير من أجل تحقيق الامن الغذائي وإنتاج منتوجات زراعية جديدة تتماشى وحاجيات الاسواق الدولية، خاصة أن المغرب منذ زمن بعيد إندمج فلاحيا في الاقتصاد العالمي وأصبح من أبرز مزوديه، وذلك في ظل ما يعرف بالتقسيم الدولي للعمل.

ولتجاوز أزمات فوائض الانتاج التي عرفتها الأسوق الدولية في أواسط القرن الماضي والتي تضررت منها اقتصاديات دول العالم الثالث، أصبح محتم على المغرب نهج سياسة زراعية مرنة تتكيف مع جميع المتغيرات التي تفرضها حاجيات الاسواق الدولية، هذا ما دفع الدولة على إغراء الرأسمالي الزراعية العالمية في الاستثمار في المغرب وتشجيع المزارعين الوطنيين للتعاطي إلى مجموعة من الزراعات الجديدة والمطلوبة من طرف الزبائن والشركاء الدوليين، ومن أبرزها زراعة الفواكه الحمراء والافوكادو... لان التبادلات المتوازنة في إطار الاقتصاد العالمي تعتبر عاملا مفيدا وأساسيا في تحقيق التنمية الاقتصادية للبلاد.

كما سنقف أيضا على الدور الرئيسي التي لعبتها الموارد في تحريك عجلة التحديث الزراعي بالحيز الترابي.

**الكلمات المفاتيح:** التحديث الزراعي، التقسيم الدولي للعمل، أزمة الفوائض، الموارد الطبيعية

**Abstract :**

This article seeks to stop at the amount of progress and renovation of the agricultural system in " lebhara, Ouled Ayad" commune, knowing that it belongs to one of the most important agricultural regions in Morocco that the governement is immensely betting on so as to realise food security and produce new agricultural products which fit the needs of international markets. Especially that Morocco has integrated agriculturally a long time ago in the international economy. Moreover, it becomes one of its main suppliers under what is known as the devision of international work.

To overcome the crisis of overproduction that the international markets underwent during the middle of the last centuries, and which damaged the economies of the third world, it becomes inevitable for Morocco to adopt a flexible agricultural policy which can adapt with the changes and the needs of international markets. This pushed the state to entice the international agricultural capitalism to invest in Morocco and encourage the local farmers to adopt a group of new types of agriculture required by many patients and international partners such as avocado and red fruit, since balanced exchanges within the international economy are considered as an essential and beneficial factor in achieving the economic development for the country.

This article will also stop at the principal roles resources play in the dynamism of the agricultural renovation within this region.

Key words: agricultural renovation, international devision of work, overproduction crisis, natural resources.

## مقدمة

كان المغرب إبان الاستقلال بلدا فلاحيا بالدرجة الاولى، بحكم أنه كان يحقق الاكتفاء الذاتي الغذائي للبلاد ويشغل لوحده أكثر من نصف الساكنة الذكورية النشيطة، ويساهم بأكبر الحصص في الناتج الداخلي الخام، لكن مع توالي السنوات بدأ يبرز ضعف هذا القطاع بسبب إزدواجيته، حيت تعايش داخله قطاع عصري موجة للتصدير ولتلبية حاجيات الاسواق الخارجية، وقطاع أخر تقليدي بسيط شاسع الامتداد موجه لسد حاجيات الاسواق الداخلية، هذه الثنائية جعلت من الفلاحة المغربية فلاحة غير تنافسية وتحتاج لإصلاحات شاملة لضمان مكانتها الخارجية.

نتيجة لهذه الوضعية عرفت الفلاحة بصفة عامة والزراعة بصفة خاصة، تحولات جذرية شاملة مست كل جوانب الأرياف المغربية في العقود الأخيرة: قنوات الري الكبيرة، مزروعات زراعية جديدة، مزروعات صناعية وتسويقية، مشارات، تغير في نظام السقي، تشييد سدود كبيرة....، هذه التحولات كانت نتيجة إدخال مجموعة من التجديدات والتقنيات والأساليب على النظام الزراعي أي تحديث القطاع الفلاحي. وتختلف طرق هذا التجديد وتتعدد حسب سيرورات التحول واستراتيجيات التبني ومقاومة المجتمعات التقليدية[1].

ظهر مفهوم التحديث الفلاحي بالمغرب لأول مرة خلال المخطط الثلاثي، الذي أعد سنة 1965 والذي ركز على عنصرين أساسيين يمثلان مرتكزي الاستراتيجية الفلاحية، وهما: التحديث والعقلنة. هذه الاستراتيجية من خلالها تم تكريس الفلاحة كأولوية لتنمية اقتصاد البلاد منذ بداية الاستقلال.[2]

وتعتبر منطقة الغرب من المناطق الحيوية التي راهنت الدولة عليها فلاحيا، بسبب توفرها على موارد طبيعية جد مهمة، جعلها تحظى باهتمام خاص من طرفها، حيث استفادت من العديد من المشاريع المرتبطة بالقطاع الفلاحي ( استصلاح وتجهيز مساحات مهمة من الأراضي الفلاحية.....)، وكان الغرض منها تطوير القطاع الفلاحي وعصرنته والرفع من إنفتاحيته، وبالتالي تحويل المنطقة إلى قطب للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وذلك من خلال تحقيق مجموعة من الاهداف خصوصا فيما يتعلق بالمنتوجات المرتبطة بالأمن الغذائي[3]، وتوفير بعض المنتوجات الموجهة للتصدير، وتعد جماعة البحارة أولاد عياد من بين المناطق التي شملتها الاستراتيجية الفلاحية الوطنية، مما جعلها منطقة جذب حقيقي للاستثمارات الزراعية الكبرى، ومكانا لتركز أجود الزراعات العصرية وطنيا.

- ✓ **توطين المجال المدروس :**

تقع جماعة البحارة أولاد عياد في سهل الغرب، وفي الجهة الشمالية الغربية لإقليم القنيطرة بين خطي عرض 34.40° شمالا وخطي طول 6,249° غربا، وقد أحدثت هذه الجماعة بموجب التقسيم الإداري لسنة 1992، بعد أن كانت منذ الستينيات القرن الماضي منطقة تابعة للنفوذ الترابي لجماعة سيدي محمد لحمر، ويعد دوار أولاد مصباح الرويف مركزا لها، يوجد به مقر القيادة التابعة لدائرة سوق ثلاثاء الغرب.

**الخريطة رقم 1: موقع جماعة البحارة أولاد عياد**

---

[1]) بورقية رحمة: الارياف المغربية في ظل التحولات الكبرى للمجتمع، مطبعة دار المعارف الجديدة الرباط، عرض حول التحديث الزراعي بالمغرب 2002، ص 19

[2]) المغرب الممكن: تقرير الخمسينية. إسهام في النقاش العام من أجل طموح مشترك. مطبعة دار النشر 2006. ص 153

[3]) عبد الله صدقي: في قضايا التنمية والتنمية المحلية، المطبعة السريعة، الطبعة الاولى2010، ص9

ISSN 2569-734X

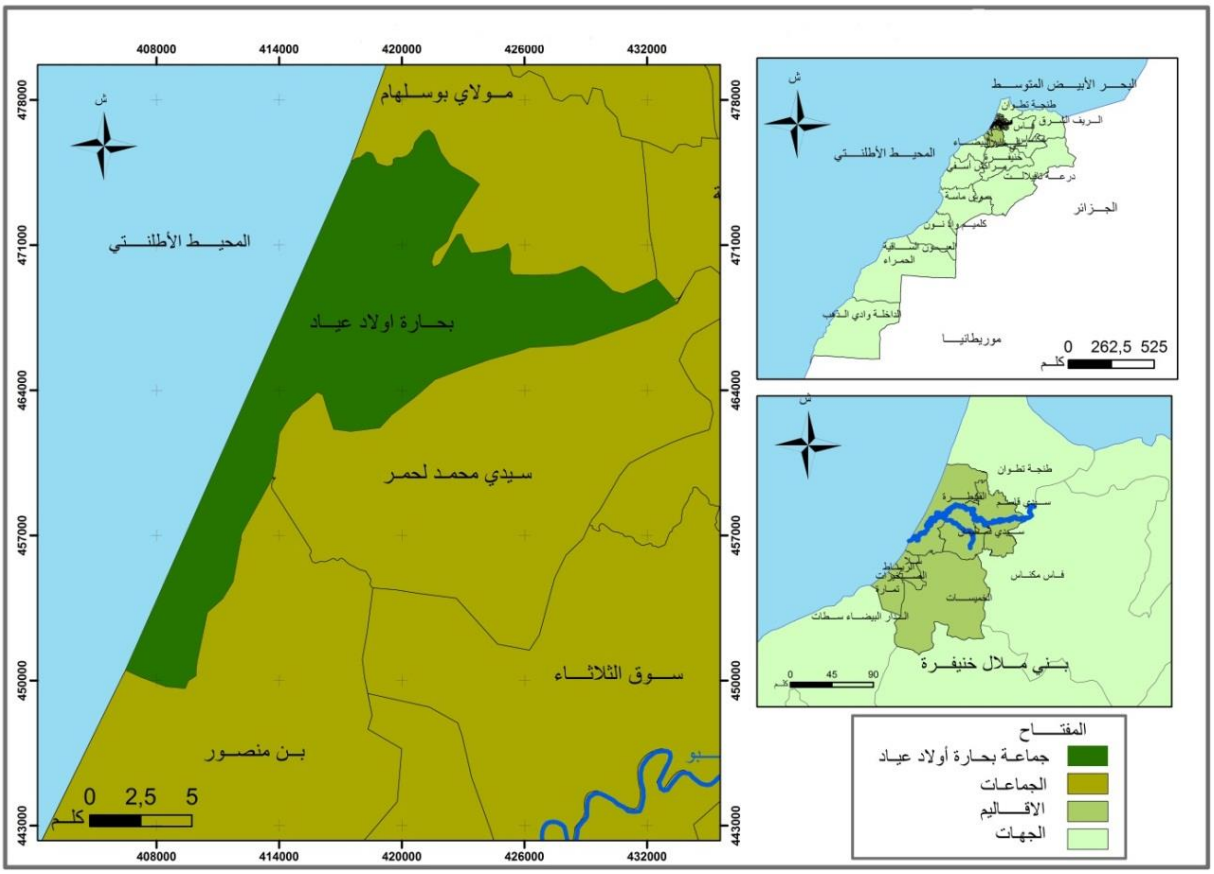


**المصدر: الوكالة الحضرية القنيطرة سيدي قاسم 2018. بتصرف**

ويحد الجماعة من الشمال جماعة مولاي بوسلهام ومن الشرق جماعة سيدي محمد لحمر ومن الجنوب جماعة بن منصور ومن الغرب المحيط الأطلنطي. وتضم بجماعة بحارة أولاد عياد 23 دوار ومركز، إذ ويبلغ عدد سكانها 31860 نسمة، و 5297 أسرة[1]، وتمتد على مساحة تصل الى 170 كلم[2]، وبكثافة سكانية تقدر ب 187 نسمة في كلم[2].

يوجد مقر القيادة بمركز الجماعة، عكس مقر الدائرة الذي يبعد عن الجماعة بـ 29كلم وعن عمالة إقليم (القنيطرة) بـ 76 كلم. وتجدر الإشارة إلى أن الجماعة تقع على محور طرقي متميز يتمثل في الطريق السيار رقم A5 الرابطة بين القنيطرة وطنجة، وخطط القطار السريع البراق الرابط بين طنجة والقنيطرة ، وعدة طرق اقليمية كالطريق رقم 4211 - 4220 - 4222 الرابطة بين الجماعة المدروسة و الجماعات المحاذية لها.

## 2. إشكالية البحث

تعد جماعة البحارة أولاد عياد امتداد طبيعيا لسهل الغرب، الذي تتميز بتوفرها على موارد طبيعية مهمة كالتربة الغنية والموارد المائية المتنوعة (سطحية_ جوفية) وسيادة طابع الانبساط، وهي عوامل إيجابية شجعت على خلق تحولات عميقة على مستوى الزراعي، فاقتحمت هذا الأخير زراعات جديدة لم يعرفها المجال مسبقا كزراعة أشجار البرتقال والزراعات الصناعية والزيتية.....، بعدما شكلت الحبوب زراعة أساسية خلال مرحلة الاستعمارية والعقدين الاولين بعد الاستقلال، كما ظهرت حاليا أصناف زراعات جديدة ذات قيمة مرتفعة، توسعت على حساب بعض الأصناف الزراعية السابقة الذكر، من أبرزها نجد زراعة الفواكه الحمراء والافوكادو....

[1]) معطيات الحصاء العام للسكان والسكنى بالمغرب سنة 2014.
[2]) مونوغرافية جماعة البحارة أولاد عياد 2014.

سنتناول في هذا المقال موضوع "دور المقومات الطبيعية في عملية التحديث الزراعي بجماعة البحارة أولاد عياد"، من خلاله سنحاول الإجابة عن الإشكالية التالية:

- ✓ ما هي مظاهر التجديد الزراعي بجماعة البحارة أولاد عياد ؟
- ✓ ما هو دور المقومات الطبيعية في تحديث القطاع الزراعي بجماعة البحارة أولاد عياد ؟

**3. فرضيات البحث**

إن إشكالية التحديث الزراعي ودور الموارد (المقومات) الطبيعية في تحريك عجلاته بجماعة البحارة أولاد عياد ، قادتنا لطرح بعض الفرضيات التي وجب التحقق من صحتها وهي كالتالي:

- ✓ لعبت الموارد الطبيعية الجيدة دورا بارزا في تحريك دينامية التحديث الزراعية وعصرنته .
- ✓ فرضت الازمات التجارية وإكراهات السوق الدولية في بحت المغرب على بدائل زراعية جديدة لضمان مكانتها في السوق العالمية في إطار التقسيم الدولي للعمل.
- ✓ عرفت جماعة البحارة أولاد عياد ظهور زراعات جديدة لم تمارس من قبل من طرف الفلاحين، كان لها الدور الابرز في تغير الممارسات والعقلية الزراعية.

**4. أهداف البحث**

لكل بحث أو دراسة علمية أهداف محددة، ويروم هذا المقال الذي نحن بصدد إعداده تحقيق مجموعة من الأهداف التي تهم بالأساس ظاهرة التحديث الزراعي وبعض العوامل المتحكمة فيه وذلك من خلال:

- ✓ وصف مظاهر التحول الحاصل على مستوى المنظومة الزراعية وذلك عبر إبراز موصفاته من حيث الشكل والتوطين والحركة في الزمان والمكان.
- ✓ وصف المقومات الطبيعية التي تزخر بها المنطقة عبر إبراز خصوصياتها، وتفسير دورها ومدى مساهمتها الفعالة في عملية الاقلاع الزراعي.

**5- أهمية البحث:**

تكمن أهمية هذه الدراسة التي نحن بصدد إنجازها، كونها ستتناول أحد المواضيع الشائكة والراهنية والتي لا زالت تعد أرضية خصبة للتداول والبحث التنقيب، فالتجارب الزراعية التي خاضها المغرب إبان زمن الحماية وفيما بعدها، كان لها تبعياتها ووقعها على السياسة الزراعة العامة للبلاد، ووضعته أمام حتمية التكيف والتطور ومواكبة التحولات الكونية المرتبطة بتقلبات وبحاجيات الاسواق الدولية، كما وجهت بوصلة المزارع المغربي وغيرت من عاداته وممارساته المهنية رغم اختلافاتهم الفئوية والطبقية، فالتحولات التي عاشتها الظاهرة زمنيا ومكانيا دفعت الباحثين لإصدار العديد من الدراسات والتحاليل والتصورات المختلفة والمتناقضة حول فهم الظاهرة ومعالجتها علميا من الزاوية الجغرافية.

كما نصبو من خلال مقالنا هذا الوقوف على خصوصيات الظاهرة (التحديث الزراعي) وفهمها بشكل دقيق ومفصل، لن يتأتى ذلك إلا من خلال قراءة البحوث والكتب ذات الصلة بالموضوع ، وكذا الاستعانة بالمعطيات الاحصائية المحصل عليها من طرف المصالح الادارية الوصية على القطاع الفلاحي بالمجال المدروس، ثم تحليل مخرجات البحث الميداني الذي قمنا به بتراب الجماعة والذي وجهنا من خلاله عدة أسئلة لها علاقة بالموضوع لعينة محددة من المجتمع الاحصائي

**6- المنهجية المتبعة:**

سنرتكز في هذا البحث، على منهجية البحث الجغرافي وذلك بالاعتماد على:

- **المنهج التحليلي:** كوسيلة لاستنباط المعطيات من العام إلى الخاص. وقد اعتبر بعض الباحثين أنّ المنهج المقارن عبارة عن منهج شبه تجريبي؛ وذلك لأنه يختبر جميع العوامل التي تؤثر في الظاهرة سواءً الثابتة أو المتغيّرة

- **المنهج الاستقرائي:** من خلال رصد الوقائع القابلة للملاحظة، وذلك عبر الانطلاق من جزئيات الظاهرة مرورا إلى مضمونها.
- **المنهج التاريخي:** كبداية لدراسة ظاهرة التحديث الزراعي وتطورها عبر بالزمان.
- **المنهج الوصفي:** لرصد مظاهر التحديث الزراعي الذي عرفته الجماعة التي يعرفها المجال أثناء القيام بالبحث الميداني.

إن هذه المنهجية تتطلب منا الاعتماد على مجموعة من التقنيات والوسائل:

- ✓ العمل الببليوغرافي:
- ✓ جمع المعطيات الرسمية:
- ✓ العمل الميداني:

## I. مظاهر التحديث الزراعي بجماعة البحارة أولاد عياد

تعتبر الفلاحة النشاط الاقتصادي الرئيسي لساكنة المغرب قبل وأثناء مرحلة الحماية، فمعظم سكانه كانوا يقطنون في البوادي (ثلثي الساكنة)، وكانوا يزاولونها على نطاق واسع واعتبروها مصدر قوتهم ومعيشتهم، إذ كانت تمتاز بالازدواجية فلاحة تقليدية واسعة الانتشار تعتمد على أدوات ووسائل بسيطة في الإنتاج وعلى الرعي بشكل كبير، وفلاحة عصرية ضيقة تمتلكها فئة قليلة من السكان تعتمد على وسائل عصرية في الانتاج موجهة لتلبية حاجات الاسواق الخارجية، وقد كانت تساهم بحوالي 38% من الناتج الداخلي الخام[1]، لكن مع مرور السنوات برز ضعف الفلاحة في تحقيق الامن الغذائي لمواطنيه، لأنها كانت محدودة العصرنة والمكننة ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالتقلبات المناخية وهذا كان سر ضعفها بالضافة لمواجهة التحديات الخارجية المتمثلة في المنافسة الشرسة التي تواجهها للمنتوجات المغربية في الاسواق الخارجية. نتيجة لهذا الوضع الجديد أصبحت البلاد مكرهة على تغيير سياستها الفلاحية بشكل عام.

مباشرة بعد حصول المغرب على استقلاله، بدأ بشكل فعلي في تنفيذ مخططات اقتصادية متعددة، معضهما اهتم بعصرنة القطاع الفلاحي على جميع المستويات ( الزراعي وتربية الماشية والتدجين)، فتم بناء السدود مع الملك الراحل الحسن الثاني لري الاراضي الزراعية وتهيئة الضيعات الزراعية الكبرى القابلة للاستثمار والمؤهلة للاستفادة من المكننة، فتم التوجه نحو اعتماد زراعات قادرة على المنافسة خارجيا (سكر، حوامض، قطن، الزراعات الزيتية....) ولتلبية حاجيات الداخلية، كما تم إحداث العديد من المؤسسات المعنية بتدبير القطاع الفلاحي كمكتب الري والمكاتب الجهوية للإصلاح الزراعي.....، حيث اعتبرت هذه المرحلة حجر الأساس التي بنية عليها عملية التحديث الزراعي بالمغرب واستمرت إلى غاية التقويم الهيكلي وبعده.

لقد كشفت مرحلة التقويم الهيكلي (1985-1993) ضعف التخطيطات الاقتصادية التي نهجتها الدولة للتحديث الفلاحي، ولتدارك الاوضاع تم إملاء توصيات خارجية على المغرب من أجل النهوض بالقطاع وضمان استدامته في خدمة المصالحة الاقتصادية للبلاد فتم تقديم قروض وبرامج لتقويم القطاع الفلاحي (PASA 1-2) وإصلاح مناطق الري الكبرى (PAGI 1-2) والاستثمار في القطاع الفلاحي (PISA 1-2).

بعد مرحلة التقويم الهيكلي سيدخل المغرب مرحلة جديد في تاريخه الفلاحي عرفت بمرحلة الاستراتيجيات (1993-2004) قامت الدولة خلالها بتغيير استراتيجياتها بالانتقال من الاكتفاء الذاتي إلى تكريس هدف الامن الغذائي، لأن واقع الانتاج الزراعي بين أن المغرب أصبح من المستوردين للمواد الاساسية كالجبوب والسكر والزيت، علما أن الحبوب تشكل عماد الغداء عند المغاربة وتساهم بحوالي 70 من إجمالي السعيرات المستهلكة[2]، لأن إنتاجنا الوطني من هذه المادة يمتاز

[1]) المغرب الممكن: تقرير الخمسينية. إسهام في النقاش العام من أجل طموح مشترك. مطبعة دار النشر 2006. ص 152.
[2]) محمد الاسعد: البيئة والتنمية القروية المستديمة بالمغرب، مطبعة دار القرويين، الطبعة الاولى 1999، ص 50.

بالتذبذب جراء عدم انتظام التساقطات المطرية المرتبطة أساسا بالتغيرات المناخية التي ينجم عنها تداخلات فصلية مما جعل المغرب يعاني من الخصاص, هذا ما سيدفع القانون التوجيهي إلى التركيز على عصرنة الفلاحة على أربعة توجهات جديدة للسياسة الفلاحية: الاسهام في تحقيق الامن الغذائي، إدماج السوقين الدولية والوطنية، الرفع من دخل الفلاحين وتأمينه، المحافظة على الموارد الطبيعية، وبالتالي عوضت هذه التوجيهات الفلاحية الجديدة الاهداف الاربعة التقليدية للسياسة الفلاحية السابقة المرتكزة على الاكتفاء الذاتي الغذائي، توازن الميزان التجاري، الرفع من دخل الفلاحين والحد من الفوارق الجهوية.

وفي سنة 2008 أعطى الملك محمد السادس حفظه الله انطلاق ورش جديد سمي بمخطط المغرب الاخضر، وهو استراتيجية طموحة للنهوض بالقطاع الفلاحي، باعتبار أنه قطاع أساسي في اقتصاد المملكة، وضع له هدف رئيسي وذلك بجعل الزراعة محركا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية مع ترسيخ جهوي متقدم[1] ، ولتحقيق هذه الاهداف وضعت لها مجموعة من الاليات والمتطلبات (القانونية، التنظيمية، التقنية، المالية.....)، وقد حققت العديد والعديد من النتائج الإيجابية الملموسة بعد انطلاقها بسنوات (ارتفاع دخل المنتجين، مستوى الاستثمار، الميزان التجاري).

تعتبر منطقة الغرب من أكثر المناطق المغربية التي حظيت باهتمامات منقطعة النظير من طرف الدولة وحكوماتها، نظرا لما يوفره المجال من مقومات طبيعية (تضاريس، تربة، ماء، المناخ) وبشرية (يد عاملة ، سوق استهلاكية) مهمة ساهمت في تشجيع الدولة على الاستثمار في هذا القطاع الاقتصادي الحيوي داخل هذا الحيز الترابي الغرباوي، فهذا الاهتمام النوعي جعلها قطبا زراعيا رئيسيا في البلاد، عرف جملة من التحولات المسترسلة والتي لم تتوقف بنياتها إلى الان، وتعد جماعة البحارة أولاد عياد نموذجا مصغرا لكل التحولات التي عرفها سهل الغرب الرامية لعصرنة نظمه الزراعية.

**1- تنوع الاراضي الزراعية بجماعة البحارة أولاد عياد**

تعتبر الاراضي الصالحة للزارعة عاملا حاسما في انتشار الزراعة في مكان ما على سمج الارض، فهي الارض التي حرثها الانسان واستخدامها لزراعة المحاصيل، وتنقسم إلى قسمين أراضي سقوية تستفيد من توفر مورد طبيعي يمدها بالمياه الكافية لري المزروعات وهي الاكثر أهمية وقيمة، وأخرى بورية تعتمد بشكل رئيسي على التساقطات المطرية. وبحكم تواجد جماعتنا داخل سهل الغرب الغني بالموارد الطبيعية، نجدها تتوفر على مساحات مهمة من الاراضي الصالحة للزراعة 9672 هكتار والتي تمتل حوالي 42,2% من مجموع مساحة الجماعة( 12466 هكتار)، تشغل الاراضي البورية فيها 75% أي 7252 هكتار، بينما الاراضي السقوية تغطي 25% بمساحة تقدر ب 2430 هكتار.

**مبيان رقم 1: توزيع الاراضي الصالحة للزراعة بجماعة البحارة أولاد عياد**

[1]) مخطط المغرب الاخضر، الحصيلة والاثار 2008 – 2018، وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، ص 8

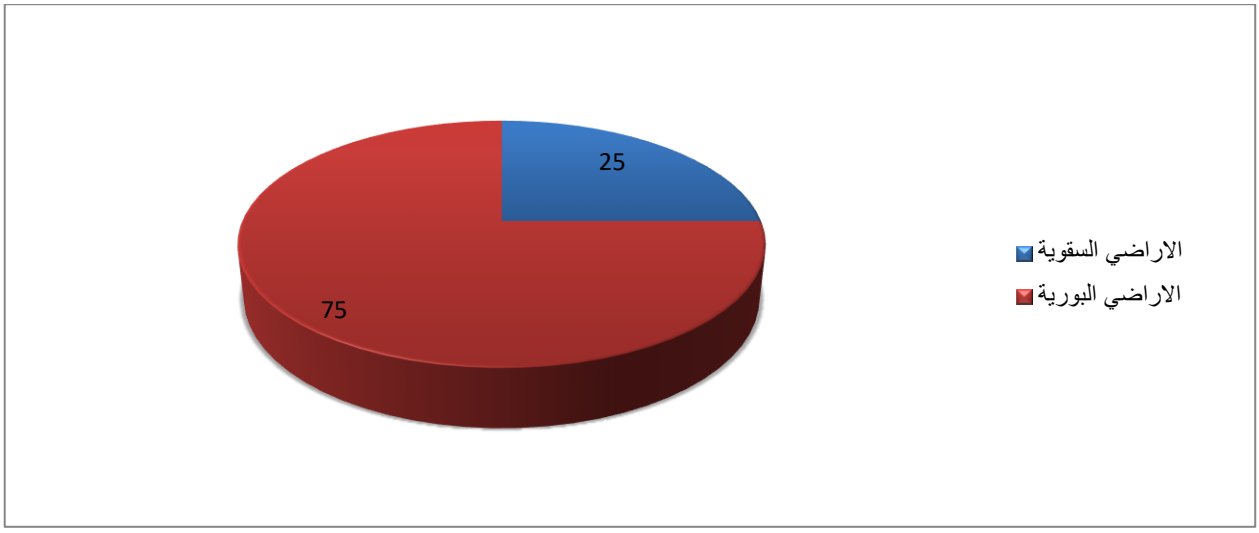


المصدر : مونوغرافية جماعة البحارة أولاد عياد 2014.

ضعف المجال السقوية مرده إلى عامل الارتفاع (تلال للا زهرة والمركب الكثيبي) فهما معا يشكلان حاجزا أمام صغار الفلاحين للوصول إلى المياه الجوفية نظرا لتعمقها الشديد، مما يجعل تكلفتها باهظة الثمن، على عكس الاراضي المنبسطة، ناهيك عن عدم استفادة الجماعة لحد الان من التجهيزات الهيدروفلاحية المخصصة لمنطقة الغرب، مع علم أنها أدرجت في مشروع الشطر الثالث من سقي منطقة سهل الغرب، وقد برمجت لها لوحدها أكثر من 1000 هكتار ستسقى بتقنية الري الموضعي (التنقيط) عن طريق ضخ المياه الجوفية.

على العموم تبقى هذه النسبة مهمة، بفضلها تركزت مجموعة من الزراعات العصرية التي لم تعرفها المنطقة من قبل، خاصة إذا علمنا أنها كانت فيما قبل مجالا جغرافيا طاردا للسكان بسبب إكراهات الوسط الطبيعي، فالسكان القليلون الذين كانوا يعيشون بترابها اعتمدوا في أنشطتهم بشكل رئيسي على الرعي وبعض الزراعات المقلالة التي كانت تشكل الغذاء الرئيسي لهم، كانت في مجملها عبارة عن زراعة بورية نظرا لقلة الموارد المائية السطحية بها، ولعدم استفادتها من الاعداد والاستثمار الفلاحي الذي عرفته منطقة الغرب خلال مرحلة الحماية، وتركت لانتشار الفلاحة التقليدية واعتبرت ملجأ للمطرودين من السهل[1]. إلا أنها استفادت من ناحية أخرى من سياسة تجفيف المرجات التي شرعت فيها سلطات الحماية بداية من سنة 1925 بهدف استصلاح الاراضي وجعلها صالحة للزراعة، بالإضافة لدخول بعض الاصناف الزراعية التي تفي بحاجيات الغذائية لساكنة المنطقة والتي تحتاج للسقي، من هنا بدأ التفكير في حفر الابار لاستغلال مياهها في ري، هذه التقنية تعلمها المزارعون من المستعمرين الذين كانوا يستعملها في أماكن مجاورة للجماعة، فظهر السقي وانتشاره الواسع في يومنا هذا يعود له الفضل في السياسة الزراعية الاستعمارية ولو بطريقة غير مباشرة.

**2- تنوع المنتوجات الزراعية وتعدد أصنافها بجماعة البحارة أولاد عياد**

[1]) عبد الله صدقي: إعداد التراب والتنمية المحلية بجماعتي المناصرة وبنمنصور " إقليم القنيطرة" بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة إبن طفيل القنيطرة، سنة 2006 ص 84.

عرفت جماعة البحارة أولاد عياد منذ أواخر القرن الماضي تحولات عميقة على المستوي الزراعي، انتقلت به من مجال كان يزاول معظم سكانه زراعة تقليدية وعلى تربية الماشية، إلى مجال أخر يعرف ثورة زراعية كبيرة تعددت بفضل الانتشار الواسع للمنتوجات الزراعية العصرية بشتى أشكالها.

**الجدول رقم 1: أنواع المنتوجات الزراعية بجماعة البحارة أولاد عياد ما بين 1996-2021 بالطن**

| السنوات | المنتوجات الزراعية | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | الحبوب | القطاني | الخضروات | ز . الزيتية | ز .الصناعية | ز . العلفية | المغروسات والفواكه |
| **1996** | 4742 | 1175 | 901 | 4751 | 363 | 63 | 232 |
| **2012** | 10860 | 1160 | 770 | 2235 | 713 | 1160 | 628 |
| **2016** | 6160 | 1300 | 2407 | 8750 | 363 | 2130 | 1354 |
| **2021** | 6720 | 1300 | 879 | 6316 | 540 | 910 | 1614 |

المصدر : الحصاء الفلاحي 1996. ومونوغرافية الجماعة الخاصة بالمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الغرب

ساهمت المخططات الزراعية التي نهجها المغرب منذ فجر الاستقلال في خلق دينامية زراعية كبرى بسهل الغرب، استفادت منه بطبيعة الحال جماعة البحارة أولاد عياد على وجه الخصوص، بحيث لم تعد تهيمن على بنيتها زراعة الحبوب، وإنما أصبحت تعرف تنوعا كبيرا على المستوى المنتوجات الزراعية، ومن أهمها نجد الزراعات الزيتية والصناعية والمغروسات والجبوب في المقدمة، تأتي بعدها العلفية زراعة الخضروات... ، هذا الوضع الزراعي الجديد يرجع له الفضل في رهانات الدولة من أجل تحقيق مجموعة من الاهداف التنموية خصوصا فيما يتعلق بالمنتوجات المرتبطة بالأمن الغذائي مثل السكر والحليب والزيت...وغيرها, وتطوير زراعات جديدة قابلة لأن تعوض بعض المنتوجات( الجبوب-الحوامض-الطماطم..) التي تعاني من فائض في السوق العالمية والتي أصبحت المنافسة فيها أكثر حدة[1].

**3- ظهورزراعات عصرية وصناعات غذائية موجهة نحو التصدير**

اقتحمت المنطقة في العقود الثلاثة الاخيرة زراعات جديدة لم يعرفها المجال من قبل، راهنت عليها الدولة لتعوض بعض المنتوجات الزراعية التي لم تعد لها مكانتها في الاسواق الدولية، فكان الاتجاه الجديد هو البحث عن أصناف زراعية جديدة لها قبليتها وذات إشعاع دولي قوي وقيمة مضافة مرتفعة، هذا التوجه الجديد جاء في إطار الاستراتيجيات القطاعية الزراعية التي تنهجها الدولة من أجل النهوض بالقطاع الزراعي، وذلك عبر إنشاء سبعة أقطاب فلاحية في أهم أحواض الانتاج الفلاحي خصصت لكل واحدة منها مجموعة من السلاسل الانتاجية، ومن بينها منطقة الغرب والتي عنيت بإنتاج الحوامض والأرز والسكر والفواكه الحمراء...، وذلك بهدف اندماجها في قطاع الصناعات الفلاحية والغذائية وزيادة الانتاجية وتعزيز تنافسية مقاولات القطاع، والمساهمة بشكل فعال في زيادة قدرات تثمين الانتاج الفلاحي والرفع من القيمة المضافة، كما ستمكن من استقطاب استثمارات جد مهمة في قطاع الصناعة الغذائية وخلق مناصب الشغل لليد العاملة، مما سينعكس إيجابا في تنمية المنطقة، وذلك عبر تثمين أحسن للمنتوجات الزراعية وإنعاش الصادرات.

[1]) إدريس الكراوي – عبد العزيز النويضي: الاقتصاد المغربي نموذجا الفلاحة والاستثمار الاجنبي، دار تبقال، الطبعة الاولى 1988، ص94.

هذا التوجه جعل المنطقة تستقبل استثمارات زراعية كبرى تنوعت بين الأجنبية والوطنية، غالبيتها تنشط بشكل كبير في إنتاج الفواكه الحمراء بكل أصنافها (توت الارض، توت العليق، العنب الأزرق)، وفي زراعة أخرى كالأفوكادو والموز والشيريموبا، بالإضافة لبعض الاعشاب الموجهة للتصدير، بالموازاة لذلك ظهرت شركات غذائية متخصصة في إنتاج وتصبير وتصدير الفواكه الحمراء نحو للأسواق الدولية, ومن أهمها شركة **AfricanBlue** المتخصصة في تصدير فاكهة العنب الازرق (**myrtille**) وتوت العليق(**framboise**).

**الجدول رقم2: تطور أنتاج الفواكه الحمراء والمغروسات بجماعة البحارة أولاد عياد بين سنتي 1996-2021 بالطن**

| السنوات | الفواكه الحمراء | | الافوكادو | الموز | الحوامض | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | توت الارض | العنب الازرق وتوت العليق | | | | |
| **1996** | 232 | | | | | **223** |
| **2012** | 231 | 78 | 277 | 180 | 30 | **628** |
| **2016** | 400 | 118 | 300 | 380 | 76 | **1248** |
| **2021** | 520 | 228 | 410 | 380 | 76 | **1614** |

المصدر : الحصاء الفلاحي 1996. ومونوغرافية الجماعة الخاصة بالمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الغرب

**4- تنوع الادوات والوسائل المستعملة في الزراعة**

كانت الزراعة قديما تتطلب الكثير من العمل الشاق وساعات العمل الطويلة وتعتمد على تقنيات بسيطة في الانتاج. أما في الوقت الراهن أصبح المزارعون يستخدمون باستمرار كافة الوسائل والآليات والتكنولوجيا لجعل العمل أكثر سهولة من ذي قبل. لتصبح الجرارات الزراعية سواء كانت كبيرة أو صغيرة تخدم هذا الغرض في مساعدة المزارعين في أعمالهم اليومية. كما أن هناك الكثير من المعدات الزراعية التي يجب استخدامها وأخذها في الاعتبار. لقد أحدثت التكنولوجيا المستعملة في الزراعة في خلق تحولات عميقة مكنت المزارعين التخلص من متاعبهم ومن الرفع من الانتاجية الزراعية وجودتها.

**4-1- وسائل الانتاج المستعملة في الزراعة**

اقتصر سكان جماعة البحارة أولاد عياد قديما على استعمال وسائل بسيطة في الزراعة، كالمحراث الخشبي في حرث الارض وعلى الطاقة الحيوانية في عملية الجر( تسمى محليا بالزوجة)، ولحفظ البذور وتخزينها على المطمورة (حفر أرضية)، أما الان فقد عرفت الوسائل والادوات الزراعية تطورا مهما، بفضل تدخل الدولة من أجل تطوير النظم الزراعة ومدها التجهيزات العصرية الضرورية، ساعدت على التقليل من معاناة المزارعين وفي ربح الوقت والرفع من الانتاجية، هذا التحول في الاستعمالات والممارسات الزراعية كانت له انعكاسات إيجابية على حياة السكان، بحيث تحسنت أوضاعهم المعيشية بفعل ارتفاع مداخيلهم، فهذه النتائج كانت من الاهداف التي إنبنت عليها البرامج والسياسات الزراعية بالمغرب.

وقد مس التحديث الزراعي الذي عرفته المنطقة فئة اليد العاملة، التي كانت قديما تشتغل وفق أنماط توارثها المغاربة عن الفترات قبل الرأسمالية، بحيث كانوا وفق نظام الرباعة أو الخماسة أو كأجراء غير دائمين موسميين ومياومين[1]، غالبيتهم المطلقة كانت من الرجال. أما الان فقد أصبحت اليد العاملة المحلية متخصصة في الزراعة، ولم يعد العمل حكرا على الذكور بل أصبحت النساء هم الاكثر نشاطا في هذا القطاع، بل أصبح الطلب عليهم في تزايد مستمر خاصة مع دخول زراعة الفواكه الحمراء إلى المجال المدروس، بهدف تشغيلهم داخل المزارع الانتاج أو الوحدات الصناعية، بل هناك منهم من يتم نقلهم خارج البلاد (إسبانيا) للاستغلال في الزراعة بشكل موسمي، على العموم فاليد العاملة الزراعية أصبحت تشتغل وفق مرجعيات قانونية ومهنية تضمن لهم حقوقهم، خاصة أن المغرب صادق على المواثيق الدولية المتعلقة بشروط العمل العادلة التي تعطي الحق لكل شخص في التمتع بشروط عمل عادلة ومرضية مبنية على المساواة والانصاف[2].

كما أظهر الاحصاء العام للفلاحة لسنة 1996 أن معظم الاستغلاليات الزراعية بتراب الجماعة كانت تعتمد بشكل رئيسي على اليد العاملة العائلية والتي شكلت حوالي 78,8% من مجموع الساكنة النشيط، أما المأجورة منها فلم تتجاوز نسبتها 19,3% وكانت تشتغل في معظمها في الاستغلاليات الزراعية الكبرى، لكن مع مرور السنوات تراجعت معدلات اليد العاملة العائلية، وانضمت لفئة المأجورة نتيجة وفرة فرص الشغل بشكل كبير داخل الجماعة وفي الجماعات المجاورة نظرا للتركز الكبير الذي عرفته الزراعات الحديثة بالمنطقة في مقدمتها زراعة الفواكه الحمراء.

ومن معالم التحولات التي أصبحت تعرفها اليد العاملة، أنها لم تعد كما كانت في السابق (تقليدية)، بل أضحت متخصصة تتقن التعامل مع الارض والنبات والتقنيات المستعملة في الزراعة، وذلك بفعل احتكاكهم المباشر والدائم مع هذه الزراعات التي اقتحمت المجال، بالإضافة للتوجيهات التي راكموها من المهندسين الزراعيين ومن المرشدين التابعين لوزارة الفلاحة، هذا ما مكنهم من نقل خبراتهم واستثمارها في إستغلالياتهم، هذا ما جعل المجال يظهر على شكل مشارات صغيرة متقطعة(parcelle) تنشط فيها زراعة الافوكادو والتوت الارض ...، كان لها الفضل الكبير في تنويع مصادر دخلهم وتحسن مستوياتهم المعيشية.

مبيان رقم 2: توزيع السكان النشيطين حسب الجنس بجماعة البحارة أولاد عياد

| الاحصاءات | عدد السكان | الساكنة النشيطة المشتغلة في سن 15 سنة فما فوق | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | الذكور | % | الإناث | % | الجنسين معا | % |
| 2014 | 19210 | 8528 | 82.7 | 1777 | 17.3 | 10305 | 53.6 |
| 2004 | 21462 | 7488 | 79.6 | 1915 | 20.4 | 9403 | 43.8 |

المصدر: الاحصاء العام للسكان والسكنى 2014.

تبرز الاحصاءات السكانية أعلاه أن معدلات النشاط بجماعة البحارة أولاد عياد عرفت تزايدا مهما بين سنتي 2004 و 2014، حيث أنتقل من 43,8% إلى 53,6% بزيادة تقارب 10%، نسجل فيها هيمنة الذكور على الفئة النشيطة والتي وصلت

[1]– العربي المفضل: حول المسألة الزراعية في المغرب. دار الخطابي للطباعة والنشر,1985،ص 121

[2]– مرصد حقوق النساء العاملات في القطاع الفلاحي،' العاملات في قطاع الفواكه الحمراء نساء من أخل الكرامة، يوليوز 2016. ص 7

لحوالي 82,7% سنة 2014، وتراجع معدل النشاط في صفوف النساء رغم ضعفه إذ تراجعات نسبته من 20,4 سنة 2004 إلى 17,3 سنة 2014، فهذا التراجع مرده بالأساس إلى استقطاب العاملات في الفواكه الحمراء وإغرائهم تن أجل الذهاب للاشتغال في الزراعة في الارضي الزراعية الاسبانية. تتوزع اليد العاملة النشيطة بشكل متفاوت بين قطاعات النشاط والمهن بالجماعة، فمعظمهم ينشط بشكل أساسي في الفلاحة، فهذا القطاع لوحده يشغل قرابة ثلثي ساكنة النشيطة 63,6%، أغلبهم عبارة عن عمال مأجورين 90% والعمال الاحرار 10%، وفي المرتبة الثانية نجد الصيد البحري والذي يشغل 16,3 مع العمال نظرا لان الدماعة تطل على المحيط الأطلنطي غربا والمرجة الزرقاء شرقا.

**2-4- التقنيات والاساليب المستعملة في الزراعة**

يشكل الماء العنصر الاساسي في عملية الانتاج الزراعي، لأنه يعطي دفعة قوية لمن يمتلكه للرفع من الانتاجية والمردودية، فالإقبال على استهلاك المياه أمر لا مفر منه في إطار نظام زراعي يقوم على التكتيف واستغلال الامكانات المتاحة إلى أقصى حد[1].

تتزود غالبية الاراضي الزراعية المسقية بمصدر واحد من مياه السقي هو الضخ بواسطة الابار، فظهور هذا المورد شكل ثورة على المستوى الزراعي، تغير معه معالم المشهد الزراعي برمته وتحول من مجال كانت تطغى عليه الاراضي الزراعية البورية والمراعي الواسعة لمجال يعرف تقطيعا وتنظيما لازالت أثاره مستمرة ليومنا هذا، ونتيجة للاعتماد على الابار لوحدها في عملية الري المحاصيل الزراعية، أصبحت الفرشات الباطنية معرضة للضغط بالخصوص في الاراضي الرملية خلال فترات الصيف التي تنشط فيها زراعات الخضروات والفول السوداني والفاصولياء..... على نطاق واسع من طرف صغار المزارعين, وفي السنوات الاخيرة أصبحوا يشتكون بكثرة من قلة المياه ويرجعه معظمهم للمزارع الكبرى التي توجد بدواويرهم أو بالمحاذات لها، نتيجة استعمالهم لمحركات ضخ كبيرة الحجم، بحيث يتم تخزين المياه فيها بواسطة أحواض كبرى مجهزة لذلك (bassin d'irrigation). ونتيجة لارتفاع الطلب على الماء ومخافة تعرض الفرشة الباطنية للضرر( النضب) بسبب الضخ الكبير، والذي يمكن أن يعرض الفرشة لتسرب مياه المحيط لها عبر الشقوق بفعل تراجع مستوياتها خلال فترات الصيف نظرا لقربها من الفرشات المحيطية المالحة، بالإضافة لعدم استفادة المنطقة من برامج السقي المخصصة لمنطقة الغرب في الشطر الاول والثاني بسبب تواجدها في مناطق مرتفعة (تلال للا زهرة والمركب الكثيبي) يصعب إيصالها بقنوات السقي. ولضمان استمرارية الزراعة في المناطق السقوية الساحلية للجماعة وحمايتها فرشاتها من خطورة النضب والتملح، أدمج المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الغرب منطقة الدراسة إلى المجالات التي سوف تستفيد من الشطر الثالث لري منطقة الغرب، والذي سيجهز بالسقي الموضعي للزراعات المغطاة.

على مستوي تقنيات وأساليب الري المستعملة من طرف المزارعين، فقد مكنتنا الزيارة الميدانية من الوقوف على جميع التقنيات ومن أهمها:

[1]– عبد الله شخمان: السقي والتنمية السقي والتنمية بحوض اللكوس: حالة جماعتي للا ميمونة والشوافع إقليم القنيطرة، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة إبن طفيل القنيطرة، سنة 2006 ص 89.

**السقي الموضعي (التنقيط):** يعتبر هذا النوع من السقي هو الأكثر انتشارا "أكثر من 1500 هكتار" بين المزارعين بمختلف شرائحهم, لأنه يساعدهم على التحكم في عملية الانتاج بشكل جيد، ويمكنهم من الحصول على منتوجات زراعية ذات إنتاجية كبيرة، كما تمكنهم أيضا من تمرير الاسمدة والمخصبات الزراعية للنبات بشكل مباشر عن طريق مياه السقي، إلا أنها تبقى مكلفة نظرا لارتفاع أثمنتها وغياب الدعم عنها في المنطقة، فهذه التقنية تصلح لجل الزراعات الموجودة بالمنطقة.

**السقي بالرش:** تعد هذه التقنية من أحدث التقنيات التي توصل إليها الانسان في عملية السقي، فهي تساعد المزارعين في الحصول على زراعات ذات إنتاجية ضخمة، يعاب عليها أنها لا تستعمل في جل الزراعات الموجودة في الجماعة وتقتصر على زراعة الفول السوداني والجزر والحبوب وبعض الزراعات العلفية.

## II. دور المقومات الطبيعية في عملية التحديث الزراعي بجماعة البحارة أولاد عياد

تلعب المقومات الطبيعية دورا مهما ومحوريا في قيام الانشطة الزراعية في منطقة ما، فكلما كانت هذه المقومات متوفرة بشكل مناسب كانت الزراعة نشيطة وبإنتاجية مهمة والعكس صحيح، ومن أبرز المقومات الطبيعية المؤثرة في الزراعة نجد التربة والماء والمناخ والتضاريس، فغياب عنصر واحد أو ضعفه يمكن أن يشكل مصدر ضعف للزراعة. فما هي المقومات الطبيعية التي تتوفر عليها جماعة البحارة أولاد عياد؟

### 1- التضاريس يغلب عليها ضابع الانبساط

تمتاز جماعة البحارة أولاد عياد بوضعية طبوغرافية يطغى عليها الانبساط، وذلك بفعل تموقعها داخل سهل الغرب والذي يقع بين تلال مقدمة الريف شمالا، وهضبة غابة المعمورة جنوبا و يتصل شرقا بسهل سايس ويحده غربا المحيط الأطلسي. تقل ارتفاعات هذه المنطقة الطبيعية في اتجاه الغرب[1].

من الناحية البنيوية : فإن المنطقة المدروسة تجمع بين وحدتين بنيويتين متباينتين في الشمال نجد تلال مقدمة الريف الملتوي المرتبط بالحركات الألبية والمتقدم ببنائية زاحفة من الشمال والشمال الغربي نحو الجنوب والجنوب الشرقي[2]، ويمثل حوالي 25% من مجموع مساحة الجماعة المدروسة[3]. تعرف بتلال للا زهرة، إذ تصل السهل بالجبال الريفية ذات المواد الهشة_ الصلصالية التي تعود للزمن الثاني والثالث، والتي نسجت عبر الزمان أشكال متعددة من التعرية. متخذة حزاما يمتد من وسط الجماعة في اتجاه شرقها. بالإضافة للبل الكثيبي المطل على الشريط الساحلي والذي هو عبارة عن مجموعة من الاشرطة الرملية المختلفة الاعمار والتكوينات والتي تتدرج من الحديث إلى القديم كلما ابتعدنا عن خط الساحل، أغلب أراضيها في طور التجهيزات، حيث ستستفيد مستقبلا من المرحلة الثالثة من مشروع سقي منطقة الغرب، وتنشط بها زراعات عصرية مهمة مثل الفواكه الحمراء والافوكادو والاناناس والموز.....[4]،يوجه جزء كبير منها نحو التصدير، والبقية منها يتم بواسطتها تغذية الاسواق الداخلية.

وفي شمالها الغربي نجد سهل الغرب الأعلى والذي يعتبر المجال الانتقالي بين السهل الجنوبي للغرب و تلال مقدمة الريف في الشمال، فهذه الوحدة هي السائدة بتراب الجماعة، بحيث تشكل حوالي 45% من المساحة الكلية للمجال المدروس. كما يوجد داخل هذا السهل بعض المرجات القديمة في جزئه الجنوبي الغربي والشمالي الغربي (المرجة الزرقاء والملاح وبسمارة)،

---

13)بلعربي المختار: التجهيز الفلاحي لسهل الغرب: التهيئة الهيدروفلاحية :مشاريع و إنجازات. ورد ضمن (البنيات العقارية و التنمية في المغرب –حالة الغرب– منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالقنيطرة، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 6 سنة 2005 ص8,

14)الغازي عبد الخالق معطيات حول الطبيعي بمنطقة الغرب ، ورد ضمن (منطقة الغرب المجال و الانسان) أعمال الندوة العالمية التي نظمت في كلية الآداب والعلوم الانسانية القنيطرة أيام 22–23–24 أكتوبر 1991.ص12

3– مونوغرافية الجماعة سنة 2014

4– دراسة تصميم التهيئة لمصباح الرويف، المركز الرئيسي للجماعة القروية بحارة أولاد عياد 2016

والتي تشكل حوالي 30% من مجموع المساحة الاجمالية للمنطقة [1]، كما تعتبر من أهم المناطق الرطبة وطنيا وذلك بسبب وجود المرجة الزرقاء وهي محمية دولية تبلغ مساحتها حوالي 7000 هكتار. أما فيما يخص الارتفاعات المطلقة نجدها تتراوح ما بين1م بجوار المرجة الزرقاء و 100م في الجنوب الغربي[2].

2- **تربة متنوعة تمتاز بالغنى والخصوبة**

تعتبر التربة المكون الاساسي للمجال الساحلي من خلال توزيع الرمال على الشواطئ التي نقلها النهر وزحف بها في اتجاه الداخل، مما خلق مجالاً يتكون أساساً من أتربة رملية يشبه الساحل. كما أن التربة تعتبر هي الرأسمال الحقيقي لكل المشاريع التنموية خصوصاً منها الفلاحية كما تعتبر دراسات التربة سواء لأهداف زراعية أو لأهداف الهندسة القروية أو الهندسة المدنية هي المدخل الرئيسي لتوجيه التهيئة المجالية. فالغرب عرف العديد من الدراسات في هذا المجال على أساسها تمت تهيئة وجهيز المنطقة من أجل الاستثمار فيها بشكل عقلاني.

**المبيان رقم3 : أنواع الأتربة بجماعة البحارة أولاد عياد**

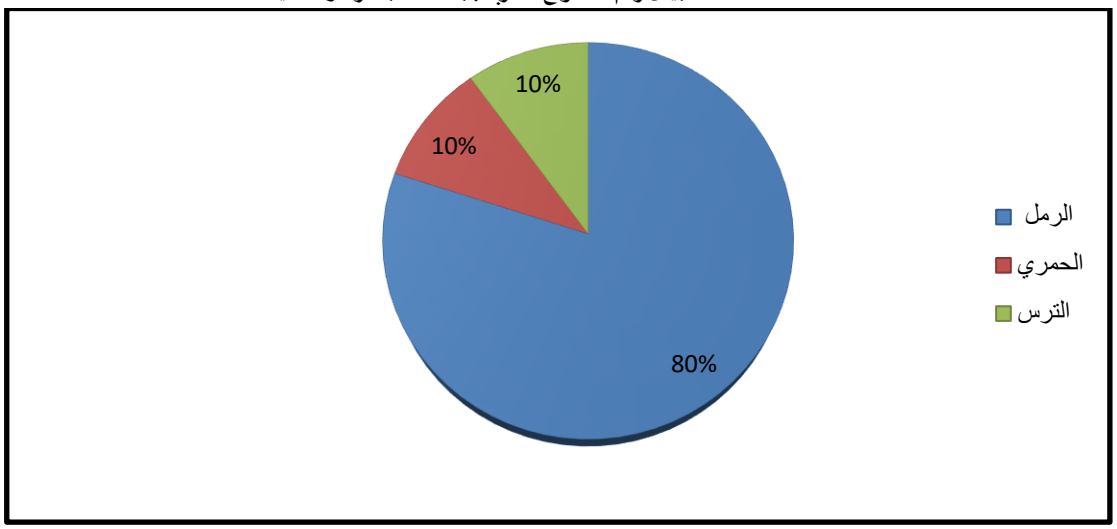


**المصدر : منوغرافية جماعة البحارة أولاد عياد 2014**

بشكل عام تعد التربة هي الرأسمال الحقيقي لأغلب مزارعي المنطقة، نظرا لتنوعها وسمكها الكبير، إذ نميز فيها بين نوعين من الاتربة الرئيسية:

- تربة الترس: تعد الأكثر انتشارا بحيث تغطي لوحدها 73% من مجموع أتربة الجماعة، فمعظمها نموذجية صالحة لممارسة الأنشطة الزراعية، إذ نجدها تتركز بشكل كبير في تلال للا زهرة والمناطق المحاذية للمرجة الزرقاء، كما تتميز بارتفاع نسبة الاطيان والمواد العضوية والمعدنية، لكنها بالمقابل تتسم بضعف نفاذيتها للمياه مما يصعب التعامل معها عندما تكون مبتلة، توالم في الغالب وزراعة الذرة والقمح والخضروات وقصب السكر بالإضافة لبعض المزرعات العلفية.
- تربة الرمل: تغطي ما مجموعه 27% من تراب الجماعة( تشكل تربة الحمري 10% منه). تنتشر هذه الاتربة بالأساس بالقرب من المناطق الساحلية وفي الاماكن السهلية، تتميز بنفاذيتها المفرطة وبضعف معدلات الاطيان والمادة العضوية، وهي تربة صالحة للزراعة وملائمة لكل الزراعات المتأقلمة مع مناخها، كما أنها ملائمة لزراعات البيوت

[1]– مونوغرافية الجماعة الخاصة بالمكتب الجهوي للإستثمار الفلاحي للغرب سنة 2016.
[2]) دراسة تصميم التهيئة لمصباح الرويف، مرجع سابق.

المغطات وللزراعات ذات القيمة المضافة العالية كالأفوكادو والفواكه الحمراء بكل أنواعها والتي أصبحت تنتشر بشكل كبير يوما بعد يوم.

3- **مناخ متوسطي ملائم لازدهار الزراعة**

بحكم الموقع الجغرافي لجماعة البحارة أولاد عياد بالقسم الشمالي الغربي للمملكة المغربية، والتي توجد بين خطي طول 6.05° و 6.25° غرب خط غرينيتش، وخطي عرض 34.40° و 34.50° شمال خط الاستواء، وبه فإن المنطقة تصنف ضمن المناخ المتوسطي الذي يتميز على العموم بفصلين مختلفين من حيث خصوصياتهما. فصل حار وجاف صيفا، وآخر ممطر ودافئ شتاء. إلا أن هذا لا يكفي في تحديد الخصائص المناخية للمنطقة، فجماعة البحارة أولاد عياد تتميز بمناخ غير مستقر متسم بالتذبذب في كميات التساقطات من سنة إلى أخرى، قد تنزل في بعض السنوات إلى حوالي 260 ملمتر وفي أحيان أخرى ترتفع لتصل إلى حوالي 980 ملمتر [1].عموما يمكن حصر متوسط التساقطات بين 500 و 600 ملم في السنة.

**مبيان رقم 4: معدل التساقطات السنوية بجماعة البحارة اولاد عياد بين سنة 1979 – 2016**

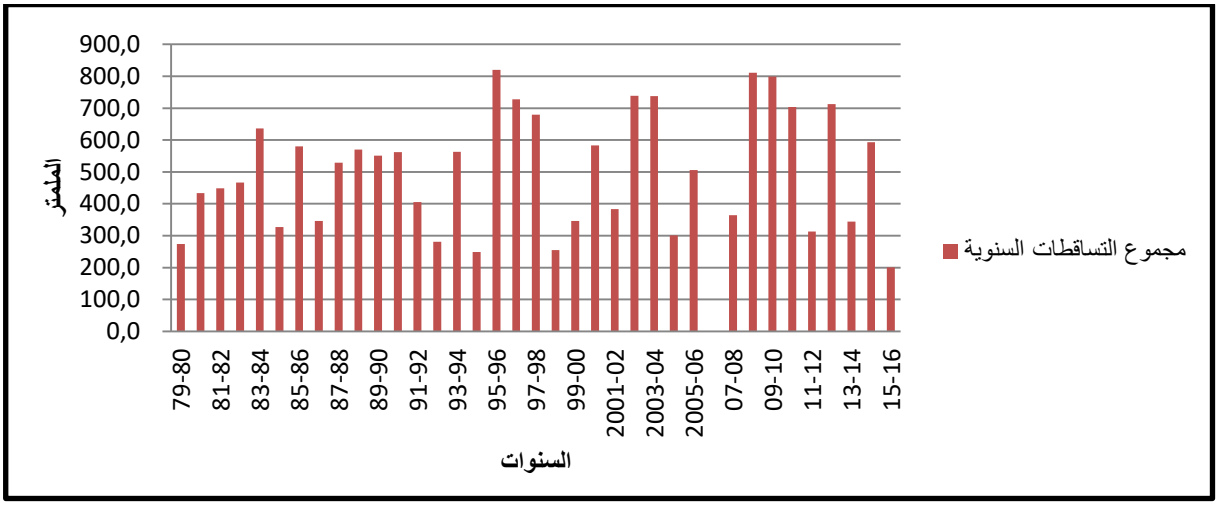


**المصدر: معطيات محطة سيدي علال التازي**

كما تتميز الحرارة بالاعتدال نظرا لتأثرها بالكتل الهوائية البحرية التي تلطف الجو، وتلعب الحرارة دورا مهما في تحديد المناخ الذي يهم المنطقة، كما لها تأثيرات مباشرة ومهمة على عناصر طبيعية أخرى مرتبطة بالمجال الفلاحي كالمياه والتساقطات والغطاء النباتي، ويبلغ معدل الحرارة في هذه المنطقة حوالي 13 درجة في فصل الشتاء و27 درجة الصيف .

**مبيان رقم 5: المتوسط السنوي للحرارة بجماعة البحارة أولاد عياد بين 1979 - 2016**

[1]– معطيات مركز الأشغال الفلاحية سوق الاربعاء 2014.

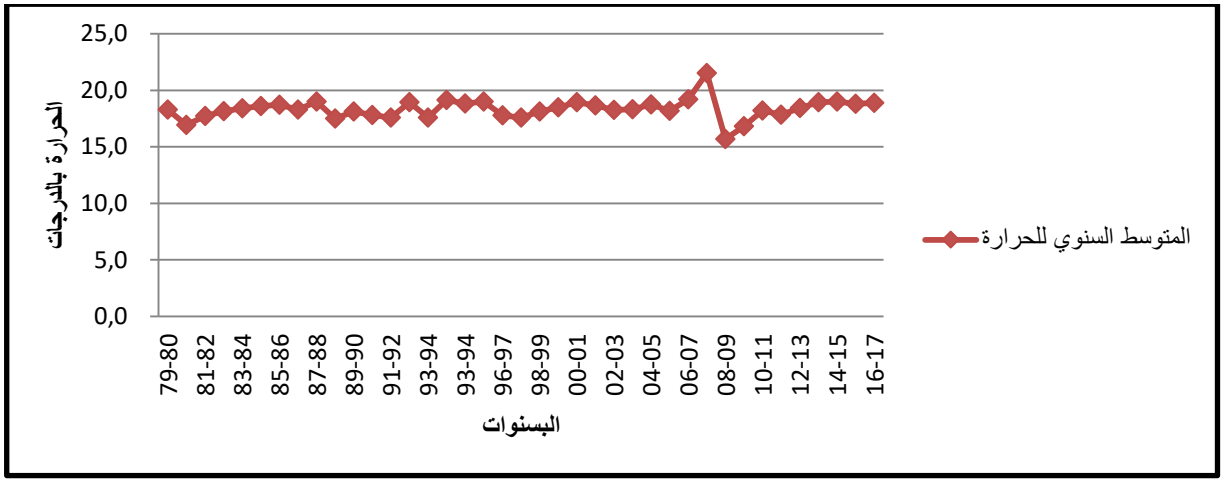


المصدر: معطيات محطة سيدي علال التازي

### 4- موارد مائية مهمة تمتاز بالتنوع

تتوفر جماعة البحارة أولاد عياد على ثروة مائية مهمة ومتنوعة، كانت سببا رئيسا في انتشار الزراعة المسقية بالمجال، بفضلها تم تجهيز مساحات مهمة من الاراضي الخصبة الصالحة للزراعة بالضخ الخاص، ومن أهم الموارد المائية التي يتيحها المجال نجد:

- **موارد مائية سطحية**: تخترق الجماعة مجموعة من الشعب والقنوات المائية من أبرزها قناة الناظور والفكرون والدوارة، كما توجد بها عدة بحيرات منها من هو دائم كبحيرة المرجة الزرقاء، ومنها ما هو موسمي كبحيرة الملاح وسمارة.
- **موارد مائية باطنية**: تتمتع المنطقة المدروسة بغنى مواردها المائية الجوفية نظرا لأنها تقع في مجال توجد به فرشتين مختلفتين[1]،
- **الفرشة الغرب**: توجد في جنوب الجماعة والمطلة على خط الساحل والمعروفة أيضا بفرشة المناصرة، تتألف من طبقتين فرشة قريبة من السطح على عمق 2-5 امتار، وأخرى عميقة تعد خزانا ضخما للمياه يصل عمقها إلى أكثر من 20 متر كلما ابتعدنا عن خط الساحل, وتصل ميزانيتها السنوية لحوالي261 مليون متر مكعب.
- **فرشة الدرادر الصوير**: تعد المزود الرئيسي للمزارعين في الجزء الشمالي والشمال الشرقي من المنطقة، كما تعتبر الامتداد الجنوبي لفرشة الرمل والتي يتراوح عمقها بين 5 - 10 أمتار، وتقدر ميزانيتها السنوية ب 111 مليون متر مكعب. وتصنف مياهها من أفضل المياه المجودة في سهل الغرب، ، تستغل معظمها في سقي المزروعات، مما يعرض استدامتها للخطر[2].

**خاتمة:**

أصبحت جماعة البحارة أولاد عياد منطقة جذب للمشاريع وللاستثمارات الزراعية الكبرى، بفضل المقومات الطبيعية المهمة التي تتوفر عليها، إلى جانب التدخلات الاستعمارية قديما من أجل إعداد وتهيئة المجال( سهل الغرب) ليصبح صالحا لممارسة الزراعة، وذلك عن طريق تجفيف المرجات واستصلاح الاراضي ومدها بالتجهيزات الهيدروفلاحية...، كما لعبت المخططات الاقتصادية التي تبنتها الدولة بعد الحصول على الاستقلال، والسياسات القطاعية الاخرى التي تلتها دورا مهما في تطوير النظم الزراعية بسهل الغرب وبجماعة البحارة أولاد عياد على وجه الخصوص. وجود هذه العوامل وتجمعها

[1]– منوغرافية جماعة البحارة أولاد عياد 2014.
[2]– معطيات وكالة الحوض المائي لسبو،

وترابطها داخل هذا الحيز الترابي، كان سببا رئيسيا في تحريك عملية التحديث الزراعي وعصرنته بشكل سريع. ما جعلها تحتل مكانة مهمة في الخارطة الزراعية للمملكة الراهنية والمستقبلية.

## لائحة المصادروالمراجع:


- عبد الله صدقي: إعداد التراب والتنمية المحلية بجماعتي المناصرة وبنمنصور " إقليم القنيطرة" بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة إبن طفيل القنيطرة، سنة 2006
- عبد الله شخمان: السقي والتنمية السقي والتنمية بحوض اللوكوس: حالة جماعتي للا ميمونة والشوافع إقليم القنيطرة، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة إبن طفيل القنيطرة، سنة 2006
- بورقية رحمة: الارياف المغربية في ظل التحولات الكبرى للمجتمع، مطبعة دار المعارف الجديدة الرباط، عرض حول التحديث الزراعي بالمغرب 2002.
- عبد الله صدقي: في قضايا التنمية والتنمية المحلية، المطبعة السريعة، الطبعة الاولى2010
- الغازي عبد الخالق معطيات حول الطبيعي بمنطقة الغرب، ورد ضمن (منطقة الغرب المجال و الانسان) أعمال الندوة العالمية التي نظمت في كلية الاداب والعلوم الانسانية القنيطرة أيام 22-23-24 أكتوبر 1991.
- بلعربي المختار: التجهيز الفلاحي لسهل الغرب: التهيئة الهيدروفلاحية :مشاريع و إنجازات. ورد ضمن (البنيات العقارية و التنمية في المغرب -حالة الغرب- منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالقنيطرة، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 6 سنة
- العربي المفضل: حول المسألة الزراعية في المغرب. دار الخطابي للطباعة والنشر,
- إدريس الكراوي – عبد العزيز النويضي: الاقتصاد المغربي نموذجا الفلاحة والاستثمار الاجنبي، دار تبقال، الطبعة الاولى
- محمد الاسعد: البيئة والتنمية القروية المستديمة بالمغرب، مطبعة دار القرويين، الطبعة الاولى 1999
- المغرب الممكن: تقرير الخمسينية. إسهام في النقاش العام من أجل طموح مشترك. مطبعة دار النشر
- مخطط المغرب الاخضر، الحصيلة والاثار 2008 – 2018، وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات
- مرصد حقوق النساء العاملات في القطاع الفلاحي،' العاملات في قطاع الفواكه الحمراء نساء من أخل الكرامة، يوليوز 2016.
- الحصاء العام للسكان والسكنى بالمغرب سنة 2014.
- منوغرافية جماعة البحارة أولاد عياد 2014
- مونوغرافية الجماعة الخاصة بالمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للغرب سنة 2016.
- دراسة تصميم التهيئة لمصباح الرويف، المركز الرئيسي للجماعة القروية بحارة أولاد عياد 2016
- مركز الأشغال الفلاحية سوق الاربعاء 2014.
- وكالة الحوض المائي لسبو

# تدبير الموارد المائية بتساوت العليا بين الاستغلال

# ورهانات التنمية المستدامة (المغرب)

# tasaout supreme Management water resources in the province of between exploitation and sustainable development stakes (Morocco)

سهام الزيتوني، طالبة باحثة في سلك الدكتوراه، مختبر دينامية المشاهد والتراث، جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، المغرب.

Siham.ez.zitouni12@gmail.com

محمد الراضي، أستاذ التعليم العالي، تخصص الجغرافيا، مختبر دينامية المشاهد والتراث، جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، المغرب

**ملخص**

يهدف هذا المقال إلى معالجة إشكالية أساسية تتعلق بتدبير الموارد المائية بتساوت العليا بين الاستغلال ورهانات التنمية المستدامة، وانعكاسات ذلك على تنفيذ برامج التنمية الفلاحية. وتعد هذه الدراسة من أحد الموضوعات المستجدة على المستوى العالمي. ضمن هذا الإطار ، اعتمدنا نهجًا وصفيًا وتحليليًا من خلال تسليط الضوء على التحديات المختلفة التي تواجه التدبير المائي .لذلك سنحاول معالجة إشكالية تدبير الموارد المائية باعتبار المياه مصدر طاقة استراتيجي ، يرهن مستقبل الدول والأفراد في حدود تساوت العليا من خلال تقديم رؤية حول نظام المياه في المنطقة وجوانبها المختلفة ، وذلك باتباع آليات ترشيده لتحقيق التنمية المستدامة في تساوت العليا في كنف الأمن الغذائي والأمن الصحي ،والتعرف على أهم مهددات الطاقة المائية على المستوى العالمي بصفة عامة وعلى المستوى الوطني بالنسبة لتساوت العليا بصفة خاصة.

**الكلمات المفتاحية:** تدبير، الماء، التنمية الفلاحية، التنمية المستدامة، إستغلال.

**Abstract**

**This article aims to address a basic problem related to the management of water resources with with tasaout supreme between exploitation and stakes of sustainable development, and its implications for the implementation of agricultural development programs. This study is one of the emerging topics at the global level. Within this framework, we have adopted a descriptive and analytical approach by highlighting the various challenges facing water management. Therefore, we will try to address the problem of water resources management, considering water as a strategic energy source, mortgaging the future of countries and individuals within the upper bounds of equality, by providing a vision about the water system in the region. And its various aspects, by following the rationalization mechanisms to achieve sustainable development within the highest level in the context of food and health security, and identifying the most important threats to water energy at the global level in general and at the national level with regard to the tasaout supreme in particular**

**Keywords**: management, water, agricultural development, sustainable development, Exploit

**مقدمة:**

إن إشكالية الموارد المائية أصبحت تشكل خلال السنوات الأخيرة إحدى أهم التحديات الكبرى، والتي أصبحت تفرض نفسها وبقوة على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية بل وحتى السّياسية لما لها من تأثير واضح في رسم معالم السياسة الاقتصادية بالمغرب.

وبالتالي، فإن التمايز المكاني والزماني للمياه يفرض اعتماد سياسات مائية تهدف إلى تعبئة الموارد المائية وإعادة توزيعها لتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية متوازنة على المستوى الوطني. أما أما بالنسبة لموارد المياه الجوفية في المغرب، فيقدر بحوالي 4 مليارات متر مكعب في السنة. إلا أن الملاحظ أن أغلبها قد استغلت بوثيرة تفوق قدرتها على التجديد، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى استنزاف بعضها، مما سيؤثر بشكل كبير على صيرورة تنمية العديد من المناطق والجهات، على الرغم من أن المغرب قد بدأ في وضع سياسة مائية منذ ستينيات القرن الماضي.

**إشكالية الدراسة:**

تمثل المياه في جهة مراكش آسفي عامة، وقطاع تساوت العليا خاصة، عنصرا استراتيجيا في مسارها التنموي. تعتبر منطقة تساوت العليا من أقدم المناطق التي تم إعدادها بواسطة السدود الكبرى بالمغرب في إطار سياسة المليون هكتار، ويتعلق الأمر بسد آيت عادل على وادي تساوت الذي ساهم منذ بنائه بين 1966و1970 في نشر مظاهر تحديث وعصرنة القطاع الفلاحي عبر السقي والتأطير الفلاحي.

في هذه الحالة، يعتبر مجال الدراسة، الذي يمثله المجال الجغرافي " تساوت العليا ". من بين المجالات التي انعكست فيها بعض من تجلّيات وملامح ومستويات قضايا الموارد المائية، على اختلاف أبعادها ومظاهرها بحيث أصبحت إشكالية الموارد المائية تمثل إحدى أهم التحديات التي تواجه الساكنة المحلية في هذه المنطقة. من ناحية، والفاعلين المتدخلين في تدبير الموارد المائية بهذا المجال من جهة ثانية. ستتمحور إشكالية الدراسة حول سؤال مركزي: ماهي طرق تدبير الموارد المائية بتساوت العليا بين الاستغلال ورهانات التنمية المستدامة؟

تتفرع هذه الإشكالية بدورها إلى عدة تساؤلات فرعية، من أبرزها:

- إلى أي مدى سياسات الفاعلين قادرة، في تدبير الموارد المائية؟
- ماهي المشاكل التي تواجه هذه الأخيرة للمساهمة الإيجابية في تدبير الموارد المائية؟
- ماهي آفاق وطرق تدبير الموارد المائية بتساوت العليا؟

**فرضيات الدراسة:**

إنطلاقا من الإشكالية الرئيسية والأسئلة الفرعية وكذا الدراسة الأولية، يمكننا وضع مجموعة من الفرضيات التي سنعمل على تأكيدها أو نفيها، على سبيل المثال:

- ❖ يعد وادي تساوت والواد الأخضر من أهم موارد المياه السطحية في المنطقة.
- ❖ تنوع طرق السقي التقليدية والعصرية بتساوت العليا.

ISSN 2569-734X

❖ تعد تساوت العليا مجال ندرة بالنسبة للماء.

## منهجية الدراسة:

نعتمد في هذه الدراسة على المنهج الاستنباطي، لاستنباط المعطيات من العام إلى الخاص، كما نعتمد على المنهج الاستقرائي، لدراسة الظواهر القابلة للملاحظة، دراسة جزئية للوصول الى حكم عام بالإضافة الى المنهج الوصفي التحليلي والكمي لوصف الظواهر، من أجل الوصول إلى الأسباب والعوامل التي تتحكم فيها، ويتم ذلك من خلال البحث الميداني ودراسة الحالة بهدف استخلاص النتائج وتعميمها. كما تم الاعتماد أيضًا على مجموعة من المراجع والمصادر المتعلقة بالموضوع، بالإضافة إلى اعتمادنا على العمل الميداني.

## مجال الدراسة

ينتمي مجال الدراسة (بتساوت العليا) لجهة مراكش آسفي (المغرب)، والى إقليم قلعة السراغنة ويضم الإقليم 43 جماعة ترابية..

كما يتوفر إقليم قلعة السراغنة على دائرتين سقويتين (تساوت العليا وتساوت السفلى) وفيما يلي خريطة توطين المجال المدروس.

**الخريطة رقم1: توطين مجال الدراسة وطنيا وجهويا و إقليميا**

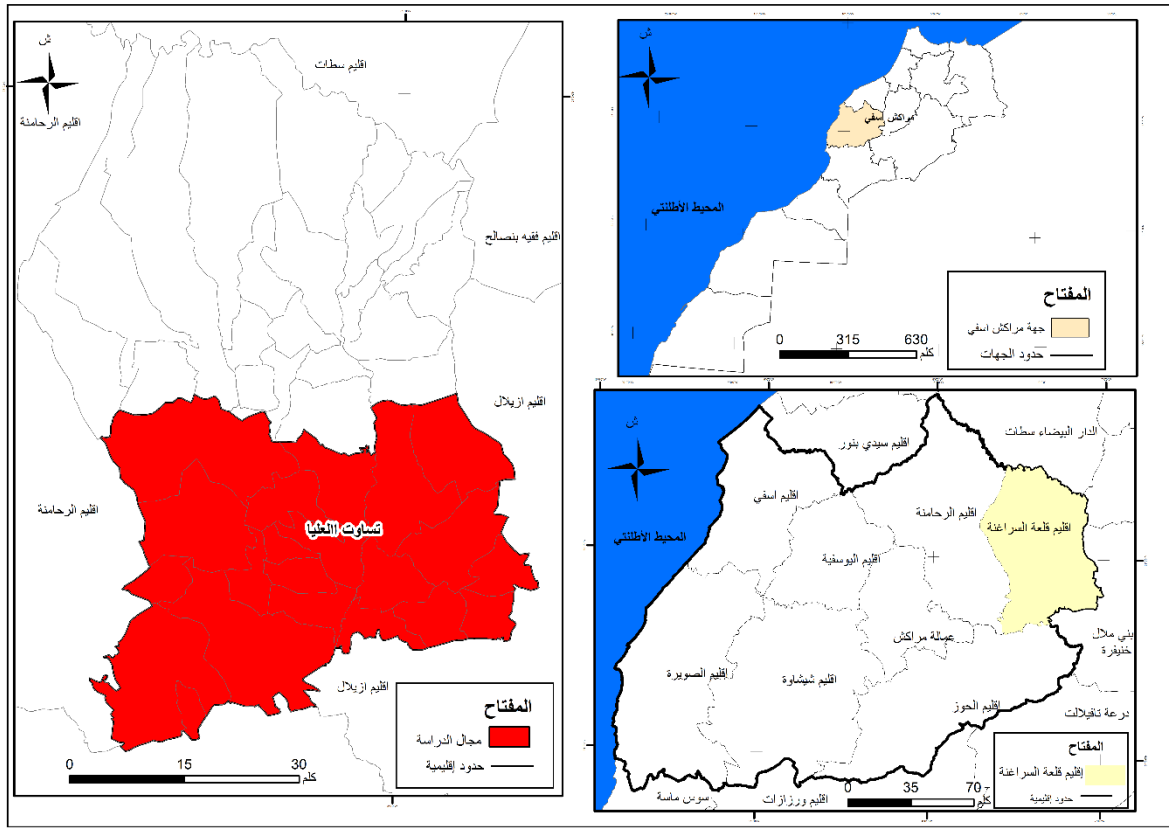


المصدر: التقسيم الإداري لسنة 2015

## 1ـ يسود بتساوت العليا مناخ شبه جاف

على الرغم من أن المناخ لا يمثل سوى عنصر واحد من عناصر النظام الطبيعي بتساوت العليا ، إلا أن تأثيره جد حاسم للغاية، بهذا المجال لأنه يتحكم في جميع الثروات الطبيعية، كما أن تأثيره يتجاوز ذلك بكثير ليمس الموارد المائية، بحيث يعتبر المناخ بهذا المجال عامل من أهم العوامل المتحكمة في الحصيلة المائية ، لذلك فإن المناخ وعناصره يعتبر من أكثر العوامل فاعلية التي تتدخل في الرفع من الحصيلة المائية وتطورها وتوزيعها المجالي، إلا أنه في المقابل يمكن أن يكون للمناخ دورا كبيرا في تدهور وتراجع الموارد المائية بهذا المجال، وبالتالي فان مصادر المياه بتساوت العليا تبقى ضعيفة ومقتصرة على التساقطات المطرية هده الأخيرة التي تبقى ضعيفة نسبيًا وغير منتظمة زمنيا ومجاليا، من هنا نود معرفة خصائص كل من الحرارة والتساقطات والرطوبة والتبخر بتساوت العليا وتأثيرها على الموارد المائية باعتبارها عوامل متحكمة إلى حد كبير في الميزانية المائية بالمنطقة.

### 1.1 تتميز التساقطات بتساوت العليا بعدم الانتظام

تعد تساوت العليا منطقة شبه جافة، تتميز بتساقطات ضعيفة وغير منتظمة سواء على مستوى نفس السنة، أو من سنة لأخرى. بحيث تتراوح على العموم ما بين 200 و300 ملم في السنة، فإن هذا المتوسط يعرف تغيرات مجالية واضحة، لذا فإن الأمطار تشكل المصدر الرئيسي للموارد المائية لكن كميتها الإجمالية لا تزال محدودة للغاية ، إذ يصل المعدل السنوي للأمطار 257 ملم في السنة بمحطة تساوت العليا ، وتسقط هده الكمية خلال أيام محدودة من السنة ، لأن معدلها السنوي لا يتجاوز 33 يومًا ممطرًا ، واليوم الممطر هو الذي تسقط خلاله كمية لا تقل عن 0.1 ملم على الأقل كيفما كان نوع التساقط ، خلال هذه الفترة ، وهي كمية غير كافية لتعويض العجز الحاصل على مستوى الموارد المائية، لذا فإن المنطقة تعاني من عجز مائي كبير، والذي لا بد من تعويضه بالبحث عن مصادر المياه الأخرى ، كما أن هذه الأمطار لا توزع بانتظام من سنة لأخرى، بل وداخل نفس السنة الواحدة[1]،

وهذا ما يتضح من خلال الخريطة التالية:

[1] Agence du bassin hydraulique de l'Oum errbia ; étude hydrologique de la nappe de la Tessaout aval ; Beni Mellal 2020 ; page 30

الخريطة رقم 2: معدل التساقطات السنوية بتساوت العليا ما بين 1983و2022

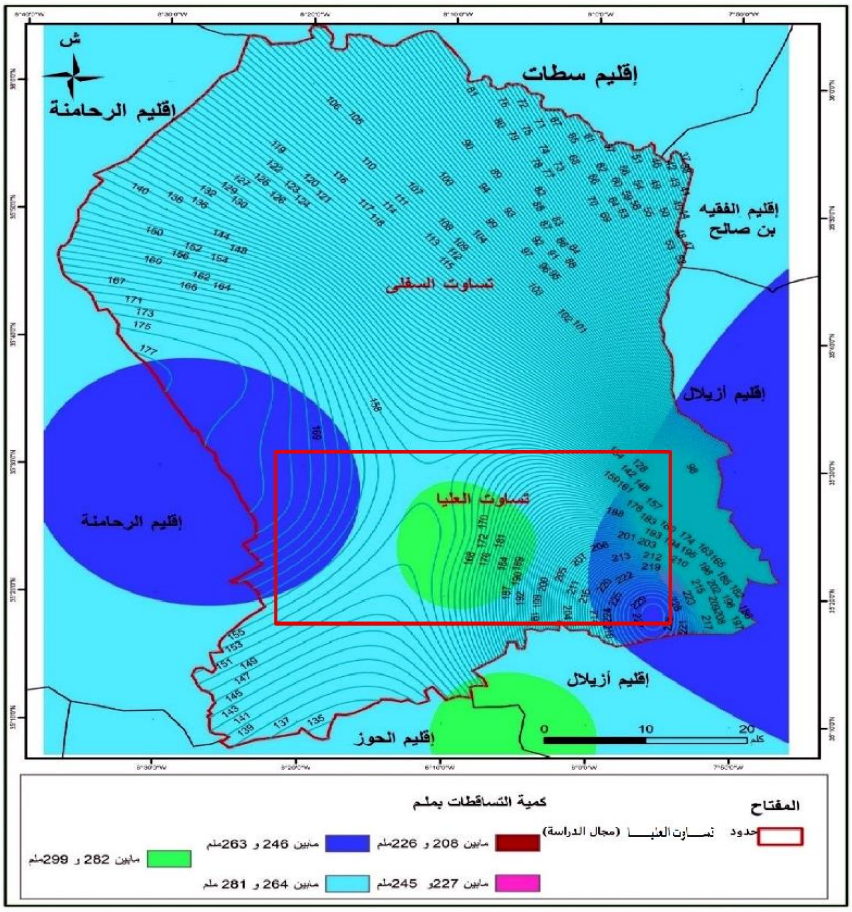


المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي، ملحقة قلعة السراغنة

بالإضافة إلى هذه الاختلافات البيسنوية، هناك تغيرات فصلية وشهرية بحيث يلاحظ تركز فصلي وشهري للأمطار، حيث بلغت أعلى كمية في فصل الشتاء بكمية تصل إلى 103 ملم، وهو ما يشكل حوالي 40.07 % من مجموع التساقطات السنوية، يحتل فيها شهر دجنبر المقدمة بكمية تصل إلى 39 ملم، وهو ما يمثل حوالي 37.86 % من الأمطار الشتوية

يليه فصل الربيع ب 79 ملم أي بنسبة 30.73 %، بينما لا يزال فصل الصيف فصل الجفاف إذ تتلقى المنطقة حوالي 12 ملم أي بنسبة 4.66 % ليشكل شهر يوليوز أكثر الشهور جفافًا على الإطلاق[1].

ونتيجة لذلك ، تعاني منطقة تساوت العليا من عجز مائي كبير خاصة في فصل الصيف، مما يؤثر سلبا على الحصيلة المائية ،بحيث ينتج عن قلة التساقطات المطرية واختلاف توزيعها المجالي والزمني، تأثير واضح على المياه ، خاصة وان مياه الأمطار تشكل المصدر الرئيسي للمياه الجوفية بالمنطقة والتي هي في غالب الأحيان عبارة عن فرشاة مائية موروثة عن أزمنة قديمة أهمها الفرشة اللياسية، والتي عرفت في السنوات الأخيرة استنزافا واضحا ومستمرا من طرف الساكنة المحلية خلال العقدين

[1] Agence du bassin hydraulique de l'Oum errbia ; étude hydrologique de la nappe de la Tassaout aval ; Beni Mellal 2019 ; page 30

الأخيرين، خاصة في الميدان الفلاحي في ظل غياب سياسة واضحة ومحكمة من طرف كل الفاعلين، والتي من شأنها أن تساهم في ضمان استغلال معقلن ومستدام للموارد المائية، لتلبية حاجيات الأجيال الحالية والمستقبلية[1].

بشكل عام يمكن القول بأن التساقطات المطرية بتساوت العليا تتسم بضعفها النسبي، بحيث تتراوح على العموم ما بين 200 و300 ملم سنويا، ويعرف هذا المتوسط تغيرات مجالية كبيرة، إذ تزداد التساقطات من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي، ويتضح هذا التباين أيضا في الزمان

سواء تعلق الأمر بالاختلافات البيسنوية، أو الاختلافات الشهرية ، الشيء الذي ينعكس بشكل كبير على الميزانية المائية العامة بالمنطقة من ناحية ، وعلى تكوين الفرشاة المائية الجوفية من ناحية أخرى [2].

من خلال ما تقدم يتبين لنا ان المنطقة كما هو الحال بالنسبة للمناطق المجاورة تعاني من خصاص مائي خلال فصل الصيف بالخصوص، مما يستدعي ضرورة السقي لسد الخصاص.

### 2.1 تختلف متوسطات الحرارة بتساوت العليا حسب الشهور

بالنسبة للحرارة، فالمنطقة تتميز بارتفاع درجات الحرارة صيفا والتي تصل أحيانا إلى أكثر من 40 درجة، وانخفاضها في فصل الشتاء حيث تصل أحيانا إلى ادني مستوى لها والتي انخفضت إلى 4 درجات. وفيما يلي مبيان يبين متوسط درجات الحرارة القصوى والدنيا بمحطة تساوت العليا.

**المبيان رقم 01: متوسطات الحرارة العليا والدنيا الشهرية بتساوت العليا**

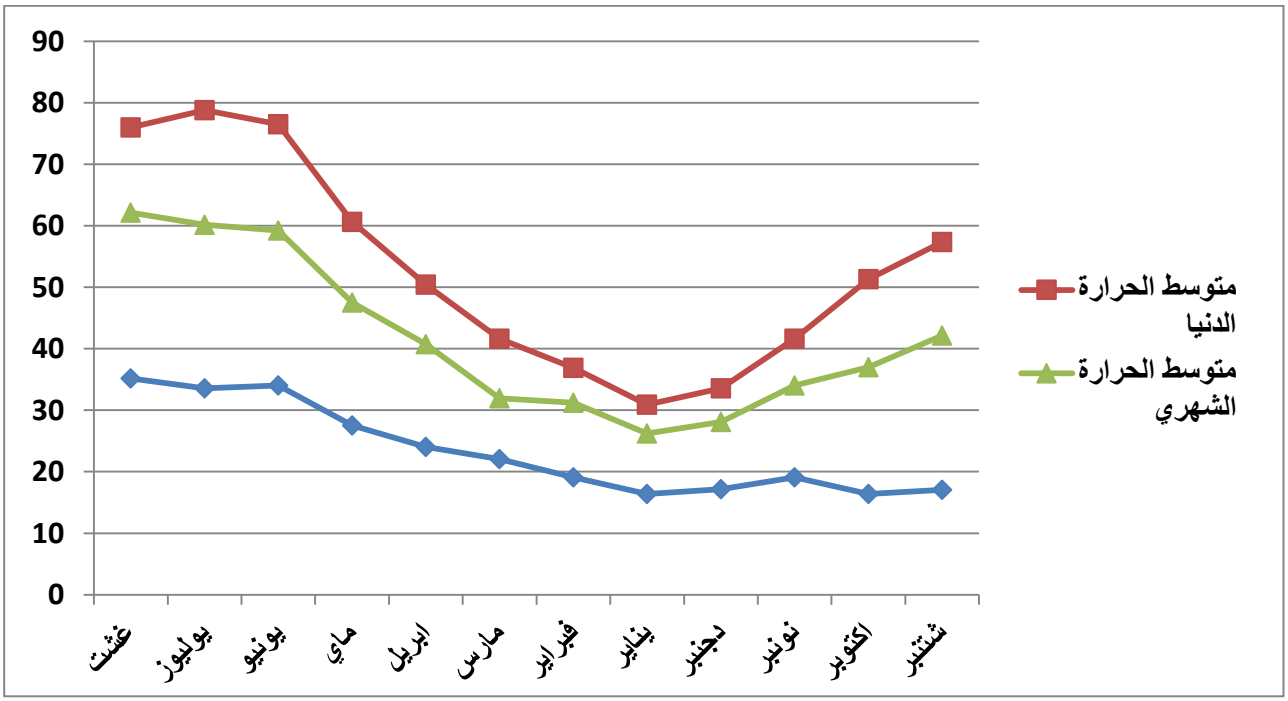


**المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز مراكش**

[1] . محمد الأكلع 2002: "المياه بمنخفض عين إيكلي الوضعية والمشاكل"، مقالة مأخوذة من كتاب: "الماء المتملك: الدول القسمة وحق التصرف في الحظ من الماء"، الطبعة الأولى، مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت، جامعة القاضي عياض، المطبعة والوراقة الوطنية–مراكش.

[2] L'Agence de l'OER Etude d'actualisation du PDAIRE de la zone d'action de novembre2008 ; p 4

يظهر أن الحرارة ترتفع بالمنطقة خلال الشهور الأربعة: يونيو يوليوز، غشت، شتنبر، حيث ترتفع في هذه الشهور القيم القصوى لدرجة الحرارة والتي تتراوح بين (35.16 و31.12) درجة مئوية.

يتراوح متوسط الحرارة الدنيا بين 4.68درجة و13.11درجة بكل من الشهور: دجنبر، يناير، فبراير، مارس، ابريل، غير أن هذا المتوسط يرتفع بكل من يونيو، يوليوز، أما متوسط الشهور الباقية من السنة فيتراوح ما بين 5.36و 15.22 درجة.

في مقابل هذا، فان أقصى حرارة تسجل في شهر غشت 26.97 درجة، وأدناها بشهر يناير 9.86 درجة، مما يوضح الاختلافات في المعدل من شهر لآخر.

يظهر مما سبق ان هناك اختلافا واضحا فيما يخص درجة الحرارة ما بين الشهور ونفس الشيء بالنسبة للفصول، وارتفاع درجة الحرارة بالمنطقة راجع إلى البعد عن البحر الملطف للجو والوضعية الطبوغرافية المنخفضة التي تميز الوحدات المرفوبنيوية المحيطة به

**3.1. رطوبة منخفضة تعرف تغييرات مهمة.**

إن صفة القارية التي تميز تساوت العليا التي تجعل درجات الحرارة مرتفعة بالإضافة إلى قلة التساقطات والغطاء النباتي

كلها عوامل ساهمت في انخفاض نسبة الرطوبة مع تغييرات شهرية مهمة. ارتفعت هذه الرطوبة النسبية من 2.51%في شهر شتنبر إلى 70.2 %في شهر يناير، لتنخفض مرة أخرى الى 43.5 % في شهر غشت. تم تسجيل أخفض قيمة خلال النهار ما بين الساعة 10و16 كما تعتبر نسبة 45 هي العتبة المناقضة لنمو النباتات، وقد تستغرق هذه النسبة مدة طويلة خلال السنة تصل إلى ستة أشهر من أبريل إلى أكتوبر.

**4.1 يساهم التبخر في جفاف تساوت العليا**

تعرف تساوت العليا تبخرا سنويا مهم، يفوق بكثير الكمية المائية المتساقطة، اذ تتراوح الكمية ما بين 1500 ملم/السنة و2000 ملم/السنة، خصوصا وان مدة التشميس تسجل حوالي 3156 ساعة/السنة أو 240 يوم بدون تغيم، مما يجعل كمية بخار الماء الموجودة في الهواء تفوق بكثير الكمية المتساقطة.

من خلال الجدول رقم [1] يتضح أن الحصيلة المائية التي تتلقاها المنطقة ضعيفة جدا، تحول دون تطوير العمل الفلاحي، بسبب ضعف التساقطات وقوة التبخر النتح، اللذان يسببان عجزا مائيا طول السنة خصوصا من شهر ابريل إلى شهر أكتوبر، وهذه الوضعية تكرس الاعتماد على عملية الري.

بالإضافة إلى الحرارة والتساقطات هناك عوامل أخرى تتحكم في التبخر كالرياح مدة التعريض الشمسي وقوة زاوية الإشعاع الشمسي، وكلها عوامل اخرى تتحكم في عملية التبخر والذي بدوره يتحكم في الماء.

**5.1. تتلقى المنطقة رياح مختلفة الاتجاهات.**

للرياح دور هام من الناحية المناخية، إذ أنها هي التي تحمل الكتل الهوائية الرطبة وكذلك الجافة، وبالتالي فهي من العوامل المحددة لنوعية المناخ الذي يسود في منطقة معينة. والرياح عموما تختلف من حيث نوعيتها، وخصائص قوتها، كما يلعب الموقع الذي توجد فيه المنطقة أي سهل الحوز عاملا أساسيا بحيث تهب طيلة السنة رياح مختلفة الاتجاه: فخلال فصل الشتاء تهب رياح شمالية باردة رطبة. مما يؤدي الى اضطراب الجو، وانخفاض الحرارة، ثم تتساقط الأمطار كما تهب

رياح شمالية شرقية باردة وجافة مصدرها أوربا الوسطى، أما في فصل الصيف فتهب رياح حارة وجافة من الجنوب، والشرق أهمها "القبلي السيروكو" و"الشركي"1 مما يؤدي الى ارتفاع درجة الحرارة. ويبلغ عدد أيام هبوب رياح الشركي بالمنطقة حوالي 39 يوما في السنة.

كما تتميز سرعة رياح المنطقة بكونها ضعيفة تتراوح بين 1.2 و1.8م/ث في السادسة صباحا، وبين 2.3 م/ ن عند الزوال وبين 4.2 م/ ن في السادسة مساء.

حيث اكتساح الأراضي الغابوية والفلاحية والشاغرة، فبحلول سنة 2022 فهناك تراجع لمختلف الأراضي ذات الاستعمال الزراعي (مسقية وبورية) والمجالات الغابوية والأراضي الشاغرة أي الفارغة وذلك ن بسبب أزمة الجفاف التي تعاني منها المنطقة خلال هذه الفترة.

## 2. تتميز الموارد المائية بالتنوع لكنها تتعرض لاستنزاف كبير.

تتوفر المنطقة على موارد مائية مهمة يمكن تقسيمها إلى قسمين: المياه السطحية والجوفية.

### 1.2 -المياه السطحية

ينتمي الجريان الطبيعي للمياه السطحية بالمنطقة إلى الحوض النهري لام الربيع، الذي يعتبر ثاني حوض هيدروغرافي بالمغرب يمثل فيها حوض تساوت السفلى ما يقرب من 5900 كلم2، ينفرد هذا الأخير بشبكة هيدروغرافية تتركب من الأودية التالية:

#### 1.1.2 واد تساوت

يتراوح عرضه ما بين 100 الى 500 متر، ثم معدل انحدار يصل إلى 4.5 مليار / متر. أما طوله فيساوي 45 كلم، يرفد منطقة تساوت السفلى بعد أن يتلقى عند حاشية الدير جنوبا رافده الرئيسي واد لخضر على بعد 7 كلم تقريبا، ثم يتجه نحو الشمال قاطعا مسافة 45 كلم قبل لن يقترن بوادي أم الربيع. ويعتبر المجرى الرئيسي الذي يخترق تساوت العليا وتتفرع عنه عدة سواقي سواء في العالية أو السافلة لكن أهمية هذه السواقي انخفضت إثر تحويل مياه رافده واد لخضر لسقي الحوز الأوسط، مما رافقه عدة توترات اجتماعية وأضرار اقتصادية كاجتثاث الآلاف من أشجار الزيتون بمنطقة بني عامر بفعل الجفاف، وحرمان هذه المنطقة من مياه الواد التي كانت تنظم جريانه وبالتالي تغذية السواقي بالمياه.

الصورة رقم 1: واد تساوت

المصدر: عدسة الباحثة، 12، 04، 2023

ويعتبر صبيبه غير قار، فهو شديد الارتباط بكمية الأمطار التي تسقط بمنطقة مجراه فهو يرتفع بشكل ملحوظ في السنة الممطرة وينخفض في السنة الجافة وداخل نفس السنة نلاحظ تغير الصبيب على مستوى الشهر الواحد حيث أن الصبيب يكون مهما في الشهور الأكثر مطرا بينما الشهور الجافة ينزل فيها مستوى الصبيب بشكل ملحوظ.

**2.1.2.واد لخضر:**

يبلغ طوله 50كلم، وتبلغ مساحة الحوض الذي ينحدر منه 550كلم مربع ومعدل السنوي لصبيبه هو505 مليون لتر مكعب، وهو احد روافد نهر ام الربيع بعد التقائه وسط السراغنة، ويتجه هذا النهر من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ويتعمق في الجزء الجنوبي ،[1]

**3.1.2.اودية ثانوية متعددة**

إذا كانت المحاور الرئيسية تنبع من قلب السلسلة الأطلسية، فإن المجاري الثانوية تنبع إما من الدير العلوي نفسه، وإما من سفح الهضاب العليا المشرفة، ولكن الظاهرة المشتركة هي أنها عادة ما تكون متوازية مع المحاور الرئيسية، وهناك العديد من المجاري الثّانوية أهمها واد المهاصر ثم واد اسيل وواد سرسيف، حيث تنبع من الغرب نحو الشرق وتشكل روافد جد مهمة لكل من واد الخضر وواد تساوت. تشكل روافدا للأودية السابقة، ا وأهمها[2] .

**ـ واد امهاصر**

يعد من أهم المجاري الثانوية في المنطقة، لأنه يقطع حوض دمنات بعد أن تغيّر اسمه انطلاقا من محدب أغري، عند ايمي نفري ليصبح "مهاصر" بعد ما كان يحمل اسم "سيف تسليت" الذي يلتقي بأسيف ايكوندان، عندما يقطع محدب أغري فاغروس يخلق قنطرة طبيعية، مشكلة من توضعات كاربوناتية ثانوية فليسية.[3]

**ـ واد ادماية**

يتجه من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، ليتصل بمستوى قاعدته، أي واد الأخضر، وتنحدر إليه مجموعة من الشعاب التي تساهم في تغذية مجراه، خاصة أنها تحمل مياه الفرشة الباطنية التي تظهر على شكل عيون مختلفة، ويحاذي مجرى الحاشية الشمالية. لحوض دمنات ليضيق من جديد حتى اقترانه بوادي الأخضر.

**4.1.2.ـ <u>السيول الثلاثية</u>**

تتميز السيول المائية للمنطقة بالتنوع وضعف كمياتها المائية، كما يصعب أيضًا تتبع مجاريها حيث هي كثيرة التفرع على شعاب مختلفة ومن أهم هذه السيول:

– **<u>واد تديلي:</u>** حيث يقطع المنطقة من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، على طول اتجاه واد تساوت، لكن الملاحظ أنه غير مرتبط به بشكل واضح، لأنه يتجزأ داخل المنطقة السهلية إلى عدة أ أجزاء، بيد أنه طبع المنطقة بمخروط انصباب ثانوي يتصل بمخروط تساوت الكبير.

---

-1 -.PASCON Paul, (1977): "Le Haouz De Marrakech", TOME PREMIER, Rabat

2. الحسن شوقي، 2010، تاريخ قبيلة السراغنة: الزعامات المحلية – القواد والعمال، الطبعة الاولى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ص 32 – 35.

3. محمد الاكلع 1988"دراسة جيومرفولوجية للنهاية الشرقية للحوز " جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط.

الخريطة رقم 7: الشبكة المائية بتساوت العليا

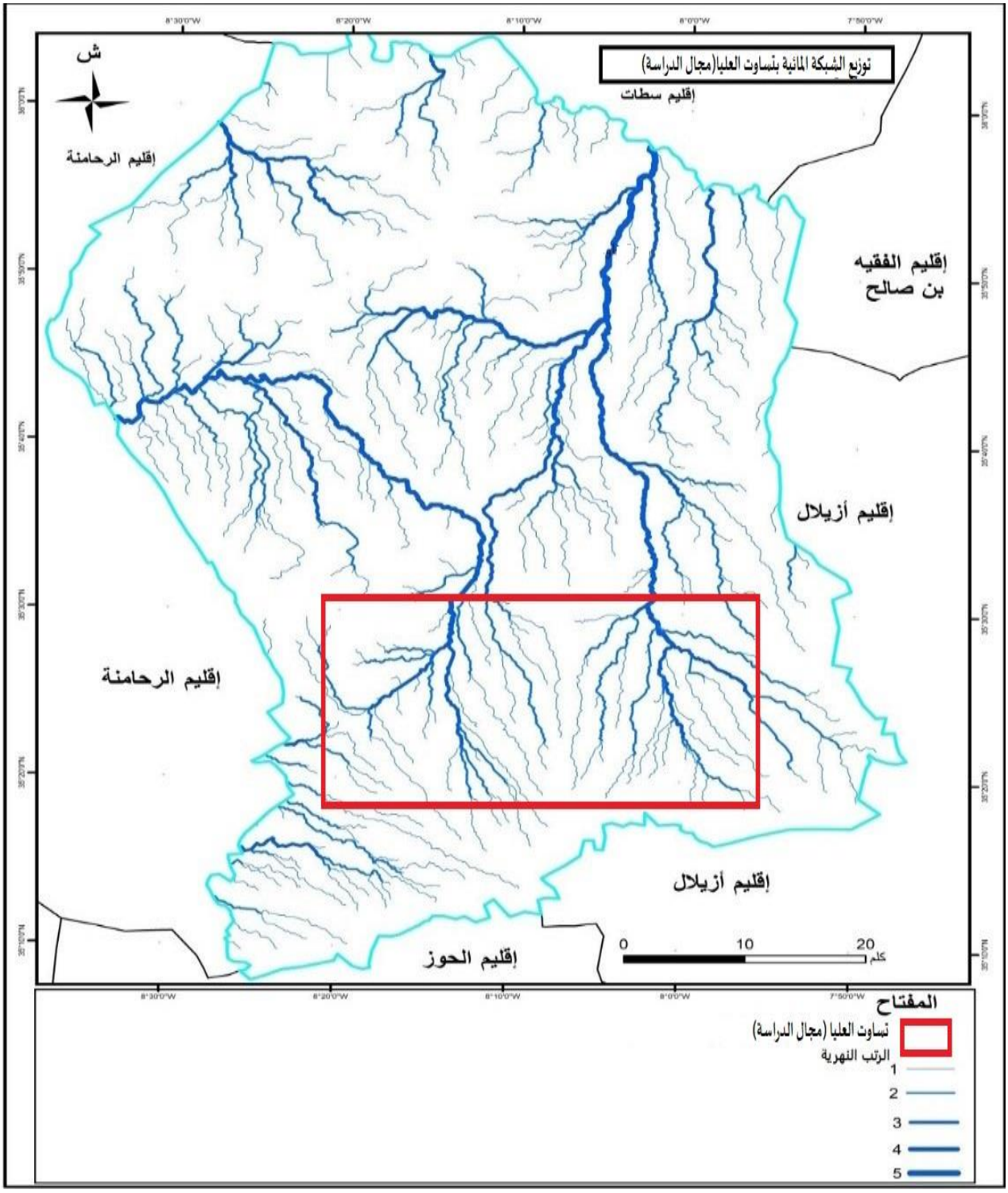


المصدر: من انجاز سهام الزيتوني بالاعتماد على الصور الجوية والمرئيات الفضائية

### 3.2. شهدت الموارد الباطنية تراجعا بفعل كثافة الاستغلال

- السديمة المائية الميليورباعية: تقترب من السطح وتتغذى من التساقطات والمياه التي تجري بواد تساوت ولخضر، يتم إمدادها في الشمال الغربي بالتناوبات الكلسية والكلس الصلصالي المنقعي، وفي الجنوب بتكونات الزمن الأول

لمنطقة الجبيلات. تشكل هذه السديمة في الواجهة الشرقية استمرارا لمثيلتها بسهل تادلا، حيث يمكن اعتبار وادي العبيد الاسفل كحد طبيعي بين تادلا والبحيرة.[1]

ويختلف مستوى تواجدها مت الشمال إلى الجنوب. ففي الشمال متوسط عمقها هو اقل من 1 متر، ليزيد في الوسط والجنوب عن 5 أمتار، وأحيانا 20م، بينما يتعدى هذا المستوى في الجنوب الشرقي 40 متر، تزداد اهمية السديمة في فصلي الشتاء والربيع لتنخفض في الصيف، مما يساعد على عملية الري عن طريق الضخ. غير ان امكانية السقي بمياه هذه الفرشة مستقبلا سيؤدي الى تدهر التربة بسبب ارتفاع الملوحة في الماء، حيث تتراوح الكمية ما بين 2غ/ل شرقا و3 غ/ل غربا.[2]

- طبقة الايوسين:

تتواجد هذه الطبقة المائية على عمق 70 مترًا. تتميز بمحدوديتها وبصبيبها الضعيف، حيث يسجل هذا الاخير حوالي 10 ل/ث (حسب بعض الثقوب المقامة من طرف مديرية هندسة المياه)، وبالتالي لا يمكنها ان تغطي الاحتياجات المائية للمنطقة، خاصةً وأنها غنية بمادة الكبريت.

- الطبقة التورونية:

يبعد مستوى هذه الطبقة عن السطح بازيد من 170 م، وتمتاز بصبيب مائي مهم، يتراوح ما بين 100 و120 لتر / ثانية. تطرح إمكانية استغلال هذا الخزان المائي عدة صعوبات هيدرولوجية تتطلب دراسة جيوتقنية بسبب التدفق الدائم لمياه الطبقة في اتجاه حوض تادلا، لأنه يساعد على إثراء المخزون المائي للطبقة التورونية بهذه المنطقة المجاورة.[3]

## 3. أفاق تدبير الموارد المائية بتساوت العليا

### 1.3. تأطير مستعملي الماء و تحسيسهم بأهمية المحافظة عليه :

يشكل تحسيس السكان بالمسؤولية حول تدبير الموارد المائية جزءًا من التراث التاريخي المشترك، مما يفرض اليوم التحسيس بالمسؤولية الاجتماعية التي تعد شرطًا أساسيًا من شروط التدبير المستدام لهذه الموارد المتضائلة.

بحيث يمكن لمستخدمي المياه أن يكونوا شركاء مسؤولين ومتعاونين في الجهود الجماعية التي يتوقف عليها حسن تدبير الموارد المائية المتناقصة والمهددة بالاستنزاف.

### 2.3 . تطوير تقنيات الري و اقتصاد الماء :

و من التقنيات التي يجب اتخاذها في هذا الصدد :

تحسين مردودية الشبكات، حيث تتسبب التسربات في شبكات توزيع مياه الري يؤدي إلى إهدار كميات كبيرة من المياه، كما أن نسبة هدر المياه الموجهة للري بالطرق التقليدية تصل إلى 60% و سيساعد برنامج تحسين المردودية الإجمالية للشبكات

---

[1] –المختار الاكحل نونبر 2004.، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية: حالة هضبة بن سليمان، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، الرباط.

[2] –*الحسن شوقي، 2012. الماء بتساوت السراغنة وزمران الانهار – السواقي – الدول والقسمة – تاريخ التقنيات.*

[3] حسن أبوسمور،1999م، 1420هـ، حامد الخطيب، جغرافية الموارد المائية الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع– عمان، ص 151

الذي ينجز حاليا في إطار تطوير السقي الكبير على تقليص التسربات في هذه الشبكات. و يزداد استعمال التقنيات الحديثة للسقي الموضعي خاصة مع التراجع الملحوظ في مستويات الفرشة المائية.

**3.3 الآفاق المستقبلية للبحث الزراعي للاقتصاد في الثروات المائية :**

يمكن أن يؤدي سوء التدبير للتربة والزراعات إلى زيادة الاختلاف بين المردودية التي يمكن الحصول عليها والمردودية المحصل عليها عن الفلاحين. ويعد اللجوء إلى تقنيات التخزين والمحا فضة على الماء ، هو البديل الذي سيمكن من تقليص نسبة ضياع المياه وضمان استقرار المردودية ،وقد أعطت هذه التقنيات نتائج مهمة في المناطق الجافة ،وقد أكد الباحثون سواء في محطات التجارب أو بين الفلاحين على دور هذه التقنيات. ومن بين تقنيات التخزين التي تم اختبارها في بلدنا البذر المباشر ،حيث يتم تسريب البذور بواسطة بدارة خاصة بدون تحضير الأرض مسبقًا ، والتقليص من استخدام الأرض ، بحيث تهيأ الأرض سطحيا دون قلب التربة . وبالإضافة الى ذلك ، هناك الأرض المستريحة قبل زرع القمح التي تتم فيها محاربة الاعشاب الضارة بالمبيدات لتجنب أي امتصاص لمياه الأمطار المخزنة.

## خاتمة:

تتميز منطقة تساوت العليا بالانبساط، كما يسمح التنظيم التنظيم المورفولوجي لهذا المجال بتكوين موارد مائية مهمة، تتمثل بشكل رئيسي في وادي أم الربيع ووادي تساوات ووادي لاخضر، مع وجود مخزونات جوفية، حيث قمنا خلال هذه الدراسة، على تسليط الضوء على إشكالية الموارد المائية بتساوت العليا التي أصبحت بالفعل مهددة بالدخول

في مرحلة الأزمة الفعلية، وذلك نتيجة لتوفر المنطقة على مناخ شبه الجاف، وتميزها بتساقطات ضعيفة وغير منتظمة سواء على مستوى نفس السنة، أو من سنة لأخرى. وارتفاع درجات الحرارة ومعدلات التبخر وانخفاض نسبة الرطوبة، وأن الحصيلة المائية بتساوت العليا تسير نحو العجز والتراجع.

## البيبليوغرافيا

. محمد الأكلع 2002: "المياه بمنخفض عين إيكلي الوضعية والمشاكل"، مقالة مأخوذة من كتاب: "الماء المتملك: الدول القسمة وحق التصرف في الحظ من الماء"، الطبعة الأولى، مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت، جامعة القاضي عياض، المطبعة والوراقة الوطنية-مراكش.

- المختار الاكحل نونبر 2004.، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية: حالة هضبة بن سليمان، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، الرباط.

. سومية اليخلوفي 2002"حساسية وأخطار تلوث المياه الجوفية للحوز «وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة: "الحوار الوطني حول الماء - مستقبل الماء، شأن الجميع".

-احمد زروال 2002 'الماء المتملك: الدول القسمة وحق التصرف في الحق في الماء"اعمال ندوة مجموعة البحث في تاريخ المجال والانسان بتانسيفت، كلية الآداب والعلوم الانسانية مراكش الطبعة الاولى، ص171.170

. حسن أبوسمور،1999م، 1420هـ، حامد الخطيب، جغرافية الموارد المائية الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع- عمان، ص 151

- الدر يوشي حسن وعبد الحق ميوري ومحمد ناصر 1987 دراسة جيومرفولوجية لواد مهاصر، ناحية دمنات مراكش.

. الحسن شوقي، 2010، تاريخ قبيلة السراغنة: الزعامات المحلية – القواد والعمال، الطبعة الاولى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ص 32 – 35.

. محمد الاكلع 1988"دراسة جيومرفولوجية للنهاية الشرقية للحوز " جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط.

.المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي الحوز ، أهم التدابير المتخذة لمواكبة الموسم الفلاحي 2020.

L'Agence de l'OER Etude d'actualisation du PDAIRE de la zone d'action de novembre2008 ; p 4
PASCON Paul, (1977): "Le Haouz De Marrakech", TOME PREMIER, Rabat

Agence du bassin hydraulique de l'Oum errbia ; étude hydrologique de la nappe de la Tessaout aval ; Beni Mellal 2020 ; page 30
-Agence du bassin hydraulique de l'Oum errbia ; étude hydrologique de la nappe de Tessaout aval ; Beni Mellal 2019 ; page 21

# حكامة تدبير الموارد المائية والدينامية الحضرية بضاحية فاس الجنوبية
## حالة الجماعة الترابية عين الشقف

# Governance of water resources management and urban dynamics in the southern suburb of Fez The case of the soil community of Ain Chkaf

**هشام شعايبي**، طالب باحث في سلك الدكتوراه بمختبر الدينامية المجال التراث والتنمية المستدامة، الكلية متعددة التخصصات تازة. جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس

**ملخص**

تهدف هذه الورقة إلى التشخيص الواقعي لمختلف التحديات التي تواجه الموارد المائية بالمغرب، لكون الماء يعتبر من أهم العناصر الطبيعية الأساسية في الحياة البشرية، وتطورها الاقتصادي والاجتماعي، وفي التوازن الايكولوجي للمجال الطبيعي. والتي يمكن الارتكاز عليها لتحقيق الحكامة الترابية في تدبير الموارد المائية. لذ اوجب توزيع هذه المادة بكيفية عادلة والحفاظ عليها واستغلالها أحسن استغلال.

تعتبر عين الشقف واحدة من بين المناطق الغنية بالمياه السطحية والجوفية، إلا أن ارتفاع وثيرة التمدين، وتوالي سنوات الجفاف، إضافة إلى الاستغلال المفرط للفرشة المائية، أدى إلى انخفاض مستوى الطبقات المائية بالفرشة الباطنية، وإلى نضوب العديد من العيون والآبار. الأمر الذي ينذر بتفاقم أزمة الماء، إذا نحن سرنا في تبذير ثرواتنا المائية واستغلالها بشكل غير عقلاني.

**الكلمات المفاتيح:** الحكامة – الموارد المائية – الدينامية الحضرية – الضاحية – عين شقف

**Abstract**:

This paper aims at a realistic diagnosis of the various challenges facing water resources in Morocco, since water is considered one of the most essential natural elements in human life, its economic and social development, and in the ecological balance of the natural field. Which can be built upon to achieve territorial governance in the management of water resources. Therefore, it is obligatory to distribute this material in a fair way, to preserve it, and to make the best use of it.

Ain al-Shuqaf is considered one of the areas rich in surface and groundwater, but the high rate of urbanization and the successive years of drought, in addition to the excessive exploitation of the water bed, led to a decrease in the level of the aquifers in the underground bed, and to the depletion of many springs and wells. This threatens to exacerbate the water crisis, if we were pleased in squandering our water resources and exploiting them irrationally.

**Keywords:** governance - water resources - urban dynamism - suburb - Ain Shokaf

**مقدمة**

تعتبر الحكامة اليوم كمرجعية فعالة، جاءت لمحاربة مختلف أشكال الإهمال والتقصير، ولتدارك مستويات التأخر، وكذا القضاء على الممارسات السيئة من خلال تشخيص الإختلالات، وتحليل جميع القضايا في تشابكها وترابطها، واقتراح الإصلاحات والتغييرات الكفيلة بضمان تنمية اقتصادية واحتماعية مستديمة. وبناءا على ذلك، تتطلب الحكامة الجيدة وضع آليات تعاون بين الدولة والسلطات اللامركزية ومختلف الفاعلين المحليين بشكل يسهل مفاوضات التغيير ويشجع الشراكة ويعقلن مسار اتخاذ القرارات.

يعتبر الماء من أهم العناصر الطبيعية الأساسية في الحياة البشرية، وتطورها الاقتصادي والاجتماعي، وفي التوازن الايكولوجي للمجال الطبيعي. فالتحكم في الماء أساس التنمية، وعلى الصعيد الوطني يكتسي طابعا حيويا، إذ أن التباين الزمني والمكاني للموارد المائية، يعد أهم العوامل التي تقتضي أن يكون تدبير الموارد المائية خاضعا لمنهجية ملائمة لهذا الإطار.

وأهمية الماء لا تنحصر في كونه أساس وجود الحياة واستمراريتها على الأرض، بل يشكل أيضا قاعدة أساسية للتطور الاقتصادي والاجتماعي، الاستقرار السياسي، والتوازن البيئي، لذ اوجب توزيع هذه المادة بكيفية عادلة والحفاظ عليها واستغلالها أحسن استغلال.

إن تضاعف عدد السكان وارتفاع وثيرة التمدين التي رافقها نمو الأنشطة الصناعية، السياحية، التجارية والخدماتية، أدت إلى تزايد الطلب على هذا المورد وظهور طلبات جديدة. وفعلا يعرف المغرب دينامية حضرية قوية إذ تضاعفت الساكنة الحضرية ب40 مرة في القرن الماضي، وبخمس مرات خلال 40 سنة الأخيرة. ومن المتوقع أن يرتفع معدل التحضر مستقبلا، ويطرح هذا التطور السريع مشاكل عديدة وعلى رأسها الماء الشروب، خصوصا أن الماء المستهلك يرتفع مع تزايد الخدمات الحضرية.

تعتبر منطقة عين الشقف واحدة من بين المناطق الغنية بالمياه السطحية والجوفية، إلا أن ارتفاع وثيرة التمدين، وتعاقب سنوات الجفاف، وعدم انتظام الأمطار، إضافة إلى الاستغلال المفرط للفرشة المائية، أدى إلى انخفاض مستوى الطبقات المائية بالفرشة الباطنية، وإلى نضوب العديد من العيون والآبار. نجم عن هذه الوضعية انخفاض الانسياب الأساسي لمجاري المياه بحوض سايس بصفة عامة، وبمجال الدراسة على وجه الخصوص.

إذن، يمكن أن نلخص **الإشكالية** في النقط التالية:

- ماهي الموارد المائية التي تتوفر عليها المنطقة؟ وكيف يتم تدبيرها؟
- إلى أي حد تساهم الظروف الطبيعية في توفير الموارد المائية؟ وهل تتأثر بالتقلبات المناخية؟
- ماهي مجالات استغلال الموارد المائية؟
- ماهي التدابير التي اتخذت لتدبير الخصاص على مستوى التزويد بالماء الصالح للشرب والسقي؟
- كيف يمكن لشبكة الماء أن تلبي حاجيات الساكنة التي تعيش على إيقاع دينامية ديموغرافية قوية؟

وفي هذا السياق وضعنا **الفرضيات** التالية للموضوع. ويتعلق الأمر ب:

* النقص الواضح في كمية الموارد المائية بمجال الدراسة، نظرا لقلة التساقطات وتأثيرها المباشر على هذا المورد الحيوي.
* النمو الديموغرافي وبالدينامية المجالية التي يعيش على إيقاعها مجال الدراسة.

لحل الإشكالية المطروحة والإجابة على جل التساؤلات المرتبطة بالموضوع، اتبعت **المنهجية** التالية. اعتمدت في مرحلة أولى على زيارة أولية للميدان لاكتشافه والتعرف عن قرب على خصائصه ومميزاته.

ثم مرحلة العمل البيبليوغرافي من خلال الاطلاع على المراجع ومراجع عامة، لتأتي مرحلة الاتصال بالمصالح الإدارية للحصول على الوثائق، الخرائط، وكذا مقابلة بعض الفاعلين في المجال. أما المرحلة الموالية تمثلت في العمل الميداني أي المقابلة المباشرة مع السكان.

لننتهي في هذه المرحلة إلى فرز الاستمارات، بتصنيف المعطيات وتحويلها إلى جداول أو إلى رسوم بيانية، توضح الظاهرة بصورة أكثر دقة.

إذن وبعد ذلك قمت بتحليل المعطيات التي تم الحصول عليها من المصالح الإدارية ونتائج العمل الميداني، إضافة إلى العمل الخرائطي.

**I- الموارد المائية والعوامل الطبيعية المتحكمة فيها**

يواجه مجال عين الشقف كغيره من المجلات المغربية نقصا على مستوى الموارد المائية، ويرتبط هذا التحدي بالتقلبات المناخية التي أتت في غير صالح الموارد المائية، أمام تزايد الطلب والضغط الكبير على المياه، وارتفاع حدة تلوثها.

**1- العوامل الطبيعية المتحكمة في الموارد المائية**

تلعب المعطيات الطبيعية لمجال الدراسة دورا مهما، والمتمثلة في العمل الطبوغرافي، البنية الجيولوجية والمميزات المناخية، في توفير أو عدم توفير الماء بمجال يتميز بكثرة المياه التي استعملها الإنسان لتلبية حاجياته اليومية، فكان بذلك مادة حيوية ذات أهمية قصوى.

**1-1- الموقع الجغرافي لمجال الدراسة**

تعتبر الجماعة الترابية عين الشقف من الجماعات الترابية التابعة لجهة فاس مكناس. فهي تابعة لتراب عمالة مولاي يعقوب، تتواجد بضاحية مدينة فاس، وتبلغ مساحتها 15300 كلم$^2$. وتحدها من الشمال، جماعة سبع الرواضي (إقليم مولاي يعقوب)، ومن جهة الغرب، جماعة عين توجطات (إقليم الحاجب)، ومن الجنوب، جماعة عين الشكاك (إقليم صفرو)، ومن جهة الشرق، جماعة أولاد طيب وبلدية زواغة (عمالة فاس ).

الخريطة رقم1: الموقع الجغرافي للجماعة الترابية عين الشقف ضمن الجماعات الترابية المجاورة

ISSN 2569-734X

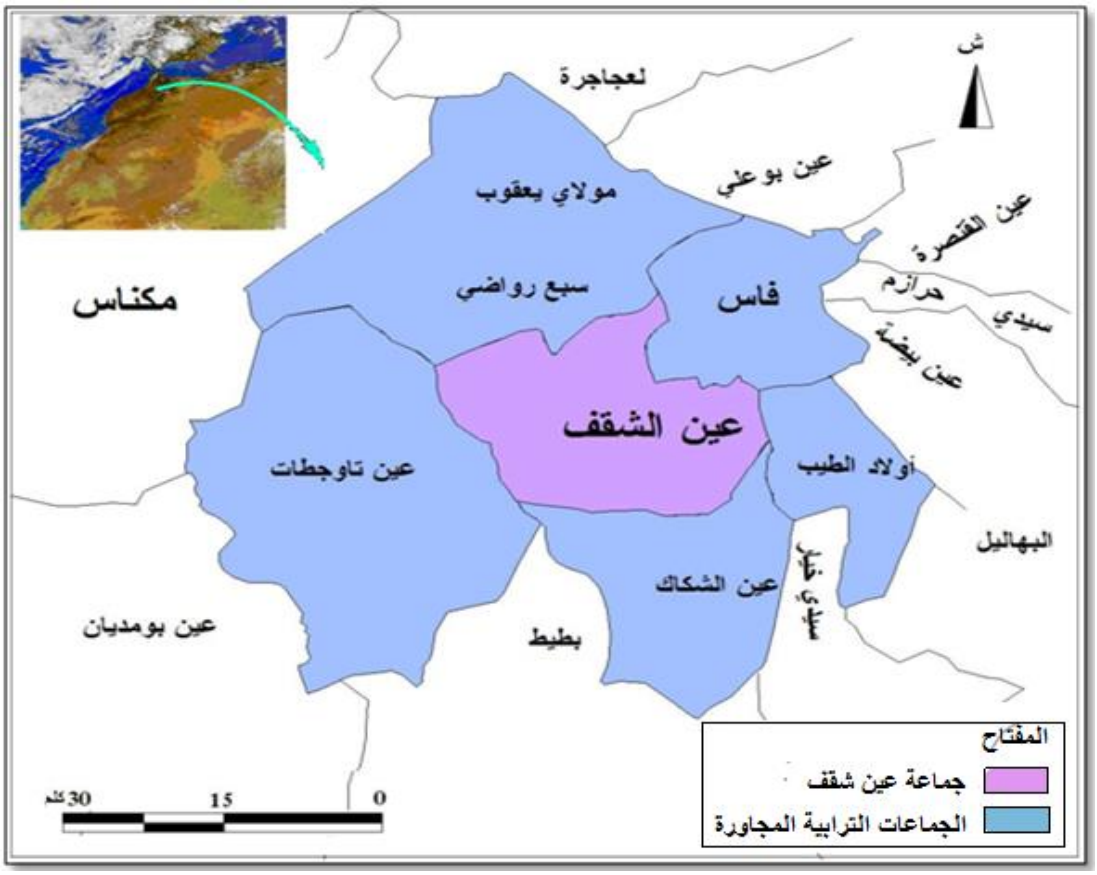


المصدر: التقسيم الإداري وكالة الحوض المائي لسبو + عمل شخصي 2023

**1-2- طبوغرافية مجال عين شقف**

تتميز منطقة عين الشقف بأشكال طبوغرافية واضحة باستثناء طية عين الشقف ولية رأس الماء، تتجلى في انبساط تضاريسها، ما عدا الجنوب الغربي للجماعة حيث تصبح التضاريس أكثر ارتفاعا، أما الانحدار العام للمنطقة فيتراوح بين 1 و30%، وله اتجاه جنوبي شمالي، ساعد هذا العامل على انبساط التضاريس بالجماعة وعلى كثرة المجاري المائية السطحية نذكر منها: واد عين الشقف، واد عين السمن، واد بوركايز، واد النجا.

تنتمي منطقة عين شقف إلى سهل سايس الذي يتكون من أراضي خصبة، خصوصا المنطقة الشمالية للجماعة التي كانت في يد المعمرين وانتقلت إلى قطاع الاستثمار الفلاحي حيث تكونت عليها عدة تعاونيات فلاحية.

أما المنطقة الجنوبية فتتكون من عدة محافر رملية ومقالع حجرية، ومعظم أراضي الجماعة عرشية تخضع للجماعة السلالية التابعة لوصاية وزارة الداخلية[1]. ويقع مركز الجماعة على مرتفع يصل إلى 500 متر يطل على منبع نهر عين الشقف وغابة الصنوبر والكالبتوس للجماعة وهي عناصر طبيعية تعطي لموقع المنطقة طابعا أخضر ومناخا متميزا.

غير أن أغلب الأراضي بجماعة عين شقف عبارة عن هضاب وسهول، بحيث تشكل 14240 هكتار من أصل 14490هكتار، أما التلال فلا تمثل سوى 250 هكتار[2].

**1-3- خصائص المناخ المحلي**

---

[1]– أمينة البوعيشي، الهوامش الحضرية قيد التأهيل بفاس: إعالة تشكيل المدينة، الممارسات الحضرية وبدائل التهيئة. أطروحة دكتورة الدولة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية–سايس فاس، سنة 2004، ص46.

[2]– مونوغرافية جماعة عين شقف (2023).

تنتمي منطقة عين الشقف إلى سهل سايس الذي يتأثر بالمناخ المتوسطي القاري، ذي فصل مطير بارد، وآخر جاف حار. كما يعرف سهل سايس سيادة كتل هوائية رطبة قادمة من القطب الشمالي عبر المحيط الأطلسي شتاء. أما صيفا فتصبح المنطقة تحت تأثير الكتل الهوائية الآتية من الشرق أو الجنوب، نظرا لغياب حواجز طبيعية تعيق تسرب الكتل الجافة التي تتسبب في ارتفاع درجة الحرارة. وبالتالي يتميز مناخها بارتفاع درجة الحرارة والجفاف صيفا، والرطوبة والبرودة شتاءا.

**أ- نظام الأمطار**

تبقى سمة التذبذب ظاهرة طبيعية للتساقطات المطرية في كل محطة على حدا، وهذا ما يميز المناطق التي تنتمي إلى المناخ المتوسطي.

تتميز التساقطات المطرية بعدم الانتظام من سنة لأخرى، فمثلا سنة 1963 عرفت المنطقة تساقطات مهمة، حيث تجاوزت 1000ملم، بخلاف السنوات الممتدة من بداية 81/ 1980 إلى 1980/85 عرفت المنطقة سنوات جفاف أثرت على منسوب المياه، ويعتبر عقد الثمانينيات بداية لجفاف حقيقي ضرب ربوع المملكة خاصة جفاف سنة 1981 الذي عانت منه كل جهات البلاد، حيث انخفض منسوب المجاري المائية وعرفت هذه السنة نزوحا مكثفا لسكان البوادي في اتجاه المدن. وبعد 1987 ارتفعت نسبيا قيم التساقطات بلغ معدل السنوي 428 ملم، لتليها بعد ذلك سنوات جافة تتفاوت حدتها من سنة إلى أخري. تعتبر سنة 1993/92 أكثر حدة حيث انخفضت كميات التساقطات إلى 189 ملم، لتسجل بعد ذلك ارتفاعا ملحوظا ابتداء من سنة 1996/1997.

الشكل رقم1: التوزيع السنوي للتساقطات بمحطة فاس سايس

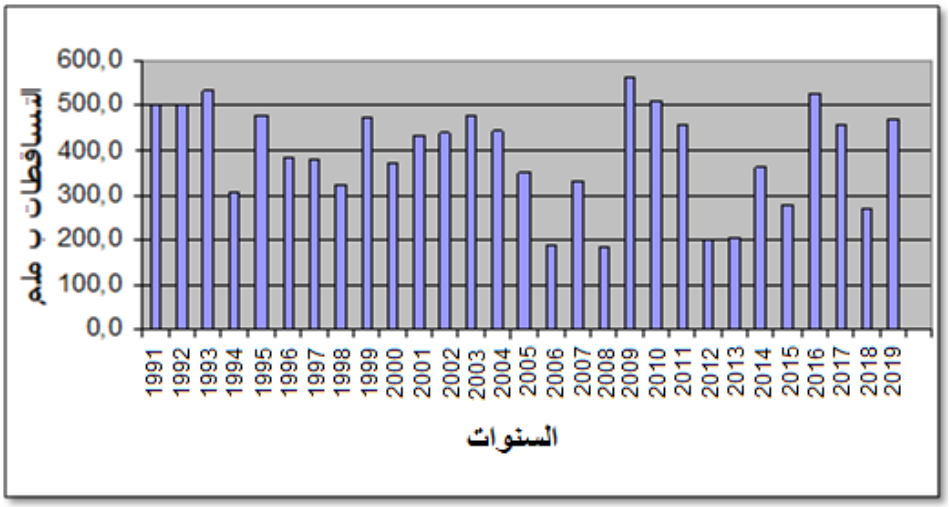


المصدر : وكالة الحوض المائي لسبو سنة 2023

يتبين أن كمية التساقطات السنوية المسجلة تتباين من سنة لأخرى، بحيث أن السنوات المطيرة متباعدة تفصل بينها سنوات جافة. حيث سجلت 397.4 ملم "بمحطة فاس" كمتوسط سنوي للأمطار خلال الفترة الممتدة ما بين 78/1977 و 2005/2006.

لقد عرفت محطة "فاس سايس" ارتفاعا مهما في نسبة الأمطار خاصة سنة 76/1977 حيث بلغت التساقطات حوالي 576.3 ملم أما السنة الأقل مطرا هي سنة 95/1996 لم تتعدى 185.6 ملم.

تعرف كمية الأمطار توزيعا غير منتظم عل المستوى الشهري، وأن الفترة الممطرة تبقى قصيرة، لتمتد من شهر أكتوبر إلى مايو، لكن لا يعني هذا أن جل الأيام مطيرة، بل تتخللاها فترات جافة طويلة. فشهر دجنبر ويناير أكثر شهور السنة إمطارا

كما نلاحظ أن معظم التساقطات المطرية تتركز خلال فصلي الشتاء والربيع حيث يصل متوسط التساقطات الشهرية ما بين 60,6 ملم في شهر يناير و08 ملم في غشت ويوليوز.

فنظام التساقطات يتميز بوجود فصلين أساسيين: الأول جاف ويمتد من شهر يونيو إلى شهر شتنبر. وقد يمتد إلى خمسة أو ستة أشهر وذلك حسب التساقطات التي تعرفها البلاد. أما الفصل الثاني فهو رطب ويمتد من شهر نونبر إلى شهر ابريل، إذ تتلقى المنطقة أزيد من ثلاثة أرباع التساقطات السنوية.

**ب- نظام الحرارة**

تعتبر الحرارة العنصر الثاني المكمل للإمطار، تتميز بالتجانس على المستوى السنوي، كما أنها تعتبر ثابتة من سنة إلى أخرى مع بعض التغيرات المهمة في دراجات الحرارة داخل فصول السنة، خاصة بين الفصل البارد والفصل الجاف[1].

تكمن أهمية دراسة عنصر الحرارة في تأثيرها المباشر على الموارد المائية. فمع ارتفاع الحرارة يزداد التبخر وتنشط عملية النتح وتطول فترة الجفاف، فيتراجع صبيب الوديان، العيون والآبار. فيضطر الإنسان لقطع مسافات بعيدة للحصول على هذا المورد الضروري لحياة الإنسان.

فحسب دراسة التغيرات الحرارية بمحطة الرصد بفاس سايس اعتمادا على متوسط الحرارة الشهرية. سجلت معدل سنوي بلغ حوالي 16.8 درجة حرارية. وبخصوص الأشهر الأكثر حرارة فهما شهري يوليوز وغشت وبمعدل حرارة بلغ 25.7، بينما الشهر الأكثر برودة فهو شهر يناير حوالي 9.4 د.

ونظرا لتزايد حدة الجفاف في السنين الأخيرة، الذي عمل على تقليص الأراضي الفلاحية داخل الجماعة، ستعمل هذه الأخيرة على تغيير وظيفتها من وظيفة الاقتصاد الفلاحي إلى مجال متعدد الوظائف، تختلط فيه الوظيفة السكنية بالسياحية الترفيهية.

**1-4- المعطيات الجيولوجية**

لقد عرف سهل سايس خلال الأزمنة الجيولوجية، توضعات طفلية وكلسية وأخرى طفلية ميوسينية، وخلال البليوسين وبعد تجفيف بحيرة سايس توضعت تكوينات كلسية والمتجمعات النهرية.

يتميز سهل سايس بتتابع طبقات الكلس الدولوميتي اللياسي ثم الطفل الميوسيني، وأخيرا الكلس البليوسيني مع اختلافات محلية كثيرة، وهذا يعني توالي طبقات نافدة متمثلة في المتجمعات والكلس البحيري، وأخرى غير نافدة تتمثل في الطفل الطرطوني مما يسمح بتشكيل فرشة مائية فوق هذه الطبقة الطفلية نتيجة تسرب المياه من خلال صخر المتجمعات والكلس البحيري.

وهذه التكوينات عبارة عن مستوى مائل من الجنوب نحو الشمال، فالطبقات المتوضعة فوقها تتخذ نفس الاتجاه مع تقلص في درجة الميل حوالي درجتين[2]. فالانحدار العام لمجال سايس يساعد على تدحرج المياه الباطنية من المرتفعات الأطلس

---

[1]– محمد غزال، الموارد المائية بشمال المغرب الشرقي: التدبير والاستغلال والإكراهات، أطروحة لنيل دكتورة الدولة جامعة محمد الأول، كلية العلوم، وجدة، 581 صفحة، سنة 2006، ص37.

[2]– Chamayou J, Come M, Genetier B. & Leclerc C: ressources en l'eau du Maroc. Tome II, Plaines et bassins du Maroc atlantique le bassin de Fès–Meknès et Couloir de Fès Taza. Edition du service géologique du Maroc. Rabat, 1975, pp. 42–71.

المتوسط في اتجاه السهل بالإضافة إلى التسربات السطحية نتيجة وجود صخور نافدة المتمثلة في الكلس البحيري وصخر المتجمعات، مما يساعد على تكوين فرشات مائية مهمة.

عرفت فترة البليوسين تتابعا لحركات تكتو نية بهضبة فاس- مكناس، فنجم عنها تراجع الميوسين جهة الغرب، فكان من نتائج هذا ظهور بحيرة ترجع إلى زمن البليوسن الأسفل وتغطية للجزء الشمالي لسهل سايس - سايس فاس - مكناس[1]. وبعد هذه الهزة التكتونية حدثت حركة أخرى تسببت في حدوث طية خفيفة في سحنة الكلس البحيري. فكان ذلك سببا في اختفاء البحيرة غربا بعد أن غطتها إرسابات من الرمال الصهباء القارية التي استقدمتها الرياح من الهضبة الوسطى ذات الأصل البليوسيني. بعد ذلك ظهرت بحيرة ثانية كانت سببا في غمر الرمال الصهباء بالكلس البحيري الأعلى. تلت هذه الحركة البنائية، حركة ثانية فكانت سببا في الارتفاع النسبي لسايس فاس عن سايس مكناس.

**2- وفرة الموارد المائية المتاحة بجماعة عين الشقف**

تتوفر جماعة عين الشقف على ثروة مائية مهمة سواء الباطنية أو السطحية.

**2-1- المواد المائية الباطنية**

تتوفر المنطقة المدروسة على خزانين مائيين مهمين هما: **الفرشة الجوفية العميقة**، تمتد على حوالي 1500م من جنوب وغرب مدينة فاس كما تتكون من الكلس الدولوميتي وذلك كامتداد طبيعي لتكوينات سديمة كوص الأطلس المتوسط. وهي عبارة عن سديمة فجارة مما سمح بوجود العديد من العيون في حوض سايس التي تظهر في السطح عبر شقوق عميقة (عين الشقف وعين بوركايز). **أما السديمة الثانية**، تتخللها الترسبات الرملية والجيرية التي تنتشر على السطح مشكلة سديمة مغذية، وهي على عمق ضعيف يسهل استغلالها بالآبار متوسطة العمق حيث تتراوح ما بين 0 و120 م[2].

**أ- الفرشة المائية العميقة**

يتوقف ظهور الفرشة المائية العميقة بسهل ساس على صخور الكلسية والدولوميتة اللذان يتميزان بنفاذية عالية. وأيضا بفعل وجود الصخور الطفلية الترياسية التي تشكل الأساس غير النافد لهذه الفرشة.

تتغذى هذه الفرشة من المياه التي تتسرب من كوص الأطلس المتوسط حيث الكلس الدولوميتي، ثم تتسرب بعد ذلك الماء تحت الأوساط غير النافذة للطرطوني، ويكون فرشة حبيسة في الحوض، فتظهر هذه الفرشة عند قدم الكوص على شكل عيون مملوءة، وتصل هذه التغذية إلى 6 أو 7 ل/ث "مصادر الماء بالمغرب"، وهي نسبة مهمة من تلك تسجلها مياه التساقطات والتي تفيد في تزويد الفرشة شبه السطحية. وقد يتصل جزء من هذه المياه بالفرشة من هذه السديمة، إما بطريقة مباشرة عن طريق استغلال المياه لشقوق الانكسارات التي تحدث في طبقات الطفل الطرطوني، أو بطريقة غير مباشرة، وذلك عند المستوى الذي تتصل فيه التكوينات الكلسية الدولوميتية بالمشبكات البلوسينية والكلس البحيري.

**ب- الفرشة المائية الشبه السطحية**

---

[1]– كوثر الصنهاجي، الجماعات المحلية و دورها في التنمية نموذج الجماعة القروية عين الشقف. بحث لنيل الماستر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز_فاس، 111 صفحة، سنة 2008. ص29.

[2]–Taltasse P. recherche géotechnique et hydrogéologique dans le bassin lacustre de Fès–Meknès . 1965, P52.

تعتبر هذه الفرشة الخزان الأكثر أهمية في منطقة سايس، وتبرز مياهها فوق السطح بواسطة العيون: كعين الشقف وعين رأس الماء. توجد فوق الطفل الطرطوني الذي يشكل الأساس الغير النافذ لها. تتغذى هذه الفرشة بالتساقطات ومياه دوبان الثلوج الآتية من الأطلس المتوسط ومياه السقي، يبلغ عمقها عشرة أمتار ومتوسط سمكها مابين 20 و30 متر، ويتراوح عمق الفرشة الشبه السطحية في منطقة عين الشقف مابين 10 و30 متر وقد يصل 40 متر في الجزء الجنوبي الشرقي.

تظهر في هذه الفرشة المستويات المائية متفرقة فيما بينها بتكوينات طفلية ويمكن التمييز بين مستويين:

**المستوى الأول:** يضم الفرشة السديمية للتكوينات الرباعية الرخوة المكونة أساسا من تربة طميية حمراء والترس، وتشكل الصخور الطباشرية الأساس الغير النافذ لها وتتميز بعدم استمراريتها.

**المستوى الثاني:** يشمل الفرشة السديمية للكلس البحيري والمتجمعات اللذان يتميزان بنفاذية عالية ويحضى الكلس البحيري بخاصية كارستية، فالمياه تجري بين الشقوق الكثيفة على شكل شبكة مائية.

تتغذى هذه الفرشة من الفرشة الباطنية اللياسية، من التساقطات ومن قنوات السقي. ويتم التبادل بين الفرشتين الباطنية والسطحية عبر الانكسار الذي يخترق عموديا الطبقات الطفلية الميوسينة. ويقدر الكمية المائية الآتية من الفرشة العميقة بحوالي 6 إلى 7 متر مكعب/ الثانية (حسب وكالة الحوض المائي لسبو)، أما مياه التساقطات وقنوات السقي المتسربة إلى الفرشة الشبه السطحية فتقدر بحوالي 0.8 إلى 1متر مكعب/ ثانية. وتستغل مياه الفرشة السطحية غالبا في السقي وفي تزويد سكان مدينة فاس بالماء الشروب.

**2-2- الموارد المائية السطحية**

باعتبار منطقة عين الشقف تنتمي إلى حوض سايس، فان هذا الأخير يزخر بشبكة هيدروغرافية مهمة تمثل في مجموعة من الوديان ذات الجريان الدائم أو الموسمي رغم أن هناك اختلافا من حيث جريانها المائي وصبيبها، كما تزخر المنطقة بمجموعة من العيون، وأهمها:

- **واد النجا:** ينبع من كوص الأطلس المتوسط. تقدر المساحة الإجمالية لواد النجا ب 700 كلم$^2$، منها 375 كلم$^2$ بسهل سايس. يعتبر هذا المجرى واحدا من بين روافد واد فاس.
- **واد فاس:** ينبع من عين رأس الماء الواقعة على حافة من الكلس البحيري، ويشكل الرافد الأيسر لواد سبو, يبلغ طوله 25 كلم، انحداره الطولي يصل إلى 0,78 يغذي صبيبه مجموعة من العيون عين السمن عين بركمة الكبيرة عين الشفق التي تجعل نظام جريانه منتظما.
- **واد عين السمن وواد عين الشقف:** يعرفانه في غالبيتها مجرى موحد يطلق عليه واد شكو الذي ينبع من الأطلس المتوسط، يستغل البعض من مياهه في سقي الأراضي الفلاحية والبعض الأخر يعتبر بمثابة المغذي لمنابع واد عين السمن وواد عين الشفق. يبلغ مجراها معا حوالي 10 كلم، ويتميزان بجريان سطحي، ولا يكاد يصل تصريفهما إلى واد فاس.
- **واد بوركايزوواد شكو:** يخترق الواديان جماعة عين الشكاك كما يتأثران بعامل التساقطات. فكلما كانت السنة مطيرة، إلا وأصبح المجريان دائما الجريان. وعند اقترابهما بعين الشكاك، إلا وشكلا خانقا كلسيا عميقا. ينبع واد بوركايز من عين بيطيط كما يصب في رأس الماء. وبما أن مسافته تصل إلى 13كلم، فواد فاس لا يستفيد منه إلا بنسبة 0,8م$^3$ في الثانية نظرا للمسافة الطويلة التي يقطعها.

ويمكن إرجاع جفاف الأودية إلى مجموعة من العوامل:

- تراجع مخزون المياه الباطنية مما يؤثر على العيون التي تمون الأودية، فجفافها أو قلة صبيبها تؤثر بشكل واضح على تزويد الواد بالمياه.
- العامل البشري الذي يتمثل في الاستغلال المياه بطريقة مباشرة أو عن طريق إنشاء آبار قرب الواد.

كما يوجد في حوض سايس عدد كبير من العيون، ويمكن التمييز بين عيون ثانوية صبيبها يقارب بعض اللترات في الثانية، وعيون أكثر أهمية ذات صبيب مرتفع عند مستوى سهل سايس، حيث تحتوي العيون على منافذ مائية للبليورباعي، وهذه العيون هي:

- العيون التي تنبع من الفرشة اللياسية ك: عين بيطيط،، عين معروف، عين الشكاك
- العيون التي تنبع من الكلس اللياسي ك: عين الشقف وعين بوركايز.
- العيون المعدنية ك: عين السخونات، عين سيدي أحرازم ، عين مولاي يعقوب
- العيون ذات الأصل المشترك ك: كعين اعمير، عين السمن وعين رأس الماء.

وداخل هذه العيون يمكن التمييز ما بين عيون دائمة الجريان وأخرى عكس ذلك.

**عين الشقف:** تبعد عن فاس بحوالي 10 كلم وهي دائمة الجريان. تستغل مياهها للري وتوفير الماء الشروب لفاس بفعل ديمومة جريانها، إضافة إلى وجود عيون أخرى كعين السمن. ولهذه العيون كبير الارتباط بالليات والانكسارات التي عرفتها المنطقة، مسببة ظهور مجاري مائية موسمية أو دائمة الجريان، سميت بعين الشقف نظرا لكون العين المتفجرة بها، تنبع من أحجار مسطحة ذات أطراف حادة كشقف الزجاج، تمتاز مياهها بجودة عالية، تقع على انكسار عين الشكاك وتشكل مجرى مائي هو واد عين الشقف الذي يتخذ اتجاه من الجنوب نحو الشمال.

لكن رغم تتابع سنوات الجفاف، مازالت البعض من العيون يحافظ على جريانه، إذ يتراوح صبيب بعضها من بضع لترات إلى حوالي 160 ل/ ث عند سهل سايس، الأمر الذي جعل هذا المجال يعرف تطورا فلاحيا وعمرانيا ملحوظا.

### 3- التدبير غير المستدام للموارد المائية

#### 3-1- الحصيلة المائية لفرشة حوض سايس

إن الحصيلة المائية تمثل مرحلة جد مهمة في تدبير الموارد المائية الباطنية، ولانجاز هذه الحصيلة اعتمدنا على فارق بين مجموع الحصة المستخرجة إضافة إلى التصريف الطبيعي للعيون والوديان والواردات المائية لسنة 2004.

الشكل رقم2: الحصيلة الهيدروجيولوجية لفرشة سايس ب م.م$^3$ لسنة 2020

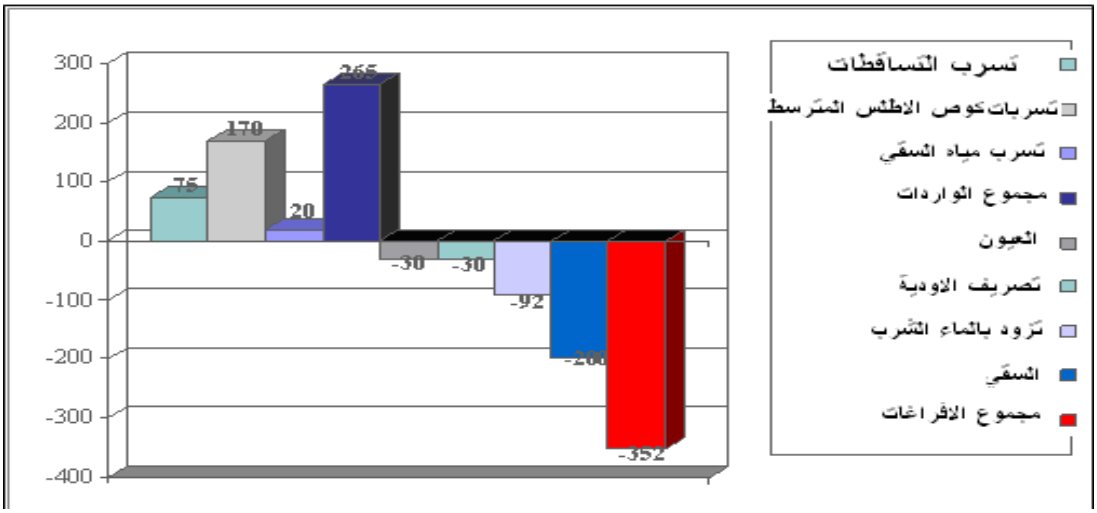


المصدر وكالة الحوض المائي لسبو بفاس + عمل شخصي 2023

كما يتضح من الشكل أعلاه، أن معدل الواردات المائية السنوية لفرشة سايس يقدر بحوالي 265م.م$^3$، تتغذى بتسربات المطرية التي تقدر بحوالي 75م.م$^3$، تسربات كوص الأطلس المتوسط حالي 170م.م$^3$، أما بالنسبة للمياه المستغلة من الفرشة فهي متعددة يتمثل في الاستعمالات الموجة للماء الشرب التي تستحوذ على حصة الأسد يقدر بحوالي 286م.م$^3$، الاستهلاك المائي الموجه للسقي يمثل ما قدره 90م.م$^3$ إما التصريف الطبيعي للعيون والأودية لا يتجاوز 60 م.م$^3$.

فالحصيلة المائية الحالية لسهل سايس، هي حصيلة سلبية تتجاوز الحصة المائية المستغلة من فرشة سايس وارداته المائية بحوالي 87م.م$^3$. أما سنة 2017 فقدرت الحصيلة المائية لفرشة سايس ب145م.م$^3$ كما هو موضح في الجدول التالي.

الجدول رقم1: الحصيلة الهيدروجيولوجية لفرشة سايس ب م.م$^3$ لسنة 2022

| مجموع الواردات المائية | | مجموع الماء المفرغ من الفرشة | | الحصيلة |
|---|---|---|---|---|
| التسربات المطرية | 40 | الاستهلاك الفلاحي | 160 | |
| تسرب مياه السقي | 40 | الماء الشروب | 100 | |
| التغذية من الكوص الأطلس المتوسط | 140 | التصريف الطبيعي للعيون والأودية | 105 | |
| **المجموع** | 220 | **المجموع** | 365 | **-145** |

المصدر : المكتب الوطني للماء الصالح للشرب سنة 2023

إن تتبع تطور مستويات الماء في الطبقات المائية بسايس، يبين انخفاضا مستمرا بلغ قيما تنذر بالخطر، وهذا الانخفاض الناتج عن تضافر تأثيرات الجفاف والاستغلال المفرط، أدى إلى انخفاض مهم للانسياب الأساسي لمجاري المياه وصبيب العيون.

إن الاستغلال المفرط للطبقات المائية بمجال الدراسة بصفة خاصة بالمغرب على وجه العموم هو نتيجة لمسؤولية جماعية يتقاسمها كل الفاعلين. فمن جهة، نجد أن مستعملي الماء يعطن الأولوية للمصلحة الفردية على حساب المصلحة العامة، ومن جهة أخرى، وأمام انعدام الوسائل المالية، لأنه يتعذر على السلطات المختصة ضمان مراقبة واحترام القوانين الموجودة[1].

تستغل مياه الفرشتين عن طريق الأثقاب والآبار، حيث قامت المؤسسات التابعة للدولة وجمعيات المجتمع المدني والخواص بحفر العديد من الأثقاب والآبار وبناء الخزانات المائية، بعض هذه الآبار والأثقاب تابعة للوكالة المستقلة لتوزيع الماء والكهرباء والبعض الأخر يتولى تدبيرها المكتب الوطني للماء الصالح للشرب تدبيرها. من جهة ومن جهة أخرى سجل البحث الميداني وجود آبار وأثقاب مستغلة من طرف السكان المنطقة بطريقة قانونية وأخري غير قانونية، مما يؤدي إلى استنزاف الموارد المائية.

تشكل الآبار 90% من نقاط توزيع الماء المستغل في الشرب والاستعمال المنزلي في الوسط القروي[2]. يقدر عددها بالجماعة الترابية عين الشقف بحوالي 201 بئر (منوغرافية جماعة عين الشقف،2023)، تزاد عدد الآبار بمجال الدراسة خاصة في السنوات الأخيرة بسب قلة التساقطات وتوالي سنوات الجفاف، وتتوزع هذه الآبار بشكل عشوائي وأغلبها في حوزة الفلاحين.

أما الأثقاب المائية فهي عبارة عن بئر ذو قطر ضيق وعمقه يتجاوز 100م (تصريحات شفوية من طرف أحد الموظفين بوكالة الحوض المائي لسبو، 2023)، ونظرا لندرة مياه العيون وتراجع مياه الفرشة السديمة أمام توال سنوات الجفاف وعدم

[1]– وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، الحوار الوطني حول الماء، سنة 2006، ص 66.

[2]– عبد الصادق بلفقيه: الماء الشروب في الوسط القروي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد23، الرباط. سنة 1999، ص76.

انتظام التساقطات، عمدت المديرية الجهوية للتجهيز إلى حفر عدة أثقاب استنادا إلى الدراسات الهيدرولوجية التي تقوم بها مديرية هندسة المياه بفاس.

إن حفر الأثقاب والآبار يساهم في توسيع المساحة المسقية ويحل معضلة تزويد السكان بهذا المورد الحيوي. إلا أن هذا يتسبب في العديد من المشاكل من بينها التأثير السلبي على مستوى الدورة الطبيعية للمياه فكثرة حفر الآبار تؤدي إلى استنزاف الفرشة الباطنية والخطير في الأمر كون الأثقاب فهي ذات مستويات عميقة وخاصة خلال السنين الأخيرة: تجاوز الحفر 100 متر.

**2-3- الجفاف وتراجع حجم المياه**

يعتبر مجال الدراسة عين الشقف من أهم المناطق بسايس التي تزخر بفرشة مائية مهمة وتكتسي الفرشة المائية العميقة أهمية متزايدة، يتضح ذالك من خلال عدد الآبار والأثقاب المائية المنجزة خلال السنوات الأخيرة و الإقبال الكبير على حفرها سواء من طرف المؤسسات المائية أو من طرف الفلاحين، ألا أن الحصيلة المائية تخضع لمجموعة من التغيرات المناخية ( الحرارة والتساقطات) التي تلعب دورا مهما في تذبذبات الفرشة المائية الباطنية والسطحية، خلال فترات الجفاف التي يعرفها مناخ المنطقة يؤدي إلى هبوط مستوى المياه الباطنية فيضطر الفلاح إلى تعميق الآبار واستعمال المضخات الكهربائية.

تتميز منطقة عين شقف بحكم انتماءها إلى حوض سايس بموارد مائية باطنية مهمة، وبوفرة منابعها، كما تزخر المنطقة بشبكة هيدروغرافية مهمة تمثل في مجموعة من الوديان ذات الجريان الدائم أو الموسمي. غير أن هذه الثروة المائية بدأت تتراجع بشكل كبير، ذلك بسب الاستغلال المكثف ونتيجة الجفاف الذي ازدادت حدته خلال العقود الأخيرة.

غير أن هذه الثروة المائية بدأت تتراجع بشكل كبير، ذلك بسب الاستغلال المكثف ونتيجة الجفاف الذي ازدادت حدته خلال العقود الأخيرة، وهذا كان سببا في لجوء السكان إلى حفر الآبار الأثقاب التي تسببت في استنزاف الفرشة الباطنية، الشيء الذي يفرض على المسؤولين تنظيم قطاع الماء قصد توفير الماء الشروب من جهة ومن جهة ثانية للحفاظ على هذا المورد الذي لا يتجدد بسهولة.

**II- الدينامية الحضرية وتزايد الطلب على الماء**

إن التزايد الديموغرافي والتمدن السريع وتوسيع رقعة الزراعة السقوية يؤدي إلى تزايد الطلب على الماء والضغط على الموارد المتاحة، لقد كان الماء في المغرب -إلى تاريخ حديث- يستعمل بالخصوص في القطاع الفلاحي، وقد أدى تضاعف السكان و نمو المدن التي رافقها نمو الأنشطة الصناعية، السياحية، التجارية والخدماتية إلى ظهور طلبات جديدة[1].

يعرف مجال عين شقف دينامية حضرية قوية كغيرها من المجالات ت المغربية، وهي مرشحة لزيادة سكانية كبيرة في المستقبل. حيث يطرح هذا التطور السريع مشاكل عديدة كصعوبة المرافقة بالبنيات الأساسية الملائمة ويأتي في مقدمتها الماء الشروب، وذلك بسب الاستثمارات المالية الثقيلة التي تتطلبها.

[1]– لحسن جنان، إشكالية الماء في التوسع العمراني وفي التوازنات البيئة الحضرية بالمدن الصغرى والمتوسطة: مدينة صفرو نموذجا. مجلة دفاتر الجغرافية العدد الأول، سنة 2005، ص 1– 12.

**1- النمو الديموغرافي والتوسع المجالي عامل مساعد على استنزاف الماء**

تعيش جماعة عين الشقف تحولات مجالية هامة، متأثرة بالدينامية الحضرية لمدينة فاس، حيث كانت تستقطب الساكنة بفعل إمكاناتها الفلاحية، باعتبارها مجالا ضاحويا ذو مؤهلات طبيعية هامة، خاصة الموارد المائية التي تستحوذ عليها مدينة فاس لسد حاجيات ساكنتها. فأصبحت حاليا الجماعة مشروعا لدى المسؤولين يجب العناية به، من أجل ملائمة الإطار الترابي لما يعرفه النمو الديموغرافي بعمالة فاس وفتح مناطق جديدة للتعمير.

**1-1- خصوصيات النمو الديموغرافي**

عرفت جماعة عين الشقف تطورا ملحوظا في عدد سكانها كغيرها من المجالات المغربية، خاصة بعد الاستقلال حيث تزايدت الهجرة نحو الجماعة بهدف استغلال الأرض فلاحيا، بالإضافة إلى التزايد الطبيعي المرتفع. وكذا الدينامية الحضرية التي تتمثل في التوسع المجالي الذي يعرفه المركز. وحسب نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014، تقدر ساكنة الجماعة الترابية لعين الشقف ب56368 نسمة، بكثافة تقدر بأكثر من 230 نسمة في كلم$^2$، هذه الساكنة تتوزع على 7693 أسرة.

تعرف المنطقة زيادة سريعة للسكان، خاصة خلال الفترة الممتدة ما بين (1971-1982) نسبة نمو مرتفعة ب 15,4%، حيث توافدت على الجماعة مجموعة من السكان قاموا بتنشيط التجارة، وبالتالي عملوا على الحد من ضغط الهجرة القروية على مدينة فاس. لكن عدد الساكنة عرف تراجعا ملموسا ويرجع السبب في ذلك ما بين (1982-1994) إلى التقسيم الذي خضعت له الجماعة، الشيء الذي جعل الجماعة تفقد بعض الأحياء مثل زواغة وبنسودة. بينما ارتفع عدد سكان الجماعة من جديد إلى حوالي 56368 نسمة بنسبة نمو 6.4% ما بين إحصاء (2004 و2014). وتفسر هذه الزيادة السريعة، بالزيادة الطبيعية للسكان الحضريين وبانتقال بعض التجمعات السكانية الريفية من دواوير إلى المراكز الحضرية وكذا بسب الهجرة وتوسيع المدارات الحضرية. ومن المتوقع أن ترتفع الكثافة أكثر فأكثر في غضون السنوات المقبلة، خاصة بعد إنشاء أقطاب حضرية جديدة بالجماعة.

كما يعرف مركز عين الشقف دينامية ديموغرافية قوية. وهذا يفرض على المسؤولين أخذ هذه النسبة في الحسبان فيما يتعلق بالتزويد بالماء الشروب. هذا مع العلم أن هذه الجماعة أصبحت تستقطب اهتمام المضاربين العقاريين، من جهة لقربها من فاس، ومن جهة ثانية لكونها تعد قطبا حضريا جديدا يحظى باهتمام الوزارة المكلفة بالإسكان والتعمير والتنمية المجالية، وباقي المهتمين بالعقار. بمعنى أن هذا المركز مرشح لزيادة ديموغرافية أكبر، سيما وأن مجاله يتوفر على مساحات شاسعة تنتمي في غالبيتها إلى الأراضي العرشية.

**1-2- الدينامية الحضرية لمجال عين سقف**

تعيش جماعة عين الشقف تحولات مجالية هامة، متأثرة بالدينامية الحضرية لمدينة فاس. حيث كانت تستقطب الساكنة بفعل إمكاناتها الفلاحية، باعتبارها مجالا ضاحويا ذو مؤهلات طبيعية هامة خاصة الموارد المائية والأراضي الصالحة للزراعة التي كانت تستحوذ عليها مدينة فاس لسد حاجيات ساكنتها الغذائية. وحاليا أصبح المسؤولون يستعملون أراضي عين الشقف للتغلب على الأزمة السكنية. وقبل التطرق إلى التوسع المجالي لعين الشقف سنشير بشكل مركز إلى الدينامية الحضرية التي عرفتها فاس.

لعل النمو المجالي الذي تعرفه مدينة فاس لم يبقى أمامها سوى الأراضي العرشية جنوب المدينة. إذ نجد أن جماعة عين الشقف تمثل مثالا حيا عن هذه الظاهرة المتنامية والتي نتجت أساسا عن انفلات زمام التحكم في التوسع المجالي للمدن من

يد السلطات العمومية، من جهة بسبب عدم ملائمة أدوات التعمير لسرعة التمدين، ومن جهة أخرى بفعل عجز التدبير الحضري عن الاستجابة للطلب المتزايد على السكن والتجهيزات الجماعية والأراضي المعدة للبناء وبهذا اشتدت المضاربة العقارية (تصريحات شفوية، حسين النهراوي متصرف بالمفتشية الجهوية للإسكان والتعمير والتنمية المجالية، 2023).

بحكم الموقع الجغرافي الذي يمثله مركز عين الشقف بالنظر إلى قربه لمدينة فاس، يشكل إطارا مجاليا مفتوحا على التحضر. هذه الوظيفة الحديثة أطرت دور المركز في الاستجابة للدينامية الحضرية لمدينة فاس، قصد توفير مساكن من أصناف مختلفة وموجهة لفئات اجتماعية مختلفة أيضا، بالإضافة إلى وفرة الأراضي العرشية التي يسهل على الدولة اقتنائها. فجاء القطب الحضري متضمنا لعدة مشاريع كما هي موضحة ضمن التصميم الخاص بالقطب الحضري سايس.

طرح قطب وحدة عين الشقف إمكانيات استغلال جديدة مع إعطاء الأسبقية لقطاع الإيواء، أكدت خريطة الاستغلال الانطلاق من المحاور الرئيسية للمركز، وذلك بهدف استغلال التجهيزات الرئيسية خاصة منها الشبكة الطرقية والإدارة العامة.

سيعرف مركز الزليلغ انطلاقة عمرانية ملحوظة، حيث سيتم التأهيل العمراني بمركز الزليلغ وإدماجه ضمن مركز رأس الماء وذلك في أفق إحداث ثنائية القطب الحضري لمدينة فاس، على بعد 15كلم عن وسط مدينة فاس. والمساهمة في تحقيق الهدف الوطني للوصول إلى وثيرة انجاز 100000 وحدة سكنية سنويا. يرتكز تصميم التهيئة على:

- ✓ إحداث قطب حضري جديد للتعمير على مساحة تقدر بحوالي 280 هكتار؛
- ✓ توجيه التعمير صوب الأراضي الصالحة للبناء والمتواجدة بالمناطق الشمالية والشرقية لمركز الزليلغ التي تتميز بموقعها على طول الطرق الإقليمية؛
- ✓ برمجة مناطق للسكن بطاقة استيعابية تقدر40000 نسمة وتجهيزات عمومية لتلبية الحاجيات السكانية الحالية والمرتقبة بالمركز؛
- ✓ برمجة شبكة طرقية ذات بنية جيدة ستعمل على إدماج المركز ضمن الطرق الجهوية و تسهيل عبور اتجاه مدينة فاس؛
- ✓ تهيئ منطقة طبيعية تشمل المقالع والمغارات وحوض وادي بوركايز وذلك للحد من انتشار السكن الغير اللائق بها (المتفشية الجهوية للإسكان والتعمير والتنمية المجالية، 2023).

هدف هذا المشروع يتمثل في محاربة انتشار السكن العشوائي على صعيد مركز الزليلغ، تأهيل العمران بالمركز وإدماجه ضمن مركز رأس الماء.

يتضح مما سبق أن المشاريع السالفة الذكر لا تهتم عند انجازها بمشكل تزويد السكان بالماء خاصة أن جماعة عين الشقف تعرف كباقي المجالات المغربية تراجعا في كمية التساقطات كما وضحنا ذلك في القسم السابق. زد على هذا أن هذه المنطقة ستعرف إيواء مجموعة من الإحياء الصناعية المفروض تزويدها بالماء.

تعرف مدينة فاس كغيرها من المدن المغربية الكبرى ارتفاعا في عدد سكانها، واستنزافا عقاريا بسبب التمدين، وتزايد الطلب على السكن. هذا ما يطرح إشكالية معالجة الاختلالات الترابية الناتجة عن الدينامية غير الملائمة، خاصة وأن مدينة فاس تشكل قطبا جهويا، يمارس قوة الجذب على المناطق المحيطة به، من مدن صغرى ومتوسطة وكذا المراكز الضاحوية القريبة منها.

فكانت النتيجة هي الزيادة في المدار الحضري لمدينة فاس، الذي لا يمكن أن يتم إلا على حساب المراكز القروية على الهامش الجنوبي القريب من المركز (المجال الحضري)، باعتباره السبيل الوحيد للتحكم في النمو الترابي للمجالات الضاحوية، وهي حالة الجماعة الترابية عين الشقف .

**2- أوجه استعمالات الماء بمجال عين شقف**

يعرف مجال الدراسة نقصا على مستوى مجموعة من الموارد. ويأتي في مقدمتها الماء، و السبب في ذلك يرجع إلى الزيادة الديموغرافية ولتوسع المجالي وما يفرضانه من استهلاك كبير للماء.

**2-1- الماء الشروب**

يعتبر الماء الشروب حسب المنظمة العالمية هو ماء لا يتضمن عوامل مسببة لإمراض (des agents pathogènes) أو عوامل كيماوية (des agents chimiques) بتركيزات يمكن أن تضر بالصحة وتتمثل المياه الصالحة للشرب في مياه السطح المعالجة أو غير الملوثة والمياه الباطنية غير الملوثة.

- تختلف طرق التزويد بالماء الشروب بجماعة عين الشقف. فالمركز وبعض الدواوير التابعة لها تتزود انطلاقا من الربط المباشر التابع للمكتب الوطني للماء الصالح للشرب، كما تستفيد دواوير أخرى عن طريق الجمعيات والنافورات العمومية، في حين تستفيد بعض الأسر من الآبار.

**- المكتب الوطني للماء الصالح للشرب: ONEP**

تأسس المكتب الوطني للماء الصالح للشرب سنة 1972، والهدف من وراء إحداث هذه المؤسسة هو إنتاج الماء كما يتكلف بعملية توزيع الماء والقيام بدراسات قصد جر الماء إلى الأماكن التي تفتقر إليه، مع التخطيط من خلال أنجع السبل، إضافة إلى مراقبة جودة المياه.

عرف الإنتاج المائي بمجال الدراسة تطورا مهما نتيجة تزايد الطلب على الماء، إضافة إلى المجهودات المبذولة من طرف المكتب الوطني للماء الصالح للشرب. ويرتبط هذا التطور الحاصل في إنتاج الماء الشروب إلى المجهودات التي تبذل من طرف المكتب الوطني للماء للزيادة في عدد المنخرطين تماشيا مع السياسية الرامية إلى تعميم تزويد العالم القروي بالماء من قبل الدولة المغربية.

**- الوكالة المستقلة لتوزيع الماء و الكهرباء بفاس RADEEF**

تعتبر هذه الوكالة فرع من الجماعات والبلديات، مهمتها تتركز في تدبير المصالح العامة للماء والكهرباء وكذا مهمة التطهير. رغم أن المكتب الوطني للماء هو الذي يتولى تزويد السكان بالماء الشروب بالعالم القروي، فبعض التجمعات السكنية بمجال الدراسة تستفيد من خدمات الوكالة المستقلة لتوزيع الماء والكهرباء. وعموما تتدخل الوكالة المستقلة لتوزيع الماء والكهرباء بعين الشقف بتزويد الساكنة إما عن طريق النافورة العمومية أو بواسطة الشبكة.

**- الجمعيات**

أدت رغبة السكان في الحصول على الماء الشروب، أمام النقص الحاد في الموارد المائية إلى تأسيس جمعيات وتعاونيات مهتمة بتدبير الشأن المائي. وفي هذا الصدد شكلت سنة 2004 بداية تأسيس أول تعاونية بالجماعة عين الشقف وبالتحديد بدوار الخرابشة. هدفها الأساسي هو التغلب على الصعاب التي تعترض سكان الجماعة نظرا لمحدودية تدخل الدولة لتحقيق كل المتطلبات الحياتية (تصريحات شفوية من طرف رئيس الجمعية، 2023).

من خلال الحوار الذي أجريته مع رئيس جمعية التكافل للماء والتنمية في 27 غشت 2023، أفاد أن تأسيس الجمعية مر بعدة مراحل منها: جمع المنخرطين وهي مرحلة جد صعبة، خاصة أنها أول جمعية نشأت بالمنطقة، إضافة إلى أن جل الساكنة أمية، الشيء تطلب من أعضاء الجمعية بدل مجهود لإقناع الساكنة للانخراط ، بعد ذاك تم خلق عقدة بين الجمعية و المكتب الوطني للماء الصالح للشرب و قدر عدد المشتركين في البداية بحوالي 140 مستفيد.

ينحصر دور الجمعيات في التنسيق ما بين المكتب الوطني للماء الشروب والسكان على مستوى استخلاص فاتورة الماء وصيانة العداد، الأمر الذي انعكس إيجابا على الزيادة في عدد المنخرطين.

نظرا للخدمات التي تقدمها الجمعيات تأسس عدد لا يستهان به من الجمعيات والوداديات المهتمة بقطاع الماء، أقبل السكان وبكثافة على الانخراط بالجمعية حيث انتقل عدد المستفيدين بجمعية التكافل من 180 منخرط سنة 2005 إلى 220 منخرط سنة 2006، بلغ عدد المنخرطين سنة 2007 حوالي 250 منخرط و يتجاوز حاليا عدد المستفيدين 264 منخرط (جمعية التكافل، 2023).

أما بالنسبة لمصاريف تأسيس الجمعية قدرت بحوالي 1500 درهم لكل منخرط منها 800 درهم لإنشاء قناة مشتركة لنقل الماء أو ما يسمى بالنفق الرئيسي، و700 درهم كواجب لإيصال قناة الماء إلى منزل المستفيد، وهي ما يسمى بالإيصالات الفردية.

ويقدر ثمن شراء الماء من المكتب ب 5 دراهم للمتر مكعب بدون الرسوم الضريبية، و ثمن إعادة البيع للمنخرط هو 5 دراهم للمتر مكعب (تصريحات شفوية لرئيس جمعية التكافل، 2023). وهو ثمن اقتصادي إذا ما قورن مع ثمن النافورة العمومية الذي يقدر ب: 4 دراهم للمتر مكعب.

**2-2- تقييم الحاجيات والموارد المائية بمجال الدراسة**

رافق الدينامية الحضرية التي تعيش على إيقاعها مدينة فاس تزايد الطلب على الموارد المائية. كما أن استغلال هذه الموارد جاء على مراحل ارتبطت بتطور النسيج الحضري للمدينة، إلا أن النمو المجالي والديموغرافي المتزايد كان يفرض دوما البحث عن مصادر المياه لتلبية حاجيات الساكنة.

ولقد كانت فاس ما بين 1951 و2000 تتزود انطلاقا من عين عمير، عين بوركايز وعين الشقف، لأن صبيبها كان قويا ودائم الجريان. وابتداء من سنة 1959 تم إنشاء العديد من الأثقاب مباشرة بالفرشة العميقة لحوض فاس سايس، ومع تزايد حدة الجفاف تزايدت عدد الأثقاب التي تقدر حاليا ب 33 ثقب منها 18 ثقب يتواجد برأس الماء وثقبان بعين الشقف، ومع ارتفاع الطلب على الماء، اعتمد المسؤولون على مياه واد سبو، وذلك بعد بناء محطة للمعالجة سنة 1987.

- معالجة ماء واد سبو، بالإضافة إلى 23 ثقب:

✓ 16 ثقب برأس الماء وهي: 2487/15, 2444/15, 2608/15, 2392/15, 2372/15, 2371/15, 2365/15, 2364/15, 3151/15 ; 3023/15 ; 2766/15 , 2732/15, 2631/15, 2375/15, 2602/15, 2487/15, 2602/15.

✓ أثقاب تتوطن بطريق صفرو وهي: 2827/15, 2793/15, 2627/15, 2625/15.

- أما الوكالة المستقلة لتوزيع الماء والكهرباء فتستغل 10 أثقاب موزعة مجالا على الشاكلة التالية:

✓ 5 أثقاب بطريق صفرو وهي: 2601/15, 2345/15, 2313/15, 2060/15, 2168/15.

✓ 3 أثقاب بطريق إيموزار: 2601/15, 2345/15, 2313/15, 2060/15, 2168/15.

✓ ثقب واحد بطريق عين الشقف وأخر برأس الماء، إضافة استغلالها لمياه عين بوركايز وعين الشقف

رغم الدور الإيجابي الذي تقوم به هذه الأثقاب فيما يتعلق بتزويد فاس بالماء الشروب، فهي تعاني من بعض المشاكل كالملوحة. ومع تزايد الحاجيات المائية، اضطر المسؤولون إلى إضافة أربعة أثقاب جديدة لزيادة الإنتاج .

وللتغلب على التزايد الديموغرافي والتوسع المجالي أصبحت الوكالة المستقلة لتوزيع الماء والكهرباء تزود ساكنة فاس والجماعات المجاورة لها ب:25% من عيون باطنية. أما واد سبو أثقاب رأس الماء فتوفر 75% من المياه السطحية والجوفية. إضافة إلى مياه العيون التي تساهم في تزويد مدينة فاس بالماء الصالح للشرب، ويقدر صبيب عين الشقف ب130 لتر في الثانية فيما تساهم عين بوركايزب235 لتر في الثانية (تصريحات شفوية لأحد موظفي بالمكتب الوطني للماء الصالح للشرب) ورغم هذه الإجراءات الاحترازية، فكل من الوكالة م.ت.م.ك والمكتب الوطني للماء الصالح للشرب لم يتمكنا من إنتاج أكثر من 2650 / ل / ث كمياه معبئة.

إن هدف تقيم الموارد المائية بفاس هو معرفة مدى العلاقة الموجودة ما بين الزيادة الديموغرافية وتوسيع الشبكة المائية. فإلى عهد قريب كان عدد سكان جهة فاس بولمان هو 1.332.473ن سنة 1994، فانتقل سنة 2004 إلى 1.573.055 نسمة. ونصيب مدينة فاس منه هو: 977.946 ن سنة 2004 و1248315ن سنة 2014، أي بنسبة زيادة عامة بلغت 21.8% ما بين الإحصاءين و15% بالنسبة لعين الشقف.

إن التغير الذي يطرأ على ديموغرافية فاس وبواديها لا يجد تبريره في الزيادة الطبيعية وعامل الهجرة فحسب، بل يفسر كذلك بالتقسيم الإداري الذي يعمل على إدماج ساكنة كانت تابعة بالأمس القريب إلى المجال القروي وأصبحت حاليا تدمج ضمن المجال الحضري. وهنا تطرح إشكالية تزويد التجمعات البشرية المدنيةّ بالماء الشروب على اعتبار أن هذه الأخيرة غدت ساكنة حضرية .

**أ- الحاجيات المستقبلية من الماء**

قدر عدد سكان مدينة فاس حسب الإحصاء العام للسكان و السكنى الذي أجري سنة 2014 ب1248315 نسمة. وهذا الرقم في تزايد مستمر حسب تقديرات الحصيلة الديموغرافية، إذ سيصل عدد السكان سنة 2025 إلى1418587نسمة، وهذا يعني ازدياد الحاجيات المائية.

أهم ما يمكن ملاحظته هو أن وثيرة تزايد الحاجيات تفوق وثيرة تزايد السكان، وهذا يعني تضاعف الحاجيات المائية خلال 25 سنة، فمعدل الاستهلاك الفردي الذي كان يقدر بحوالي 25 لتر للفرد في اليوم سنة 1995، سيصبح 85 لتر للفرد في أفق سنة 2025، وهذه الزيادة ترتبط بتحسن المستوى المعيشي للسكان وبالتالي استهلاك أكبر للموارد المائية .

أما الموارد المائية فهي في تراجع مستمر بسبب استنزافها، إضافة إلى أثار الجفاف الذي أدى إلى تراجع الفرشة الباطنية لسايس ب60 متر في ظرف 25 سنة ما بين 1979 و2022 ويقدر متوسط الانخفاض ب 2.4 متر في السنة. كما تراجع إنتاج الأثقاب المائية ابتدءا من 1979 بحوالي 30%.

**ب- المشاريع المبرمجة مستقبلا**

نظرا للنمو الديموغرافي، ارتفاع التوسع الحضري وازدياد المساحات الزراعية المسقية، فإن المياه التي توفرها المنطقة، سواء منها السطحية أم الجوفية، أصبحت عاجزة على مواكبة هذا النمو. وسيزداد العجز في المستقبل، وبالتالي بات من الضروري التفكير في البدائل الضرورية لسد العجز.

لتلبية حاجيات مدينة فاس بالماء الصالح للشرب على المدى المتوسط والبعيد، تقوم وكالة الحوض المائي لسبو بتنسيق مع المكتب الوطني للماء الصالح للشرب والمصالح المعنية الأخرى بدراسة مخطط مديري للتزويد المندمج لمدينة فاس، ومكناس

والمناطق المجاورة، وأفضت النتائج الأولية لهذه الدراسة على أن الموارد السطحية المعبأة بسد إدريس الأول هي الحل الأنجع في مرحلة أولى لتزويد المنطقة، نظرا لمحدودية المياه الجوفية القابلة للاستغلال بسهل سايس، التي تعرف انخفاضا مستمرا في صبيبها بسبب استغلالها المكثف.

تفرض التحولات الديموغرافية التي تعرفها فاس والضواحي توفير الحاجيات المائية الضرورية للقطاع الفلاحي، نظرا لما يتطلبه القطاع من كميات كبيرة من الماء.

يقتضي الطلب المتزايد على الماء بناء خطة مائية محكمة هدفها ترشيد واقتصاد في استعمال الماء، ويتأتى ذلك عن طريق:

- ✓ الصيانة اللازمة لكل مصادر المياه؛
- ✓ التعبئة العقلانية لكافة الموارد المائية بواسطة تقنيات وتجهيزات جيدة على مستوى تجميع، تخزين، معالجة وإعادة استعمال الماء؛ وترشيد الاستهلاك؛ وحماية الماء من التلوث؛

**2-3- الماء الفلاحي**

ظلت الفلاحة المستهلك الأول للماء، فالسقي لا يقتصر في الأوساط الجافة فقط بل يشمل المناطق الرطبة. وسوف يتزايد استعمال الماء نظرا لارتفاع الطلب على الموارد الغذائية ذات الأصل الفلاحي، مما يستدعي الزيادة في المساحة الزراعية المسقية.

يتوفر مجال عين الشقف على موارد مائية مهمة خاصة الجوفية منها التي تستغل عن طريق الآبار الأثقاب المائية في السقي إلا أن هذه الفرشة تعرف تذبذبات بسبب الظروف المناخية (الجفاف)، مما ينعكس على المجال الزراعي المسقي الذي يعرف تراجعا كبيرا، إضافة إلى التوسع العمراني على حساب الأراضي الفلاحية.

قبيل دخول الاستعمار الفرنسي إلى منطقة "سهل سايس" كان المجال القروي سايس-فاس ينقسم إلى ثلاثة أقسام: مجال زراعي يحيط بالمدينة في كل من جماعة سيدي حرازم، أولاد الطيب وجماعة عين الشقف، كل هذه القبائل منحت لها أراضي فلاحية حول مدينة فاس لاستغلالها مقابل خدمتها العسكرية.

بعد دخول الاستعمار، استولى المعمر على أجود وأخصب الأراضي الفلاحية، وصاحبت عملية نزع الملكية فراغ سهل سايس من السكان. وقد سجلت الفترة الاستعمارية بداية تحولات مجالية واجتماعية بالجماعة، تتمثل في دخول تقنيات فلاحية جديدة لاستصلاح الأراضي، ووضع شبكة للسقي انطلاقا من الأودية والعيون المتواجدة بالجماعة، وتم اتجاه المعمر إلى التركيز على منتوجات فلاحية تسويقية.

بعد الفترة الاستعمارية واسترجاع الأراضي، تشكلت عليها منذ 1969 عدة تعاونيات، هذا بالإضافة إلى أراضي أخرى منحت لشركة التنمية الفلاحية SODEA (الأراضي المغروسة)، وشركة التسيير الفلاحي SOGETA (أراضي متخصصة في زراعة الحبوب)، وقد لعبت هذه العملية دورا إيجابيا في إعادة هيكلة المجال الفلاحي بسهل سايس فاس.

إن أهم التحولات الاجتماعية التي يمكن تسجيلها هي تحسن ظروف عيش الأسر ماديا بالجماعة، وأكبر دليل على ذلك هو الاتجاه الجديد في التفكير لجعل بعض تعاونيات الإصلاح الزراعي تتجه نحو التخصص الزراعي، المتمثل في: تخصص بعض

التعاونيات في إنتاج البذور الجيدة، القمح الصلب، والبعض الآخر تخصص في تربية الأبقار ، بينما اتجه الصنف الأخير من المزارعين إلى زراعة الخضر والفواكه، وهو الاتجاه العام للمزارعين بجماعة عين الشقف[1].

عرفت نسبة الأراضي الصالحة للزراعة بجماعة عين الشقف، سواء البورية أو التي تعتمد على نظام السقي تطورا ما بين السنوات 1996 و 2003، إذ انتقلت المساحة الصالحة للزراعة من 11783 هكتار سنة 1996 إلى 13300 هكتار سنة 2003.

تضم جماعة عين الشقف مساحات متفاوتة من الأراضي المسقية والبورية، كما تتميز بتوزيع مجالي متباين، حيث أن الفلاح يملك قطعة أرضية هنا وقطعة أرضية هناك وغالبا ما تكون مساحتها صغيرة، وهذا ما تم ملامسته من خلال البحث الميداني، كما هو موضح في الشكل التالي:

الشكل رقم 3: توزيع الأراضي السقوية والبورية بجماعة عين الشقف سنة 2020

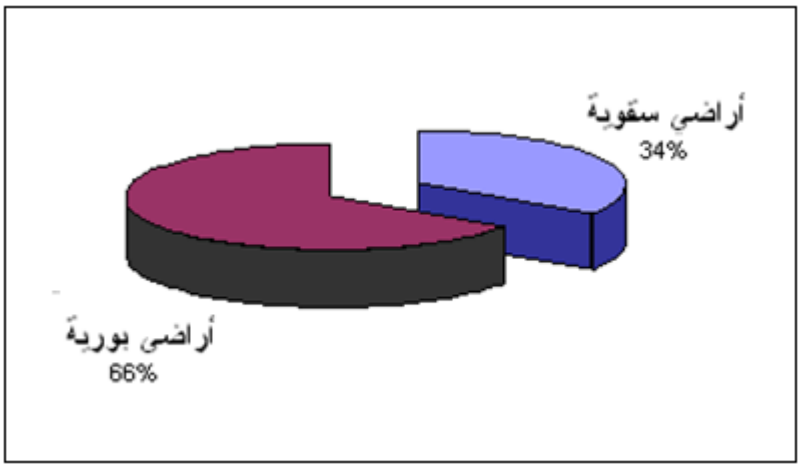


المصدر : بحث ميداني 2023

يتضح من خلال هذا الشكل أن مساحة الأراضي البورية شاسعة حيث أن 66% من الفلاحين يملكون أراضي بورية فقط في حين أن الفلاحين الذين يملكون الأراضي السقوية لا تتجاوز 34%. كما تتميز المساحة المسقية بالجماعة بتوزيع غير متكافئ، بحيث أن عددا كبيرا من الفلاحين لم يستفيدوا من مياه السقي ولا يملكون أراضي سقوية أي يملكون استغلاليات بعيدة من المجال الذي يشمله السقي.

**السقي التقليدي**

يتميز مجال الدراسة بوفرة الموارد المائية الباطنية مما ساعد الفلاح على خلق مساحات تعتمد على السقي هدفها تكثيف الإنتاج والتخفيف من الأزمات الفلاحية التي تعرفها المنطقة بسبب الظروف المناخية، لهذا اهتدى الفلاحون بمجال الدراسة إلى حفر العديد من الآبار والأثقاب تستغل لسقي مساحات مهمة.

يعتمد ساكنة جماعة عين الشقف في السقي على المياه الباطنية بنسبة 100%، وحوالي 13% من الفلاحون يعتمدون علي الأثقاب وفي حين أن87% يعتمدون على الآبار، كما تختلف طريقة نقل المياه إلى الحقول فحوالي 75% يعتمدون على سواقي تقليدية في حين 25% يعتمدون على أنابيب بلاستكية.

**السقي العصري**

[1]– كوثر الصنهاجي، الجماعات المحلية و دورها في التنمية نموذج الجماعة القروية عين الشقف. بحث لنيل الماستر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، سنة 2008. ص111.

أدت الظروف المناخية الحالية بالسكان إلى اعتماد نظام الري الموضعي نظرا لما له من أهمية في اقتصاد الماء والزيادة في الإنتاجية. وهذا ما لمسناه بجماعة عين الشقف. حيث يعتمد هذا النظام في ري أشجار مثمرة كالزيتون، وبهذه الطريقة استطاع الفلاحون بمجال الدراسة إحياء بعض الأراضي التي كانت تندرج إلى عهد قريب ضمن الأراضي البورية.

فإن المياه التي توفرها المنطقة، سواء منها السطحية أم الجوفية، أصبحت عاجزة على مواكبة هذا النمو وسيزداد العجز في المستقبل، وبالتالي بات من الضروري التفكير في البدائل الضرورية لسد العجز، ونهج سياسة تروم التدبير الجيد لمواردنا المائية ونشر ثقافة عدم التبذير، خصوصا وأن مواردنا المائية ترتبط بالتغيرات المناخية، هذا فضلا عن إدخال تحسينات تهم قنوات التوزيع التي أصبح جزء مهم منها متلاشيا وهذا يتسبب في ضياع كميات مهمة من الماء. أما بخصوص السقي، فالأمر يتطلب الاقتصاد في الموارد المائية بالاعتماد على السقي بالتنقيط، أي السقي الموضعي.

نستخلص من كل هذا أن الدينامية الحضرية التي تعرفها الجماعة القروية عين الشقف هي نتيجة للامتداد العمراني الذي تعرفه مدينة فاس، فهذه الأخيرة تعرف نموا ديموغرافيا مرتفعا كما أنها لم تعد قادرة على توفير السكن خاصة للفئات ذات الدخل المحدود، فكان الحل هو الامتداد في اتجاه الجنوب، وتعتبر جماعة عين الشقف الهامش الأول الذي تتوسع مدينة فاس على حساب أراضيه.

إلا إن هذه الدينامية الحضرية التي عرفها مدينة فاس على وجه العموم وجماعة عين الشقف على الخصوص تلاها تزايد الطلب على الموارد المائية خاصة الماء الصالح للشرب، كما أدى تعدد المتدخلين في قطاع الماء إلى توسيع دائرة المستفيدين من الشبكة العمومية للماء الشروب، الشيء الذي أدى إلى الضغط على الموارد المائية التي لم تعد قادرة على تلبية حاجيات المدينة على المدى المتوسط و البعيد.

**خاتمة**

إن إشكالية حكامة تدبير المياه، تتطلب بناء حكامة جهوية لتدبير المياه تضم جميع الفاعلين، وتنمية المعرفة، وتربية الناشئة على حسن استعمال المياه، على أساس أن التدبير المندمج والمعقلن للموارد المائية وإعادة استعمال المياه المعالجة، أصبح من التحديات المطروحة ضمن إستراتيجية تثمين المياه والتي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار ضرورة عقلنة تدبير الموارد المائية بالنسبة للأنشطة التي تعتمد على المياه بشكل كبير سواء الفلاحية أو الصناعية، وربط إشكالية تدبير المياه بالتغييرات المناخية، ذلك أن الغاية المرجوة من أجرأة حكامة رشيدة لتدبير سياسة إدارة المياه، هي المساهمة في الحد من الآثار السلبية لندرة المياه، والحفاظ على الماء كمورد حيوي، وترشيد استعمال الماء الصالح للشرب وإعادة استعمال المياه العادمة بعد معالجتها. كما تهدف إلى تحسيس الساكنة وتقوية قدرات فعاليات المجتمع المدني في المجال الترافعي.

يعتبر مجال عين الشقف من أهم المناطق التي تزخر بموارد مائية سطحية مهمة التي تتمثل في مجموعة من العيون والأودية ذات الجريان الدائم زيادة على الفرشة المائية الباطنية التي تشكل أهمية متزايدة، يتضح ذلك من خلال عدد الآبار والأثقاب المنجزة خلال السنوات الاخيرة والإقبال على حفرها.

إلا أن الحصيلة المائية للمجال تخضع لمجموعة من التغيرات المناخية التي تلعب دورا مهما في تطور الموارد المائية، خاصة الجفاف الذي يعرفه مناخ المنطقة يؤثر سلبا على مستوى المياه الباطنية مما يؤدي إلى هبوط مستواها. فعلا إن توالي سنوات الجفاف جعل المنطقة تعيش تحولات مجالية ومجتمعية لم تألفها من ذي قبل، إذ تراجعت الفلاحة لصالح البناء القانوني وغير القانوني كما هو الأمر بالنسبة للقطب الحضري الجديد سايس الذي سيحتضن بنايات تتطلب كميات كبيرة من الماء،

ISSN 2569-734X

خاصة الفيلات التي تتوفر على حوض للسباحة، ناهيك عن باقي المشاريع السياحية الأخرى التي ينبني نجاحها بالدرجة الأولى على حضور أو غياب الماء.

## البيبليوغرافيا

- أمينة البوعيشي، الهوامش الحضرية قيد التأهيل بفاس: إعالة تشكيل المدينة، الممارسات الحضرية وبدائل التهيئة. أطروحة دكتورة الدولة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس فاس. سنة 2004.

- عبد الصادق بلفقيه، الماء الشروب في الوسط القروي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد23، الرباط. سنة 1999.

- كوثر الصنهاجي، الجماعات المحلية ودورها في التنمية نموذج الجماعة القروية عين الشقف. بحث لنيل الماستر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز- فاس،111 صفحة. سنة 2008.

- لحسن جنان، إشكالية الماء في التوسع العمراني وفي التوازنات البيئة الحضرية بالمدن الصغرى والمتوسطة: مدينة صفرو نموذجا. مجلة دفاتر الجغرافية العدد الأول، ص 1- 12. سنة 2005.

- محمد غزال، الموارد المائية بشمال المغرب الشرقي: التدبير والاستغلال والإكراهات، أطروحة لنيل دكتورة الدولة جامعة محمد الأول، كلية العلوم، وجدة، 581 صفحة. سنة 2006.

وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، الحوار الوطني حول الماء، 66 صفحة. سنة 2006.

- مونوغرافية جماعة عين شقف، سنة 2023.

– Chamayou J, Come M, Genetier B. & Leclerc C: ressources en l'eau du Maroc. Tome II, Plaines et bassins du Maroc atlantique le bassin de Fès-Meknès et Couloir de Fès Taza. Edition du service géologique du Maroc. Rabat, pp. 42-71. 1975.

- Taltasse P: recherche géotechnique et hydrogéologique dans le bassin lacustre de Fès-Meknès, 1965.

# الخصائص المورفومترية لحوض واد الشارف شمال شرق المغرب، ودورها في إحداث خطر الفيضانات

**أمغار أحمد**، دكتور باحث تخصص الجغرافيا، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مختبر دينامية المناطق الجافة، وتهيئة التراب، وجدة، المغرب.hamadaguni@gmail.com

**الملخص**

تتجلى أهمية دراسة الخصائص المورفومترية للأحواض النهرية، في معرفة مدى قدرتها على خلق خطر الفيضانات. فأي حدث طبيعي استثنائي لأحد مكونات الشبكة المائية التي تنتمي للحوض النهري، سيؤدي إلى خلق خسائر اقتصادية تتمثل بالأساس في خلق ضرر ببنية التجهيزات الأساسية كالطرق، والمشارات الزراعية، والتجمعات السكنية... وخسائر بشرية كإزهاق أرواح الناس.

وتتضاعف هذه التأثيرات السوسيو-اقتصادية، إذا ما كان الحوض النهري يقع ضمن نطاق شبه جاف أو جاف، كما هو الحال بالنسبة لحوض واد الشارف شمال شرق المغرب، لأن الحدث الطبيعي بهذه المنطقة يكون مفاجئ ونادر التردد، مما يجعل التأهب للخطر الطبيعي والاستعداد له ضعيف إلى منعدم.

وقد تم دراسة حوض واد الشارف باعتماد مؤشرات مورفومترية متعددة، قصد إبراز مدى قدرة الحوض على خلق فيضانات تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على المنطقة سوسيو-اقتصاديا، ومحاولة تفسير ديناميتها بالخصائص الطبيعية المميزة لها عبر ملاحظات ميدانية مباشرة، واتضح أن البنية الجيومرفولوجية والتدخل البشري بطرق لا تراعي الخصائص المورفومترية النهرية المميزة لواد الشارف، من أهم العوامل التي تؤدي إلى خلق الفيضانات.

**كلمات المفاتيح:** خطر الفيضانات، الخصائص المورفومترية، الحدث الطبيعي، التأثيرات السوسيو-اقتصادية، حوض واد الشارف.

# Morphometric characteristics of the Oued El-Sharef basin in northeastern Morocco, and their role in causing flood risk

## Abstract

The importance of studying the morphometric characteristics of river basins is evident in knowing the extent of their ability to create a flood risk. Any exceptional natural event for one of the components of the water network that belongs to the river basin will lead to the creation of economic losses mainly represented in the creation of damage to the infrastructure of basic equipment such as roads, agricultural walkways, and residential communities... and human losses such as the loss of people's lives.

These socio-economic effects multiply if the river basin is located within a semi-arid or arid zone, as is the case with the Wadi Al-Sharef basin in northeastern Morocco, because the natural event in this region is sudden and infrequent, which makes preparation for natural danger and preparation for it weak to nil.

The Wadi al-Sharef basin was studied by adopting multiple morphometric indicators, in order to highlight the extent of the basin's ability to create floods that directly or indirectly affect the region socio-economically, and to try to explain its dynamics by its natural characteristics through direct field observations. It does not take into account the morphometric characteristics of the river, which is characteristic of Wadi El-Sharef, one of the most important factors that lead to the creation of floods.

**Keywords** : Flood risk, morphometric characteristics, natural event, socio-economic impacts, Wade El-Sharef Basin.

**مقدمة**

تتداخل عدة علوم في دراسة الأحواض النهرية والمخاطر الهيدرولوجية المترتبة عنها، مثل علم الهيدرولوجيا، وعلم الجيومورفولوجيا وعلم الجيولوجيا، وعلم المناخ... واعتمادا على هذه العلوم تم دراسة الخصائص المورفومترية لحوض واد الشارف، من أجل تحديد دورها في خلق المخاطر الطبيعية التي تؤثر على الأنشطة البشرية المختلفة التي تقع في نطاق حوض واد الشارف.

وقد تعددت الدراسات حول منطقة حوض واد الشارف التي اهتمت بالأنشطة البشرية كالدينامية الرعوية[1]، والزراعية[2]، وكذا الدراسات التي اهتمت بتدهور المنظومة بالبيئية، والمتمثلة في الغطاء النباتي، وتعرية التربة[3]، والتصحر[4]، وحتى الدراسات التي تهم المخاطر الطبيعية على الطرق المعبدة[5,6].

وقد جاءت هذه الورقة البحثية، من أجل التطرق لمورفومترية حوض واد الشارف من خلال دراسة مجموعة من المؤشرات أهمها: مؤشر شكل الحوض النهري، ونسبة التضرس، ومعامل الاستطالة، وكثافة التصريف... قصد الخروج بالخصائص المورفودينامية العامة للحوض، التي يكون لها دور في الأحداث الطبيعية من امتطاحات وغمر للمنشئات...

## 1. تحديد مجال الدراسة

يقع حوض واد الشارف شمال شرق المغرب، تحده الهضاب العليا من الشرق، والجنوب، والغرب، وسلسلة جبال جرادة من الشمال. يخترقه مجموعة من الأودية أهمها واد المسخسخة الرافد الأساسي لواد الشارف (الشكل رقم 1).

الشكل الرقم 1: توطين حوض واد الشارف

[1] MELHAOUI M, et al. « Analyse des données pluriométriques et prévison des sécheresses météorologiques à court terme par des méthodes de probabilité : Cas des Hauts plateaux de l'oriontal (zonz projet PDPEO) ». Article dans actes du colloque national, changements climatiques et mutations spatiales : Etat des lieux et perspectives. Imprimerie Houdayfa – Oujda. Pp 2-8, (2019).

[2] كربوب عبد العزيز وآخرون. " السقي التقليدي وتنظيم المجال: حالة الدائرة السقوية عين بني مطهر (شمال الهضاب العليا الشرقية المغربية)". مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي. العدد رقم 70، صص 117-124، (2023).

[3] مزغاب عبد الحميد، وآخرون. "استخدام التقييم المتعدد المعايير ونظم المعلومات الجغرافية في كرطوغرافية أماكن الجذب الحيواني وتدهور المراعي المهددة بالجفاف في الهضاب العليا الشرقية"، مقال ضمن أشغال الندوة الوطنية حول التغيرات المناخية والتحولات المجالية واقع الحال والآفاق، مطبوعات حذيفة – وجدة. صص 27-36. (2019).

[4] El Harradji A. « Morphodynamique et environnement au Nord-ouest des Hauts-Plateaux de l'Est marocain : De la dynamique naturelle des paysages à la désertification ». Thèse pour l'obtention du Doctorat d'Etat en Géographie Physique, option Géomorphologie. Université Mohammed Premier, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Oujda. 647 p. (2019).

[5] أمغار أحمد. " المخاطر الهيدرولوجية والجيومرفولوجية على الطرق المعبدة بالشمال الشرقي للمغرب، حالة عمالة وجدة–أنكاد وأقاليم بركان وتاوريرت وجرادة". أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول – وجدة. 290 ص. (2021).

[6] El Harradji A. « Impact du choix d'aménagement sur la vulnérabilité de certains sites d'infrastructures routières face aux risques hydrogéomorphologies : analyse de cas du NE Marocain ». Actes du Colloque International sur les risques naturels et l'aménagement du territoire, Oujda les 9 et 10 novembre 2018. Publication de le Faculté des lettres et sciences humaines – Oujda. Pp 71-76. (2018).

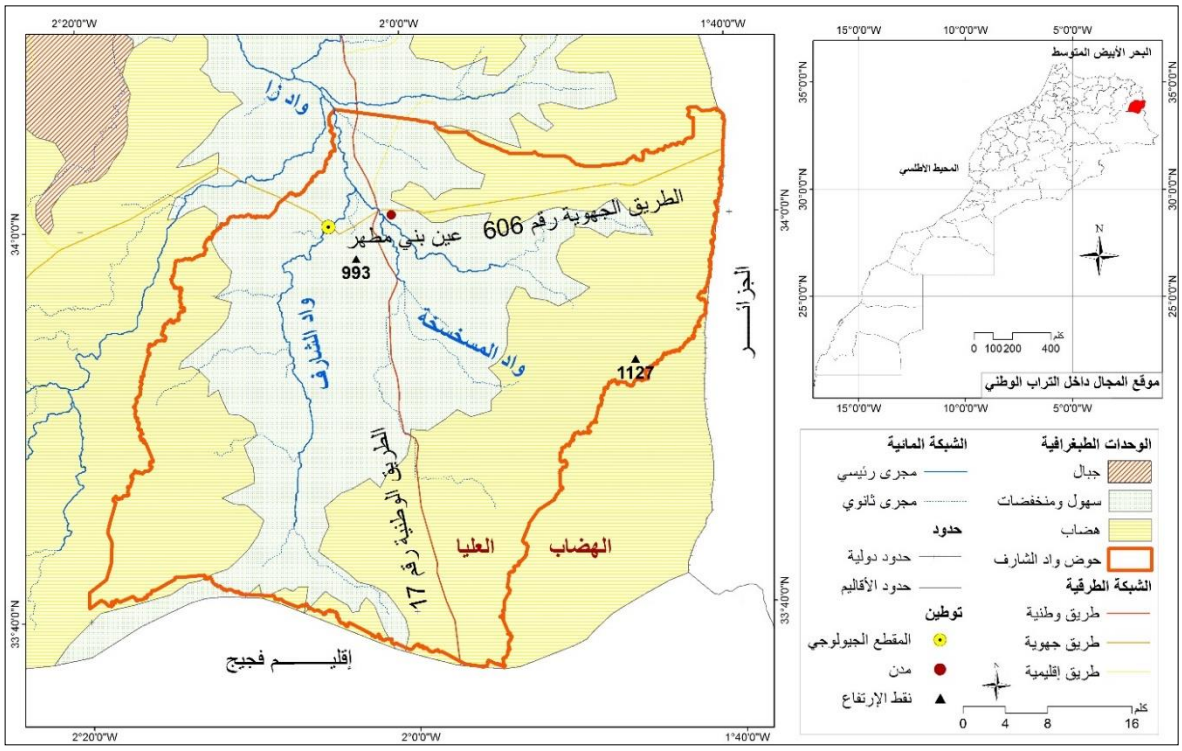


المصدر: التقسيم الإداري لسنة 2015 + الخريطة الطبغرافية لعين بني مطهر وجرادة 1/50000

يعتبر واد الشارف من أهم الأودية بالشمال الشرقي للمغرب، كونه من المصادر القديمة للشبكة المائية إلى جانب واد تيبودة وغيرها، والتي تطورت عنه شبكات مائية حديثة بسبب عمليات التعرية المهمة خلال الزمن الرابع مثل واد المسخسخة[1].

ويشكل واد الشارف حوضا شاسعا يغطي معظم سهب عين بني مطهر، ويمتد على مساحة تقدر بحوالي 1962 كلم$^2$، مما يجعل بعض الأماكن به تتعرض لخطر الفيضانات بشكل دوري؛ مهددة لمجموعة من التجهيزات المرتبطة به.

## 2. منهجية وأدوات

تضمنت منهجية العمل اعتماد مجموعة من المؤشرات والمعاملات المورفومترية لدراسة الأحواض النهرية، منها:

### أ- مؤشر كثافة التصريف

تتباين كثافة التصريف من منطقة إلى أخرى بناء على عدة عوامل: قوة التضاريس، ونوع الصخارة التي تتحكم في النفاذية، ونسبة التربة العارية، ونظام التساقطات والجريان المائي. ونحصل على قيمة كثافة التصريف من العلاقة ما بين مجموع أطوال كل المجاري المائية مقسومة على مساحة حوض التصريف[2]، $Db = \sum Lx(km)/A(km^2)$:

Db = كثافة التصريف، $\sum Lx$ = مجموع أطوال كل الفئات، A(km$^2$) = مساحة حوض التصريف

### ب- معامل الشكل

[1] Royaume du Maroc. Ministère des Travaux Publics et des Communications. Direction de L'hydraulique. Division des Ressources en Eau. « Ressources en Eau du Maroc ». Tome 1, Domaines du Rif et du Maroc oriental. Editions du Service Géologique du Maroc. Rabat. P 251. (1971).

[2] Horton, R. Drainage Basin Characteristics. Transactions, American Geophysical Union, 13, 350-361. (1932)

يعبر هذا المعامل عن قرب أو بعد الحوض النهري من الشكل المثلثي، وتنحصر القيمة ما بين 0 و1، فاقترابها من 1 دليل على ابتعاد الحوض من شكل المثلث، وبالتالي وجود فرق بين طول الحوض وعرضه. أما العكس أي ابتعاد القيمة عن 1 واقترابها من 0 فهذا يوحي إلى أن الحوض ذو شكل مثلث.

ويتم الحصول على هذا المعامل اعتمادا على معادلة التالية[1]: $F = \frac{A}{L^2}$

- F = معامل الشكل؛
- A = مساحة الحوض بالكلم$^2$؛
- $L^2$ = مربع طول الحوض بكلم؛

**ج- مؤشر شكل التماسك KG**

مؤشر التماسك KG لغرافليوس Gravelius هو مقياس لتأكيد اقتراب شكل الحوض أو ابتعاده من الشكل الدائري، علما أن الناتج دائما أكبر من 1، فكلما اقتربت النتيجة من 1 اقترب شكل الحوض من الشكل الدائري[2].

$$KG = \frac{P}{2.\sqrt{\pi.A}} = 0.28\,.\frac{P}{\sqrt{A}}$$

- KG = مؤشر التماسك لكروفليوس Cravelius؛
- P = محيط الحوض النهري بالكلم؛
- A مساحة الحوض النهري بالكلم$^2$؛

**د- معامل التضرس**

يرتبط تضرس الحوض بمناخ وجيولوجية المنطقة وبالتكوينات الصخرية ومدى استجابتها لعوامل التعرية النشطة، كما تفيد معرفة نسبة تضرس الحوض في فهم العمليات الجيومرفولوجية السائدة، حيث تنخفض نسبة التضرس في الأحواض ذات المساحات الكبيرة، وتدل أيضا القيمة المرتفعة لتضرس على شدة النحت والجريان، وبالتالي زيادة في كثافة التصريف وعمق المجاري وقوة النحت وزيادة ناتج الإرساب، كل هذا ينعكس على وعورة السطح وتشعب المجاري.

وتحسب نسبة التضرس بالمعادلة التالية[3]: (RH / L)

حيث RH: الفرق بين أعلى وأدنى ارتفاع، L: طول الحوض؛

**و- معامل الاستطالة**

[1] Horton, R. (1932). Op. ct
[2] Chow, V.T., "Handbook of Applied Hydrology"; à Compendium of water-resources technology, McGraw-Hill Book Compagny, New York, (1957).
[3] Gregory, A. R. Fluid saturation effects on dynamic elastic properties of sedimentary rocks. Geophysics, 41(5), 895-921. (1976).

تعبر نسبة الاستطالة عن مدى امتداد الحوض مقارنة بشكل المستطيل، إذ ترتفع هذه النسبة في حالة الأحواض المستطيلة والعكس صحيح، وتكون النسبة بين 0 و1 إذ يكون الشكل قريبا من الاستطالة إذا كانت النسبة أقرب إلى1، وتحسب نسبة الاستطالة انطلاقا من المعادلة[1]:

$$\frac{\sqrt[2]{\frac{A}{\pi}}}{L}$$

حيث A: تعبر عن مساحة الحوض، وL: تعبر عن طول الحوض وπ ≈ 3.14؛

ومن بين الأدوات المستخدمة لتسهيل عملية البحث: الخرائط الطبغرافية للمجال بمقياس 1/50000، أو نموذج الارتفاعات الرقمية (MNT) بدرجة وضوح تبلغ 12.5 متر، وتحليل الخصائص المناخية التي حصلنا عليها من المصالح الإدارية، والمعاينة الميدانية لمرفولوجية واد الشارف، كما تم تعزيز هذا العمل باستعمال الجانب التقني، والمتمثل في نظم المعلومات الجغرافية، بغية رصد بعض الظواهر وقياسها.

## 3. النتائج

تسعى الدارسة المورفومترية إلى تحديد الخصائص المورفولوجية للمجاري النهرية كميا، وإيضاح العلاقات بين بعض المجاري وبعضها الآخر تبعا لاختلاف أشكالها وأطوالها، وبين المجرى الرئيسي والأحواض التابعة له. وباعتبار أن الاختلاف في المظهر الجيومرفولوجي من مجرى لآخر ليس راجعا إلى التكوين الصخري وبنية الطبقات فقط، وإنما إلى تداخل كل هذه العناصر وعناصر أخرى من قبيل الهيدرولوجيا[2].

### 1.3. مورفوميترية حوض واد الشارف

تهدف الدراسة الجيومرفولوجية لحوض تصريف واد الشارف إلى فهم واستيعاب خصائص الأشكال المورفولوجية للحوض (الجدول رقم 1)، وربطها بالدينامية الهيدرولوجية التي يعرفها الحوض، ودورها في خلق أحداث طبيعية استثنائية تهدد مجموعة من المنشئات التجهيزية.

الجدول رقم 1: بعض الخصائص المورفومترية لحوص واد الشارف

| اسم الحوض | كثافة التصريف (كلم/كلم$^2$) | معامل الشكل | مؤشر شكل التماسك KG | معامل التضرس | معامل الاستطالة |
|---|---|---|---|---|---|
| واد الشارف | 0.12 | 0.33 | 1.64 | 6.21 | 0.32 |

المصدر: تحليل بواسطة برمجية نظم المعلومات الجغرافية

[1] Morisawa .M.E. Quantitative Geomorphology of Some Watersheds in the Appalachian plateau, Bull. Geol. soc America .Vol.73,pp.1025-1046. (1962).

[2] بنحامد عبد الرحيم. "واد زا عند سافلة لغراس (المغرب الشرقي): دراسة جيومورفولوجية". أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية، تخصص الجغرافيا الطبيعية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة. ص 65. (2022).

- كثافة التصريف بالنسبة لحوض الشارف هي 0.12 كلم/كلم$^2$، وبما أن حوض واد الشارف ينتمي لنطاق مناخي شبه قاحل إلى قاحل، وتميزه بفصلية التساقطات وتركزها، وضعف الغطاء النباتي وتشتته، كل هذه الخصائص تسام في خلق مجموعة من المخاطر الهدرولوجية على مستوى الحوض؛

- معامل شكل حوض واد الشارف هو 0.33؛ من خلال هذا المعامل يتبين أن شكل الحوض يقترب من أن يصبح مثلثا، حيث إن طوله أقل من عرضه. مما يجعل المدة الزمنية اللازمة لوصول موجة الفيضان قصيرة؛

- مؤشر شكل التماسك KG بحوض واد الشارف تساوي 1.64، مما يدل على الامتداد الطولي للحوض في منطقة الدراسة، الشيء الذي يؤثر على الاستجابة الهيدرولوجية للحوض؛

- نسبة تضرس حوض واد الشارف تبلغ 6.21 وهي نسبة ضعيفة مقارنة مع أحواض أخرى مجاورة، مثل حوض سافلة واد زا، الذي تبلغ فيه نسبة التضرس 31.5[1]؛

- معامل الاستطالة بحوض واد الشارف بلغت نسبته 0.32، حيث إن هذه النسبة تصف ابتعاد الحوض عن الاستطالة؛

هذه المؤشرات والمعاملات المورفومترية لها دور كبير في فهم مورفوديناميكية الحوض، التي تتحكم في خلق مجموعة من الأحداث الطبيعية المختلفة، من أهمها الفيضانات. ولتأكيد ذلك تم القيام بمعاينة ميدانية لنقطة من حوض واد الشارف، تتأثر بشكل كبير بالامتطاحات المتكررة لواد الشارف.

**2.3. دور الخصائص المورفومترية لحوض واد الشارف في إحداث خطر الفيضانات**

يشهد حوض واد الشارف تهديدات كبيرة لخطر الفيضانات والناتجة عن التساقطات المركزة في الزمن والمكان، ويرفع من حدة هذه المخاطر بنية التكوينات الحديثة لمصاطب الواد من الزمن الرابع، التي تتميز بالهشاشة الجيومرفولوجية وتعرضها للتعرية خاصة جنبات الواد (الصورة رقم 1.1)، وإذا ما تم بناء منشأة تجهيزية في منطقة انعطاف الواد كما هو الحال بالنسبة لواد الشارف في تقاطعه مع الطريق الجهوية رقم 606 (الالصورة 1)، فإن الضفة المقعرة تتعرض بشكل دائم لتعرية كبيرة جدا مقارنة مع الضفة المحدبة، مما يؤثر على القنطرة ويهددها بالانهيار.

الصورة 1: مورفولوجية واد الشارف وأشكال التعرية به (21/11/2020)

[1] بنحامد عبد الرحيم، (2022). مرجع سابق. ص 70

ISSN 2569-734X

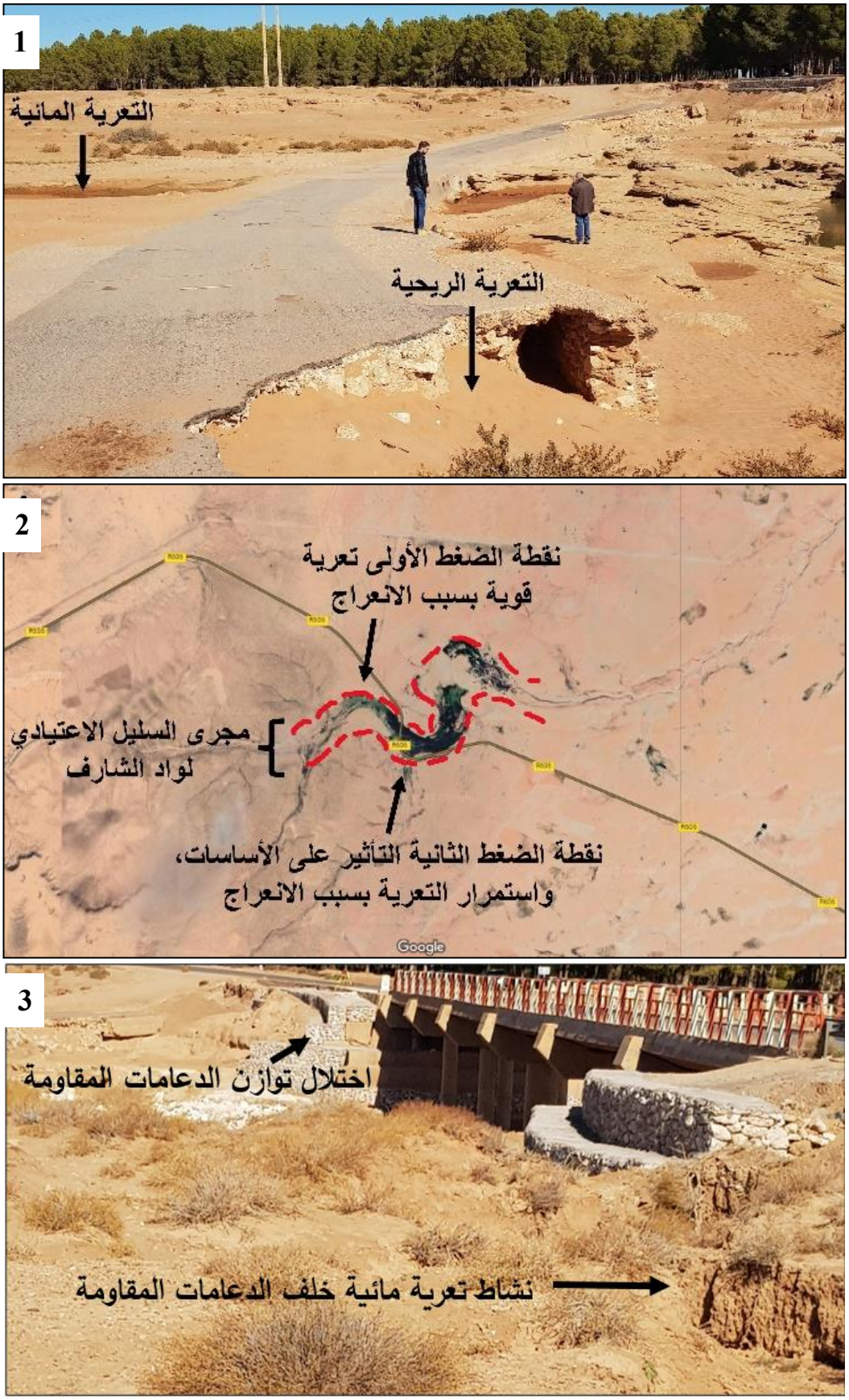


يوضح التحليل المخبري لتربة واد الشارف عند النقطة المدروسة، وجود ترسبات المائية حديثة وغير متماسكة، إذ نجد أن 63.2% منها عبارة عن تربة ناعمة (29.03% رمال ناعمة، 28.10% عبارة عن غرين، 6% طين)، مما يسهل على واد

الشارف خلق مشاكل هيدرولوجية أكثر على المنشآت التجهيزية المنجزة على واد الشارف. أما الترسبات الريحية؛ فنجد أن 98.38% من العينة المدروسة عبارة عن تربة ناعمة (90.73% رمال ناعمة، 6% طين، 1.6% غرين)، وهذا دليل على أن الدينامية الريحية ضعيفة نوعا ما مقارنة مع المناطق الجنوبية بحكم حجم الحبيبات الدقيقة، وبالتالي تأثيرها على التجهيزات يمكن اعتباره منعدما.

وقصد التقليل من حدة هذه التعرية على الضفة المقعرة للواد، حاول التقنيون وضع دعامات للمقاومة على جنبات الواد (الصورة رقم 3.1)، لكن الإشكال لا يتمثل في المقاومة، بل في تجنب التصادم بين الجريان المائي وجانب الواد المعرض للتعرية، لذلك فإن خطر تضرر القنطرة والتجهيزات المرتبطة بها يبقى واردا، ما إن لم يتم التفكير في حل بناء على مرفولوجية الواد المنعرجة، التي نعتبرها العامل الأساسي في ضعف البنية التجهيزية، وتضررها التدريجي، الذي سيخلق كارثة بيئية وأزمة في حالة انهيارها.

## خاتمة

يعتبر الحوض النهري منظومة بيئية مصغرة، تخضع لدينامية طبيعية معقدة لا تحتمل أي خلل في أحد مكوناتها، وإذا ما كان هناك تدخل غير عقلاني سيترتب عنه ضرر مباشر أو غير مباشر بالمكونات الطبيعية التي تندرج ضمن نطاق الحوض، أو سيؤثر على الأنشطة السوسيو-اقتصادية التي نشأت به.

وقد أدى إنشاء قنطرة على الطريق الجهوية رقم 606 في تقاطعها مع واد الشارف، وبالخصوص في منعرج الواد، إلى خلق نقطة عدم اتزان جعل هذه القنطرة مهددة بالانهيار، وضاعف من هذا التهديد الكفاءة الهدرولوجية التي باستطاعة واد الشارف توليدها التي أظهرتها النتائج المورفومترية المتوصل لها في هذه الورقة البحثية، لذلك فإن التدخلات التدبيرية على مستوى هذا الواد للحد من أي تهديد محتمل، يجب أن تراعي بالدرجة الأولى الخصائص المورفولوجية للواد (الانعراجات)، وهشاشة تكوينات الواد الحديثة، بالإضافة إلى قدرة الواد على خلق أحداث استثنائية قوية ومتكررة بشكل دوري.

### المراجع

- أمغار أحمد. " المخاطر الهيدرولوجية والجيومرفولوجية على الطرق المعبدة بالشمال الشرقي للمغرب، حالة عمالة وجدة-أنكاد وأقاليم بركان وتاوريرت وجرادة". أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول – وجدة. 290 ص. (2021).

- بنحامد عبد الرحيم. "واد زا عند سافلة لغراس (المغرب الشرقي): دراسة جيومورفولوجية". أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية، تخصص الجغرافيا الطبيعية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة. 335 ص. (2022).

- كربوب عبد العزيز وغزال محمد. " السقي التقليدي وتنظيم المجال: حالة الدائرة السقوية عين بني مطهر (شمال الهضاب العليا الشرقية المغربية)". مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي. العدد رقم 70، مارس 2023 صص 117-124. (2023). ISSN 1113-8270. Disponible à l'adresse : >https://revues.imist.ma/index.php/EGSM/article/view/39149/20217>. doit: https://doi.org/10.34874/IMIST.PRSM/EGSM/39149.

- مزغاب عبد الحميد، ريحان محمد، اليعقوبي سعيد والملحاوي محمد. "استخدام التقييم المتعدد المعايير ونظم المعلومات الجغرافية في كرطوغرافية أماكن الجذب الحيواني وتدهور المراعي المهددة بالجفاف في الهضاب العليا الشرقية"، مقال ضمن أشغال الندوة الوطنية حول التغيرات المناخية والتحولات المجالية واقع الحال والآفاق، مطبوعات حذيفة – وجدة. صص 27-36. (2019).

- Chow, V.T., "Handbook of Applied Hydrology"; a Compendium of water-resources technology, McGraw-Hill Book Compagny, New York, (1957).

- El Harradji A. « Impact du choix d'aménagement sur la vulnérabilité de certains sites d'infrastructures routières face aux risques hydrogéomorphologies: analyse de cas du NE Marocain ». Actes du Colloque International sur les risques naturels et l'aménagement du territoire, Oujda les 9 et 10 novembre 2018. Publication de le Faculté des lettres et sciences humaines – Oujda. Pp 71-76. (2018). {En ligne} http://www.lettres.ump.ma/

- El Harradji A. « Morphodynamique et environnement au Nord-ouest des Hauts-Plateaux de l'Est marocain : De la dynamique naturelle des paysages à la désertification ». Thèse pour l'obtention du Doctorat d'Etat en Géographie Physique, option Géomorphologie. Université Mohammed Premier, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Oujda. 647 p. (2019).

- Gregory, A. R. Fluid saturation effects on dynamic elastic properties of sedimentary rocks. Geophysics, 41(5), 895-921. (1976).

- Horton, R. Drainage Basin Characteristics. Transactions, American Geophysical Union, 13, 350-361. (1932). http://dx.doi.org/10.1029/TR013i001p00350

- MELHAOUI M, MEZGHAB AB et MIMOUNI J. « Analyse des données pluriométriques et prévison des sécheresses météorologiques à court terme par des méthodes de probabilité : Cas des Hauts plateaux de l'oriontal (zonz projet PDPEO) ». Article dans actes du colloque national, changements climatiques et mutations spatiales : Etat des lieux et perspectives. Imprimerie Houdayfa – Oujda. Pp 2-8. (2019).

- Morisawa .M.E. Quantitative Geomorphology of Some Watersheds in the Appalachian plateau, Bull. Geol. soc America .Vol.73,pp.1025-1046. (1962).

- Royaume du Maroc. Ministère des Travaux Publics et des Communications. Direction de L'hydraulique. Division des Ressources en Eau. « Ressources en Eau du Maroc ». Tome 1, Domaines du Rif et du Maroc oriental. Editions du Service Géologique du Maroc. Rabat. P 251. (1971).

# أهمية التواصل بين الأسرة والمدرسة في تجويد التعلمات

# Importance of communication between the family and the school in improving learning

1- الهادي شهيد، فريق التجديد في مهن التدريس والتكوين، التجريب والتوجيه في العلوم، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال المغرب

2- ضميري صلاح الدين، الأكاديمية الجهوية لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة، المغرب

3- محمد أبحير، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بني ملال خنيفرة، المغرب

4- إبراهيم الأنصاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

**ملخص:**

يهدف هذا الموضوع إلى تجسير العلاقات ولحم الفجوات بين المدرسة والأسرة، من خلال تعاقد اجتماعي نظرا لطبيعة التداخل والاندماج بين هذين القطبين المركزيين وظيفيا.

وقد توصلت نتائج هذه الدراسة إلى ضعف اتصال الأسرة بالمدرسة وكذا إلى وجود علاقة غير مباشرة بينهما مما يؤدي إلى نقص في التحصيل الدراسي لدى المتعلمين.

**كلمات مفاتيح:** المدرسة، الأسرة، التواصل، التعلمات، المتعلم

**Abstract**

This topic aims to bridge the relations and weld the gaps between the school and the family, through a social contract due to the nature of overlap and integration between these two central poles functionally.

The results of this study revealed the weak connection between the family and the school, as well as the existence of an indirect relationship between them, which leads to a lack of academic achievement among the learners.

Keywords: school, family, communication, learnings, learner

**مقدمة**

يعتبر التواصل جوهر العلاقات الإنسانية في الزمان والمكان، شريطة أن يقوم على الانسجام والتناغم وتكامل الأدوار بين العناصر المكونة له، وأول شيء ينبغي الاهتمام به في عملية التواصل هو أطرافه، فلابد من أن تكون العلاقات بينهم تسودها الروح الإنسانية واللين والنوايا الحسنة. إن التواصل ضروري لأداء مجموعة من الأعمال وتحقيق الأهداف التي ترمي إليها الإدارة التربوية، ولا يتأتى ذلك إلا بمساهمة محيطها المتمثل في الأساتذة والأسر وكل الفاعلين المحليين.

ولا يخفى دور التواصل الرئيسي في إنجاح المؤسسة التربوية لأداء مهامها المنوطة بها من تربية وتعلم وتثقيف وتكوين مواطنين فاعلين في مجتمعهم الصغير والكبير، وبالتالي جعل وظيفة المدرسة محور التنمية الشاملة. ولهذا أخذت عملية التواصل تحظى باهتمام كبير في السنوات الأخيرة، بل إنها تعتبر الآن من المكونات الأساسية للعملية التربوية.

ومن هذا المنطلق ورغبة في إعطاء حركية جديدة للتعاون المفقود بين المدرسة ومحيطها، اخترت البحث في الظاهرة التربوية: " وظائف الأسرة والمدرسة والعلاقة بينهما".

**الجانب المنهجي**

**أهداف البحث**

تعتبر الفترات التي قمنا بها بالتداريب الميدانية فرصة مناسبة لمعرفة ورصد الظواهر التربوية والإدارية والاجتماعية الموجودة بالمؤسسات، فمنها ما هو إيجابي يستحق التشجيع مثل ارتفاع نسبة تمدرس الفتاة، ووجود جمعية آباء وأولياء التلاميذ، ومنها ما هو سلبي كظاهرة التسرب والغياب والقطيعة بين المدرسة ومحيطها.

وقد وقع اختياري على هذه الأخيرة لما لها من آثار سلبية على العملية التعليمية التعلمية برمتها، لمقاربتها والبحث فيها.

يرمي هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

أ. البحث عن أسباب القطيعة بين المدرسة والأسرة ومعالجتها؛

ب. تحقيق التواصل الإيجابي بين المؤسستين؛

ت. تبادل الرأي والمشورة بين المؤسستين في بعض الأمور التربوية والتعليمية التي تنعكس على تحصيل التلميذ؛

ث. إحداث التكامل بين الأسرة والمدرسة والعمل على رسم سياسة تربوية موحدة للتعامل مع التلاميذ؛

ج. رفع مستوى الأداء وتحقيق مرد ودية في العملية التربوية؛

ح. توفير مناخ إيجابي للعمل لكل من التلميذ والأستاذ؛

خ. الاقتناع بأهمية التواصل والانفتاح واعتباره وسيلة لنجاح المدرسة؛

**إشكالية البحث:**

أضحت المدرسة ضرورة اجتماعية لا بد منها، تعتمد العلم وتتبنى الأساليب الناجعة، عندما عجزت الأسرة عن القيام بواجبها تجاه الأبناء. وهذا لا يعني أن الاستغناء عن أحدهما وارد، بل هما وجهان لعملة واحدة، التواصل بينهما والتعاون من أوجب الواجبات، وغيابه عن المؤسستين نتائجه وخيمة، تضيع معها كل المجهودات التي يقوم بها العاملون بالحقل التربوي.

ومن خلال ما سبق نستنتج سؤالا مشروعا وهو:

أ. هل هناك تواصل بين المدرسة ومحيطها المحلي المتمثل في الأسرة؟

فإذا كان الجواب بالنفي نطرح سؤالا ثانيا لا يقل قيمة عن الأول:

ب. ما هي العوائق التي تحول دون تحقيق هذا التواصل؟

**فرضيات البحث**

إذا كان الافتراض كما يعرفه دولانشير:"تأكيد مؤقت يهم العلاقة بين متغيرين على الأقل، وسيكون هدف الباحث إثبات أو نفي أو تنويع هذا التأكيد".

فالفرضية إذن تبقى جوابا مؤقتا قبل التحقق من صحتها بواسطة منهج علمي وأدوات دقيقة لتمحيص واستنباط المعطيات، وبالتالي اقتراح الجوابين التاليين:

أ. التواصل بين المدرسة والأسر منعدم؛

ب. غياب الفهم الصحيح لوظائف المدرسة ووظائف الأسرة.

**دوافع اختيار الموضوع**

لقد تبادرت الفكرة في ذهني لما لاحظته في المدرسة من قطيعة بين رجال التربية والآباء، يرجع تاريخها إلى سنوات خلت، أدت بكل طرف إلى تصيد هفوات الآخر للإيقاع به دون شفقة ولا رحمة، لا لشيء إلا لكون الطرفين لم يدركا وظيفتهما بعد.

ومساهمة مني في التقريب بين الطرفين، قمت بالبحث في هذا الموضوع خاصة وأن المدرسة المغربية الجديدة من خلال المرتكزات الثابتة كما وردت في الميثاق الوطني للتربية والتكوين تسعى إلى أن تكون مفتوحة على محيطها بفضل نهج تربوي قوامه استحضار المجتمع في قلب المدرسة.

كما أن التعاون جزء من مشروع تربوي طموح لدمج المدرسة في الحياة وذلك برفع الحواجز والأسوار وبجعل المحيط موضوعا للتربية تترك آثارا إيجابية عليه.

**عينة البحث**

لقد تم اختيار العينة عشوائيا توخيا للموضوعية بحيث تم حصر عدد كل من الأسر في: 20 أسرة وعدد الأساتذة في 20 أستاذ(ة).

**أدوات البحث**

لإنجاز هذه الدراسة اعتمدت على:

أ. استمارة موجهة للأساتذة.

ب. استمارة موجهة لآباء وأمهات وأولياء التلاميذ.

**تحديد المفاهيم**

قبل الخوض في هذا البحث، لا بد من تقريب معاني مصطلحات عنوانه:

**التواصل:**

التواصل في اللغة وحسب ما جاء في المعجم العربي الحديث هو الاجتماع والاتفاق، أما في المنجد فيأتي التواصل كمقابل للهجران، ولعل هذه المعاني اللغوية أبلغ وأنصح للتعبير عن الهدف من التواصل كحدث في المجتمع الإنساني، والتواصل في مضمونه العام، وحسب وجهة نظر شخصية هو ذلك الفعل الإجرائي الذي يتجسد من خلاله تبادل الرؤى والمعلومات وتنشيط العلاقات بين مختلف الأطراف المنتمية إلى نفس النسق الاجتماعي أملا في تحقيق التوافق والتراضي، وهو بالنسبة لمؤسسة تعليمية إجراء عملي لتفعيل تلك العلاقات الثنائية أو المتعددة الأطراف التي ينبثق منها الفعل التشاركي (مومن، 2005) الممارس من أجل تدبير الحياة التربوية والمهنية داخل القطاع التربوي التكويني أو بين المؤسسة التربوية وبين جميع الأطراف المعنية بالتربية والتكوين.

**المدرسة:**

يرجع أصل لفظ المدرسة École إلى الأصل اليوناني schole والذي يقصد به وقت الفراغ الذي يقضيه الناس مع زملائهم أو لتثقيف الذهن[1]، فتطور هذا اللفظ بعد ذلك ليشير إلى التكوين الذي يعطى في شكل جماعي مؤسسي، أو إلى المكان الذي يتم فيه التعليم، ليصبح لفظ المدرسة يفيد حاليا تلك المؤسسة الاجتماعية التي توكل إليها مهمة التربية الفكرية والحسية والأخلاقية للأطفال والمراهقين في شكل يطابق متطلبات المكان والزمان.

[1] مجلة علوم التربية العدد 28 فبراير 2005.

أما مفهوم المدرسة بالتحديد فقد ظهر إثر الانتقال الذي عرفه الفعل التربوي من مهمة تتكفل بها الأسرة إلى مهمة عمومية[1]، لتصبح المدرسة تلك المؤسسة العمومية التي يعهد إليها دور التنشئة الاجتماعية للأفراد وفق منهاج وبرنامج يحددهما المجتمع حسب فلسفته. والمدرسة بشكل عام مؤسسة عمومية أو خاصة تخضع لضوابط محددة، تهدف من خلالها إلى تنظيم فاعلية العنصر البشري، بحيث تنتج وتعمل وفق إطار منظم يضبط مهام كل فئة، ويجعلها تقوم بعملها الخاص لكي يصب في الإطار العام ويحقق الأهداف والغايات والمرامي المرغوبة منه.[2]

**الأسرة:**

تعتبر الأسرة من أولى الحاجات الطبيعية التي يلجأ إليها الإنسان، ولضرورتها الطبيعية لاستمرار الجنس البشري وكذلك لتوفير الأمن والحماية الضروريين، فإن الكائن البشري يعمل بشكل تلقائي على إنشاء الأسرة، ونظرا لأهمية الأسرة كمكون اجتماعي، وكأول اجتماع تدعو إليه الطبيعة كما أكد الفيلسوف أرسطو، فقد تعددت التعاريف التي أشار إليها العلماء بمختلف تخصصاتهم من السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا وحتى في ميدان التربية، وندرج هنا بعض التعاريف كنماذج:

أ. **تعريف لوك Lock.H:** الأسرة جماعة من الأفراد تربط بينهم رابطة الدم أو التبني، ويعيشون في منزل مستقل، ويتواصلون فيما بينهم عبر تفاعل مستمر، كما يؤدون أدوارا اجتماعية خاصة بكل واحد منهم باعتباره زوجا أو ابنا أو ابنة أو أما، بحيث يتكون نتيجة ذلك ثقافة مشتركة.[3]

ب. **تعريف ليتري litre:** تتكون الأسرة من مجموعة أشخاص يحملون نفس الفصيلة الدموية نفسها، ويعيشون تحت سقف واحد، كما تتكون بوجه خاص من أب وأم وأطفال.[4]

ت. **الأسرة:** مجموعة اجتماعية تربط بينها روابط القرابة أو الزواج، وهي شكل اجتماعي له وجود في كل المجتمعات البشرية، ونقوم الأسرة من الوجهة النظرية بتوفير الحماية والأمن والتنشئة الاجتماعية لأعضائها، هذا وتختلف بنية الأسرة والحاجات التي تشبعها لأفرادها باختلاف المجتمعات وباختلاف المراحل التاريخية.

كما يستخدم مفهوم الأسرة كذلك للدلالة على الخصائص البنيوية والوظيفية والنشاطات الاجتماعية التي تتم في وحدة ترابية وسكنية واقتصادية ومعايشة تشمل الزوج والزوجة والأولاد غير المتزوجين عكس مفهوم العائلة الذي يشير إلى وحدة في القرابة تشمل الأصول والفروع التي ترتبط بنسب الأب سواء في شكلها المستند أو شكلها المركب.[5]

**الجانب النظري**

**تقديم**

تعتبر المدرسة الوسيلة التي اصطنعها المجتمع بجانب الأسرة لنقل الحضارة ونشر الثقافة وتوجيه الأبناء الوجهة الاجتماعية الصحيحة كي يكتسبوا من العادات الفكرية والعاطفية والاجتماعية التي لا تساعدهم فحسب على التكيف الصحيح في المجتمع بل كذلك على التقدم بهذا المجتمع، فالمدرسة والأسرة هما إذن المؤسستان اللتان اصطنعهما المجتمع للإشراف على العملية الاجتماعية، ولهذا فهما الوسيلتان التي من خلالهما يمرر الإنسان لأجيال المستقبل تجربته الماضية ثم مخططاته ومشروعاته المستقبلية والتي تدخل بشكل عام ضمن ما يسمى بالبرامج التربوية، بشكل ضمني كما هو الشأن في كل أسرة، أو بشكل مهيكل ومنظم كما في المدرسة.

لكن استقلال المؤسستين واختلاف طبيعتهما على مستوى التركيبة وكذلك الإمكانات ثم التسيير والتدبير، جعلهما (وفي نظر الكثير) يختلفان ولا يتعاونان بشكل مستمر لتحقيق الهدف الفعلي لكل واحدة منهما والذي هو في الأصل هدف مشترك، ولأن المجتمعات تختلف في تراثها الاجتماعي ونظمها السياسية والاقتصادية تبعا لاختلاف مناهجها الفلسفية العامة ورؤيتها

[1] الميثاق الوطني للتربية والتكوين، منشورات المركز المغربي للإعلام. دجنبر 2003.

[2] محمد مومن، أستاذ باحث في علم الاجتماع وعلوم التربية، المعهد الملكي لتكوين أطر الشباب والرياضة، الرباط، مجلة علوم التربية العدد 28 فبراير 2005.

[3] المدرسة المغربية والمنتوج القيمي الأخلاقي، عبد الباقي داود. سلسلة التكوين التربوي. العدد 10 السنة 1999.

[4] الطفل والعلاقات الأسرية. د احمد أوزي الطبعة الأولى 2002.

[5] محمد مومن، أستاذ باحث في علم الاجتماع وعلوم التربية، المعهد الملكي لتكوين أطر الشباب والرياضة، الرباط، مجلة علوم التربية العدد 28 فبراير 2005.

للإنسان والحياة بصفة عامة. ولكل أفراد المجتمع رغبة أكيدة في الحفاظ على كيان مجتمع مما فيه من قيم وأساليب معيشة وهي القيم المستمدة من خبرتهم عن الأجيال وحياتهم الاجتماعية لذلك فهو يرى بقاءها واستمرارها من أجل بقاءه.

فالمدرسة والأسرة تعتبران المؤسستان التربويتان الأكثر أهمية بين بقية المؤسسات الأخرى، نظرا لدورهما الفعال في العمل الهادف والمنظم تبعا لأهداف المجتمع وفلسفته ككل.

أ. إذن فما هو دور كل منهما؟

ب. وما علاقة المدرسة بالأسرة؟

ت. وكيف تسهم المدرسة والأسرة في التنشئة الاجتماعية للأفراد؟

**وظائف المدرسة**

تلعب المدرسة كمؤسسة اجتماعية بجانب الأسرة، عدة أدوار لها وزنها التاريخي، وتتميز بوظائفها عن باقي المؤسسات الأخرى لأنها تلامس مختلف جوانب الإنسان وذلك لأنسنته وجعله ذلك الكائن الذي يعرف ذاته أولا ثم يكتشف الأخر ثانيا، وإذا ما نظرنا إلى هذه الوظائف نجدها متعددة ومتشعبة نظرا لتعدد أغراض وأهداف الكائن البشري فمنها ما هو تربوي وتعليمي ثم إداري، اجتماعي وأمني، تكويني وإيديولوجي، إرشادي وتوجيهي، ثقافي إشعاعي، تواصلي اقتصادي...

وتتجلى كذلك مهمة المدرسة والأسرة في التأثير على سلوك الأفراد تأثيرا منظما يرسمه لهما المجتمع، والمدرسة من حيث هي كذلك تنصب وظيفتها الرئيسية على سلوك الناشئة، ويقاس مدى تحقيقها لوظيفتها بمدى التغيير الذي تنجح في تحقيقه في سلوك أبنائها ومن ثم كان ضروريا أن ينظر إليها نظرة شمولية كنظرتنا نحو المجتمع برمته وأن تكون في مقدمة كل سياسة إصلاحية للمجتمع وأن ينظر إليها كمرجعية لكل تغيير قد تعرفه باقي القطاعات والجوانب الأخرى لحياة الفرد.

فالمدرسة في أساسها مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع للإشراف على عملية التنشئة الاجتماعية ولذلك فإن أي تصور لهذه المؤسسة يجب أن يراجع داخل إطار هذا التصور الاجتماعي ولا شك أن هذا التصور الأساسي يملي دراسة علاقة المتعلم بغيره من المتعلمين وعلاقة المتعلم بالمدرسين وعلاقة المتعلم بالإدارة التربوية وبالتنظيم العام في المدرسة من حيث إنها الإطار الاجتماعي التي لها علاقة بما تحتويه من عناصر بشرية وما يوجد خارجها من تنظيمات اجتماعية أخرى بما فيها الأسرة.[1]

وبشكل عام يمكن القول بأن المدرسة هي المؤسسة التي بفضلها يكتشف الفرد ذاته ومجتمعه ومن خلالها وعبرها يجب الخروج إليه، وهذا يمكن الإشارة إلى أبرز وظائف المدرسة على الشكل التالي:

**الوظيفة التعليمية التكوينية**

في إطار هذه الوظيفة تقوم المدرسة بتعليم الأطفال القراءة والكتابة والحساب مع إكسابهم وتلقينهم المعارف الدينية والتاريخية والأدبية والعلمية واللغوية، عبر برامج ومقررات محددة حسب مختلف المواد المخصصة لكل مستوى وبشكل تدريجي ابتداء من التعليم الأولي إلى التعليم العالي مرورا بالأساسي والإعدادي والثانوي.

كما تسعى المدرسة خلال كل مرحلة تعليمية تحقيق وإكساب التلاميذ كفايات تواصلية، إستراتيجية، منهجية، تكنولوجية، ثقافية، وقيم ترتبط بالعقيدة وبالهوية الحضارية وبثقافة حقوق الإنسان والمبادئ الكونية وتهدف المدرسة بشكل عام خلال هذه الوظيفة تعليم وتكوين الفرد بشكل يجعله مندمجا في الحياة العامة ومتفتحا على الآخر.

**الوظيفة التربوية**

بجانب الوظيفة التعليمية والتكوينية فإن للمدرسة وظيفة أساسية وشاملة استمدتها من الأسرة تتجلى في تربية الأطفال تربية تجعلهم يحترمون مجتمعاتهم ويندمجون مع مختلف المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وبفضلها يكتسبون قيم إنسانية وهوياتية تتأقلم مع متطلبات المجتمع، وبفضل الفلسفة التربوية التي تنهجها المدرسة كمؤسسة عمومية يمكن للمجتمع التطور والسير نحو ما هو أفضل أو العكس الإصابة بالركود والتخبط في مشاكل جمة.

[1] مجلة علوم التربية العدد 28 فبراير 2005.

فصلاح المجتمع ينطلق من صلاح المدرسة وكل خطأ يرتكب داخل جدران هذا الحقل سيكون له أثر بليغ على مستقبل الدولة برمتها، فعلاقة المدرسة بالمجتمع علاقة الأم بابنها، وعلاقة السائق بسيارته وعلاقة القائد بجماعته، فالمدرسة هي مقود التطور والتقدم ومفتاح التغيير، وعبر المدرسة يمكن كذلك أن نصنع مجتمعا متخلفا ومجتمعا مسالما كما نريد.

إن المدرسة هي الحل الوحيد والباب الأول الذي يمكن من خلاله أن نفبرك فردا ثم أسرة وبالتالي مجتمعا كاملا، فداخل المدرسة نجد كل الأطفال ينحدرون من كل الأسر كسفراء لها، وهم الذين سيصبحون رجال الغد فإذا ما قمنا بتربيتهم بشكل جيد وعلى تربية مستقبلية لأنهم خلقوا لزمن غير زمننا، نضمن مجتمعا منسجما ومتقدما.

**وظيفة التنشئة الاجتماعية**

من أهم العمليات التي تقوم بها المدارس التنشئة الاجتماعية وتطبيع أفراده تطبيعا اجتماعيا حتى يكونوا أعضاء صالحين ويساهمون في خدمة المجتمع والعمل على تقدمه وتطوره المستمر وذلك للحفاظ على وجوده وثقافته، وحتى نتعرف أكثر على هذا الدور الكبير للمدرسة فلا بد من استعراض مفهوم التنشئة الاجتماعية.[1]

**أ. مفهوم التنشئة الاجتماعية:**

يعتبر مفهوم التنشئة من المفاهيم التي لا يمكن تحديده بدقة، لكن يمكن النظر إليه كغاية يسعى كل مجتمع تحقيقها لدى كل فرد ينتمي إلى هذا المجتمع.

فكلمة التنشئة تدل على التربية الشاملة والتكوين وتمكن الفرد من استدراج أنماط سلوكية وعادات ومعايير ودلالات وقيم.[2]

أما كلمة الاجتماعية فهي تعني إعطاء الصبغة الاجتماعية للتنشئة وبالتالي أن تنطلق من المجتمع وتعود لخدمته مرة أخرى.[3]

ولهذا يمكن القول أن التنشئة الاجتماعية بمثابة مشروع اجتماعي يهيمن عليه مجموعة من القيم والمعايير والنظم والهدف من خلق علاقات بين الأفراد المكونة للمجتمع لتسهيل دمجها داخل هذا المجتمع.[4]

**ب. دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية:**

تتمثل فيما يلي:

- تنمية الإطار الثقافي المشترك لتماسك أبناء المجتمع من خلال نقل قيم المجتمع وأفكاره واتجاهاته من جيل إلى جيل وتنقية هذا التراث وتجديده بانتقاء أفضل ما فيه لتشكيل شخصية التلميذ من جميع الجوانب.
- تقديم الرعاية النفسية والاجتماعية إلى كل طفل ومساعدته على حل مشكلاته والانتقال به من طفل يعتمد على غيره واتكاله في معظم الأشياء إلى راشد مستقل معتمد وواثق من نفسه ومتوافق فلسفيا واجتماعيا[5].
- مراعاة قدرات التلميذ وتفهمها من خلال إدراكه للواقع وصقل مهاراته وإتاحة فرص نمو شخصيته في إطارها الاجتماعي المحدد.
- تعليم التلميذ كيف يضبط سلوكه ويحقق أهدافه بطريقة متلائمة تتفق مع المعايير الاجتماعية. * إكساب التلاميذ أساليب التفكير العلمي وحفزهم على الأداء والإنجاز وإتقان العمل.
- إكساب التلاميذ العادات الصحية السليمة التي تساعده على الاحتفاظ بسلامة آبائهم والوقاية من الأمراض وتنمية العادات الغذائية السليمة.
- توجيه التلاميذ وإرشادهم لاختيار المجال التعليمي والتخصصي وما يترتب عليه من تحديد مهنته التي سوف يزاولها في المستقبل.

---

[1] مجلة فضاءات تربوية العدد الثالث مارس 1997. ص 103.

[2] ماذا عن علوم التربية؟ امحمد عليلوش، بحث تربوي سنة 1997.

[3] جورج توما الخوري، سيكولوجية الأسرة. دار الجيل بيروت ص 14.

[4] ويعرف الباحث مصطفى حدية التنشئة الاجتماعية بأنها: "تلك السيرورة المستقرة من التغيرات التي تطرأ على الفرد في مختلف مراحل حياته وتهدف إلى إدماجه جزئيا أو كليا داخل المجتمع."

[5] مجلة علوم التربية العدد 28 فبراير 2005.

- توعية كل العاملين في المدرسة بأهمية القدوة الحسنة ليقتدي بهم التلاميذ، لذا فقد كان من أهم العوامل المدرسية التي تؤثر في التنشئة الاجتماعية للطفل شخصية الأستاذ فهو مصدر السلطة التي يجب طاعتها والمثل الأعلى الذي يتمثل به الطفل ومصدر المعرفة لذا لابد من أن يكون المدرس متسلحا بالمعرفة والفضائل الأخلاقية والاجتماعية لأن لتأثيره أثر كبير في بناء الطفل اجتماعيا ونفسيا.
- البث في نفوس التلاميذ أهمية الإحساس بواقع المجتمع أو آماله وتطلعاته ومشكلاته ودورهم في كيفية التغلب عليها مما يعمل على تهيئة التلاميذ تهيئة اجتماعية كجزء مكمل من عملية التكيف الاجتماعي.

فالمدرسة إذن هي المؤسسة الاجتماعية التي أنشأها المجتمع لتقابل حاجة من حاجاته الأساسية وهي تطبيع أفراده تطبيعا اجتماعيا يجعل منهم أعضاء صالحين وأصبحت هي الوحيدة القادرة على توفير الفرص الكافية لإكساب تلاميذها الخبرات التعليمية وتكشف ميولهم واستعداداتهم وتستثمرها وتعد كل فرد للمهنة التي تناسبه وأصبحت ترسم الخطط لتلاميذها ليتعلموا الاعتماد على النفس في سن مبكرة كما أصبحت نقطة الانتقاء للعلاقات العديدة والمتداخلة والمعقدة.

**وظائف الأسرة**

**وظيفة التنشئة الاجتماعية**

تعتبر وظيفة التنشئة الاجتماعية والتي تعني نقل الموروث الثقافي للمجتمع عبر الأجيال من أهم وظائف الأسرة والتي لم تتغير، فلازالت الأسرة في كل المجتمعات تمارس هذه الوظيفة لاسيما وأن الأطفال بعد ولادتهم يبقون مع أسرهم لسنوات عديدة، فهي المعلم الأول ويقع عليها عبء كبير من خلال هذه الوظيفة، ولو أن بعض المؤسسات الاجتماعية بدأت تشاركها هذا الدور مع تقدم أعمار الأطفال. ولكنها لا تزال تقوم بدور المتابعة لما يتعلمه الأبناء خارج المنزل في المدارس وغيرها وإذا سلمنا بارتفاع المستوى التعليمي للأب والأم في الوقت الحاضر نجد أن هذا الدور أصبح مضاعفا والتأثير مهما.

ولعل الأسرة من خلال علاقتها بالمجتمع ومن خلال هذه الوظيفة تستطيع أن تفعل هذه الجوانب التالية:

**أ. غرس تعاليم الدين الإسلامي:**

فنحن في مجتمع إسلامي دستوره كتاب الله وسنة نبيه وفيها من التعاليم والإرشادات والتوجيهات ما يجعل الفرد يستشعر أهمية الوطن الذي يعيش فيه والمجتمع الذي هيأ له كل ما يريد. إن الأسرة ومن خلال تربيتها الإسلامية لأبنائها تنشئ هؤلاء الأبناء على الفضائل والقيم الإسلامية الكريمة والتي إذا أخذ بها الأبناء سعدوا في حياتهم وكانوا خير أفراد لمجتمعاتهم. إن الدين الإسلامي يتضمن العديد من الآداب والأخلاقيات التي تجعل الفرد عضوا صالحا في المجتمع مثل الصدق والمحبة والتعاون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإخلاص وإتقان العمل وغيرها، والأدلة على ذلك من القرآن الكريم والسنة كثيرة بقول الله سبحانه وتعالى: " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ"، وقوله تعالى: " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ"، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه". إذن الأسرة تتطبع أن تغرس في أبنائها مثل هذه الأخلاقيات والفضائل والعادات والقيم الاجتماعية التي تدعم حياة الفرد وهو يأخذ دوره في الحياة والذي يشعره بمسؤوليته تجاه مجتمعه.

**ب. تعليم الأبناء كيفية التفاعل الاجتماعي وتكوين العلاقات الاجتماعية:**

يتعلم الأبناء في محيط المدرسة الكثير من أشكال التفاعل الاجتماعي والذي تكون بدايته مع أفراد الأسرة من الإخوة والأخوات والأم والأب وغيرهم. وهنا يبرز دور الأسرة في تكييف هذا التفاعل على النحو الذي يتوافق مع قيم المجتمع ومثله ومعايره. ومن الأسرة تكون انطلاقة الأبناء وتفاعلاتهم وعلاقاتهم مع الآخرين في المحيط الأكبر الذي يشكل المجتمع. فعلى قدر ما يكون التفاعل منضبطا ومتوائما مع ما يرتضيه المجتمع داخل الأسرة على قدر ما يكون ذلك هو الهادي لسلوك الأبناء وعلاقتهم مع الآخرين في المجتمع الكبير. إن الأسرة خير من يعلم الأبناء مراعاة معايير المجتمع وأنظمته والالتزام بها وعدم مخالفاتها، إن الأبناء في كثير من الأحيان يتخذون من آبائهم وأمهاتهم وبقية أفراد الأسرة القدوة والمثل الأعلى في السلوك. لذا يجب أن يكون أفراد الأسرة الآخرين خير قدوة للأبناء من خلال تمثلهم أنفسهم لمعايير المجتمع والفضائل والآداب الحسنة في تفاعلهم وعلاقاتهم مع الآخرين وبذلك يصبحوا حال تقليد أبنائهم لهم خير قدوة ومثال. إننا ندرك جميعا أن كثيرا من سلوكيات

الأطفال في مقتبل عمرهم تعتمد على تقليد من حولهم في القول أو الفعل، فلابد للآباء والأمهات أن يمثلوا الصور الايجابية لأبنائهم في أقوالهم وأفعالهم.

**وظيفة المراقبة**

تعتبر هذه الوظيفة امتدادا لوظيفة التنشئة الاجتماعية والتي لا تتوقف ولا تتقيد بمرحلة عمرية معينة، فالأبناء حتى وإن كبروا فلا يزالون بحاجة إلى توجيه وتوعية من قبل الأسرة فدور الأسرة في التنشئة الاجتماعية لا يتوقف حتى وإن تزوج الابن واستقل عن الأسرة فهو لا يزال يستعين بالأسرة التوجيهية في كثير من المواقف.

إن دور المراقبة الأسري دور مهم في التنشئة الاجتماعية لضمان الانضباط والتقليل من التجاوزات قدر الإمكان، والمراقبة هنا تعني ملاحظة سلوكيات الأبناء وتصرفاتهم من خلال العديد من المواقف التي يعيشونها. ووظيفة الأسرة هنا يمكن أن تتم من اتجاهين:[1]

أ. ***الاتجاه الأول: المراقبة داخل الأسرة:***

كما ذكرنا سابقا فإن المراقبة تعني ملاحظة السلوك الذي يصدر من الأبناء وهل هذا السلوك يسير وفق ما ترتضيه الأسرة ويقبله المجتمع أم لا. يمكن للأسرة متابعة أبنائها داخليا من خلال ملاحظة علاقاتهم ببعضهم البعض داخل المنزل وهل هي تتماشى مع الآداب والأخلاقيات والفضائل التي تربيهم عليها أم أن هناك شيء من الاختلاف. إن مبادئ الحب والتعاون والصدق التي تعلموها يجب أن تفعل من خلال تفاعلهم مع بعضهم البعض في المواقف المختلفة داخل المنزل، أثناء اللعب أو الحديث أو أداء الواجبات.

وتضطلع الأسرة من خلال هذه الوظيفة على جانب آخر وهو ملاحظة أنواع القراءات والكتب ومصادر الاطلاع التي يقضي معها الأبناء جزء من وقتهم، وهنا أيضا يأتي دور الأسرة كمرشد للأبناء حول ما يجب الاطلاع عليه ومتابعته من الكتب وجميع أشكال النشر الأخرى.

ب. ***الاتجاه الثاني: المراقبة خارج الأسرة:***

إن هذا الجانب يعتبر من المهمات الشاقة في زمن تيسرت فيه سبل التواصل والاتصال لكنه قد يسهل في الأسر التي تقوم علاقاتها على الحب والصدق والتعاون، وأول مهمات الملاحظة الأسرية هنا تتضح من خلال معرفة الأصدقاء ومع من يجتمع بهم الأبناء خارج المنزل، إن على الأسرة أن تلاحظ نوعية الأصدقاء ومدى مناسبتهم للأبناء من حيث السن والمستوى الدراسي والفكري والاقتصادي والقرب المكاني والالتزام الديني والأخلاقي، وأيضا يجب معرفة الأماكن التي يرتادها الأبناء مع أصدقائهم وملاحظة الزمن الذي يقضيه الأبناء خارج البيت في هذه الأماكن وكذلك النشاطات التي يمارسونها ومناقشتهم عند العودة إلى المنزل حول ما تم أداؤه خارج المنزل ويجب أن يوجه الآباء الأبناء إلى عدم التذمر من المساءلة لأن هذا من أجل مصلحتهم. وبهذا تستطيع الأسرة أن تكون على صلة بالعالم الخارجي لأبنائها أولا بأول وتكون قادرة على التدخل عندما ترى ما يخالف النهج الذي تسير عليه فتوقف مثل هذه العلاقات ويبتعد الأبناء عن الشبهات.

**التعاون مع مؤسسات المجتمع**

يتضح تعاون الأسرة مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى من خلال تهيئة جميع أفراد الأسرة ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع وتجنيد كل الطاقات والإمكانيات واستثمار كل القدرات من أجل صالح المجتمع.

فالأسرة من خلال التنشئة الاجتماعية السليمة تمد المجتمع بالأفراد العاملين والذين يؤدون أعمالهم واضعين نصب أعينهم إرثا ثقافيا ومنهجيا تربويا تعلموه من أسرهم[2].

أ. **المسجد:**

[1] الموسوعة الالكترونية انكارتا 1999.

[2] مجلة علوم التربية العدد 28 فبراير 2005.

المسجد في المجتمع عبارة عن منارة من منارات العلم التي تعزز ما يتعلمه الفرد من أسرته ومدرسته وهو المجال التطبيقي لكثير مما يتدارسه الأبناء نظريا في مؤسساتهم التعليمية بما فيها الأسرة، وهو أيضا المنبر الذي يعالج قضايا المجتمع ومشاكله كما يعيشها أفراد المجتمع ومدى تأثيرها عليهم وكيف تكون المواجهة، ويتمثل دور الأسرة في ربط الأبناء بالمسجد دائما.

**ب. المدرسة:**

إن علاقة الأسرة بالمدرسة علاقة ذات ارتباط قوي فكلاهما مؤسستان تهتمان بالجانب التربوي و التعليمي في حياة الفرد، تأتي المدرسة لتكمل ما بدأته الأسرة وتأخذ على عاتقها تكملة الوظيفة التربوية ، وبالرغم من أن الطفل يذهب إلى المدرسة صباحا ليتعلم ثم يعود إلى المنزل فإن صلته بالمدرسة والمقررات لا تنقطع لأن الأسرة تتابع معه واجباته وتراجع له دروسه التي تعلمها في المدرسة وحتى تتم العملية التربوية بشكل جيد فلا بد من حرص المدرسة والبيت على التواصل المستمر بينهما سواء من خلال جمعية آباء وأمهات التلاميذ أو الزيارات المتوالية للمدرسة من قبل الآباء والأمهات.

فإن الزيارات المستمرة للمدرسة تعطي لولي الأمر تصورا واضحا عن ابنه في المدرسة ليس فقط فيما يتعلق بوضعه الدراسي ولكن أيضا التعرف على سلوكياته ونشاطاته داخل المدرسة، بحيث يكون بالإمكان ومن خلال التعاون مع المدرسة تعزيز السلوكيات الإيجابية ودفع النشاطات المفيدة إلى الأمام، فنجاح الأبناء في دراستهم وتفوقهم نجاح للمجتمع، ولا يتم ذلك إلا إذا قامت الأسرة بدورها في هذا الجانب على أكمل وجه من خلال المتابعة والتوجيه والسؤال وتكرار السؤال بمؤسسات التعليم المختلفة التي يتعلم فيها أبناؤها.

**ت. مشاركة مؤسسات المجتمع في تهيئة الأفراد لتمثيل المجتمع داخليا وخارجيا:**

للأسرة دور مهم ومميز في تهيئة الأبناء للمشاركة في كثير من الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية وتمثيل المجتمع على المستويات الداخلية والخارجية. فالأسرة تغرس في أبنائها تلك المسؤولية الاجتماعية تجاه الوطن وأن هذا واجب يجب أن يقوموا به خير قيام ليردوا لمجتمعهم جزء يسير مما يقدمه أو يوفره لهم.

**ث. المحافظة على منجزات مؤسسات المجتمع المختلفة وعدم العبث بها:**

المجتمع هو بيت الإنسان الكبير، فإذا كان الإنسان لا يعبث بمنزله الصغير ومحتوياته فمن الأولى ألا يعبث بمنزله الكبير ومنشآته، هذا مبدأ يجب أن تغرسه الأسرة في أذهان أبنائها وتبين لهم أن هذه المنجزات والخدمات التي تقدم لهم في مجتمعهم قد كلفت الدولة أموالا طائلة وأنها وضعت لصالح وخدمة كل الأفراد. فمن الواجب رعايتها والمحافظة عليها وعدم العبث بها وحسن استخدامها، منجزات ومنشآت الوطن أمام أعيننا أينما ذهبنا كالحدائق والمنتزهات والشوارع والمدارس والمستشفيات وغيرها الكثير والكثير والذي يتطلب منا حسن الاستخدام لها فلا يجب العبث بالأثاث المدرسي ولا بالحدائق وقطع أشجارها ولا بدورات المياه في المنشآت والكتابة على الجدران وإفساد الذوق العام والعبث بالممتلكات العامة.

ومن هنا فالأسرة هي الخلية الأساسية في المجتمع وهي المسؤولة عن قوة أو ضعف البنية المجتمعية العامة، لكونها تقوم بوظيفة الأمن لأفرادها ووظيفة التضامن بينهم ووظيفة التكوين والتنشئة الاجتماعية، ووظيفة المراقبة والتربية... فهي بالتالي مؤسسة شمولية تؤدي مختلف الأدوار.[1]

**المدرسة والأسرة، أية علاقة؟**

إذا كان الدور الاجتماعي لكل من المدرسة والأسرة يتجلى في التنشئة الاجتماعية للأفراد عن طريق التربية فعلاقتهما يجب أن تنطلق من هذا المنظور الأساسي، وعلاقة الأسرة بالمدرسة لا يجب أن تبقى علاقة سطحية تتجلى أساسا في أن الأسرة هي التي تزود المدرسة بالمادة الأولية أي التلميذ وبالتالي فعملية الإنتاج (أي التربية كلها على عائق المدرسة، بل يجب أن تكون علاقة شاملة تنبني على أنهما شريكان في عملية الإنتاج والتوزيع وفي الرأسمال وبالتالي شريكان في الربح والخسارة في حالة حدوثها. وبالرغم من التغيرات التي تحدث في الأسرة والمجتمعات الحديثة فهي مازالت إحدى المؤسسات ذات الأثر البعيد في المجتمع

[1] الميثاق الوطني للتربية والتكوين، منشورات المركز المغربي للإعلام. دجنبر 2003.

ففي المنزل يتعلم الطفل اللغة ويكتسب بعض الاجتهادات ويكون رأيه عما هو صحيح أو خاطئ، والنواة الأولى للطفل هي النواة التكوينية لحياته وأثرها يلازم الطفل حتى يدخل المدرسة لذلك فتربية المدرسة هي امتداد لتربية الطفل في المنزل.

كما يجب علينا أن ننظر إلى المدرسة والأسرة بأنهما الوسيلتان الأساسيتان لتحقيق تنشئة اجتماعية جيدة للفرد وبالتالي بواسطتهما يمكن ضمان تنمية المجتمع بفضل تلك المكتسبات والكفايات التي تم غرسها في الفرد بفضل كل من الأسرة والمدرسة، فكل إصلاح تربوي وجب عليه أن ينطلق من هاتين المؤسستين الاجتماعيتين وبشكل موازي للتطور والتغير الذي يقع على المجتمع، ولكونهما من سيضمن لنا تنمية بشرية مستديمة.[1]

**مبررات لضرورة التواصل والتعاون بين المدرسة والأسرة**

هناك العديد من المبررات تلزم بضرورة التواصل والتعاون بين المدرسة والأسرة نذكر منها ما يلي: إن التواصل والتعاون بين هاتين المؤسستين:

- يحقق درجة مقبولة من الفهم المتبادل لدور كل منهما في مجال تربية الطفل والناشئة، مما يؤدي الى زيادة التنسيق وعدم التعارض والتناقض في أدوارهما.
- يؤدي إلى التخلص من غالبية المشكلات التي قد يواجهها التلاميذ، خاصة مسألة الغياب عن المدرسة، او الفشل في الامتحانات وغيره، والتي قد تسبب التسرب الدراسي.
- يؤدي إلى زيادة فهم المدرسة لأوضاع التلاميذ الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، وبالتالي مساعدته على تخطي المشكلات التي قد تواجههم في هذا المجال، وعلى التكيف مع المجتمع والمدرسة.
- يساعد على التلاقح بين ثقافتهما، مما يؤدي إلى ارتقاء تطلعات كل منهما إلى مستوى متطلبات العصر، بما يحمله من تغييرات ومستجدات قد يقف منها بعض الآباء والمدرسين موقف الرافض لخوفهم من التجديد، أو موقف المشجع سعيا منهم الى الحداثة.
- يجعل خطة العمل التربوي مشتركة بينهما في ضوء اعتماد أهداف مشتركة توجه العملية التربوية.
- يجعل ولي الأمر يشترك في تعليم ابنه وتربيته، بحيث أن هذه المشاركة ترتبط بتحصيله الدراسي وتغيير سلوكه الصفي واتجاهاته نحو المدرسة، وتوقعاته لمستقبله، حضوره وغيابه ودافعيته، واستمرارية بدله للجهد المدرسي.[2]

**الجانب التطبيقي**

**عينة البحث**

لقد تم اختيار العينة عشوائيا توخيا للموضوعية بحيث تم حصر عدد كل من الأسر في: 20 أسرة وعدد الأساتذة في 20 أستاذ(ة).

**أدوات البحث**

لإنجاز هذه الدراسة اعتمدت على:

أ. استمارة موجهة للأساتذة.

ب. استمارة موجهة لآباء وأمهات وأولياء التلاميذ.

**تفريغ الاستمارات وتحليلها**

**تقديم نتائج الاستمارة الموجهة للأساتذة**

**السؤال 1): رأي الأستاذ في زيارة الآباء للمدرسة:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **إيجابية** | 3 | %15 |

[1] مجلة فضاءات تربوية العدد الثالث مارس 1997. ص 103.
[2] الطفل بين الأسرة والمدرسة سلسلة التكوين التربوي، مرجع سابق، ص: 15

| | | |
|---|---|---|
| سلبية | 17 | %85 |

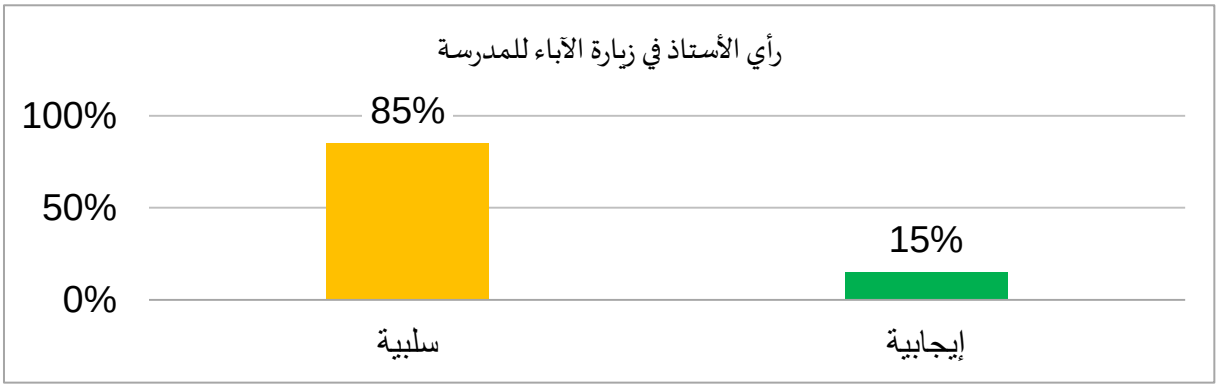


نلاحظ من الجدول أن 85% من الأساتذة يرون أن الزيارات التي يقوم بها الآباء للمدرسة هي سلبية، في حين أن 15% يرون انها ايجابية.

**السؤال 2): الأوقات التي تكثرفيها الزيارات:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| أول السنة | 16 | %46 |
| أوقات الامتحان | - | - |
| آخر السنة | 1 | %3 |
| عقاب أستاذ لتلميذ ما | 15 | %43 |
| آخر | 3 | %8 |

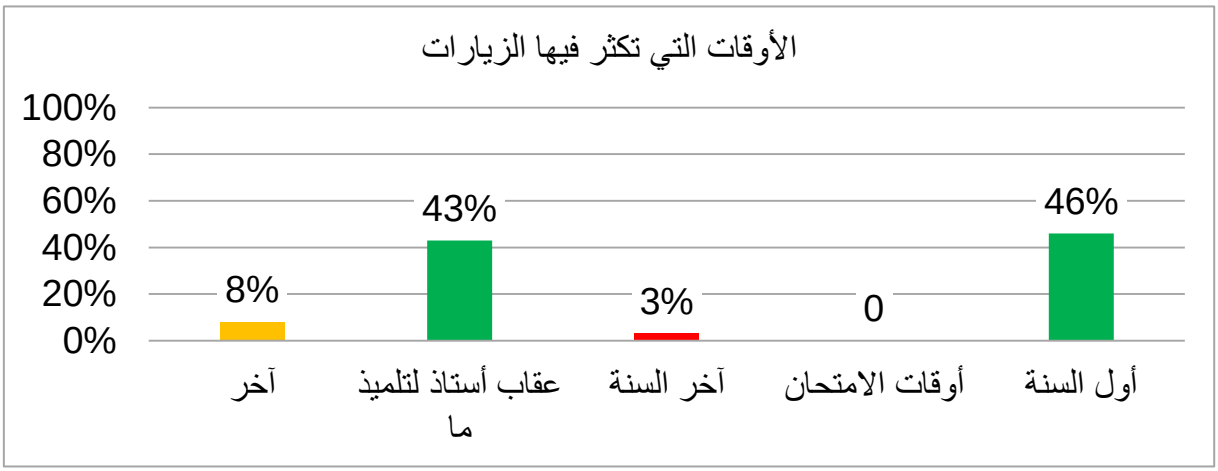


من الجدول نلاحظ أن الأوقات التي تكثر فيها هذه الزيارات هي أول السنة وذلك بنسبة 46% وأيضا في حالة عقاب أستاذ لتلميذ ما فهي بنسبة 43% وبالنسبة للزيارات التي تكون آخر السنة فتشكل نسبة 3% أما التي تكون في وقت آخر غير الذي ذكر فهي بنسبة 8%، وتنعدم هذه الزيارات في أوقات الامتحان.

**السؤال 3) طبيعة الاتصال بين المدرسة والأسرة:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| مباشر | 5 | %25 |
| غيرمباشر(عن طريق الإدارة) | 15 | %75 |

ISSN 2569-734X

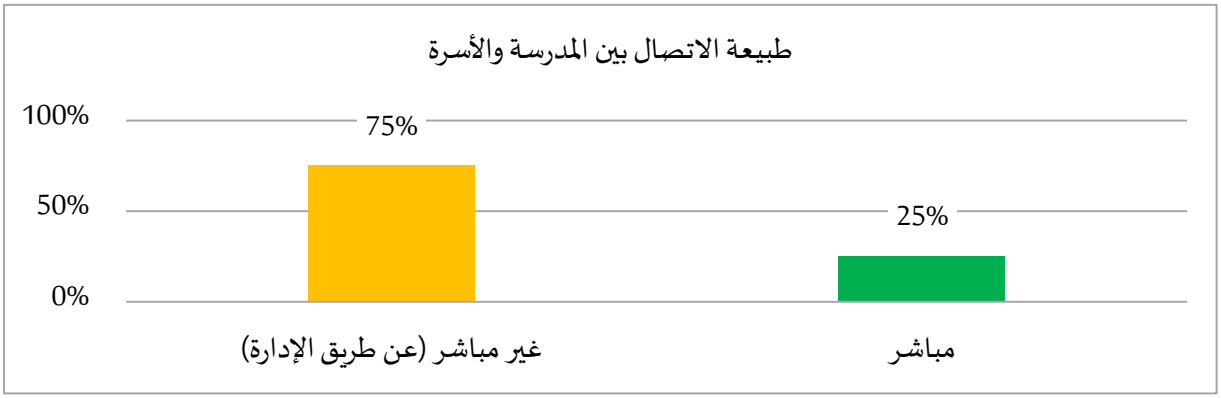


نلاحظ من الجدول أن 75% من الأساتذة يؤكدون أن الاتصال بين الأسرة والمدرسة يتم عن طريق الإدارة أي "غير مباشر"، في حين أن 25% منهم يؤكدون على أنه يكون مباشر أي بين الآباء أو أولياء الأمور والأستاذ مباشرة.

**السؤال 4) الغرض من هذه الزيارات:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **تتبع المستوى الدراسي للأبناء** | 3 | %11 |
| **تبرير غياب الأبناء** | 14 | %50 |
| **معاتبة الأساتذة على تصرف ما تجاه الأبناء** | 11 | %39 |

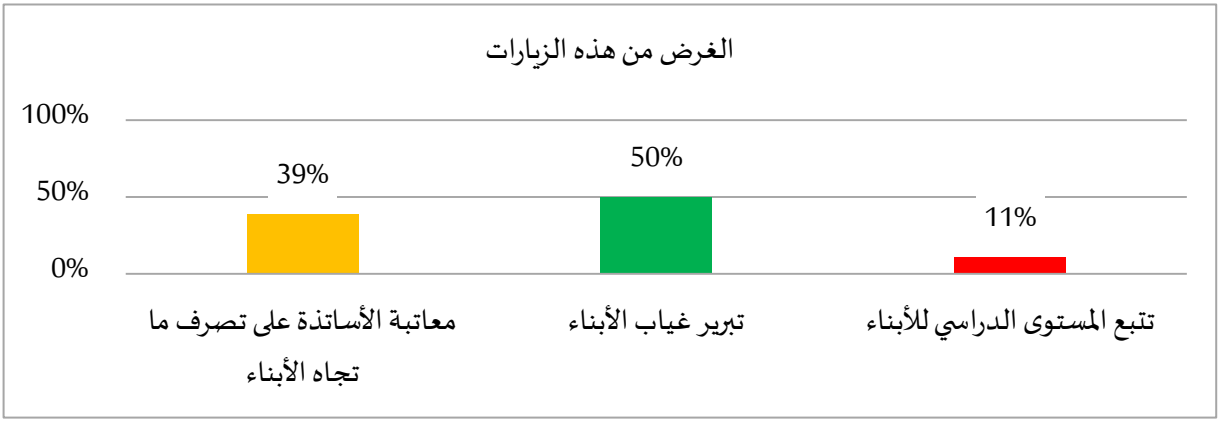


نلاحظ من الجدول أن الهدف من هذه الزيارات كان كالآتي: 50% لتبرير غياب الأبناء، ونسبة 39% لمعاتبة الأساتذة على تصرف ما تجاه الأبناء، في حين أن 11% فقط لتتبع المستوى الدراسي للأبناء.

**السؤال 5) الأساليب التي يوظفها الآباء:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **الحوار الهادف والإقناع** | 3 | %15 |
| **السلطوية والإنفعال** | 16 | %80 |
| **أسلوب آخر** | 1 | %5 |

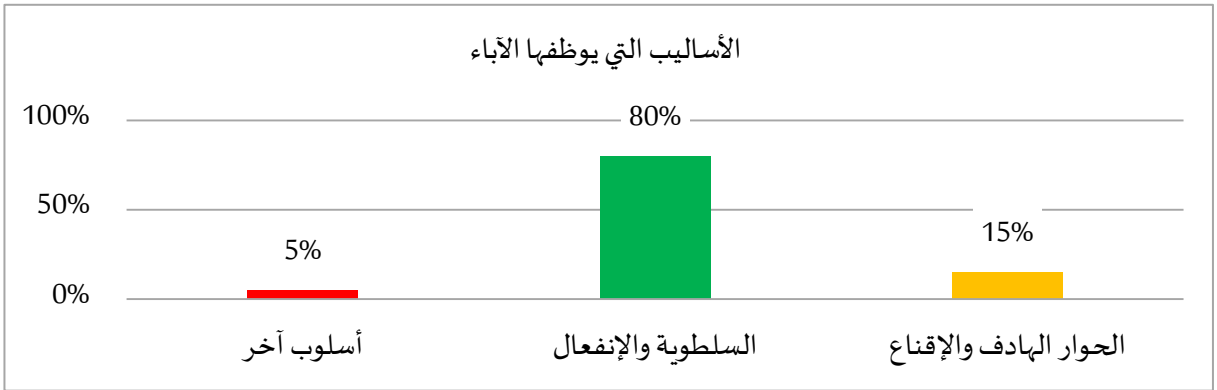

نلاحظ في الجدول أن 80% من الأساتذة يؤكدون على أن السلطوية والانفعال هو الأسلوب المعتمد في تواصل الآباء مع المدرسة، أما نسبة 15% منهم يرون أن الأسلوب المعتمد هو الحوار والإقناع الهادف، في حين أن 5% يؤكدون على أن الآباء يعتمدون أسلوبا آخر غير الذي ذكر.

**السؤال 6) إرسال الدفتر اليومي إلى الآباء والأمهات للاطلاع عليه:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **نعم** | 2 | %10 |
| **لا** | 15 | %75 |
| **آخر** | 3 | %15 |

نلاحظ من الجدول أن نسبة 75% من الأساتذة لا يقومون بإرسال الدفتر اليومي للتلميذ إلى الآباء للاطلاع عليه، في حين أن 10% منهم يقومون بإرساله، أما نسبة 15% من هؤلاء الأساتذة يقومون بإرسال نتائج الفروض بعد كل مراقبة مستمرة ليطلع الآباء على نقطها.

**السؤال 7) عقد لقاءات بين المدرسة وبين الآباء والأمهات من أجل اطلاعهم بكل ما تقوم به المدرسة من أنشطة تربوية لفائدة أبنائهم:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **إيجابية** | 20 | %100 |
| **سلبية** | - | - |

من الجدول نلاحظ أن المدرسة لا تعقد لقاءات بينها وبين آباء وأولياء التلاميذ لتطلعهم بمستجداتها.

**السؤال 8) رأي الأساتذة في ظاهرة التواصل وخاصة منها ما يتعلق بالمدرسة والأسرة:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **قضية جوهرية** | 20 | %100 |
| **قضية ثانوية** | - | - |

نلاحظ من الجدول أن جميع الأساتذة يصرون ويؤكدون على أن التواصل بين المدرسة والأسرة قضية جوهرية وهامة بالنسبة لسير العملية التعلمية التعليمية.

**السؤال 9 تفسير الأساتذة لسوء التواصل الحاصل بين الأسرة والمدرسة:**

| | | تكرارات | نسبة مئوية | |
|---|---|---|---|---|
| *معيقات مرتبطة بالأسرة* | اختلاف الأسر | 3 | %6 | %65 |
| | انشغال الآباء وتهربهم من التواصل مع المدرسة | 17 | %37 | |
| | رأي آخر: قلة الوعي لدى الآباء والأمهات بأهمية التواصل مع المدرسة | 10 | %22 | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| *معيقات مرتبطة بالمدرسة* | عدم تنظيم الإدارة للقاءات دورية يتم فيها التواصل بين المدرسة والأسرة | 15 | %33 | %35 |
| | عدم اهتمام المدرسة بإخبار الأسرة بمستجدات أبنائها | 1 | %2 | |

نلاحظ من الجدول أن المعيقات المرتبطة بالأسرة تشكل نسبة 65% موزعة على الشكل التالي: 37% لانشغال الآباء وتهربهم من التواصل مع المدرسة، 22% قلة الوعي لدا الآباء والأمهات بأهمية هذا التواصل، 6% لاختلاف الأسرة بحيث لا تعطي جميع الأسر نفس التربية لأبنائها.

بينما المعيقات المرتبطة بالمدرسة تمثل نسبة 35% موزعة كالآتي: 33% لعدم تنظيم الإدارة للقاءات دورية يتم فيها تفعيل هذا التواصل، 2% فهي لعدم اهتمام المدرسة بإخبار الأسرة بمستجدات أبنائها.

**استنتاج**

من خلال استقراء نتائج هذه الاستمارة تبين لي ما يلي:

- أن غالبية الأساتذة يرون أن زيارة الآباء للمدرسة هي مسالة سلبية وهذا راجع إما للأسلوب الذي يوظفه الآباء في تعاملهم معهم والذي غالبا ما يكون هو السلطوية والانفعال، أو راجع للغرض الذي يكون وراء هذه الزيارات بحيث أنه حسب ما جاء في الاستمارة يكون إما تبرير الغياب أو معاتبة أستاذ ما على تصرف قام به اتجاه أحد الأبناء.

**تقديم نتائج الاستمارة الموجهة للآباء**

**المستوى الدراسي للآباء:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **ابتدائي** | 3 | %15 |
| **إعدادي** | 1 | %05 |
| **ثانوي** | - | - |
| **جامعي** | - | - |

يلاحظ من الجدول أن نسبة الحاصلين على شهادة ابتدائية تبلغ 15% في حين أن نسبة الحاصلين على شهادة إعدادية تبلغ 05%، في حين تبقى نسبة 80% من الآباء بدون.

**السؤال 1) عدد الزيارات التي قام بها الآباء للمدرسة:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **مرة واحدة** | 6 | %30 |
| **ولا مرة** | 5 | %25 |
| **أقل من 10 مرات** | 8 | %40 |
| **أكثر من 10 مرات** | 1 | %5 |

نلاحظ من الجدول أن أعلى نسبة هي 40% وهي تمثل نسبة الآباء الذين كانت عدد زياراتهم للمدرسة أقل من 10 مرات، تليها 30% وهي نسبة الذين قاموا بزيارتها مرة واحدة. في حين الذين لم يزوروا المدرسة ولا مرة كانت نسبتهم 25%، وتبقى 5% هي نسبة الدين زاروا المدرسة أكثر من 10 مرات.

**السؤال 2) الغرض وراء هذه الزيارات:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|

| | | |
|---|---|---|
| السؤال حول المستوى الدراسي للأبناء | 2 | %10 |
| معاينة الإدارة على تصرف الأستاذ تجاه ابنك | 8 | %40 |
| طلب توضيح عن البرنامج الدراسي لابنك | - | - |
| الاستجابة لاستدعاءات الإدارة | 10 | %50 |

نلاحظ من الجدول أن الغرض وراء زيارة الآباء للمدرسة هو كالاتي: أعلى نسبة وهي 50% وهي استجابة لاستدعاءات الإدارة المجبرة بغياب أو سلوك أحد الأبناء وتليها 40% وهي لمعاقبة الإدارة على تصرف أستاذ ما تجاه الأبناء، في حين أن 10% للسؤال حول المستوى الدراسي للأبناء. ولم يكن الهدف وراء هذه الزيارات طلب توضيح عن البرنامج الدراسي للأبناء.

**السؤال 3) بعد زيارة الآباء للأساتذة هل هناك:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| اهتمام الأستاذ أكثر بابنك | 4 | %20 |
| تغيير معاملة الأستاذ لابنك | - | - |
| تبقى المعاملة كما كانت لا تتغير | - | - |

نلاحظ من الجدول أن نسبة 20% من الآباء يرون أن بعد زيارتهم للأساتذة اهتمام هؤلاء أكثر بأبنائهم، في حين أن 80% من الآباء لم يجيبوا على هذا السؤال.

**السؤال 4) تواصل الآباء مع المدرسة يتم عن طريق:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| المدير | 8 | %40 |
| الأبناء | 5 | %25 |
| الحارس | 1 | %5 |
| الأساتذة مباشرة | 6 | %30 |

نلاحظ من الجدول أن تواصل الآباء مع المدرسة يتم على الشكل التالي: 40% من الآباء يتواصلون مع المدرسة عن طريق المدير، و30%هي نسبة الآباء الذين يتواصلون مع المدرسة عن طريق الأستاذ مباشرة، وتمثل 25% نسبة الآباء الذين يتواصلون مع المدرسة عن طريق الأبناء، في حين أن 5% من الآباء يتواصلون مع المدرسة عن طريق الحارس.

**السؤال 5) هل يشارك الآباء في الأنشطة المنظمة بالمدرسة كالعروض المسرحية والاحتفالات؟**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| نعم | 5 | %25 |
| لا | 15 | %75 |

نلاحظ من الجدول أن 75% من الآباء لا يشاركون في الأنشطة المنظمة بالمدرسة في حين أن 25% فقط هم الحريصون على المشاركة في هذه الأنواع من الأنشطة.

**السؤال 6) هل يشارك الآباء في الأيام التحسيسية للمؤسسة؟**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| نعم | - | - |
| لا | 16 | %80 |

نلاحظ من الجدول أن 80% من الآباء لا يشاركون في الأيام التحسيسية للمؤسسة.

**السؤال 7) هل يواكب الآباء مقررات وتوصيات مجلس تدبير المؤسسة؟**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **نعم** | - | - |
| **لا** | 16 | %80 |

نلاحظ من الجدول أن 80% من الآباء لا يواكبون مقررات وتوصيات مجلس تدبير المؤسسة.

**السؤال 8) عدد الآباء الذين يعرفون اسم رئيس جمعية آباء وأمهات التلاميذ بالمدرسة:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **نعم** | 3 | %15 |
| **لا** | 14 | %70 |

نلاحظ من الجدول أن 70% من الآباء لا يعرفون اسم رئيس جمعية آباء وأمهات التلاميذ للمدرسة التي يدرس بها أبناؤهم في حين أن 15% منهم يعرفون اسم رئيسها.

**السؤال 9) رأي الآباء في ظاهرة التواصل وخاصة منها ما يتعلق بالأسرة والمدرسة:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **قضية جوهرية** | 15 | %75 |
| **مسألة ثانوية** | 5 | %25 |

نلاحظ من الجدول أن 75% من الآباء يؤكدون على أن التواصل بين المدرسة والأسرة قضية جوهرية لسير العملية التعليمية التعلمية، بينما نسبة 25% منهم يرونه مسألة ثانوية

**السؤال 10) تفسير الآباء لسوء التواصل الحاصل بين الأسرة والمدرسة:**

| | تكرارات | نسبة مئوية |
|---|---|---|
| **قلة الوعي لدى الآباء والأمهات بأهمية التواصل مع المدرسة** | 11 | %27 |
| **المدرسة تتسم بالتعالي مما يجعل الآباء يتهربون من التواصل** | 2 | %05 |
| **عدم تنظيم الإدارة للقاءات دورية يتم فيها تفعيل التواصل** | 14 | %34 |
| **عدم اهتمام المدرسة بإخبار الاسرة بمستجدات ابنائهم** | 9 | %22 |

نلاحظ من الجدول أن معظم المعيقات المذكورة مرتبطة بالمدرسة وتشكل نسبة 73% موزعة على الشكل التالي: 34% لعدم تنظيم الإدارة للقاءات يتم فيها تفعيل التواصل بين الأسرة والمدرسة، 22% كانت لعدم اهتمام المدرسة بإخبار الأسرة بمستجدات أبنائهم، بينما 05% فهي للتعالي الذي تتسم به المدرسة مما يجعل الآباء يتهربون من كل التواصل، في حين أن المرتبطة بالأسرة دائما تشكل نسبة27% وهي لقلة الوعي لدى الآباء والأمهات بأهمية التواصل.

**استنتاج**

بتجميع نتائج الأمثلة السالفة وأجوبتها نلخص ما يلي:

من خلال استقراء نتائج هذه الاستمارة التي استهدفت عينة عشوائية من الآباء من مختلف الأعمار والمستويات الدراسية، تبين لي ما يلي:

- ضعف اتصال الآباء بالمدرسة وهذا واضح من خلال عدد المرات التي يقومون فيها بزيارة المدرسة. فالآباء لا يزورون المدرسة إلا إذا احتمت الظروف عليهم ذلك كاستعدادهم بسبب غياب او سلوك او معاتبة الإدارة على تصرف قام به أستاذ ما اتجاه أبنائهم. وإضافة لذلك الغياب الشبه التام للأسر في الأنشطة المنظمة بالمدرسة وفي الأيام التحسيسية للمؤسسة.
- أغلب عمليات التفاعل التي تتم بين الأسرة والمدرسة تكون إما من خلال الابن أو المدير وتتحدد هذه العلاقة بشكل غير مباشر.

**خاتمة**

إن تجسير العلاقات ولحم الفجوات بين المدرسة والأسرة، تعاقد اجتماعي حاسم يفرض ذاته باستمرار نظرا لطبيعة التداخل والاندماج بين هذين القطبين المركزيين وظيفيا، ولطبيعة مكانتهما المرموقة في بناء المنظومة الاجتماعية إنسانيا، إضافة الى التحامهما حول وحدة الرهان ووحدة الغايات المشتركة: كلاهما معا من أجل الارتقاء بالمنظومة التنموية البشرية في بلادنا. كما أن وحدة الوظائف والأدوار دعوة أكيدة وملحة الى ضرورة تقليص مساحة القطيعة والتنافر بينهما. لتحتل مكانها قيم: التعاون والتآزر والتطوع وروح المبادرة. وبناءا عليه، فالمدرسة والأسرة كينونة اجتماعية ثنائية ملزمة بضرورة إيجاد صيغ تعاقدية ملائمة لتأطير العلاقات بينهما، ومد جسور التواصل الناجع والمثمر بين الطرفين.

يتبين من خلال هذا البحث على أن جل زيارات الأمهات والآباء وأولياء المتعلمين(ات) تكثر أول السنة، فالمدرسة من جهتها لا تعقد لقاءات دورية يتم فيها تفعيل التواصل بينها وبين الأسر. والأساتذة بدورهم يزيدون من اتساع الفجوة الحاصلة بينهما، وهذا يؤكد على أن التواصل بين المدرسة والأسرة في نظر الأساتذة قضية جوهرية وهامة لسير العملية التعليمية، ومن هنا يمكن القول أن هناك تباعد كبير بين المدرسة والأسرة وأن كلا الطرفين لا يشتركان في أي شيء ولا يربطهما رابط.

وفيما يلي نقدم بعض الاقراحات لتقليص هذه العوائق:

- التنويع والتطوير في آليات التواصل مع الأسر وعدم الاكتفاء باجتماعات جمعية الآباء والأمهات كآلية تقليدية للتواصل،
- على إدارة المدرسة تحمل عناء الوصول للأسر بشتى أنواع وسائل الاتصال
- التنسيق مع وسائل الإعلام لطرح هذه المشكلة
- الاهتمام بالتكوين المستمر انطلاقا من حاجيات الأساتذة ومتطلبات الواقع
- تخصيص الإدارة جوائز للآباء والأمهات الناجحين في التواصل
- إرسال انجازات وأعمال التلاميذ إلى آبائهم وأمهات قصد معرفتهم بما يقوم به أبنائهم داخل المدرسة

**المصادروالمراجع**

- مجلة علوم التربية العدد 28 فبراير 2005.
- الميثاق الوطني للتربية والتكوين، منشورات المركز المغربي للإعلام. دجنبر 2003.
- مجلة فضاءات تربوية العدد الثالث مارس 1997. ص 103.
- المدرسة المغربية والمنتوج القيمي الأخلاقي، عبد الباقي داود. سلسلة التكوين التربوي. العدد 10 السنة 1999.
- الطفل والعلاقات الأسرية. د احمد أوزي الطبعة الأولى 2002.
- جورج توما الخوري، سيكولوجية الأسرة. دار الجيل بيروت ص 14.
- ماذا عن علوم التربية؟ امحمد عليلوش، بحث تربوي سنة 1997.
- الطفل بين الأسرة والمدرسة سلسلة التكوين التربوي، مرجع سابق، ص: 15

ISSN 2569-734X

# المجال بين مطالب التنمية وخصائص الثروة المائية:
# أزمة شح المياه في المغرب على ضوء أزمة الماء في بعدها الدولي

# The Intersection between Development Demands and Water Resources Characteristics:
# The water scarcity crisis in Morocco in light of the global water crisis.

الباحثين إسماعيل الراجي والمصطفى مرتبط*
مختبر التراب والبيئة والتنمية، جامعة ابن طفيل القنيطرة

**ملخص**

يعيش المجال الترابي المغربي خلال العقود الأخيرة جملة من الإكراهات المناخية والبيئية، امتدت تداعيتها الوخيمة لتمس الاجتماعي والتنموي، فقد تسبب التغير المناخي في تراجع التساقطات المطرية الموسمية، فسادت حالة من شبه الجفاف والجفاف في المواسم الفلاحية الماضية، مما طرح إشكاليات متعددة الأبعاد، منها شح المياه وتراجع الثروة المائية في بيئتها، وعجل التراجع المهول المسجل في حقينة السدود والفرشات المائية بدق ناقوس الخطر، خصوصا على مستوى مياه الشرب والسقي. وعليه، شرع المغرب، في السنوات الأخيرة، في صياغة وبلورة وتنزيل سياسات مائية، اتخذت صيغة أوراش ومشاريع إنجاز السدود والمنشآت على المسطحات المائية، تهدف إلى عقلنة استغلال الثروة المائية، لتلافي انعكاس قلة التساقطات وموجات الجفاف على المجالات الاجتماعية والاقتصادية والإيكولوجية. ومنه، احتواء أزمة الماء لتحقيق شروط التنمية المستدامة، اعتمادا على سياسات عمومية وترابية محكمة، انطلقت مع فجر الاستقلال ولاتزال مستمرة إلى اليوم.

يسعى هذا المقال إلى تقديم لمحة عن أزمة الماء على الصعيد الدولي، والتي باتت تفرض نفسها كقضية كونية تؤثر في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدول، وتهدد أمنها الغذائي والسلمي، وانعكاسها على مشاريع التنمية في العديد من البلدان النامية التي جعلت من القطاع الفلاحي مشروعها التنموي الأساسي. يسلط الضوء، كذلك، على جوانب سوسيو-تاريخية من شح المياه وأثرها على المجتمع المغربي وذاكرته الجماعية في الزمن الماضي القريب. يعرض أيضا معطيات حول الثروة المائية بالمغرب، ويفكك السياسات والإجراءات والتدابير المائية المعتمدة بالمغرب، كتشييد السدود والمد المائي وتحلية ماء البحر...

**الكلمات المفتاح**: أزمة الماء، جيوبولتيكة الماء، موجات الجفاف، الفلاحة المغربية، السياسة المائية، التنمية الترابية.

The Moroccan territorial space has been facing a series of climate and environmental challenges in recent decades, the severe consequences of which have extended to social and developmental aspects. Climate change has led to a decline in seasonal rainfall, resulting in semi-drought and drought conditions in past agricultural seasons. This has raised multidimensional issues, including water scarcity and a decrease in water resources in the environment. The alarming decline in dam and water table levels has sounded the alarm, especially regarding drinking water and irrigation.

Consequently, in recent years, Morocco has begun formulating and implementing water policies in the form of projects and dam construction on water surfaces. These initiatives aim to rationalize the use of water resources to mitigate the impact of reduced rainfall and drought waves on social, economic, and ecological domains. These policies aim to contain the water crisis and achieve the conditions for sustainable development, relying on comprehensive and territorial policies that have been in place since the country's independence and continue to this day.

This article seeks to provide an overview of the global water crisis, which has emerged as a universal issue affecting the political, economic, and social life of nations. It poses a threat to food and peace security, as well as development projects in many developing countries, where the agricultural sector serves as their main development project. The article also sheds light on socio-historical aspects of water scarcity and its impact on Moroccan society and collective memory in the recent past. It presents data on water resources in Morocco and examines the water policies, measures, and initiatives adopted in the country, including dam construction, water distribution, and seawater desalination.

**Key Words**: Water Crisis, Water Geopolitics, Drought Waves, Moroccan Agriculture, Water Policy, Territorial Development.

* mustapha.mortabit@uit.ac.ma et ismail.raji@uit.ac.ma

**مقدمة**

يشكل الماء المادة الأولى والأساسية للحياة، وعنصرا من العناصر الهامة والمؤثرة في تشييد العمران البشري، في حالتي الندرة والوفرة، ويلعب الماء دورا كبيرا في الاستقرار البشري منذ قدم التاريخ إلى اليوم؛ ويعتبر محددا شارطا للامتياز الجيومكاني للعديد من البلدان، على اعتبار أن الحضارات كانت دائما تنشأ بالقرب من المدارات المائية، حتى تستطيع تحقيق أمنها المائي والغذائي، ويسهل أنشطتها وممارساتها وشؤونها الحياتية، كما أن الماء عامل حاسم في خلق جاذبية للمجال، وبالتالي انجذاب الإنسان وثباته بالقرب منه، وبالماء يمكن خلق دينامية متجددة ولا متناهية في المجال، وهو مؤشر من المؤشرات القوية في تشييد العمران السكاني والعمراني والاقتصادي. من المفارقات المرتبطة بالثروة المائية، أنه يبقى معطى مجاليا، محدد سلفا حسب خريطة حدود البلد والمعطيات الطبيعية، إذ تتحكم في الثروة المائية لكل دولة جغرافيتها ومناخها، وامتيازات منابع الماء وجريانها.

يبدو جليا من خلال ملاحظة خريطة ثروة المياه-العذبة في بلدان العالم، أن هناك بلدان تزخر بهذه المادة الحيوية، وهناك مناطق أخرى تعاني من قلة الماء أو ما يطلق عليه في الأدبيات الجغرافية حالة الندرة، حيث يتحكم في هذا التوزيع اللامتكافئ عوامل ومحددات طبيعة، فإلى جانب المناخ والموقع الجغرافي، هناك طبيعة التضاريس وشساعة مساحة الدولة، ومحددات أخرى تتعلق بسياسة التدبير وشكل النظام الاقتصادي، والخصائص السكانية والعمرانية والديمغرافية. إن الثروة المائية العذبة في الزمن الراهن، باتت من بين المسببات المباشرة في الصراع البين دولي، وكذا الأمني في إطار العلاقات الدولية بين العديد من دول المعمورة، حيث أصبح نشأت أزمات بين دول عدة حول توزيع حصص الثروات المائية، وبالخصوص البلدان التي تشترك فيما بينها بمتصل مائي (مشترك مائي)، كالحالات التي يكون فيها المنبع في دولة والمصب في دولة ثانية، أو قد تقع عدة دول في مجال إقليمي يمتد فيه مجرى مائي واحد، يخترق مجموعة من الدول. ومن أشهر الأمثلة في هذا الصدد، نذكر نهر النيل الذي يبلغ طوله 6650 كلم، وهو من بين الأنهار والمشتركات المائية التي تندرج ضمن خانة الأنهار الدولية المأزوم سياسيا حول توزيع ثروة مياهه؛ فعلى ضوء شروع أثيوبيا ببناء سد النهضة سنة 2011، الذي انتهت أشغاله سنة 2022، والوضع السياسي مأزوم سياسيا بين إثيوبيا (دولة المنبع) والسودان (دولة العبور)، ومصر (دولة المصب)، وهو ما أجج وضعا جيوسياسيا مائيا جد معقد بالمنطقة.

عرف العالم خلال منتصف القرن الماضي، مجموعة من التحولات السوسيو-اقتصادية، والديمغرافية التي كانت في اتجاه دينامية نامية كمية وتاريخية على صعيد المعمورة، حيث تضاعف عدد سكان العالم، وتقلصت المساحات المزروعة، والمناطق الخضراء، وارتفعت وتيرة التمدين، وتحولت بعض القرى خلال عقود محدودة إلى مجالات حضرية، والتقدم الصناعي والتكنولوجي، وتوسع المدن على حساب القرى، واستحواذها على أجود الأراضي، وانخفاض التساقطات المطرية، وعدم انتظامها بفعل ظاهرة الانحباس الحراري واحترار الأرض، أو ما يطلق عيله "التغير المناخي" الذي يعد مشكلة القرن الذي يؤثر على جميع الديناميات المجالية سلبا، كما تنبه تقارير رصد حالة تدهور البيئة وتغير المناخ.

هذه التحولات العميقة وغيرها -على مستوى المشهد الطبيعي والديمغرافي والسوسيواقتصادي -انعكست تداعياتها بشكل مباشر على الثروة المائية-العذبة، واختلطت الأوراق في أساليب استغلالها، حيث يلاحظ أن الثروة المائية هي من محددات الإمكانيات الطبيعية التي تدخل ضمن مجموع العوامل المفسرة للقوة الاقتصادية للعديد من البلدان، التي تحتل مكانة اقتصادية مهمة في العالم.

بحكم التقدم الصناعي عبر القرنين الماضيين، وسيرورة التدبير خلال المرحلة المعاصرة، أصبحت الثروة المائية في قلب الإشكالات في العديد من البلدان، حيث تراكمت الملوثات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تم استنزاف هذه الثروة مع حتمية ديناميات النمو الديمغرافي والاقتصادي والعمراني. وعليه، أصبحت العديد من بلدان العالم في خانة الدول التي تعصف بها أزمة الماء، فما أن تنفك أن تخرج دولة من الدول التي تطوقها الأزمة المائية- حالة الندرة؛ من مطب أحد مطبات الأزمة المائية حتى تجد نفسها من جديد في مطبات جديدة، يتحكم فيها الطلب المجالي والتنموي للماء. مع العلم أن كوكب الأرض حسب

علماء البيئة وجناح الخضر في العالم، يعرف العالم اليوم ثلاثة مشاكل كبرى وهي التغير المناخي، والتلوث، واختلال التوازن البيئي.

ومن تجليات الأزمة المائية في عدة بلدان، تأثر حصة الفرد الواحد من الماء الصالح للشرب والاستعمال الآدمي، ومن أكثرها ضررا تلك الدول التي تعرف انخفاضا متواصلا في احتياطاتها من الثروة المائية العذبة، حيث أصبحت عاجزة عن توفير حاجيات الإنسان من الماء والأمن الغذائي، فالماء والأمن الغذائي وجهان لعملة واحدة، فلا فلاحة أو صناعة بدون ماء.

ترتبط الثروة المائية بجل القطاعات الحيوية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فهو ضامن لاستدامة الحياة، والتقدم والازدهار والتعمير تاريخيا وراهنيا، حيث أن ندرة المياه العذبة تعد المهدد الرئيسي للاستقرار الاجتماعي والأمني للدول. لاسيما أن الماء في العديد من البلدان، المتغير الحاسم في الازدهار الاقتصادي والصناعي والتنمية الفلاحية، ففي دول العالم الثالث، يعد الماء أهم رافعة في السياسات والبرامج والمخططات التنموية الاستراتيجية للحكومات وتدخل ضمن المقدرات السيادية وأضلع الأمن القومي.

إن الدول التي تتوفر على عدد مهم من مجاري الأنهار والأودية ضمن حدودها السيادية، يسهل عليها تدبير وترشيد استعمال الماء والمحافظة عليه، ومن بين الدول التي تمتاز باستقلالية في تدبير ثرواتها المائية وفق مخططاتها الوطنية، نجد الدولة المغربية؛ حيث المنبع والمجرى والمصب ضمن إطارها الجغرافي داخل سيادة ترابها، فجل الأنهار والأودية والفرشات والأحواض المائية الرئيسية داخل حدوده السيادية الترابية المغربية، تكمن أهمية هذه الميزة أنها من القوة المجالية للبلد. لكن، هذه الوضعية الاستراتيجية المهمة لم تجعل البلاد في مأمن من شبح شح المياه، فبالرغم مما يتوفر عليه المغرب من أحواض مائية، بمياهها السطحية والباطنية يظل معرضا لخصاص في الماء، بسبب قلة التساقطات المطرية وموجات الجفاف. وهذا ما كشفت عنه بعض التقارير خلال سنة 2023 الجارية، ومن بينها تقرير البنك الدولي الصادر بمناسبة اليوم العالمي للماء 2023، الذي يتزامن مع كل 22 من مارس من كل سنة، الذي أكد على تأزم الوضعية المائية _الخصاص المائي_ لخمس دول بمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، هي كل من: العراق وإيران وسوريا ومصر والمغرب، حيث تحدث عن ما ستواجهه هذه البلدان من شح غير مسبوق في المياه.

ومن خلال هذه الأرضية، نطرح الإشكال الآتي:

إلى أي حد استطاعت السياسات والبرامج والمخططات الحكومية والترابية والتدخلات القطاعية المتعاقبة تدبير أزمة الماء بالمغرب، من خلال سياسة بناء السدود إلى تلافي مشكلة شح الماء، بالرغم من أهميته لدى المغربي ودوره في الحفاظ على الأمن والاستقرار بالمجال؟

ولمعالجة هذا الإشكال سوف نتناوله من خلال ثلاثة محاور:

- في المحور الأول، نتسأل فيه عن أزمة الماء في بعدها الدولي-الإقليمي في الزمن الراهن؛ فهل هي أزمة ندرة أم اختلال للتوازن؟
- أما المحور الثاني، نتسأل عن أهمية الماء التاريخية في الاستقرار بالمجال المغربي، وعن حالة الندرة وشح المياه التي عصفت بالمغرب خلال محطات تاريخية- إبان الماضي والماضي القريب الناجمة عن موجات الجفاف الحادة، وكذا ملامح تأثيرها على حياة الناس الاقتصادية والصحية والذهنية، فهل توجد سنوات بعينها وشمت الذاكرة الجماعية المغربية بتأثير ندرة الماء؟
- في حين تسألنا في محور الثالث عن خصائص الثروة المائية بالمغرب على ضوء السياسات المائية من الاستقلال إلى اليوم، فما أهم التدبير والإجراءات لمواجهة الفقر المائي بالمغرب؟

**أولا: أزمة الماء والتوازن المفقود**

**1- وضعية الماء في العالم**

يقدر حجم الماء على كوكب الأرض بحوالي "1360مليار متر مكعب، 97% من هذا الحجم مجود في البحار والمحيطات، و2% مجمدة في الطبقات الجليدية. أما المياه المالحة فتمثل المصدر الرئيسي للمياه العذبة، وذلك عن طريق الدورة الهيدرولوجية

للماء"[1]، فإذا كان الماء على كوكب الأرض يشغل ثلاثة أرباع مساحة الكوكب. لكن، من مجموع هذه الأرباع الثالثة لا تتجاوز نسبة المياه العذبة سوى 2.5%[2]، وتتوزع هذه النسبة على ثلاث حالات[3]: النسبة المهمة من مصادر المياه العذبة هي تلك المجمدة في الكتل الجليدية بالقطبين، وتمثل ما نسبته 68%، وتليها المياه الجوفية المحتجزة في باطن الأرض بنسبة 30%، ثم المياه السطحية الموجودة في الأنهار والبحيرات، أي المسطحات المائية، التي لا تتجاوز نسبتها 2% من المياه العذبة. وبالرغم من أن الماء من الموارد الطبيعية المتجددة، إلا أنه أضحى من بين الأزمات في الزمن المعاصر، حيث امتد تأثيره إلى مجالات عديدة، فهناك تباينات بين الدول[4] من حيث الحالة المائية التي هي بين الوفرة (3600م$^3$ حصة الفرد السنوية في فرنسا) والندرة (أقل من 500م$^3$ حصة الفرد السنوية في الأردن). حالة الندرة هذه، تخيم على عدة بلدان هي تلك المحاصرة بعدة وضعيات طبيعية (مناخية وبيئية) وحدودية وديمغرافية، واقتصادية؛ كالدول المنتمية جغرافيا للصحراء الكبرى، أو الدول التي تعرف مجاليا عدم التوافق بين الحدود السياسية مع الحدود الطبيعية حيث هي دولة ترتبط بعض أنهارها الحيوية مع دول أخرى. كما زادت تدهور الارض والتغير المناخي من موجات الجفاف، مما يؤدي إلى حالة عدم التوافق بين الموارد الطبيعية المائية التي تتناقص بزيادة الاستهلاك ودينامية عدد السكان، بالإضافة إلى هذا، استفحال مشكل التلوث الذي طال مصادر المياه الرئيسية، كما ساهم النمو الديمغرافي السريع والاقتصادي لبعض البلدان الثالثية في رفع الطلب على الماء، ومن الجدير بالذكر الإشارة لحالة عدم ترشيد وحكامة تدبير واستهلاك الماء. لقد ساهمت التحولات الاقتصادية والصناعية والحضارية وما ترتب عليها من عوارض كانت وراء تدهور حالة الأرض والبيئة والمناخ خلال القرنيين الماضين إلى زيادة الفقر المائي[5]. على ضوء الديناميات الماكرو سوسيو-اقتصادية والتغيرات المناخية، وطبيعة الحدود الدولية، وطبيعة التحول والاستهلاك في حضارة اليوم وغيرها من العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية، تشكلت أزمة حادة في الزمن الراهن، يطلق عليها في العديد من أدبيات العلوم الإنسانية والاجتماعية، "أزمة الماء"، أو "الفقر المائي"، أو "التحديات المائية" وغيرها من المفاهيم الدالة في قاموس العلوم الإنسانية والاجتماعية على أزمة متعددة الأبعاد، مركبة من عدة متغيرات؛ الطبيعي والمناخي والاجتماعي والصناعي، تؤثر على حركة ونشاط وعيش الإنسان في المجال، بل هي المسؤولة عن ديناميات السكان في عدة مناطق، وبالخصوص، ظاهرة النزوح والهجرة جراء موجات الجفاف المتعاقبة وندرة المياه.

تنقسم مصادر الماء إلى نوعيين[6]، مصادر الماء الطبيعية: مياه الأمطار، مياه التربة (الينابيع والآبار)، المياه السطحية (الأنهار والبحيرات)، ثم البحار والمحيطات. وهناك مصادر اصطناعية باتت تلعب دورا مهما في الحد من آثار العجز المائي: مياه التحلية، مياه إعادة الاستخدام، مياه التدوير. ولعله من الجدير بالإشارة إلى الحق الإنساني في الماء المعتمد في الأمم المتحدة، والمحدد حسب خبراء الأمم المتحدة في مجموعة من المحددات: المحدد الكمي: وتقدر حصة الفرد ما بين 50 و100 لتر يوميا؛ محدد القرب والولوجية: بمعنى أن يكون هذا الماء سهل الولوج إليه، حيث لا ينبغي أن تكون مسافة جلبه بعيدة، 1000 متر، أو نصف ساعة؛ محدد التأمين والثمن: أن تكون أثمنة الماء معقولة وألا تزيد كلفة المياه عن 3% من مجمل الدخل الأسري[7].

---

1 سامر مخيمر وخالد حجازي، أزمة المياه في المنطقة العربية : الحقائق والبدائل الممكنة، عالم المعرفة، العدد 209، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت (1996)، ص 7.

2 تعرف المياه العذبة بالموصفات الأتية: انعدام اللون والرائحة والطعم، تراوح درجة الحموضة ما بين 5.6 و 5.8، خالي من المواد العالقة أو الكائنات الدقيقة أو المواد الضارة والسامة و المواد المشعة. للمزيد أنظر: سامر مخيمر وخالد حجازي، أزمة المياه في المنطقة العربية : الحقائق والبدائل الممكنة، عالم المعرفة، العدد 209، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت(1996)، ص 276.

3 لوبيك شوفو، المخاطر الطبيعية في العالم، ترجمة مارك عبود، كتاب العربية 146، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط1(2015)، ص 29.

4 لوبيك شوفو، نفسه، ص 29.

5 هناك قولة قال بها بعض الجغارفة، تقول: "الحضارة تؤدي للجفاف"، للمزيد أنظر: عبد الفتاح محمد وهبية، جغرافيا البشرية، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان (1980)، ص 22.

6 للمزيد أنظر: سامر مخيمر وخالد حجازي، المرجع السابق، ص 276.

7 يمكن الرجوع إلى: "الحق في الماء"، صحيفة الوقائع رقم 35، الأمم المتحدة، حقوق الإنسان،

**2- أزمة الماء وسياسة مواجهة حالة الندرة**

عمل تزايد الطلب على الماء في الحضارة الراهنة، مقترنا باستفحال موجات الجفاف التي تعصف بالعديد من البلدان إلى خلق أزمات ترتبط بالمياه في العديد من الدول، فالطلب المتنامي على الماء، خصوصا المياه العذبة، حيث تقترن معادلة استهلاك الماء في العالم بمحدد الاستهلاك الفلاحي والصناعي، واستهلاك سكان المدن، والبيئة الطبيعية. وتعد البلدان الصناعية الكبرى من أكبر المستهلكين للماء، بينما في الدول النامية تقترن دينامية استهلاك الماء لديها بمدى التحول الإنتاجي والنمو الاقتصادي، حيث كلما ارتفع التصنيع في الدول النامية زاد الطلب على الماء[1]، هذه البلدان، منها ما يحتل صدارة قائمة البلدان التي تتخبط في وضعية شح المياه عقب مآلات التغير المناخي خلال القرن الماضي. وقبل أن نشير إلى بعض المصلحات الدالة في القاموس الجغرافي على أزمة الماء، ننبه إلى آخر تقرير صادر عن اليونسكو والأمم المتحدة حول الماء لسنة 2023، الذي أشار إلى "احتمال حدوث أزمة مياه عالمية وشيكة"، فحسب التقرير الصادر عقب انعقاد المؤتمر الدولي للمياه لسنة 2023، الذي تزامن مع اليوم العالمي للمياه 22آذار/مارس، كشف على المعطيات التالية[2]: يواجه ملياران إلى ثلاثة مليارات نسمة في العالم نقصا في المياه؛ وأن هذا النقص سوف يزداد سوءا في العقود المقبلة، ولا سيما في المدن، إذا لم يدعم التعاون الدولي في هذا المجال؛ وأن هناك عالميا مليارا شخص (26% من عدد السكان) لا يحظون بمياه الشرب الآمنة، و3.6 مليارات شخص (46%) لا يمكنهم الانتفاع بخدمات الصرف الصحي التي تدار بطريقة سليمة؛ ويتعرض ما بين مليارين إلى ثلاثة مليارات نسمة لنقص المياه خلال شهر واحد على الأقل سنويا، مما يمثل خطرا شديدا على سبل كسب العيش ولا سيما من ناحية الأمن الغذائي والحصول على الكهرباء. من المتوقع أن يزداد عدد سكان المناطق الحضرية الذين يعانون من شح المياه بمقدار الضعف، حيث كان عددهم 930 مليون نسمة في عام 2016 وسيصل من 1.7 إلى 2.4 مليارات نسمة في عام 2050؛ وأن تزايد حدوث حالات الجفاف القصوى والممتدة لفترات طويلة يعرض النظم الإيكولوجية للضغوط التي تترتب عليها عواقب وخيمة بالنسبة إلى الأنواع النباتية والحيوانية على حد سواء.

تتشابك حالة الأزمات[(3)] في العالم المعاصر، ومن أوجه الأزمات العابرة للحدود، والتي تقوض سياسات التنمية على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي، ثالوث مشكلة المياه، المعبر عنه، حسب خبراء الأمم المتحدة؛ ب "فائض المياه" الناجم عن العواصف والفيضانات، و"قلة المياه" المترتبة عن موجات الجفاف وندرة المياه الجوفية، و"تلوث المياه" بسبب المخلفات الصناعية والاستهلاكية. حالات هذه الأزمات الثلاث، ترتبط ارتباطا وثيقا بالتحولات العميقة التي عرفتها الحياة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية خلال القرنين الماضيين، وانبثق عن الثالوث السالف الذكر، شح المياه الصالحة لأغراض المجتمع في العديد من الأقاليم والدول. هذا الوضع المترتب عن أزمة المياه حسب تقرير الأمم المتحدة للمياه هذه السنة 2023؛ يقوض البرنامج العالمي لتحقيق "أهداف التنمية المستدامة"[4]، التي حددتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبعة عشر هدفا، من بينها الهدف السادس المتعلق بالمياه: "ضمان توافر المياه والمرافق الصحية وإدارتها المستدامة للجميع".

---

1 سندرا بوستيل، مواجهة مشكلة الخصاص في الماء، تعريب محمد شينان، مجلة المنهال، العدد 46، المغرب(1995)، ص 239.

2 التقرير الذي نشرته اليونسكو بالنيابة عن لجنة الأمم المتحدة المعنية بالموارد المائية وصدر يوم 21 مارس، بمناسبة انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة الدولي للمياه لعام 2023 في نيويورك. للمزيد أنظر بيان صحفي في موقع اليونسكو: https://www.unesco.org/ar/articles/ahtmal-hdwth-azmt-myah-almyt-wshykt-alywnskw/ljnt-alamm-almthdt-almnyt-balmward-almayyt

3"حالة الأزمة" في المجتمعات. وحسب رأي عالم الاجتماع الإيطالي كارلو بوردوني ؛ أن حالة الأزمة هي حالة مزمنة في المجتمعات، ف"ما أن تنتهي أزمة ما حتى تظهر أزمة أخرى أو ربما تكون الأزمة الكبيرة نفسها التي تتغذى على نفسها وتتغير عبر الزمن، وتحول نفسها وتولد نفسها من جديد مثل كيان فظيع ماسخ يلتهم ملايين البشر ويغير قدرهم، ويجعل ذلك قاعدة الحياة لا استثناءها، ويصير عادة يومية لا بد أن نتعامل معها، وليس مجرد مشكلة مزعجة مؤقتة يمكن التخلص منها بأسرع طريقة ممكنة". للمزيد أنظر: زيجمونت باومن وكارلو بوردوني، حالة الأزمة، ترجمة حجاج أبو جبر، ط1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2018، ص 15.

4 "أهداف التنمية المستدامة هي خطة لتحقيق مستقبل أفضل وأكثر استدامة للجميع. وتتصدى هذه الأهداف للتحديات العالمية التي نواجهها، بما في ذلك التحديات المتعلقة بالفقر وعدم المساواة والمناخ وتدهور البيئة والازدهار والسلام والعدالة. وفضلا عن ترابط الأهداف، وللتأكد من ألا يتخلف أحد عن الركب، فمن المهم تحقيق كل هدف من الأهداف بحلول عام 2030. انقر على أي هدف محدد أدناه لمعرفة تفصيل أوفى عن كل تحد ومشكلة" للمزيد حول أهداف التنمية المستدامة أنظر موقع الأمم المتحدة: https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/sustainable-development-goals/

إن أزمة المياه جد مركبة[1] وهي: متعددة الأبعاد والمستويات، فبالإضافة إلى عامل الندرة، ومحدودية الموارد المائية، وتدني جودة المياه، وطبيعة المشترك المائي والحدودي بين الدول. تتشابك هذه المعطيات المجالية مع البيئية لتشكل أزمة تتباين حدتها من قطر إلى قطر، ومن قارة إلى قارة، ولعل حالة العالم العربي حالة معبرة عن أزمة الماء[2]، حيث وضعية الأمن المائي غير مريحة، إذ يعتبر العالم العربي من أفقر الدول في العالم من حيث توفر المياه[3]. والخريطة أسفله تبين تصنيف الدول حسب مؤشر الفقر في الثروة المائية:

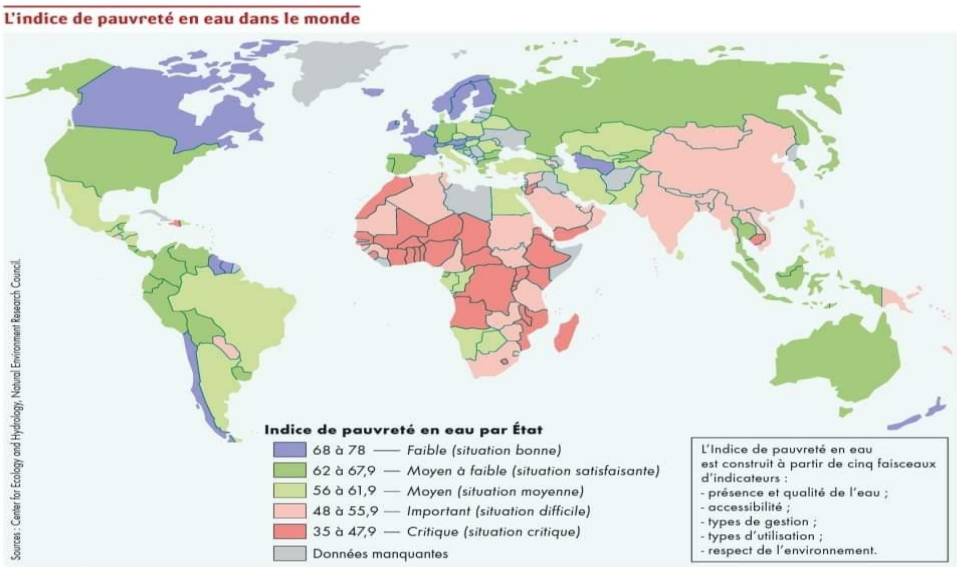


المصدر: موقع CULTIVOO على الرابط الاتي:

http://cultivoo.fr/index.php/histoire/geopolitique/1136-leau-comme-frontiere

لقد كانت استراتيجية التعامل مع أزمة الماء ومواجهة الطلب المتزايد عليه، تعتمد على مشاريع تنمية الماء[4]. من هذا المدخل سيتم التفكير استراتيجيا في التعامل مع هذه القضية، التي تتطلب تضافر الجهود العلمية والدولية من أجل سد فجوة الفقر المائي، والتهديد الذي يسببه شح المياه وما له من تبيعات تتجاوز حدود الدول. وعليه، عمل المهندسون ومخططو التنمية على تبني سياسات الاقتصاد في الماء، أي من مدخل تقليل الكمية المستهلكة في القطاعات التي تستنزف الثروة المائية، فتم الاشتغال على القطاع الفلاحي، عبر اعتماد تدابير السقي الحديثة، التي تعتمد على التقطير ونحوه من تقنيات السقي المتطورة في الميدان الزراعي. بينما في الصناعة والاستهلاك المنزلي يتم العمل على إعادة تدوير المياه المستعملة، لما يمكن أن توفره من كمية المياه التي يمكن إعادة استخدامها في السقي والري، وفي الصناعة، وفي جوانب عديدة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية. وفي هذا السياق تقول سندرا بوستيل "تقليص احتياجات الري بالعشر، مثلا، قد يوفر ما يكفي من الماء للاستهلاك المنزلي في العالم بأسره على وجه التقريب"[5]. كما ترى أن "الاقتصاد في الماء واستعماله الرشيد وإعادة تدويره وإعادة استعماله، أن يفرز إمدادات جديدة تكفي لتجنبنا عددا من ظواهر قلة الماء التي تلوح في الأفق، وتمكننا من ربح الوقت

---

1 للمزيد أنظر: سامر مخيمر وخالد حجازي، أزمة المياه في المنطقة العربية : الحقائق والبدائل الممكنة، عالم المعرفة، العدد 209، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت(1996)، ص11.

2 للمزيد أنظر: سامر مخيمر وخالد حجازي، أزمة المياه في المنطقة العربية : الحقائق والبدائل الممكنة، عالم المعرفة، العدد 209، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت(1996)، ص11.

3 للمزيد حول مؤشرات وحصص الماء في الوطن العربيأنظر:

- موقع الجزيرة، بالأرقام: حقائق عن أزمة المياه في العالم العربي، على الرابط التالي: https://www.aljazeera.net/ebusiness/ 22/3/2021/

-موقع مدونة البنك الدولي: غنيمة العتيبي، بالأرقام: حقائق عن أزمة المياه في العالم العربي، على الرابط الأتي:

https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/numbers-facts-about-water-crisis-arab-world

4 سندرا بوستيل، "مواجهة مشكلة الخصاص في الماء"، تعريب محمد شينان، مجلة المنهال، العدد 46، المغرب (1995)، ص 215.

5 سندرا بوستيل، مرجع سابق، ص 227

الضروري لإعادة النمو السكاني والاستهلاك إلى مستويات مقبولة. لكن يجدر بنا الإسراع في وتيرة هذا التحول إذا أردنا أن نتلافى الأضرار الإيكولوجية، والتراجع الاقتصادي، وقلة الغذاء، والصراعات الدولية، التي يمكن أن تكون خطيرة"[1].

رغم حالة التقدم في التعامل مع الثروة المائية، والتقنيات والتكنولوجيا المستعملة في هذا الجانب، تبقى ظاهرة شح المياه سيدة الموقف في العديد من الدول، نظرا لكلفة التحديث الكامل في استهلاك الماء، ونظرا لطبيعة المناخ الذي يعم البلد أو الإقليم الجغرافي. فعلى سبيل المثال، ظاهرة شح المياه هي أمر واقع في العديد من البلدان العربية، التي هي في أمس الحاجة للماء من أجل تلبية الطلب الاجتماعي والاقتصادي والعمراني المتنامي، مما سيساهم في امتصاص تهديد الأمن القومي لبعض الأقطار في العالم العربي من إمداداتها المائية التاريخية، التي بينها مشترك مائي عبر أنهار دولية، وهذا ما جعل العالم العربي في قلب جيوبولتيكة الماء.

### 3- جيوبولتيكية المياه

يعرف العالم جملة من الإشكالات المرتبطة بالأمن والسلم العالميين، ومن أهم القضايا الأساسية التي أصبحت في واجهة القضايا الدولية، جيوبولتيكية المياه التي يعرفها الجغرافي والجوسياسي الفرنسي إيف لاكوست "يشير في المقام الأول إلى النزاعات السياسية على الأحواض المائية وعلى توسيع منسوب المجاري وكذا استثمار الموارد الجوفية"[2] التي تؤثر بشكل قوي على العلاقات الدولية، قضية الماء، فعلى صعيد القارات الخمس، تعاني مجموعة من الدول من الفقر المائي، وهي ظاهرة مجالية تعبر عن ندرة المياه. في المجال الطبيعي العالمي، يتم التمييز بين نوعين من الوضعيات الاستثنائية التي عليها ندرة الماء والفقر المائي، الذي سجل في العديد من مناطق ودول العالم، فهناك من المجالات من هي أصلا مجالا صحراويا قاحلا تكاد تنعدم فيه الموارد المائية، بفعل الظروف المناخية القاسية، والتي من شأنها أن تصعب من وضعية الحياة الاجتماعية بهذه المجالات، وهناك حالات مجالية تتوفر على مجاري مائية، لكن تبقى مرتبطة بحدود سيادية لدول أخرى. وهذا الوضع الأخير وضع البلد في وضع غير مريح، زاد أزمة التوتر في العلاقات الدولية، محركها السياسات المائية في المجال. ومن أشهر حالات توتر العلاقات الدولية بين البلدان التي بينها مشترك مائي والمنذرة باشتعال الصراع حول الماء العذب[3]، جراء سياسة السدود أو تغيير مجرى الماء، ما يعود على بلدان العبور والمصب بنقص في الحصص التاريخية من كمية الماء.

نشير إلى بعض الحالات في افريقيا، فهناك "سد دياما" على نهر السينغال، وطرفي الأزمة فيه بين السينغال وموريتانيا، و"سد النهضة" في إثيوبيا، وطرفي الأزمة فيه كل من إثيوبيا والسودان ومصر، وحتى في أوروبا هناك حالة نهر الدانوب، والصراع حوله بين المجر وسلوفيكيا، والحالة الروسية الأوكرانية، والخلاف بينهما على قناة القرم، وفي أسيا نجد نهري دجلة والفرات، وحالة التوتر حولهما بين كل من تركيا والعراق وسوريا؛ ونهر السند والصراع عليه قائم بين الهند وباكستان، وحالة الأزمة بين الصين ولاوس وفيتنام حول سياسة السدود الصينية. وفي القارة الأمريكية هناك حالة نهر كولومبيا بين أمريكا وكندا. ونهر بارانا والتوتر حوله بين البرازيل والأرجنتين وباراغواي، وغيرها من حالة التوتر الناجمة عن الصراع حول الحصص المائية بين الدول التي بينها مشترك مائي.

### 4- الماء واستراتيجيات التنمية

تشير الأبحاث في حقل السوسيولوجيا إلى أن التنمية قضية مركبة، فالتنمية تعني النهوض "الشمولي العقلاني الممنهج والمتكامل لكافة مكونات ومجالات ومقومات وإمكانيات المجتمع المادية منها والروحية...، وتثمينها وتجديدها وتطويرها بشكل مبدع خلاق لتغدو في مستوى الاستجابة المنظمة والهادفة لكافة فئات وحاجات ومتطلبات المجتمع"[4]. وهذا ينسجم مع تعريف آخر يؤكد على أن التنمية "ظاهرة مركبة تتضمن النمو الاقتصادي كأحد عناصرها الهامة، ولكنها تتضمنه مقرونا

---

1 سندرا بوستيل، مرجع سابق، ص 260

2 ايف لاكوست، الثروة المائية في العالم، ترجمة زينب منعم، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، السعودية، 2015، ص84.

3للمزيد حول هذا الموضوع شاهد: تقرير قناة الجزيرة تحت عنوان: " ندرة المياه قد تشعل حروبا عالمية عنوانها: الماء العذب"، وشاهد والوثائقي الذي عدته قناة دي دبليو الألمانية تحت عنوان: " حروب المياه - النزاع على مصادر المياه العذبة" في ثلاثة أجزاء.

4 مصطفى محسن. رهانات تنموية: رؤية سوسيو تربوية وثقافية نقدية، منشورات الزمن-سلسلة شرفات، المغرب2014، ص7.

بحدوث تغير في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والعلاقات الخارجية"[1]. تؤكد الدراسات على أن التنمية "عملية" تحدث تغيرات اجتماعية وفكرية [2] في المجتمع. فالتغير المنشود هو"تغير وتحسن جذري تم تقييمه تقييما إيجابيا في جل أبعاد الحياة الإنسانية في مكان وزمان محددين، وهو تغير يحدث إزاء جماعة من الأفراد لهم أفكارهم الخاصة عن التقدم"[3]. من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، تلعب الثروة المائية ومواردها دورا محوريا في قلب معادلة التنمية في المجال، فالثروة المائية هي "منتوج أساسي يساهم في بلوغ مختلف الأهداف الاقتصادية كتحسين الإنتاجية الزراعية، وتوسيع الصناعة وتنمية المدن من جهة، ومن جهة أخرى هو أحد العناصر الأساسية لبقاء جميع الأنواع وجميع المجموعات الطبيعية. وهكذا، يؤدي تخصيص كمية أكبر من الماء لاحتياجات البشر إلى توفر كمية أقل لحياة النظم الإيكولوجية، حتى أن الطبيعة تضررت في العديد من المناطق"[4].

ومنه فلا يمكن تحقيق أي تنمية بمفهومها الواسع بعيدا عن معادلة الماء، فحسب وصف الأمم المتحدة: "المياه هي في قلب التنمية المستدامة، وهي ضرورية للتنمية الاقتصادية الاجتماعية، والطاقة وإنتاج الغذاء، وسلامة النظم الإيكولوجية، وبقاء الإنسان. كما أن المياه كذلك في صلب عملية التكيف مع تغير المناخ، حيث تضطلع بدور الرابط بين المجتمع والبيئة"[5]، فالمياه جزء من منظومة إيكولوجية وسوسيو-اقتصادية جد معقدة، تتأثر وتؤثر في الأوساط الطبيعية والإنسانية، عقب الطفرة السكانية التي شهدها العالم، زاد معها الضغط على الموارد المائية اللازمة للاستعمال. ويقدر في العالم ما نسبته 50% من سكان العالم لا يتوفرون على مياه صحية، أو يعرفون نقصا حادا في المياه الأساسية للاستعمال والشرب، فتوفر الماء جزء من روافد السلامة الصحة العامة، وجزء من التنمية الاجتماعية، فكلما كان هناك نقص في حصص الماء أو نقص في جودته، سواء للشرب أو الغسل أو الصرف، كلما انعكس ذلك على الصحة العامة للإنسان جراء تلوث المياه، التي تسبب جملة من الأوبئة والأمراض. يخلق توفر الماء وتواجده بعدا استراتيجيا للوقاية والصحة، ففي حالة السكان الذين يعانون من غياب مياه معالجة، أو يعيشون في بيئات لا تتوفر على بنية تحتية لصرف المياه المستعملة، فإنه: "لا يمكن النظر إلى المياه في معزل عن الصرف الصحي، فهما معا عاملين حيويين في خفض العبء العالمي من الأمراض، فضلا عن مالهما من دور في تحسين الصحة والتعليم والإنتاجية الاقتصادية للسكان"[6].

وحسب المنظمات الدولية؛ المنظمة العالمية للصحة (WHO)، ومنظمة الأغذية والزراعة (FAO)، ومنظمة اليونيسف (UNICEF)، فوضعية المياه الصعبة وحالة الفقر المائي تلقي بضلالها على الصحة والأمن الغذائي معا، وتتسبب في عدة حالات من الأوبئة والأمراض، التي تنعكس بشكل كبير على الحياة العامة، والسلامة النفسية. وحسب بعض الأرقام التي نشرتها الأمم المتحدة، هناك تحديات كبرى تواجه البنيات التحتية المتعلقة بالماء الصالح للشرب، وخدمة الصرف الصحي المدبرة بأمان. ومن هذه الوضعية في بعض التجمعات السكنية تنفجر الأمراض والأوبئة التي يخلفها مشكل التلوث، هذا مع اعتبار الماء أحد العناصر الأساسية التي تدخل في الخدمات الاجتماعية للسكان. أما دور الماء في التنمية الاقتصادية، فهو يلعب دورا استراتيجيا مهما، بالخصوص في القطاع الفلاحي الذي يشغل في عدة بلدان من العالم الثالث ما نسبته تتجاوز 40% من اليد العاملة[7].

---

1ابراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير: دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها، الطبعة الثانية(القاهرة: دار الشروق،2001)، ص 17-18.

2 امحمد مهدان، "**السوسيولوجيا القروية بالمغرب: مقاربات وقضايا**"، ط 2 المغرب، طباعة ونشر سوس، 2017، ص 142.

3 دفيد هاريسون، علم اجتماع التنمية والتحديث، ترجمة محمد عيسى برهوم، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن1998، ط1، ص9-10.

4 سندرا بوستيل، مرجع سابق، ص 223

5 للمزيد أنظر: موقع الأمم المتحدة على الرابط: https://www.un.org/ar/global-issues/water

6 أنظرموقع الأمم المتحدة على الرابط: https://www.un.org/ar/global-issues/water

7 موقع الأمم المتحدة https://www.un.org/ar/global-issues/water

**ثانيا: المجتمع المغربي والماء: لمحة عن حالة الندرة**

**1- الماء والاستقرار**

لا يختلف اثنان عن أهمية الماء تاريخيا ودوره في تثبيت الاستقرار البشري، خصوصا في الحضارات السابقة، التي شيدت مدنها وقلاعها على تخوم الأودية والأنهار والسواحل البحرية، تحت ما ينعت بخاصية "الانجذاب المائي" في تشييد المدن والأمصار عند الحضارات السابقة. من المعلوم أن الحديث عن المدن من الناحية التاريخية، والفلسفية هو حديث طويل. ولقد تعددت الأراء حول نشأة المدن في التاريخ، وارتقت البعض منها إلى نظريات، كنظرية "كارل وايت فوجل" الذي قال بنظرية "استغلال الماء، وتنظيم أعمال الري"[1]، هذان العاملان هما الذين أديا إلى نشأة المدن. وكما كان الماء عاملا مساهما في الاستقرار، كان أيضا عاملا طاردا، حيث تاريخيا أدت الفيضانات إلى نزوح التجمعات البشرية، ومن أشهر السرديات التاريخية حول هذا الأمر، انهيار سد مأرب في اليمن في القديم، الذي ترتب عنه سيل عرم، مسببا أقدم عملية هجرة جماعية في تاريخ العرب. ومن المجالات التي شهدت هذه الخاصية العامة في الاجتماع البشري عند المجتمعات القديمة، المجال المغربي، حيث تتحدث الإسطوغرافيات التاريخية عن عامل الماء كفاعل في الاستيطان وتشييد القرى والمدن في المجال المغربي. بل كانت حركة الإنسان في المجال تدور في مدار الماء، نظرا لطبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية نفسها، إذ شكل فيها الماء عصب الحياة للمجتمعات المتعاقبة على المغرب.

فإبان الفترة المورية، ما بين القرن الثامن قبل الميلاد ومنتصف القرن السادس قبل الميلاد[2]، على سبيل المثال لا الحصر، لعب الماء دورا أساسيا في الاستقرار البشري في المغرب، حيث ارتبطت مدينة ليكسوس التي بناها الفينيقيون حسب الدراسات التاريخية، بنهر ليكسوس في شمال المغرب[3]. إجمالا، تشكل المآثر التاريخية لكل من الحضارات المندثرة؛ السومرية، البابلية، الآشورية، المصرية القديمة، وغيرها من الحضارات المتعاقبة في بلاد الهلال الخصيب وشمال افريقيا، على علاقة الارتباط القوية بين تشييد العمران والمدارات المائية الغنية.

خلال الحقبة الوسيطية من التاريخ، فقد شكل الماء أحد المحددات الأساسية للاستقرار البشري، إذ كان متعارف عليه عند العلماء المنتمون للحضارة العربية الإسلامية على اختيار المكان المناسب لبناء وتشييد المدن، فبالعودة إلى بعض المصادر التاريخية المتعلق بهذه الحقبة، نجد مجموعة من العلماء المسلمين[4] يؤكدون على ضرورة الماء كمحدد للاستقرار والعمران الحضري، من بين هؤلاء العلماء: أبي الربيع (المتوفى 885م)، صاحب كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال"، يورد فيه شروط اختيار موقع المدينة من جهة، ومن جهة أخرى ينصح الحاكم باتباع شروط ذلك؛ ففي اختيار الموقع يراعى وجود الماء، وحسب ابن الربيع إن: "سعة المياه المستعذبة، وإمكان الميزة المستدامة، واعتدال المكان، وجودة الهواء، والقرب من المرعى والاحتطاب، وتحصين منازلها من الأعداء والذعار، وأن يحيط بها سور يعين أهلها (...)، وفي نصحه للحاكم يقول: أن يساق إليها الماء العذب ليشرب أهلها، ويسهل تناوله من غير عسف، وأن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق، وأن يبنى جامعا للصلاة في وسطها ليتعرف على جميع أهلها وأن يقدر أسواقها بحسب كفايتها لينال سكانها حوائجهم عن قرب، وأن يميز بين قبائل ساكنيها بألا يجمع أضدادا مختلفة متباينة، وإن أراد سكناها فليسكن أفسح أطرافها، ويجعل خواصه محيطين به من سائر جهاته، وأن يحيطها بسور مخافة اغتيال الأعداء، لأنها بجملتها دار واحدة، وأن ينقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها حتى يكتفوا ويستغنوا بهم عن الخروج إلى غيرها"[5].

---

1 محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، المرجع السابق، ص 43-44.

2 للمزيد أنظر: "الماء والاستقرار بالمغرب قبل الفترة الرومانية المرحلة المورية الأولى أنموذجا: ما بين القرن الثامن قبل الميلاد ومنتصف القرن السادس قبل الميلاد"، تأليف سمير أيت أومغار، مجلة آفاق الثقافة والتراث، سنة 2016، العدد 93

3 للمزيد أنظر: سمير أيت أومغار، "الماء والاستقرار بالمغرب قبل الفترة الرومانية المرحلة المورية الأولى أنموذجا"، مرجع سابق، ص 143

4 للمزيد حول المدينة الإسلامية، أنظر: محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة 128 (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988).

5 شهاب الدين أحمد بن محمد أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال، للمزيد أنظر: محمد عبد الستار عثمان، عالم المعرفة 128 (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988)، ص 118-122

تؤكد اللمحة التاريخية المقتضبة، أن الماء كان وما يزال أحد المحددات في خلق المجالات الاجتماعية. فخريطة الدواوير والقرى والقصور والدشور والحواضر التاريخية تمتد في على طول المجاري المائية السطحية، أو بالقرب من السواحل والشواطئ البحرية، والسكن في مدار مائي قريب.

**2- تمثل شح المياه في الذاكرة الجماعية المغربية في الماضي القريب**

خلال القرون الأخيرة الماضية، شكل شح الماء أو حتى كثرته أهم صانع للأحداث في المجتمع المغربي، نظرا لما له من أثر على ديناميات الحياة الاجتماعية والاقتصادية على المجتمع والمجال. لقد عرف المجال المغربي دورات من السنوات الرطبة والجافة بالخصوص؛ تسببت في شقوق عميقة في تدهور الحالة الاقتصادية للبلد. ودفعت الأزمة الناجمة عن الجفاف دينامية مجالية من بينها الهجرة، وأدخلت البلاد في متاهات المجاعات والأوبئة. من بين السنوات التي وصمت الذاكرة الجماعية المغربية، وما تزال تتواتر حكاياتها: موجات الجفاف التي امتدت لسنوات، بفعل قلة التساقطات المطرية، التي ترتب عنها مسغبة ذاق خلال المغاربة شظف العيش. ما تزال تلك الأيام والسنوات موشومة في مخيلة المغربي، تتوارث من جيل لجيل، ولها أسماء خاصة محفورة في الذاكرة[1]؛ كعام "يرني"، وعام "البون"، وغيرها من السنوات العجاف الدالة على قسوة وتطرف المناخ، كعام الثليجة مثلا. ما تزال تلك سنوات الجافة بحدة أو المطيرة بكثافة ترسخ في الذهنيات الشعبية. في دوحة الثقافة الشعبية تتواتر بعض الأمثال على لسان الدارج، فتقول أمثولة تصف فعل تطرف المناخ، وتلخص تداعيات الجفاف وكثرة الماء على المزروعات: "لي قتلاتو الشمس تحييه الشتا، ولي قتلاتو الشتا ما تحييهش الشمس"، بمعنى أن الغطاء النباتي الذي يذبل بفعل عدم وجود الماء، يمكن أن يحيى عندما يصل الماء إلى جذوره في وقت ما، بينما الغطاء الذي زادت المياه فيه عن الكمية المطلوبة لا يمكن بعد موته أن يورق وينمو من جديد بفعل الشمس.

تتحدث التاريخيات[2] المتخصصة في التاريخ الاجتماعي المغربي خلال القرن 18 و19 و20 عن عدة جوائح ضربت المجال المغربي، كان على رأسها موجات الجفاف التي ترتب عنها ما ترتب من مسغبة. بالعودة إلى دراسة محمد الأمين البزاز[3]؛ الذي تناول تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب، خلال الحقبة الممتدة من القرن 18م إلى القرن 19م؛ عرف المغرب خلال هذه الحقبة مجموعة من موجات الأوبئة والمجاعات والأزمات الغذائية، وهنا يمكن الإشارة إلى "عام يرني"؛ عام تواترت أخباره من جيل لجيل-لليوم، نظرا لما لحق المغاربة الذين عاشوا الحدث خلال 1847-1851م من حالة الجوع، أدى ساكنة المجتمع المغربي إلى الأكل من حشائش الأرض. وقد سمي هذا العام بعام يرني، أرخ لموجة من الجفاف تربت عنها أزمة غذائية طاحنة "تعرض المغرب خلال سنوات 1847 -1851 لأزمة غذائية طاحنة، تذكر بتلك التي عاشها عام 1825. وكانت الظروف التي أدت إلى هذه الأزمة قد استفحلت على نحو تراكمي بعد سنتين من الصعوبات في توفير الغذاء"[4]، إن تاريخ الأزمات الغذائية في المغرب-المجاعات ما قبل حقبة الهجمة الاستعمارية، كانت مرتبطة دائما بعامل المناخ، وفي هذا السياق يتحدث البزاز[5] عن عامل التساقطات المطرية، وعامل الجراد. هذا عن عام يرني، وجه الجفاف خلال أربعنيات وخمسينيات القرن 19م.

أما عن وجه الجفاف في الذاكرة خلال أربعينيات القرن 20م، فيمكن هنا الوقوف عند "عام البون"؛ العام الذي اجتمع فيه على المغاربة عدوين الاحتلال في جلباب الحماية، وتعاقب موجات الجفاف. حسب تنقيبات الباحث في التاريخ الاجتماعي

---

1 في الثقافة الشعبية المغربية يتصدر التأريخ للمواليد والمناسبات الاجتماعية بالأحداث الطبيعية والسياسية الكبرى التي تعصف بالمجال. ويحتل اليوم هذا التأريخ أهمية أكاديمية ضمن تخصص التاريخ والسوسيولوجيا والانثربولوجيا. ومن بين أهم المؤلفات في هذا الصدد يمكن الإحالة إلى الإصدار الجديد لعبد الأحد السبتي، من عام الفيل إلى عام الماريكان: الذاكرة الشفوية والتدوين التاريخي، ط1(المغرب، منشورات المتوسط-إيطاليا، 2022).

2 يقول عبد الله العروي : حينما نتكلم عن الاسطوغرافية" نتكلم عن اسطوغرافية موضوع ما، وهي مجموع ما ألف فيه، أو عن الاسطوغرافية بصفة عامة، وهي مجموع ما كتب في حقل التاريخ وعربناه بالتريخيات" عبد الله العروي، مفهوم التاريخ(ج1): الألفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1992، ص 196.

3محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب: في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، سلسلة: رسائل وأطروحات، رقم 18، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992.

4محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب: في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، المرجع السابق، ص 174.

5محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب: في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، المرجع السابق، ص 33-34.

بوجمعة رويان في أطروحته "الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945"[1]؛ الأطروحة التي أفرد فيها مبحثا مطولا تناول فيه السياقات التاريخية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمناخية لعام "البون"، أو ما يطلق عليه في التاريخيات بعام المجاعة الكبرى التي تكثفت في 1945م، حيث خيمت المجاعة على المجتمع المغربي بالتزامن مع أتون الاحتلال الفرنسي والاسباني _الاحتلال_ الذي كان من الأسباب المباشرة في جوع المغاربة[2]، فبالإضافة للاحتلال كان وضع المغرب هشا أمام موجات الجفاف والجوائح عموما.

**3- الاحتلال والفلاحة بالمغرب**

شكلت المؤهلات الطبيعية والموارد المائية التي يزخر بها المغرب محط أنظار الاحتلال، حيث معروف تاريخيا تصارع القوى الاحتلالية خلال الحقبة الكولونيالية على المجال المغربي، ومحاولة التفرد به.

انفردت كل من فرنسا واسبانيا بالمغرب، وأصبح مع بداية العقد الثاني من القرن 20م بين فكي كماشة الاحتلال وتداعيات الجفاف. وكان من أوجه الاحتلال، الاستعمار الفلاحي للمغرب. حيث قامت سلطات الاحتلال بزرع المعمرين في المغرب، وتسهيل ما أمكن لهم من حيازات لأجود الأراضي المغربية التي رأها دهاقنة الاحتلال مصدر من مصادر إمداد المتروبول الاستعماري بالمواد الفلاحية الأساسية لضمان الأمن الغذائي. وفي ذروة تثبيت سلطة الاحتلال لقواعده بالمغرب بدءا من 1912 سنة توقيع الحماية؛ والسياسة الاحتلالية تسير في الاتجاه الاستيطاني في مفاصل التراب المغربي النافع، ذلك المغرب الذي فصله الاحتلال على مقياسه، والذي من علاماته أن يتوفر على الموارد الأولية للناشط الفلاحي والصناعة التحويلية- الثروات الباطنية، أي ذلك المجال الذي يحتل موقعا يتوفر على الثروات الطبيعية من ثروات المياه، والسهول الخصبة والثروات الباطنية الطبيعية التي كانت في قلب منظومة تخطيط الاحتلال منذ بداية تقديم التقارير الاستكشافية عن "المغرب المجهول" عبر الرحل والمستكشفين الاجانب الذين صالوا وجال في بلاد الإيالة الشريفة، قصد معرفة هذا البلد عن كثب. لم تتجاوز توقيع على وثيقة الحماية سنتين، حتى بدأ الاحتلال يبحث عن موطئ قدم في البنية العقارية المغربية والثروة المائية، اللتين شغلت بال الاستعمار الفرنسي.

وعليه، تقاطرت الظهائر التي تتعلق بالملكية العقارية للأرض وبالثروة المائية. فبنسبة للاحتلال الماء والفلاحة عملة واحدة لا يمكن التخطيط للاستيطان الفلاحي بدون ماء، وعليه شرع في إخراج قوانين تضمن حماية مصالحه وتحقق أهدافه، ومن بين القوانين، هناك قانون التحفيظ العقاري، الذي صدر في ظهير 12 غشت 1913. ثم الظهير المتعلق بالأملاك الذي صدر في فاتح يوليوز 1914م. الذين جاءا في اطار تسهيل تملك الأجانب للأراضي، وعليه جاءت خطوات الاستحواذ على الأراضي الخصبة في السهول الخصبة والأحواض فلم يتورع الاحتلال عن زراعة المعمرين الأجانب في بلاد الذي استولوا على أجود الأراضي السهول الخصبة بالمغرب التي شيدوا فيها ضيعاتهم الفلاحية، تقدر بعشرة الآلاف من الهكتارات المتاخمة للأنهار والاودية.

من الجدير بالإشارة في هذا السياق، أن أقدم المقيم العام الفرنسي الأول "ليوطي"، مع بداية فرض الحماية على المغرب على إجراءات تتعلق بتدبير الماء، حيث كانت الثروة المائية تندرج ضمن ملكيات خاصة بالأحباس والأهالي، لينقلها بظهائر إلى

1 بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945، مطابع الرباط نت، المغرب، ط1، 2013.

2يرى رويان أنه حدث مجاعة هالكة، كانت من مسئولية الادارة الاستعمارية التي سخرت الفلاحة في المجال المغربي لدعم جبهات الحرب، فخلال معركة الحرب العالمية الثانية، قامت فرنسى بجعل امكانيات المغرب البشرية والاقتصادية "في خدمة المجهود الحربي الفرنسي، واتجهت فرنسى إلى اغتراف كثير من منتوجات البلاد الاساسية، وسنت نظاما جديدا لتوزيع المواد الغذائية سمي نظام التموين، وهو نظام يقضي بتقنين المواد الأساسية وحصر الكميات المزروعة منها، وتحديد الكميات المخصصة لكل شخص في الشهر، وهو ما عرف عند عامة الناس ب"البون"" للمزيد أنظر: بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945، المرجع السابق، ص 46.

البلديات والمراقبين من السلطات[1]. "وعلى هذا الأساس راحت الإدارة الفرنسية تبحث عن الضوابط والتقنيات التي تمكنها من التحكم في هذه المياه، ومراقبة صبيبها عبر السنوات وخلال الفصول"[2].

شكلت الفلاحة في تاريخ المغرب عصب الاقتصاد المغربي، "فهي التي كانت تضمن تغذية الساكنة، وتوفر ما يمكن تصديره من منتجات البادية المغربية التي ظلت إلى حدود مجيء المستعمر الفرنسي الحاضنة لحوالي 90%من ساكنة المغربية، تقوم أنشطتها أساسا على زراعة الحبوب وتربية الماشية"[3].لكن هذه الفلاحة لم تكن محصنة من الجفاف حيث كانت تعتمد على ما تجود به السماء[4]. في ضل فلاحة تقليدية تعتمد على الأمطار الموسمية وعلى الوسائل البدائية كالمحراث الخشبي ونحوه من الوسائل القديمة، بالمقارنة مع ما تمتلكه فرنسا من وسائل حديثة، تتعلق بأدوات الحرث الزرع وتقنيات الزراعية الحديثة من بدور مختارة وأسمدة ونحوها من الأمور المستحدثة في الفلاحة، التي شكل فيها نموذج الفلاحي الأمريكي-تجربة كالفورنيا- تلك التجربة التي أسقطها مخططو الاستعمار الفلاحي على المغرب إبان ثلاثنيات القرن الماضي، تلك الفترة التي ستكون محطة تحديث الفلاحة ومعه تحديث العالم القروي الذي شكل أغلبية الساحقة من سكان المغرب، حيث "تحديث العالم القروي، بالمغرب، مرتبط بالتدخل الإستعماري، وقد كان الإستعمار- كنتيجة لانتشار الرأسمالية خارج مهدها- يهدف أساسا إلى ربط المستعمرات بالسوق الرأسمالية، وإلى خلق مستوطنات. في هذا الصدد، استولت الادارة الإستعمارية، بالمغرب، على مجموعة من الأراضي الجماعية والمخزنية ووزعتها على المستعمرين في إطار الإستيطان الرسمي. وكان من شروط هذا التوزيع أن يقيم المعمر بالأرض التي سلمت له، وأن يستغلها بطريقة عصرية. وهكذا عرفت البادية المغربية "ازدواجية": فمن جهة، هناك فلاحة تقليدية عتيقة في ملكيات قزمية-في أغلب الحالات- تستغل من أجل زراعة الكفاف، ومن جهة أخرى، فلاحة عصرية ممكننة في ملكيات شاسعة تنتج من أجل السوق"[5]. هدف الاستعمار من عملية تحديث الفلاحة، لم يكن بعيدا عن أجندته الاستعمارية، بل كانت تروم ربط مصير المغرب بفرنسا، وهذا ما تحدث عنه جاك بيرك في " Vers la modernisation rurale"[6]

منذ ثلاثينيات القرن الماضي أدمجت في المغرب آليات وتقنيات إنتاجية جاءت مع عملية التحديث الفرنسي، وعليه، أصبحت هذه التقنيات الإنتاجية تشكل أهم منافس لنمط الإنتاج الفلاحي المحلي الذي بمقارنته مع الفرنسي يعتبر انتاجا تقليديا. وبالتالي، تشكلت بينة اجتماعية من صناعة الاستعمار تنافس البنية القديمة على المجال المغربي. هذه الأخيرة التي كانت مجالاتها تنظم وفق الأعراف والنظم الاجتماعية المتوارثة منذ الماضي، تخص جميع أشكال الإنتاج في تاريخ المغرب، وخصوصا عبر الاستغلال الجماعي والمبادرة الجماعية التي تقوم على العمل المشترك بين آجماعة من أجل التدبير الاجتماعي للنشاط الاقتصادي في المنطقة، والذي يكون خاضعا للظروف المناخية والتقاليد العرفية للقبائل. فكان ما كان ينظم وفق التدبير الاجتماعي: مسألة الماء، خصوصا في المجالات الواحية-الصحراوية وشبه صحراوية التي تعرف وضعية مائية هشة جراء ندرة الماء في المجال. ويقصد بالتدبير الاجتماعي والعقلاني للماء، الاهتمام بظهور وتطور أنظمة توزيع المياه، وذلك لاكتشاف أصولها الاختلالات التي تعرفها هذه الأنظمة، سواء أشكال تعبئة المياه ونقلها، وكذا المؤسسات الاجتماعية المكلفة بتوزيعها

---

1 بوعسرية بوشتى، مشكل المياه بمدينة مكناس وأحوازها في عهد الحماية من خلال الوثائق الفرنسية، المدينة المغاربية والكتابة، منشورات المجلس البلدي بالقنيطرة رقم2، أعمال الملتقى الثقافي الثالث المنظم بتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة من 5 إلى 12 أكتوبر 1990، ص 59.

2نفسه. بوعسرية بوشتى، مشكل المياه بمدينة مكناس وأحوازها في عهد الحماية من خلال الوثائق الفرنسية، المدينة المغاربية والكتابة، منشورات المجلس البلدي بالقنيطرة رقم2، أعمال الملتقى الثقافي الثالث المنظم بتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة من 5 إلى 12 أكتوبر 1990، ص 62.

3 الطيب بياض«الزراعة المغربية خلال مرحلة الحماية الفرنسية»: محمد اليزيدي وآخرون: الفلاحة في تاريخ المغرب، ط(الرباط، الجمعية المغربية للبحث التاريخي/مطابع الرباط نت، 2019)، ص187.

4 للمزيد أنظر: الطيب بياض، الفلاحة بين الجفاف والكفاف، مجلة زمان، العدد 30،

5 عبد الجليل حليم، « التحديث القروي ورأسملة الزراعة المغربية»، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 10 "تطور العلاقة بين البوادي والمدن في المغرب العربي" (1988)، ص 55.

6 J.Berque : «Vers la modernisation rurale » B.I.M N$^{0}$ spécial, Octobre1945 نقلا عن عبد الجليل حليم، « التحديث 45 القروي ورأسملة الزراعة المغربية»، المرجع السابق.

داخل المدارات السقوية"[1]. عقب التدبير الاجتماعي للماء، جاء الاحتلال ليخلخل البنيات الاجتماعية في المغرب، ويقوم بتحديثات أدخلت المجال المغربي في وضعيات ما بعد التدبير الاجتماعي التقليدي.

**4- الماء وتنمية المجال في مرحلة الاستقلال**

شكل الماء منذ فجر الاستقلال لليوم المحرك الاستراتيجي للتنمية في المجال المغربي، حيث تم دمج السياسة المائية ضمن السياسات العمومية، إذ عمل التوجه الماكرو اقتصادي للمغرب منذ المخططات الاقتصادية الأولى إلى التوجه نحو القطاع الفلاحي، فانخرط المغرب في تأمين حاجياته من الماء من خلال نهج سياسة بناء السدود، التي أدت إلى انجاز عشرات السدود الكبرى، وجعلت من ضمن استراتيجية الدولة تحقيق الأمن المائي ضد موجات الجفاف. واعتبرت الثروة المائية في المغرب من ركائز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ونظرا لارتفاع الطلب على الماء، وصعوبة تحقيق الاكتفاء المائي، تم اعتماد سياسة السدود الاستراتيجية التي تحكمت في الفيضانات الموسمية، والتي ضمنت تحقيق عدة أهداف تنموية، كما ساهمت في توفير مياه الشرب، فاستطاع المغرب، بذلك، أن يضاعف من استغلال مياه الأنهار والأودية، وحافظ في الوقت ذاته على استدامة جريانها. وبالتزامن مع أوراش سياسة بناء السدود منذ ستينيات القرن الماضي، فطن المشرع المغربي إلى سن مدونة الماء، تنص على التعامل بشكل تدبيري عقلاني مع الثروة المائية، ويراعي في ذلك مبدأي الاستدامة والحكامة. فحسب المادة 3 من قانون الماء، يعرف التدبير العقلاني للماء على أنه: "التدبير المتمثل في اتخاذ قرارات مدروسة وحكيمة في مجال التهيئة والاستعمال الأمثلين للماء والمحافظة عليه"[2]، وفي نفس المادة، يقصد بالتدبير المستدام للماء على أنه "التدبير الذي يمكن من تلبية حاجيات الحاضر دون الإخلال أو المس بحق الأجيال القادمة وتلبية حاجياتهم من الماء"[3].

يحتل الماء في السياسات العمومية الترابية والتخطيط الاقتصادي والاجتماعي مكانة متقدمة، فالثروة المائية تبقى من بين المحركات الرئيسية لعجلة التنمية بالمغرب، لكن هذه الثروة تتأثر بمشكل مجالي بنيوي بالمغرب وهو موجات الجفاف وتركز كمية التساقطات المهمة في القسم الشمالي دون القسم الجنوبي ما يطلب مواصلة بناء استراتيجيات تلائم طبيعة المرحلة المناخية التي تمر على المجال المغربي. ومراعاة التحولات السوسيواقتصادية والتنموية للبلاد.

**ثالثا: إجراءات وتدابير تنمية الثروة المائية بالمغرب**

**1- لمحة عن شبكة السدود بالمغرب**

يمتاز المغرب بموقع جغرافي استراتيجي بالشمال الغربي من القارة الأفريقية، ويطل على القارة الأوربية من جهة الشمال، حيث يعرف مناخا متنوعا، نظرا لوقوعه بين مجالين طبيعين، المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، ويشكلان شريطا يبلغ طوله 1700 كلم، وتتخلله سلسلتين جبليتين: جبال الريف وجبال الأطلس، كما تتعرض مناطقه الداخلية والجنوبية والشرقية لمناخ حار وجاف. هذا التنوع المناخي والتضاريسي انعكس مباشرة على حجم الثروة المائية بالمغرب، التي تتكون من شبكة هيدروليكية مهمة من الأودية والأنهار والمجاري والمسطحات المائية، إلا أن هذا البلد قد سجل في العقود الأخيرة خصاصا في الماء، فأصبح في وضعية جد مقلقة، دقت ناقوسها العديد من الدراسات والأبحاث الدولية والوطنية، والتي تتضمن تحديات مقبلة على تلبية الطلب المتزايد للساكنة والقطاع الفلاحي والصناعي للماء.

من أهم ميزات المغرب أن منابعه ومجاريه المائية الرئيسية ومصبها هي ضمن حدوده الترابية، هذه المميزات الطبيعية والمجالية من الأنهار والأودية والموقع المتميز، تشكل ركائز التنمية بالمغرب.

يعد كل من نهر درعة (1200كلم)؛ ونهر أم الربيع (555 كلم)، ونهر ملوية (521كلم)، ونهر سبو (495 كلم) من بين أهم وأطول الأنهار التي شملتها سياسات عمومية ترابية، يطلق عليها سياسة السدود؛ التي انتهجها المغرب، حيث ارتفع عددها إلى 148

---

1امحمد مهدان، الماء والتنظيم الأجتماعي: دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الاجتماعي للسقي بواحة تودغى، طباعة ونشر سوس، الناشر جامعة ابن زهر، أكادير- المغرب(2012)، ص 15.

2 قانون رقم36.15 المتعلق بالماء، للمزيد أنظر: الجريدة الرسمية، عدد 6494، 21 ذو القعدة1437 (25 أغسطس2016)، 6306

3 القانون رقم 36.15 المتعلق بالماء.

ISSN 2569-734X

سدا منتشرة على جميع تراب المملكة، بحقينة تفوق 18.6 مليار متر مكعب[1]، أما بخصوص الأودية والروافد الصغيرة، فهناك مجموعة منها تلعب أدوارا حيوية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في محيطها المحلي والجهوي، وتساهم في المحافظة على التوازنات الإيكولوجية، كواد ورغة الذي بني عليه سد يعد من أكبر السدود في إفريقيا.

نهج المغرب منذ الحقبة الكولونيالية سياسة بناء السدود، ولازالت مستمرة حتى اليوم، حيث أنشئت بعض السدود خلال فترة الحماية، من أهمها: سد سيدي معاشو 1929، وسد لالة تكركوست 1935، وسد إنفوت سنة 1944، وقد تعززت هذه السياسة مع فجر الاستقلال، حيث ارتفع عددها من 16 سدا سنة 1967 ليصل سنة 2009 إلى 130 بطاقة استيعابية تفوق 17.5 مليار متر مكعب[2]، كما تم تعزيز هذه المنشآت بالسدود التلية من أجل تحقيق أهداف تنموية استراتيجية مجالية، وتوفير الأمن المائي للشرب، وتوسيع شبكة السقي، وإمداد الساكنة بالماء، من خلال الاستغلال العقلاني والرشيد لمياه الأنهار والأودية، خصوصا تلك التي تعرف وضعيات استثنائية في جريانها، والحد من إهدار المياه الصالحة للاستعمال الأدمي والفلاحي في البحر، وتشييد منشآت مائية متطورة، واستصلاح الممرات التي تقي من الفيضانات، وتوجيه هذه الأخيرة نحو مجاري الأنهار والأودية.

1 أنظر إدريس الحافيظ، "الموارد المائية بالمغرب، الإمكانات والتدبير والتحديات"، الطبعة الثانية، 2021.
2 أحمد هوزالي، مرجع سابق، ص 61.

خريطة الشبكة المائية والسدود المشيدة على المجاري المائية بالمغرب

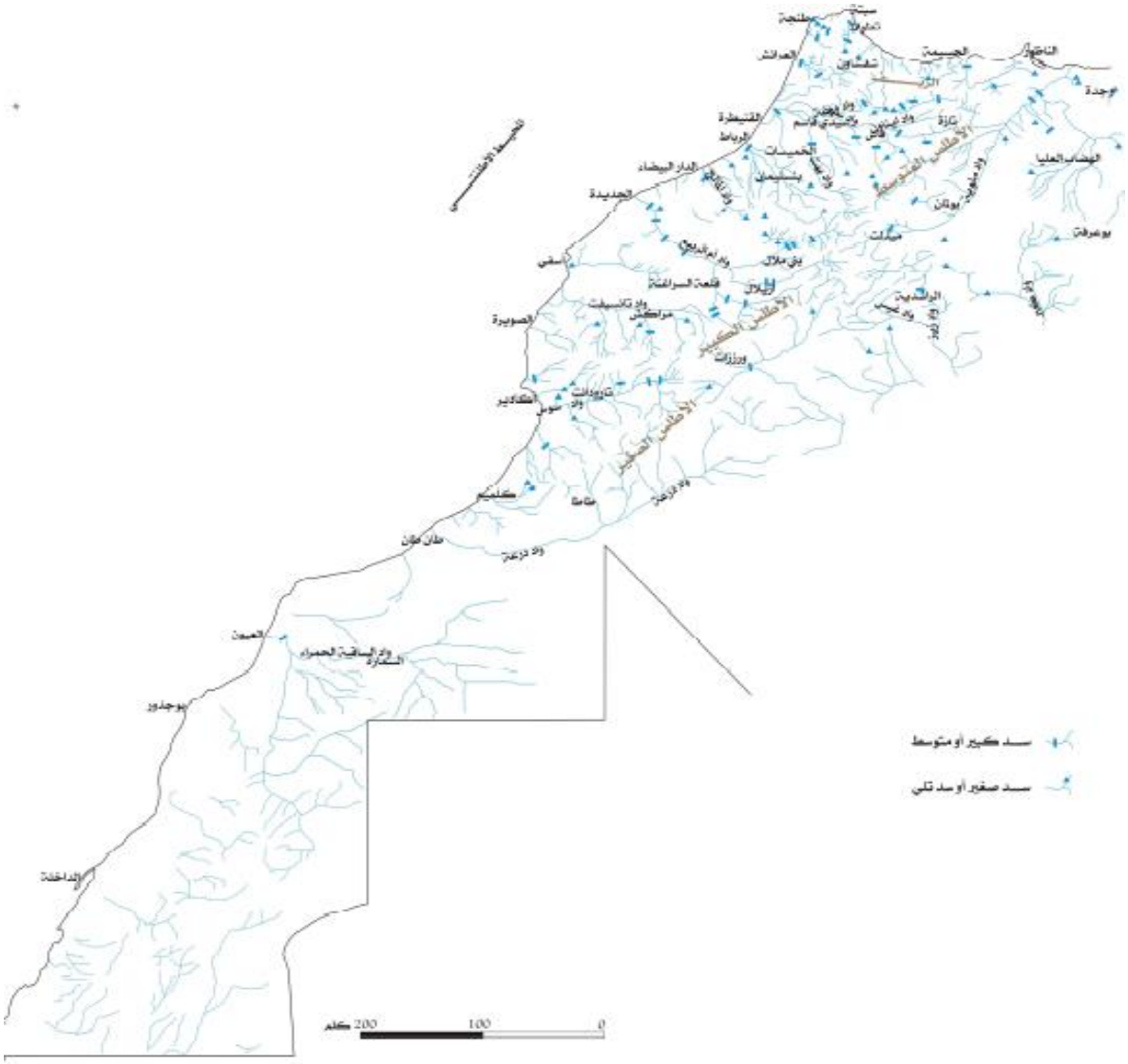


المصدر: إدريس الحافيظ، الموارد المائية بالمغرب، الإمكانات والتدبير والتحديات، الطبعة الثانية، 2021،

**2- حجم الثروة المائية**

أصل الثروة المائية بالمغرب يعود بالأساس إلى المياه السطحية[1]، يعتمد هذا البلد على مياه التساقطات المطرية والثلوج التي تبقى خاضعة لتقلبات المناخ، فالتساقطات الموسمية تتسم بعدم الانتظام وهذا مشكل بنيوي نظرا لعامل المناخ المتقلب بين المتوسطي وشبه الجاف الذي يسود تراب المغرب، وارتباطا بهذه العوامل الطبيعية، تبقى الفلاحة والتنمية خاضعة لمحددات المناخ ومياه الأمطار الموسمية.

فحسب الدراسات الجغرافية، يتلقى المغرب سنويا أكثر من 139 مليار متر مكعب من التساقطات المطرية، إلا أن ما يناهز 117 مليار متر مكعب يتبخر، ويبقى فقط 22 مليار متر مكعب، تتوزع بين مياه سطحية يبلغ حجمها 18 مليار متر مكعب، ومياه جوفية لا يتعدى حجمها 4 مليارات متر مكعب[2]، كما أن هذه التساقطات المطرية المهمة تتركز في القسم الشمالي، حيث يستحوذ حوض سبو على أكبر نسبة من المياه السطحية: حوالي 31%. وتتأثر بعدة عوامل، منها: عدم انتظام التساقطات، وتوالي سنوات الجفاف، إلى جانب الاستغلال المفرط للفرشات المائية في الإنتاج الزراعي، والتغايرية المناخية.

1 أحمد هوزالي، "الماء في القديم، معلمة المغرب" ج 20، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطابع سلا- المغرب 2004، ص 6926.
2 إدريس الحافيظ، "الموارد المائية بالمغرب، الإمكانات والتدبير والتحديات"، الطبعة الثانية، 2021، ص 62

بالرغم من ذلك، فالشبكة المائية المغربية تتميز بوجود أنهار ووديان دائمة الجريان، وأخرى موسمية، يغذي أغلبها خزان سلسلة جبال الأطلس المتوسط، إلا أن حالات الجفاف المتكرر هذه، دفعت المغرب إلى التفكير مبكرا في أهمية تدبير الثروة المائية وضرورتها القصوى في تحقيق السلم والأمن الاجتماعي والتنمية، باعتبار الماء محورا استراتيجيا حاسما في الاستقرار البشري، وعنصرا من العناصر المتحكمة في عمليات التنمية الاقتصادية والتجارية، وهو المتغير الأساس في الفلاحة، والزراعات بجميع أنواعها.

تشكل المياه الجوفية تقريبا 20% من الموارد المائية بالمغرب، فمن بين 103 فرشة التي أحصتها الوزارة المكلفة بالماء، توجد 21 فرشة عميقة و82 فرشة سطحية، وتغطي أهم الأنظمة المائية الجوفية مساحة تقدر ب 80.000 كلم²، أي حوالي 10% من مجموع التراب الوطني[1]. ويبلغ حاليا مخزون المياه الجوفية القابلة للاستغلال 4.2 مليار متر مكعب، كما أن هذه الفرشات السطحية والباطنية ذات جودة عالية من الماء، وهي تتباين من حيث المساحة والسمك والعمق، وتلعب دورا مهما في توفير مياه الاستعمال المنزلي والشرب، إلى جانب تلبية حاجيات القطاع الفلاحي من الري، وتتركز مجملها على الواجهة المتوسطية. ثم إن 48 فرشة مائية سطحية يتراوح عمقها بين 10 و 100 متر، و32 فرشة باطنية يمتد عمقها من 100 إلى 1500 مترا[2]، إما ذات مردودية كبيرة كفرشة سايس والغرب وتادلة، وإما ذات مردودية ضعيفة لا تلبي الطلب المتزايد على الماء، كتلك المتواجدة بجنوب المغرب.

خريطة انتشار الفرشات المائية بالمغرب

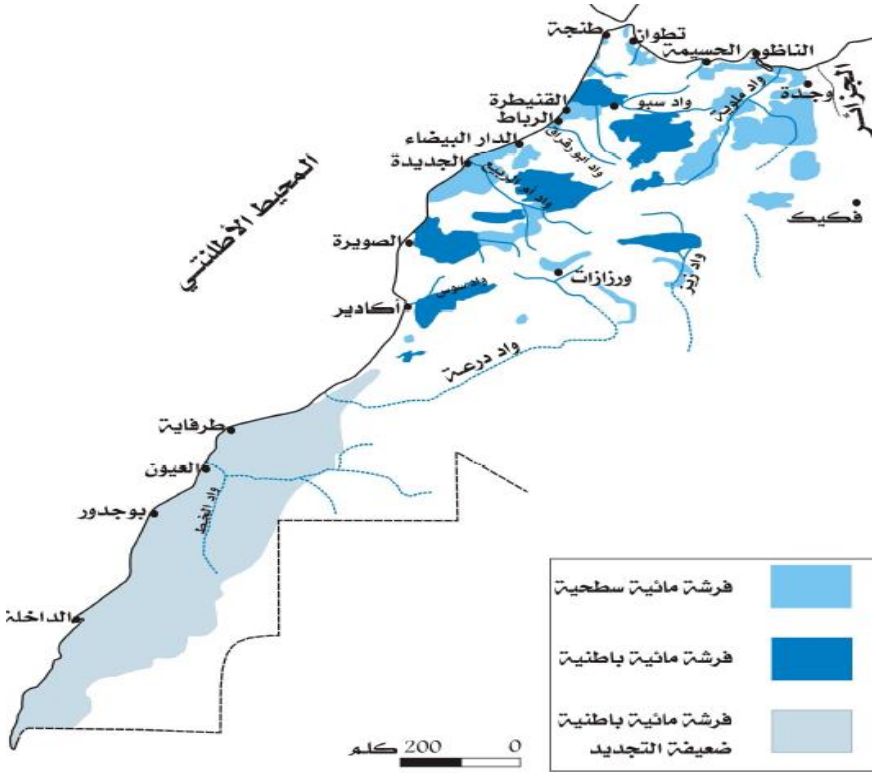


المصدر: إدريس الحافيظ، الموارد المائية بالمغرب، الإمكانات والتدبير والتحديات، الطبعة الثانية، 2021،

### 3- أزمة الماء الراهنة

يؤكد الخبراء والباحثون بقطاع الماء على أن الأمن الغذائي في المغرب قد أصبح مهددا بدرجة عالية، ويعزى ذلك إلى سببين رئيسيين اثنين: الجفاف الذي يضرب البلاد بين الفينة والأخرى، ثم المشاكل البنيوية التي يعاني منها قطاع تدبير الماء. ومن ملامح أزمة الماء في المغرب، هناك، تزايد العجز المائي، حيث لم يتجاوز المعدل السنوي لكمية التساقطات في بعض المواسم

1 الموقع الرسمي لوزارة التجهيز والماء بالمغرب، اطلع عليه بتاريخ 26 أبريل 2023.
2 إدريس الحافيظ، مرجع سابق، ص 84.

200 ملم، في الوقت الذي ارتفع فيه الطلب على الماء، فلازالت بعض الجماعات يعاني سكانها من صعوبة الولوج إلى الماء، كما أن عدم التناسب بين الثروة المائية والديناميات الاقتصادية والعمرانية قد ضاعف من أزمة الماء. كما كشف التقرير الأخير للمجلس الوطني لحقوق الإنسان، الذي ينسجم مع تصريحات الوزارة الوصية، التي تؤكد أن سنة 2022 تميزت بجفاف حاد، ساهم بشكل كبير في استفحال ظاهرة الإجهاد المائي، حيث لم يشهد المغرب إجهادا مماثلا له منذ أكثر من 40 عاما، وسجل انخفاض شديد بلغت نسبته 44% مقارنة بموسم 2021. فسنة 2023 لا تختلف كثيرا عن السنة التي قبلها، حيث امتدت تداعيات السنوات الماضية لتلقي بظلالها على السنة الحالية، التي عرفت إجهادا غير مسبوق، بعدما تراجعت نسبة ملئ السدود إلى أدنى مستوياتها، إذ لم تتجاوز 32% من حقينتها.

هذه الوضعية المتأزمة، أصبح معها الأمن الغذائي والمائي المغربي محور اهتمام الفاعلين الترابيين، خصوصا بعد المنعطف الصعب الذي آل إليه المشهد الفلاحي، وحالة سوق المنتوجات الفلاحية الأساسية التي أصبحت لا تلبي حاجيات المائدة المغربية (القمح الطري، الخضر، اللحوم، الزيوت، الفواكه...)، لتتعمق الأزمة الغذائية، اليوم، والمتجلية في ارتفاع الأسعار، نتيجة ارتفاع كلفة الإنتاج الفلاحي لبعض المنتوجات الأساسية، بفعل الخصاص المائي الذي أزم وضع الإنتاج الفلاحي في المغرب، وهو ما زاد من تدهور حصص الفرد من الماء والغذاء. فالتأثير السلبي لشح المياه بالمغرب انعكس على المشهد التنموي العام[1]، حيث دخلت الفلاحة في حالة من الركود، بالرغم من المجهودات المبذولة من طرف الحكومة لمساعدة الفلاحين على الخروج من الأزمة، وهنا تبرز أهمية التوازنات التي تخلقها الثروة المائية، فهي المحرك الحيوي للاقتصاد المغربي، الذي يعتمد بالأساس على القطاع الفلاحي، الذي هو في طور التحديث، والذي لم يستطع فك الارتباط برواسب الاستعمار الفرنسي، وارتهانه بحجم التساقطات المطرية.

فالقطاع الفلاحي يعد ركيزة الاقتصاد المغربي، حيث يساهم بما نسبته % 14، ولا يستغل سوى 9 مليون هكتار من مجموعة مساحة البلاد التي تقدر ب 71 مليون هكتار، أي أن المساحة المزروعة لا تتعدى ما نسبته 26%[2]. تحتل زراعة الحبوب الحصة المهمة، حيث تقدر ب 55% من المساحة المزروعة، وتأتي الحمضيات وأشجار الورديات المثمرة والزيتون لتتقاسم أقل من نصف المساحة الباقية. ومن المفارقات في الإنتاج الزراعي المغربي، أنه يحقق الاكتفاء الذاتي في الإنتاج الزراعي المتعلق بالخضر والفواكه، ويعتبر المغرب من بين المصدرين للعديد من المنتوجات الزراعية، كالخضر والفواكه، بينما يعرف خصاصا حادا في إنتاج الحبوب، حيث يلجأ المغرب إلى استيرادها من الأسواق الامريكية والأوروبية، وتقدر حاجة البلاد من الحبوب سنويا حوالي عشرة ملايين طن لتأمين حاجياته، مما يكلف الخزينة العامة حوالي 2.4 مليار دولار، أي ما يعادل 25 مليار درهم كلفة القمح اللين فقط في سنة 2022[3].

فمشكلة الأمن الغذائي المغربي، تطرح اليوم بالرغم من الأوراش والمشاريع الكبرى المعتمدة في السياسات العمومية الترابية. مع مطلع الألفية الجديدة، قام المغرب بتنزيل بنود مخطط المغرب الأخضر (2008 إلى 2020) الذي رفع من سقف أهداف التنمية الاقتصادية من خلال تطوير سلاسل الإنتاج الفلاحي، مع الحفاظ على الموارد الطبيعية؛ واليوم، وعلى ضوء المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المتسارعة، وارتفاع مؤشرات الفقر، وانخفاض القدرة الشرائية، ترددت العديد من الأسئلة حول نجاعة هذا المخطط، والأهداف التي حققها، خصوصا وأنه قد رصدت له موارد مادية مهمة من ميزانية الدولة، في الوقت الذي شهدت فيه البلاد استنزافا متواصلا للثروات المائية، مع انخفاض شديد في معدلات التساقطات المطرية.

على مستوى الواقع، تشير الحقائق الملموسة كما نشرتها المندوبية السامية للتخطيط وذكرها المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي في تقريره السنوي 2021 تجاذب الأرقام والإحصاءات التي تعرضها الوزارة الوصية على القطاع الفلاحي،[4] وبالرغم من ذلك، فإن مخطط المغرب الأخضر قد حقق للبلاد تحسنا ملحوظا في مؤشرات التنمية الفلاحية والاقتصادية،

[1] Eric Roose, Mohamed Sabir et Abdellah Laouina, «Gestion durable de l'eau et du sol au Maroc », Marseille, 2010, IRD Éditions, P 43.

[2] «Le Plan Maroc Vert : Bilan et impacts 2008-2018», Ministère de l'Agriculture, de la pêche Maritime, du Développement Rural et des Eaux et Forêts

[3] Pour plus de détails, voir : «Le Plan Maroc Vert : Bilan et impacts 2008-2018.

[4] Voir: « Rapport Annuel 2021 », Conseil Economique, Social et Environnement du Maroc.

فالقطاع الفلاحي استطاع مضاعفة الصادرات إلى ثلاث مرات، مما رفع من عدد ساعات العمل وخلق فرص شغل جديدة بالوسط القروي، وكان لهذا انعكاس مباشر على التنمية الفلاحية والتنمية القروية.

وفور الانتهاء العمل بمخطط المغرب الأخضر، عملت الوزارة الوصية على تنزيل "مخطط الجيل الأخضر"، الذي سيمتد بدوره على 10 سنوات، تبتدئ من سنة 2021 وتنتهي في 2030. والذي جعل من بين أهدافه الكبرى: ترشيد السياسية الزراعية، حيث سيدعم هذا المخطط زراعة الأشجار التي لا تتطلب كمية مهمة من الماء، من قبيل زراعة أشجار الزيتون والخروب واللوز والصبار.

**4- استراتيجية المغرب في موجهة شح المياه**

ينص الفصل 31 من دستور 2011 على الحق في الماء، حيث جاء فيه: "تعمل الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير أسباب استفادة المواطنات والمواطنين على قدم المساواة من الحق في الحصول على الماء والعيش في بيئة سليمة"، فالدولة بجميع مؤسساتها وهياكلها مدعوة إلى البحث عن الماء وتوفيره لجميع السكان.

وفي نفس السياق، دعا ملك البلاد في خطاب العرش لسنة 2008 إلى اعتماد استراتيجية مضبوطة وفعالة، قادرة على مواجهة التحدي الذي يفرضه تزايد الطلب على الماء، وتعاقب فترات الجفاف، وتقلص مخزون المياه الجوفية، والتبذير اللا مسؤول لهذه الثروة الحيوية، اعتبارا للدور الحيوي والهام للماء في تطور الحياة البشرية والاقتصادية، وفي المحافظة على التوازنات الإيكولوجية للمجال الطبيعي، لذلك، فالدعوة كانت صريحة إلى تفعيل مبدأ الحكامة الجيدة في تدبير واستغلال الموارد المائية. وتماشيا مع منطوق الدستور المغربي 2011 والخطاب الملكي لسنة 2008، والنصوص التنظيمية والمواد القانونية.

بناء عليه، حرصت الدولة على تعميم استفادة جميع المواطنات والمواطنين بالعالم الحضري كما القروي من الولوج إلى الماء الصالح للشرب، خصوصا بعد تسجيل انخفاض هام في حصة الفرد الواحد من الماء، والتي انتقلت من 2560 متر مكعب للفرد في السنة سنة 1960، إلى 731 متر مكعب سنة 2005، لتصل سنة 2020 إلى 520 متر مكعب للفرد، ويعزى هذا الانخفاض الحاد والمستمر إلى انخفاض موازي له في الواردات المائية السطحية في العقود الثلاثة الأخيرة، حيث انتقلت خلال الفترة الممتدة بين 1945 و2000 من 35% إلى 20%[1].

فمن أجل تحقيق تنمية مستدامة بالمغرب، قوامها مواجهة شح الماء، اعتمدت السياسات العمومية الترابية على حزمة من التدابير، التي من شأنها تعزيز حكامة استغلال الماء، فجاءت مقاربة "التدبير المندمج والتشاركي للماء"، ومقاربة "التدبير التشاركي"، ويقصد بالأولى: "التدبير طبقا لمقاربة نسقية شاملة، وما بين قطاعية وأفقية، تراعي بشكل مندمج الجوانب البيئية والاجتماعية والاقتصادية والتقنية أثناء إعداد وتنفيذ السياسات والاستراتيجيات والمخططات والبرامج في مجال الماء"[2]. أما الثانية فتعني: " التدبير المتمثل في اتخاذ القرارات في مجال التهيئة واستعمال الماء والمحافظة عليه بتشاور وتشارك مع المتدخلين ولاسيما مستعملي الماء"[3]. وللتخفيف من حدة الطلب على الماء، استعان المغرب بسياسة تصفية المياه العادمة، حيث أنشأ أكثر من 80 محطة للمعالجة، وذلك لاستعمال مياهها في الري بالقطاع الفلاحي، وتخفيف الضغط على الفرشات المائية، وتجنب الاستغلال المفرط للمياه الجوفية في القطاع الفلاحي.

باختصار، من أجل تدبير أمثل للموارد المائية، عمل المغرب على تأسيس المجلس الأعلى للماء سنة 1981، وسنتين بعد ذلك (1983) تبنى المغرب سياسة الأحواض المائية، ثم تأسست المديرية العامة للمياه سنة 1983 وذلك لضمان تنزيل مبدأ التخطيط والتدبير على مستوى الأحواض، أما بخصوص وجود قانون منظم للماء فيؤخذ على المغرب تأخره في إصدار هذا القانون، حيث انتظر سنة 1997 ليخرج النص المتعلق بالماء رقم 10-95 إلى الوجود، وفي سنة 1997 تأسست أول وكالة لحوض مائي، لتتوالى بعد ذلك، بين 2000 و 2008 تأسيس 8 وكالات أحواض مائية أخرى، وقد تكللت هذه السياسة بإعداد

[1] « Rapport Annuel 2021 », Conseil Economique, Social et Environnement du Maroc.

2 إدريس الحافيظ، مرجع سابق، ص 84

3 نفسه.

وتقديم سنة 2009 الاستراتيجية الوطنية للماء، واستهدفت معالجة الاختلالات التي يعرفها تدبير القطاع المائي، انطلاقا من تعزيز المكتسبات المائية، وتثمين المياه العذبة والمياه الجوفية، وحمايتها من التلوث، وابتكار أساليب جديدة لتوفير الماء، والتحسيس والتوعية بأهمية تغيير سلوك ونمط الاستهلاك المائي، في أفق الموازنة بين العرض والطلب.

من جانب آخر عملت الاستراتيجية الوطنية للماء على حماية الموارد المائية، من خلال المحافظة على المجال الطبيعي، والتقليل من تأثير المخاطر والتهديدات المرتبطة بالماء، ومتابعة تحديث وإصلاح الإطار التشريعي والقانوني المهيكل للقطاع، والتأقلم المحكم والسريع مع التغيرات المناخية، والاقتصاد في مياه الري، والانتقال من طرق السقي الانجدابي إلى أساليب السقي الموضعي، واعتماد سياسة تجميع مياه الأمطار، وإنشاء سدود أخرى ذات طاقات استيعابية كبيرة، ثم تحويل مياه الأحواض الشمالية الغنية إلى أحواض الوسط، التي تعرف خصاصا مهولا، واعتماد التغذية الاصطناعية للفرشات المائية، والمحافظة على الأحواض السفلى والمناطق الرطبة والواحات، ومحاربة ظاهرة التصحر وزحف الرمال، ومواجهة تداعيات الجفاف من خلال تنويع وسائل التزود بالماء، للتقليل من تأثير الأخطار المرتبطة بالتغايرية المناخية[1].

كما يهدف المخطط الوطني للماء إلى تحويل المياه من أحواض الشمال الغربي إلى أحواض الوسط الغربي بما يناهز 800 مليون متر مكعب سنويا، ويرتقب إنجاز هذا المشروع وفق ثلاث مراحل زمنية، بكلفة إجمالية تصل إلى 30 مليار درهم، خصوصا بعد تأسيس المجلس الأعلى للماء الهيئة المقررة للسياسات المائية، الذي عهدت له مهمة السهر على ترشيد استغلال الموارد المائية، ومتابعة تنزيل الحكامة المائية.

**خاتمة**

يشهد المغرب حاليا حاليا أزمة مياه، تعد واحدة من التحديات التنموية التي تواجهها البلاد، و هناك عدة عوامل تتسبب فيها، منها التغيرات المناخية، والنمو السكاني، وتدهور جودة المياه، ونقص الموارد المائية، وزيادة درجات الحرارة، ونقص كميات الأمطار، مما يؤدي إلى جفاف المناطق الرطبة، وتهديد الموارد المائية الطبيعية، ناهيك عن ضعف التخطيط والإدارة الفعالة، وعدم تفاعل المواطنين مع المبادرات والتدخلات الحكومية، إلى جانب عدم تقدير جسامة وخطورة الوضع المائي للمغرب.

في ظل هذا الوضع، يتعين على الفاعلين الترابيين اتخاذ تدابير عاجلة عملية وفعالة للتصدي للأزمة وضمان استدامة الموارد المائية في المستقبل. هذا في الوقت الذي يعاني فيه المغرب من زيادة الطلب على المياه نتيجة شروط وعوامل التنمية الاقتصادية والصناعية. لذلك، يجب التركيز على زيادة كفاءة استخدام المياه في قطاع الزراعة، ويمكن تحقيق ذلك من خلال العمل على العنصر البشري السكاني لتعزيز الوعي بأهمية توفير المياه، وترشيد استعمالها من طرف الفلاحين، وتشديد التشريعات البيئية.

[1] Eric Roose, Mohamed Sabir et Abdellah Laouina, «Gestion durable de l'eau et du sol au Maroc », Marseille, 2010, IRD Éditions, P 42

## بيبليوغرافيا

**مصادرومراجع باللغة العربية:**

- ايف لاكوست، "الثروة المائية في العالم"، ترجمة زينب منعم، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، السعودية، 2015.
- أيت أومغار سمير، "الماء والاستقرار بالمغرب قبل الفترة الرومانية المرحلة المورية الأولى أنموذجا: ما بين القرن الثامن قبل الميلاد ومنتصف القرن السادس قبل الميلاد"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، 2016، العدد 93
- أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد ، "سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال"،
- البزاز محمد الأمين، "تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب: في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، سلسلة: رسائل وأطروحات، رقم 18، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992.
- العروي عبد الله، "مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب" الجزء 1، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط 2، 1992.
- العيسوي ابراهيم "التنمية في عالم متغير: دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها"، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشروق،2001.
- الحافيظ إدريس، "الموارد المائية بالمغرب، الإمكانات والتدبير والتحديات"، الطبعة الثانية، 2021.
- السبتي عبد الأحد، "من عام الفيل إلى عام الماريكان: الذاكرة الشفوية والتدوين التاريخي"، ط 1، المغرب، منشورات المتوسط - إيطاليا، 2022.
- اليزيدي محمد وآخرون، "الفلاحة في تاريخ المغرب"، الرباط، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطابع الرباط نت، 2019.
- بوعسرية بوشتى، "مشكل المياه بمدينة مكناس وأحوازها في عهد الحماية من خلال الوثائق الفرنسية، المدينة المغاربية والكتابة"، منشورات المجلس البلدي بالقنيطرة رقم2، أعمال الملتقى الثقافي الثالث المنظم بتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة من 5 إلى 12 أكتوبر 1990.
- بياض الطيب، "الفلاحة بين الجفاف والكفاف"، مجلة زمان، العدد 30.
- بياض الطيب، "الزراعة المغربية خلال مرحلة الحماية الفرنسية"،
- حليم عبد الجليل، "التحديث القروي ورأسملة الزراعة المغربية"، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 10، "تطور العلاقة بين البوادي والمدن في المغرب العربي"، 1988، ص 55.
- لوبيك شوفو، "المخاطر الطبيعية في العالم"، ترجمة مارك عبود، كتاب العربية 146، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط1 2015.
- مخيمر سامر وحجازي خالد ، "أزمة المياه في المنطقة العربية : الحقائق والبدائل الممكنة"، عالم المعرفة، العدد 209، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت 1996.
- محسن مصطفى، "رهانات تنموية: رؤية سوسيو تربوية وثقافية نقدية"، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، المغرب 2014.
- محمد عبد الستار عثمان، "عالم المعرفة"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 128، الكويت، 1988
- مهدان امحمد، "السوسيولوجيا القروية بالمغرب: مقاربات وقضايا"، مطبعة ونشر سوس، المغرب، 2017، ط 2
- مهدان امحمد، "الماء والتنظيم الاجتماعي: دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الاجتماعي للسقي بواحة تودغى"، طباعة ونشر سوس، جامعة ابن زهر، أكادير- المغرب 2012.
- دفيد هاريسون، "علم اجتماع التنمية والتحديث"، ترجمة محمد عيسى برهوم، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن 1998، ط 1.
- سندرا بوستيل، "مواجهة مشكلة الخصاص في الماء"، تعريب محمد شينان، مجلة المنهال، العدد 46، المغرب 1995.
- رويان بوجمعة ، "الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945"، مطابع الرباط نت، المغرب، ط 1 ، 2013.
- زيجمونت باومن وكارلو بوردوني، "حالة الأزمة"، ترجمة حجاج أبو جبر، الطبعة 1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2018.
- هوزالي أحمد، "الماء في القديم، معلمة المغرب" ج 20، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطابع سلا، المغرب، 2004.
- وهبية عبد الفتاح محمد ، "الجغرافيا البشرية"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1980.

**تقارير**

- بيان صحفي في موقع اليونسكو، تقرير اليونسكو بالنيابة عن لجنة الأمم المتحدة المعنية بالموارد المائية، الصادر يوم 21 مارس، بمناسبة انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة الدولي للمياه لعام 2023 في نيويورك،
- "تقييم تأثير التغيرات في المياه المتاحة على انتاجية المحاصيل الزراعية"، تقرير دراسة الحالة في المغرب، الأمم المتحدة، 2019.
- "حروب المياه، النزاع على مصادر المياه العذبة"، تقرير وثائقي لقناة دي دبليو DW الألمانية في ثلاثة أجزاء.
- " ندرة المياه قد تشعل حروبا عالمية عنوانها: الماء العذب"، قناة الجزيرة.

**قوانين**

- الدستور المغربي لسنة 2011،

- "الحق في الماء"، صحيفة الوقائع رقم 35، الأمم المتحدة.
- قانون رقم 36.15 المتعلق بالماء، الجريدة الرسمية، عدد 6494، 21 ذو القعدة1437 (25 غشت 2016)، 6306

**مراجع باللغة الفرنسية :**

- Eric Roose, Mohamed Sabir et Abdellah Laouina, «Gestion durable de l'eau et du sol au Maroc », Marseille, 2010, IRD Éditions.
- Jacque Berque : «Vers la modernisation rurale » B.I.M N0 spécial, Octobre1945.
- «Le Plan Maroc Vert : Bilan et impacts 2008-2018», Ministère de l'Agriculture, de la pêche Maritime, du Développement Rural et des Eaux et Forêts
- « Rapport Annuel 2021 », Conseil Economique, Social et Environnement du Maroc.

**مو اقع الكترونية :**

/https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/sustainable-development-goals
https://www.aljazeera.net/ebusiness/22/3/2021 /
https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/numbers-facts-about-water-crisis-arab-world
https://www.un.org/ar/global-issues/water

ISSN 2569-734X

# مآلات خطرة:

# و اقع أمن الحدود والجريمة المنظمة في مالي منذ عام 2012

# Hazardous Consequences:

# Reality of Border Security and Organized Crime in Mali since 2012

نهاد محمود أحمد[1] - جمهورية مصر العربية- باحثة دكتوراه بالشئون الأفريقية- جامعة القاهرة

nihad_mahmoud2015@feps.edu.eg

**ملخص تنفيذي:**

تسعى هذه الدراسة إلى بيان المآلات الخطرة التي يمكن أن تنطوي عليها هشاشة إدارة الحدود في دولة مالي الواقعة غرب القارة الأفريقية، بما قد يصاحب ذلك من تصاعد معدلات الجريمة المنظمة، وبخاصة في الأقاليم الشمالية منها والتي تشهد عدم إحكام لسيطرة الدولة المالية في مقابل سيطرة قبائل الطوارق والتنظيمات الجهادية المتطرفة هناك. وتحاول الدراسة خلال ذلك استكشاف أبرز التحديات التي تواجه الدولة للسيطرة على الحدود ومجابهة الجريمة المنظمة عبر جملة من المقاربات المتبعة محلية كانت أو قارية أو دولية. وقد دارت مشكلة البحث الرئيسية حول تساؤل رئيس تمثل في: إلى أي مدى يمكن أن تؤثر إدارة الحدود على الجريمة المنظمة داخل دولة مالي ؟ وقد توصلت الدراسة إلى أن لهشاشة إدارة الحدود في مالي لها تأثير بالغ المدى والنطاق على الدولة والسكان المحليين بل والبلدان المجاورة كبوركينا فاسو والنيجر، خاصة مع إخفاق الدولة في السيطرة على تصاعد أنشطة الجريمة المنظمة والذي ارتبط بعدة متغيرات كان أبرزها الخلل الناشئ عن إدارة الحدود بالمناطق الشمالية، ما أدى في الأخير إلى تفاقم حالتي الجريمة المنظمة وأمن الحدود داخل وخارج حدود مالي.

**كلمات مفتاحية:** مالي- الجريمة المنظمة- إدارة الحدود- تحديات متصاعدة- مقاربات المواجهة.

**Executive summary:**

This study seeks to indicate the dangerous consequences that could be involved in the fragility of border management, with the accompanying escalation of organized crime rates within the Republic of Mali, located in the west of the African continent, especially in the northern regions of it, which witness a lack of tight control of the Malian state in exchange for the control of the Tuareg tribes and extremist jihadism. During this, the study attempts to explore the most prominent challenges facing the state in controlling borders and confronting organized crime, and the approaches adopted, whether local, continental, or international, in this regard. The main research problem revolved around a major question represented in: to what extent can border management affect organized crime within the state of Mali and the stability of the state as a whole? The study concluded that the fragility of border management in Mali has a great impact and scope, especially the failure of the state to control the escalation of organized crime, which was associated with several variables, the most prominent of which was the imbalance arising from border management in the northern regions, which eventually led to the exacerbation of the situation of organized crime and fragility of borders within the state of Mali.

**Keywords:** Mali - Organized Crime - Border Management – Growing Challenges - Approaches to Confrontation.

---

[1] باحثة دكتوراه بالشئون الأفريقية بجامعة القاهرة، كتبت في عدة منصات داخل وخارج مصر أبرزها: جريدة الشروق الجديد- المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة- اتجاهات الأحداث- قراءات أفريقية.

## مقدمة:

تمر مالي وبخاصة منذ عام 2012 بحالة من الإحباطات والاضطرابات السياسية وتراجع الدولة ومؤسساتها وبخاصة الأمنية منها والتي يُدلل عليها مظاهر عدة كاستشراء أنشطة الجريمة المنظمة والتنظيمات الإرهابية وهو ما تم تغذيته بشدة من خلال ضعف وهشاشة مؤسسات الدولة، فضلًا عن الموقع الجغرافي الذي تتمتع به مالي وهو ما اقترن بتراجع إحكام الدولة وأجهزتها الأمنية وضعف قبضتها على الحدود ما ضاعف من توسيع نفوذ نشاطات هذه التنظيمات وبخاصة في بيئة تتسم بتفشي ممارسات الفساد والزبائنية السياسية والتحالفات القائمة على المصالح والتمييز وليس على مصلحة الدولة الوطنية في دولة كمالي، فضلًا عن التوزيع غير المتكافئ للثروات، من تهميش للشمال مقابل تنمية الجنوب، وهو ما نتج عنه في الأخير حالة الدولة المالية الآن.[1] يؤكد ذلك الموقع الذي احتلته مالي بمؤشر الجريمة المنظمة العالمي؛ حيث احتلت المرتبة 49 بين 193 دولة عام 2021، بدرجة إجرامية تبلغ 5.89 من 10.195، حيث تمثل العلامة 1 على أدنى مستوى للجريمة المنظمة أما 10 فيمثل أعلى مستوى لها، وتقع مالي وفقًا للتقرير في فئة البلدان ذات الجريمة العالية والمقاومة المنخفضة للأنشطة الإجرامية. كما ورد بالمؤشر أن النشاط الإجرامي المهيمن هو الاتجار بالأسلحة، يليه جرائم الموارد غير المتجددة والاتجار بالبشر وتجارة القنب، وتهيمن الجهات الفاعلة المندمجة في الدولة على الجريمة المنظمة، تليها الشبكات الإجرامية.[2]

عطفًا على ما تقدم ستسعى هذه الدراسة إلى إبراز واقع الجريمة المنظمة في مالي (الأسباب- المظاهر- المحفزات- الأطراف الفاعلة- التحديات- مقاربات المواجهة)، وتأثير وتأثر ذلك بحالة أمن الحدود داخل الدولة، وصولًا للسيناريوهات المحتملة في ظل كل هذه المعطيات.

## التساؤل الرئيسي للدراسة:

وفقًا لطبيعة الداخل المالي من تصاعد لأنشطة الجريمة المنظمة وإخفاق الدولة المتكرر في حماية الحدود وبخاصة مع تنامي الاضطرابات السياسية داخل البلاد منذ عام 2012 وما صاحبه من تمرد لقبائل الطوارق والمناطق الشمالية لما يتعرضون له من تهميش؛ فستدور الدراسة حول تساؤل رئيسي مفاده: إلى أي مدى يمكن أن تؤثر إدارة الحدود على الجريمة المنظمة واستقرار الداخل المالي؟

## التساؤلات الفرعية للدراسة:

يتفرع عن التساؤل الرئيسي عدة تساؤلات فرعية تتمثل فيما يلي:

- ما أبرز محفزات الجريمة المنظمة في مالي؟
- إلى أي حد ترتبط إدارة الحدود بالجريمة المنظمة داخل مالي؟
- كيف تؤثر استجابة السكان المحليين والموظفين العموميين على الجريمة المنظمة وأمن الحدود داخل مالي؟
- ما مقاربات الدولة المالية للتعامل مع أمن الحدود والجريمة المنظمة؟

## أهداف الدراسة:

[1]Chiara Galletti and Luca Raineri,"Organized Crime in Mali: Why It Matters for a Peaceful Transition from Conflict", **Published paper in International Alert**, (London: Intrtnational Alert, Sep 2016), P.1.
[3] Ocindex,"Global Organized Crime Index- Mali", 2021. At: https://ocindex.net/country/mali, April 4, 8:30 pm, 2023.

- التعرف على أسباب وجود أنشطة الجريمة المنظمة داخل مالي.
- إبراز العلاقة بين إدارة الحدود والجريمة المنظمة في مالي.
- استعراض أبرز مظاهر الجريمة المنظمة داخل مالي.
- معرفة أبرز التحديات التي تواجه الدولة للتصدي للجريمة المنظمة وإدارة الحدود.
- عرض أهم مقاربات الدولة المتبعة لتحجيم نشاط الجريمة المنظمة وفرض السيطرة على الحدود.

## أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة مما باتت تحتله أنشطة الجريمة المنظمة في مالي وإقليم غرب أفريقيا بشكل عام من تصاعد وما نجم عن ذلك من خسائر في الأموال والأرواح تتكبدها الدول وتؤثر على استقرارها، وبخاصة مع تراجع إحكام قبضة الدول على حدودها ما ساعد بدوره على بروز هذه الأنشطة الخارجة عن القانون العابرة للحدود وتأثيرها ليس فقط على الداخل المالي بل انتقالها لدول الجوار كبوركينا فاسو والنيجر -كما تمت الإشارة. لذا كان من الضروري بمكان التعرض لتلك الظاهرة شديدة الخطورة لفهم واقعها ومحفزاتها ومن ثم محاولة الوصول لأكثر المقاربات ملائمة للتصدي لها والتغلب عليها.

## الأدبيات السابقة:

على صعيد الأدبيات السابقة فقد تم تقسيمها إلى محورين رئيسيين؛ يتعلق الأول بأبرز الأدبيات الخاصة بأمن الحدود داخل مالي، أما الثاني فيتمحور حول أبرز الأدبيات التي تدور حول الجريمة المنظمة بمالي، وذلك على النحو التالي:

### المحور الأول: أدبيات خاصة بأمن الحدود في مالي:

1- د. أحمد أمل، "مهددات أمن الحدود في أفريقيا: الأسباب والمظاهر وسياسات الاستجابة"، ***مجلة السياسة والاقتصاد***، (بني سويف: جامعة بني سويف، كلية السياسة والاقتصاد، المجلد (14)، العدد (13)، يناير 2022).

تدور هذه الدراسة حول فكرة رئيسة وهي ماهية المهددات المختلفة لأمن الحدود بقارة أفريقيا وتبحث في استجابات ومقاربات أفريقيا لمواجهة هذه المخاطر والمهددات على مستويات ثلاثة مختلفة: مستوى أول وطني وثانٍ إقليمي ومستوى ثالث قاري. أما الأفكار الفرعية للدراسة فقد دارت حول تحديد مفهوم أمن الحدود وإزالة اللبس بينه وبين المفاهيم ذات الصلة، كما تطرقت إلى الاتجاهات الرئيسة لأدبيات أمن الحدود في أفريقيا، ثم تعرضت إلى مظاهر مهددات أمن الحدود في أفريقيا وأهم مقاربات المواجهة. وقد خلُصت الدراسة في نهاية المطاف إلى جملة من النتائج كان أبرزها:

- أن النسبة الأكبر من مهددات أمن الحدود بأفريقيا تنتمي للمهددات غير التقليدية وبخاصة بعد التراجع في الصراعات الدولية على الحدود.
- تعكس مهددات أمن الحدود في أفريقيا اتساقًا مع مقولات المدرسة البنائية التي أشارت لها الدراسة في البداية وأنها ترتبط بشدة بمسببات ومحفزات يغلب عليها الطابع الاجتماعي.
- رغم الجهود المبذولة على المستويات الثلاثة الوطنية والإقليمية والقارية لاتزال تحتاج للمزيد من الفعالية وبذل الجهد والتنسيق والاتصال بين المستويات الثلاثة.

من جهة أخرى فقد تبنى المؤلف في دراسته النظرية البنائية كطرح بديل لإعادة الاهتمام بدور العوامل الاجتماعية في تحليل العلاقات الدولية واعتمدت الدراسة على عدد من المقولات التأسيسية لهذه النظرية مثل رفض مركزية الدولة الوطنية في العلاقات الدولية ومنح الاعتبار للفاعلين من دون الدولة والمنظمات الدولية، كما أنها تنظر لبنية النظام الدولي كبنية اجتماعية تنظم من قبل جملة من القيم المنظمة والتي تتجاوز القانون الدولي. وأخيرًا يمكن القول بأنه يمكن الاستفادة

من هذه الدراسة فيما يتعلق بالجانب النظري لتعريف وتأصيل مفهوم أمن الحدود، فضلًا عن الاستفادة منها في الجانب المتعلق بأبرز مظاهر مهددات أمن الحدود وكيفية مواجهة الدول الأفريقية لهذه المخاطر. أما ما ستضيفه هذه الدراسة فيتمثل في التطرق إلى هذه المخاطر وسبل مواجهتها بالتركيز على دولة مالي تحديدًا وليس في قارة أفريقيا بشكل عام وهو ما لم تتناوله هذه الدراسة.

2- Zeini Moulaye, "Security Challenges and Issues in The Sahelo- Saharan Region: The Mali Perapective", **Published Paper in Friedrich Ebert Stiftung**, (Berlin, 2016).

هدفت هذه الورقة إلى دراسة ومعرفة أبرز التحديات الأمنية التي تواجه دول منطقة الساحل ومالي على وجه الخصوص. وتطرقت الأفكار الفرعية إلى المعوقات التي تقف أمام الدولة فيما يتعلق بتحقيق الأمن وكيفية تعامل مالي مع هذه التحديات، وأبرز نقاط القوة والضعف في الدولة المالية، وكذلك أبرز الجهود والشراكات الثنائية ومتعددة الأطراف التي تنخرط بها دول الساحل من أجل وضع استراتيجيات ومبادرات للتغلب على هذه التحديات التي تؤثر عليهم قاطبة.

خلُصت الدراسة لمجموعة من النتائج تمثل أهمها: على المستوى الداخلي لابد أن تتم توعية المواطنين بأهمية الخضوع للتدريبات لحماية أنفسهم وبخاصة في المناطق المعروفة بأنها بؤر للتهديدات الأمنية أو الجريمة المنظمة، كما أنه لابد من زيادة الوعي لديهم والتحذير بعدم التعاون أو الانخراط مع مثل هذه التنظيمات، وهنا يتطرق الحديث إلى الشباب والفئات العمرية الأقل وضرورة أن توفر لهم الدولة المشروعات التي تساعدهم على إيجاد عمل والتخلص من البطالة حتى لا يكونوا فريسة لهؤلاء التنظيمات وهو ما يقع عبئه على الدولة في المقام الأول ومنظمات المجتمع المدني ذات الصلة. كما أشارت الورقة إلى أهمية انخراط مؤسسات المجتمع المدني والمجتمعات المحلية بشكل عام في التوعية بكل ما سبق لمزيد من الفعالية لهذه المبادرات والسياسات، ولقدرة هذه المجتمعات على التفاعل مع المواطنين وسرعة التواصل بين الطرفين ومن ثم الاستجابة والنتائج الفعالة المنشودة. كما أنه هناك ضرورة في أن تستعيد الدولة دورها التقليدي فيم يتعلق بتقديم الخدمات الأساسية وفرض الأمن من أجل سد أية ثغرات يمكن أن تستغلها مثل هذه التنظيمات وهي ما تُفاقم لاشك من التهديدات الأمنية. إضافة لما سبق تقترح الورقة ضرورة انخراط المجتمع الدولي بمؤسساته بصورة أكثر فعالية وتقديم الدعم اللازم لدول الساحل بشكل عام، وأخيرًا فلابد من تضافر الجهود الثلاثة معًا الوطنية والإقليمية والدولية من أجل التغلب على هذه المخاطر ومكافحة الجريمة المنظمة أو على أقل تقدير تحجيم تواجدها ومعدلات انتشارها.

ستعمل الدراسة على الاستفادة من هذه الورقة فيما يتعلق بمعرفة أهم مهددات الأمن لدولة مالي سواء الداخلية أو الخارجية وهو ما يفيد في الجزء المتعلق بأمن الحدود وكذلك معرفة أهم مقاربات مالي في التعامل مع هذه المهددات، وأخيرًا ستضيف الدراسة على الورقة بأنها ستطرق إلى المستجدات التي طرأت على الجريمة المنظمة وعلاقاتها بمهددات أمن الحدود وفقًا للمتغيرات الحالية ولن تقف عند الفترة الزمنية لهذه الورقة.

**المحور الثاني: أدبيات خاصة بالجريمة المنظمة داخل مالي:**

1- Dr Marina Caparini, "Conflict, Governance and Organized Crime: Complex Challenges for UN Stabilization Operations", **Published Report in Stockholm International Peace Research Institute**, (Solna: Sipri, Dec 2022).

سعى هذا التقرير إلى دراسة العلاقة بين الصراع المسلح والطريقة التي يتم بها حكم الدولة والجريمة المنظمة وذلك بعدد من الدول الأفريقية التي تعاني من هذه الملفات الحرجة ذات الصلة، مثل مالي والكونغو الديمقراطية وجمهورية أفريقيا الوسطى. أما فيما يتعلق بالأفكار الفرعية فقد جاء أبرزها في التعمق في كل دولة على حدة فيما يتعلق بالصراعات التي تعاني

منها والجريمة المنظمة وطبيعة الحكم في كل دولة وأثره على إدارة الصراعات وعمليات بناء السلام وأبرز المقاربات المتبعة في هذا الإطار ودور الأمم المتحدة في ذلك والنهج الذي تتبعه وبخاصة خلال بعثات حفظ السلام التي ترسلها لمثل هذه الدول. كما يشير التقرير إلى أن الهشاشة التي تعاني منها هذه الدول تحديدًا -مالي وأفريقيا الوسطى والكونغو الديمقراطية- تقوّض كثيرًا من الجهود التي تتم في هذا السياق، كما أنها تعزز من قوة مجموعات الجريمة المنظمة وترسخ أقدامها على الأرض بقوة في مقابل الدولة. كما تطرق التقرير إلى أن الجريمة المنظمة في مالي تعد أقل حضورًا مقارنة بكل من الكونغو الديمقراطية وأفريقيا الوسطى، لكن ذلك لم يمنع بأن الدولة المالية تواجه ضعفًا ملحوظًا في مواجهة الجريمة المنظمة وبخاصة مع ارتباط الأخيرة بالجماعات المسلحة وحركات التمرد، فضلًا عن الحكم الفاسد غير الخاضع للمساءلة، بالإضافة إلى ضعف السيطرة على مناطق كثيرة بالبلاد كالمناطق الشمالية والتي مكنت من ظهور الجماعات الإرهابية وتنظيمات الجريمة المنظمة بل وحدث تفاعل وتشابك فيما بينهما بشكل إيجابي يحقق مصالح كلا الطرفين، فضلًا عن ارتباطهما بعدد من الموظفين الحكوميين واشتراكهما معًا في الأنشطة الخارجة عن القانون مقابل الرشاوى والمصالح المشتركة.

خلُص التقرير لمجموعة من التوصيات تمثل أهمها في ضرورة تشجيع الحوار المجتمعي حول التحديات التي تتمخض عن الجريمة المنظمة وسبل فرض السلام على الأرض. كما أنه أوصى بضرورة تعميق الفهم حول العلاقة بين الجريمة المنظمة والصراعات والطريقة التي تتم بها الحكم. كما أنه لابد من تركيز المزيد من الضوء والاهتمام على طبيعة الحكم في المجتمعات الهشة والمتأثرة بالنزاع، لما لذلك من آثار على ما تواجه من صراعات بل وحتى يرتبط بعد ذلك في مرحلة بناء السلام عقب مكافحة الصراعات والتنظيمات الإرهابية ومجموعات الجريمة المنظمة. وأخيرًا لابد من التصدي لطبيعة نظم الحكم في أفريقيا جنوب الصحراء والتي تقوم في الكثير من الأحيان على المحسوبية والفساد وبخاصة من قبل الموظفين بالأجهزة الحكومية والإدارية بالدولة، وهو ما يرتبط بضرورة فهم المعنيين بالأمم المتحدة لهذه الأنظمة والبحث عن مقاربات للتعامل معها من تطوير للهياكل الإدارية وإصلاحها وسد الثغرات التي قد تؤدي إلى الفساد والتحالف مع تنظيمات الإرهاب والجريمة المنظمة لما لها من أهمية بعد ذلك في بناء السلام على نطاق واسع. وختامًا نشير إلى أنه ستتم الاستفادة من هذا التقرير في معرفة أسباب انتشار الجريمة المنظمة في مالي ودور الأمم المتحدة في ذلك والمقاربات التي تتبعها وأخيرًا ستضيف الدراسة عن هذا التقرير الحديث عن أمن الحدود وعلاقته بالجريمة المنظمة.

2- د. أحمد أمل، "الإرهاب وتنظيمات العنف الاثني والجريمة المنظمة في مالي: دراسة لشبكة التفاعلات المعقدة"، ***المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية***، (جامعة السويس: كلية التجارة، المجلد (12)، العدد (3)، 2021).

تدور هذه الدراسة حول الإرهاب المتصاعد في مالي والعنف الاثني والجريمة المنظمة وشبكة التفاعلات المنظمة فيما بين التنظيمات الإرهابية وتنظيمات الجريمة المنظمة. أما الأفكار الفرعية فتدور حول الخصائص الرئيسة للشبكات الاجتماعية الناشئة في محيط التنظيمات الإرهابية، ومدى تأثير الانقسامات الاثنية على تكوين التنظيمات الإرهابية وطبيعة أهدافها، ثم ذهبت الدراسة إلى تحليل طبيعة التنظيمات الإرهابية بتنظيمات العنف الاثني، وأخيرًا تناولت طبيعة المصالح المشتركة بين التنظيمات الإرهابية في مالي وتنظيمات الجريمة المنظمة في السياق ذاته. أما فيما يتعلق بنتائج الدراسة، فقد توصلت إلى جُملة من النتائج كان أبرزها:

أ- أن سبل مكافحة الظاهرة الإرهابية لا ترتبط فقط بالفاعلين والدولة في مالي بل تتجاوز حدودها، فسبل الحل لابد ألا تتم بمعزل عن دول الجوار المباشر وغير المباشر بل والمجتمع الدولي ككل.

ب- احتلت التنظيمات الإرهابية في مالي موقعًا هامًا لا يمكن التقليل منه على الإطلاق، فتتمتع هذه التنظيمات بحواضن اجتماعية قوية نظرًا لحرصها على الاتساق مع الاعتبارات الاثنية على مستوى العضوية ودوافع الحركة.

ج- لكي تؤتي الجهود المحلية والإقليمية والدولية المبذولة ثمارها لابد أن يتم تفكيك شبكة تفاعلات التنظيمات الإرهابية لحرمانها من مصادر الدعم.

د- ترتبط جهود مكافحة الإرهاب بجهود أخرى وهي ضرورة معالجة مشكلات الاندماج الوطني والفساد وضبط الحدود.

وختامًا، يمكن الاستفادة من هذه الدراسة في الجزء المتعلق بتنظيمات الجريمة المنظمة وفهم مصادر دعمها وقوتها والتي يأتي أبرزها في علاقاتها مع التنظيمات الإرهابية وهو ما يُصعب من مواجهتها والتغلب عليها. أما ما ستضيفه الدراسة ولم يتم تناوله هنا فيتعلق بالجوانب النظرية المتعلقة بتعريف الجريمة المنظمة وأمن الحدود ومقاربات المواجهة لكلا المعضلتين.

3- Frank Okyere, "Statebuilding, Local Governance, and Organized Crime in Mali", **Published Paper in Kofi Annan International Peacekeeping Training Centre**, (Accra: KAIPTC, 2015).

تدور هذه الورقة حول معضلة بناء الدولة في مالي فيما بعد الصراعات التي منيت بها وسبل تعزيز الحكم المحلي وكيفية مواجهة الجريمة المنظمة ومقاربات تحجيمها. أما الأفكار الفرعية فدارت حول قصور الدولة فيما يتعلق بتقديم الخدمات الأساسية وفرض الأمن والسيطرة على إقليم الدولة، فالمناطق التي تتمتع بالموارد الطبيعية تحظى بفرص أكبر من التنمية عن نظيرتها التي لا تنعم بهذه الثروات، ما يؤدي لتهميش مناطق على حساب مناطق أخرى، ما يُسهِّل من عملية اختراقها من قبل مجموعات التنظيمات الإجرامية كتجار المخدرات والأسلحة والاتجار بالبشر والهجرة غير الشرعية وغيرها. كما تشير الدراسة من جهة أخرى إلى العلاقات الممتدة عبر الحدود عبر الساحل بين مجموعات الجريمة المنظمة المختلفة، وهو ما يُعقد من جهود الحل، فضلًا عن ممارسات هذه التنظيمات في الداخل والتي تجعلها تحظى في الكثير من الأحيان بالقبول الاجتماعي بين الأفراد، فهي تقوم بتقديم الخدمات الأساسية التي تعجز الدولة عن تقديمها وذلك نتيجة لتوفير ملاذات آمنة لأفراد هذه التنظيمات، كما أن هناك شبكة من العلاقات مع كبار الموظفين الحكوميين الفاسدين لتسهيل الكثير من المهام لهذه التنظيمات، وهو ما يعزز في الأخير من قوة هذه التنظيمات ويرسخها في المجتمع فضلًا عن القبول الذي تنعم به، وهو ما يصعب من مهمة الدولة في مكافحة مثل هذه التنظيمات.

توصلت الدراسة إلى نتائج عدة كان أبرزها أنه لابد من مشاركة المواطنين وخاصة فيما يتعلق بمبادرات تطوير الحكم المحلي. كما أنه لابد من تنمية المناطق التي تعاني من التهميش وبخاصة المناطق الشمالية في مالي والتي تكون في أحيان كثيرة بؤر للجهات الإجرامية المسئولة عن الأنشطة غير القانونية من تهريب المخدرات والاتجار بالبشر وغيرها من النشاطات الخارجة عن القانون. كما تركز الورقة على ضرورة الاهتمام بهياكل وأبنية الحكم المحلي من أجل سد الفجوة والضعف الذي نتج نتيجة لضعف وهشاشة الدولة، أضف إلى ذلك الحاجة إلى هياكل حكم تحظى باللامركزية والمرونة لتعزيز وضعها بما يمكنها من القدرة على وضع الخطط وتنفيذها ومن ثم إحداث الأثر المنشود.

ستحاول الدراسة الاستفادة من هذه الورقة فيما يتعلق بطبيعة التنظيمات الإجرامية وكيفية حصولها على القبول داخل المجتمع وبخاصة في الوقت الذي تعاني فيه الدولة من الضعف والهشاشة، كما أنه يمكن الاستفادة منها فيما يتعلق بالمقاربات الملائمة للسياق المالي فيما يتعلق بمكافحة الجريمة المنظمة بمالي ومنطقة الساحل ككل. أما ما ستختلف عنه الدراسة عن هذه الورقة فيتعلق في ربط الدراسة لما يمكن أن ينجم في حال فشلت الدولة في أمن حدودها وما قد يتمخض عن ذلك من انتشار لمعدلات الجريمة المنظمة فضلًا عما ستقوم به الدراسة من تسليط الضوء على الجوانب النظرية لكلا المفهومين.

## تعقيب عام حول الأدبيات السابقة لموضوع الدراسة:

عقب استعراض كافة الأدبيات السابقة العربية والإنجليزية يمكن القول بأن هذه الدراسة ستحاول الاستفادة من جميع هذه الأدبيات سالفة الذكر في جوانب عدة أبرزها التالي؛

هناك دراسات قد أولت اهتمامًا كبيرًا بالتأصيل النظري للمفاهيم المرتبطة بهذه الدراسة مثل مفهوم "أمن الحدود" والتفرقة بينه وبين المفاهيم ذات الصلة التي تتقاطع معه كمفهومي ضبط الحدود وإدارة الحدود، وهو ما ظهر بوضوح في الدراسة العربية التي تم الاستعانة بها "مهددات أمن الحدود في أفريقيا: الأسباب والمظاهر وسياسات الاستجابة". إضافة لما سبق فهناك أدبيات -كبعض الدراسات الأجنبية والعربية على وجه السواء- قد ركزت بشكل كبير على ماهية التهديدات والمخاطر التي تواجه الدولة المالية بل ومنطقة الساحل ككل وأبرز المقاربات التي تتم في هذا السياق سواء الداخلية أو الإقليمية أو الدولية، وضرورة تضافر الجهود كافة منعًا للازدواجية وعدم الاتساق فيما بين المهام متعددة الأبعاد.

وفي الأخير ستحاول هذه الدراسة جاهدة أن تبحث عن طبيعة العلاقة فيما بين الجريمة المنظمة والآلية التي تتم بها إدارة الحدود داخل دولة مالي وما إذا كانت الأخيرة تؤثر على معدلات انتشار الأولى أم لا، وما قد ينجم عن ذلك من مخاطر وتهديدات للدولة المالية وجوارها الإقليمي بل وما قد يفرضه من تداعيات على السلم والأمن الدوليين. إضافة لما سبق وتأسيسًا عليه فستضيف الدراسة فترات زمنية راهنة لم يتم التطرق إليها في الدراسات سالفة الذكر.

**منهج الدراسة:** ستقوم الدراسة بتبني إحدى أبرز الأطر التحليلية والمعروف بـ"تحليل الشبكة الاجتماعية" Social Network Analysis، ويُعرَف هذا التحليل بكونه نظام يسعى لفهم الترابط بين الفاعلين والعلاقات فيما بينهم. وسيتم استخدامه على شبكة تفاعلات الجريمة المنظمة في دولة مالي من خلال رصد تفاعلاتها مع عدة فاعلين كالتنظيمات العنيفة ذات قواعد الانتماء الاثنية والأطراف المحلية التي تربطها بتلك الجماعات علاقات تبادل منافع.[1]

## الإطار المفاهيمي للدراسة:

ستعتمد هذه الدراسة في تناولها إلى مفهومين رئيسيين هما أمن الحدود والجريمة المنظمة، لذا كان من الضروري إيضاح المضامين المتعلقة بهذين المفهومين وذلك فيما يلي:

**أولًا: مفهوم أمن الحدود:** كغيره من مفاهيم حقل العلوم السياسية -والعلوم الاجتماعية بشكل عام- لا يوجد حوله اتفاق بين أهل التخصص، رغم ما يحتله من أهمية سواء من قبل الساسة أو من الناحية الأكاديمية والنظرية. لكن على أي حال يمكننا عرض أبرز التعريفات والمساهمات في هذا الشأن. على سبيل المثال تُعَرّف وزارة الأمن الداخلي الأمريكية أمن الحدود بأنه حماية الحدود الدولية من الانتقال غير القانوني للأسلحة والمخدرات وتهريب الأشخاص والبضائع عبر تعزيز التجارة والسفر القانونيين بما يحقق أمن البلاد ورخائها ويعزز من سيادتها الوطنية.[2] كما أشارت تعريفات أخرى إلى اعتبار أمن

---

[1] Olivier Serrat, Knowledge Solutions: Tools, **Methods, and Approaches to Drive Organizational Performance**, (Mandaluyong: Springer & Asian Development Bank, 2017) Pp.39-41.

[2] د. أحمد أمل، "مهددات أمن الحدود في أفريقيا: الأسباب والمظاهر وسياسات الاستجابة"، ***مجلة السياسة والاقتصاد***، (بني سويف: جامعة بني سويف، كلية السياسة والاقتصاد، المجلد (14)، العدد (13)، يناير 2022)، ص ص. 284- 285.

الحدود هو تلك العملية التي تشمل كافة الأمور اللوجستية لتأمين الحدود؛ بمعنى نشر كل ما يتطلب من أفراد وتقنيات وبنية تحتية بما يضمن في الأخير أن تكون الحدود في مأمن وحماية من كافة المهددات المحتملة.[1]

**ثانيًا: مفهوم الجريمة المنظمة:** يشير مؤشر الجريمة المنظمة العالمي إلى تعريف الجريمة المنظمة بوصفها: أنشطة غير مشروعة تقوم بها جماعات أو شبكات تعمل بشكل متضافر، من خلال الانخراط في أعمال عنف أو فساد أو أنشطة ذات صلة من أجل الحصول، بشكل مباشر أو غير مباشر على منفعة مالية أو مادية، ويمكن تنفيذ مثل هذه الأنشطة داخل الدولة وعبر الحدود الوطنية.[2]

## تقسيم الدراسة:

للإجابة على التساؤل الرئيسي الذي طرحته الدراسة وما يتفرع عنه من تساؤلات وأهداف؛ فقد تم تقسيم الدراسة إلى 3 مطالب رئيسية، يدور المطلب الأول حول ماهية الجريمة المنظمة وأمن الحدود داخل مالي، من خلال محورين رئيسيين أولًا: أسباب تصاعد الجريمة المنظمة ومخاطر أمن الحدود داخل مالي، ثانيًا: مظاهر الجريمة المنظمة وتهديدات أمن الحدود داخل مالي. أما المطلب الثاني فيتمحور حول طبيعة بيئة الجريمة المنظمة وتهديدات أمن الحدود في مالي، عبر محددين رئيسيين هما: محفزات تتصل بهشاشة هياكل الدولة وتصاعد اقتصادات غير رسمية، وأخرى تتصل بدور الدولة. وفي الأخير يعرض المطلب الثالث مخاطر أمن الحدود والجريمة المنظمة بين تحدياتها المتصاعدة وسياسات المواجهة، وذلك من خلال محورين؛ أولًا: تحديات التصدي للجريمة المنظمة وضبط الحدود، وثانيًا: سياسات المواجهة على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي.

## المطلب الأول: ماهية الجريمة المنظمة وأمن الحدود داخل مالي

قبل الإشارة إلى ماهية وواقع الجريمة المنظمة في مالي ومخاطر أمن الحدود، لابد أن نشير إلى معضلة هامة تتمثل في صعوبة تحديد مدى نطاق وماهية الجريمة المنظمة في مالي وكذا تحديد بشكل قاطع أطرافها، الأمر ليس فقط في مالي بل في منطقة الساحل بشكل عام، ويرجع ذلك بشكل كبير إلى التقاطع والتماس بين الاقتصاد غير الرسمي والاتجار غير المشروع، فضلًا عن تعدد وتباين الدوافع وراء الجريمة المنظمة هناك، من دوافع مالية- سياسية- أيديولوجية، والتي تختلف باختلاف الأفراد ومصالحهم.[3] لكن يمكن الإشارة إلى أن من ينخرط بشكل واضح بالجريمة المنظمة في مالي يتمثل في العشائر والجماعات العرقية والمسلحة، فضلًا عن انخراط السكان المحليين والذين يعتمدون عليه كمصدر للعيش كما في شمال البلاد. وقد ظهرت أنشطة الأطراف المنخرطة بالجريمة المنظمة في مجالات عدة كالاتجار بالمخدرات والبشر والخطف، ولكن بدرجات متفاوتة، لكن بشكل عام يمكن القول أنه في ظل غياب الدولة وغياب قبضتها الأمنية يشهد المشهد هناك حالة من التشابك والتعقد ترتبط بديناميات داخلية تتصل بالسياق المالي وأخرى إقليمية وأخرى دولية.[4]

---

[1] **المرجع نفسه.**

[2] مؤشر الجريمة المنظمة العالمي، المبادرة العالمية لمكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية، 2021، ص23، متاح على الرابط:
**https://ocindex.net/assets/downloads/global-ocindex-report-arabic.pdf**

[3] Mana Farooghi, Mana Farooghi, "Sustainable approaches to organised crime in Mali and the Sahel", **Published paper in International Alert** (London: International Alert, November 2014)Pp.2-3.

[4] **Idem.**

**أولًا: أسباب تصاعد الجريمة المنظمة ومخاطر أمن الحدود داخل مالي:**

1- **البيئة الأمنية داخل الدولة المالية:** تعتبر البيئة الأمنية واحدة من كبرى المعضلات التي تواجه مالي فيما يتعلق بمكافحة الجريمة المنظمة وضبط أمن الحدود، حيث تنتمي مالي إلى منطقة الساحل التي تتسم بدرجة عالية من التعقيد من الناحية الأمنية والحدودية وبخاصة مع ما يتسم به الساحل من تخلف وأزمات متعددة ما يؤدي لكونه عاجزًا السيطرة على الحدود ومن ثم عجزه بالتبعية عن التصدي للجريمة المنظمة،[1] فضلًا عن ارتباط هذه الظاهرة بظواهر أخرى كالإرهاب بل أنها قد تكون أكثر خطورة، وبخاصة مع توفر الظروف الملائمة لها من ميوعة للحدود واتساع مساحتها وغياب الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة وانتشار الفقر والتنوع العرقي وكلها عوامل صعبت وعقدت من مهمة مكافحة الجريمة المنظمة.[2]

2- **البيئة القانونية والتشريعية:** تعد طبيعة القوانين المتعلقة بالجرائم داخل مالي واحدة من الأمور التي تساعد على زيادة معدلات الجريمة المنظمة بالدولة، وبخاصة مع عدم وجود تشريع خاص بالجريمة المنظمة في حد ذاتها، بل تجريم فقط للجريمة التي تشترك بها مجموعة من المجرمين أو الإرهابين، ما وجد صلة سهلة بين الجريمة المنظمة والإرهاب وظهر ما يعرف بإرهاب المخدرات نتيجة للارتباط الوثيق بينهما.[3]

3- **التهميش والإقصاء:** على سبيل المثال رغم الأخطار التي تنجم من المناطق الحدودية القريبة من شمال مالي إلا أنها تعد مناطق مهمشة وبخاصة من الناحية الاقتصادية، ما يؤدي لنزوح السكان نتيجة للتهميش وضعف التنمية والاستثمارات، ما يؤدي لانتشار معدلات الفقر واللجوء إلى الأنشطة غير المشروعة للربح السريع، في ظل استشراء الفساد الحكومي وتراخي الدولة وعدم إحكام قبضتها على هذه المناطق لاستعادة الأمن بها ومن ثم تشجيع الاستثمار والتنمية من قبل الجهات المانحة ورجال الأعمال سواء في الداخل أو الخارج.[4]

4- **التأثر بالصراعات والأزمات البيئية:** يظهر ذلك جليًا في تأصل الأنشطة الإجرامية المنظمة في الهيكل الاقتصادي والاجتماعي للماليين وبخاصة في المناطق المتأثرة بالصراعات والأزمات، وبخاصة مع التأثيرات المدمرة للأزمات البيئة التي عصفت بالبلاد في سبعينات وثمانينات القرن الماضي، ومن حينها مثّلت التجارة غير المشروعة بجميع أنواعها مصدرًا للرزق والإيرادات بين المواطنين، وبخاصة في المناطق الشمالية التي تأثرت بالأزمات فضلًا عن موقعها الحدودي المميز الذي يعد أرضًا خصبة لأنشطة الجريمة المنظمة من اتجار بالبشر وتهريب للمخدرات وغيرها من الأنشطة الإجرامية ذات الصلة.[5]

5- **استشراء الفساد والصفقات المشبوهة:** حيث ساعدت وبشدة على تصاعد الجريمة المنظمة، مع اعتبار الأنشطة الإجرامية سلوكًا للتربح أكثر منه سلوك إجرامي غير مقبول بالمجتمع، وبخاصة مع قدرة

---

[1] مصطفى كراوة، "ظاهرة الجريمة المنظمة في منطقة الساحل الأفريقي وسبل مواجهتها"، ***مجلة آفاق علمية*** (القبة: جمعية الآفاق العلمية، المجلد 12، العدد 1، يناير 2020) ص543.

[2] **المرجع نفسه.**

[3] Chiara Galletti and Luca Raineri, **Loc.cit**.

[4] Thomas Cantens and GaëlRaballand, "Fragile Borders: rethinking borders and insecurity in Northern Mali", **Published paper in Global Initiative against Transnational Organized Crime** (Geneva: GITOC, Nov 2016) P.4.

[5] **Idem**.

الإجراميين على استمالة ضباط الأمن وزعماء القبائل والتأثير عليهم لغض الطرف عن انشطتهم مقابل الأموال أو التهديدات، وبخاصة في المناطق الحدودية والنائية والتي تعاني من الفقر المدقع.[1]

6- **التأثر بالمحيط الإقليمي وما يجري به من صراعات: كالتأثر** بالأوضاع الليبية؛ فقد أدى اندلاع الثورة الليبية لعودة المرتزقة الماليين المسلحين إلى شمال مالي واتجاههم للجريمة المنظمة والتمرد وزعزعة الاستقرار وغيرها من الأمور ذات الصلة بإشعال الاضطرابات.[2]

**ثانيًا: مظاهر الجريمة المنظمة وتهديدات أمن الحدود داخل مالي:**

1- **تصاعد التنظيمات الإرهابية:** لعل من أبرز معالم ومؤشرات الدولة الهشة في مالي ما يلاحظ من قدرة التنظيمات الإرهابية ليس فقط على الظهور والتنامي ببؤر حيوية وكبيرة بالبلاد بل تمكنهم من إقامة شبكات متسعة ومتشعبة من التفاعلات مع غيرهم من التنظيمات الأخرى، حتى لو اختلفت معها في التوجه الأيديولوجي، لكنها تتفق معها في الوسائل المستخدمة. وأبرز تجليات ذلك قيام التنظيمات الإرهابية في مالي بتأسيس علاقات وروابط وثيقة مع التنظيمات الأخرى مثل ميليشيات الدفاع الذاتي التي أسسها بعض الجماعات الاثنية، كذلك أسسوا علاقات مع تنظيمات الجريمة المنظمة المحلية وتنظيمات الجريمة المنظمة الدولية بكل إقليم الساحل.[3]

2- **تعدد تيارات ورو افد تنظيمات الجريمة المنظمة:** حيث باتت تتمركز بمالي تيارات متعددة مرتبطة بالجريمة المنظمة كتلك المتعلقة بتهريب البشر والمخدرات من شمال مالي إلى سواحل الجزائر ومنها إلى أوروبا، وتيار تهريب الأسلحة الصيرة برًا من غات في أقصى جنوب غرب الدولة الليبية إلى مدن أقصى الجنوب الجزائري مثل تمنراست ومنها إلى شمال مالي. فضلًا عن تهريب الأسلحة جوًا من ليبيا إلى مطار جاو في شمال مالي. يؤكد هذا تنوع الجريمة في مالي وكذا تعدد مساراتها، من تهريب الأموال البشر والسلع والبضائع -المشروع أو غير المشروع.[4]

3- **جذب أسواق تجارة الأسلحة:** تعتبر مالي أهم أسواق تجارة الأسلحة غير المشروعة في العالم، وذلك لارتفاع الطلب على هذه الأسلحة وبخاصة في ظل الصراعات الممتدة التي تشهدها البلاد سواء في صورة التنظيمات الإرهابية أو الصراعات الاثنية التي خلقت طلبًا جديدًا على الأسلحة في البلاد وتتصل هذه الصراعات بصراعات ممتدة أخرى في دول الجوار الشمالي وخصوصًا في ليبيا ودول الجوار الجنوبي في بوركينا فاسو،

---

[1]Chiara Galletti and Luca Raineri, **Op.cit,** Pp.1-2.

[2]**Benno Zogg**, "Organized Crime: Fueling Corruption and Mali's Desert War", The Global Observatory, Feb 2018, At: **https://theglobalobservatory.org/2018/02/organized-crime-corruption-mali/**, **April 4, 7:40 pm, 2023.**

[3]د. أحمد أمل، "الإرهاب وتنظيمات العنف الاثني والجريمة المنظمة في مالي: دراسة لشبكة التفاعلات المعقدة"، في **المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية** (السويس: جامعة السويس، كلية التجارة، المجلد ( 12) ، العدد (3)، 2021) ص.1.

[4]**المرجع السابق**، ص ص 16-17.

وتشير التقارير الخاصة ببرنامج Small Arms Survey [1] أن حجم سوق الأسلحة في الساحل الأفريقي قد تجاوز المليون قطعة سلاح، كان لمالي مها نصيب كبير نتيجة لموقعها الذي يتوسط إقليم الساحل.[2]

نخلص مما سبق أن أبرز أسباب تصاعد كل من أنشطة الجريمة المنظمة والمخاطر الناجمة عن ضعف إدارة الحدود في مالي قد تمثلت في تراخي البيئة الأمنية داخل مالي وكذلك البيئة القانونية من تشريعات وروادع قانونية، إضافة للتهميش والإقصاء لمناطق على حساب غيرها، فضلًا عن التأثر باستشراء الفساد وتورط الموظفين الحكوميين بتلك الأنشطة.

أما فيما يتعلق بمظاهر الجريمة المنظمة وتهديدات أمن الحدود فقد تمثلت في تنامي أنشطة التنظيمات الإرهابية، بالإضافة إلى تعدد روافد وتيارات الجريمة المنظمة بما أهّل مالي لتكون سوق جاذبة لأنشطة الجريمة المنظمة من تجارة مخدرات وإتجار بالبشر وهجرة غير مشروعة وغيرها. ويعطي كل ما سبق مؤشر هام بأن ما يحدث داخل مالي من جريمة منظمة وتهديدات لأمن الحدود يعود بالشكل الأكبر للبيئة الداخلية في مالي ومتغيراتها.

## المطلب الثاني: طبيعة بيئة الجريمة المنظمة وتهديدات أمن الحدود في مالي

تعد العوامل المحفزة على تصاعد الجريمة المنظمة وتزيد من تهديدات أمن الحدود عديدة كتلك التي تنتج عن عدم إحكام السيطرة على الحدود، والتي تعد من القضايا الهامة التي تعد دومًا من الأمور التي لا تنجح بها دول كثيرة وبخاصة تلك التي تتسم بالضعف والهشاشة كعدد ليس بالقليل من دول أفريقيا جنوب الصحراء، ونخص بالحديث هنا دول منطقة الساحل ومالي تحديدًا. ونظرًا لأن دول الساحل تتميز بوجود أراضي شاسعة غير مأهولة بالسكان.[3] فضلًا عن ضعف قدرات الدولة على السيطرة على هذه المناطق، مع توجيهها لقدراتها تجاه المناطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة فقط، وهو ما أدى في المقام الأول إلى تهميش المناطق الفقيرة في مقابل تنمية المناطق الغنية بالثروات والمأهولة بالسكان، ما أدى في الأخير إلى معضلات أمنية لا حد لها، والتي تمثل أبرزها في أن باتت هذه المناطق المهمشة سهلة الاختراق من قبل تجار الأسلحة والمخدرات والاتجار بالبشر والهجرة غير الشرعية وكافة أنشطة تنظيمات الجريمة المنظمة فضلًا عن انتشار التنظيمات الإرهابية وتواجد علاقات وتفاعلات فيما بين هذه التنظيمات المختلفة وهو ما صعّب كثيرًا من مواجهتها وبخاصة في مالي كما سنعرض لاحقًا من تواجد شبكات من التفاعلات والعلاقات بين التنظيمات الإرهابية ومجموعات الجريمة المنظمة.[4]

### أولًا: محفزات تتصل بهشاشة هياكل الدولة وتصاعد اقتصادات غيررسمية:

1- **الهشاشة وتأثيرها على الجريمة المنظمة وأمن الحدود**: يؤكد هذا ما شهدته البلاد في أوائل عام 2012 من أزمة سياسية وأمنية حادة في شمال البلاد أدت لسيطرة الطوارق على هذه البقعة فضلًا عن تمكنهم من طرد

---

[1] تم الدخول في 24 أبريل، 3:32م، https://www.smallarmssurvey.org/ لمزيد من المعلومات حول المشروع يرجى النظر على الرابط: 2023.

[2] د. أحمد أمل، "الإرهاب وتنظيمات العنف الاثني والجريمة المنظمة في مالي: دراسة لشبكة التفاعلات المعقدة"، **مرجع سبق ذكره**، ص ص 16-17.

[3] Frank Okyere, "Statebuilding, Local Governance, and Organized Crime in Mali", **Published paper in International Peace Institute** (New York: International Peace Institute, 2015) P.24.

[4] **Idem**.

الجيش المالي.[1]تصاعدت الهشاشة في الهياكل الأمنية والسياسية والاقتصادية وتمخضت عن سوء في الإدارة أدت في الأخير إلى الإطاحة بالرئيس المالي "حامادو توماني توري"-والذي استمر في الحكم من يونيو 2002 حتى مارس -2012 من قبل المجلس العسكري في مارس 2012. وفي خلال هذا عادت الحركات الداعية للتمرد والانفصال في شمال البلاد، أعقبها احتلال عدة مناطق في الشمال من قبل الجماعات الإسلامية، وساعد في ذلك عدم إحكام الدولة لسيطرتها على هذه المنطقة ما جعلها سهلة الاختراق من قبل التنظيمات الإرهابية وشبكات الجريمة المنظمة، وهو ما تأكد بسيطرة تجار المخدرات على ثلاث مناطق هناك هم جاو وكيدال وتمبكتو، بل أن أهل هذه المناطق بدأوا بالعمل في مثل هذه التنظيمات، مثل قبائل الطوارق الذين كان لهم تاريخ طويل في الاتجار بالسلع المشروعة وغير المشروعة.[2] وهو ما أشرنا إليه سابقًا في دول الساحل بشكل عام من أن ضعف الدولة وعدم تمكنها من فرض الأمن على أراضيها يجعل هذه الأراضي هشة سهلة الاختراق من قبل التنظيمات الإرهابية والإجرامية، فضلًا عن أنماط من التحالفات وتعزيز العلاقات كانت تنشأ بين أهل هذه المناطق وتلك التنظيمات.[3]

2- **غياب الدولة وتصاعد الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية:** تأكيدًا على غياب الدولة وقصورها عن أداء وظائفها الأساسية بالإضافة لتأخر عمليات التنمية داخل البلاد لعقود، فقد ذهبت مناطق عدة في البلاد وعلى رأسها المناطق الشمالية بتأسيس أنشطة لها تُدر منها ربحًا حال تعثر الأحوال داخل البلاد والذي بات يعد مظهرًا من مظاهر هشاشة الدولة وعدم قدرتها على بناء اقتصاد قوي وعمليات تنمية حديثة، ولذا فقد لجأت هذه المناطق -بشمال مالي على وجه التحديد- إلى التهريب كنشاط اقتصادي أساسي لها وهو ما أدى لتحصل تنظيمات الجريمة المنظمة على مكانة كبيرة ومهّد لأن يلعبوا أدوارًا رئيسية في الاقتصاد القائم على التهريب في تلك المناطق.[4] الملاحظ هنا أنه بالنظر إلى البقع والأماكن التي تنتشر بها التنظيمات المتعلقة بالجريمة المنظمة فكان الملاحظ أنها تتقاطع وتتماس بشكل كبير مع أماكن تواجد التنظيمات الإرهابية في مالي، وهذا بالطبع ليس من قبيل الصدفة، فهناك الكثير من أوجه التعاون ذات المنافع المتبادلة لكلا الجانبين، وهو ما تمخض عنه حالة من تعزيز العلاقات والترابط وتقوية التفاعلات على أصعدة عدة وهو ما أخذ كلا التنظيمين لمنحى آخر صعّب من مواجهته ورسّخ من وجوده على الأراضي المالية.[5]

**ثانيًا: محفزات تتصل بدور الدولة:**

1- **تراجع الدور الحكومي وضعف الرقابة:** أدى تراجع قبضة المؤسسات الحكومية والسلطة وضعف الرقابة على الحدود وبخاصة في شمال مالي، إلى محدودية توفير الخدمات الأساسية والحيوية والتقاعس عن تطوير البنية التحتية، وهو ما خلق مساحات كبيرة تستغلها هياكل بديلة مثل تلك التي تقودها الجماعات القبلية

---

[1]Peter Tinti, "Organized crime and international stabilization efforts in Mal", **Published paper in Global Initiative Against Transnational Organized Crime** (Geneva: Global Initiative against Transnational Organized Crime, Feb 2022) P.5.

[2]FrankOkyere, **Op.Cit**. P.25.

[3]**Idem**.

[4]د. أحمد أمل، "الإرهاب وتنظيمات العنف الاثني والجريمة المنظمة في مالي: دراسة لشبكة التفاعلات المعقدة"، **مرجع سبق ذكره**، ص16.

[5] **المرجع نفسه.**

والسلطات الدينية والمنظمات المجتمعية والجماعات المتمردة وغيرها.[1]وتحتكر هذه الهياكل القوة وتعضد علاقاتها بأبرز التنظيمات الإرهابية والشبكات الإجرامية هناك والتي تدير أنشطتها الإجرامية غير المشروعة سواء داخل الدولة أو عبر حدودها، وهو ما يؤهلها للهيمنة على الاقتصاد المحلي وتسخيره لمنافعهم الخاصة وبخاصة في مثل هذه المناطق الفارغة من سلطة الدولة والتي ينظر فيها المواطنون إلى المسلحين ومَن على شاكلتهم كجهات فاعلة بديلة للدولة تقوم بأغلب مهامها- من توفير الخدمات الأساسية والسلع والوظائف وغيرها.[2]

2- **نمط الحكم وعلاقته بالجريمة المنظمة وأمن الحدود:** بات انتشار الجريمة المنظمة وما يتمخض عنها من تنظيمات غير قانونية مرتبط إلى حد كبير بنمط الحكم وبخاصة في بلدان الساحل وغرب أفريقيا ومنها مالي لاشك.[3] بمعنى أن التراخي في القيام ببعض وظائف الحكم المنوطة بالدولة قد أدت لانتشار الجريمة المنظمة وهشاشة إدارة الحدود. الأمر لم يقف عند هذا بل أنه تم تسخير أنظمة الأمن وتحقيق العدالة لحماية وتسهيل الأعمال غير المشروعة ما خلق بيئة مشجعة على الجرائم تسمح بالإفلات من العقاب وتُسهل المهام الخارجة عن القانون، فتتضافر الجهود غير المشروعة بين الجهات الحكومية الفاعلة وبين تنظيمات الجريمة المنظمة، فالتغيرات التي تشهدها منطقة غرب أفريقيا تؤدي إلى زيادة معدلات الجريمة المنظمة وهو ما سيُنتج آثاره وتداعياته على كافة ديناميات المجتمع والدولة وأفرادها.[4]

3- **زعزعة شرعية الدولة وتراجع اللجوء لمؤسساتها خاصة المنوطة بتحقيق العدالة:** استمرارًا لغياب الدولة فقد تمكن الجهاديون والرعاة من إرساء سيطرة اجتماعية، وإن كانت محدودة، على السكان المحليين، كقيامهم بإنشاء محاكم بعيدة عن الدولة لحل النزاعات والجريمة، وغالبًا ما يجد السكان المحليون هذه الآليات لتحقيق العدالة أكثر سهولة وأكثر تحقيقًا وأكثر جدارة بالثقة عن العدالة التابعة للدولة، لاسيما في المناطق الريفية والشمالية، تلك البؤرتين التي تعد مركزًا للجريمة المنظمة والإرهاب والهشاشة الأمنية.[5]

4- **الضعف الفني واللوجستي لإدارة الحدود:** وهو ما يتجلى في نقص الكوادر البشرية المؤهلة والمعدات الكافية لقوات الأمن داخل مالي؛ على سبيل المثال نجد أن النسبة الموصي بها على المستوى العالمي هي ضابط أمن واحد لكل 300 نسمة، ولكن في مالي هذه النسبة هي ضابط أمن واحد لكل 3000 نسمة، وهو ما يؤثر لاشك على تأمين الحدود ومن ثم انتشار الجريمة المنظمة.[6]وتتركز الموارد البشرية المحدودة المتاحة تركيزًا كبيرًا في العاصمة والمدن الكبيرة الأخرى. وهذا يترك أجزاء كاملة من الإقليم بدون هياكل أساسية أمنية، وتصبح منافذ لجميع أنواع الاتجار والجريمة المنظمة؛ فالمعدات والوسائل اللوجستية الأخرى لا تفي دائمًا بالاحتياجات والمعايير الدولية.[7]

---

[1]Peter Tinti, **Loc.cit**.

[2]FrankOkyere, **Loc.cit**.

[3]**Ibid**,P.26.

[4]**Idem**.

[5]Marina Caparini, "Conflict, Governance and Organized Crime: Complex Challenges for Un Stabilization Operations", **Published paper in Sipri** (Stockholm: Stockholm International Peace Research Institute, Dec 2022) P.29.

[6]ZeiniMoulaye, "Security Challenges and Issues in The Sahelo-Saharan Region: The Mali Perspective", **Published paper in Friedrich-Ebert-Stiftung** (Bamako: Friedrich-Ebert-Stiftung, 2016) P.5.

5- **الدولة الرخوة و أثرها على الجريمة المنظمة وضبط الحدود:** تأكيدًا على سبق ما وما يمكن أن تنتجه هشاشة الحدود وضعف إدارتها من مخاطر فقد اندلعت في مالي عام 2012 أزمة بالشمال، بمنطقة اعتبرت فيها مراقبة الحدود مهمة صعبة للغاية إن لم تكن مستحيلة. الأمر لم يكن فقط وليد عام 2012 بل اندلعت أزمات بالمنطقة ذاتها في ثلاث مناسبات قبل ذلك منذ استقلال مالي (1962-1964، 1990- 1996، 2006-2009). لكن رجوعًا لأزمة عام 2012 فقد أدت لفقدان الدولة المالية لسلطتها وقبضتها على ما يقارب من ثلثي أراضيها وإدارة المدن في الشمال. ونزح حينها حوالي 360 ألف نازح من أصل 1.2 مليون نسمة بالمنطقة.[1] ورغم الوجود العسكري المكثف بالمنطقة منذ يناير 2013 لا تزال الحكومة وأصحاب المصالح هناك يعتبرون المنطقة غير آمنة، ولا يزال الوصول للمدن الشمالية أمرًا خطيرًا ومعقدًا وخاصة تمبكتو وجاو وكيدال، حيث يعيش السكان في حالة أشبه بالحصار فضلًا عن تعرض حركة البضائع والأشخاص المشروعة للخطر، فضلًا عن تصاعد الأنشطة غير المشروعة وعلى رأسها الجريمة المنظمة، ورغم توقيع اتفاق الجزائر[2] في يونيو 2015 بين الجماعات المتمردة والحكومة المالية، لا تزال شروط الاتفاق غير مفعلة على الأرض.[3]إجمالًا يمكن القول بأن هشاشة الحدود تؤثر على الجريمة المنظمة؛ حيث تؤدي إلى تدفق التحركات غير المشروعة عبرها، من هجرة ونشاط التنظيمات المسلحة والسلع المهربة والمنتجات المحذورة وغيرها، ما يرسخ الانطباع بعدم الأمن بالدولة ويؤكد تصور الدولة الهشة بل ويضفي الشرعية على هذا التصور، ما يؤثر على الاستثمارات من قبل الجهات المانحة وينعكس بشكل عام على استقرار الدولة، فضلًا عن تنامي الشعور بالرضا من المواطنين إزاء الجماعات المسلحة بمناطق الشمال معدومة الأمن، لقيامهم بتلبية الاحتياجات التي عجزت الدولة عن الإيفاء بها.[4]

مما سبق يمكن أن نستخلص بأن هناك جملة من المحفزات المتشابكة والمعقدة متعلقة بالدولة وهشاشتها وأجهزتها وهياكلها الرخوة تلعب دورًا محوريًا وأساسيًا في تفشي أنشطة الجريمة المنظمة وكذلك تزايد المخاطر القادمة من عدم إحكام السيطرة على الحدود وهو ما يوجب وضع هذه المحفزات في الاعتبار خلال طرح أية مبادرات وحلول لتحجيم تلك المعضلتين والتصدي إليهما، وما يغذيهما من عوامل ومتغيرات.

## المطلب الثالث: مخاطر أمن الحدود والجريمة المنظمة بين تحديات متصاعدة وسياسات المواجهة

قبل التعرض إلى أبرز سياسات مالي لمواجهة الجريمة المنظمة وضبط الحدود، لابد أن نشير إلى أن هذه السياسات والمبادرات يعترضها في مالي جُملة من التحديات في طريق التصدي للجريمة المنظمة وضبط الحدود وأمنها، ففي حال تبني

---

[7]**Idem.**

[1]Thomas Cantens and GaëlRaballand, **Op.cit.**, P.2.

[2]اتفاق تم بين مالي والجماعات السياسية والعسكرية المالية، توسطت في إتمامه الحكومة الجزائرية، وجاء نتاج مفاوضات طويلة وقعت في مارس 2015 بالعاصمة الجزائرية. شمل الاتفاق الأطراف الموقعة حكومة مالي المركزية والحركة العربية للأزواد، التنسيقية من أجل شعب الأزواد، تنسيقية الحركات والجبهات القومية للمقاومة، الحركة الوطنية لتحرير الأزواد، المجلس الأعلى لتوحيد الأزواد، والحركة العربية للأزواد (منشقة). وتضمن الاتفاق عدة بنود أبرزها: احترام الوحدة الوطنية، إلغاء العنف، احترام حقوق الإنسان/ تعزيز سيادة القانون، تمثيل لجميع مكونات الشعب المالي في المؤسسات، إعادة تنظيم القوات المسلحة والأمن، التزام الأطراف بمكافحة الإرهاب، تسهيل عودة وإدماج اللاجئين.

[3]Thomas Cantens and GaëlRaballand, **Op.cit.**, P.2.

[4]**Idem.**

السياسات والمبادرات ذات الصلة لتحجيم الوضع فإن الجهود لا تؤتي ثمارها على النحو المطلوب وذلك لعدم معالجة التحديات وجذور الأزمة، وعدم مراعاة جملة من الأمور والتفصيلات. بناء على ما تقدم يتطرق هذا المطلب بشكل أساسي إلى 3 أركان رئيسية؛ الأول: تحديات التصدي للجريمة المنظمة وضبط الحدود، والثاني يعرض سياسات المواجهة على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي، أما الثالث فيعرض ملاحظات حول جهود مواجهة الجريمة المنظمة وأمن الحدود.

**أولًا: تحديات التصدي للجريمة المنظمة وضبط الحدود:**

1- **غياب الحلول المستدامة المرتبطة بالو اقع المالي وديناميات:** واحدة من أخطر المؤرقات التي تواجه مالي في التصدي للجريمة المنظمة على وجه التحديد تتمثل في فشل الاتفاقات ومبادرات بناء السلام في إيجاد بدائل حقيقية ومقبولة للأنشطة غير المشروعة التي تدر عليهم أرباحًا طائلة، فما دامت هذه التنظيمات المنخرطة بالجريمة المنظمة تمتلك روافد جيدة للأموال غير المشروعة[1] فلن يكون لديها أية حوافز للانخراط في الجهود الرامية لبناء السلام وتوطيد الدولة وسلطتها وحكم القانون.[2]لذا نقول بأن فهم ديناميات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياق ككل في هذه المناطق التي يتشابك بها الاقتصاد الرسمي بغير الرسمي، وإيجاد حلول لها هو ما يضمن نجاح هذه الجهود، أما غير ذلك فسيكون محض سياسات هشة لا ترتكز على حلول حقيقية مستدامة ومن ثم لن تغير من واقع الأزمة.[3]

2- **غياب الوعي بماهية المشكلات ذات الأولوية بالحل:** تواجه مالي مسألة هامة تعطل من جهود بناء السلام والتصدي للجريمة المنظمة، تتمثل في أن مبادرات واتفاقات السلام فيما يتعلق بالممارسة العملية لا تهتم بالجريمة المنظمة وما ينجم عنها من تدفقات إجرامية وتهريب، وإن تم التطرق لها يكون بشكل هامشي للغاية، ويتم التركيز بدلًا من ذلك على برامج مكافحة الإرهاب.[4]

3- **نقص الإمكانات وتواطؤ الفاعلين المعنيين:** الأمر الآخر أنه حتى في حين التركيز على الجريمة المنظمة ومحاولة وضع الحلول لمجابهتها فإنه لا يتم إدراك أسبابها الجذرية سواء الاجتماعية أو الاقتصادية، ويعود ذلك لنقص الخبرة وعدم توافر الإمكانات لذلك في حال توافرت الحلول. كما أنه في الكثير من الأحيان يتواطأ بعض من أطراف المبادرات "الفاعلين المعنيين" ذاتهم لعرقلة الحلول، لاستفادتهم من الوضع القائم المتأزم، وهو ما يستبعد أي إمكانية لإنهائه.[5]

4- **تصاعد الازمات والاضطرابات السياسية والنزاعات المسلحة:** أدت الأوضاع غير المستقرة بمالي والنزاع المسلح بها إلى خلق طلب قوي على الأسلحة، ما أدى لتنشيط عمل تنظيمات الجريمة المنظمة، وجعل مالي وجهة رئيسية للأسلحة المهربة من ليبيا عبر النيجر والجزائر وغرب أفريقيا الساحلية عبر موريتانيا وغينيا. ويسهل الاتجار بالأسلحة خاصة في ظل التواجد الأمني الضعيف للدولة في أجزاء كثيرة من البلاد وبخاصة المناطق الشمالية. إضافة

---

[1]Mana Farooghi,**Op.cit**., P.2.

[2]Thomas Cantens and GaëlRaballand, **Loc.cit.**

[3]Mana Farooghi, **Loc.cit**.

[4]**Ibid.,** P..3.

[5]**Idem**.

لهذا فهناك تحول واسع النطاق للأسلحة والذخيرة من الشرطة الوطنية والمخزونات العسكرية والمستخدمة في التجارة غير المشروعة، وقد لوحظ وجود الكثير منها -مخزونات الأسلحة الثقيلة- مستخدمة من قبل الجماعات المسلحة، في حين شكّلت الصواريخ من مخزونات الدولة المحولة للجماعات المسلحة الحد الأدنى.[1]

**ثانيًا: سياسات المواجهة على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي**

**1- سياسات على الصعيد الوطني:**

أ- **إعادة هيكلة المؤسسات الوطنية لتحظى بالشرعية:** يتطلب تنفيذ بعض من السبل والمقاربات لعلاج قصور الحكم في مالي وبخاصة في الشمال ضرورة إنشاء وإعادة هيكلة المؤسسات لتحظي بالقبول والشرعية، وأن تكون قادرة على تقديم الخدمات الحيوية والأمن وبخاصة في المجتمعات المهمشة. كما أنه لابد من الإشارة إلى استحالة وجود تدابير فعالة ومجدية لمعالجة آثار الجريمة المنظمة طالما لم يتم إبعاد الهياكل المحلية الحكومية عن قبضة تنظيمات الجريمة المنظمة، لما يبدر من هؤلاء المسئولين الفاسدين من اشتراك في الجريمة المنظمة من خلال المحسوبية والتسهيلات غير المستحقة والمحاباة من تلك الهياكل الحكومية ومسئوليها تجاه تنظيمات الجريمة المنظمة لقاء الرشاوى والتغاضي عن أنشطتهم غير القانونية وغيرها من الامتيازات غير المشروعة.[2] وهنا تأتي الدعوات المطالبة بضرورة التركيز على تبني مبادئ اللامركزية وزيادة مشاركة المواطنين في صنع القرارات وبخاصة على المستويات المحلية وهو ما يعزز في الأخير من وجود إطار ديمقراطي يسمح بأدوار مشتركة بين المواطنين والدولة ومن ثم تحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي لسكان هذه المناطق.[3]

ب- **دور المجتمع المدني والفاعلين من دون الدولة:** على المستوى الداخلي هناك جهود محلية للتصدي لقصور الحكم والجريمة المنظمة، وفي هذا الإطار تظهر وبوضوح جهود الجهات المحلية ذات الصلة ومنظمات المجتمع المدني مثل الائتلاف الوطني للمجتمع المدني من أجل السلام ومكافحة انتشار الأسلحة الخفيفة، وشبكة غرب أفريقيا لبناء السلام في مالي والتي شاركت في عدة مشروعات لسد الفجوة عن غياب مؤسسات الدولة وبخاصة في المناطق المهمشة كشمال مالي.[4]

---

[1]Marina Caparini, **Op.cit**., P..28.

[2]Mireille Affa'a-Mindzie, "For Progress in Mali and the Sahel, Local Governance Cannot Be Ignored," The Global Observatory, March 5, 2013, At:http://theglobalobservatory.org/2013/03/for-progress-in-mali-and-the-sahel-local-governance-cannot-be-ignored/, April 4, 7:05 pm, 2023.

[3]**Idem**.

[4]FrankOkyere, **Op.Cit**. P.28.

ج- **إشراك المجتمعات المحلية بالمبادرات والبرامج المقترحة:** وذلك لضمان أن تكون هذه المبادرات والبرامج تتلاءم واحتياجات الأفراد وأولوياتهم، على أن تسمح لهم بأخذ زمام المبادرة في تطويرها وبخاصة فيما يتعلق بالاستجابة لأزمات أمن الحدود والجريمة المنظمة.[1]

**2- سياسات على المستوى الإقليمي:**

أ– لا يمكن إنكار بأن هناك جهود من قبل الدولة وعلى مستوى التكتلات الإقليمية كإيكواس وكذلك الجهود الدولية وما يتمخض عنها من مبادرات واستراتيجيات لمكافحة الجريمة المنظمة ولمساعدة الدولة في فرض الأمن عبر حدودها، ولكن في الكثير من الأحيان يغيب التنسيق ما بين كل هذه الجهود ما يؤدي إلى التداخل والازدواجية فيما بينهم، وهو ما تحاول الأمم المتحدة بالفعل عمله، من خلال بذل جهود إضافية لضمان تنسيق استراتيجيات المستويات الثلاثة الوطنية والإقليمية والدولية.[2]

ب– إبرام اتفاق عام 2015 برعاية الجزائر لحسم الصراع السياسي بمالي بين المتمردين والحكومة المالية والذي جاء ضمن أحد بنوده إلزام أطراف الاتفاق بمكافحة الجريمة المنظمة.[3]

**3- سياسات على المستوى الدولي:**

أ- تأسست في عام 2017 مبادرة إقليمية لمكافحة التمرد، وهي مجموعة دول الساحل الخمس، بمشاركة بوركينافاسو وتشاد ومالي وموريتانيا والنيجر، بتفويض يحدد ويربط صراحة الإرهاب الذي ترتكبه الجماعات الإسلامية المتطرفة والمتمردون بالجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية، بالإضافة إلى ذلك فقد تم تدشين عملية برخان لمكافحة التمرد بقيادة فرنسا في عام 2014، وفي العام2020 تأسست فرقة عمل تاكوبا Takoba-بقيادة الاتحاد الأوروبي، وهي قوة دولية متعددة الأطراف لمكافحة الإرهاب ضمت عدة مئات من أفراد القوات الخاصة من 12 دولة على الأقل. وعلى الرغم من هذا الوجود الدولي الكبير، تدهور الوضع في البلاد تدريجيًا، وانتشر العنف داخل مالي وعبر حدودها إلى النيجر وبوركينافاسو.[4]

ب- فيما يتعلق بهذه الجهود الدولية لمعالجة الجريمة المنظمة والأوضاع الأمنية في مالي فلابد وأن تراعي احتياجات المجتمعات المحلية ولا تركز على جوانب وتُغفل الجوانب الأخرى، وهو ما فعلته الأمم المتحدة حين تدخلت؛ فقد تعرضت لعدة انتقادات وذلك لكونها تُولي اهتمامها ومحورها الأساسي حول النواحي العسكرية وصاحب هذا إخفاقًا ملحوظًا في معالجة الهشاشة المستمرة التي تعاني منها المجتمعات، كما أغفلت احتياجات الأفراد وكذلك احتياجهم للنواحي الأمنية في القرى والمجتمعات الريفية بشكل عام. ما أدى إلى استغلال الجماعات

---

[1]Peter Tinti, **Op.cit**.,P.21.

[2]Benno Zogg, **Loc.cit**.

[3]**Idem**.

[4]Marina Caparini, **Op.cit**., p.29

المسلحة لاحتياجات المواطنين وقيامهم بتوفيرها ومن ثم تمركزهم بالمجتمعات الريفية لتمكنهم من استخراج الموارد الموجودة بها ومن ثم استمرار أنشطتهم المتعلقة بالجريمة المنظمة واستمرار الأوضاع المعقدة كما هي.[1]

مما سبق يمكن أن نخلص إلى أن المقاربات المالية فيما يتعلق بالنواحي الأمنية قد تمخضت عن فشل نسبي في مراقبة الحدود، وقيل أن إدارة الحدود تحولت إلى قضية عسكرية من أجل السيطرة على الأفراد، ورغم مساهمات الولايات المتحدة وجهودها وإنفاقها في هذا الإطار وتدريباتها للجيش المالي إلا أنه وفقًا لكارتر مثلًا فقد فشل الجيش الأمريكي في تدريب الجيش المالي لتركيزه فقط على الأبعاد التقنية والتكتيكية دون الثقافية. إضافة إلى الفجوة بين الموارد المستثمرة والموارد اللازمة للسيطرة على مثل هذه المناطق الشاسعة. كما تم التطرق إلى أن مراقبة الحدود انطوت على حلول وتدابير قمعية وتقنية فقط، دون التعاون الوثيق بين الحكومة والممثلين السياسيين والخدمات التشغيلية. كما ينبغي توافر الثقة المتبادلة بين الرؤى السياسية الوطنية المشتركة لإدارة الحدود، وأن تمتد هذه الثقة إلى البلدان المجاورة ذات المصلحة بمراقبة إدارة الحدود، كالجزائر على سبيل المثال.[2]

وتأسيسًا على ما تم ذكره فلابد من تبني نهج لبناء السلام يسمح بترسيخ سلام شامل، بمعنى أنه يعتبر المفسدين وأطراف الأزمة جزءًا من المعادلة، وأن يعتبرهم كأشخاص يحتاجون إلى فهمهم وأن يكونوا جزءًا من هذه الحلول.[3] إلى جانب الاستراتيجيات الدولية للحد من الجريمة المنظمة فلا بد لاستراتيجيات المواجهة للجريمة المتجذرة في المجتمعات أن تقلل من عوامل الانخراط والدعم المحلي للنشاط الإجرامي في مالي. كما أنه على الجهات المحلية تقليل درجة التسامح مع مثل هذه الجرائم، مع التركيز على مواجهة تواطؤ الدولة وموظفيها المعنيين بإنفاذ القانون على المستوى المحلي وبالتالي تأكيد ثقافة الإفلات من العقاب.[4] كما تظهر ضرورة أن تشمل المبادرات المعنية بمكافحة الجريمة المنظمة وضبط الحدود أصحاب المصلحة المحليين، وأن يتم فهم ما لديهم من حوافز ودوافع إزاء هذه الممارسات لمحاولة إيجاد الحلول والبدائل لهم، مع زيادة الوعي لديهم بمخاطر هذه الممارسات على أمن المواطنين والمجتمع ككل.

وأخيرًا يمكن تعزيز كل ما سبق من جهود بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام والتي تستطيع أن تلعب دورًا مركزيًا في إثارة نقاش عام حول هذه الممارسات وتحسين الوعي العام إزاء خطورتها والانخراط بها أو حتى السكوت عنها، في حال عدم المشاركة بها.[5]

## خاتمة

على صعيد التساؤل الرئيسي للدراسة والذي كان يدور حول مدى تأثير مخاطر أمن الحدود على الجريمة المنظمة في مالي، فقد وجدنا كيف أن هذا المدى بالغ التأثير والنطاق، وذكرنا إخفاق الدولة في السيطرة على تصاعد الجريمة المنظمة والذي ارتبط بعدة متغيرات كان أبرزها الخلل الناشئ عن إدارة الحدود وبخاصة بالمناطق الشمالية، ما أدى في الأخير إلى تفاقم حالة الجريمة المنظمة نتيجة لهشاشة الحدود داخل دولة مالي.

---

[1]**Idem**.

[2]Thomas Cantens and Gaël Raballand, **Op.cit**., P.6.

[3]Mana Farooghi, **Op.cit**., P.7.

[4]**Idem**.

[5]**Idem**.

يؤكد ما سبق التعهدات المتكررة من قبل الدولة المالية بإحكام السيطرة على الحدود ومن ثم عمليات التهريب التي تتم عبره وبخاصة ما يتعلق منها بالاتجار بالبشر والجريمة المنظمة بشكل عام، وهو ما يبرز فشل الدولة المالية حتى الآن في تلبية الحد الأدنى من المطالب الدولية في هذا الأمر. كما كانت من بين مشكلات الدولة المالية في مكافحة ذلك ما يتمثل في عجزها عن اختراق التحالف القوي الذي يجمع التنظيمات الإرهابية بتشكيلات الجريمة المنظمة فضلًا عن استغلالهم الجيد للجغرافيا والحدود المالية.[1]يتجسد الأمر بشكل واضح في وسط وشمال مالي على وجه التحديد والتي لا تحظى الدولة بهما بوجود قوي على تلك البقعتين سواء أمنيًا أو خدميًا، ما يجعلها فريسة سهلة للجماعات الجهادية والإجرامية وهو ما يحدث بالفعل، لذا فعلى الجهات الفاعلة -داخلية كانت أو إقليمية أو دولية- التي تضع حلول للأزمة أن تضع على أجنداتها هذه المجتمعات واحتياجاتهم وأهمية عودة دور الدولة بهذه المناطق لسد أي ثغرات قد تستغلها هذه التنظيمات.[2]

من جهة أخرى لابد من الإشارة إلى أنه من غير الممكن لأي من الجهود المالية أو التي تتم على المستوى الإقليمي أو عبر الفاعلين الدوليين والمؤسسات الدولية ذات الصلة بالوضع في مالي أن تؤتي أثرها دون أن يتم تفكيك التفاعلات بين التنظيمات المختلفة الإرهابية والإجرامية وذلك من أجل قطع الإمدادات المفتوحة والمساعدات المتبادلة فيما بينهم والتي تؤثر كثيرًا في وجودها وقوتها على الأرض، ومن ثم يمكن مجابهتها والتصدي لها.[3]

في الأخير، فيما يتعلق بالسيناريوهات المستقبلية لحالة الجريمة المنظمة وأمن الحدود داخل مالي؛ يتوقع البعض -وهو الرأي الأقرب للتبني وفقًا لمعطيات الواقع المالي- أن تستمر الأزمة في مالي لاستمرار المحفزات والأسباب التي تؤجج من الجريمة المنظمة وكذلك تُضعف من ضبط أمن الحدود، وبخاصة مع بقاء مجموعة أساسية من الأسباب المؤدية لتفاقم التوترات الكامنة وبخاصة داخل المجتمعات المحلية كشمال مالي، ما أدى لصراع مفتوح، زاد منه فشل الدولة وتراجع الديمقراطية وفساد المجتمع المحلي والافتقار للتنمية وتقديم الخدمات في كل من الشمال والجنوب، فضلًا عن القضايا العالقة كالتهميش السياسي والاقتصادي وبخاصة للشمال، إضافة لانعدام الثقة في قوة القانون وإنفاذ أحكامه، واستقرار الجماعات المتطرفة في الشمال وتنظيمات الجريمة المنظمة وتفاعلاتها وصلاتها المؤكدة مع التنظيمات الإرهابية والتي زادت مع ضعف أمن الحدود.[4]

---

[1]د. أحمد أمل، "الإرهاب وتنظيمات العنف الاثني والجريمة المنظمة في مالي: دراسة لشبكة التفاعلات المعقدة"، **مرجع سبق ذكره**، ص18.
[2]Peter Tinti, **Op.cit**, P.19.

[3]د. أحمد أمل، "الإرهاب وتنظيمات العنف الاثني والجريمة المنظمة في مالي: دراسة لشبكة التفاعلات المعقدة"، **مرجع سبق ذكره**، ص2.
[4]Mana Farooghi,**Op.cit**., p.2.

# قائمة المراجع

**- المراجع باللغة العربية**

**أولًا: مقالات في دوريات**

1- د. أحمد أمل، "مهددات أمن الحدود في أفريقيا: الأسباب والمظاهر وسياسات الاستجابة"، ***مجلة السياسة والاقتصاد***، (بني سويف: جامعة بني سويف، كلية السياسة والاقتصاد، المجلد (14)، العدد (13)، يناير 2022).

2- _____، "الإرهاب وتنظيمات العنف الاثني والجريمة المنظمة في مالي: دراسة لشبكة التفاعلات المعقدة"، ***المجلة العلمية للدراسات التجارية والبيئية*** (السويس: جامعة السويس، كلية التجارة، المجلد (12)، العدد (3)، 2021).

3- مصطفى كراوة، "ظاهرة الجريمة المنظمة في منطقة الساحل الأفريقي وسبل مواجهتها"، ***مجلة آفاق علمية*** (القبة: جمعية الآفاق العلمية، المجلد (12)، العدد (1)، يناير2020).

**ثانيًا: مصادر الإنترنت**

- مؤشر الجريمة المنظمة العالمي، المبادرة العالمية لمكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية، 2021، متاح على الرابط:

https://ocindex.net/assets/downloads/global-ocindex-report-arabic.pdf

**- المراجع باللغة الأجنبية**

**A-Book:**

- Serrat, Olivier , Knowledge Solutions: Tools, **Methods, and Approaches to Drive Organizational Performance**, (Mandaluyong: Springer & Asian Development Bank, 2017).

**B- Published papers**

1- Cantens, Thomas and Raballand, Gaël, "Fragile Borders: rethinking borders and insecurity in Northern Mali", **Published paper in Global Initiative against Transnational Organized Crime** (Geneva: GITOC, Nov 2016).

2- Caparini, Marina, "Conflict, Governance and Organized Crime: Complex Challenges for Un Stabilization Operations", **Published paper in Sipri** (Stockholm: Stockholm International Peace Research Institute, Dec 2022).

3- Farooghi, Mana, "Sustainable approaches to organised crime in Mali and the Sahel", **Published paper in International Alert** (London: International Alert, November 2014).

4- Galletti, Chiara and Raineri, Luca,"Organized Crime in Mali: Why It Matters for a Peaceful Transition from Conflict", **Published paper in International Alert** (London: Intrtnational Alert, Sep 2016).

5- Moulaye, Zeini, "Security Challenges and Issues in The Sahelo-Saharan Region: The Mali Perspective", **Published paper in Friedrich-Ebert-Stiftung** (Bamako: Friedrich-Ebert-Stiftung, 2016).

6- Okyere, Frank, "Statebuilding, Local Governance, and Organized Crime in Mali", **Published paper in International Peace Institute** (New York: International Peace Institute, 2015).

7- Tinti, Peter, "Organized crime and international stabilization efforts in Mal", **Published paper in Global Initiative Against Transnational Organized Crime** (Geneva: Global Initiative Against Transnational Organized Crime, Feb 2022).

**C- Internet Sources**

1- Affa'a-Mindzie, Mireille, "For Progress in Mali and the Sahel, Local Governance Cannot Be Ignored", The Global Observatory, March 5, 2013, At: http://theglobalobservatory.org/2013/03/for-progress-in-mali-and-the-sahel-local-governance-cannot-be-ignored/, April 4, 7:05 pm, 2023.

2- Survey, Small Arms, At: https://www.smallarmssurvey.org/

3- Ocindex,"Global Organized Crime Index- Mali", 2021. At: https://ocindex.net/country/mali, April 4, 8:30 pm, 2023.

4- Zogg,Benno , "Organized Crime: Fueling Corruption and Mali's Desert War", The Global Observatory, Feb 2018, At: https://theglobalobservatory.org/2018/02/organized-crime-corruption-mali/, April 4, 7:40 pm, 2023.

# شذرات عن الشأن الصحي في المجتمع المغربي: ما بين كورونا والطاعون في الثقافة الشعبية

## ملاحظات وتقاطعات من وحي جائحة كورونا وأوبئة الطاعون

إسماعيل الراجي

باحث في سلك الدكتوراه

مختبر التراب والبيئة والتنمية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-القنيطرة

**ملخص:**

تروم هذه المقالة تقديم اضاءات ومتعلقات بالصحة والمرض من حقل العلوم الاجتماعية. لاسيما من خلال تحليل العلوم الاجتماعية التي تعد من بين العلوم التي تجعل الوقائع الصحية ضمن مباحثها. وعليه، جاءت المقالة في أربعة محاور تنتقل من العام إلى الخاص، يتعلق المحور الأول بجائحة كورونا وصدمتها للمجتمعات. بينما المحور الثاني تم فيه إعطاء شذرات عن موضوع الصحة في التناول العلمي من خلال براديغم العلوم الاجتماعية. في حين خصص المحور الثالث لتقديم نبذة تاريخية عن الشأن الصحي المغربي وما ألم به من أوبئة على وجه الخصوص الطواعين. وأخيرا في المحور الرابع رصدنا ملامح عن علاقة الشأن الصحي باستعمار المغرب خلال الحقبة الكولونيالية وشذرات عن الذهنيات المغربية في التعامل مع الأوبئة والامراض من وحي الثقافة الشعبية.

**الكلمات المفتاح:** كورونا، عصر العلم، الصحة، الأوبئة، الطاعون، المرستانات، الطب، الثقافة الشعبية.

**Summary:**

**This article aims to provide health and disease highlights from the field of social sciences. Especially through the analysis of social sciences, which are among the sciences that make health facts within their investigations. Accordingly, the article came in four axes that move from the general to the private, the first axis is related to the Corona pandemic and its trauma to societies. While the second axis was given nuggets on the subject of health in the scientific approach through the paradigm of the social sciences. While the third axis was devoted to providing a brief history of the Moroccan health situation and the epidemics it suffered, especially plagues. Finally, in the fourth axis, we monitored features of the relationship of health affairs with the colonization of Morocco during the colonial era and fragments of Moroccan mentalities in dealing with epidemics and diseases inspired by popular culture.**

**Keywords: Corona, Age of Science, Health, Epidemics, Plague, Marstanat, Medicine, Popular Culture.**

## مقدمة

تشابكت الأزمات خلال العقود الاخيرة على المجتمعات، ما بين أزمات ماكرو وميكرو سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية، أدخلت المجتمعات في دائرة الخوف واللايقين، كما عبرت على ذلك مجموعة من الاطروحات النقدية لمجتمع الحداثة وما بعدها. فما أن تخمد أزمة حتى تنفجر أخرى، مدخلة المجتمعات في نفق مظلم من الإشكالات والأزمات التي تناسلت كالفطر في مجتمع الحداثة، الذي أصبح بحكم أزماته يعيش صدمات متتالية جراء المخاطر والكوارث_ التي منها من هو يتسبب في وجودها، ومنها من هي قادمة من عوالم خارجة عن الإمكانيات البشرية _، كان أخرها صدمة جائحة كورونا التي اخترقت جدار الحدود السياسية السميك والثقافية، وتجاوزت المنظومات الدفاعية-الصحية لكل بلد، بل والبلدان مجتمعة، ما أدخل الدول، والأمم ومجتمعاتها في زمن قهري، انتكس فيه الجميع، وخضع لإملاءات الجائحة التي أعادت قضية الصحة والمرض للواجهة بعد أن خمد ضجيج الأوبئة والجوائح الحرجة لسنوات. من خلال أرضية هذه المقدمة سنحاول أن نقدم في هذه المقالة أربعة محاور: المحور الأول خصصنه لمقدمة حول صدمة كورونا للوعي المجتمعي. بينما المحور الثاني خصصنها مدخلا عن موضوع الصحة والمرض من وحي العلوم الاجتماعية، ورمنا فيه تناول سيرورة تشكل العلوم الاجتماعية، ولمحة عن منهجها وبعض من نظرياتها. ومنه، الوقوف على أهمية الصحة والمرض في الحقل السوسيولوجي والانثربولوجي. بينما في المحور الثالث، قمنا بتخصيصه لتقديم نبذة تاريخية مقتضبة عن "الموت الأسود"، فمن مدخل الموت الأسود إنتقلنا لرصد أوبئة-الطواعين التي ضربت المجال المغاربي ما بعد سنة 1350م إلى الحقبة الاستعمارية. وأخيرا لا أخرا، في المحور الرابع، تناولنا فيه شذرات عن تجليات الفهم الاجتماعي في الثقافة الشعبية لقوام الصحة والمرض والمداواة في المجتمع المغربي من خلال مظان بعض الكتابات، والملاحظات الميدانية المعبر عنها في اللغة اليومية، ومن وحي بعض العادات والتقاليد والطقوس التي تمارس من قبل المجتمع أثناء نزلة المرض، معتمدين على الملاحظات الميدانية في الحياة اليومية بالقرية(المجتمع القروي) التي ما تزال ساكنتها تحافظ على الحبل السري بين الماضي والحاضر في عدة عادات وتقاليد في المجتمع المغربي، ومن أوجه ذلك ؛ عادات وتقاليد المداواة وتمثلات قوام الصحة والمرض.

وفي الختام، تعد كل من الأسئلة الأتية من الأسئلة المؤطرة للمقالة التي نسعى لتقديم إجابات عنها في متن المقالة:

- ما الملامح العامة لصدمة جائحة كورونا؟
- هل فعلا أعادت جائحة كورونا قضية الصحة والمرض للواجهة من منظور العلوم الاجتماعية؟
- ما حقيقة الظاهرة الصحة من المنظور السوسيوانثربولوجي؟
- كيف كان تاريخيا التعامل مع الأوبئة الفتاكة كالموت الأسود؟
- ما أكثر الأوبئة فتكا وترددا في تاريخ المغرب ما بعد سنة 1350م؟
- ما علاقة الصحة بالاستعمار في المغرب خلال الحقبة الاستعمارية؟
- ما النظر العامة لشأن المرض في الثقافة الشعبية المغربية؟

## أولا: صدمة كورونا..لا شيء جديد

### 1- استمرارية المخاطر الصحية وميلاد المخاطر البيئية

شكلت جائحة كورنا منعطفا تاريخيا في الزمن الراهن، نظرا لما ترتب عنها من ارتدادات؛ خلخلت الذهنيات الاجتماعية، وأربكت السياسيات العمومية والاقتصادية، وبعثرت أوراق العلاقات الدولية. وكانت الجائحة وراء حصار الفرد والمجتمع في المعمورة؛ تارة بخطر الإصابة والمرض بكورونا وتارة بالموت به. كما كانت وراء زيادة عزلة المعزولين في المجتمع، وزادت في منسوب

اللايقين، ومن حالة الشعور بالخوف في مجتمع المخاطر[1] الذي دخل نفقا مظلما من أنفاق الأزمات التي تتجاوز الحدود والثقافات. ليست الجوائح-الصحية بالجديد على الوجود الانساني، بل "لا تخلو فترة تاريخية، من القديم إلى المعاصر مرارا بالفترتين الوسيطية والحديثة، من ظهور أمراض وأوبئة ومجاعات وكوارث طبيعية"[2] إذا، هي استمرارية لما تفجر من أمراض وأوبئة فتاكة خلال الحقب الماضية. من مفارقات الزمن الراهن، تحيط بالمجتمعات أمراض خطيرة تفتك ببعض المجتمعات في صمت- كالسيدا وأمراض الفقر، ونحوها من الأمراض، والفيروسات التي انتشرت في العقود الأخيرة، فالإضافة إلى التهديد الذي يأتي من جانب الأمراض والفيروسات، تطور وتعاظم التهديد القادم من البيئة بفعل دينامية التصنيع، والتطور التكنولوجي؛ كما، ونوعا. بل، مجتمع الحداثة يقبع في شبكة من المخاطر من نسيج اختياراته الاستراتيجية، تصنف أكثر فتكا من عدة أوبئة في التاريخ. فلو حدث أي خلل أو سوء تدبير _الخطر النووي_ أو الوصول لدرجة احترار الأرض لنقطة اللاعودة، فإن كوكب الأرض سيكون تحت دائرة الكارثة. ومنه تخيل السيناريوهات الممكنة والمحتملة، فلم يعرف مجتمع من المجتمعات السابقة، مخاطرا بقدر المخاطر الحالية التي تعد متعددة الابعاد وغير مفارقة معها السيادة الحدودية وتنوع العرقي والثقافي فالكل تحت دائرة المخاطر وأزماتها. إنه فعلا "خلل يعتري عالمنا اليوم. الذي لم تعد الأخطار المستفحلة فيه تستثني حدودا جغرافية أو دولة. فهي تمحو كل حدود وطنية وتمس مجالات حيوية"[3].

لقد كان زمن كورونا طويلا(نسبيا) على المجتمعات، حينما كان فيروس كوفيد-19 يسقط ضحاياه، وعصيا على مختبرات الفيروسات؛ فهذه الأخيرة بكل أمجادها في الحد من الأمراض، والأوبئة والقضاء عليها، وكذا تاريخها البحثي العريق والمجيد "عجزت" _في حينه _أمام هذا الفيروس التاجي، فلم يعرف له وصفة أو مصل يشفي غليل مريض، ويطمئن المجتمعات_ إلا بعد حين_ من تجربة "الخوف واللايقين"[4] الجماعي. وهذا ما أرق المجتمعات، والحكومات التي تنتمي لها، بمن فيهم، مجتمعات الدول المتقدمة، الذين يعشون في بلدان متقدمة تنوميا، والتي لها باع في سياسات الصحية حيث تنعم بأجود المستشفيات، وتقدم لها أنجع وسائل العلاج، وأحدث الأدوية..إلخ. بينما دول العالم الثالث، حيث تقبع العديد من مجتمعات بلدان هذا العالم في براثن الفقر، والحرمان، والمرض والتخلف التنموي العام؛ مصدومة هي الأخرى_ كما مجتمعات الدول المتقدمة_

---

1 في قاموس علم الاجتماع، يدل مفهوم "مجتمع المخاطر" على سيرورة التغير في زمن الحداثة، الذي عرفت خلاله المجتمعات مجموعة من التحولات السياسية والاقتصادية والثقافية. ويرجع ذيوع مفهوم مجتمع المخاطر، حسب بعض الكتابات إلى فترة التسعينيات من القرن الماضي، حيث قام بعض الباحثين في العلوم الاجتماعية، بتقديم العديد من القراءات التحليلية والنقدية لمجريات وسياقات ومآلات مجتمع الحداثة؛ هذا المجتمع الذي بات في دوامة من المخاطر الاجتماعية والبيئية حسب العديد من السوسيولوجين. ويعد عالم الاجتماعي الألماني ألريش بيك(Ulrich Beck)، أحد العلماء الذين انبروا لدراسة عالم المخاطر في العالم المعاصر، ليقدم دراسة بعنوان: "Risikogesellschaf" للمزيد حول هذه الاطروحة أنظر: أولريش بيك، مجتمع المخاطرة، ترجمة جورج كتورة وإلهام الشعراني، ط1(بيروت، المكتبة الشرقية،2009).

2 للمزيد أنظر: سعيد البوزيدي، المؤرخ والجوائح: بين العبرة وإعادة الاعتبار. في المؤلف الجماعي لجامعة ابن طفيل: الحياة ...في زمن الفيروس التاجي "كوفيد-19" ط1( جامعة ابن طفيل، مطابع الرباط نت، الرباط المغرب،2020)، ص 25.

3 للمزيد أنظر: شفيق عبد الغني، الرابط الاجتماعي وتدبير الأوبئة في مجتمع المخاطر. في المؤلف الجماعي لجامعة ابن طفيل: الحياة ...في زمن الفيروس التاجي "كوفيد-19"، المرجع السابق، ص 78.

4 يقول عزمي بشارة عن الخوف واللايقين: "الخوف واللايقين يقيّدان حرية الفعل تمامًا؛ مثل الحتميات والضرورات. ثمة وباء نجهل كيفية التعامل معه، يتحكّم فينا وفي سلوكنا. وربما يحرّرنا البحث في البيولوجيا وعلوم الأوبئة والفيروسات لتسخيرها في اكتشاف علاج أو لقاح ضد الوباء. معرفة الحتميات الطبيعية قاعدة مهمة للحرية الإنسانية، فلا حرية في الطبيعة. ولكن قد يستعبدنا الاعتقاد أننا سيطرنا على الطبيعة من خارجها فنرتكب، بناء على هذا الاعتقاد، حماقات أخرى"، للمزيد أنظر: عزمي بشارة، جبر الخواطر في زمن المخاطر: الناس والوباء، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2020، سلسلة مقالات، على رباط موقع الموقع المركز: https://www.dohainstitute.org/ar/ResearchAndStudies/Pages/Azmi-Bishara-Contemplations-Covid-19-Pandemic.aspx شهد في 02/07/2023.

أمام صدمة جائحة كورونا، التي أملت حالة الطوارئ الصحية، فتحول الوبائي لفيروس كورونا لحالة الجائحة خلال سنة 2020، أعاد البشرية لاتخاذ أقدم احتراز للصحة العامة وهو الحجر الصحي.

من أثار جائحة كورونا بلا منازع حينما طوقت الجائحة المجتمعات، أنها خيمت على العقل الجمعي بكل سردياته التاريخية الكبرى، وحاصرته في شبكة من الضياع، والشك، وفي دوامة من القلق والخوف. إذ كانت موجة الفيروس و"طقوس" الحملة الاعلامية المصاحبة له، قادرة على قدح في الذهنيات المجتمعية كل السيناريوهات السيئة الممكنة، فتاريخ الماضي القريب والبعيد، شاهد على شدة الجوائح الصحية، كالإنفلونزا الاسبانية(1918) خلال القرن العشرين، والموت الأسود(1348) خلال القرن الرابع عشر. حيث نجم ما نجم من شدة الجائحة؛ الأوبئة، التي تتابعت في موجات على الأمم والشعوب من عقد إلى عقد ومن قرن إلى قرن. فما يزال الامن الصحي لليوم حسب ما عرف خلال العقود الماضية من تعاقب ظهور الفيروسات والامراض وتحوراتها يعبر عن استمرارية خطر الامن الصحي، الذي انضاف له مستجد جديد لم تعرفه المجتمعات السابقة على المجتمع الصناعي الخطر البيئي القادم من جراء التغير المناخي وخطر التقدم العلمي والتقني وما خفي في المختبرات السرية.

## 2- صرخات وتضرع

تعد جائحة كورونا وما رافقها من إجراءات وقائية وتداعيات، لحظات اجتماعية عبرت عن لحظات الخوف والشك واللايقين الجماعي، الذي عايشته أجيال قبل الأجيال الحالية، سواء خلال الحرب الباردة، أو خلال الحرب العالمية الثانية والأولى، وما كان في العقود الماضية من القرن السابق من أوبئة كانفلونزا الاسبانية، وغيرها من الجوائح التي ألمت بالمجتمعات والأمم. كانت هذه الأزمات-الأوبئة سببا في مسلك آخر من مسالك التاريخ والدول والأمم، حيث اعتملت النوازل الكبرى في رسم تاريخ جديد. من المفارقات التاريخية في تاريخ الأوبئة والامراض، أن الأوبئة المعاصرة تجتاح في زمن تمتلك فيه بعض البلدان رصيدا كبيرا من العلم والتكنولوجيا والموارد، والاختراعات الصحية التي تدخل ضمن استراتيجيات الوقائية. ومن الملاحظات المسجلة بقوة في أوج جائحة كورنا خلال سنة 2020، اعتمال عامل الاشاعة، فقد صاحب موجة كورونا، فيروس الجهل المركب المتمثل في موجات من الاشاعات[1] ، إذ شكل بث الاشاعات في زمن كورونا وتناقلها وتشاركها في وسائل التواصل عن سقوط الناس موتى في الشوارع العامة _ وكأنهم أبيدوا بمبيدات سامة_ أحد العوامل التي اعتملت في وقع حدة جائحة كوفيد-19 على الفرد والمجتمع من الناحية النفسية، فقد زندت الاشاعة، شرارات الخوف من المرض والاحتضار. وبالتوازي مع هذا المشهد الاجتماعي-الدولي الذي طغى عليه الشك والريبة والتخبط في قرارات مختلف حول نجاعتها، وحالة المشهد الجمعي المشدود على أعصابه من تجربة العزل والحجر الصحي والتزام المسكن، في هذا الظرف الصعب، زاد الاختلاف بين المتخصصين (خبراء الفيروسات، والبيولوجيين، والأطباء، وخبراء صحة..) حول ماهية كورونا (المتلازمة التنفسية الحادة والوخيمة التي يتسبب فيها الفيروس التاجي الثاني) في المناظرات المتلفزة من الريبة والشك فيما يتعلق ب"كورونا". قد تختلف آراء المختصين، لكن الأرقام مهما "كذبت" فهي شاهدة على الازمة في يوميات كورونا، لا سيما لم يتوقف الاعلام عن الإعلان عن عدد الوفيات والإصابات، إذ هي جزء من النشرات الإخبارية الرئيسة.

تباينت الصرخات في دوامة جائحة كورونا، بكل أشكال التعبير الممكنة، حسب الثقافات وردود الفعل من فرد إلى فرد، ومن مجتمع إلى مجتمع، الكل يتمسك بحبل النجاة، ولو بقشة سريالية، تحرر العقل من عقال الظرف الطارئ، وتسبح به خارج

1 هذا ما رصد في عدة بلدان، وعبرت عن موضوعيه عدة مقالات على منابر الجرائد والمجلات: أنظر مثلا: أسامة الرشيد، "كورونا وفيروس الأخبار الكاذبة.. أعراض مضاعفة!" في مجلة الصحافة-الجزيرة، على الرابط الاتي: https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/1126 شهد في 15/05/2023.

نطاق الوعي بتاريخ الجوائح التي ألمت بالبشرية في التاريخ. فبجدارة واستحقق، عدت أزمة جائحة كورونا تراجيديا من تراجيديات الزمن الراهن ما اختلاف وطأة نازلة الموت. فقد قلبت هذه الجائحة على المجتمعات صفحات سوداء من تاريخ الجوائح الصحية التي حصدت ملايين الأرواح، كما كشفت القناع عن ماهية النظام الدولي، وعن العلاقات الدولية، وعن أزمات الدول والمجتمعات اقتصاديا وثقافيا وصحيا...كما كشفت الخطابات. ولقد عرت جائحة كورونا عن قدرات المنظومة الصحية لكل دولة على حدى وللدول مجتمعة ففي بعض البلدان من العالم قد لا تصمد أمام وباء مدة 24 ساعة، وتنهار المنظومة الصحية والمؤسسات!

أمام حالة الخوف واللايقين في زمن الجوائح، تحضر الاعتقادات والعادات والطقوس، حيث كان الدين حاضرا بقوة، حيث تدرعت الأيادي لله عز وجل، من منابر الديانات السماوية، واعتقادات الديانات الوضعية، واستدعيت كل الوصفات والتمائم، والحرائز من درج الثقافات الشعبية، وحضرت الوصفات التي قال بها "العشابون" من أجل منع عدوة كورونا، والتصدي لهذا الفيروس التاجي الذي قيل أن هناك وصفات من صيدلية العادات والتقاليد الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض، قادرة على ما عجزت عليه مختبرات الفيروسات، وعجزت مداواته من علم الطب الذي شيد من ما قبل أبيقراط إلى أبو بكر الرازي إلى لويس باستور...إلخ. وهنا يطرح سؤال الذهنيات في صدمات الازمات الكبرى للمجتمعات؟ تعصف الجوائح الصحية بالذهنيات، يصبح حديث الساعة الصحة والمرض، وهذا ما شهدته المجتمعات في زمن كورونا البطيء، حيث كان أفراد المجتمعات ومن وحي ثقافتهم الشعبية يدلون بدلوهم، عن "النهايات" و"المؤامرات" وكذا "العقابات"...إلخ.

من حسنات جائحة كورونا، استعدت موجة موازية لها من حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية من أجل التفكير في القضايا التي تطرحها الجوائح على المجتمع ومؤسساته، فها هي جائحة كرورنا التي فرضت وضعيات غير مألوفة-نسبيا على أفراد المجتمع الجدد، تدعوا جميع الفاعلين إلى التفكير في الصحة والمرض. هذه الحركة في العلوم الإنسانية والاجتماعية أكدت على "أن الجوائح عموما هي من الوقائع الملازمة لكل المجتمعات وليست استثناء في وجودها"[1].

## ثانيا: الصحة والمرض والعلوم الاجتماعية

1- عصر العلم

تحيل لفظة "علم" في الحقل المعجمي العربي ما معناه إدراك الشيء بحقيقته. وفي الاصطلاح العلمي في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ يعد العلم "نشاطا يهدف إلى زيارة قدرة الإنسان في السيطرة على الطبيعية"[2]، حسب مؤرخي العلوم(Historiens des sciences)، ولدت كل العلوم الإنسانية والاجتماعية، من رحم الفلسفة؛ وقد تم سيرورة التقدم العلمي، الانتقال من عصر الفلسفة إلى عصر العلم[3]، حيث كان ميلاد العلم الحديث أسبق من العلوم الاجتماعية والإنسانية، بمئات السنين، ويؤرخ لميلاد العلم الحديث بنشر كتاب كوبرنيك(Des révolutions des orbes célestes) سنة 1543[4]. وفي الأدبيات المؤرخة للعلوم، يعد القرن 19م، قرن العلم بامتياز، حيث أصبح العلم، مهنة العلماء وعصر التخصص العلمي حسب الفيلسوف

1 للمزيد أنظر: مبارك الطايعي، الجوائح والمجتمع من القلق والخوف إلى التدبير والتجاوز. في المؤلف الجماعي لجامعة ابن طفيل: الحياة ...في زمن الفيروس التاجي "كوفيد-19"، المرجع السابق، ص102.

2 علي معمر عبد المؤمن، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: الأساسيات والتقنيات والأساليب، ط1 (ليبيا، منشورات جامعة 7 أكتوبر، 2008)، ص 18.

3 محمد حبيدة، المدارس التاريخية: برلين، السوربون، استراسبورغ، ط1 (الرباط، دار الأمان، 2018)، ص 20.

4 سالم يفوت، ابستمولوجيا العلم الحديث، ط2(الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2008)، ص 9.

أوغست كونت(Auguste Comte) [1]. ومن الجدير بالإشارة حسب ذكر اسم كونت الذي: يرى أن البشرية مرت بثلاثة مراحل في التفكير؛ جاءت موزعة على تسميات التالية: المرحلة الأولي، تتعلق بالطور اللاهوتي. بينما المرحلة الثانية، تتعلق بالطور الميتافيزيقي، في حين أطلق على المرحلة الثالثة والأخيرة- وهي آخر أطوار الفكر البشري-الطور الوضعي، أي الحالة الوضعية، التي جعلها كونت، قمة تطور الفكري البشري. ومن خصائص الحالة الوضعية عنده، أنها حالة "تقوم أساسا على اعتبار الظواهر خاضعة للقوانين، وأن مهمة البحث العلمي هي العمل على كشف عن هذه القوانين، أي بيان شروط وجود الظواهر، لا أسبابها الأولى والأخيرة. ان المهم والاساسي- في نظر أوغست كونت- هو بيان كيف يحدث الشيء، لا البحث في <ماذا حدث>؟"[2].

وعلى ضوء تحول الفكر، إلى مرحلة العلمية، شكل العلم قضية مركزية في التفكير الاجتماعي ويقول الفيلسوف وعالم الاجتماع إدغار موران(Edgar Morin) حول هذا مفارقات تطور العلم وعلاقته بالمجتمعات، أن "العلم ينشأ من المجتمع ويتجذر في المجتمع فإنه يفرض نفسه بازدياد في المجتمع وعليه وهذا بدوره يفرض نفسه في العلم وعليه. إنه يحدد الواقع والحقيقة واليقين داخل الحضارات التقنية ويخضع إلى جانب ذلك لوقائع هذه الحضارة وحقائقها ويقينياتها. العلم والتقنية والمجتمع أصبحت قائدة ومسيرة في دوامة تكون مسيطرة ومسيطرة عليها مخضعة وخاضعة على التوالي. وصارت هذه الدوامة مصير كوكبنا(...) كان الناس يظنون منذ قرن من الزمان أن العلم يؤدي إلى تحرر البشرية. ونرى اليوم أنه قد يؤدي إلى استعباد الانسان وإلى الانفجار العالم. لم يحسم شيء من هذا بعد"[3] يقول موران.

من بين المناهج المعتمدة في العلوم الاجتماعية، المنهج التاريخي أو كما يطلق عليه عبد الرحمن بدوي "المنهج الاستردادي"[4]. فالمنهج التاريخي، يمكننا من مقاربة الظواهر التي حدثت في الماضي. وفي حقل علم الاجتماع، يقال: كل عمل سوسيولوجي في أمس الحاجة إلى معطيات التاريخية، والعكس صحيح، فالسوسيولوجيا والتاريخ، حسب عالم الاجتماع لوسيان غولدمان(Lucien Goldmann) "تشترك مع التاريخ في موضوعه ذلك أن كل واقعة اجتماعية تعتبر تاريخية والعكس وينتج عن هذا أنه ليس بالإمكان أن نتصور تاريخا منفصلا عن السوسيولوجيا، ولا سوسيولوجيا منفصلة عن التاريخ، فالرصد الحقيقي للوقائع لا يمكن أن يتم إلا بواسطة تاريخ سوسيولوجي أو سوسيولوجية تاريخية"[5]. وتؤكد السوسيولوجية مادلين غراوايتز(Madeleine Grawitz) على ما معناه، أن التاريخ يشكل منافسا وحيدا لعلم الاجتماع في دراسة الظواهر الاجتماعية الدينامية(المتحركة)، وترى من دواعي تكامل الاختصاصين، كون التاريخ يقدم معطيات عن التاريخ البشري برغم من كونها لا تعد إلا تفسيرا جزئيا، إلا أنهما يتبدلا تقديم الخدمات لبعضهما؛ فالتاريخ يقدم لعلم الاجتماع "المواد المادية"، في مقابل يقدم علم الاجتماع للتاريخ "أطرا مفاهمية"[6].

---

1 محمد حبيدة، المدارس التاريخية، المرجع السابق، ص 24.

2 محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، ط5 (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربي، 2002)، ص280.

3 إدغار موران، المنهج، الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها(ج4)، ترجمة جمال شحيد، ط1 (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2012)، ص 89-90.

4 للمزيد حول الموضوع أنظر: عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط3(الكويت، وكالة المطبوعات، 1977)، ص 183-231.

5 لوسيان غولدمان، العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة يوسف الأنطاكي، المشروع القومي للترجمة (مصر، المجلس الأعلى للثقافة، 1966)، ص4-5.

6 مادلين غراوايتز، مناهج العلوم الاجتماعية: الكتاب الثاني منطق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة سام عمر، ط1(دمشق، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، 1993)، ص 101-120.

يعرف توماس وورد(Thomas Ward)؛ النظرية على أنها"نسق منطقي استنباطي استقرائي يتكون من مفاهيم وتعريفات وافتراضات، تعبر عن علاقة بين اثنين أو أكثر من أوجه الظاهرة"[1]. وفي حقل العلوم الاجتماعية، ومن خلفية علم الاجتماع نجد لمفهوم النظرية عدة معان، ومن بين الاستعمالات لمفهوم النظرية في السوسيولوجيا نجد مفهوم النظرية باعتبارها "النظر بالمعنى الدقيق" و"النموذج التماثلي للواقع الاجتماعي المدروس"[2]. ففي السوسيولوجيا المعاصرة، تم تمييز بين ثلاث نظريات كبرى وهي: النظرية البنائية الوظيفية، والنظرية المادية التاريخية، والنظرية التفاعلية الرمزية[3].

ومن الجدير بالإشارة في هذه النبذة المختصرة حول العلوم الاجتماعية، الإشارة إلى إرهاصات "البحث" في العلم. فإرهاصات البحث بالمعنى العام لكلمة يرجع إلى ماضي طويل، ففي بعض الأدبيات، تتحدث عن مزاولته في القرون الغابرة، خاصة البحث التجريبي. وكانت قضايا المجتمع القديمة من بينها الوقائع الطبيعية والاجتماعية محط اهتمام وتناول من قبل حكماء الماضي. وحسب السوسيولوجي سوتيريوس سارانتاكوس(Sotirios Sarantakos) صاحب "البحث الاجتماعي"، يسجل التاريخ أن أبقراط(460 ق م - 370 ق م) كان "مهتما بالبحث التجريبي أكثر من معاصريه؛ وأدت تجاربه في ميدان الصحة والمرض إلى توسيع قاعدة المعرفة العامة، كما أبعدت الرأي العام عن الخرافات كالإيمان بقوى الشر والأرواح، ودفعت الناس إلى التركيز على مبادئ البحث التجريبي(...) كان أرسطو يرى أن الحوادث التجريبية تجليات لمبادئ أساسية تنتظم في الكون(...) أثرت الأعمال الرائدة التي قدمها الفلاسفة اليونانيون في الباحثين في أرجاء أوروبا كلها، وطورت بمزيد من العمق في خلال القرنيين السادس عشر والسابع عشر مع بداية الثورة العلمية"[4]. مع التقدم العلمي، أدى إلى تطوير أساليب البحث وتقنياته، إلى أن أصبح على ما هو عليه اليوم من قوانين تخضع لبراديغمات العلوم التي تنطلق منها.

## 2- المرض والصحة سوسيو انثربولوجيا

شكلت الصحة موضوعا للتفكير الإنساني منذ القديم لليوم، واختلفت طرائق التعامل الانساني مع المرض حسب الثقافة، وحسب مرحلة الفكر وأطواره"فكل جماعة من الناس تعمل على صياغة نظامها الطبي بما يتفق وثقافتها، ومعتقداتها، وتركيبها الاجتماعي، ورؤيتها للعالم، تلك الرؤية التي تتطور مع مسيرة الزمن جماعة بين السحر والعلم"[5]. فعند اليونان القدامى مثلا، تجلى التفكير في الصحة من خلال أسطورتهم "كريون الخالد" الذي تقول عنه الأسطورة اليونانية، أنه الأكثر علما وحكمة ومعلم الطب والجراحة على قمة الجبل[6]. تعاقبت التصورات الأسطورية حول الصحة والمرض منذ القديم، وتم اهتمام الطبي من قبل الفلاسفة والحكماء، وشكل أبقراط في الادبيات الفلسفية الكلاسيكية، مرتبة أبو الطب في تاريخ،

---

1 عن: إبراهيم عيسى عثمان، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، ط1(رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2008)، ص 16.

2 خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ط1(لبنان، دار الحداثة، 1984)، ص 277.

3 طلعت إبراهيم لطفي وكمال عبد الحميد الزيات، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، ط1(مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1999)، ص 18.

4 سوتيريوس سارانتاكوس، البحث الاجتماعي، ترجمة شحدة فارع، ط1 (بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017).ص61-62.

5 جان شارل سورنيا، تاريخ الطب: من فن المداواة إلى علم التشخيص، ترجمة إبراهيم البجلاتي، عالم المعرفة 281(الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2002)، ص 19.

6 تقول الأسطورة: "في القمة يجلس زيوس(Zeus)، إله قادر على كل شيء. وأبوللون(Apollon) إله كل المواهب الفنية الخلاقة، قادر على الشفاء إذا ابته له بالشكل المناسب، كما يستطيع إبادة أعدائه. فسهام مرقل، التي منحها له أبوللون، كانت مشهورة بقدرتها على الفتك. وأخيرا، كريون الخالد، الأكثر شهرة، والأكثرة حكمة، والأكثر علما بين العيوف(Centaures)، يعلم الطب ويمارس الجراحة على قمة جبل بليون(Pelion) في تساليا( Thessalie)"جان شارل سورنيا، تاريخ الطب: من فن المداواة إلى علم التشخيص، المرجع السابق، ص 42.

حيث يعد من ألمع حكماء اليونان، الذين يؤرخ للطب باسمهم، ومن المتعارف عليه في المؤسسات الطبية اليوم أداء قسم الطبيب الذي ينتسب لأبيقراط المسمى "قسم أبيقراط"، وهذا شكل من أشكال التكريم لأبو الطب.

عقب المرحلة اليونانية بزغ في سماء الطب مجموعة من الأطباء خلال الحقبة الوسيطة من التاريخ، ويشهد لعديد من الأطباء من ثقافة العربية الإسلامية الذين قدموا في زمانهم مساهمات في الطب والصيدلة كان لها بصمتها في دفع عجلة الطب والصيدلة للأمام. حيث برز على سبيل المثال كل من[1] الرازي، المجوسي، الزهراوي، ابن زهر، ابن النفيس، البغدادي، ابن البيطار.

تشكل الاكتشافات البيوطيبة والعلمية خلال القرن 20م، من أهم الاكتشافات التاريخية التي فتحت صفحة جديدة في الصحة العامة، وكذا أمد الحياة ومحاربة الامراض، والقضاء على البعض منها، والوقاية من بعض الأوبئة ونحوها. لقد استفاد الطب من ثورة تطوره، وتقدم العلوم البيولوجية والتكنولوجيا، وعليه تحقق إنجازات كبيرة في تاريخ المجتمعات الحديثة في الميدان الصحي، حيث تمت عدة فتوحات في هذا الحقل، من بينها اختراعات ساعدت في تطوير الأبحاث البيوطبية، كالمجاهر الحديثة، والوصل إلى أدوية ولقاحات كانت ثمرة الأبحاث البيوطبية خلال القرن التاسع عشر، فعلى سبيل المثال تم اكتشف لقاح للسل، وللحمى الصفراء، ولقاح شلل الأطفال، ولقاح لمرض الحصبة والبلهارسيا...إلخ. وبالتوازي مع هذه اللقاحات التي غيرت معادلة الصحة والمرض في المجتمعات المعاصرة، كانت حرفة الطب بلغت مستويات متقدمة في استعمال الادوية والمضادات الحيوية التي اكتشفت خلال القرن 20؛ حيث تم على سبيل المثال، صناعة الاسبرين، والبنسلين، والحبوب المهدئة للأعصاب، وتحديد هرمون الانسلوين، واستخدام المضادات الحيوية في المجال الطبي، وتقدم في علاجات سرطان الدم، وابتكار حبوب منع الحمل، وتطور تكنولوجيا التصوير للأوارم، واجراء عمليات غير سابقة في التاريخ؛ كزراعة النخاع الشوكي، والنجاح في عمليات القلب، وزراعة الكلي ونقل الدم ...وغيرها من العمليات الطبية والاختراعات التي سجلت في سنوات المئة الأخيرة من الألفية الثانية. وعليه عد القرن العشرين محطة تاريخية في تاريخ الصحة والمرض والمداواة في المجتمعات المعاصرة. وأصبح القرن 20م قرن الحد والقضاء على العديد من الامراض عن طريق التطعيم والعقاقير والعمليات الجراحية التي لعبت دورا كبيرا في الحد من الوفيات. بل أن بعض الأمراض التي كانت تفتك بالمجتمعات؛ كالجدري وكساح الأطفال والسل وغيرها من الامراض التي قضت عليها اللقاحات والأدوية؛ أصبحت متجاوزة وغير معجزة للطب بعدما كانت تفتك بالمجتمعات[2].

بالرغم من الدور المحوري للطب والبيولوجيا في شأن الصحة والمرض، لم يبق قوام الصحة والمرض والمداواة من الأمور التي كانت حكرا على المجال بيوطبي، بل أصبحت بعض العلوم الاجتماعية تتدخل في دراسة الصحة والمرض من منظور ثقافي واجتماعي، إذ "الناس وهم يعالجون في أضخم المستشفيات، يتضرعون إلى الله راجين معجزة؛ بينما يضع آخرون في معاصمهم أسوار ضد الروماتيزم على غرار البوشمان في الصحراء كلهاري متنازلين عن كل منطق أمام لغز الكون"[3]. ومنه، فبرغم من التقدم البيوطبي الذي أنقد البشرية من ويلات العلل المرضية والاوبئة تاريخيا، برغم ذلك النجاح الباهر التي تدين فيها البشرية لعلماء البوطبيين، فمسألة الصحة والمرض هي اليوم أكثر من مسألة طبية، وعليه تنازع العلوم الإنسانية

1 جروج طرابيشي، **مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصر**. الطبعة الثالثة (بيروت : دار الساقي، 2012)، ص 54.

2 أنتوني غدنز، علم الاجتماع، أنتوني غدنز، علم الاجتماع (بمساعدة كارين بيردسال، (مع مداخلات عربية)، ترجمة فايز الصياغ، الطبعة 4(بيروت: المنظمة العربية للترجمة،2005)، ص 226.

3 جان شارل سورنيا، تاريخ الطب: من فن المداواة إلى علم التشخيص، المرجع السابق، ص 19.

والاجتماعية كعلم الاجتماع والانثربولوجيا- التي تتنازع بعض قضايا الصحة والمرض مع العلوم البيولوجيا والطبية من منطلق أن العمل الطبي يختص فيما يختص في التشخيص والعلاج، بينما البحث حول سؤال الإصابة بالمرض يبقى من الأمور الثقافية والاجتماعية التي تختص فيها فروعا من العلوم الإنسانية والاجتماعية. وفي الأدبيات السوسيوانثربولوجية يعد كل من المرض والصحة وقائع سوسيوثقافية، تفسر في بعض جوانها بما هو اجتماعي وثقافي. ففي علم الاجتماع الذي أولى اهتماما خاصا بقضية الصحة والمرض من خلال إسناد فروعا من شجرة علم الاجتماع لتناول الصحة والمرض. ومن أهم الفروع التي تتناول الصحة والمرض نجد علم الاجتماع الطبي، هذا الأخير الذي يعتبر "من العلوم الاجتماعية وهو فرع مهم من فروع علم الاجتماع والذي يتحدد مجاله عند نقطة التقاط بين ما هو طبي وما هو اجتماعي. بمعنى أنه العلم الذي يهتم بالإنسان في علاقته بالمجتمع وبالصحة والمرض"[1].

لقد شكل علم الاجتماع أحد العلوم الاجتماعية التي خاضت في شأن الصحة والمرض، وقدمت وجهات نظر لا تقل أهمية عن ما يقدمه الطبيب لمريض، فإذا كان هذا الأخير يعالج الأفراد بعد اصابتهم، فعلم الاجتماع يبحث في البيئة الاجتماعية التي يثخن فيها المرض. ومن المعلوم في سوسيولوجية أن المرض يعرف حسب ثقافة المجتمع إذ كل مجتمع يعد المرض" من الظواهر الخطيرة التي تهدد الفرد وجماعته ومجتمعه بوجه عام. ولذلك اتخذت كل المجتمعات وسائل لمكافحة هذا الخطر. ومن أهم هذه الوسائل الطب بمختلف أشكاله وأنواعه/ كل مجتمع يعرف المرض طبقا لثقافته. ولذلك يعد المرض أحم مقاييس التطور الاجتماعي"[2]. أما في الحقل الانثربولوجي فالمرض ومسار الأوبئة شكل مبحثا من مباحث الانثربولوجيا التي تبحث في فهم الانسان من خلال الوصول إلى ما يسمى نقطة "القانون الكلي"[3]. تقوم الانثربولوجيا على دراسة ثلاثة أبعاد تتعلق بالإنسان؛ البعد الأول وهو البعد الفيزيقي؛ باعتبار الانسان كائن عضوي وهذا من اختصاص الانثربولوجية الفيزيقيا أو البيولوبوجة، التي تهتم بدراسة الخصائص الكائن البشري المميزة للبشر واختلافات بين البشر والاجناس...إلخ. بينما البعد الثاني: هو البعد الاجتماعي، إذ تدرسه الانثربولوجية المجتمع، من خلال فرع الانثربولوجية الاجتماعية الذي يدرس الانساق والنظم الاجتماعية في المجتمعات المختلفة مثل أنساق القرابة، والانساق الاقتصادية، والسياسية والقانونية، والدين واللغة.و في البعد الثالث: أي البعد الثقافي، تهتم به الانثربولولوجيا الثقافية، ويتميز هذا الفرع بدراسة ما يميز وينفرد به الانسان أي الثقافة. ومن خلال الانثربولوجية الثقافية يتم دراسة أنساق الفكر والابداع والتقاليد والقيم والتراث الثقافي المادي وغير المادي. ومنه، يرى الباحثون أن الانثربولوجيا علم شامل[4] يدرس الانسان في كل مراحله التاريخية، وعليه يتقاطع مع مجموعة من العلوم، وعلى رأسها الطب. الذي خصصت له الانثريولوجيا فرع تحت اسم الانثربولوجية الطبية[5](الصحة والمرض)، التي تدرس الظواهر السوسيوثقافية للمجتمع وعلاقتها بالصحة والمرض، فالصحة والمرض والمداواة من الأمور التي تعتمل فيهما بشكل مباشر العادات والتقاليد والتصورات وغيرها من المركبات الحضارية المادية وغير المادية التي تشكل

1 الوحيشي أحمد بيري وعبد السلام بشير الدويبي، مقدمة في علم الاجتماع الطبي، ط1(ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، 1989)، ص11.

(2) الوحيشي أحمد بيري وعبد السلام بشير الدويبي، مقدمة في علم الاجتماع الطبي، المرجع السابق، ص 60.

(3) أحمد أبو زيد، الوضع الحالي للإنثربولوجيا، في: فهمي جدعان وآخرون، حصاد القرن: المنجزات العلمية والإنسانية في القرن العشرين(العلوم الأساسية والتكنولوجيا)، المجلد 3، ط1 (الأردن، مؤسسة عبد الحميد شومان، 2007)، ص 419.

(4) أحمد أبو زيد، الوضع الحالي للإنثربولوجيا، في: فهمي جدعان وآخرون، حصاد القرن: المنجزات العلمية والإنسانية في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 420.

5 شكلت حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية نقطة تحول في الاهتمام بالانثربولوجية الطبية حيث ازدهرت الدراسات في حقل هذا الفرع من الانثربولوجية الاجتماعية والثقافية، فقد شكلت الفترة ما بين 1962 و1972 مرحلة تحول في الانثربولوجية الطبية للمزيد أنظر: علي مكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية، دار المعارف الجامعية، مصر-الإسكندري(منشور على صيغة pdf). ص14.

ثقافة المجتمع. فعلاقة الانسان بالمرض تمر عبر واسطة الثقافة، حيث الثقافة هي من تقي الانسان من المرض، وهي من تصيب الانسان بالمرض[1].

لقد أدى التقدم البيوطبي إلى تحسين أحوال الصحة العامة والحد من الامراض _لكن؛ هل فعلا تحسن الأوضاع الصحية مرده إلى الطفرة الطبية وفقط؟[2]_ وتجلى ذلك في مؤشر أمد الحياة، الذي كان فيه العمر لا يتجاوز في بداية القرن20، 45 سنة، بينما ارتفع في نهاية القرن نفسه إلى 75 سنة[3]. وهذا ناجم عن ما حققته تقاطعات العلوم البيوطبية، التي كانت وراء استئصال ودحر مجموعة من الامراض والاوبئة في المجتمعات التي تعزى "في العادة إلى إرتقاء الطب الحديث. كما أن ثمة اعتقادا بأن البحوث الطبية قد أسهمت، وستظل تسهم، في الكشف عن الأسباب البيولوجية للمرض وابتكار الوسائل الفعالة لمعالجتها أو السيطرة عليها. ويعتقد أكثر المراقبين أن تزايد الخبرة الطبية والعلمية سيؤدي إلى اطراد التحسن في مستويات الصحة العامة"[4].

ومما لا شك فيه، كما يقول أنتوني غدنز، على أن "التحسن العام الذي طرأ على الصحة العامة خلال القرن الماضي لا يمكن أن يخفي عن أعيننا أم ثمة خللا واضحا وصارخا في توزيع الصحة والمرض في أوساط المجتمع الواحد أو بين المجتمعات والشعوب في مختلف بقاع الأرض. وقد أظهرت الدراسات أن جماعات محددة من المجتمع تتمتع بمستويات صحية أفضل من غيرها، مثلما أن المرض وتدني الأوضاع الصحية ينتشر بصورة أوسع لدى الشعوب والطبقات والشرائح الفقيرة في المجتمعات العالم بأسره. وترتبط ظاهرة اللامساواة الصحية هذه ارتباطا وثيقا بأنماط الحياة الاقتصادية والاجتماعية"[5].وهنا تكمن إحدى أوجه العمل السوسيولوجي في كشف النقاب على حقيقة علاقة الصحة بالمتغيرات السوسيواقتصادية والثقافية والنوعية ونحوها"مثل الطبقة الاجتماعية، والجنس، والعرق، والعمر والطبيعة الجغرافية. ورغم اتفاق الدارسين جميعا على أن ثمة ترابطا بين الصحة واللامساواة الاجتماعية، فانهم يختلفون حول طبيعة هذا الترابط، أو الوسيلة التي ينبغي انتهاجها لمعالجة هذا التفاوت الصحي"[6]

---

1 علي مكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية، دار المعارف الجامعية، المرجع السابق، ص12.

2 هل تحسن الأوضاع الصحية مرده إلى الطفرة الطبية؟ «يرى_ McKeown _ أن التحسن الذي طرأ على الأوضاع الصحية بصورة عامة في العصر الحديث لا يعود في جوهره إلى تقدم الطب الحديث بقدر ما يرجع إلى التغيرات الاجتماعية والبيئية. والأثر الإيجابي الأكبر على أوضاع الناس الصحية بصورة عامة إنما يعود أساسا لفعالية أساليب المحافظة على الصحة العامة، ونظافة المياه، والحيلولة دون تفشي الأمراض وتطور أساليب التصريف وتحسن نوعية الغذاء. بل ان عالم اجتماع آخر _ Illich_ يعتقد أن الطب الحديث قد ألحق من الضرر أكثر مما أسفر عنه من نفع. إن نبذ الأساليب التقليدية في العناية الشخصية وأشكال المعالجة والاستشفاء قد دفع الناس إلى الاعتماد على الخبرة الطبية بدلا من الاستفادة من مهاراتهم ومعارفهم وخبراتهم الشخصية والاجتماعية. وترى فئة أخرى من خبراء العلوم الاجتماعية أن المهنة الطبية قد تزايدت سطوتها في الحياة الحديثة حتى غدت هي السلطة التي تحدد ماهية المرض والصحة، وتجل في عداد الامراض ما كان يعتبر من شؤون الحياة اليومية العادية في حياة الناس في أكثر المجتمعات. إذ أصبحت أمور الحمل والولادة حالات مرضية ينبغي أن تلازمها العناية الطبية وأن يجرى استقبالها ورعايتها في المستشفيات، بما ينطوي ليه ذلك من كلفة لا يستطيع توفيرها إلا قلة قليلة من الشرائح الاجتماعية الميسورة. بل أصبحت الخبرة الطبية ، كما تقول عالمة الاجتماع آن أوكلي_Oakley_ قد حرموا المرأة وصادروا دورها في الولادة الطبية في بيتها بالاستعانة بالقابلة المحلية التي كانت تقدم خدماتها الفعالة في هذه الحالات جيلا بعد جيل في كثير من المجتمعات" للمزيد أنظر: أنتوني غدنز، علم الاجتماع، المرجع السابق، ص 237.

3 وليد المعاني، العلوم الطبية، في فهمي جدعان وآخرون، حصاد القرن: المنجزات العلمية والإنسانية في القرن العشرين(العلوم الأساسية والتكنولوجيا)، المجلد 3، ط1 (الأردن، مؤسسة عبد الحميد شومان، 2007)، ص 418.

4 أنتوني غدنز، علم الاجتماع، المرجع السابق، ص 226.

5 أنتوني غدنز، المرجع السابق، ص 226.

6 أنتوني غدنز، نفسه.

ثالثا: المغاربة وأزمات الصحية الكبرى ..موجات الطواعين

1- شذرات عن"الموت الأسود"

تعتبر الأزمات الصحية بدرجاتها المتفاوتة (الأوبئة والجوائح) من بين الاحداث والوقائع المشكل للتاريخ، فقد كان على سبيل المثال الطاعون الأسود(1348-1350)، والكوليرا(1830-1834)، والانفلونزا الاسبانية(1918-1919) وما شابهها من أوبئة في التاريخ، كان لها عدة عواقب على ما هو اجتماعي وسياسي واقتصادي وثقافي على العديد من البلدان التي اجتاحتها الأوبئة.

تباينت حدة الجوائح والاوبئة بين الأمم في التاريخ، ولعل تلك التي أصابت مجال البلدان المطلة على البحر الأبيض كانت من الأكثر شهرة في التاريخ التي استنزفتها موجات الازمات الصحية والطبيعية. لقد تقهقر سكان بلدان الحوض البحر الأبيض الموسط أمام ضربات الكوارث الطبيعية، وبالخصوص منها الصحية المتجلية في الأوبئة، لاسيما وباء الطاعون الأسود الذي تتضارب فيه أرقام من أرادهم موتى.

من الجدير بالذكر، تاريخيا تعد محطة القرن 14م من أشهر الأمثلة في تاريخ الوسيط على الزمن الوبائي الفتاك، الذي طبع التاريخ، واستوقف العقل الجمعي للعديد من المجتمعات التي عثى فيها وباء الطاعون الاسود زهقا للأرواح إلى حد القضاء على نسب مهمة من سكانها، وهناك بعض التقديرات في الكتابات التاريخية تتحدث عن ما يقدر من سكان المعمورة الذي راحوا ضحية الطاعون الأسود بحوالي "ثلث سكان العالم" ونيف(هناك من يتحدث عن 25 مليون نسمة). ومن غير المختلف عليه، احدث الطاعون في بعض البلدان الأوربية _التي يقول الوصف الديمغرافي لهذه الحقبة_ تناقص سكاني كبير، نتيجة عدد السكان الذين راحوا ضحية الموت الأسود خلال سنوات من عقد الأربعينات والخمسينات من القرن 14م. وذاك ناجمة عن كارثة مرض الطاعون الاسود، الذي وصفته لغة الاقوام والشعوب، تارة بالموت الأسود، الطاعون الأعظم، الطاعون الأسود، الطاعون الجارف، الفناء، الهلاك، الطاعون العام..إلى آخره من الأسماء والصفات التي أطلقت على الحالة الوبائية المقيدة في تاريخ بالموت الأسود، وتلك كلها صفات معبرة والدلة دلالة قطعية عن عن مأساة في أصفى تجلياتها. وما ذلك سوى وباء واحد من الأوبئة العامة التي اجتاحت البلدان، أي نزلت بها البلاء العظيم، وكان وراء تراجيديا الموت-الأسود، الذي قام بكسر البنية الديمغرافية لساكنة العالم، وخلخل النسق الاجتماعي والثقافي للأمم والشعوب وحتى الامبراطوريات وقتئذ. وقد بدأت أحداث هذا الوباء حسب الكتابات التاريخية في سنة 1346 ميلادية إلى حدود سنة 1353م. وصفت سرعة انتشار "الطاعون الورمي"، بسرعة انتشار واسعة عبر عدة "وسائط" التي كانت تنشر العدوى؛ كالقوارض والفئران، وحتى الحشرات والذباب والبراغيث...، نهيك عن الاتصال المباشر ولمس الأشياء التي يلمسها المريض، كل هذه العوامل كانت وراء انتشار وباء الطاعون وتوسعه في البلد الواحد، لينتقل من بؤرة انفجاره(تختلف الروايات)، عبر حركة التجارة والنقل عبر البواخر، وما تتضمن من سلع وعوالق، وما ينتقل فيها من سلع، وما يتسلل منها من جردان وفئران ونحوها. وبذلك توسع نطاق انتشار الطاعون الأسود، ليعم انتشاره في العديد من البلاد بالقارات الخمس. ويتحدث المؤرخون عن قوة الطاعون الورمي على الاجهاز على الفرد المصاب، حيث تذكر الكتابات التاريخية أنه كان الطاعون الأسود لا يمهل المصاب به أكثر 5 أيام حتى يرديه ميتا.

أمام قوة الطاعون الأسود، كانت المجتمعات ما تزال في مستوى جد متدني من امتلاك ناصية المعرفة والعلم، والتكنولوجيا، والثقافة بالمقارنة مع ما وصلت له الحضارة الإنسانية اليوم، من مبلغ من العلم والتفنن في العلوم والعمران والمؤسسات..إلخ. الشاهد التاريخي من حيثيات جائحة الموت الأسود، كانت في ظرف الزمني وثقافي وعلمي كانت ما تزال خلاله العديد من المجتمعات تعيش خارج عهدة الحداثة والعلم أو ما يطلق عليه في الادبيات الفكرية والعلمية؛ تعيش في القرون الوسطى التي توسم بحقبة التخلف العام على مستويات عديدة من ركب الحضارة العلمية والثقافية اليوم.

وصف عدد ضحايا الطاعون بلغة مؤرخي المسلمين بالوصف؛ بثلث سكان، الخلق الكثير...، والشاهد من هذا أيضا أن نازلة الطاعون الأسود اجتاحت البلدان دون أن يكون هناك سبل حقيقية لتحد من وقع الوباء[1]، مما يعني أن هامش المناورة في مقاومة الطاعون الجارف جد محدود، حيث تم اعتماد استراتيجية الحجر الصحي، التي يعود استلهامها من متن الطب الاغريقي، عن أبقراط (460-370 ق.م)، هذا الأخير الذي " كان يرى بأن المرض لا يتطور بعد أربعين يوما من الانعزال"[2].بعد الموت الأسود، اجتاحت أوبئة أخرى سجلت ضمن سجل التاريخ الصعب للبشرية، فبعد محنة الطاعون الورمي الذي فتك بملايين الأرواح من شرق العالم وغربه، يأتي بعده، وباء كوليرا الذي كان له آثر بليغ على الحياة البشرية نظرا لما ألم العالم منه من حصاد في الارواح خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. إذ يصف على أنه كان سببا في هلاك "خلق كثير وجم غفير". عبر هذا التاريخ، لقي المغرب حسب اتساع مجاله ونفوذه ما لقي من الأوبئة عبر التاريخ بحكم مجاله وموقعه الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط من جهة الشمال. هذا المجال التاريخي الذي كان مسرحا للعديد من الثقافات والحضارات والصراعات، كما يشير إلى ذلك الجغرافي ايف لاكوست في كتابه "الجغرافيا السياسية للمتوسط".

## 2- المجال المغربي والطواعين:

كان المجال المغربي بين البلدان التي عاشت فترات من التاريخ تحت عواصف الجوائح التي اعتملت في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. عشرات الأزمات السياسية والطبيعية والصحية التي تتحدث عنها الاسطوغرافيات التاريخية المتعلقة بتاريخ الأزمات في تاريخ المغرب سواء السياسية أو الاقتصادية أو الطبيعية. فمن بين الأزمات الكبرى التي تتحدث عنها المصادر التاريخية للتاريخ الوسيط والحديث والمعاصر في تاريخ المغرب، الازمات الصحية، تلك الازمات الناجمة عن الأوبئة والامراض وتدهور الصحة جراء قلة التغذية ..إلخ. فقد كان المغرب وما يزال من المجال المتوسطي الذي يتأثر بكل ما يطفو على سطح هذا المجال البحري من مخاطر سياسية، وأزمات طبيعية، وصحية تكون لها تداعيات على المجال المغربي الذي؛ لم يسلم من انتشار عدوى الجوائح الصحية، ولا الظروف الطبيعية والمناخية كحالة موجات الجفاف التي لها تبيعات اقتصادية وصحية على المجتمع ترتبط بطبيعة المناخ المتوسطي. إذا، التاريخ المغرب حافل بحدة الازمات التي كان لها أثر كبير على الذهنيات في المجتمع المغربي.

يحتل اسم النوازل الكبرى التي تعرفها البلاد في المجال العربي والإسلامي، أهمية في تحليل وفهم العديد من النوازل في الذاكرة الجماعية والتاريخية، فهذا الوباء الأسود الذي أطلق عليه في بعض الكتابات في المشرق العربي ب"طاعون مسلم بن قتيبة" نسبة لأول ضحايا الطاعون الاسود[3]، بينما في بعض الكتابات المغرب العربي تحدث ابن خلدون عن "الطاعون الجارف"، وهناك من تحدث عن المرض الهائل، الذي هو الطاعون الأسود المعروف طبيا بالطاعون الورمي[4]. وتتضمن هذه التسميات تصورات من وحي النسق الثقافة للمجتمع. فتسمية الأوبئة ليس شيء اعتباطيا، بالخصوص اليوم عندما سجل سجال بين

---

1 حيث قاوم الناس الأمراض والاوبئة فيما قبل الثورة الطبية، "بما تيسر لهم من أعشاب، وما أوتوا من معارف وأساليب وقائية، على بساطتها وقلة فعاليتها. لكن الخسائر كانت كبيرة، والمآسي الاجتماعية كانت فضيعة" وقد أعزى هلاك الناجم عن الموت الأسود مثلا إلى "بلوى إلهية، وعقابا على الشرور والآثام، وغضبا من الجن" للمزيد أنظر: محمد حبيدة، تاريخ الوباء من الطاعون الأسود إلى كورونا، في مؤلف جماعي، اشراف جمال الكركوري وأحمد الفرحان، الحياة...في زمن الفيروس التاجي"كوفيد -19، المرجع السابق، ص 15.

2 محمد حبيدة، تاريخ الوباء من الطاعون الأسود إلى كورونا، في مؤلف جماعي، اشراف جمال الكركوري وأحمد الفرحان، الحياة...في زمن الفيروس التاجي"كوفيد -19"، المرجع السابق، ص 17.

3 محمد أبطوي، دراسة الوباء وسبل الترز منه: الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي والاجتماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2020، على رباط موقع الموقع المركز https://www.dohainstitute.org/ar/ResearchAndStudies/Pages/Pandemics-In-Arab-Medicine-and-Socio-Cultural-History.aspx ، شهد في 22/06/2023.

4 محمد حبيدة، تاريخ الوباء من الطاعون الأسود إلى كورونا، المرجع السابق، ص 16.

تسمية وباء كوفيد-19(التسمية العلمية)، في دواليب المنظمة العالمية للصحة، بينما كان هناك من بعض قادة الدول الذين يطلقون على جائحة كورونا، بالفيروس الصيني في وسائل الاعلام.

احتل وباء الطاعون الاسود، اهتماما في المصادر التاريخية للمؤرخين المسلمين في الغرب الإسلامي؛ دراسة وتأريخا من حي الكتابات الطبية والفقهية والتاريخية، وتعد كتب التراث من حقبة حاضرة الاندلس خلال القرن 14م من بين أهم المؤلفات التي تحدث عن جوانب عدة تتعلق: ببؤرة هذا الوباء الأولى التي حدد خريطتها[1]؛ ابن خاتمة الأنصاري(1324-1367)_ ويزكي هذا ابن الخطيب(1313-1374)_ حيث يعد ابن خاتمة أول من استتبع مسار الطاعون، فيتحدث عن المسار الانتشاري الأتي: من بلاد سمرقند إلى بلاد الصين ثم إلى بلاد فارس ومنه إلى بلاد العراق والأراضي التركية[2].

يؤرخ لاجتياح الطاعون العالمي للمجال المغربي، الطاعون الذي يطلق عليه حسب الأوروبين الطاعون الأسود، وحسب الكتابات التاريخية في المجال المغربي والاندلسي في العصر الوسيط بالطاعون الجارف/ الطاعون الاعظم، فيما بين سنة 1347 وسنة 1352م، بعد هذا التاريخ. كان المجال المغربي مع موجة ثانية من الطواعين التي سجلت في تاريخ المغربي الحديث[3]؛ التي تقدمها الطاعون الجارف الذي أطلق عليه المغاربة[4] في بعد، "الحبوبة الكبيرة"، "الجمرة" وغيرها من الأسماء والاوصاف. لم تصمد المنظومة الصحية المغربية التي كانت معروفة في عهد الموحدين أمام الطاعون الأسود الذي تزامن مع حكم المرنيين(1244-1465) للمغرب. فمن المعلوم تاريخيا من أن المنظومة الصحية التي شيدت خلال مغرب الموحدين كانت بالمقارنة مع بعض المنظومات الصحية الاوروبية متقدمة عليها وقتئذ، فالمرستانات(=المصحة/المستشفيات) بحواضر المغربية(مراكش، سلا..) خلال العصر الموحدي كانت تمثل منظومة صحية متطورة[5]. وبالعودة إلى بعض المصادر التاريخية التي تحدثت عن وباء الطاعون يمكن الإحالة إلى نص ابن خلدون الذي نجد فيه إشارات قوية معبرة حدة الطاعون الجارف، فيقول ابن خلدون(1332-1406):" إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف

---

1 للمزيد حول الموضوع، أنظر تقرير الجزيرة الوثائقية على موقها في شبكة الانترنت: ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي.. قاهر الطاعون وصاحب أول كتب الأوبئة، على الرابط موقع قناة الجزيرة الوثائقية: https://doc.aljazeera.net/reports/2020/5/6/%D8%A7%D8%A8%D9%86-%D8%AE%D8%A7%D8%AA%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%B5%D8%A7%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AF%D9%84%D8%B3%D9%8A-%D9%82%D8%A7%D9%87%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7 ، شهد في 30/06/2023.

2 لكن هنا بعض الأبحاث التي تستخلص"لا يُعرف بالتدقيق اين انبثق الوباء. وتجمع الدراسات الفيروسية والتاريخية على فرضية غير مؤكدة مفادها أنه انطلق من وسط آسيا أو شرقها وتسبب الانتقال البشرى برا وبحرا في انتشار الطاعون بسرعة لافتة"للمزيد أنظر: محمد أبطوي، دراسة الوباء وسبل الترز منه: الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي والاجتماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2020، على رباط موقع الموقع المركز https://www.dohainstitute.org/ar/ResearchAndStudies/Pages/Pandemics-In-Arab-Medicine-and-Socio-Cultural-History.aspx ، شهد في 22/06/2023. ص 21.

3 حسب أمين البزاز، ينقسم تاريخ الطواعن في المغرب إلى مرحلين/ المرحلة الأولى تمتد تاريخيا وزمنيا من العصور الإسلامية الأولى إلى منتصف القرن 14م، بين المرحلة الثانية فتمتد من سنة 1348 إلى بداية القرن 20م. للمزيد أنظر: محمد الأمين البزاز، الطاعون، معلمة المغرب(ج17)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب(1424-2002)، 5679-5680.

4 للمزيد أنظر: محمد الأمين البزاز، الطاعون، معلمة المغرب(ج17)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب(1424-2002)، ص 5679.

5 " لم يكن مارستان مراكش هو المارستان الوحيد الذي شيده المنصور، بل شيد أيضا مارستانين آخرين بكل من سلا وقصر ابن عبد الكريم وبالإضافة إلى سياسة بناء المارستانات والمستشفيات التي اشتهر بها المنصور، فإنه اشتهر أيضا، ببناء حارات لإقامة المجذومين. وكان تشييدها يتم في الغالب خارج أسوار المدن بعيداً عن التجمعات السكنية تلافيا لانتشار العدوى. كما كانت الدولة هي المتكلفة بالإنفاق على هؤلاء المرضى..." للمزيد حول موضوع المرستانات في عصر المنصور أنظر، حسن بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، توزيع سبريس، الدار البيضاء-المغرب(2002)، ص 74-75.

الأمم، وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ظلالها، وفل من حدها وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أموالها، وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخلت الديار و المنازل، وضعفت الدول والقبائل، وتبديل الساكن، وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة، والله وارث الأرض ومن عليها، وإذا تبدلت الأحوال جملة، فكأنما تبدل الخلق من أصله، وتحول العالم بأسره، وكأنه خلق جديد، ونشأة مستأنفة، وعالم محدث، فاحتاج لهذا العهد من يدون أحوال الخليقة والآفاق وأجيالها، والعوائد والنحل التي تبالت لأهلها"[1].

في اطار الموجة الثانية من الطواعن التي ضربت المغرب يسجل حوالي 20 طاعون ضرب المجال المغاربي، فبعد أن انطفأت جمرة الطاعون الأسود في سنة 1350، ليعاود الطاعون الظهور وانفجار في المجال المغاربي، وهنا تكمن ذروة إشكالية الطاعون في المجال المغربي تاريخيا[2]، حيث استمر بالظهور من سنة إلى سنة وأكثر بين الفينة والأخرى، مسجلا 20 محطة في شريط الزمن لتاريخ المغرب من سنة 1363 إلى 1933م، فخلال هذه 570 سنة تخبط المجتمع المغاربي والمغربي في عدة أزمات صحية كانت لها تدعياتها على المسار السياسي والاقتصادي والثقافي للبلد.

**خطاطة: الطواعن التي ضربت المغرب من سنة 1363 إلى سنة 1933**

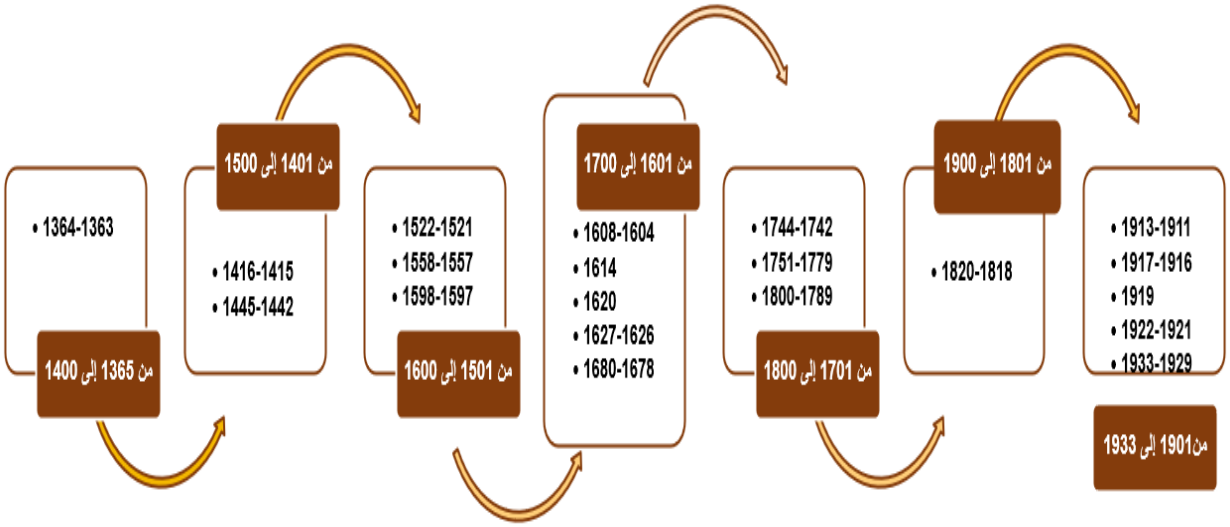


اعداد الباحث، المصدر: محمد الأمين البزاز، الطاعون، معلمة المغرب(ج17).

وكما هو وضاح في الشريط الكرونولوجي لتعاقب ضربات الطاعون للمغرب المتتالية في كل قرن ما بين مرة إلى خمسة، وهذا لا يعني أن المغرب تعرض فقط للطواعن، بل إن المجتمع المغربي عاش تحت خبط أفاته وبائية أخرى كانت مدمرة للصحة في

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون(ج1)، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق-سوريا، ط1(2004)، ص 120-121.

2 للمزيد أنظر: محمد الأمين البزاز، الطاعون، معلمة المغرب(ج17)، المرجع السابق، ص 5679.

المغرب من بينها وباء التيفوس، والجدري الذي استمر خلال مرحلة الاحتلال وشكلا مع الطاعون مثلث الرعب الوبائي الذي دمر الصحة المغربية خلال حقبة الاستعمار[1].

في ظل تعاقب الجوائح الصحية التي عتث في المغرب خبطا، إلى حد التأثير على دينامية الديمغرافية لعدد السكان_ حيث قضت على "ما لايحصى من الموتى"_ بالإضافة إلى الوضع الاقتصادي الهش الذي كان وراءه كل من الجوائح الصحية والطبيعية كسنوات الجفاف المتتالية التي هي الأخرى تعاقبت على المجال المغربي بين الموسم الفلاحي والأخر. لقد شكلت هذه الجوائح الطبيعية والوبائية، أسبابا من الأسباب المباشرة لضعف المغرب السياسي والاقتصادي، والحد من نموه الديمغرافي، وعاملا في انحسار سيرورة التقدم والإزدهار، بل وتسجيل التراجع عن مسار النهوض والاقلاع الحضاري العام؛ وفي هذا السياق يقول المؤرخ المغربي جرمان عياش في رسالتة تقريره عن مناقشة أطروحة محمد البزاز(تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب": "كيف كان بإمكان المغرب أن يتطور وينمو، ويعزز كيانه ليصمد بالذات أمام هذا التسرب الأوربي، كما فعلت اليابان، مثلا، والحالة أن الأوبئة والمجاعات كانت تجرف كل عشر سنوات أو خمسة عشرة سنة، بقسم هام من ثروته الحيوانية والبشرية، بما فيها الأطر الادارية والعسكرية والثقافية؟ لقد كانت القوى المنتجة ووسائل النقل تتعرض للتدمير، وكان الأمن يختل، والعلم يضمحل بحيث إن البلاد، بدلا من أن تخطو إلى الأمام، كانت ترتد إلى الوراء"[2]. لكن، من المفارقات التاريخية في مسار التاريخ عند الأمم والشعوب تعد "الجوائح مصاحبة لنوع التطورات والانتقالات التي تعرفها المجتمعات، وأنها نقطة فارقة في مسارات تقدم وتطور هذه المجتمعات"[3].

اجمالا، يمكن استخلاص من خلال بعض الدراسات_التاريخية[4]_ التي تناولت الأزمات الطبيعية والصحية عموما بالخصوص في تاريخ المغرب من حقبة الموحدين إلى ثلاثينات القرن الماضي، أن المجال المغاربي عرف موجات عديدة من الأوبئة اجتاحت البلاد. وقد ترتب عنها العديد من الضحايا، وساهمت هذه الازمات بشكل ما من في تغيير العقليات والذهنيات، كما كانت الجوائح والأزمات وراء كشف عن الفكر العلمي للمنظومة العلمية عقب كل عهد، وبينت مدى مصداقية الخطابات في المجتمع، وكشفت القناع عن أساليب تدبير الصحة والمرض في المجتمع الذي كانت تترسخ فيه أساليب التقليدية في المداواة، وفي تفسير الظواهر الصحية. فما طبيعة تجليات قوام الصحة والمرض من المنظور الثقافي الشعبي العام؟

---

[1] للمزيد أنظر: بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945(مطابع الرباط نت، المغرب، ط1(2013)، ص 114-150.

[2] محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب: في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، سلسلة: رسائل وأطروحات، رقم 18، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992)، ص8.

3 للمزيد أنظر: مبارك الطايعي، الجوائح والمجتمع من القلق والخوف إلى التدبير والتجاوز. في المؤلف الجماعي لجامعة ابن طفيل: الحياة ...في زمن الفيروس التاجي "كوفيد-19"، المرجع السابق، ص102.

[4] أنظر :

- حسن بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، توزيع سبريس، الدار البيضاء-المغرب(2002)؛
- Bernard Rosenberger et Hamid Triki, "Famines et épidémies au Maroc" aux XVIe et XVIIe siècles», Hespéris-Tamuda, vol. XIV-1973( pp. 109-175) ; vol. XV, 1974(pp. 5-103).
- محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب: في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، سلسلة: رسائل وأطروحات، رقم 18، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992).
- بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945(مطابع الرباط نت، المغرب، ط1(2013).

رابعا: الصحة والاستعمار الثقافة الشعبية

1- الطب واحتلال المغرب أي علاقة؟

كانت الجوائح التي تعرض لها المجال المغربي في تاريخه، تبصم تاريخه، وتنحت مخيال مجتمعه، فما من أزمة مر بها المغرب في تاريخه إلا وتركت خدودا وخدوشا عميقة على المجتمع المغربي، عبرت عليها لغة القوم وثقافتهم، وحفظتها ذاكرتهم الجماعية بشاهد ما. وما تزال الذاكرة المغربية محتفظة بأعوام أطلقتها على أزمنة عسيرة من تاريخ المغرب، كزمن الأوبئة والمجاعات والاحتلال...إلخ. ففي الذاكرة المغربية ما تزال تتذكر أعواما بعينها من الماضي عقدتها في ذلك تؤرخ لتكالب الامراض والاوبئة على المجتمع، إذ تتحدث الذاكرة والأبحاث في أرشيف الكوارث التاريخية، عن جمرة أعوام حارقة على المجتمع المغربي، الذي عاش تحت وطأة العديد من الأوبئة والأمراض، ففي هذا السياق يسجل في الذاكرة الجماعية جملة من الأعوام تعتبر من بين الأعوام التي استنزفت فيها الصحة المغربية: فهاذا عام الجمرة، وعام بوكليب، وعام يرني، وعام الجوع، ... وغيرها من الأعوام العسيرة التي توالت على المغرب. تشكل هذ الأعوام مجتمعة من مآسي المغرب التاريخية، فبالإضافة إلى دوائرها القادمة من عالم الأوبئة والمجاعات، دارت على المغرب دائرة الاحتلال التي كان من مداخلها الحماية الفرنسية خلال الحقبة الكولونيالية التي تكالب فيها على المغرب كل من قوى الاحتلال الفرنسي والاسباني. ومن المفارقات شكل الميدان الطبي احدى الرهانات، وطرق التسرب الاستعماري للمغرب؛ فوضع الصحي يومئذ بالمغرب لم يكن على خير، حيث كان الميدان دون جهاز حقيقي يسهر عليه. ولا يمكن الحديث عن مقارنة مع وجود فارق بين المنظومة الصحية الفرنسية والمغرب إبانئذ. وعليه، وجد الاحتلال الفرنسي في مضمار صحة المغاربة "شقا من ضمن شقوق أخرى فتحت أمام الاستعمار الفرنسي المتفوق طبيا"[1]. ولم يتوانى قادة الحماية على رأسهم المقيم العام بالمغرب ليوطي(Hubert Lyautey)عن الاشارة إلى أن "انجع وسيلة للتغلغل وجلب الاهالي وتمهيد البلاد"[(2)] للاستعمار، استعمال ورقة الطب، فالطبيب سيوظف توظيفا لخدمة اجندة الاحتلال عند السلطات الاستعمارية التي جعلت كل شيء في قلب معادلة تدليل العقبات أم مشروعها الاستعماري، ومن الجدير بالاشارة كان مقتل طبيب سببا مباشرا لفرض الحماية على المغرب حسب المؤرخ بجمعة رويان[3]. إن الوضع الصحي للبلاد المغرب لم يكن على ما يرام، بل يتحدث الباحثون غداة الحقبة الكولونيالية وفي حقبتها، عن عدة مظاهر مأساوية تعبر عن حالة البلاد من الناحية الصحية، التي كانت وراءها الأمراض والمجاعات. وهذا ما يشير إليه مؤرخ التاريخ الاجتماعي بوجمعة رويان حول الصحة العامة بالمغرب يومئذ، حيث كانت الحالة الصحة مزرية بالمغرب إذ" كانت واقعاً لا سبيل إلى إنكاره، وما ذوو الخياشم المتآكلة والأورام والعاهات وطوابير العمي، وغيرهم ممن كان يصادف في الأسواق أو في ساحات المدن إلا مؤشرات على وضعية صحية متردية، بل إن المتصفح للمجلات المتخصصة ليندهش مما تضمنته من صور لخلائق شوهت الأمراض ملامحها"[4]. لم تكن حقبة الاستعمارية إلا ضربة من ضربات "فيروس الاحتلال" الذي زاد في تعميق الهوة المجالية، وتعميق جروح المجتمع المغربي، ومضاعفت معاناة المجتمع المغربي الذي لم يسلم من نير الاحتلال، ومن نير الأوبئة، والأمراض التي تقترن في تفاصيلها بالمجاعات. يقول المغاربة ما معناه، ضربة على رأس يمكن الصمود أمامها، أمّا ضربتين وأكثر على الرأس يكون لها تداعيات؛

[1] بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945(مطابع الرباط نت، المغرب، ط1(2013)، ص 18.

[2] بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب، المرجع السابق، ص 19.

[3] بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب ، المرجع السابق، ص 18.

[4] بوجمعة رويان، المرجع السابق، ص 18.

لقد رسمت الأوبئة والأمراض والمجاعات والاحتلال أخاديد في التاريخ المغربي المعاصر، ووشمت مخيال الانسان المغربي بأهوال المصائب التي كما يقال لا تأتي فرادى.

2- مرد المرض في الثقافة الشعبية

يعرف إيكه هولتكرانس الثقافة الشعبية على أنها هي "الثقافة التي تميز الشعب والمجتمع الشعبي، وتتصف بامتثالها للتراث والأشكال التنظيمية الأساسية "[1]. أما رادفليد يعتبرها "اسلوب مشترك في الحياة يميز معظم أو جميع أفراد العديد من القرى والمدن الصغيرة والمدن في منطقة معينة "[2]. ومن بين الملاحظات التي يشير إليه الباحثون في شأن الفولكلور؛ أن الثقافة الشعبية جزء من الفولكلور، إذ هذا الأخير، الذي "يتضمن كل الأشكال المأثورة التي تستخدم الكلمة أداة لها والتي خلقها الناس سواء كانوا بدائيين أو متحضرين بالإضافة إلى المعتقدات الشعبية والخزعبلات والعادات وأساليب التعبير الشعبية والرقصات وفنون التشخيص الشعبية"[3]. تحظى الصحة والمرض في الثقافة الشعبية بأهمية بالغة، فحديث اليومي يعبر عن هذا الامر، حيث يتردد في الحياة اليومية عند المغاربة عبارات دالة على أولوية الصحة على ما دونها؛ فيقال على سبيل المثال[4]: "الصحة هي كلش"، "تبقا غير الصحة وتجي فين بغات"، "إلى خطاتك الصحة خطاك كلشي"، "صحة هي راسلمال"...وغيرها من العبارات المستعملة بكثافة في مسرح الحياة اليومية الدالة قطعا على نعمة صحة النفس والبدن. المجتمع المغربي كباقي المجتمعات، التي ترجع المرض والاوبئة إلى قوى ما في الثقافة الشعبية، ففي المجتمع المغربي يكاد يكون المرض والاوبئة محسوم في علتها في الذهنيات الشعبية، فهي ترتبط بأربعة أسباب[5]، فإما أن يكون المرض سببه الكائنات التي لا ترى وهي الجن والعفاريت، حيث يصنف المغاربة حالة بعض الافراد الذين يعانون من الصرع، إلى ضرب الجن، وهذا الحال يستدعي بلا منازع "فقيها"[6]؛ فتدخل الفقيه الذي يعد الجهة الوحيدة القادرة على معالجة الصرع الذي يكون تعرض له المرء، وليس أي فقيه بل فقيه يكون له قدر علمي، يشهد له بتحرير العديد من الأشخاص من "المس"(يسمى كذلك "القيس/مقيوس في ثقافة المجتمع). ومن حضر أحد الطقوس "استخراج الجن" من أحد الافراد المصابين حسب تشخيص "الفقيه"، يلاحظ أن الفقيه يستعمل قراءة بعض الأيات من القرآن الكريم، وإناء من الماء، والحديث مع المصروع الذي يتحدث عنه الجن أصالة عن نفسه...فيأخذ الجن يتجاوب مع الفقيه بلسان "المقيوس" بل أحيانا يماطله، فما يكون من الفقيه إلا أن يهدده بحرقه بآيات القرآن الكريم. ومن السرديات في هذا الباب أن الجن قد يكون غير مسلم كأن يكون يهوديا أو نصرانيا. هذا كان عن الجن. ومن الامر الأخرى التي يعتقد اعتقادا قويا بها عند طبقات المجتمع المغربي، مسألة "العين"(=العين الشريرة) التي تعد بلا منازع العامل الأول في اعتلال الصحة، وفي الرزء والفقد...وفي كل مكروه قد يصيب الانسان المغربي. ومن المعلوم أن مفهوم "العين"

---

1 إيكه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، ط1(مصر، دار المعارف، 1972)، ص 158.

2هولتكرانس، المرجع السابق. ص 160.

3إدريس كرم، الأدب الشعبي بالمغرب الأدوار والعلاقات في ظل العصرنة، منشورات اتحاد كتاب المغرب، المغرب، ط1، 2004، ص21.

4 عبارات تتردد في الحياة اليومية تعبر عن مركزية الصحة في الحياة لا يمكن تقديم عليها شيء مادي كيف ما كان.

[5] تحديد بعض الدراسات أربع أسباب للمرض عند المغاربة وهي: كائنات غير مرئية، والعين، والتوكال، والقضاء والقدر. للمزيد أنظر: بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945(مطابع الرباط نت، المغرب، ط1(2013)، ص ص 73-77.

[6] الفقيه بالمعنى التقليدي المتداول في الثقافة الشعبية، حيث يمكن أن يكون امام في مسجد، أي فقيه الشرط، سواء كان في مدينة أو قرية. معروف عليه حفظه للقرآن الكريم (أو يعمل من بيته الخاص)، مع علم الناس ببركاته وقوته في اشتغال على صرع الجن وكتابة التمائم ونحوها من الاعتقادات التي يعتقدها الناس في الثقافة الشعبية في الفقيه. ومعلوم في الأوساط الثقافية الشعبية أن هناك فقهاء لهم قوة وبركات في العديد من المسائل؛ من بينها، صراع الجن، الرقية، فك عقدة السحر والحسد، تسكين آلام الضرس، كتابة حجابات والتمام الطاردة للأرواح الشريرة، حل العقد الجنسية(الثقاف) ونحوها من الأمور التي يدق فيها أبواب الفقها .

من المفاهيم الكبرى كمفهوم "البركة" في النسق الثقافي المغربي المؤثثة للمشهد الثقافي الشعبي. ومثل هذه المفاهيم تشكل احدى المفاتيح في قراءة الخرائط الثقافية والاجتماعية للمجتمعات، بل مثل هذه المفاهيم"هي بمثابة الأسس التي تستند إليها رؤية هذه الشعوب إلى الكون ومن ثمة تفسيرهم للحقيقة"[1]. من قدرة "العين" العابرة "للحجابات" تحل مصيبة حتى في المال والجماد. نجد في الذهنيات المغربية مسألة "العين"، التي تعبر عن عوالم الإحساس بالتشاؤم من الغير، وتعبر عن طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الافراد في المحيط، تستمد مرجعيتها من التفسير الاجتماعي الشعبي والتأويلي من المنظور الاسلامي، حيث يعد أحد الاحاديث النبوية لرسول(ص)، يتحدث فيها عن العين، من بين أشهر الأحاديث المحفوظة في الأوساط الشعبية حيث يقول في سياق الحياة اليومية: "العين حق هدر عليه الرسول صل الله عليه وسلم" ثم يتبع ذلك بالاستشهاد بالحديث النبوي الذي يبتر منه نص الحديث الاتي: "ثلث ما في القبور من العين". قصارى القول، العين هي سبب من الأسباب التي ترد إليها بعض الإصابات في الحياة، وتعبر عنها العديد من العبارات في الدارجة المغربية ك"الحضيا"(=مراقب في نعمته)، و"التابعا"(=متبوع في رزقه)، وهي مجموعة من الكلمات الدالة في أوساط الثقافة الشعبية بالمغرب على شيء يعكر ويقوض حياة الافراد النفسية والاجتماعية. وتكاد تكون بالنسبة للبعض_العين_ التفسير الأول لمجريات حياتهم المتعثرة، وتقلباتها المفاجئة نحو الانحدار، وكذا اعتبارها من العوائق الشائكة في مشوار حياتهم، وسعيهم الحثيث لتحقيق حاجاتهم الاقتصادية والذاتية. يجعل البعض من مثل هذه الامور المعبر عنها بالكره والحسد و"الحضيا" و"التابعا" المسلطة من قبل الغير، أصل مشكلات حياة المرء في المجتمع، وأصل كل الشرور التي تقع عليه. ومن هذا الفهم يتم تصدير الازمة للغير. ومن الجدير بالملاحظة في متاهة الحياة الاجتماعية سواء عند الافراد المتعلمين أو غير المتعلمين من مختلف الطبقات الاجتماعية (الفقراء والاغنياء وكلا الجنسين)، لا يمكن بأي حال من أحوال أن تتواجد في وسط اجتماعي، ولا تجد شخصا ليست له قصة مع هذا الشعور بالعين، ونحو ذلك من الإحساس بأنه محسود على نعمه أو يلقى كرها من قبل الغير يدخل ضمن"التابعا"، لا سيما من قبل اشخاص من محيطه المجالي. من عالم العين الذي يغلفه الغموض، هناك أشخاص أو صفات خلقية بعينها أو مجموعة عرقية معروفة بفراستها بالعين، كصاحب "الحواجب المقترنة" كما تقول تمثلات المجتمع. والعجيب والغريب في فهم سبب المرض عند البعض في المجتمع، يرجع المرض إلى العين ولو كان المصاب مصابا بضربة شمس، فالعين هي التي كانت وراء ذلك!

بعد سبب العين، تتحدث الثقافة الشعبية عن حالة بعض الوضعيات المرضية، التي ترجعها رجعا إلى ما يطلق عليه ب"التوكال"، فالتوكال وهو كما معروف جزء من عالم السحر والشعوذة، فسبب توعك العديد من الأشخاص الذين لقو عقابا من خصومهم في الحياة، حيث يكْمَن للخصم في الطعام ومنه جاءت تسمية "التوكال(= من الأكل)، حيث تقوم بعض النساء بتوكيل من يكون لهن معهم أحد الارتباطات، فيكون توكال وراء ضرر الشخص، أو تكون غاية توكال بدون أضرار، فقط تكون من طلاسم زيادة الروابط الزوج والزوجة ونحوه. والتوكال من الأمور التي ما تزال يفسر بها حالات العديد من الوضعيات المرضية العضالية أو النفسية التي تلزم بمعالجة التوكال بالاعتماد على الوصفات من صيدلية المعشبة التي يقررها الطب التقليدي، مدججة بالبركة. فلا معنى للأعشاب والمواد الغذائية الطبيعية بدون بركة ولي أو فقيه أو راقي...إلخ. هذا كان عن التوكال.

[1] ادريس كمون، مفهوم البركة في الثقافة الشعبية المغربية عند إدوارد فسترمارك، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 28، ص 162.

ومن الأسباب التي يتحدث عنها المغاربة في سيرورة المصائب الوبائية والأمراض، يتحدث المغاربة عن القضاء والقدر، ففي الاعتقاد المغربي عبر أطوار الذهنيات الاجتماعية، ارجاع الموجات الوبائية وحالات الامراض إلى مسألة القضاء والقدر. وهذا ما يتردد في العديد من المصائب سواء قادمة من عالم الأوبئة والامراض أو من عوالم الطبيعية، فهي تأخذ صفة القضاء والقدر. وتترجم حرفيا أحيانا إلى عقاب بترك الطريق الصحيح. لكن خلال جائحة كورونا نظر لها من وجهين، الوجه العقابي، وكذلك كان الوجه التأمري حاضرا، حيث تسرب للثقافة الشعبية أن هذه كورونا من المؤامرات التي تحاك ضد المسلمين من قبل "الماسونيين"، فبفعل وسائل التواصل والاقبال الشعبي على فتح حسابات في مواقع التواصل، ومشاهدة ما يروج من وصلات بالصوت والصورة حول مواضيع تتعلق بالماسونية، أصبحت الماسونية متغيرا في التفسير الشعبي لحالة الأوبئة ونحوها من القضايا التي تحكم حسب الحس المشترك.

السؤال الذي يطرح، هل ما تزال مثل هذه المحددات التي ترجعها الثقافة الشعبية سبب المرض مستمرة في التمثلات الاجتماعية. وهذا ما لا يمكن الاختلاف عليه. ففي المجال المغربي تعبر كل من المعشبات، ودكاكين الرقية، وأوكار الاعمال السحرية، وزيارة الأولية، والحج عند ذوي البركات والكرامات في التراب المغربي، وازدواجية العلاج بين الجمع بين وصفات الطبيب والعمليات والطب التقليدي وغيرها من الأعمال التي تتخبط فيها أسر وعائلات المرضى هي شاهد على استمرارية أشكال المداواة من تحت مجهر العادات والتقاليد. فظاهرة العلاج الشعبي متجذرة في المجتمع ثقافيا حيث تخترق جميع فئات وطبقات المجتمع[1] وهي ظاهرة لا تخطئ العين الملاحظة في دهاليز الحياة الاجتماعية. من غرائب الصدف في بعض الحالات المرضية أن تجد شخصا مريضا ذو تعليم وثقافة يقر بأنه قام بتتبع مع أحد الأطباء المختصين سنوات، ولم يقدم معه معالجة الطبيب له، بينما حينما أشار عليه بعض بنهج "دوا المسلمين"[2] حدث معه تغير وتحسن يقول فيه المريض السابق ما قال مالك في خمر.

خاتمة

حديث الصحة والمرض في الثقافة حديث طويل، متشعب بين عدة تخصصات ونظريات من العلوم الإنسانية والاجتماعية بالخصوص. من فوائد جائحة كورنا أنها أعادت وقائع وظواهر الصحة والمرض إلى واجهة التفكير العلمي في العلوم الاجتماعية، كما كانت الجائحة باعث على العودة إلى استقصاء أبحاث ودراسات تتعلق بالصحة والمرض تتضمن معطيات كمية ونوعية تفند التاريخ الصحي العام، والخاص بالبلدان. تلك الدراسات التي حاصرت المقولة الشفهية المتردد في دواليب الحياة الاجتماعية في المجتمع المغربي عن وضع الصحة بين الماضي والحاضر، حيث لا يخامر الشك أحدا في التمثل الاجتماعي في دهاليز الثقافة الشعبية أن صحة المغاربة بالأمس والماضي القريب كانت على أحسن حال وعلى ما يرام!

[1] ادريس مقبوب، طقوس العلاج الشعبي بالمغرب، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 34، ص 105.

[2] دواء المسلمين مصطلح من مصطلحات الثقافة الشعبية، يقصد به أساليب وطقوس العلاج القادمة من صيدلية الوصفات الشعبية. ودائما ينصح باستعمال بعض مكونات هذا الدواء، كالعسل الحر والحليب واللبن، وماء زمزم...إلخ.

المراجع

- الوحيشي أحمد بيري وعبد السلام بشير الدويبي، مقدمة في علم الاجتماع الطبي، ط1(ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، 1989).
- محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، ط5 (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربي، 2002).
- محمد حبيدة، المدارس التاريخية: برلين، السوربون، استراسبورغ، ط1 (الرباط، دار الأمان، 2018).
- محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب: في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، سلسلة: رسائل وأطروحات، رقم 18، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992).
- محمد الأمين البزاز، الطاعون، معلمة المغرب(ج17)، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب(1424-2002)، 5679-5680.
- محمد أبطوي، دراسة الوباء وسبل الترز منه: الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي والاجتماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2020، على رباط موقع الموقع المركز https://www.dohainstitute.org/ar/ResearchAndStudies/Pages/Pandemics-In-Arab-Medicine-and-Socio-Cultural-History.aspx ، شهد في 22/06/2023.
- مادلين غراوايتز، مناهج العلوم الاجتماعية: الكتاب الثاني منطق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة سام عمر، ط1(دمشق، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، 1993).
- لوسيان غولدمان، العلوم الإنسانية والفلسفة، ترجمة يوسف الأنطاكي، المشروع القومي للترجمة (مصر، المجلس الأعلى للثقافة، 1966).
- فهمي جدعان وآخرون، حصاد القرن: المنجزات العلمية والإنسانية في القرن العشرين(العلوم الأساسية والتكنولوجيا)، المجلد 3، ط1 (الأردن، مؤسسة عبد الحميد شومان، 2007).
- علي مكاوي، الأنثروبولوجيا الطبية، دار المعارف الجامعية، مصر-الإسكندري(منشور على صيغة pdf).
- علي معمر عبد المؤمن، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: الأساسيات والتقنيات والأساليب، ط1 (ليبيا، منشورات جامعة 7 أكتوبر، 2008)
- عزمي بشارة، جبر الخواطر في زمن المخاطر: الناس والوباء، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2020، سلسلة مقالات، على رباط موقع الموقع المركز: https://www.dohainstitute.org/ar/ResearchAndStudies/Pages/Azmi-Bishara-Contemplations-Covid-19-Pandemic.aspx شهد في 02/07/2023.
- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط3(الكويت، وكالة المطبوعات، 1977).
- طلعت إبراهيم لطفي وكمال عبد الحميد الزيات، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، ط1(مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1999).
- سوتيريوس سارانتاكوس، البحث الاجتماعي، ترجمة شحدة فارع، ط1 (بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017).
- سالم يفوت، ابستمولوجيا العلم الحديث، ط2(الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2008).
- خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، ط1(لبنان، دار الحداثة، 1984).
- حسن بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، توزيع سبريس، الدار البيضاء-المغرب(2002)
- جون سكوت، علم الإجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان. ط1(بيروت: الشبكة العربية للأبحات والنشر، 2009).
- جمال الكركوري وأحمد فرحان وآخرون، الحياة ...في زمن الفيروس التاجي "كوفيد-19"، جامعة ابن طفيل، مطابع الرباط نت، الرباط المغرب، ط1(2020).
- أنتوني غدنز، علم الاجتماع (بمساعدة كارين بيردسال، (مع مداخلات عربية)، ترجمة فايز الصياغ، الطبعة 4(بيروت: المنظمة العربية للترجمة،2005).
- جروج طرابيشي، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصر. الطبعة الثالثة (بيروت : دار الساقي، 2012).

- جان شارل سورنيا، تاريخ الطب: من فن المداواة إلى علم التشخيص، ترجمة إبراهيم البجلاتي، عالم المعرفة 281( الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2002).
- تقرير الجزيرة الوثائقية على موقها في شبكة الانترنت: ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي.. قاهر الطاعون وصاحب أول كتب الأوبئة، على الرابط موقع قناة الجزيرة الوثائقية: https://doc.aljazeera.net/reports/2020/5/6/%D8%A7%D8%A8%D9%86-%D8%AE%D8%A7%D8%AA%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%B5%D8%A7%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%AF%D9%84%D8%B3%D9%8A-%D9%82%D8%A7%D9%87%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7 ، شهد في 30/06/2023.
- بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945(مطابع الرباط نت، المغرب، ط1(2013).
- بن خلدون، مقدمة ابن خلدون(ج1)، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق-سوريا، ط1(2004)
- إيكه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، ط1(مصر، دار المعارف، 1972).
- أولريش بيك، مجتمع المخاطرة، ترجمة جورج كتورة وإلهام الشعراني، ط1(بيروت، المكتبة الشرقية،2009).
- امحمد مهدان، نظريات سوسيولوجية معاصرة، دون ط(أكادير، جامعة ابن زهر-أكادير، 2013).
- أسامة الرشيد، "كورونا وفيروس الأخبار الكاذبة.. أعراض مضاعفة!" في مجلة الصحافة-الجزيرة، على الرابط الاتي: https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/1126 شهد في 15/05/2023.
- ادغار موران، المنهج، الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها(ج4)، ترجمة جمال شحيد، ط1 (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2012).
- ادريس مقبوب، طقوس العلاج الشعبي بالمغرب، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 34.
- ادريس كمون، مفهوم البركة في الثقافة الشعبية المغربية عند إدوارد فسترمارك، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد 28.
- ادريس كرم، الأدب الشعبي بالمغرب الأدوار والعلاقات في ظل العصرنة، منشورات اتحاد كتاب المغرب، المغرب، ط1، 2004.
- إبراهيم عيسى عثمان، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، ط1(رام الله، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2008).
- Bernard Rosenberger et Hamid Triki, "Famines et épidémies au Maroc" aux XVIe et XVIIe siècles», Hespéris-Tamuda, vol. XIV-1973( pp. 109-175) ; vol. XV, 1974(pp. 5-103).

# مُقومات سياحة الكهوف في مصر: وادي صورا أنموذجًا

## دِراسة ميدانيَّة في الأنثروبولوجيا الثقافية

## *Elements of Cave Tourism in Egypt: Wadi Soura as a Mode l*

**ياسر عبدالتواب زكي عمارة[1]. أ. د سعد عبدالمنعم بركة[2]. أ. م د محب محمد شعبان[3].د. تامر جاد راشد[4].**

**الملخص**

إنَّ موقع وادي صورا يتمتع بالعديد من المقومات الطبيعية والأثرية والجيولوجية والبشرية. وكذلك يعاني الموقع من الإهمال وعدم التطوير سياحيًا، بالإضافة إلى عدم إدراجه في البرامج التسويقية لبورصة السياحة العالمية. وتعد هذه المقومات كنز يمكنه أن يجلب لمصر آلاف السائحين مما يُمكن أن يُساهم في زيادة الدخل القومي، واستغلال هذه المقومات في زيادة الأنماط السياحية للمنطقة من خلال صناعة سياحة الجبال والمغامرات وسياحة الصحاري.

إن العنصر البشرى أحد أهم مقومات السياحة في مصر، وهو المحور الرئيسي للعملية السياحية، وتمثل المقومات البشرية أساسًا وضابطًا مُهمًا في السياحة، فالإنسان هو المخطط والمنتج والمستهلك. والمرافق والخدمات من بين العوامل البشرية التي يجب توفيرها على نحو مُناسب من أجل قيام التنمية السياحية وتطورها ويتوقف نجاح النشاط السياحي على دقة الخدمات وتنظيمها، وتلبية المطالب بالمستوي اللائق، وبالأسعار المناسبة.

وتتطلب التنمية السياحية تدخل التخطيط السياحي باعتباره منهجًا يستهدف تحقيق أكبر مُعدل مُمكن من النمو السياحي بأقل تكلفة مُمكنة وفي أقرب وقت مُستطاع، فالتخطيط السياحي يعتبر ضرورة من ضرورات التنمية السياحية الرشيدة، حتى يُمكن للدول النامية أن تواجه المنافسة في السوق السياحي العالمي.

**الكلمات المفتاحية:** مُقومات – سياحة الكهوف - أنثروبولوجيا ما قبل التاريخ – التنمية – وادي صورا – الجلف الكبير مصر.

**Abstract**

The site of Wadi Soura has many natural, archaeological, geological and human potentials. The site also suffers from neglect and lack of tourism development, in addition to not being included in the marketing programs of the World Tourism Exchange.

These ingredients are a treasure that can bring thousands of tourists to Egypt, which can contribute to increasing the national income, and exploiting these ingredients to increase the tourism patterns of the region through the tourism industry of mountains, adventures and tourism of deserts.

The human element is one of the most important elements of tourism in Egypt, and it is the main focus of the tourism process. Facilities and services are among the human factors that must be provided in an appropriate manner in order for tourism development to take place and develop. The success of tourism

[1] ) باحث دكتوراه: كُلية الدراسات الإفريقية العُليا، جامعة القاهرة.(
[2] ) أستاذ الأنثروبولوجيا: كُلية الدراسات الإفريقية العُليا، جامعة القاهرة.(
[3] ) أستاذ الأنثروبولوجيا المُساعد: كُلية الدراسات الإفريقية العُليا، جامعة القاهرة.(
[4] ) مُدرس الأنثروبولوجيا: كُلية الدراسات الإفريقية العُليا، جامعة القاهرة.(

activity depends on the accuracy and organization of services, and meeting demands at an appropriate level and at appropriate prices.

Tourism development requires the intervention of tourism planning as an approach aimed at achieving the largest possible rate of tourism growth at the lowest possible cost and as soon as possible. Tourism planning is a necessity for rational tourism development, so that developing countries can face competition in the global tourism market.

**key words:** Ingredients - Cave Tourism - Prehistoric Anthropology - Development - Wadi Soura - The Big Gulf - Egypt.

**مقدمة:**

في السنوات الأخيرة باتت سياحة الكهوف واحدة من أنواع السياحة التي يعشقها المغامرون، إذ يخرجون في رحلة مليئة بالمغامرة ممزوجة بالغموض، إلى أن ينصبوا الخيام، لقضاء أمتع الأوقات. إن للكهوف أهمية كبيرة نظرًا إلى كثرة مرتاديها واستقطابها شرائح وأعدادًا كبيرة من السياح الذين تتنوع هواياتهم بين المغامرة والترفيه والرياضة، وتعتبر المقومات السياحية للكهوف، إن حسُن استغلالها، أحد أهم عوامل الجذب السياحي لأنماط السياحة البيئية والسياحة الجيولوجية.

ويتمتع موقع وادي صورا بالعديد من المقومات الطبيعية والأثرية والجيولوجية والبشرية، وتعد هذه المقومات كنز يمكنه أن يجلب لمصر آلاف السائحين مما يمكن أن يساهم في زيادة الدخل القومي وذلك من خلال استغلال هذه المقومات في زيادة الأنماط السياحية للمنطقة من خلال صناعة سياحة الجبال والمغامرات وسياحة الصحاري التي تعتمد بشكل أساسي على تنوع العوامل البيئية والطبيعية، ولكن وبالرغم من توافر هذه المقومات بوادي صورا إلاَّ أن السياحة إلي هذا المكان ظلت حبيسة التهميش والإقصاء البيروقراطية والصعوبات الإجرائية والعراقيل التي تقف حجر عثرة أمام الإنطلاقة الحقيقية لهذا المنتج السياحي الفريد.

إن موقع وادي صورا يعاني من الإهمال وعدم التطوير سياحيًا، بالإضافة إلى عدم إدراجه في البرامج التسويقية لبورصة السياحة العالمية، بالإضافة إلى ندرة الأبحاث والدراسات التي تتناول أهمية السياحة العلمية والصحراوية والطبيعية للموقع، لذلك يأتي هذا البحث لمحاولة عرض بعض المقترحات والحلول لسياحة كهف وادي صورا، من خلال التعرف على كيفية تطوير العمليات السياحية لهذا الموقع واستغلاله سياحيًا، والتسويق له، وذلك لجذب أكبر عدد من السائحين.

ويسعى هذا البحث إلى رصد المقومات السياحية للكهف، والمعوقات التي تواجه سياحة الكهوف، حيث اعتمد الباحث على عدد من الأدوات منها: المنهج الأنثروبولوجي، والمنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي. ونظرية الثقافية الرمزية، نظريات التنمية، نظرية النظام العالمي، ونظرية التحديث.

## أولًا: أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في عدم التطرق إليه كثير من الدراسات الأنثروبولوجية، حيث تلقي الضوء على مقومات سياحة الكهوف في وادي صورا، والتعرف على أهم الموارد السياحية الطبيعية والبشرية التي تساهم في تنمية النشاط السياحي بمنطقة وادي صورا، والوقوف على معوقات التنمية السياحية به، وكيفية الاستفادة منه سياحيًا لوضعه على الخريطة السياحية وإدراجه ضمن البرامج السياحية بهدف زيادة الحركة السياحية الوافدة إلى مصر.

## ثانيًا: تساؤلات البحث:

**إلى أي مدى تؤثر مقومات السياحة في وادي صورا بمصر في التنمية السياحية ؟.** ويتفرع من هذا التساؤل عدد من التساؤلات الفرعية:

1. كيف يمكن النهوض بالسياحة في وادي صورا بمصر ؟.
2. ما هي التحديات والمعوقات وما هي النتائج المنتظرة من هذا النوع من السياحة؟.
3. ما هي المقومات السياحية الطبيعية والبشرية والتاريخية والأثرية لمنطقة وادي صورا؟.

4. ما هي أهم المقترحات لتنمية سياحة كهف وادي صورا؟.

## ثالثًا: أهداف البحث:

**يهدف هذا البحث إلى التعرُّف على المقومات الطبيعية والبشرية للتنمية السياحية في منطقة وادي صورا.**

1- التعرف على المقومات التاريخية والطبيعية والبشرية والجيولوجية للسياحة وتنميتها.
2- التعرف على أسباب ضعف الجذب السياحي بوادي صورا بمصر.
3- التعرف على المقومات السياحية الحديثة بموقع كهف وادي صورا وإيضاح وسائل الترويج له.

## رابعًا: مفاهيم البحث:

### أولًا: مفهوم السياحة:

هناك العديد من المحاولات لتعريف النشاط السياحي، وكان من أول تلك التعريفات لظاهرة السياحة في الثمانينات من القرن التاسع عشر، وكان أول تعريف محدد للسياحة كان عام 1905 يعود للعالم الألماني جوبير فرويلر بوصفها": ظاهرة عصرية تنبثق من الحاجة المتزايدة للحصول على الراحة والاستجمام وتغيير الجو والإحساس بجمال الطبيعة وتذوقها والشعور بالبهجة والمتعة بالإقامة في مناطق لها طبيعتها الخاصة، وهي ثمرة تقدم وسائل النقل، وما يعاب على التعريف السابق إهماله الجوانب الاقتصادية المترتبة عن النشاط السياحي، وهو ما حاول عالم الاقتصاد النمساوي شولبرن التركيز عليه في تعريفه للسياحة عام 1910م.

حيث أشار إلى أن السياحة هي "اصطلاح يطلق على كل العمليات المتداخلة وخصوصًا العمليات الاقتصادية التي تتعلق بدخول الأجانب وإقامتهم المؤقتة وانتشارهم داخل حدود منطقة أو دولة معينة"([414]). وما يلفت النظر في هذا التعريف هو تركيزه على الجانب الاقتصادي ولكنه أهمل الجانب النفسي والثقافي للسياحة. أمَّا تروبزي الايطالي 1940 فيعرف السياحة بأنها أي انتقال مؤقت من مكان إلي أخر ليست غايته تحقيق الربح([415]).

### ثانيًا: مفهوم سياحة الكهوف:

هُناك اهتمامًا ملحوظا في الآونة الأخيرة في العالم بسياحة الكهوف، لما فيها من متعة التواجد في نفس أماكن الإنسان الأول، وروح المغامرة والاكتشاف والاستمتاع بفن إنسان ما قبل التاريخ.

تتمتع الدول الحاوية على كهوف بالمقومات الكاملة للاستفادة من مثل هذه السياحة العالمية؛ حيث تعد الكهوف أحد المعالم الجيولوجية البارزة، وتطويرها سياحيًا سوف يساعد على حماية مناطق معينة من الصخور من التلوث والتلف اللذين قد يصيبان تلك المناطق إمَّا بفعل العوامل الطبيعية أو بفعل الإنسان.

والكهوف عبارة عن فوهات جوفية تختلف في أقطارها من كهف إلى آخر، وتعتبر هذه الفوهات المداخل الطبيعية للكهوف. قد تختلف الكهوف في كيفية النزول إليها فنجد أن بعضها أفقية المداخل والبعض الآخر رأسية، وتحتوي الكهوف على ممرات داخلية مختلفة القياسات منها الضيق أو الواسع والتي تؤدي إلى غرف أخرى تحتوي على مكونات جمالية مميزة.

---

([414]) نعيم إلياس: وسراب الظاهر ) **مبادئ السياحة**، دار المسيرة، ط2، 2007، الأردن. ص29

([415]) أحمد الجلاد: **جغرافية سياحية جغرافية تطبيقية**، الطبعة الأولي، الجزء الأول، عالم الكتب، القاهرة، 2000.

وتمتاز هذه الغرف بدرجات حرارة معتدلة وهواء عليل مقارنة بالطقس السائد على السطح خلال معظم فصول السنة، بالإضافة إلى المناظر الجمالية المميزة في التركيب والتشكل على مدى بعيد من السنوات، والتي تظهر معجزة الله في الأرض.

وتعتبر الكهوف سجلاً تفصيليًا عن المناخ والعمليات السطحية وأنواع الحيوانات والنباتات التي كانت تعيش في الماضي، هذا السجل قد سجلته الطبيعة أو الإنسان برسومه على حد السواء وتوفر دراسة العظام وحبوب اللقاح والأنواع التي تكون عالقة في الغبار والغرين داخل الكهوف معلومات حول أنواع الحيوانات والنباتات التي كانت سائدة في الماضي([416]).

## خامسًا: المداخل النظرية والمنهجية:

### أولًا: مناهج الدراسة:

**1) المنهج التاريخي:**

إن المنهج التاريخي في البحث العلمي يقوم على تتبع وتعقب الظاهرة التاريخية، والجدير بالذكر أن الدراسات التاريخية لا تهدف فقط إلى معرفة ودراسة الماضي من أجل التعرف عليه بشكل مجرد، ولكن تهدف أيضًا إلى صياغة الحاضر والتخطيط للمستقبل على ضوء ما تم استخلاصه من خبرات وتجارب سابقة من تلك الدراسات([417]).

وكان لابد لدراسة تلك النقوش والكتابات من استخدام ذلك المنهج لرصد التفسيرات التاريخية لتلك النقوش والكتابات([418]). فهو المنهج الذي اعتمد عليه الباحث من أجل تتبع ظاهرة، تشكيل بعض المفاهيم في وادي صورا تاريخيًا، من خلال جمع المصادر الأولية والثانوية عن تاريخ السياحة في منطقة وادي صورا المصرية.

2) **المنهج الأنثروبولوجي:**

هو منهج تطبيقي هام تعتمده الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية كافة ولذلك فإن ضرورة الاستعانة بهذا المنهج دافعًا نحو تعريف مهمة الباحث في الميدان، من أجل الحصول على أكبر قدر من المعلومات، والجدير بالذكر أن للوسائل التي أشار إليها المنهج الأنثروبولوجي، دور هام في الكشف عن الجوانب المختلفة للدراسة من أجل جمع المعلومات والبيانات من ميدان الدراسة([419]).

وفيما يخص جمع المادة الميدانية فقد استعان الباحث ببعض الأدوات منها:

---

([416]) ليوناردو كورتيل: **الموسوعة الأثرية العالمية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص22.

([417]) محمد عبد الغني سعودي ومحسن الخضيري: الأسس العلمية لكتابة الماجيستير والدكتوراه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 19992، ص 49.

([418]) عبد الغني سعودي ومحسن الخضيري: نفس المرجع السابق ص50.

([419]) حامد أبو زيد: الطريق إلى المعرفة، مجلة العربي، الكويت، 2001، ص 30.

**الملاحظة**: تم استخدام الملاحظة من خلال السفر بمرافقة مجموعة سياحية إلى منطقة وادي صورا، وقد استخدمت الملاحظة أسلوب حياة أبناء المجتمع الصحراوي وكذلك طريقة إعداد الطعام، والأدوات والأواني المستخدمة في هذا الغرض([420]).

**المقابلة**: والمقابلة الموجهة مع بعض المسئولين قبل وبعد الرحلة، والمقابلة غير الموجهة والملاحظة المباشرة ودراسة الحالة، كما اتجهت الدراسة إلى إجراء مقابلات مع أفراد من وادي صورا، وذلك للتعرف بشكل عام على ثقافة السكان بموقع وادي صورا، ومدى تأثير ذلك على تنشيط الحركة السياحية([421]).

**الإخباريون**: استعان الباحث في إجراء الدراسة بإخباريين من أبناء مُجتمع وادي صورا، ويعملون كدليل صحراوي بمنطقة الدراسة، حيث يحتاج كل من يرغب الدخول للصحراء أو العبور من خلالها لأي منطقة، إلى دليل يرشده للدروب الواجب سلوكها واتباعها حتى، فكما للصحراء سحرها لها أخطارها، وغير ذلك من الكثير من المعلومات التي حصل عليها الباحث من خلال هؤلاء الإخباريون([422]).

**التصوير الفوتوغرافي**: يمثل الأداة المنهجية الرئيسية الذي اعتمد عليه البحث في رصد وتوثيق المقومات السياحية الخاصة بموقع وادي صورا والأماكن الطبيعية والرسوم الصخرية الخاصة بالبحث من خلال الصورة الفوتوغرافية وذلك بهدف تعزيز الدراسة بالعديد من الصور الأنثروبولوجية المميزة بالمنطقة والتي حفزت العديد من السياح على القيام بالرحلات إلى هذه المناطق؛ حيث يلعب التصوير الفوتوغرافي دورًا محفزًا في تعزيز السياحة.

**3) المنهج الوصفي التحليلي:**

هو المنهج الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفًا دقيقا ويُعبّر عنها كيفًا، بوصفها، توضيح خصائصها، وكمًا بإعطائها وصفًا رقميًا من خلال أرقام وجداول تُوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأُخرى، ودراسة الظواهر والمشكلات العلمية المتعلقة بالعملية السياحية في الموقع وجمع البيانات والحقائق السياحية وتصنيفها وتبويبها. بالإضافة إلى تحليلها التحليل الكافي وإعطاء قدرًا من التفسير لهذه النتائج، بالإضافة إلى استخدام أساليب القياس والتصنيف والتفسير بهدف استخراج الاستنتاجات ذات الدلالة، ثم الوصول إلى تعميمات بشأن الظاهرة موضوع الدراسة([423]).

وقد اعتمد البحث على هذا المنهج في وصف وشرح الحالة الراهنة للظواهر السياحية، وتحديد الشروط والعلاقات بين هذه الظواهر، والتعرف على الممارسات السياحية الشائعة أثناء زيارة الكهوف. والتعرف على المعتقدات والاتجاهات الشعبية للأفراد والجماعات العاملين بالمجال السياحي والقاطنين بأقرب تجمع سكني لمنطقة كهف وادي صورا وطرق نموها وتنميتها.

---

([420]) خالد خواني: المنهج الأنثروبولوجي وأدواته بين النظري والتطبيق، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، 2021، الجزء الرابع، ص375،392.

([421]) خالد خواني: نفس المرجع السابق، ص 391.

([422]) محمد الجوهري ،علياء شكري: مقدمة في علم الأنثروبولوجيا، الناشر جامعة القاهرة، 2007، ص102.

([423]) عصام حسن الدليمي، علي عبد الرحيم صالح: البحث العلمي أسسه ومناهجه، الرضوان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤، ص١٥٠.

وفي الأخير استخلاص التنبؤات والظواهر السياحية المستقبلية المحتملة والتدابير الواجب اتخاذها إزائها، ودراسة الظروف المحيطة بهذه الظواهر في الماضي، والغرض من ذلك هو زيادة الرؤى حول هذه الظواهر وتوضيح أسباب الوضع الحالي لهذه الظواهر.

## ثانيًا: نظريات البحث:

### 1) النظرية الرمزية:

الثقافة عبارة عن نسيج من الرموز لا يمكن فهمه فهمًا حقيقيًا إلاَّ من خلال العناصر الرمزية المؤلفة لهذا النسيج، وعلى مر التاريخ جذبت الرموز اهتمام الفلاسفة والمفكرين والعلماء والأدباء والنقاد ذلك لإدراكهم لدورها الحيوي في حياة الإنسان ومعتقداته وأفكاره، فالرموز أبدعها المجتمع والأفراد وهي في الوقت نفسه عنصر مهم في تشكيل وإعادة تشكيل هوتهم الثقافية([424]).

قام الباحث باستخدام النظرية الرمزية في دراسة رمزية النقوش الصخرية لمحاولة التعرف علي هوية الإنسان الأول من خلال دراسة رموزه التي تركها لنا على جدران الكهوف التي عاش وتعبد به.

ولذلك يمكن استخدام النظرية الرمزية في دراسة إنسان ما قبل التاريخ الإفريقي من خلال نقوشه الصخرية بوادي صورا والذي يملك العديد من الرموز التي شكلت حياته، مع ملاحظة أن انتقال الرموز من فترة زمنية لأخري ليست بشكل منتظم، وأيضًا لا تمثل عمليات النقل لأشكال الحياة كافة. ولكن نجد أن الإنسان القديم كان يملك العديد من الرموز التي شكلت حياته، والتي انتقلت بعضها عبر الأزمنة مع تغيير بعض الأشكال والمسميات والمعاني، فهناك العديد من التغيرات الطبيعية التي تتيح ذلك التغيير([425]).

ومن ثم فإن استخدام النظرية الرمزية في مجال السياحة الثقافية تعني بتوضيح دور الرمز ثقافيًا في تشكيل الثقافة الإنسانية وتجسيدها لجمهور عريض من الأفراد يتلقون من خلالها ثقافتهم وأهم نماذجها، لا سيما إذا كان الموضوع يرتبط برموز مادية مثل الرسوم والنقوش الصخرية بكهف وادي صورا بمصر.

### 2) نظرية التنمية السياحية المستدامة:

اعتمدت الدراسة على نظرية التنمية السياحية المستدامة، وذلك لأن الهدف من الدراسة هو استغلال مقومات موقعي الدراسة من أجل عمل تنمية سياحية مستدامة هناك، ترى نظرية التنمية السياحية المستدامة، وأنه في ضوء الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للنشاطين السياحي والأثري بتنوعاتهما وارتباطاتهما المختلفة، واتساقاً مع المبادئ الحاكمة لرؤية منظمة السياحة العالمية 2030، والإمكانيات والأهداف الاستراتيجية التي تشملها الرؤية، وتماشيًا مع الأهداف الأممية للتنمية المستدامة.

فإن نظرية التنمية السياحية المستدامة ترتكز على تحقيق استدامة النشاطين السياحي والأثري وزيادة فاعلية آثارهما الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وذلك بتعظيم العائد منهما من خلال تهيئة البيئة المؤسسية والتشريعية

---

([424]) السيد عبد الحافظ الأسود: **الأنثروبولوجيا الرمزية**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002، ص9.

([425]) السيد عبد الحافظ الأسود: مرجع سبق ذكره، ص 125.

المتواكبة والداعمة، وتعزيز القُدرة التنافسية للمقصد السياحي، وتطوير بنيته التحتية دون الإخلال بنظام بيئي مستدام، ودون التأثير على الإرث الحضاري من الآثار المتنوعة التي تعتبر ملكًا للبشرية.

علاوة على توفير موارد التمويل اللازمة، وتعظيم الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة بالقطاعين، وتنمية الموارد البشرية وزيادة تفاعلها الإيجابي مع البيئة السياحية أو الأثرية، وتعظيم المنافع التي تعود عليها وعلى الاقتصاد القومي من النشاطين السياحي والأثري([426]).

وتعمل نظريات التنمية على تفسير العمليات التي من خلالها يُحقّق المجتمع زيادة في النموّ الرأسمالي، وتحسُّنًا في الإنتاجية يتبعهُ تحسُّن في مستوى المعيشة للسكان وفي مستوى مشاركتهم في شؤون المجتمع على مستوى المجتمع المحلي وعلى مستوى الدولة ككل، يأتي على رأس هذه العمليات عملية التنمية السياحية المستدامة بالدول النامية.

ولذلك قام الباحث باستخدام النظرية وتطبيق منهجها الذي يحث إلى ضرورة زيادة حوافز الاستثمار السياحي لتشجيع رؤوس الأموال الوطنية والأجنبية، وفتح أسواق سياحية جديدة بالإضافة إلى الأسواق التقليدية للسياحة المصرية والليبية، وتبسيط إجراءات وأنظمة التأسيس لمشروعات الاستثمار السياحي للقضاء علي التعقيدات الإدارية في ظل نظام سياحي عالمي. ونظرًا لتأكيد النظرية على أهمية التنمية السياحية المستدامة والفرص غير المتكافئة عبر الدول، فقد تم تبنيها أيضًا من قبل منظري التنمية السياحية مما جعل من هذا المزيج نظرية تفسير لنظام عالمي جديد قائم على الاتجاهات الحديثة في السياحة وأولها التكنولوجيا([427]).

## سادسًا: الدراسات السابقة:

1) **دراسة "سعد عبد المنعم محمد بركة"([428])، 1993، بعنوان: "الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى في العصر الحجري الحديث"، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية.**

**هدفت الدراسة إلى** إلقاء الضوء علي طبيعة الفن في عصر ما قبل التاريخ، المتأخر بالصحراء من حيث الطرز الفنية وطرق النقش والتلوين كما ألقت الضوء علي طبيعة الفنان من حيث إدراكه للظواهر المحيطة به.

وقسم الباحث الدراسة إلى خمسة فصول يسبقها تمهيد تناول فيه الصحراء الكبرى ككل وتتابع الاكتشافات والبعثات الأثرية لمواقع الفن الصخري بها. في الفصل الأول يناقش أسس تصنيف الرسوم الصخرية كأداة تضع الرسوم المتشابهة في مجموعة واحدة مما يسهل دراستها. ويتعلق الفصل الثاني بدراسة الحيوانات البرية لعصر الصيد وتقتصر المرحلة الأولي للرسوم الصخرية علي النقوش المبكرة للثدييات الضخمة كالفيلة والزراف والنعام ويركز أيضًا علي دراسة مواقع نقوش الكونيات والحلف والواحات.

وتضمن الفصل الثالث دراسة النقوش والمناظر الملونة للحيوانات المستأنسة لعصر الرعاة بالصحراء الغربية واهتمت الدراسة أيضًا بمشكلة استئناس الحيوانات والدخول في عملية انتاج الطعام بالصحراء الكبرى. واختص الفصل الرابع النقوش والمناظر الملونة للأشكال البشرية للصحراء الغربية في العصر الحجري الحديث من حيث الطراز والظروف

---

([426]) الصفحة الرسمية لوزارة السياحة والآثار - استراتيجية التنمية المستدامة (mota.gov.eg).

([427]) Skocpol, Theda. 1977. "Wallerstein's World Capitalist System: A Theoretical and Historical Critique." American Journal of Sociology, Vol. 82. N. 5. 1075-1090.

([428]) سعد عبد المنعم محمد بركة: "الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى في العصر الحجري الحديث"، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية: قسم الأنثروبولوجيا، جامعة القاهرة، 1993.

الاجتماعية والممارسات الدينية. وركز الفصل الخامس على دراسة التشابهات والاختلافات الثقافية بين الرسوم الصخرية للصحراء الغربية في مصر من ناحية وفنون الصحراء الكبرى من ناحية أخرى.

2) **دراسة: " إيمانويل هونوريه،[429] (2013)، بعنوان"استخدام الإنسان للطبيعة في الصحراء المصرية (الجلف الكبير) خلال فترة الهولوسين الأمثل".**

قام الباحث بدراسة التكوين الصخري لهضبة الجلف الكبير من شقوق وفواصل وتراكيب أخري والبيئة المحيطة بها وأثر المياه الجوفية في العصور القديمة عليها، ودراسة عوامل التعرية التي أثرت عليها. وتوصل إلى أنه قد تم استخدام هضبة الجلف الكبير التي تتكون جيولوجيا من الحجر الرملي كمنطقة ملاجئ بفضل سفوحها التي نحتتها عوامل التعرية في العديد من الوديان الجافة خلال الهولوسين الأمثل، من حوالي 8000 إلى 4000 سنة ق . م.

وقد سمح المنهج التاريخي والبيانات الأثرية للباحث بفهم الممارسات اليومية وكذلك الاستراتيجيات المتوسطة والطويلة المدى للمجموعات البشرية التي استقرت في المنطقة من حيث السكن والتنقل وإدارة الموارد وتنظيم الأنشطة، كلها شهود على علاقة الإنسان بالبيئة وكيف كان يستخدمها لتلبية احتياجاته.

استفاد الباحث من هذه الدراسة في التعرف على انعكاس استخدام الإنسان للطبيعة في منطقة الجلف الكبير على الفنون الصخرية من خلال الرسوم الصخرية التي توضح تأثير تبني الإنسان لرعي الماشية وما تلى ذلك من تغييرات في الاقتصادات المحلية وفي الحياة الاجتماعية والرمزية.

**تعقيب على الدراسات السابقة:**

- استفاد الباحث من الدراسات السابقة، في كل مراحل الدراسة ابتداء من تكوين الفكرة وحتى الوصول إلى النتائج النهائية للدراسة.
- الاستفادة من النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة وعقد المقارنة بين هذه النتائج وبين النتائج التي ستتوصل إليها الدراسة الحالية.

## أولاً: المقومات السياحية بموقع وادي صورا.

يتمتع موقع وادي صورا بمقومات سياحية فريدة، تتمثل في الرسوم الصخرية الفريدة التي يتمتع بها الموقع، بالإضافة إلي المقومات الطبيعية والجيولوجية والحيوانية والنباتية، بالرغم من ذلك فالموقع لا يتم استغلاله الاستغلال الأمثل في الحركة السياحية؛ حيث يقول **اللواء أحمد المستكاوي**[430]، في مقابلة شخصية عن " ما هو تقديركم لمناسبة حجم الطلب السياحي الحالي على زيارة آثار ما قبل التاريخ بالجلف الكبير في ضوء ما تتمتع به من آثار تنتمي لهذه الحقبة؟.

قال "أن حجم الطلب السياحي على نمط سياحة آثار ما قبل التاريخ غير مناسب على الإطلاق بالنسبة لمصر بوجه عام وبالنسبة لمحمية الجلف الكبير ووادي صورا على وجه الخصوص، وذلك عند النظر إلى المقومات السياحية المتوفرة والمتواجدة بالجلف وخاصة كهف الوحوش أو المستكاوي كما يحلو لي تسميته.

---

[429]) إيمانويل هونوريه: استخدام الإنسان للطبيعة في الصحراء المصرية (الجلف الكبير) خلال فترة الهولوسين الأمثل"، (رسالة دكتوراه في علم الآثار). جامعة باريس، بانثيون، سوربون، 2013.

[430]) من مقابلة شخصية مع اللواء "أحمد المستكاوي، مكتشف كهف وادي صورا، ورئيس لجنة السياحة الصحراوية بوزارة السياحة المصرية، بتاريخ 2 فبراير 2022 عن حجم الطلب السياحي الحالي على زيارة آثار ما قبل التاريخ بالجلف الكبير.

وفي مقابلة شخصية مع **الأستاذ "مجدي إبراهيم**[431]، عن مقومات سياحة بوادي صورا قال أن موقع وادي صورا هو أحد مواقع ما قبل التاريخ بمحمية الجلف الكبير والتي تذخر بتنوع كبير في مقومات السياحة بأنواعها المختلفة سواء كانت سياحة المغامرات والسياحة العلاجية والاستشفائية الطبيعية وسياحة التاريخ سواء ما قبل التاريخ أو السياحة الثقافية بشكل يحقق مزيج سياحي وتنوع يجعل منها منطقة ومساحة فريدة، مما يؤهلها بأن تكون أرض خصبة لتنفيذ برنامج سياحي شامل ومتكامل.

وفي مقابلة مع الأستاذ "**أحمد دياب**[432]، عن المكان التي تتمركز فيه مواقع آثار ما قبل التاريخ بوادي صورا، قال أنها تتمركز بجانب جبل العوينات ومنطقة الجلف الكبير والتي سُجلت كمحميات طبيعية، لذا فمواقع آثار ما قبل التاريخ بوادي صورا يمكن أن تدرج مع السياحة العلمية والطبيعية المتوفرة بالمنطقة وتستفيد من كل مقومات محمية الجلف الكبير.

وفي مقابلة مع الأستاذ " **زكريا المهدي**[433]، عن أي محافظة ينتمي موقع وادي صورا؟.

أجاب أن وادي صورا وهو جزء من محمية الجلف الكبير، وكلاهما ينتمي إلي محافظة الوادي الجديد، والسائح القادم إلى وادي صورا، لابد وأن يمر بمحمية الجلف الكبير وكل ما تملكه من مقومات سياحية وتراث ثقافي فريد وقيم، كما تتمتع ببيئة وطبيعة غاية في الجمال وهي منطقة ذات أهمية دولية مميزة؛ حيث تتضمن العديد من العناصر الطبيعية التي يعود تاريخها إلى عصور ما قبل التاريخ.

وقال أن محمية الجلف الكبير تبلغ مساحتها حوالي 48.5 كيلو مترًا مربعًا، وتبعد عن القاهرة بحوالي 1600 كيلو متر، وتتضمن المحمية أيضًا العديد من الكهوف وسهول الكثبان الرملية، والتي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، كذلك تقع هذه السهول ما بين جبل العوينات وهضبة الجلف الكبير، وتضم بعض الفوهات البركانية القديمة والصخور الرملية النوبية. والعديد من المناطق الجبلية والوديان العميقة، بالإضافة إلى بحر الرمال الأعظم الذي يمتد من الشمال وحتى الجنوب.

كما تحتوي المنطقة على أكبر حقل نيازك في العالم ناتج عن تفاعل الأرض مع حقول النيازك، والعديد من الشجيرات، والتي تكون غطاء نباتي طبيعي عند جبل عبد المالك والوديان المجاورة، والتي تعتبر الملاذ الوحيد الموجود في الصحراء الغربية للحيوانات البرية والطيور لتساعدهم على الحياة من خلال أكل العشب والاحتماء من حرارة الشمس، وكل ذلك يعتبر من المقومات السياحية التي تجذب السائح من شتي أنحاء العالم، وهي ليست قاصرة فقط كما أوضحت علي وادي صورا، وإنما على كل مواقع الجلف الكبير بما فيه موقع وادي صورا. ونستطيع أن نحدد بعض هذه المقومات في النقاط التالية:-

1- **الرسوم الصخرية:**

---

(431) من مقابلة شخصية مع الأستاذ "مجدي إبراهيم، مدير" آثار الداخلة بتاريخ 2 فبراير 2022 عن مقومات سياحة بوادي صورا.

(432) من مقابلة شخصية مع الأستاذ "أحمد دياب، أحد منظمي الرحلات الصحراوية بهضبة الجلف الكبير، بتاريخ 2 فبراير 2022، عن المكان التي تتمركز فيه مواقع آثار ما قبل التاريخ بوادي صورا.

(433) من مقابلة شخصية مع الأستاذ " زكريا المهدي، مفتش آثار بإدارة آثار ما قبل التاريخ وزارة السياحة والآثار المصرية بتاريخ 18 نوفمبر 2021.

يحتوي كهف وادي صورا على رسومات لأشكال بشرية راقصة وحيوانات غريبة بلا رأس، والكثير من الصور المرسومة بالألوان أو المحفورة بالصخور ويرجع تاريخ هذه الرسومات لـــ ٨٠٠٠ عام على الأقل قبل الميلاد، كما يوجد بالكهف ألاف الرسوم الصخرية لشخصيات وأفراد، من بينها العديد من الرسوم لـــ (مخلوقات هجينة) والتي بسببها تم تسمية الموقع كهف الوحوش([434]) كما يتضح في الشكل رقم (1).

تقدم تلك الرسوم رؤى فريدة من نوعها في الحياة اليومية والروحانية لعالم ثقافي ماضي غير معروف حتى الآن منذ حوالي 8000 عام مضت، وبالتأكيد يعتبر هذا الملجأ من بين أهم مواقع ما قبل التاريخ في القارة الإفريقية.

ومن أجل جعل هذا التراث الثقافي الاستثنائي متاحًا على نطاق واسع للدراسات العلمية وكذلك لعامة الجمهور، وهو عمل متعدد التخصصات، تم إطلاق مشروع بحثي في عام 2009 بتمويل مجلس الأبحاث الألماني والذي يهدف إلى توثيق شامل للفن الصخري وكذلك في مكانه في السياق الأثري للمناظر الطبيعية المحيطة.

في صيف عام 2013، تم نشر أول ثلاثة مجلدات مخططة؛ حيث عرضت على 220 صفحة مزدوجة الصورة الكاملة لوادي صورا الثاني في مقياس1: 2، بناءً على التصوير الرقمي عالي الدقة وتصويبها بواسطة المسح الضوئي بالليزر ثلاثي الأبعاد وتم استكمال المجلد بـ 13 مقالة تناولت سياق الصور والإعداد الأثري لها([435]).

كان من المعروف أن صخور الصحراء المصرية تأوي العديد من مواقع فن ما قبل التاريخ على الإطلاق منذ اكتشاف وجودها وظهورها من باطن الرمال إلى العالم الخارجي، وقد قام المستكشفين في وقت مبكر بدراسة العديد من النقوش واللوحات في جبل( العوينات كما يتضح في الشكل رقم 1).

أيضًا بعثات متفرقة أخرى، خاصة البعثة العلمية البلجيكية ( فإن نونين) 1977، كشفت بعض اللوحات المذهلة، والتي أظهرت أن هناك موضوع واحد مشترك لمعظم اللوحات المكتشفة، فقد كان هناك صور لا حصر لها للماشية، مما يشير إلى أن سكان ما قبل التاريخ في المنطقة كانوا من رعاة الماشية الذين استفادوا من تلك الفترة الرطبة خلال الوقت المبكر إلى منتصف الهولوسين. كانت اللوحات الوحيدة التي لا تتناسب مع هذا النمط هي تلك اللوحات الرائعة في مأوى وادي صورا (كهف السباحين)، وهي لوحات تظهر درجة عالية جدًا من التجريد، على عكس الرسوم الطبيعية للماشية([436]).

تعتبر الرسوم الصخرية المقوم الأول للسياحة والتي تتراوح من 5000 إلي 8000 رسم مختلف. كما يوجد العديد من الرسوم لشخصيات محفورة في هذا الكهف تبدوا كأنها لأقزام وهي لا توجد فقط في وادي صورا القديم، ولكنها توجد

---

([434]) Wadi Sura Project (Gilf Kebir, SW Egypt), spring 2009. — [http://wadisura.phil fak.uni-koeln.de/uploads/media/WADI_SURA_report_1_2009-1, p17.

([435]) Sahara, SW Egypt. — Geoarchaeology, 19: 753-778.The ‘Cave of Beasts’ (gilf kebir, SW egypt) 209 Pager, H. 2006. The Rock Paintings of the Upper Brandberg. Part VI: Naib (B , Circus and Dom Gorges. Köln, Heinrich-Barth-Institut, Africa Praehistorica ,20, 648 pp 2.

([436]) Kuper, R. & Riemer, H. Herders before Pastoralism – Prehistoric Prelude in the Eastern Sahara. — In: Bollig, M. & Wotzka, H.-P. (Eds.), Pastoralism in Africa. Oxford/New York, Berghahn (in press).

أيضًا في غالبية المواقع المماثلة في الصحراء بأكملها، أيضًا فيما يتعلق بالمجموعة المتنوعة من الموضوعات المرسومة، وحيوية الشخصيات البشرية وإيماءاتها وكذلك تكوين المشاهد، يمكن العثور على مجموعة مماثلة([437]).

هناك مجموعات لا حصر لها من رسومات البشر، وكذلك الرقص، والتفاعل والمشاركة في الطقوس الديني، كما توجد رسومات لصيادين مع القوس والسهم، وأخيرًا مئات الرسومات لنسخ اليد، وأكثر ما يلفت الانتباه هو وجود أكثر من 30 رسمًا على هيئة وحش غامض بلا رأس يبتلع كل من حوله من رسوم الرجال، وهذا هو الموضوع الرئيسي للكهف والذي منه جائت التسمية (كهف الوحوش).

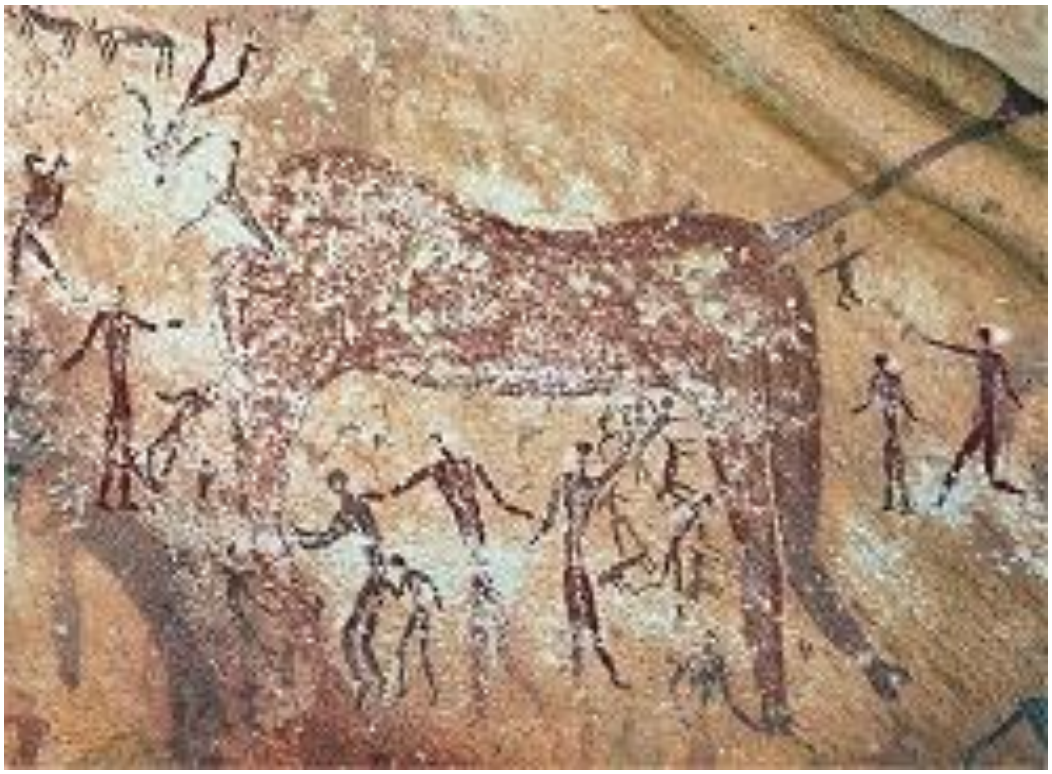

**شكل رقم (1): يوضح كهف الوحوش مصدر الصورة مؤسسة برادشاو لدراسات الفن الصخري بالشمال الإفريقي**
(Bradshaw Foundation)

([437]) Leisen, H., Krause, S., Riemer, H., Seidel, J., & Büttner, B. (2013). Wadi Sura: The cave of beasts; a rock art site in the Gilf Kebir (Sw-Egypt).

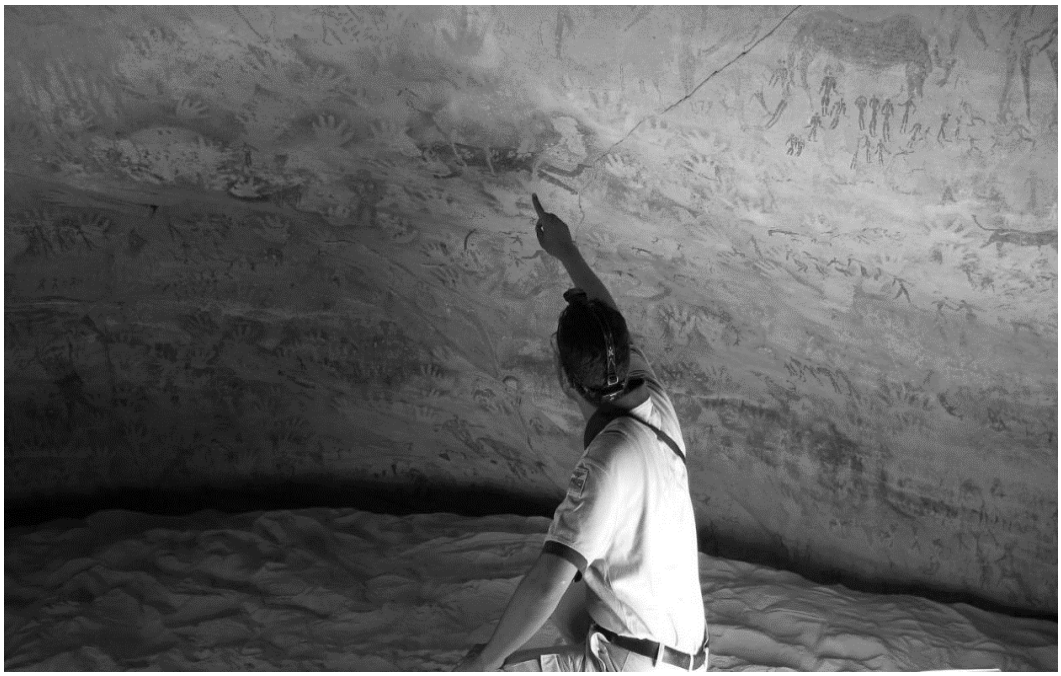

صورة رقم (2): للباحث يشير إلي رسوم الوحوش مقطوعة الرأس وهي من أكثر الأشياء الجاذبة للسياح، صورة عن طريق الباحث، بتاريخ فبراير 2019.

صورة رقم (3): توضح اهتمام السائحين بأهم رسوم الكهف وهو ما تم تسميته برسم الوحش مبتور الرأس الذي يقوم بالتهام بعض الأشخاص، صورة عن طريق الباحث ، بتاريخ فبراير 2019.

صورة رقم (4) للباحث مع المجموعة السياحية في حالة تأمل تام لتلك الرسوم الفريدة التي يتمتع بها هذا الموقع الذي يعد واحدًا من أهم مو اقع الفن الصخري على مستوي العالم، صورة عن طريق الباحث ، بتاريخ فبر اير 2019.

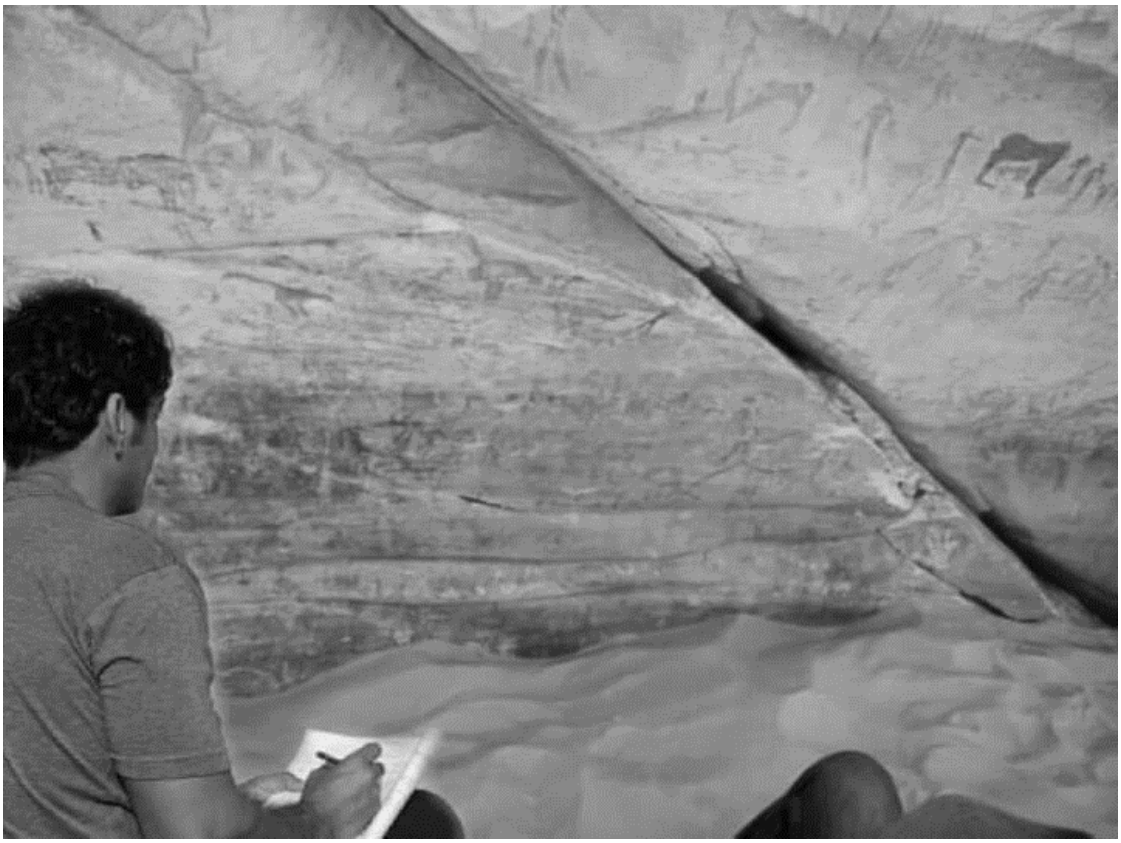

صورة رقم (5) للباحث أمام الجزء الشرقي للكهف وهو أكثر مكان يحتوي علي رسوم الوحش مبتور الرأس.

أثناء زيارة الكهف رصد الباحث الكثير من أعمال التخريب به، حسب ما قال اللواء المستكاوي مُكتشف الكهف أثناء المقابلة الشخصية معه، أنه من الواضح أن فيلم English Patient بطولة الشاب رالف فينيس في عام 1996 كان له تأثير كبير في جذب عدد كبير من السائحين، من ليس لهم وعي أثري لزيارة الكهف، لأنهم قاموا بالكتابة على الجدران وعلى الرسوم بطريقة غير مفهومة وغير مبررة، والأسوأ من ذلك، أنهم قاموا بقطع بعض الرسوم حرفيًا كي يأخذوها إلى المنزل كتذكار. بالطبع فقد حدث كل ذلك بلا رقيب ودون أن يتصرف أحد من المسؤلين في الوقت المناسب لإنقاذ الكهف من مثل هذه الجرائم.

صورة رقم (6) للباحث أمام أحد الرسوم المقطوعة التي قام اللصوص بسرقتها صورة عن طريق الباحث، بتاريخ فبر اير 2019.

**2-السيليكا الزجاجية:**

تحتوي بيئة وادي صورا على السيليكا الزجاجية الفريدة الموجودة، في الجزء الجنوبي في بحر الرمال الأعظم، الذي يقع على بعد 50 كيلو متر تقريبًا. من الحدود المصرية الليبية، والتي تكونت منذ أكثر من 28 ميلون سنة، بسبب صدمة نيزكية ضخمة. أدى إلى انصهار سريع ومفاجئ لصخور الحجر الرملي بفعل الحرارة الشديدة التي تولدت من الصدمة، ثم تصلُّب سريع للصخور المنصهرة. مما أدى إلى تكون مادة شفافة من الرمل (ثاني أكسيد السليكون). وتحتوي على ألوان متباينة من الأخضر المائل إلى الاصفرار والأخضر الداكن والأسود والأبيض.

صورة رقم (7) لأحجار السيليكا الزجاجية البيضاء الفريدة، وهي أحد عوامل الجذب السياحي بوادي صورا، صورة عن طريق الباحث

**3- مشاهدة الطيور والحيوانات والنباتات النادرة:**

في مقابلة مع الأستاذ " **تامر رمضان**[438]، عن أهمية موقع وادي صورا البيئية ومدى تأثيرها على عملية الجذب السياحي: قال أن وادي صورا هو جزء من محمية الجلف الكبير والتي يعيش به العديد من الحيوانات البرية والطيور، مثل طيور اللقلق، وصقر جراح، وعصفور الجنة، والرخمة المصرية، وأبو فصاد بأنواعه، ومن الثدييات الغزال، وثعالب الرمل، واليربوع الحر، والكبس الأروي، والبقر الوحشي، وغيرها.

وفي مقابلة أخري مع الأستاذ " **أحمد حسن**[439]، قال أنه وبالرغم من الظروف المناخية القاسية بمنطقة وادي صورا إلاَّ أن الحياة الحيوانية داخل محمية الجلف الكبير موجودة بشكل ملموس بتنوعها البيولوجي الذي لم تتوقف آثاره بل دائمًا ما يأتي بالمفاجآت.. كما أن الحياة النباتية في محمية الجلف الكبير تضم قرابة مائة نوع من النباتات التي تكيفت مع الظروف المناخية شديدة الجفاف وتنمو معظمها في قيعان الوديان الكبرى.

وأضاف أن التراث الطبيعي بوادي صورا يتمثل في مكونات التنوع البيولوجي من النباتات والحيوانات النادرة والنمو الكثيف لأشجار الطرفة والرطريط والطلح.

كما تم حصر 79 نوعًا من النباتات أكثرها شيوعًا الطلح. كما تم تسجيل 10 أنواع من الزواحف البرية 21 نوعًا من الثدييات البرية منها الغزال العفري وثعلب الرمال والكبش الأروي. كما كانت تحتوي المنطقة على المها العربي، الأبقار الوحشية التي انقرضت تمامًا، وهي جميعها تعتبر من أهم مقومات السياحة البيئية والتي يهتم بها الملايين حول العالم.

صورة رقم (8) للباحث توضح أشجار الطرفة بمحمية الجلف الكبير بالقرب من وادي صورا والتي لها استخدامات طبية حسب مشرف البيئة بمحمية الجلف الكبير، صورة عن طريق الباحث

**4- سياحة المغامرة والسفاري والراليات:**

---

(438) من مقابلة شخصية مع الأستاذ " تامر رمضان، مسؤول البيئة والمشرف العام لمحمية هضبة الجلف الكبير بتاريخ 22 أكتوبر 2022 عن أهمية موقع وادي صورا البيئية ومدى تأثيرها على عملية الجذب السياحي.

(439) من مقابلة شخصية مع الأستاذ " أحمد حسن، المشرف البيئي بمحمية الجلف الكبير وباحث علوم البيئة، بتاريخ 22 أكتوبر 2022.

وفي مقابلة مع اللواء المستكاوي رئيس لجنة السياحة الصحراوية ومكتشف كهف وادي صورا، عن ما يمتلكه الموقع من مقومات جذب سياحي قال أن موقع وادي صورا هي جزء من محمية الجلف الكبير والتي تُعتبر واحدة من أكبر المحميات الطبيعية الموجودة في وقتنا الحالي، وذلك لما تحتويه من كنور طبيعية عالمية. وكهوف جبلية وصحراوية، ومناظر طبيعية خلابة، ومساحة شاسعة. مما جعلها من أهم المزارات السياحية لمحبي المغامرة والسفاري وتسلق الجبال. فالمنطقة أيضًا تحوي العديد من الدلائل للمغامرين وهواة السفاري من السياح والراليات، ما يجعلها من أهم المقاصد السياحية لزيارتها.

لما تحويه من ميزات ومقومات سياحية فريدة إلى جانب العديد من الآثار المصرية القديمة. ولأنها كانت مصدر لخطف الأنظار إليها، فدفع ذلك السلطات، والأجهزة المسئولة إلى أهمية تأمين المنطقة واتخاذ الإجراءات اللازمة. والضمانات الكافية لإتمام الرحلات والزيارات لمحمية الجلف الكبير، بداية من تصاريح المرور للدخول إلى المحمية. مرورًا بالخدمات التي يجب توافرها في المنطقة، لكونها مزار سياحي عالمي. وحتى تكون جزء من الاقتصاد القومي في السياحة المصرية.

## ثانيًا: مقومات السياحة بوادي صورا من و اقع الدراسة الميدانية:

من خلال المقابلات الشخصية مع العديد من المسؤلين والقائمين علي صناعة السياحة الصحراوية والمشرفين على محمية الجلف الكبير وعددهم 15 مسئول، منهم اللواء أحمد المستكاوي رئيس لجنة السياحة الصحراوية بغرف السياحة والخبير السياحي الصحراوي ومكتشف كهف وادي صورا، والأستاذ مجدي إبراهيم مدير آثار الداخلة، والأستاذ تامر رمضان مسئول البيئة والمشرف على محمية الجلف الكبير والأستاذ زكريا المهدي مفتش آثار ما قبل التاريخ والعديد من الشخصيات الأخرى.

حيث تم توجيه العديد من الأسئلة للتعرف على أهم مقومات السياحة إلى كهف وادي صورا، وأهم التحديات وكيفية تذليلها. ولتحقيق أهداف البحث تم إعداد استمارة مقابلة شخصية موضوعية حيث تعد إحدى أدوات جمع المعلومات والبيانات في الدراسة العلمية، وقد تكونت الاستمارة من (٦) أسئلة (مفتوحة) موجهة إلى المسئولين عن آثار ما قبل التاريخ، وفي هذا النوع من المقابلات يسمح لأفراد عينة الدراسة أن تجيب بشكل حر، وأن يسترسلوا بشرح رأيهم أو سبب إجابتهم.

### ❖ تحليل نتائج الدراسة الميدانية:

تم تحليل نتائج الدراسة الميدانية نوعيًا عن طريق تسجيل إجابات المستقصى منهم صوتيًا أو كتابيًا ثم تنظيمها وتجميع المتشابه من التعليقات ثم إدراجها لتحليلها والتعليق عليها.

### ❖ نتائج الدراسة الميدانية ومناقشتها:

وفيما يلي عرض لنتائج المقابلة الشخصية التي تمت مع المسؤلين المختصين بسياحة آثار ما قبل التاريخ وعددهم 15 مسئول كما تم الإشارة إليه في السابق.

## أولًا: التنمية في السياحة الثقافية، والعلاجية، في موقع كهف وادي صورا:

وادي صورا أحد أهم المواقع بمحمية الجلف الكبير والعديد من آثار الإنسان الأول من بقايا ورسوم صخرية.

وادي صورا مليئة بالمواقع الأثرية بالرسوم الصخرية الفريدة بالإضافة إلى محيط الكهف وما به من مقومات سياحية عديدة مثل التكوينات الصخرية الفريدة والتنوع البيئي، لكن الموقع وما به من آثار ما قبل التاريخ لم تلقى

الاهتمام الكافي للتسويق لها لجذب عدد أكبر من السائحين، مُقارنة لما تم من تسويق للآثار اليونانية والرومانية والإسلامية داخل محافظة الوادي الجديد مثل معبد دوس ومعبد هيبس والبجوات.

تذخر محمية الجلف الكبير وبالتبعية وادي صورا بتنوع كبير في مقومات السياحة بأنواعها المُختلفة سواء كانت سياحة المُغامرات والسياحة العلاجية والاستشفائية الطبيعية وسياحة ما قبل التاريخ أو السياحة الثقافية بشكل يحقق مزيج من التنوع السياحي، يجعل منها منطقة ومساحة فريدة، مما يؤهلها بأن تكون أرض خصبة لتنفيذ برنامج سياحي شامل ومتكامل.

ومن أسباب وجود آثار ما قبل التاريخ بكثرة في الوادي الجديد هو أن نهر النيل كان يتجه غربًا في اتجاه الوادي الجديد ليصب في البحر المتوسط، مما جعل الإنسان والحيوان قديمًا يتمركز حول ضفاف هذه المياه العذبة.

تتمركز مواقع آثار ما قبل التاريخ بوادي صورا بجانب جبل العوينات ومنطقة الجلف الكبير والتي سُجلت كمحميات طبيعية، لذا فمواقع آثار ما قبل التاريخ بوادي صورا يُمكن أن تدرج مع السياحة العلمية والطبيعية المتوفرة بالمنطقة.

**ثانيًا: مدى التعاون بين هيئة تنشيط السياحة ووزارة السياحة والآثاروبين إدارة محافظة الوادي الجديد للاهتمام بآثارما قبل التاريخ بوادي صورا:**

هُناك تعاون محدود جدًا بين الهيئات المُختصة مثل هيئة تنشيط السياحة ووزارة السياحة والآثار ولكن لا يوجد تنسيق مُثمر بين تلك الهيئات بعضها البعض للاستفادة القصوى من كافة الإمكانيات الموجودة داخل مُحافظة الوادي الجديد.

التعاون ضعيف بينهم، حيث أن هيئة تنشيط السياحة لها مكتب سياحي بالوادي الجديد يهتم بالتسويق والترويج للمناطق السياحية كافة وليست آثار ما قبل التاريخ فقط، بحيث يهتم بالآثار اليونانية الرومانية القبطية وكل التراث الحضاري المُتاح داخل المُحافظة، كما يوجد الهيئة الإقليمية للتنشيط السياحي بمُحافظة الوادي الجديد التابعة لوزارة التنمية المحلية؛ حيث يتم التنسيق بينها وبين مكتب هيئة التنشيط بالوادي الجديد للمتابعة والترميم.

**ثالثًا: حجم الطلب السياحي على زيارة آثارما قبل التاريخ بموقع بوادي صورا، وأسباب الإحجام:**

حجم الطلب السياحي على نمط سياحة آثار ما قبل التاريخ غير مُناسب على الإطلاق بالنسبة لمصر بوجه عام وبالنسبة لمحمية الجلف الكبير وكهف وادي صورا الجديد بوجه خاص، وذلك عند النظر إلى المقومات السياحية المتوفرة والمتواجدة بالمحمية والوادي.

الخطط التسويقية الحالية لا تهتم بدرجة كافية بتسويق هذه الزيارات والتعريف بتلك الآثار العريقة والتحفيز على زيارتها.

بُعد كهف وادي صورا عن القاهرة والتي تقدر بحوالي ١٢٠٠ كم أو أكثر، وصعوبة الوصول إليها. هذا النمط لا يستهوي إلاَّ فئة قليلة جدًا من السائحين المُهتمين بدراسة الآثار السياحة العلمية وهي في الغالب آثار ما قبل التاريخ) ولا تستهوي السائحين المُهتمين بالسياحة الترفيهية كمكمل للبرنامج السياحي، ولذلك يفضلوا الذهاب إلى المتاحف والأهرامات أو الأقصر مثلاً، بالإضافة إلي أن مواقع آثار ما قبل التاريخ توجد في بعض دول العالم، بمعني أوضح أن مصر لا تنفرد بهذا النمط دون غيرها فنقول أنَّ إنسان ما قبل التاريخ موجود في كثير من دول العالم مثل البرازيل والمكسيك والدول الأوربية والعربية مثل الأردن والسعودية بالإضافة إلى ضعف العائد الاقتصادي الناتج منه.

عدم التنسيق بين الجهات المعنية نحو الاهتمام بهذا النمط فيما بينها وعدم وجود حملة ترويج وتنشيط ودعاية مكثفة وموجهة بشكل رئيسي تجاه محافظة الوادي الجديد.

**رابعًا: المعوقات التي تواجه تنمية سياحة آثار ما قبل التاريخ في، وادي صورا:**

تتمثل المُعوقات التي تواجه تنمية سياحة آثار ما قبل التاريخ في وادي صورا في مجموعة من النقاط أهمها:

- ✓ البيروقراطية هي المعرقل الأول لهذا النمط من السياحة، فاستخراج التصاريح يتطلب الكثير من الوقت والجهد بالإضافة إلى التكلفة المُرتفعة لاستخراج هذه التصاريح، كما أن عملية استخراجها مُعقدة للغاية، ويتم من خلال أكثر من جهه، مثل وزارة الدفاع، والمخابرات، وسلاح حرس الحدود ووزارة البيئة، ولا يوجد تناسق بين كل تلك الجهات.
- ✓ غياب دور الإعلام والحملات التسويقية المنهجة لإبراز مقومات وادي صورا، قلة أعداد الفنادق ونزل الإقامة المجهزة لاستقبال أعداد كبيرة من السائحين بأقرب مدينة لوادي صورا وهي الواحات الخارجة.
- ✓ أغلب مواقع آثار ما قبل التاريخ بمحمية الجلف الكبير وخاصة وادي صورا غير موثقة كي يتم تعريفها. زيادة تكلفة هذا النمط من السياحة عن أنماط السياحة الأخرى وذلك لقلة الأعداد وبُعد المسافة.
- ✓ غياب دور الهيئات الرسمية نحو الاهتمام بنمط سياحة آثار ما قبل التاريخ على وجه الخصوص، بجانب ضعف دور إدارة السياحة داخل محافظة الوادي الجديد وهي المحافظة التي ينتمي إليها موقع وادي صورا في التسويق والترويج والتنشيط لإبراز هذا النمط بالشكل المناسب، على الرغم من أهمية ما تمتكله محمية الجلف الكبير من مقومات تخدم هذا النمط.
- ✓ بُعد المسافة لمواقع آثار ما قبل التاريخ بالجلف الكبير ووادي صورا، يمثل عائق أمام تنمية هذا النوع من السياحة خاصة في حالة غياب وسائل المواصلات الجوية للوصول إليها؛ حيث أنه لا يوجد إلاَّ مطار واحد بأقرب مدينة للموقع وهي مدينة الخارجة، وكان متوقف سابقًا والآن عدد الرحلات اليومية الخاصة به قليلة، ويعد المطار الأقرب الذي يخدم هذه المنطقة.
- ✓ عدم معرفة منظمي البرامج السياحية والشركات السياحية بمدى أهمية تلك المواقع الخاصة بآثار ما قبل التاريخ مثل وادي صورا والتي لا تقل أهميتها عن باقي الآثار الموجودة في مصر وأن مواقع آثار ما قبل التاريخ بداية للحضارات.

**خامسًا: المقترحات التي من شأنها المساهمة في النهوض بسياحة آثار ما قبل التاريخ في وادي صورا:**

من أهم المقترحات التي يمكن أن تساهم في النهوض بسياحة آثار ما قبل التاريخ في موقع كهف وادي صورا:

- ✓ صيانة آثار ما قبل التاريخ التي تعرضت لتعدي من السُكان المحليين واستكمال توثيق باقي مواقع آثار ما قبل التاريخ الموجودة داخل وادي صورا، لتوفير المعلومات الكافية عن هذه الآثار.
- ✓ وضع استراتيجية تسويقية عالمية مثل محاولة إبراز هذا النمط داخل برنامج مثل ناشيونال جيوغرافيك، ضمن المادة العلمية الموجودة فيه التي تستهدف مصر والآثار المصرية والتي يُعرض بشكل مُثير للفضول ومن ثم يُمكن الربط بين الواقع الموجود داخل وادي صورا وبين تلك المواقع بالدول الأخرى ومحاولة إيجاد تعاون بين تلك الدول، كحملة تسويق مشتركة سوف تحقق مرود أسرع وأقوي.
- ✓ تصميم حملة إعلانية أو تصوير بعض المسلسلات والأحداث يوضح مدى جمال محمية الجلف الكبير وكهف وادي صورا.

- ✓ تحسين وسائل الانتقال والمواصلات وتسهيل الوصول إلى مُحافظة الوادي الجديد ومن ثم مواقع آثار ما قبل التاريخ مثل موقع وادي صورا، عن طريق إنشاء شبكة طرق حديثة وصيانة شبكة الطرق الحالية.
- ✓ إشراك الجمعيات الدولية مثل (اليونسكو - اليونسيف) والتي تحمي التراث العالمي على مستوى العالم، لكي تساعد في رفع كفاءة وتحسين البنية التحتية بهذه المناطق لكي تؤهلها لاستقبال السياحة الدولية.
- ✓ إنشاء موقع خاص بمحافظة الوادي الجديد يعرض المناطق الأثرية الموجودة بوادي صورا بتقنية (D 3) أو الهيليوجرام وموضح بها كيفية الزيارة وكيفية الوصول إليها، وذلك لخلق طلب محلي لزيارة المحافظة).
- ✓ تفعيل مهرجان سنوي كبير في محافظة الوادي الجديد على غرار مهرجان شخصيات مصرية المقام في محمية وادي الجمال لإبراز التراث الحضاري الغير ملموس) ليكون بمثابة مهرجان سنوي مُقابل لمهرجان غات الدولي بجبال الأكاكوس وهو أحد مقومات السياحة بالمنطقة الثانية من الدراسة الحالية كما سنرى في مقومات السياحة بجبال الأكاكوس.
- ✓ إجراء المزيد من الدراسات لتحديد عصور إنسان ما قبل التاريخ في وادي صورا وتحديد الفترة الزمنية التي عاش بها إنسان ما قبل التاريخ في الوادي ليتم استخدام تلك المعلومات في التسويق فيما بعد كطريقة للجذب السياحي.
- ✓ تدريس ثقافة الصحراء لسائقي الدفع الرباعي المصاحبين للسائحين في رحلات السفاري لتجنب تدمير تلك الآثار نظرًا لغياب وعى السائق بها وبأهميتها وعدم اعتبارها أحجار عادية عديمة القيمة.
- ✓ كذلك تمتلك محافظة الوادي الجديد مطار الخارجة وهي ميزة تساهم في سهولة الوصول إلى الوادي الجديد من القاهرة والعكس.
- ✓ البنية التحتية لمحافظة الوادي الجديد ومحمية الجلف الكبير من المناطق الإدارية لوادي صورا التي تحتاج إلى إعادة هيكلة وصيانة؛ حيث أن المحافظة تعاني من عدم تحقيق القدر الكافي للبنية التحتية التي تحتاجها للتوقعات السياحية.
- ✓ بجانب أن المواقع الأثرية الخاصة بآثار ما قبل التاريخ بوادي صورا، الجلف الكبير تحتاج إلي ترميم وصيانة والتي لم تحظى بالاهتمام الكافي من الهيئات السياحية المختلفة.

## ثالثًا: التخطيط للتنمية السياحية في وادي صورا:

### أ) التنمية السياحية ومكوناتها:

تمثل السياحة اليوم ظاهرة اقتصادية آخذة في النمو السريع، وبفضل ارتباطها بالحركة أصبحت ذات علاقة بالبيئة سلبًا وإيجابًا، وفي مواجهة الحياة المعقدة ونتيجة للزيادة المستمرة في وقت الفراغ مقابل أوقات العمل أصبح واجب على المهتمين بالتخطيط والسياسيين أن يواجهوا طاقات أفراد مجتمعاتهم في أوقات الفراغ بما يفيد المجتمع والأفراد.

وتعرف التنمية السياحية على أنها توفير التسهيلات والخدمات لإشباع حاجات ورغبات السياح، وتشمل كذلك بعض تأثيرات السياحة مثل: خلق فرص عمل جديدة ودخول جديدة، وجميع الأنماط المكانية للعرض والطلب السياحيين كالتوزيع الجغرافي للمدن السياحية، والحركة السياحية، وتأثيرات السياحة المختلفة([440]).

وتأخذ التنمية السياحية أشكالاً وصورًا عديدة تتباين بين منطقة وأخرى، والتي تعتبر عملية مركبة تضم عدة عناصر متصلة ببعضها، وتقوم على أسلوب علمي وتطبيقي، بواسطتها يتم الاستغلال الأمثل للموارد السياحية الطبيعية والبشرية.

هذا وتعتبر التنمية السياحية عملية تكامل طبيعي بين العناصر الموجودة في المنطقة والمرافق العامة التي يعتبر وجودها أساس لإقامة الاستثمارات السياحية وتلبية احتياجات السياح. والمكونات الرئيسية لمحتوى خطة التنمية السياحية تتمثل في عناصر الجذب السياحي والتي تشمل:

العناصر الطبيعية كأشكال سطح الأرض والمناخ والمياه والغابات وعناصر من صنع الإنسان كالمنتزهات والمعطيات الأثرية والتاريخية بالإضافة للنقل وخدمات البنية التحتية، وأماكن النوم والتسهيلات السياحية المساندة، والهيئات والجهات المنفذة للتنمية وتشمل: القطاع العام والخاص والقطاعين معًا([441]).

وتتطلب التنمية السياحية أن يتدخل التخطيط السياحي باعتباره منهجًا يستهدف تحقيق أكبر معدل ممكن من النمو السياحي بأقل تكلفة ممكنة وفي أقرب وقت مستطاع، فالتخطيط السياحي يعتبر ضرورة من ضرورات التنمية السياحية الرشيدة([442])، حتى يمكن للدول النامية أن تواجه المنافسة في السوق السياحي الدولي، وأن تحقق معدلات سريعة ودائمة من التنمية السياحية؛ وذلك لدعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولهذا لابد من التدخل من خلال تخطيط التنمية على المستويات الوطنية والإقليمية والمحلية.

**ب) مراحل إعداد خطة التنمية السياحية:**

تشمل عملية إعداد خطة التنمية السياحية على عدد من الخطوات المتسلسلة والمترابطة كالتالي([443]):

- إعداد الدراسات الأولية.
- تحديد أهداف التخطيط بشكل أولي بحيث يمكن تعديلها.
- جمع المعلومات وإجراء المسوحات وتقويم الوضع الراهن للمنطقة السياحية.
- تحليل البيانات والمسوحات والمعلومات التي حصلنا عليها في مرحلة جمع البيانات وعملية التحليل هذه عملية ذهنية شمولية، ويترتب عليها الوصول إلى حقائق واستنتاجات وأسباب تفيد في وضع التوصيات واتخاذ القرارات.

---

([440]) عثمان محمد غنيم، سعد بنتيا نبيل: التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل"، ط 2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003م، ص 45.

([441]) 10. نبيل الروبي، التخطيط السياحي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1987م، ص

([442]) عبد الفتاح غنيمة، السياحة قاطرة التنمية لمصر المعاصرة، دار الفنون العلمية، الإسكندرية، 1996م، ص ص 189، 191.

([443]) عثمان غنيم، نفس المرجع السابق، ص 102.

- **إعداد الخطة:** هنا يتم وضع السياسات السياحية المناسبة ويتم تقويم هذه السياسات بالبدائل لاختيار ما هو ملائم ومناسب.
- تنفيذ الخطة بتوصياتها وبالوسائل التي تم تحديدها في المرحلة السابقة.
- تقويم ومتابعة الخطة السياحية وتعديلها إذا تطلب الأمر ذلك.

**ج) التنمية السياحية المقترحة للسياحة التاريخية والأثرية في المنطقة:**

إن مصطلح التنمية السياحية أصبح ذا أهمية كبرى في حقل صناعة السياحة في ليبيا؛ لكونه الخطوة المبدئية في مسألة الاستغلال والتوظيف السياحي لمختلف المواقع التاريخية والدينية والأثرية بهدف وضعها بالوضع اللائق بها على الخريطة السياحية في ليبيا.

وتعد عملية العناية بالمواقع التاريخية والأثرية والحفاظ عليها من أهم مقومات التنمية السياحية الناجحة؛ حيث أن هذه المواقع والأبنية تُعد في المقام الأول منتجات سياحية لها دورها المحوري والأساس في جذب السياحة التاريخية إلى البلاد، ومن هنا تأتي أهمية الحفاظ عليها لما لها في ذلك من آثار إيجابية عظيمة على القطاع السياحي.

**د) التنمية السياحية المقترحة للسياحة الصحراوية في وادي صورا:**

يرغب الكثير من السواح في زيارة الكثير من مواقع الجذب السياحي الجيولوجية والجيومورفولوجية لأغراض علمية وللمغامرة والترويح والتمتع بمظاهرها التضاريسية المتباينة المتمثلة في الجبال والهضاب والكثبان الرملية والواحات؛ حيث تمثل هذه البانوراما مجتمعة متحفًا طبيعيًا مفتوحًا، عليه تقترح الدراسة:-

- ضرورة التنمية المتواصلة عن طريق الحفاظ وتعزيز أهم الموارد السياحية الحساسة وتطوير مناطق جديدة للاستكشاف الصحراوي.
- إنشاء شبكة من الاستراحات الصغيرة على الطرق الرئيسية بأسعار متوسطة كافية لمواجهة الطلب في المدى القصير مع توفير إمكانية التوسع فيها مستقبلاً، بالإضافة لذلك إقامة وتطوير المرافق السكنية السياحية وتوفير الخدمات اللازمة مع ضرورة إقامة المهرجانات والمعارض والندوات لتشجيع السياحة الصحراوية والدفع بها إلى الأمام.
- إقامة الرياضات الصحراوية المشتركة على مستويات مختلفة والتي من أهمها الراليات الصحراوية وسباقات الإبل ورياضة التزلج على الرمال وغيرها.
- نشر الوعي السياحي بأهمية سياحة الكهوف بين العاملين بالقطاع السياحي وكذلك الموساسات والشركات السياحية بأهمية وقيمة الكهوف.
- إشراك السكان المحليين من بدو الصحراء هناك في خطط التنمية وتوفير فرص عمل لهم وتدريبهم للقيام بتقديم مختلف الخدمات السياحية في مناطق الكهوف.
- تطوير البنية التحتية في مناطق الكهوف وتوافر شبكات جيدة للمياه والكهرباء والصرف الصحي ووسائل مناسبة للاتصال([444]).
- توفير التسهيلات والخدمات السياحية وأماكن الاقامة في أقرب المناطق المأهلولة لموقعي الدراسة بمختلف أنواعها (فنادق – موتيلات – مخيمات.. إلخ)؛ حيث أنها تعتبر عاملاً هامًا لتلبية احتياجات السائحين ومتطلبات، وينبغي أن تكون

---

([444]) هند سالم: تنمية أنماط جديدة لمسياحة وادارجيا عن الخريطة السياحية - دراسة حالة عن نمط السياحية الريفية، مجلة البحوث السياحية، عدد أكتوبر، 2014.

الخدمات والتسهيلات السياحية بمستوى جودة يحقق رضا السائحين ويضمن نجاح التجربة السياحية في مناطق الكهوف([445]).

-تحديد الطاقة الاستيعابية للسائحين في أماكن الكهوف؛ حيث أن للكهوف طاقة استيعابية محددة لا يجب تجاوزها من قبل الزوار، لذلك ينبغي على المسئولين عن السياحة في مصر وليبيا العمل بكل الطرق الممكنة لاستدامة هذه الكهوف والمحافظة على خصائصها الطبيعية.

وتعرف الطاقة الاستيعابية للسائحين في مناطق الكهوف بأنها مستوى النشاط البشري الذي يمكن للكهوف استيعابها دون تأثر المجتمع المحلي بهًا أو تدهور جودة الخدمة التي تقدم للزائرين.

- تنمية وتطوير الممرات والطرق المؤدية للكهوف، مع التأكيد علي أن تكون تلك الممرات آمنة ومناسبة وذات جودة عالية تساعد على تحقيق راحة ورضا السائحين الزائرين للكهوف، بالإضافة إلي ضرورة توفير طرق مختلفة تساعد الزائرين على الوصول إلى مناطق الكهوف بسهولة ويسر([446]).

-تزويد الكهوف بالإضاءة اللازمة؛ حيث أن الكهوف تتميز بطبيعتها المظلمة، لذلك من الضروري تزويد الكهوف بالإضاءة اللازمة التي تساعد على إبراز مميزات الكهف ويجب أن تتناسب إضاءة الممرات المؤدية إلى داخل الكهف مع أعداد الزائرين وبما يضمن سلامتهم وأمنهم.

ويتم ذلك عن طريق استخدام أنظمة إضاءة حديثة مثل مصابيح الألياف الضوئية ومصابيح ال Led . حيث أنهما أكثر إضاءة من الوسائل الأخرى وأكثر حفاظًا على بيئة الكهوف الحساسة([447]).

-اصطحاب مرشدين مدربين على رحلات الكهوف، مرشد الكهف هو الشخص الذي يرافق ويوجه السائحين سواء الأجانب أو المحليين داخل الكهوف، ويلعب المرشد دورًا هامًا في نجاح الزيارة من خلال الرد على أسئلة واستفسارات السائحين والحد من الآثار السلبية للسائحين والتي تشكل خطر علي بيئة الكهف([448])، بالإضافة إلي ضرورة وضع العلامات الإرشادية في الأماكن المختلفة داخل الكهوف([449]).

- تقليل الآثار السلبية التي قد تنتج عن سياحة الكهوف؛ حيث ينتج عن زيارة الكهوف بعض التأثيرات السلبية والتي قد تؤدي بالإضرار بتلك الكهوف وتدهور بيئتها، ويتوقف هذا الضرر على حجم مجموعة السائحين التي تزور الكهف ومدى خبرتهم بزيارة مثل تلك الكهوف، لذلك لابد من إتباع مجموعة من الإجراءات التي من خلالها يمكن تقليل الآثار السلبية لزيارة الكهوف وبالتالي الحفاظ عليها واستدامتها للزيارة أطول فترة ممكنة، وتتمثل تلك الإجراءات **فيما يلي:**

---

([445]) محمد( دراسة بالتطبيق على سانت كاترين بسيناء، مجلة – عبدالحميد: سياحة التراث في مصر وآليات إدراجيا عن الخريطة السياحية البحوث السياحية، عدد أكتوبر، 2004.117ص ,90ص

([446]) Cigna A.A. ( 2011 ( " Show cave development with special references to active, caves". Tourism and Karst Areas, Vol.4, No.1 , P.P. 7-16.

( [447] )Gillieson, D. S. (2011). Management of Cave, in Beynen, P." Karst Management " , Springer, London, New York

([448]) Cigna A.A. 2011, Ibid , P.P. 7-16.

([449]) نسرين أحمد: تقييم أساليب إدارة الزيارة داخل المحميات الطبيعية، رسالة ماجستير غير منشورة، 2012, كلية السياحة والفنادق، جامعة المنيا.

أ- تنظيم الزيارات للكهوف السياحية في مجموعات صغيرة، حيث يفضل أن تكون الزيارت للكهوف في مجموعات لا يتجاوز عدد أفرادها أربعة أفراد وذلك لعدم تجاوز الطاقة الاستيعابية وتكدس الزوار داخل الكهف وبالتالي الإضرار بالكهف وببيئته الطبيعية.

ب- ضرورة أن يصطحب فوج الرحلة مرشدًا أو قائدًا للرحلة قام بزيارة الكهف مسبقًا وعلى دارية كاملة ووعي ببيئة الكهف الحساسة.

ج- في حالة وجود مبتدئين يقوموا بزيارة الكهوف لأول مرة، فُيفضل جعلهم بالقرب من السائحين ذوي الخبرة بزيارة الكهوف للاستفادة من خبرتيم في كيفية الحفاظ على الكهوف.

د- المحافظة على الأحذية وتنظيفها جيدًا قبل الزيارة للتأكد من خلوها من البكتريا والفطريات والتي قد تؤثر بشكل سلبي علي بيئة الكهف.

هـ- تجنب إلقاء الزوار لأي فضلات للأطعمة داخل الكهف وضرورة اصطحابهم لأكياس بلاستيكية يتم وضع بها أي فضلات ناتجة عن زوار الرحلة وإلقائها في صناديق المهملات خارج الكهف؛ حيث تؤثر فضلات الطعام على الرسوم الموجودة في الكهف.

و- تقليل الحركة أثناء زيارة الكهف بقدر الإمكان، فاستكشاف الكهف ببطء يعطي فرصة أكبر للتمتع، بمناظره الطبيعية.

**هـ) التسويق لسياحة الكهوف بمنطقة وادي صورا:**

مما لا شك فيه أن تنمية أي نمط سياحي لا تتوقف علي تطويره فقط، بل يجب التسويق لهذا النمط أيضًا، أو تعريف جمهور السائحين بمقوماته أي بالكهوف السياحية الموجودة في مصر، وفي ظل تنامي طرق التسويق وظهور اتجاهات تسويقية حديثة فلابد من مواكبة تلك التغيرات والاعتماد على الأساليب الحديثة في التسويق لسياحة الكهوف في مصر، وتتمثل تلك الطرق في الآتي:

**أ- الأفلام والمسلسلات:**

استطاعت الأفلام السينمائية والمسلسلات دعم السياحة في عدة دول سواء في أوروبا أو استراليا ونيوزيلاندا أو أمريكا، وبفضل هذه الأفلام ارتفع الدخل القومي لهذه الدول في القطاع السياحي إلى مليارات الدولارات؛ من خلال تسابق بعض الشركات المعنية إلى دعم الأفلام والمسلسلات لإبراز المناطق المراد استهدافها في العمل السياحي؛ حيث أن من الممكن استخدام المناظر الطبيعية الخلابة في مناطق الكهوف في الأفلام والمسلسلات مثل استخدام كهف السباحين المصري في فيلم المريض الإنجليزي([450]).

**ب-شبكات التواصل الاجتماعي:**

---

([450]) فيصل الغيث: شركات ومؤسسات وحكومات تدعم القطاع السياحي بالأفلام والمسلسلات, المجلة الاقتصادية الالكترونية, العدد(7957) الرياض، 2005.

إنَّ الاتجاهات النظرية والمنهجية الحديثة في الأنثروبولوجيا السياحية والتنمية السياحية تُعتبر أحد ركائز صناعة السياحة العالمية في الفترة الراهنة وفي المستقبل، وتُعد شبكات التواصل الاجتماعي أحد أهم هذه الاتجاهات الحديثة ووسائل التسويق الإلكتروني والتي تساهم في الوصول إلى العملاء والتعرف على اتجاهاتهم والتواصل معهم.

وذلك من خلال خلق محتوى يكون قادر على جذب انتباه القراء وتشجيعيم على مشاركته على الشبكات الاجتماعية، وتنتشر الرسائل التسويقية عبر الشبكات من مستخدم لآخر، ومن أهم شبكات التواصل الاجتماعي فيس بوك وتويتر([451]).

**ج-المعارض والبورصات السياحية:**

تعتبر المعارض والبورصات السياحية فرصة جيدة لإجراء لقاءات شخصية مع العملاء المحتملين وفي مقدمتهم منظمي الرحلات الشاملة([452]).

وتتيح تلك المعارض والبورصات الفرصة لشركات السياحة لعرض منتجاتها وخدماتها وبرامجها السياحية وتبادل الأفكار والمعلومات، لذلك يمكن استخدام تلك المعارض والبورصات في التسويق للكهوف السياحية، ومن أمثلة تلك المعارض والبورصات بورصة برلين وبورصة لندن.

كما يمكن الاعتماد أيضًا علي وسائل التسويق التقليدية في التسويق لسياحة الكهوف، وذلك لما تتمتع به هذه الوسائل من دور لا يمكن إغفاله ووصولها لشرائح من جمهور السائحين قد لا تصل إلي الأساليب الحديثة، وتتمثل تلك الوسائل التقليدية في الندوات والمؤتمرات السياحية، والإذاعة والتلفيزيون، والجرائد والمجلات، والمطبوعات والمنشورات.

كما أن التنمية السياحية المقترحة لجميع أنواع السياحة السابقة بالإضافة لما ذكر يجب إقرانها بتنظيم العديد من المهرجانات التي تكون مناسبة لجذب أعداد من الزائرين من الداخل والخارج، وأن تتنوع هذه المهرجانات بين الفنية والتراثية والرياضية وفق أجندة تغطي كامل أشهر السنة.

فالتنمية السياحية هي الإمداد بالتسهيلات والخدمات والارتقاء بها لمقابلة كافة احتياجات السواح، وتعني التكامل الطبيعي والوظيفي بين كافة العناصر الطبيعية والبيئية المتاحة الموجودة في المنطقة، بالإضافة إلى الخدمات والتيسيرات والمرافق التي تساعد على إقامة المشروعات الاستثمارية بهدف الاستغلال الأمثل لعناصر المنتج السياحي ولما كان الأساس في التنمية الاقتصادية هو النمو المتوازن بسبب طبيعتها المركبة التي تشتمل على صناعات عديدة مثل النقل والإقامة والمزارات والأغذية والترفيه والاتصالات والكهرباء وغيرها.

## ﴿الخلاصة﴾

**نستخلص من هذا البحث:** أنَّ موقع وادي صورا يتمتع بالعديد من المقومات الطبيعية والأثرية والجيولوجية والبشرية. وكذلك يعاني الموقع من الإهمال وعدم التطوير سياحيًا، بالإضافة إلى عدم إدراجه في البرامج التسويقية

---

([451]) سعيد البطوطي: التسويق السياحي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولي، القاهرة، 2012، ص386-664.

([452]) محمد مرسي: إدارة التسويق السياحي والفندقي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولي، الإسكندرية، 2007، ص67.

لبورصة السياحة العالمية، بالإضافة إلى ندرة الأبحاث والدراسات التي تتناول أهمية السياحة العلمية والصحراوية والطبيعية للموقع. وتعد هذه المقومات كنز يمكنه أن يجلب لمصر آلاف السائحين مما يمكن أن يساهم في زيادة الدخل القومي واستغلال هذه المقومات في زيادة الأنماط السياحية للمنطقة من خلال صناعة سياحة الجبال والمغامرات وسياحة الصحاري التي تعتمد بشكل أساسي على تنوع العوامل البيئية والطبيعية.

إن العنصر البشرى أحد أهم مقومات السياحة في مصر، وهو المحور الرئيسي للعملية السياحية، لذا فعلى أي بلد تريد تنمية سياحية أن تقوم بتأهيل وتعزيز مهارات وقدرات العنصر البشري في قطاع السياحة، وتمثل المقومات البشرية أساسًا وضابطًا مُهمًا في السياحة، فالإنسان هو المخطط والمنتج والمستهلك.

ويحتوي كهف وادي صورا على رسومات لأشكال بشرية راقصة وحيوانات غريبة بلا رأس، والكثير من الصور المرسومة بالألوان أو المحفورة بالصخور ويرجع تاريخ هذه الرسومات لـــ ٨٠٠٠ عام على الأقل قبل الميلاد، كما يوجد بالكهف آلاف الرسوم الصخرية لشخصيات وأفراد، من بينها العديد من الرسوم ل(مخلوقات هجينة) والتي بسببها تم تسمية الموقع كهف الوحوش.

وتعد المرافق والخدمات من بين العوامل البشرية التي يجب توفيرها على نحو مُناسب من أجل قيام التنمية السياحية وتطورها ويتوقف نجاح النشاط السياحي على دقة الخدمات وتنظيمها، وتلبية المطالب بالمستوى اللائق، وبالأسعار المناسبة.

وتتطلب التنمية السياحية تدخل التخطيط السياحي باعتباره منهجًا يستهدف تحقيق أكبر مُعدل مُمكن من النمو السياحي بأقل تكلفة مُمكنة وفي أقرب وقت مُستطاع، فالتخطيط السياحي يُعتبر ضرورة من ضرورات التنمية السياحية الرشيدة، حتى يُمكن للدول النامية أن تواجه المنافسة في السوق السياحي العالمي، وأن تحقق معدلات سريعة ودائمة من التنمية السياحية؛ وذلك لدعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولهذا لابد من التدخل من خلال تخطيط التنمية على المستويات الوطنية والإقليمية والمحلية.

## المراجع العربية والأجنبية للبحث:

### 1)- مصادر البحث:

مقابلة شخصية مع اللواء "أحمد المستكاوي، مكتشف كهف وادي صورا، ورئيس لجنة السياحة الصحراوية بوزارة السياحة المصرية، بتاريخ 2 فبراير 2022 عن حجم الطلب السياحي الحالي على زيارة آثار ما قبل التاريخ بالجلف الكبير.

مقابلة شخصية مع الأستاذ "مجدي إبراهيم، مدير" آثار الداخلة بتاريخ 2 فبراير 2022 عن مقومات سياحة بوادي صورا.

مقابلة شخصية مع الأستاذ "أحمد دياب، أحد منظمي الرحلات الصحراوية بهضبة الجلف الكبير، بتاريخ 2 فبراير 2022، عن المكان التي تتمركز فيه مواقع آثار ما قبل التاريخ بوادي صورا.

مقابلة شخصية مع الأستاذ " زكريا المهدي، مفتش آثار بإدارة آثار ما قبل التاريخ وزارة السياحة والآثار المصرية بتاريخ 18 نوفمبر 2021.

مقابلة شخصية مع الأستاذ " تامر رمضان، مسؤول البيئة والمشرف العام لمحمية هضبة الجلف الكبير بتاريخ 22 أكتوبر 2022 عن أهمية موقع وادي صورا البيئية ومدى تأثيرها على عملية الجذب السياحي.

مقابلة شخصية مع الأستاذ " أحمد حسن، المشرف البيئي بمحمية الجلف الكبير وباحث علوم البيئة، بتاريخ 22 أكتوبر 2022.

### 2)- مراجع البحث:

أحمد الجلاد: **جغرافية سياحية جغرافية تطبيقية**، الطبعة الأولي، الجزء الأول، عالم الكتب، القاهرة، 2000.

السيد عبد الحافظ الأسود: **الأنثروبولوجيا الرمزية**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002.
حامد أبو زيد: الطريق إلى المعرفة، مجلة العربي، الكويت، 2001.
خالد خواني: المنهج الأنثروبولوجي وأدواته بين النظري والتطبيق، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، الجزء الرابع، 2021.
خليف مصطفى غرايبة: السياحة البيئة، دار ناشري.
سعيد البطوطي: التسويق السياحي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولي، القاهرة، 2012، ص386-664.
عبد الفتاح غنيمة، السياحة قاطرة التنمية لمصر المعاصرة، دار الفنون العلمية، الإسكندرية، 1996م، ص ص 189، 191.
عبد الفتاح غنيمة، السياحة قاطرة التنمية لمصر المعاصرة، دار الفنون العلمية، الإسكندرية، 1996.
عثمان محمد غنيم، سعد بنتيا نبيل: التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل"، ط 2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003.
عثمان محمد غنيم، سعد بنتيا نبيل: التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل"، ط 2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003م، ص 45.
عصام حسن الدليمي، علي عبد الرحيم صالح: البحث العلمي أسسه ومناهجه، الرضوان للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤.
عن نمط السياحية الريفية، مجلة البحوث السياحية، عدد أكتوبر، 2014.
فاروق عز الدين محمد عبده عاشور: جغرافية السياحة، تطور وأسس ومناهج وتطبيقات مكتبة الأنجلو المصرية، 2005.
فيصل الغيث: شركات ومؤسسات وحكومات تدعم القطاع السياحي بالأفلام والمسلسلات, المجلة الاقتصادية الالكترونية, العدد(7957) الرياض، 2005.
ليوناردو كورتيل: **الموسوعة الاثرية العالمية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.
محمد الجوهري ،علياء شكري: مقدمة في علم الأنثروبولوجيا، الناشر جامعة القاهرة، 2007.
محمد خميس الزوكة: صناعة السياحة من المنظور الجغرافي، ط :3: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر2008.
محمد عبد الغني سعودي ومحسن الخضيري: الأسس العلمية لكتابة الماجيستير والدكتوراه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 19992.
محمد مرسي: إدارة التسويق السياحي والفندقي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولي، الإسكندرية، 200.
نبيل الروبي، التخطيط السياحي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1987.
نبيل الروبي، التخطيط السياحي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1987.
نعيم الظاهر وسراب إلياس: **مبادئ السياحة**، دار المسيرة، ط2، الأردن، 2007.
هند سالم: تنمية أنماط جديدة لمسياحة وادارجيا عن الخريطة السياحية - دراسة حالة.

### 3)- الرسائل العلمية:

إيمانويل هونوريه: استخدام الإنسان للطبيعة في الصحراء المصرية (الجلف الكبير) خلال فترة الهولوسين الأمثل"، (رسالة دكتوراه في علم الآثار). جامعة باريس، بانثيون، سوربون، 2013.
أكمل حمدي أحمد: " الدلالات الرمزية والجمالية لقيمة الحركة في رسوم العصور الحجرية في هضبة الجلف الكبير وجبل العوينات بمصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، مصر، 2010.
سعد عبد المنعم محمد بركة: "الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى في العصر الحجري الحديث"، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية: قسم الأنثروبولوجيا، جامعة القاهرة، 1993.
نسرين أحمد: تقييم أساليب إدارة الزيارة داخل المحميات الطبيعية، رسالة ماجستير غير منشورة ،2012, كلية السياحة والفنادق، جامعة المنيا.

### 4)- الدوريَّات، والأبحاث العلمية:

الصفحة الرسمية لوزارة السياحة والآثار - استراتيجية التنمية المستدامة(mota.gov.eg).
شحاته سيد أحمد طلبة: التنمية السياحية في محافظة الفيوم، دراسة في جغرافية السياحة، المجلة الجغرافية العربية، العدد (43) الجزء الأول، القاهرة، 2004.

شحاته سيد أحمد طلبة: المقومات الطبيعية للسياحة بمنطقة ينبع بالملكة العربية السعودية، المجلة الجغرافية العربية، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد (43) الجزء الأول، القاهرة، 2004.

عن نمط السياحية الريفية، مجلة البحوث السياحية، عدد أكتوبر، 2014.

محمد عبدالحميد: سياحة التراث في مصر وآليات إدراجيا عن الخريطة السياحية –دراسة بالتطبيق على سانت كاترين بسيناء، مجلة البحوث السياحية، عدد أكتوبر، 2004.

محمد حميد محمد: الرسوم الصخرية في الصحراء الليبية، بحث منشور، مجلة الجامعة الاسمرية، العدد 12، 2009.

هند سالم: تنمية أنماط جديدة لمسياحة وادارجيا عن الخريطة السياحية - دراسة حالة.

## المراجع الأجنبية:

Chirot, Daniel and Thomas D. Hall. "World-System Theory." Annual Review of Sociology, 1982.

Cigna A.A. " Show cave development with special references to active, caves". Tourism and Karst Areas, Vol, 2011.

Gillieson, D. S. Management of Cave, in Beynen, P." Karst, Management " , Springer, London, New York, 2011.

Wadi Sura Project (Gilf Kebir, Sw Egypt), spring. [http://wadisura.phil fak.uni-koeln.de/uploads/media/WADI_SURA_report_1_2009.

Sahara, SW Egypt. — Geoarchaeology, 19: 753-778.The 'Cave of Beasts' (gilf kebir, SW egypt) 209 Pager, H. The Rock Paintings of the Upper Brandberg. Part VI: Naib (B ,Circus and Dom Gorges. Köln, Heinrich-Barth-Institut, Africa Praehistorica ,20, 648, 2006.

Skocpol, Theda. "Wallerstein's World Capitalist System: A Theoretical and Historical Critique." American Journal of Sociology, Vol, 1977.

Kuper, R. & Riemer, H. Herders before Pastoralism – Prehistoric Prelude in the Eastern Sahara. — In: Bollig, M. & Wotzka, H.-P. (Eds.), Pastoralism in Africa. Oxford/New York, Berghahn (in press).

Leisen, H., Krause, S., Riemer, H., Seidel, J., & Büttner, B. Wadi Sura: The cave of beasts; a rock art site in the Gilf Kebir (Sw-Egypt), 2013.

ISSN 2569-734X

# تشابك المصالح الدولية و انعكاسها على الاستقرار السياسي في الصومال

م.م منار عز الدين محمود
manarezadeen@uokirkuk.edu.iq
جامعة كركوك / كلية القانون والعلوم والسياسية

## الملخص

بلغ الصراع القبلي وتضارب المصالح الإقليمية والدولية في الصومال مستويات معقدة جدا، رغم مضي أكثر من ثلاثة عقود على انتهاء حكم سياد بري لا تزال الدولة مفككة بين مناطق الشمال والجنوب، ومستويات المعيشة متدنية، فيما تنخر بها الحروب والأزمات .

على المستوى الاقتصادي تُعدَ الصومال من الدول التي تأثرت بالتغييرات المناخية الامر الذي انعكس على الحياة الاقتصادية الهشة ما فاقم الصراعات القبلية، اما على المستوى السياسي فلا يزال نظام الحكم غير مستقر بسبب تضارب المصالح بين زعامات حزبية تسعى لتحقيق مصالحها الشخصية والقبلية على حساب المصلحة الوطنية، مقابل التدخلات الخارجية التي تعمل على ادامة هذه الوضع املا في الحصول على مكاسب إضافية، اما على المستوى الأمني لا تزال حركة "الشباب المجاهدين" المتشددة في خلافات مع النخبة الحاكمة وتقوم بعمليات كر وفر ضد الحكومة القائمة

**الكلمات المفتاحية:** الصومال، الصراع القبلي، نظام سياد، النزاعات القبلية، الدولة الفاشلة

## Abstract:

Tribal conflict and conflicting regional and international interests in Somalia have reached very complex levels. Despite more than three decades having passed since the end of Siad Barre's rule, the state is still divided between the northern and southern regions, and living standards are low, while wars and crises are ravaging it.

On the economic level, Somalia is one of the countries affected by climate change, which has been reflected in the fragile economic life, exacerbating tribal conflicts. On the political level, the ruling system is still unstable due to conflicts of interest between party leaders seeking to achieve their personal and tribal interests at the expense of the national interest, versus External interventions work to perpetuate this situation in the hope of obtaining additional gains. As for the security level, the extremist "Al-Shabab Mujahideen" movement is still in disputes with the ruling elite and is carrying out back-and-forth operations against the existing government.

## ❖ المقدمة

تعد الصومال نموذجا للدولة "الفاشلة" التي لم تتمكن طوال السنوات التي أعقبت سقوط نظام سياد بري من الاستقرار وبناء مؤسسات وصيغة حكم متفق عليها في الداخل ومعترف بها بالخارج، صراعات مريرة خبرتها الصومال في الداخل لا زالت تلقي بظلالها على شكل الدولة التي تم وصفها بال "الفاشلة"، كونها عاجزة عن تقديم أبسط الحقوق والخدمات لمواطنيها، كونها تخوض حروباً ضروس بين القبائل وأمراء الحروب للسيطرة والاستحواذ على المناطق الثرية سعيا منها لفرض قواعدها والتحكم في مواردها، أما في الخارج فان الصراعات الإقليمية والدولية مستمرة لتوجيه سياساتها ساعية لاستغلال موقعها والاستفادة من مواردها. ورغم جهود السلام الدولية والإقليمية لحلحلة الوضع إلا أن النتائج كانت سلبية دائما كون المنطقة معقدة وتحكمها مصالح لا يمكن التوفيق بينها.

تعاني الصومال من عدم الاندماج المجتمعي على الرغم من تجانس شعبها عرقياً ولغوياً ودينياً، فضلاً عن سوء الحكم وتفاقم التدهور الاقتصادي إلى جانب عدم المساواة الاجتماعية وضعف المنظومة التعليمية، وتنامي الحروب الأهلية، وتصاعد التهديدات الإرهابية، وتزايد معدلات اللجوء، والفساد الإداري والمالي، وتدهور بيئي، إذ انتشرت في ادبيات السياسة الدولية مفهوم "الصومالة" كناية عن الدولة التي تعاني من الفوضى.

### أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من كونه محاولة علمية لفهم أسباب استمرار الصراعات في الصومال رغم الجهود الدولية المعلنة لوضع حد لهذا الصراع وإقامة حكومة مستقرة بيد أن واقع الحال يشير عكس ذلك.

### اشكالية البحث

تثير هذه الدراسة مجموعة تساؤلات وهي:

- لماذا لم تتمكن الصومال من تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي رغم مرور أكثر من 30 عاماً على الحرب الأهلية؟
- هل ثمة إرادة دولية تهدف لتكريس حالة الانقسام تحقيقا لأغراض مصلحية؟
- ما الأدوار التي تلعبها الدول في الإبقاء على الحالة السياسية الهشة؟

### فرضية البحث

تقوم هذه الدراسة على فرضية مفادها أن "المصالح الاقليمية لا سيما من الدول المجاورة للصومال والدولية تمثل عاملاً اساسياً في تغذية حالة الانقسام حفاظاً على الوضع الاناركي الذي يسمح لها بتحقيق مأربها الخاصة".

### مناهج البحث

تم استخدام المنهج الوصفي الذي من خلاله وصفنا الواقع الجغرافي للصومال وأهميته في المصالح الإقليمية والدولية، وتمت الاستعانة بالمقترب التاريخي لفهم الأحداث التي خبرتها الصومال وساهمت فيما وصلت إلى من أوضاع، فضلا عن المنهج التحليلي.

## المبحث الأول: الجغرافية السياسة للصومال

تعرف الجغرافيا السياسية بأنها "العلم الذي يعنى بدراسة تأثير الجغرافيا (خصائص طبيعية وبشرية) في السياسية"، أو هي الإمكانات الجغرافية (الاستاتيكية) المتاحة للدولة وتقسم إلى الموقع والمساحة والتوزيع الديمغرافي وموارد الاقتصاد [453].

### المطلب الأول: الموقع الجغرافي

تقع الصومال في منطقة القرن الأفريقي، من شرق أفريقيا عند الساحل الغربي للمحيط الهندي وبحر العرب، يحدها من الشمال خليج عدن، ومن الشمال الغربي جيبوتي، ومن الغرب اثيوبيا، ومن الجنوب والجنوب الغربي كينيا، من الشرق والجنوب الشرقي المحيط الهندي [454].

أجزاء الصومال الداخلية عبارة عن هضبة تنحدر تدريجيا نحو الجنوب الشرقي حتى تصل إلى سهول مطلة على المحيط الهندي وهي سهول متسعة من البحر إلى الداخل 200 كم، بينما تطل على خليج عدن بسهل ضيق عرضه 20 كم، وتملك الصومال اطول ساحل في قارة افريقية [455]. ويسود الصومال مناخ حار جاف وشبه جاف والتغيير في درجات الحرارة بين فصول السنة قليل [456].

اما التحديد الفلكي للموقع الصومالي فانه ينحصر ما بين درجة عرض 2 جنوب خط الاستواء حتى درجة عرض 12 شمالا، وبين خطي طول 33 إلى 42 شرقا، وبذلك يكون الموقع الفلكي ضمن نطاق المنطقة المدارية الحارة [457].

وعليه، فان الصومال تتميز بموقع جيوبوليتكي فريد بواسطة اطلالتها البحرية، على كل من منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندي وهو الموقع الذي يربط أفريقيا بأسيا، وتزايد أهمية الصومال اطلالته على خليج عدن الذي يعد المدخل الطبيعي إلى البحر الأحمر الذي يعد ممرا للمحيط الهندي، وبهذا تتحكم الصومال في أهم طرق الملاحة البحرية في المحيط الهندي وخليج عدن ومداخل الخليج العربي وصولا إلى البحر الأحمر ومضيق باب المندب [458].

---

(453) نوار محمد ربيع الخيري، مبادئ الجيوبوليتيك، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2014، ص19.
(454) ندى عليوي العيبي، التنافس الاقليمي في القرن الافريقي بعد عام 2001، بيت الحكمة، بغداد، 2021، ص23.
(455) المصدر نفسه، ص25. 455
(456) عباس محمد يوسف علسور، أثر التدخل الانساني للأمم المتحدة على استقرار الصومال في الفترة 1992-1996، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة افريقيا العالمية 2019، ص35.
(457) ندى عليوي لعيبي، مصدر سبق ذكره، ص50.
(458) المصدر نفسه، ص50.

تبلغ مساحة الصومال نحو 637،657 كلم مربع [*]، وتقسم إلى 18 منطقة وأهمها [459]:

- **مقديشو:** وهي عاصمة الصومال والمدينة الرئيسة في البلاد اقتصاديا، وتطل على المحيط الهندي ولها ميناء رئيسي للتصدير والاستيراد، تتركز جميع النشاطات بها لكثرة الهجرات إليها من جميع المحافظات.
- **هرجيس:** هي المدينة الثانية بعد مقديشو وتعُد العاصمة الاقليمية للمحافظات الشمالية الغربية، وتبعد عن العاصمة حوالي 1500كم، وتمتاز هرجيسا باعتدال مناخها طوال اعلام وهي مركز تجاري للمناطق الرعوية والزراعية المحيطة بها.
- **بوصاصو:** وهي عاصمة المحافظات الشمالية الشرقية وتطل على خليج عدن وبها ميناء.
- **كيسامو:** تطل على المحيط الهندي، وبها ميناء حديث عن طريقه تتم صادرات واردات كثيرة وهي عاصمة اقليم جوبا السفلى.

(الخريطة نقلا عن موقع الخليج أون لاين)

**المطلب الثاني: المكون الاجتماعي**

تعد الصومال نموذجاً واضحاً للجماعات الوطنية المتجانسة على صعيد القارة الافريقية، ونعني بالجماعة الوطنية المتجانسة (تلك التي تنتمي لمجموعة اثنية واحدة سواء كانت قومية أم عرقية أم لغوية أم دينية)، مع وجود جماعات فرعية أو اقليات أثنية فيما بينها حتى وان وجدت فان وجودها لا يثير مشكلات ذات شأن على صعيد الوحدة الوطنية، وهو ما ينطبق على المجتمع الصومالي الذي يتميز بوحدة اللغة، ووحدة الأصل العرقي، واعتناق الاغلبية للدين الاسلامي على المذهب الشافعي [460].

---

(*) بينما تبلغ مساحة أرض الصومال 284,899 كلم٢، ينظر: موقع غلوبال فاير، دولة الصومال، متاح على الرابط الاتي: https://www.globalfirepower.com/country-military-strength-detail.php?country_id=somalia ، تاريخ الدخول للموقع 20كانون الأول 2022.

(459) عباس محمد يوسف علسور، مصدر سبق ذكره، ص38.

(460) ندى عليوي لعيبي، مصدر سبق ذكره، ص34

يبلغ عدد سكان الصومال 12 مليون و94الف و640 نسمة وفقا لإحصائيات تقريبه لعام 2021[461] يعد الشعب الصومالي هو الشعب السائد في منطقة القرن الأفريقي وينتمي في الأصل إلى الحاميين الشرقيين لغوياً وسلالياً، ويتكون من 85% من الصوماليين و15% من الباستو وغيرهم من غير الصوماليين، ويعد الشعب الصومالي من أكثر الشعوب الأفريقية تماسكا من الناحية الأثنية، وتعد القبيلة العنصر الأهم في المجتمع الصومالي[462].

يقوم النظام الاجتماعي في الصومال على اساس قبلي وترجع نشأة هذا النظام إلى اسلوب الحياة في الصومال الذي يحترف عدد كبير منه حرفة الرعي، ومن هنا ينقسم الصوماليون إلى قبائل يرتبط افرادها بسلسلة انساب تنتهي بجد مشترك تعرف القبيلة باسمه، فلكل قبيلة رئيسها سواء بالوراثة أو بالانتخاب وله نفوذ كبير فهو يتولى السلطة بين افراد القبيلة ويحظى بالقدرة على ابرام الاتفاقيات والمعاهدات مع القبائل الاخرى[463].

وبشكل عام تنقسم القبائل الصومالية إلى ثلاث مجموعات وهي:

| مجموعة السمالي | مجموعة الساب | مجاميع أخرى |
|---|---|---|
| وتعد القبيلة الأكبر في البلاد وتنقسم إلى قبائل أصغر وهي:<br>1- قبائل الداروود: (أكبر القبائل الصومالية) وتعود أصولها إلى القبائل العربية، تتفرع منها: الماريحان (جنوب ووسط الصومال)، المارجتين (وسط وشرق الصومال)، الأوغادين (جنوب).<br>2- قبائل الايرير: تتفرع عنها، قبائل الهوية تنتشر في وسط وجنوب البلاد، وقبائل الدرر تقطن وسط وجنوب البلاد، قبائل الاسحق المنتشرة في شمال الصومال. | وينحدر منها، قبائل الديغل وقبائل الرهانويين وهم اقل عدد من مجموعة السمالي، ويتمركزون في منطقة الخصبة الواقعة بين نهري شيبلي وجوبا. | قليلة العدد ذات أصول عربية وزنجية اهمها (البانتو، الباجوتي) يتمركزون في المناطق الساحلية وأودية الانهار. |

الجدول من عمل الباحثة مصدر المعلومات: مهند عبد الواحد النداوي، مصدر سبق ذكره، ص 70.

## المطلب الثالث: الوضع الاقتصادي

(461)الصومال، بيانات موقع غلوبال فايير، متاح على الرابط الاتي: https://www.globalfirepower.com/country-military-strength-detail.php?country_id=somalia، تاريخ الدخول للموقع 20 كانون الأول 2022.
(462) مهند عبد الواحد النداوي، الاتحاد الافريقي وتسوية المنازعات، العربي للنشر والتوزيع، مصر، 2014، ص69.
(463) عباس محمد يوسف علسور، مصر سبق ذكره، ص40.

تشتهر الصومال بالرعي، اذ تسهم الثروة الحيوانية بأكثر من 40 % من الناتج المحلي الاجمالي للصومال وأكثر من 50% من عائدات التصدير، وكذلك لديها اهتمام بمواردها الزراعية وأهمها الموز الذي يمثل ثلثي صادراتها الزراعية، اذ يعد مصنع الشركة الصومالية الايطالية للسكر من أكبر المشاريع الصناعية في الصومال وهو المسؤول عن نصف قيمة الانتاج الصناعي، ويعمل به ثلث القوى العاملة في الصناعة [464]، كما يقوم النشاط الاقتصادي على حرفة صيد الاسماك إذا يقدر ما تحصل عليه الصومال من الصيد سنوياً ما بين 12- 14 ألف طن سيما من صنف اسماك التونا [465].

اذ يعاني الصومال أوضاعاً اقتصادية منهارة جراء الحرب الأهلية والأوضاع السياسية والأمنية التي اعقبتها، فتبلغ نسبة البطالة نحو 67% في فئة الشباب وفقا لتقديرات عام 2020، بينما يبلغ الناتج المحلي الاجمالي 4،92 مليارات دولار وفقا لتقديرات عام 2020، ويبلغ الناتج الفردي السنوي 830 دولارا. ويصل معدل الفقر إلى 73% [466]. ورغم ان اجمالي عدد المساحات الصالحة للزراعة تبلغ 1100 هكتار وفقا لبيانات عام 2020[467]، الا ان المزروع منها يمثل اقل من 1% أي بحدود 8 هكتار فقط ما يؤدي إلى انها لا تغطي سوى 20% فقط من السوق عليه ويتم استراد الباقي من الخارج [468]. ولابد من الاشارة إلى أن الصومال قادرة على العمل من خلال شركات التحويل/ تحويل الأموال والاتصالات وهو متطور قياسا بالدول الاخرى، والنشاط الاقتصادي الرسمي يقتصر إلى حد كبير على المناطق الحضرية مثل مقديشو وعدد قليل من العواصم الإقليمية [469].

من هنا يتضح أنه الصومال تملك موقعاً استراتيجياً مهماً يمثل مطمعاً للدول الاخرى، فضلاً عن تنوعه من الناحية الاجتماعية والاقتصادية الا إن هذا التنوع صاحبه تخلف وفقر وضعف في البنى الاساسية انعكس فيما بعد على تدهور الحالة السياسية.

## المبحث الثاني: تطور النظام السياسي وادوار القوى المحلية

لقد كانت الصومال طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر مسرحاً للتنافس بين الدول الكبرى بريطانيا فرنسا ايطاليا، إذ عانت من تجربة استعمارية بالغة القسوة كونها خضعت لسيطرة هذه القوى التي جزئتها وزرعت الفرقة بين مدنها خدمة

---

(464) زياد يوسف حمد، التنافس الدولي في منطقة القرن الافريقي بعد الحرب الباردة، مطبعة الكتاب، بغداد 2022، ص58.
(465) المصدر نفسه، ص58.
(466) الصومال، بيانات البنك الدولي، متاح على الرابط الاتي:
https://data.albankaldawli.org/country/somalia?view=chart ، تاريخ الدخول للموقع 20كانون الأول 2022.
(467) الصومال، بيانات موقع knoema، متاح على الرابط الاتي:
https://ar.knoema.com/atlas/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%84 ، تاريخ الدخول للموقع 25كانون الأول 2022.
(468) احمد امين عبد العال، الصومال ومحددات الأمن القومي المصري في منطقة القرن الافريقي، مجلة الدراسات الافريقية وحوض النيل، المركز الديمقراطي العربي، نشر بتاريخ 22 يوليو 2018، متاح على الرابط الاتي:
https://www.democraticac.de/?p=5536 ، تاريخ الدخول للموقع 22كانون الأول 2022.
(469) محمود صلاح جاويش، مصدر سبق ذكره، pdf.

لمصالحها الخاصة، إلى جانب سيطرة جارتها أثيوبيا على اقليم أوغندين، ويمكن فهم سياق الأحداث بعد الاستقلال من خلال معرفة التطورات السياسية على النحو الآتي:

**المطلب الأول: تأسيس الدولة من عام 1960 -1991**

لقد حصلت الصومال على استقلالها في عام 1960، وبدأت إجراءات بناء دولة مستقلة حديثة، اذ تشكلت أول حكومة صومالية من حزب (وحدة الشباب الصومالي)، وأصبح **آدم عبد الله** عثمان رئيسا للبلاد **وعبد الله شيرماركي** رئيسا للوزراء، وبدأت الحكومة الناشئة للدولة الجديدة تسعى لإرساء دعائم بنيتها التحتية من بناء القوات المسلحة والهياكل الإدارية والمؤسسات الاقتصادية والثقافية، وتم وضع أول دستور للبلاد، والذي اقر الحق في انشاء وتأسيس الاحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني والعمل على استعادة باقي اقاليم الصومال المحتلة عبر الطرق القانونية والسلمية[470]. وكانت الأمور تسير على خطى جيدة لهذا الحكومة رغم التحديات التي تعصف بهم والمتمثلة بعجز الاقتصاد إلا أن الدول التي كانت الصومال خاضعة لها في السابق تسد جزءاً من العجز مثلا إيطاليا كانت تقدم 6 مليون دولار كرواتب موظفين، وبريطانيا كانت تغطي عجزاً مماثلاً في حصة موازنة صومالي لاند، وبدأت عملية بناء الدولة تسير سيرا حثيثا وفي تقدم مستمر [471]. وقد اتسمت تلك الفترة منذ إعلان الاستقلال حتى انتخاب **شيرماركي** رئيسا للجمهورية بالاستقرار النسبي على كافة المستويات [472].

بيد أن الأمور لم تبقى على حالها لان الرغبة في البقاء على مقعد الحكم شكل هاجساً للرئيس المنتخب **شيرماركي** ودفعه لتغيير قواعد اللعبة الديمقراطية (التراضي والتوافق في اتخاذ القرارات والتناوب في السلطة)، بالتالي تدخلت حكومته في التأثير وتزيف الانتخابات البرلمانية في محاولة للبقاء في السلطة مهما كان الثمن والتدخل بالعنف والسلاح لتزيف الانتخابات خلق ردود فعل غير محسوبة العواقب ادت إلى قيام الانقلاب العسكري [473].

بالتالي يمكن اعتبار تصرف **شيرماركي** للإبقاء على الحكم بمثابة الطلقة الأولى في نعش الدولة الصومالية الفتية، وهي العملية التي خلقت الجو النفسي لتقبل الانقلاب العسكري، لاسيما بعد الوعود التي قدمها **بري** بالعمل على إجراء اصلاحات داخلية عبر القضاء على الفساد والفوضى والروح القبلية وتنمية الاقاليم.

كان عمر الدولة الصومالية عند الانقلاب 9 سنوات، ولم ترس بعد قواعد بنيتها التحتية، في عام 1969 تمكن محمد سياد بري من تشكيل المجلس الأعلى للثورة والقيام بانقلاب عسكري للسيطرة على الحكم حتى عام1991 [474].

---

(470) محمد شريف محمود، اسباب انهيار الدولة الصومالية الحديثة، كتاب الشاهد الدوري (الطريق إلى الدولة الصومالية)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2010. ص74-76.
(471) جلال يحيى ومحمد نضر مهنا، مشكلة القرن الافريقي وقضية شعب الصومال، مصر، دار المعارف، 1981، ص6
(472) المصدر نفسه، ص75.
(473) محمد شريف محمود، مصدر سبق ذكره، ص78.
(474) نجوى امين الفوال، انهيار الدولة في الصومال، مجلة السياسية الدولية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد 112 تموز 1993، ص10.

من هذا يتضح إن حكم سياد بري الصومال لمدة 21 عاما وتميز حكمه بنظام الدكتاتوري بحث وضع قواعد شكلت أساس لانهيار الدولة في بعد، **على الجانب السياسي**، قام بإلغاء الدستور الذي كان معمولاً به وحل البرلمان المنتخب وحظر الأحزاب السياسية وفي غضون أيام كون قائد الانقلاب برئاسته مجلسا عسكريا من 25 ضابطا سماه المجلس الأعلى للثورة حكم حتى عام 1976، حين اسس حزبا سياسيا سماه الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي كوسيلة للتقرب من الاتحاد السوفيتي، الذي انقلب عليه فيما بعد [475].

**وفي الجانب الاقتصادي**، اتخذ مجموعة من القرارات من بينها تأميم القطاع الحديث المنتج للاقتصاد والممول بالاستثمار الاجنبي ويدار من قبل ملاكه الأجانب، كما قرر إنهاء خدمات الخبراء الأجانب في البنك المركزي الذي كان كله مملوكا للدولة، وإنهاء الشراكة مع الملكية الأجنبية في المجمع الصناعي العملاق (سناي) في جوهر. وكانت هذه المؤسسات تمثل المورد الرئيسي لتمويل الخزينة العامة[476]. وقد سببت سياسات التأميم والتدخل الحكومي هذه إلى هروب الاستثمارات الأجنبية الكبرى وهجرة ملاك المشروعات الصغيرة الذين كان أغلبهم أجانب وكذلك رجال الأعمال الصوماليين الذين شعروا بعدم الاطمئنان للنظام الجديد، فضلا عن أن الجيش الوطني كان يستهلك 80% من موازنة الدولة في شكل رواتب للقوات المسلحة [477].

على **الجانب الاجتماعي**، قام سياد بري بتحريم النظام القبلي على المستوى الرسمي في عام 1971 وأصبح الانتماء القبلي ورابطة الدم بمثابة عملا اجراميا، لكنه بالمقابل قوى أبناء قبيلته (الماريحان) على حساب القبائل الاخرى الامر الذي خلق حالة الحقد الداخلي الدفين [478].

**وعلى الجانب الخارجي**، فقد دخل بري في نزاع مع اثيوبيا بسبب اقليم اوغادين بدعم وتحريض من الولايات المتحدة تم حسمه لصالح اثيوبيا بعد اختيار الاتحاد السوفيتي التدخل لصالح اثيوبيا وانقلابه على **بري**.

وفي الداخل تسببت النزعة التحررية في نشوب صراع بين **سياد بري** ومعارضيه المحليين حول الامتدادات الداخلية للدولة الصومالية التي هي نفسها بلد تم بناؤه على عجل فوق المحميتين البريطانية والإيطالية في "أرض الصومال" في ستينيات القرن العشرين، وقد شنت الحركات الثورية – وتقودها أساسا القبائل الصومالية الشمالية حربا حاسمة ضد الدولة الصومالية، ونجحت في الإطاحة **ببري** عام 1991، وهي الحادثة التي بدأ معها تفكك الصومال. وعلى أنقاض الدولة المنهارة، بدأت أشكال جديدة للدولة في الظهور بانتظام -ممثلة بـ "أرض الصومال" و"بونتلاند" – ووقفت في مواجهة صوماليا وعاصمتها مقديشو التي تسودها الفوضى والعنف [479].

---

(475) عبد الله شيخ محمد عثمان، الصراع الاهلي في الصومال، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض 1421هجري، ص13.
(476) محمد شريف محمود، مصدر سبق ذكره، ص78.
(477) المصدر نفسه، ص79.
(478) مهند النداوي، مصدر سبق ذكره ص88.
(479) جيلبرت خادياجالا، شرق افريقيا: الامن وارث الهشاشة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد 86، 2009 ص13.

من هذا المبحث نستخلص أن الدولة الصومالية في بداياتها كانت تسير على خطى جيدة بيد أن طموحات **شيرمانكي** كانت السبب في الانقلاب العسكري بقيادة بري والذي تسببه حكمه بنخر الدولة الصومالية الوليدة لتكون الأرضية مهيأة لحرب أهلية شاملة تحول الصومال من دولة إلى دويلات لا تملك سلطة معترف بها من قبل المجتمع الدولي.

**المطلب الثاني: الحرب الأهلية 1991 -2000**

مثل سقوط نظام سياد بري مطلباً وطنياً لدى غالبية الشعب الصومالي بسبب تراكمات سلبية كثيرة لسنوات حكمه التي دامت 21 عاما، واقتناعهم بان انتهاء مأساتهم متوقف على انتهاء حكمه، لكن لم يسأل أحد نفسه من الذي يحل محل نظامه، وهل ان التغيير سيتم بطريقة سهلة؟

إثر هروب سياد بري من العاصمة عام 1991 انقسم معارضو إلى قسمين، فقد أعلنت الحركات المعارضة المسلحة استيلائها على السلطة وتشكيل حكومة وطنية تم الاتفاق عليها في اثيوبيا وان يكون الجنرال **محمد فارح عديدة** رئيسا للبلاد **وعبد الرحمن احمد علي تور** رئيسا للوزراء، بينما أعلن قادة المؤتمر الوطني الموحد اختيار **علي مهدي محمد** رئيسا للوزراء، ادى ذلك إلى رفض الجناح العسكري الذي يترأسه **عديدة** نتج عنه نزاعا مسلحا بين الرجلين رغم انهما ينتميان لنفس القبيلة (الهاوية) ادى لقتل أكثر من 5 الاف شخص وقرابة 60 إلف جريح [480].

بدأ مع هذا القرار مسلسل تفكك البلاد وانقسامها فعليا، فقد أعلنت الحركة الوطنية الصومالية قيام "جمهورية ارض الصومال" في الشمال الغربي وعاصمتها (هرجيسيا) برئاسة **عبدالرحمن علي تور** بتاريخ 17 أيار 1991، وفي نهاية عام 1992، أصبحت الصومال عمليا مجزأة إلى أجزاء منفصلة عن بعضها البعض، **فالمحافظات الشمالية** تخضع لسيطرة الحركة الوطنية الصومالية(أرض الصومال)، **والمحافظات الشرقية والوسطى** تخضع لسيطرة جبهة الخلاص الديمقراطي، التي اقامت فيما بعد دولة (البونت لاند) أما **العاصمة مقاديشو** وما حولها فيتنازع عليها قادة حركة المؤتمر الصومالي الموحد، أما **بقية المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية** فتتوزع بين الحركة القومية الصومالية والحركة الديمقراطية، فضلا عن القوات الموالية لسياد بري ومقرها (باربيرا)[481]. ويشار إلى انه هذه المرحلة شهدت العديد من مؤتمرات المصالحة (12 مؤتمر) [*] الا إنها فشلت بسبب تعنت قيادات الفصائل حفاظا على مصالحها الخاصة.

في هذه المرحلة 1991-2000 كانت الصومال مقسمة ولم تكن هنالك حكومة موحدة ومعترف به من قبل المجتمع الدولي وانما كانت هنالك علاقات بينية تقيمها الدول مع الاحزاب التي تعدها الاقرب إليها لهذا حصلت استقطابات دولية ساهمت

---

(480) ادم شيخ حسن، الصراع السياسي في الصومال: الاستعمار البعد التاريخي، بحث منشور في مركز مقديشو للبحوث والدراسات تشرين الثاني 2018، pdf.

(481) مهند النداوي، مصدر سبق ذكره، ص92-94.

(*) المؤتمر الأول عقد في جيبوتي (5-11 حزيران)1991 لم تشارك به الحركة الوطنية ارض الصومال، في نفس العام عقد في جيبوتي (15-21 تموز) بحضور دول افريقية وشخصيات من الجامعة العربية وتقرر بموجبه وقف إطلاق النار=
=الا ان فشل بسبب رفض عديدة ومطالبته برئاسة، عام 1993 عقد مؤتمر في اثيوبيا برئاسة بطرس غالي فشل بسب رفض ممثلي الشمال مؤكدين مطالبتهم بالاستقلال، في عام 1997 عقد مؤتمرين في سوردي اثيوبيا فشل بسبب تزايد الانقسامات بين فصيل عديدة وارض الصومال التي لم تعترف بالنتائج، في القاهرة 1997 تم الاتفاق على اعلان القاهرة الا ان تأجل أكثر من مرة: ينظر: مهند النداوي، مصدر سبق ذكره، ص79.

في زيادة حدة التعنت والصراع بين هذه الاحزاب التي يرفض كل منها التنازل للآخر ويعّده ند ومنافس ينبغي القضاء عليه بلعبة صفرية.

**المطلب الثالث: تطورات سياسية 2000-2012**

بعد مفاوضات وجهود دولية ومحلية واقليمية فقد أعلن الرئيس الجيبوتي اسماعيل عمر غيلة عام 1999 الاتفاق على تشكل مجلس وطني انتقالي بمشاركة أكثر من 2000 مندوب من داخل الصومال وخارجته يتكون من 254، وقد تم اختيار **عبد القاسم صلاد** حسن لرئاسة البلاد، وقام هذا الرئيس بتعيين **علي خليف** رئيسا للوزراء لتكون أول حكومة معترف بها بعد نظام **بري** والتي تمكنت من كتابة دستور كان من أهم بنوده الفدرالية، إلا إن نفوذها ظل محدودا، بسبب المعارضة التي منيت بها من قبل جمهورية ارض الصومال و البونت لاند، والعديد من الفصائل المسلحة، الأمر الذي ساهم في بقاء هذه الحكومة هزيلة وضعيفة غير قادرة على بسط نفوذها على الصومال وتوفير الأمن والاستقرار في البلاد[482].

بعد عام 2006 شهد الصومال تغييرات جديدة ساهمت في تدهور الأوضاع المتدهورة أساسا، فقد تعرضت الصومال إلى موجة جفاف عقدت الوضع الانساني المتعقد وفاقمت الصراع والقتال بين القبائل على أراضي الرعي[483]، كما برزت قوى جديدة على الساحة الصومالية والمتمثلة بالمحاكم الاسلامية [*484].

في 24 حزيران تم تأسيس المجلس الأعلى لاتحاد المحاكم الإسلامية وانتخب **الشيخ شريف أحمد** رئيسا للمجلس (التيار المعتدل)، بينما تم انتخاب **طاهر عويس** رئيسا لمجلس شورى المحاكم (التيار المتشدد). بالتالي برزت كقوة سياسية لها وزنها على الرغم من أن رئيسها وصفها بكونها (ثورة شعبية ضد الانتهاكات والفوضى والنهب التي مارسها الامراء).

اما بالنسبة للعلاقة بين الحكومة الصومالية والمحاكم فكانت تتراوح ما بين الترحيب الذي حظيت به المحاكم من قبل الحكومة عندما عم الامن والاستقرار في مقاديشو، والتوتر بعد ذلك بسبب مخاوف الحكومة من رغبة المحاكم في حكم البلاد او تقاسم النفوذ معها الامر الذي دعاها لإصدار قانون يتيح لها استقدام قوات حفظ السلام الافريقية الامر الذي رفضته المحاكم بالتالي حصل توتر ادى الى حروب دموية انتهت لصالح الحكومة الصومالية المدعومة من قبل جارتها الاثيوبية، وانسحاب قوات المحاكم إلى الغابات ليبدأ من هنالك فصلا جديدا من الصراعات لان المحاكم بقيت تشن عملياتها الانتقامية ضد الحكومة الموالية لأثيوبيا إذ تحولت المواجهات إلى حرب عصابات فضلا عن تعدد الانقسامات الداخلية سواء داخل قيادات المحاكم الاسلامية أو داخل الحكومة الصومالية، وفي عام 2007 شهدت المعارضة تطورا عبر المؤتمر الذي نظمته في ارتيريا بمشاركة 500 ممثل من مختلف الفصائل المعارضة ابرزهم اتحاد المحاكم والنواب المنشقون عن الحكم وقيادات اخرى في الخارج اطلق عليه (التحاف من أجل تحرير الصومال)، في هذا العام بدأت قوات حفظ

---

(482) الشافعي أبتدون، الفيدرالية: اطماع التقسيم وتحديات الوحدة، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة 2018، ص85-95.
(483) مهند النداوي، مصدر سبق ذكره، ص103.
(*) تعود جذورها إلى عام 1991 عندما حاول العالم الازهري محمد معلم حسن انشاء محكمة شرعية في مقاديشو بالتعاون شيوخ القبائل الإن الجنرال محمد عديدة قضى عليها كونها خطوة لإضعاف الدولة.

السلام التابعة للاتحاد الأفريقي (أميسوم) في الانتشار، من ثم قام **عبد الله يوسف أحمد** بتقديم استقالته للبرلمان بعدما اخفق في تحقيق السلام وفي عام 2009 انسحبت القوات الاثيوبية الداعمة للحكومة من الصومال وبدأت الحرب الأهلية إذ تقدمت حركة الشباب إلى جنوب ووسط الصومال، ما دفع كينيا إلى التدخل المسلح، في هذه السنة تم اختيار **الشيخ شريف أحمد** كرئيس للجمهورية الذي عين بدوره **عمر عبد الرشيد علي شارماركي** رئيسا للوزراء خلفا **لنور حسن حسين**، الذي ينتمي إلى قبيلة الدارود وهي قبيلة الرئيس السابق **عبد الله يوسف**، بيد ان حكومته لم تستطع فرض سيطرتها على البلاد وظل الامن محصورا في مناطق محددة العاصمة مقديشو فقط، ونكاية بأثيوبيا رفضت ارتريا الاعتراف **بشيخ شريف**(حليف الامس)الامر الذي دعاها لتقديم الدعم السياسي والمالي للجماعة حركة الشباب السلفية الجهادية والتي كانت تمثل الجناح العسكري للمحاكم الإسلامية، وقامت حركة الشباب بالتعاون مع الحزب الاسلامي بشن حرب استباقية على حكومة **شيخ شريف** نتج عنها حرب داخلية هدفها خلق الفوضى وارباك الامن بيد ان الحكومة حققت انتصارات جيدة بينما التحالف بين الحزب الاسلامي وحركة الشباب لم يستمر بعدما حصلت خلافات فيما بينهم. على الجانب الآخر نشأت حركة أهل **السنة والجماعة** كرد فعل على التصرفات التي قام بها حركة **الشباب** بفرض رويتها الدينية من قبيل (هدم اضرحة اقطاب الطرائق الصوفية والتضيق على مجالس الذكر والمولد النبوي) وهو تنظيم صوفي دعمته اثيوبيا والغرب بالمال والسلاح عمت جنبا الى جنب مع حكومة شيخ شريف [485].

لاحقا ظهرت مشكلات اخرى تمثلت بالخلافات بين الحكومة الاتحادية في مقاديشو وحكومة اقليم البونة لاند حول نصيب الاخيرة من المنح الدولية تزامنا مع صراعات تخوضها البونت لاند ضد أرض الصومال بشأن مناطق متنازع عليها (سول وسناغ) [486].

هذه الصراعات نتج عنها ظاهرة القرصنة [*] والتي بدأت عندما قامت جماعة مسلحة من اقليم البونت لاند بخطف 40 سفينة بالقرب من السواحل الصومالية ومن ثم مساومة دولهم على مبالغ مالية كفدية لإطلاق سراحهم الامر الذي ادى لتدخلات دولية بهدف حماية الطرق الاجنبية.

من ثم اخذت الامور تسير على هذا المنحنى من عدم التوافق بين القوى السياسية والحزبية فيما لم يعد هنالك صومال واحد وانما "صوملة" كل جهة احتفظت بالإقليم الذي تحكمه ولم تقبل بالمصالحة او الوحدة مع الاقاليم الاخرى لهذا انقسم الصومال عمليا إلى ثلاث مناطق وهي بونت لاند وارض الصومال، وصوماليا وعاصمتها الخرطوم.

**المطلب الرابع: التوافق السياسي من عام 2012 -2020**

---

(485) ندى عليوي، مصدر سبق ذكره، ص105.
(486) مهند النداوي، مصدر سبق ذكره، ص112.
(*) وتعني القرصنة اعمال العنف غير المشروعة بغية تحقيق منافع خاصة من قبل طاقم سفينة او طائرة في اعالي البحار او اي منطقة خارج سلطة الدولة، حسبما عرفته اتفاقية اعالي البحار المبرة في جنيف عام 1985.

نظام الحكم في الصومال هو مزيج أنظمة سياسية أنتجتها الحالة السياسية الراهنة في الصومال فهو نظام جمهوري ائتلافي أو اتحادي فيدرالي له حكومة مركزية وحكومات الأقاليم، وتتكون الحكومة المركزية من سلطة تشريعية متمثلة في مجلسي النواب والشيوخ أو المجلس الأعلى للبرلمان، وسلطة تنفيذية تتكون من الرئيس ورئيس الوزراء ومجلس الوزراء [487].

في أواخر عام 2012 تم إقرار الدستور الصومالي الذي نص على إقامة نظام فيدرالي بأغلبية مطلقة، كما تم انتخاب **حسن شيخ محمود** رئيس للصومال، ورغم تحسن الاوضاع السياسية والتي انعسكت على تحقيق استقرار امني نسبي لا ان التوترات لم تختفي تمام فالوضع الأمني بقي يشهد عمليات مسلحة ضد مصالح الدولة والقوات السلام المرابطة في الصومال وفي عام 2017 تم انتخاب **محمد عبد الله فرماجو** رئيسا للبلاد، لا ان التحديات الأمنية بقيت مستمرة لا سيما بالنسبة لحركة الشباب والتفجيرات التي تقوم بها بين فينة واخرى، فضلا عن ان العلاقات بين الحكومة والولايات الاقليمية لا تزال متوترة، والمجتمع الدولي لايزال متحفظ على رفع الحظر عن الاسلحة المفروض على الصومال والذي يشكل عائقا نحو تأسي قوات وطنية فاعلة وقادرة على النهوض بالبلاد [488].

ومع انتهاء ولاية **فرماجو** الرئاسية في فبراير 2021 وفقًا للدستور الصومالي، عمل على تمديد فترة ولايته من خلال مصادقة البرلمان الصومالي على قرار التمديد له في نيسان قبل أن يتراجع عن هذا القرار بعد أن شهدت البلاد موجة من الاحتجاجات دعت لها المعارضة السياسية، وشهدت انقسامًا في صفوف الجيش الصومالي بين مؤيد ومعارض للقرار، مما أدى إلى نشوب بعض المواجهات العسكرية في العاصمة مقديشو أسفرت عن قتلى وجرحى، وهو ما دفع فرماجو إلى دعوة رئيس الوزراء روبلي للمشاركة في تنظيم الانتخابات الرئاسية المقبلة.

ووجهت الرئاسة اتهامات لروبلي بالفساد وسوء استغلال السلطة عن طريق تخصيص أراضٍ تابعة للقوات البحرية بالقرب من ميناء مقديشو بناءً على مزاعم قائد القوات البحرية، والتي أفضت إلى تعليق رئاسي لعمل وصلاحيات رئيس الوزراء الذي اتهم لاحقًا الرئيس فرماجو بضلوعه في محاولة انقلابية فاشلة للإطاحة به حتى يتسنى له تأجيل الانتخابات المقبلة بهدف الاستمرار في السلطة، أو على الأقل الإشراف على الانتخابات بما يخدم مصالحه في الفوز بولاية رئاسية جديدة [4891].

وبالنظر إلى المشهد العام في الصومال، تزداد المخاوف من تحول الصومال إلى ساحة صراع تتورط فيه جميع القوى والحركات السياسية بمختلف انتماءاتها ومصالحها، وبعض الأطراف الإقليمية والدولية التي تسعى لحماية حلفائها في الداخل بهدف حماية مصالحها الاستراتيجية في الصومال والمنطقة وتعزيز نفوذها هناك، الأمر الذي يفاقم من أزمات الصومال ويهدد وحدتها وتماسكها، ويسمح للعديد من الفاعلين بتهديد أمنها لاسيما حركة "شباب المجاهدين" التي تنشط في وسط وجنوب البلاد.

---

(487) عمر محمد معلم حسن، مصدر سبق ذكر، pdf.
(488) المصدر نفسه.
(1) عمر محمد معلم حسن، مصدر سبق ذكره، pdf.

## المبحث الثالث: دور القوى الاقليمية والدولية في الوضع السياسي

يعد الصومال من أكثر الدول الإفريقية التي تأثرت وتضررت بالتدخل الخارجي الاقليمي والدولي، فقد كرست دول الجوار سياسة ابقاء المشهد السياسي في الصومال فوضوي من خلال دعم توجهات الحكم الذاتي والتقسيم عبر المؤتمرات التي رعتها دول الجوار في هذا الفصل سنبحث الادوار الاقليمية والدولية التي ساهمت في اذكاء الصراع داخل الصومال.

ولا بد من الأشارة إلى أن ثمة عدد كبير من الصوماليين الموزعين على الدول سبب الصراعات والحروب إذ تضم اثيوبيا نحو 6،4 مليون صومالي، وفي كينيا ثمة 4،2 صومالي، اما في البلاد العربية فتاتي اليمن بالمقدمة بـ 200 ألف صومالي، وفي الامارات هنالك 50 ألف عامل صومالي، وفي الدول الغربية تأتي كندا في المقدمة تليها الولايات المتحدة وبريطانيا [490].

### المطلب الأول: الدور الاقليمي

- **دور اثيوبيا**

تعد اثيوبيا عنصراً فاعلاً ومهماً في الصراعات الصومالية، فهي متهمة بالتدخل والعبث بالشأن الصومالي من قبل الصوماليين انفسهم، إذ يتهم الصوماليين اثيوبيا بالتدخل وتسليح بعض القبائل الصومالية لقتال بعضهم البعض وقد كان التدخل العسكري الاثيوبي عام 2006 للإطاحة بحكم المحاكم الاسلامية الصومالية دليلا على التغلغل الاثيوبي الاستخباراتي ثم العسكري في الصومال، وحتى حين اصدرت الأمم المتحدة قرارا بأنشاء بعثة لقوات الاتحاد الافريقي في الصومال الامسيوم عام 2007 كانت اثيوبيا حاضرة بقوات بجانب قوات دولية اخرى الامر الذي راي به الصوماليين شكلا جديدا من اشكال التغلغل [491]. ويرتبط الدور الاثيوبي بتحقيق مجموعة من المصالح وهي كالاتي [492]:

1. استمرار حالة الانقسام، لتظل البلاد اسيرة لمعادلة الحكومة الهشة والدويلات المتصادمة معها فلا يفسح المجال لتبلور نظام مركزي يعود للمطالبة بإقليم اوغادين، وهو ما يفسر التيارات المطالبة بإحياء مشروع الصومال الكبير.
2. تأمين الحدود الشرقية والتي يبلغ طولها 1640 كم وتعد اطول حدود مع دول الجوار، هو ما يعكسه حرصها على وجود عسكرية شبه دائم منذ عام 2006.
3. استضافة الصومال الاسطول البحري الاثيوبي وذلك لتأكيد وضعها كأكبر قوة اقليمية في القرن الافريقي.
4. المصالح الاقتصادية، والمتمثلة بالنفاذ الى الموانئ الصومالية والحصول على نصيب من الموارد النفسية.

---

(490) الصومال القصة المنسية، فلم وثائقي نشر على قناة الجزيرة بتاريخ 23 /7/ 2017، متاح على الرابط الاتي: https://www.youtube.com/watch?v=q2_1zh15njI&ab_channel=AlJazeeraDocumentary تاريخي الدخول للموقع 20 كانون الأول 2022.
(491) ايمن شبانة، ما الذي تريده اثيوبيا من الصومال؟، مركز فاروس للدراسات الاستشارية، pdf.
(492) المصدر نفسه.

ISSN 2569-734X

فقد تعاملت اثيوبيا مع الصومال من عام 2000 من خلال نمطين وهما:

أ- إذا كانت الحكومة الصومالية المشكلة معادية (غير موالية لأثيوبيا) عملت على دعم الفصائل بالسلاح والمال لإشاعة الفوضى، وهو ما توضح جليا في عام 2000 عندما رفضت الاعتراف بحكومة عبد القاسم صلاد حسن، بينما وقعت اتفاقية مع صوماليا لاند لترسيخ الفرقة بين الصوماليين.

ب- اما إذا كانت الحكومة موالية عملت على مساندتها ودعم الاستقرار في البلاد. وهو ما يتضح عندما تولي عبد الله يوسف رئاسة البلاد قامت بدعم حكومته وشن حملة على المحاكم الاسلامية.

- **دور ارتيريا**

لم يكن دور ارتيريا في الصومال شبيه بدور اثيوبيا التي لها جذور وعلاقات طويلة الا ان ارتريا برزت كدولة فاعلة في الشأن الصومالي بعد عام 2000، إذ قامت بدعم حكومة عبد القاسم صلاد حسن الذي رفضته اثيوبيا، وبعد بروز المحاكم الاسلامية قامت ارتريا بتقديم الدعم لقادة المحاكم الاسلامية وبعد هزيمتهم على تقديم الدعم للفصائل الاخرى المناوئة للحكومة [493]. ما يعني ان الموقف ارتريا ارتبط بطبيعة العلاقات مع اثيوبيا باعتبار الصومال ارض تصفية الحسابات.

- **جيبوتي**

كانت جيبوتي جزء من الصومال لكنها استقلت عام 1977، وكانت العلاقات متوترة على الدوام بسبب رفض جيبوتي الانضمام إلى الصومال لا سيما في سنوات حكم سياد بري، بيد انها عقب سقوطه حاولت جمع الفرقاء الصوماليين لأجل الخروج في صيغة جيدة لإدارة النظام السياسي وتدخل بصورة ايجابية لحلحة النزاع بيد ان امكانياتها كانت اقل من الارادات الدولية الأخرى [494].

- **كينيا**

وصفت كينيا بكونها أكثر المستفيدين من بقاء النظام على وضعه الغير مستقر من عدة اتجاهات أبرزها:

1- انشغال الحكومات بوضع اسس لاستقرار الداخل بالتالي لا تفكر بالإقليم الشمالي لكينيا.

2- من ناحية الاقتصادية استفادت كثيرا كونها المنطقة الاكثر امانا في احتضان رجال الاعمال الصوماليين.

بالتالي كانت سياسات كينيا قائمة على دعم ضعف الحكومة لا تفككها لان الحرب الحرب الداخلية تشكل هجرات جماعية التي تضرر اقتصاداتها اليها بالتالي هي سعت للهدوء من خلال دعم مؤتمرات التسوية.

**المطلب الثاني: الدور الدولي**

- **الولايات المتحدة الامريكية**

---

(493) مهند النداوي، مصدر سبق ذكره، ص 141-141.
(494) المصدر نفسه، ص145.

ازدادت اهمية منطقة القرن الافريقي بعد احداث الحادي عشر من أيلول 2001 بالنسبة **للولايات المتحدة** إذ رأت بانها المناطق التي يجب السيطرة عليها كمواقع ومراكز حشد ومراقبة سواء فيها يتعلق بالحملة العسكرية التي قادتها على افغانستان أم الحصار على المناطق التي تتوقع وجود قواعد أو انصار لتنظيم القاعدة فيها بعد أن اشارت كثير من التحليلات السياسية الغربية إلى تركزها في دول شرق إفريقيا، وهو ما دفع الولايات المتحدة الأميركية إلى تكثيف وجودها العسكري في المنطقة، بواسطة انشاء قاعدة عسكرية لها في جيبوتي عام 2002، فضلا عن اقامة محطات سرية للاتصال العسكري والاستخباراتي في كل من اثيوبيا وأرتيريا [*]، ومنذ عام 2006 شكلت حركة الشباب تهديدا للولايات المتحدة التي قادت حربا الاجل القضاء عليها، بيد ان الدور الاميركي تراجعا مؤخرا في الصومال بسبب التغييرات في الاستراتيجية الامريكية تجاه مناطق على حساب أخرى [495].

- **الصين**

تبدي الصين اهتماما بالصومال بسبب موقعها الجغرافي الفريد، دبلوماسيا اهتمت العلاقات من خلال زيارات رفيعة مع المسؤولين الصوماليين، كان آخرها زيارة المبعوث الصيني الخاص لشؤون القرن الأفريقي شيويه بينغ إلى العاصمة مقديشو في 17 أذار 2022، لبحث العلاقات الصومالية الصينية وسبل تعزيزها وتطويرها في كافة المجالات، أن الصين تعمل على تعزيز حضورها من خلال آلية المساعدات الإنسانية، وهو ما يمكنها من التغلغل الناعم، وهو ما يبرهن على أن الصين عازمة على لعب دور يتسم بالديناميكية في الصومال، اما في الجانب الامني والعسكري، فأنها تدعم قوات حفظ السلام الأفريقية الموجودة في الصومال وتزويدها بمعدات عسكرية متطورة للحفاظ على الأمن والاستقرار كما تحرص على مكافحة القرصنة في منطقة شرق أفريقيا، والتي قد تعرض المصالح الصينية التجارية للخطر.

ومثل اخفاق الولايات المتحدة الأمريكية في التعامل مع أزمات الصومال فرصة أمام الصين للاضطلاع بدور نشط في الصومال، فالصين لا تعتمد في علاقاتها مع الصومال على مبدأ المشروطية السياسية، وهي حريصة كذلك على دعم الأجهزة الأمنية الصومالية، وهو ما يُمثل فرصة سانحة لتنامي الدور الصيني الذي يحظى بقبول الأطراف السياسية الصومالية، وهو ما يعنى أن نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية سيشهد تراجعًا، كما يشار الى ان الصين تحاول اجهاض محاولات "أرض الصومال" لتوثيق علاقاتها بتايوان [496].

- **تركيا**

---

(*) وقد تمركزت القوات الأميركية في قاعدة ليمونيه بموجب اتفاق عام ٢٠٠٢م، واصبحت مقراً لأكبر وأحدث مراكز الاستخبارات في منطقة الشرق الاوسط والمحيط الهندي. ويعود سبب اختيار جيبوتي كموقع للقاعدة العسكرية من قبل الولايات المتحدة الأميركية لعدة اعتبارات، وهي موقع جيبوتي المطل على مضيق باب المندب وقربها من اليمن المطلة على المضيق من الجهة الأخرى، وصلاحية موانئها ومطاراتها للاستعمال في نقل العتاد الحربي الى منطقة الخليج، فضلاً عن تمتعها بحالة من الاستقرار السياسي وموافقة الحكومة الجيبوتية من إذ المبدأ على الوجود الاجنبي على أراضيها. للمزيد ينظر: ندى عليوي، مصدر سبق ذكره، ص 88.

(495) سولومون ديرسو وبيروك مسفين، الصراعات في اقاليم الصومال، دراسات عالمية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي 2010، ص9-20.

( 496) اسماء عادل، الحضور الصيني في الصومال الدوافع والمالات، المرصد المصري 2022 متاح على الرابط الاتي: https://marsad.ecss.com.eg/68769 ، تاريخ الدخول إلى الموقع 20 كانون الأول 2022.

تنامى الدور التركي في الصومال بصفة متصاعدة منذ زيارة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في آب 2011 إذ تم فتح مكتب تنموي تركي، كما قامت الخطوط الجوية التركية بفتح رحلات منتظمة إلى مقديشو مرتان في الأسبوع من خلال السودان وهو ما شكل إشارة واضحة على تشجيع تركيا لفرص الأعمال والاقتصاد بين البلدين فمن وجهة نظر تركيا يعَّد إيجاد حليف مستقر، قابل للحياة ويمكن الاعتماد عليه في القرن الإفريقي -ومسلم- أمر في غاية الأهمية فيما يخص الحسابات الاقتصادية، إذ تقوم تركيا ببناء النسيج الاجتماعي للمجتمع الصومالي من خلال إعادة بناء الطرق والمطارات والمستشفيات من أجل رفاه المجتمع الصومالي مما يشجع على إعادة الاستقرار السياسي للبلد [497].

- **قطر**

تعد أحد الدول العربية المؤثرة منذ وقت طويل يزيد عن 10 سنوات لا سيما في الجانب الاعلامي، اما في السنوات الأربعة الماضية التي قضاها فرماجو في الحكم استطاعت قطر أن تتوغل في مفاصل الدولة الصومالية وتترك بصماتها وتأثيراتها على كل جانب من جوانب الحياة كالسياسة والاقتصاد والأمن، فوطّدت علاقاتها الدبلوماسية مع قادة الحكومة الصومالية وأغدقت عليهم بالكثير من الأموال التي وصفها سياسيون صوماليون "بالأموال الفاسدة" التي تستخدم لانتهاك الدستور الصومالي.

ويعتقد أن لقطر دور في تفجيرات 22 تموز 2019، وبحسب صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية التي نشرت تقرير تقول فيه حصولها على تسجيل صوتي لمكالمة هاتفية جرت بين السفير القطري في الصومال حسن بن حمزة وبين رجل أعمال قطري مقرب من أمير دولة قطر الشيخ تميم بن حمد آل الثاني يبلغ السفير بأنه يعرف الجهة المسؤولة عن التفجير الذي حدث ببوصاصو، مضيفا أن الهدف من ذلك التفجير كان تقويض الوجود الإماراتي وانتزاع شركة موانئ دبي العالمية من ميناء بوصاصو [498]. كما تقوم سياسة دعم الدوحة لجماعات مصنفة إرهابية، على إزاحة الدول التي تعمل على تزكية الاستقرار، إذ تظل وحدها منفردة بالهيمنة على دوائر صناعة القرار، وتتمكن من السيطرة على الثروات [499].

- **الامارات**

إن أنظار الحكومة الإماراتية اتجهت إلى الصومال ضمن خطة للاستثمار في الدول المطلة على خليج عدن ودول القرن الأفريقي (وتحديدا الصومال، جيبوتي، إثيوبيا، إريتريا)، هذا بجانب الصراع الدائر في اليمن لبسط النفوذ على المنطقة المحيطة بمضيق باب المندب [500].

---

(497) عبد الكريم ابنتي، الدور التركي المتصاعد في الصومال: جهة مانحة ناشئة، مركز الجزيرة للدراسات، منشور بتاريخ2012 ، متاح على الرابط الاتي: https://studies.aljazeera.net/en/node/3395 ، تاريخ الدخول إلى الموقع 20كانون الأول 2022.

(498) الدور القطري في الصومال: انتقادات واتهامات، موقع الصومال الجديد متاح على الرابط الاتي: https://alsomal.net/الدّور-القطري-في-الصومال-انتقادات-وات/ ، تاريخ الدخول إلى الموقع 20 كانون الأول 2022.

(499) لا حضور لقطر في الصومال إلا بصناعة التوتر، موقع ميدل ايست اونلاين، متاح على الرابط الاتي https://middle-east-online.com/%D9%84%D8%A7-%D8%AD%D8%B6%D9%88%D8%B1 ، تاريخ الدخول إلى الموقع 20 كانون الأول 2022.

(500) عبد الرحمن عبدي، الدور الاماراتي المتصاعد في الصومال، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، 2015، pdf.

ولم تكن الصومال الخيار الأول للإمارات، ففي عام 2006، دشنت الإمارات استثماراتها في المنطقة مع جيبوتي، إذ وقعت شركة موانئ دبي عقد امتياز مع ميناء دوراليه، حصلت بموجبه على امتياز إداري واستثماري لمدة 50 عاما، وتأسست آنذاك شركة جديدة لإدارة الميناء باسم دي سي تي، امتلكت الهيئة الوطنية لموانئ جيبوتي 67 في المئة منها، مقابل 33 في المئة لموانئ دبي، وبعد عام 2012حاولت جيبوتي مرارا تعديل الاتفاق، اعتراضا على عدة بنود، من بينها حقها في بناء موانئ أخرى، والإدارة الإماراتية للميناء رغم امتلاك جيبوتي للحصة الأكبر، وفشل الطرفان في التوصل إلى اتفاق، حتى فسخت حكومة جيبوتي العقد في 2018 بسبب "تعارضه مع المصالح الأساسية للدولة"، وهنا أدركت الإمارات ضرورة البحث عن بدائل في المنطقة، بالتالي عملت قطر وتركيا والصين، للحلول محلها. وفي أواخر عام 2016، وقعت موانئ دبي مع أرض الصومال عقد امتياز لإدارة وتشغيل ميناء بربرة لمدة 30 عاما، ويشار إلى أن الإمارات اتجهت إلى التعاون مع أرض الصومال وبونت لاند بعد فشلها في التحالف مع حكومة الصومال المعترف بها دوليا في مقديشو، التي تدعمها تركيا وقطر بمساعدات واستثمارات، كما أن رغم المخاطر الأمنية التي تنطوي عليها هذه الاتفاقات، فإنها كانت الفرصة المتاحة أمام الحكومة الإماراتية للحفاظ على وجودها في خليج عدن [501].

## ❖ الخاتمة والاستنتاجات

يتضح مما تقدم أن تقاطع التوجهات الاسلامية مع النزعات القبائلية إلى جانب التدخلات الدولية والاقليمية التي هدفها المحافظة على الحالة غير المستقرة تحقيقا لمصالح خاصة كل دولة تسعى لتحقيقها على حساب الاخرى، افرزت واقعا متخلفا اجتماعيا ومستبدا سياسيا لينتج عن ذلك حالة بائسة لدولة ممزقة خارجة عن التصنيفات الدولية.

من خلال البحث يتضح أن استمرار الصراعات في الصومال مرهون بعاملين وهما:

**أولا: العامل الداخلي**

والمتعلق بالمجتمع والتراكمات التي خلفها التاريخ وساهم في صيرورتها خلال السنوات الماضية يمكن سردها على النحو الآتي:

1- العوامل التاريخية: في مؤتمر برلين عام 1885تم توزيع الأرض الإفريقية بين القوى الاستعمارية بصورة مجحفة قسمت على أساسه إفريقيا على شاكلة الممالك والدول التي تضم في طياتها مناطق وسكان غير متجانسة ولا منسجمة مع بعضها البعض، وكإفراز طبيعي لهذه الحالة لم تتفرغ الدول الإفريقية بعد الاستقلال للعمل نحو تعزيز وحدتها القومية وإنما انتقلت بمسألة تأمين وحماية حدودها المدونة في الاستعمار والتي تم رسمها على أساس مصلحة قوى الاحتلال وليس بناء على واقع إفريقيا ومصلحتها.

2- غياب الديمقراطية: فالنظام الديمقراطي يمثل أسلوب الاتفاق الذي يتيح الفرصة للوصول إلى السلام والتوازن العادل للسلطة والثروة؛ تجنب إلغاء الآخر، فضلا عن خلق ظروف مواتية للنقاش والحوار المثمر، والملاحظ أن إفريقيا تنقصها إلى الآن الديمقراطية الحقة الأمر الذي يجعل المجال واسعا أمام قمع واضطهاد المجموعات القبلية المستهدفة

---

(501) عبد الرحمن عبدي، الدور الاماراتي المتصاعد في الصومال، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، 2015، بي دي اف

من قبل النظم الديكتاتورية وكذلك الانتهاكات المنظمة لحقوق الإنسان تلك الممارسات والحالات التي يمكن أن تحدث بالمقابل ردود أفعال عنيفة.

3- الوصول إلى السلطة والثروة وكيفية توزيعها: إذا لم يكن توزيع السلطة والثروة على أساس عادل فإن ذلك يؤدي إلى حدوث حالات الغبن والكراهية بين المواطنين وربما تحولت هذه الحالة إلى أعمال عنف أو حروب أهلية داخل البلاد الأهمية بمكان الإشارة إلى أن النزاع قد يتم التعبير عنه خلال مختلف صور العنف والخطابات التي تتم عن الكراهية والتفرقة وغيرها من الصور وتأسيس اعلى أساس ذلك فإن النزاعات المحلية والقومية قد تكون نزاعات سياسية في المقام الأول يتم التعبير عنها بقوة بواس كات التمرد المسلحة، ويمكن أن ومن اسطة حر الديكتاتورية وكذلك الإنتهاكات المنظمة لحقوق الإنسان تلك الممارسات والحالات التي يمكن أن تحدث .

**ثانيا: العامل الخارجي**

يعد الصومال من أكثر الدول الإفريقية التي تأثرت وتضررت بالتدخل الخارجي الاقليمي والدولي، فقد كرست دول الجوار سياسة ابقاء المشهد السياسي في الصومال فوضوي من خلال دعم توجهات الحكم الذاتي والتقسيم عبر المؤتمرات التي رعتها دول الجوار، بينما تهتم الدول الكبرى في مصالحها والوسيلة المثلى لتحقيقها.

## ❖ المصادروالمراجع

1- احمد امين عبد العال الصومال ومحددات الأمن القومي المصري في منطقة القرن الافريقي، المركز الديمقراطي العرب ي22 يوليو 2018، .pdf

2- احمد عسكر، لماذا تتصاعد حدة الأزمة السياسية في الصومال، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية/ قضايا وتحليلات، القاهرة، 2021، pdf.

3- اميرة محمد عبد الكريم، هل يستطيع محمد فرمانجو تثبيت الدولة الصومالية، مركز الاهرام للدراسات السياسة والاستراتيجية، القاهرة، 2017.

4- بيانات البنك الدولي لعام 2020 www Albankadawli.com .

5- بيانات موقع لعام knoema2020 .

6- جلال يحيى ومحمد نضر مهنا، مشكلة القرن الافريقي وقضية شعب الصومال، مصر، دار المعارف الطبعة الأولى، 1981.

7- جيلبرت خادياجالا، شرق افريقيا: الامن وارث الهشاشة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد 86، 2009.

8- خميس دهام حميد، مؤتمرات المصالحة الصومالية وعوامل ظهور المحاكم الاسلامية، دراسات سياسية العدد 2011/17، بيت الحكمة بغداد .

9- زياد يوسف حمد، التنافس الدولي في منطقة القرن الافريقي بعد الحرب الباردة، مطبعة الكتاب، بغداد 2022.

10- سولومون ديرسو وبيروك مسفين، الصراعات في اقاليم الصومال، دراسات عالمية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي 2010.

11- عباس محمد يوسف علسور، إثر التدخل الانساني للأمم المتحدة على استقرار الصومال في الفترة 1992-1996، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة افريقيا العالمية 2019.

12- عبد الله الفاتح، القرن الافريقي: لعبة المصالح الدولية وحسابات دول المنطقة، تقرير رقم 18، الاسبوعي، ج2، 9 شباط 2018 مؤسسة الصومال الجديد للأعلام والبحوث والتنمية مقديشو.

13- عبد الله شيخ محمد عثمان، الصراع الاهلي في الصومال، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض 1421هجري.

14- عمر محمد معلم حسن، دول القرن الأفريقي. دراسات في النظام السياسي، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، 12 كانون الأول 2017، بي دي اف.

15- محمد شريف محمود، اسباب انهيار الدولة الصومالية الحديثة، كتاب الشاهد الدوري (الطريق إلى الدولة الصومالية)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2010.

16- محمود صلاح جاويش، جيوبوليتك القرن الافريقي. الأهمية والابعاد، المعهد المصري للدراسات، 8 أيلول 2016. بي دي اف.

17- مهند عبد الواحد النداوي، الاتحاد الافريقي وتسوية المنازعات، العربي للنشر والتوزيع، مصر/القاهرة 2014.

18- موقع غلوبال فاير، دولة الصومال www.globalfirepower.co.

19- ندى عليوي العيبي، التنافس الاقليمي في القرن الافريقي بعد عام 2001، بيت الحكمة، بغداد، 2021.

20- نوار محمد ربيع الخيري، مبادئ الجيوبوليتيك، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2014.

21- عبد الرحمن عبدي، الدور الاماراتي المتصاعد في الصومال، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، 2015، بي دي اف.

22- عبد الكريم ابنتي، الدور التركي المتصاعد في الصومال: جهة مانحة ناشئة، مركز الجزيرة للدراسات.

23- الدور القطري في الصومال: انتقادات واتهامات، تقرير منشور على موقع الصومال الجديد

24- لا حضور لقطر في الصومال إلا بصناعة التوتر، تقرير منشور على موقع ميدل ايست اونلاين.

25- اسماء عادل، الحضور الصيني في الصومال الدوافع والمالات، المرصد المصري 2022.

# الإستثمارورهان تحقيق العدالة المجالية بالمغرب في ضوء القانون الإطاربمثابة ميثاق الإستثمار

**مراد احتي** ، باحث بسلك الدكتوراه بجامعة القاضي عياض - كلية العلوم القانونية والاقتصادية والإجتماعية مراكش- المغرب

البريد الإلكتروني: mouradouhti44@gmail.com

**ملخص:**

تعتبر العدالة المجالية من أهم التحديات الراهنة التي يواجهها المغرب، فرغم المجهودات المبذولة للتقليص من التفاوتات المجالية إلا أن آثارها تظل حبيسة بعض الجهات دون إستفادة الأخرى بالشكل المطلوب، ويشكل الإستثمار مدخلا أساسيا لتحقيق التنمية الترابية القادرة على تنزيل العدالة المجالية عبر السياسات الإستثمارية لاسيما في ضوء الميثاق الجديد للإستثمار.

الكلمات المفاتيح: العدالة المجالية، الإستثمار، السياسات الإستثمارية، التنمية الترابية، الحكامة، المقاربة الترابية.

**Conclusion :**

Spatial justice is considered one of the most important current challenges facing Morocco. Despite the efforts made to reduce spatial disparities, its effects remain confined to some parties without benefiting others in the desired manner. Investment constitutes an essential entry point for achieving territorial development capable of achieving spatial justice through investment policies, especially in light of the Charter. New investment.

Keywords:

Spatial justice, investment, investment policies, territorial development, governance, territorial approach.

**مقدمة**

يحظى موضوع الإستثمار بأهمية بالغة في الدولة المغربية باعتباره مدخلا رئيسيا لتحقيق العدالة المجالية أو على الأقل التقليص من الفوارق المجالية بين مختلف مناطق وجهات المملكة المغربية، خاصة وأن هذه الأخيرة جعلت من الإستثمار أولوية من أولويات المرحلة، باعتباره الرهان الحقيقي لتنزيل النموذج التنموي الجديد القائم على أساس محاربة الفوارق المجالية[502].

إن ارتباط العدالة المجالية بمجهودات الدولة في مجال الإستثمار، دفع مختلف الدول ومن ضمنها المغرب إلى العمل على توفير الظروف الملائمة وتشجيع النفقات الإستثمارية قصد الرفع من وثيرة استقطابها للإستثمارات الوطنية والأجنبية، وذلك بنهجها لسياسات عمومية في ميدان الإستثمار قادرة على توفير الفضاء الأمثل للنهوض بالإستثمار[503].

ومن تجليات الأهمية البالغة التي يوليها المغرب للإستثمار دعوة الملك في الخطاب الملكي السامي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية الحادية عشرة لسنة 2022 إلى وضع ميثاق جديد ومحفز للإستثمار في أسرع وقت ممكن[504]، وهو ما حدث فعلا من خلال إخراج قانون إطار رقم 03.22 الصادر بتاريخ 12 ديسمبر 2022[505] الذي يأتي بعد انصرام أكثر من 26 سنة على صدور القانون- الإطار رقم 18.95 بمثابة ميثاق للإستثمارات[506].

ومن هذا المنطلق يعد تحديد مفهومي الإستثمار والعدالة المجالية من الأمور الأساسية والبالغة الأهمية، فالإستثمار هو استخدام الأموال في الإنتاج؛ إما مباشرة بشراء الآلات والمعدات والمواد الأولية، وإما بشكل غير مباشر من قبيل شراء الأسهم والسندات، وفي تعريف آخر يعنى بالإستثمار إضافة طاقات إنتاجية جديدة للأصول الإنتاجية الموجودة في المجتمع بإنشاء مشروعات جديدة أو التوسع في مشروعات قائمة أو إحلال أو تجديد مشروعات[507].

تجدر الإشارة إلى أن الإستثمار يشكل بؤرة اهتمام مجموعة من الباحثين والدارسين والخبراء في مجال الإقتصاد نظرا لقيمته المضافة، المتمثلة في كونه يؤدي إلى زيادة الإنتاج مما يساهم في الرفع من الدخل الوطني وارتفاع دخل الفرد وهو ما ينعكس إيجابا على مستوى معيشة المواطنين[508].

أما بالنسبة العدالة المجالية فيقصد بها ذلك التوزيع المتوازن والمنصف للتقسيم الترابي والإستثمار والإستفادة المتوازنة مما يختزن البلد من ثروات وخدمات أساسية ومواصلات، كما تم تعريفها بكونها ذلك التوزيع العادل للموارد والبنيات والمرافق والخدمات حتى يستفيد منها الأشخاص في إطار المساواة والعدالة، إذ أن مفهوم العدالة المجالية يرتبط بتهيئة

---

[502]- التقرير العام، النموذج التنموي الجديد، تحرير الطاقات واستعادة الثقة لتسريع وتيرة التقدم وتحقيق الرفاه، المملكة المغربية، اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي، أبريل 2021.

[503]- عادل تميم، البعد الجهوي في سياسات الإستثمار وانعكاسه على التنمية- على ضوء الجهوية المتقدمة-، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة عبد المالك السعدي، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية- طنجة، السنة الجامعية: 2015- 2016، ص. 22.

[504]- الخطاب الملكي السامي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية الحادية عشرة بتاريخ 14 أكتوبر 2022.

[505]- قانون- إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الإستثمار، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.22.76 صادر في 14 من جمادى الأولى 1444 (9 ديسمبر 2022)، الجريدة الرسمية عدد 7151- 17 جمادى الأولى 1444 (12 ديسمبر2022)، ص. 7900.

[506]- قانون إطار رقم 18.95 بمثابة ميثاق للإستثمارات، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.95.213 صادر في 14 من جمادى الآخرة 1416 (8 نوفمبر 1995)، الجريدة الرسمية عدد 4335- 6 رجب 1416 (29 نوفمبر 1995)، ص. 3030.

[507]- سعيد نكاوي، ميثاق اللاتمركز الإداري والتدبير اللامتمركز للإستثمار، دراسة تحليلية، دار الآفاق المغربية، مطبعة الأمنية- الرباط- 2019، صص. 191-192.

[508]- سعيد نكاوي، ميثاق اللاتمركز الإداري والتدبير اللامتمركز للإستثمار، دراسة تحليلية مرجع سابق، ص. 192.

التراب عن طريق الأخذ بعين الإعتبار أن تقسيم المجالات الترابية إلى جهات وعمالات وأقاليم لا ينفي الحفاظ على وحدة النفع المشترك من الخيرات والثروات والموارد[509].

من خلال ما سبق الوقوف عليه ضمن الإطار المفاهيمي يتبين أن هنالك علاقة وطيدة بين الإستثمار والعدالة المجالية، فهذه الأخيرة تهدف إلى توزيع عادل ومتكافئ للإستثمار ووسائل خلق الثروة بين مختلف مجالات الدولة، كما أن الإستثمار في شقيه العام والخاص يشكل الطريقة الأنسب من أجل تحقيق العدالة المجالية وتوجيه التنمية بين كل المجالات الترابية، لذلك تتولى الدولة طبقا لمقتضيات المادة 3 من ميثاق الإستثمار الجديد لسنة 2022 تتولى الدولة تحديد السياسات العمومية في مجال تنمية الإستثمار وتشجيعه[510].

ورغم كون الإستثمار يشكل مدخلا مهما لتقليص الفوارق المجالية وخلق تنمية ترابية فعالة بشكل يضمن تحقيق العدالة بين المواطنين في مختلف جهات المملكة، إلا أن هنالك مجموعة من الإكراهات والمعيقات تحول دون ذلك، الأمر الذي يدعو إلى البحث عن السبل والطرق الكفيلة بتطوير كيفية تدبير الإستثمار من أجل تحقيق الأهداف التنموية الكبرى وكسب رهان العدالة المجالية إلى غاية بلوغ اقتصاد وطني قوي ومنتج شامل للتراب الوطني.

ومن أجل الإحاطة بموضوع الإستثمار والعدالة المجالية كان لزاما علينا وضع إشكالية رئيسية للموضوع، والتي تتلخص في ما يلي: أي دور للإستثمار في كسب رهان العدالة المجالية في ضوء الميثاق الجديد للإستثمار؟

إن مقاربة موضوع الإستثمار في علاقته بالعدالة المجالية من خلال القانون الإطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق للإستثمار وذلك وفق ضوابط منهجية محكمة، تتطلب تقسيم هذه الدراسة إلى محورين رئيسيين: آليات تشجيع الإستثمار في القانون الإطار بمثابة ميثاق الإستثمار (محور أول)، ثم رهان تحقيق هذه الآليات للعدالة المجالية بين مختلف المجالات الترابية (محور ثاني).

## المحور الأول: آليات تشجيع الإستثمار وطموح العدالة المجالية في ميثاق الإستثمار

في ظل استمرار الفوارق المجالية بين جهات المملكة المغربية وعدم قدرة النموذج التنموي السابق على تقليص الفوارق المجالية والاجتماعية[511]، ظهر نقاش عمومي بين الفاعلين والمهتمين حول أهمية الإستثمار، بل إن المؤسسة الملكية دعت إلى ضرورة وضع ميثاق جديد للإستثمار يعطي دفعة ملموسة للإستثمارات كرافعة لإنعاش الاقتصاد الوطني[512]، وقد جاء ميثاق الإستثمار الجديد بأهداف الدولة الأساسية في مجال الإستثمار، كما حدد المبادئ الرئيسية لسياسة الدولة الإستثمارية (الفقرة الأولى)، بالإضافة إلى إحداثه لأنظمة دعم متنوعة تروم تشجيع الإستثمار وتحفيزه (الفقرة الثانية).

### الفقرة الأولى: العدالة المجالية رهان حقيقي لنجاح الميثاق الجديد للإستثمار

نظرا لأهمية دور الاستثمار في خلق تنمية ترابية قادرة على تحقيق دفعة حقيقية للإقتصاد الوطني مما يضمن التقليص من الفوارق المجالية، عملت الدولة من خلال الميثاق الجديد للإستثمار على تحديد الأهداف الأساسية لعملها في هذا المجال

---

[509]- أوبلوش محمد، "الديمقراطية والتنمية بالمغرب: أي دور للعدالة المجالية في تعزيز الديمقراطية: دراسة مفاهيمية مقارنة"، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل- المركز الديمقراطي العربي، المجلد الثالث، العدد العاشر، ألمانيا- برلين، يناير 2021، ص. 320.

[510]- المادة الثالثة من قانون إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الإستثمار، مرجع سابق.

[511]- الخطاب الملكي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية التشريعية العاشرة- 13 أكتوبر 2017.

[512]- الخطاب الملكي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية الحادية عشرة بتاريخ 14 أكتوبر 2022.

وعلى رأسها هدف التقليص من الفوارق المجالية (أولا)، إلى جانب اعتماد الحكامة الجيدة كمبدأ من المبادئ الرئيسية المؤطرة لسياسة الدولة في ميدان الإستثمار (ثانيا).

**أولا: تقليص الفوارق المجالية كهدف أساسي لعمل الدولة في مجال الإستثمار**

رغم كون مظاهر الهشاشة معروفة سلفا وسبق أن اتخذت الدولة بشأن أغلبها تدابير ومشاريع أو قوانين تروم حلها، إلا أن هذه الأخيرة ظلت دون تحقيق النتائج والأهداف المسطرة والمتوخاة منها، وعلى الرغم من تحقيق العديد من الإصلاحات والنتائج الإيجابية، بقيت الخطوات المتخذة متسمة بمردودية ضعيفة وغير عادلة مجاليا[513].

وبالخصوص في مجال الإستثمار الذي اتسم بطابعه الغير عادل مجاليا، وهو ما ترتبت عنه اختلالات وانعكاسات سلبية على التنمية الترابية[514]، فإرث الفوارق المجالية الذي ورثته المملكة المغربية عن الإستعمار لا زال مستمرا، بحيث إن ثلاث جهات من أصل 12 جهة حققت إلى حدود سنة 2015 نسبة 58 في المائة من الناتج الداخلي الإجمالي للمغرب، وتتمثل هذه الجهات في جهة الدار البيضاء- سطات بنسبة 32.2 في المائة، وجهة الرباط- سلا- القنيطرة بنسبة 16 في المائة، ثم جهة طنجة- تطوان- الحسيمة بنسبة 10.1 في المائة، كل هذا يكشف عن وجود تركيز جغرافي قوي من حيث خلق الثروة[515]، وكل هذا راجع بشكل كبير إلى التوزيع غير العادل للمشاريع والأنشطة الإستثمارية والإقتصادية بين جهات المملكة.

ومن هذا المنطلق ونظرا للتحديات المتعددة وقف القانون الإطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق للإستثمار ضمن المادة الأولى منه على مجموعة من الأهداف الأساسية لعمل الدولة في مجال الإستثمار والمتمثلة في:

- ✓ إحداث مناصب شغل قارة؛
- ✓ تقليص الفوارق بين أقاليم وعمالات المملكة في مجال جذب الإستثمارات؛
- ✓ توجيه الإستثمار نحو قطاعات الأنشطة ذات الأولوية ومهن المستقبل؛
- ✓ تعزيز جاذبية المملكة من أجل جعلها قطبا قاريا ودوليا للإستثمارات الأجنبية المباشرة؛
- ✓ تشجيع الصادرات وتواجد المقاولات المغربية على الصعيد الدولي؛
- ✓ تشجيع تعويض الواردات بالإنتاج المحلي؛
- ✓ تحقيق التنمية المستدامة؛
- ✓ تحسين مناخ الأعمال وتسهيل عملية الإستثمار؛
- ✓ الرفع من مساهمة الإستثمار الخاص، الوطني والدولي، في مجموع الإستثمارات المنجزة[516].

ومن خلال ما ورد في المادة الأولى أعلاه وتحديدا البند الثاني المتعلق بهدف تقليص الفوارق المجالية، يتضح جليا أن المغرب من خلال القانون الإطار الجديد بمثابة ميثاق الاستثمار جعل قضية العدالة المجالية هدفا رئيسيا مؤطرا للسياسات

---

[513]- النموذج التنموي الجديد تحرير الطاقات واستعادة الثقة لتسريع وثيرة التقدم وتحقيق الرفاه للجميع، التقرير العام، المملكة المغربية، اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي، أبريل 2021، ص. 28.

[514]- يقصد بالتنمية الترابية سيرورة تنويع وإغناء الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية في مجال ترابي معين، انطلاقا من تعبئة موارده بشكل عقلاني وبإشراك كل الطاقات المتاحة. المصدر: عبد اللطيف طاهير، محمد الزبير، نور الدين طاهير، "آفاق السياحة الجبلية بأزيلال رهان لخلق تنمية محلية"، ضمن مجلة المجال والتنمية، المركز المتوسطي للأبحاث والدراسات المجالية والاجتماعية والبيئية، العدد 4، يوليوز 2019، ص. 347.

[515]- الموضوع الخاص للتقرير السنوي للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "الفوارق الاجتماعية والمجالية"، المغرب، التقرير السنوي 2017، ص. 129.

[516]- المادة الأولى من قانون إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق للاستثمار، مرجع سابق.

العمومية في مجال الاستثمار[517]، من خلال التنصيص عليها على سبيل الحصر ضمن الأهداف الرئيسية التي جاء بها ميثاق الإستثمار.

إن تنصيص ميثاق الإستثمار الجديد ضمن المادة الأولى منه في إطار الأهداف الرئيسية له على تقليص الفوارق المجالية كهدف استراتيجي يشكل أمرا بالغ الأهمية[518]، ففي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن القانون الإطار بمثابة ميثاق للإستثمارات الصادر سنة 1995 لم ينص على مسألة الفوارق المجالية ضمن الأهداف التي صدر من أجل تحقيقها، بل اكتفى بالإشارة إلى أنه في سبيل تحفيز الاستثمار تتخذ عدة تدابير من ضمنها سن نظام ضريبي تفضيلي لفائدة التنمية الجهوية [519]، وبناء عليه فإن ورود عبارة تقليص الفوارق المجالية ضمن الأهداف الرئيسية للميثاق الجديد للإستثمار يجعل من العدالة المجالية أولوية من أولويات الدولة في باب الإستثمار، بالإضافة إلى أن الميثاق الجديد جاء مواكبا لما يطرحه النقاش العمومي المرحلي، لاسيما بعدما سلطت المؤسسة الملكية الضوء في خطبها على العدالة المجالية من جهة أولى وعلى تشجيع الإستثمار من جهة ثانية.

كما أن من أهم الأمور التي ينبغي تسليط الضوء عليها، نجد أن القانون الإطار الجديد للإستثمار جعل من الإستثمارات وسيلة لتحقيق العدالة المجالية، سواء من خلال التنصيص على "تقليص الفوارق بين أقاليم وعمالات المملكة في مجال جذب الاستثمارات" كهدف من أهداف القانون الإطار من جهة أو من خلال إحداث منحة إضافية للإستثمار تسمى "منحة ترابية" تهدف إلى التقليص من الفوارق المجالية في مجال الإستثمار، بخلاف القانون الإطار السابق رقم 18.95 الذي نص طبقا للمادة الثانية منه على سن نظام ضريبي تفضيلي لفائدة التنمية الجهوية في إطار التدابير المتخذة لفائدة تشجيع الإستثمار، لذلك فإن الصيغة التي جاء بها الميثاق الجديد تبين أن المشرع اعتبر الإستثمار آلية لتحقيق التوازن المجالي، وهي صيغة تبين الوعي العمومي بأهمية الإستثمار ودوره الحيوي في تقليص التفاوتات المجالية.

**ثانيا: الحكامة الجيدة في الميثاق الجديد للإستثمار ورهان العدالة المجالية**

برز مصطلح الحكامة الجيدة بالمغرب في إطار مجموعة من التغيرات التي شهدتها الدولة نتيجة للتأثر بالتغيرات الدولية المتمثلة في تقهقر دور الدولة، في مقابل فتح المجال أكثر أمام فاعلين جدد من ناحية أولى، خصوصا وأن السياق الذي جاء فيه المفهوم هو سياق يتميز فيه التدبير العمومي بالمحدودية من ناحية ثانية[520].

ويطرح مفهوم الحكامة في تعريفه إشكالية تعدد العناصر والأبعاد المكونة لمختلف التعاريف التي أعطيت له، وذلك حسب المقاربة المعتمدة في تعريفه، فالمقاربة السياسية للمفهوم التي يتزعمها الاتحاد الأوربي، والولايات المتحدة الأمريكية وكندا، وترى هذه المقاربة أن الحكامة قائمة على الديمقراطية الليبرالية التي تتطلب قيام نظام ديمقراطي مبني على أساس أن الحكامة وسيلة لتحقيق الفعالية والتسيير الموضوعي للشؤون العامة قصد تأسيس الدولة الحقوقية. أما المقاربة الاقتصادية- التنموية لمفهوم الحكامة التي يعتبر من روادها المؤسسات الدولية والوكالات التعاونية والمتعددة الأطراف ومن

---

[517]- يقصد بالسياسات العمومية في ميدان الاستثمار مجموع الاستراتيجيات والمخططات والبرامج والتدابير والإجراءات المنسجمة والمتناسقة الرامية إلى تحقيق الاستثمار والنهوض بالوضع الاقتصادي من خلال توظيف الأموال لخلق أنشطة اقتصادية في مختلف الميادين.

[518]- المادة الأولى من قانون إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق للاستثمار، مرجع سابق.

[519]- المادة الثانية من قانون إطار رقم 18.95 بمثابة ميثاق للاستثمارات، مرجع سابق.

[520]- سناء حمرالراس، التدبير المالي الترابي بين إكراهات الواقع ومتطلبات الحكامة، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس بالرباط، السنة الجامعية: 2016-2017، ص. 16.

أبرزها البنك العالمي وصندوق النقد الدولي، فتعتبر الحكامة مجرد آلية أو تقنية إدارية لتسيير عملية التنمية، ومن التعاريف البارزة في هذا الإتجاه تعريف البنك الدولي الذي عرفها بكونها "الحالة التي من خلالها تتم إدارة الموارد الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع بهدف التنمية"[521].

ومهما اختلفت وتعددت عناصر تعريف الحكامة حسب المقاربة المعتمدة، فإن المغرب من الدول التي اعتمدت الحكامة الجيدة كنمط للتدبير العمومي في كل مجالات الحياة العامة للدولة، بل أكثر من ذلك، فالمشرع الدستوري خصص للحكامة الجيدة الباب الثاني عشر كاملا في دستور 2011[522]، وفي مجال الإستثمار أكد الميثاق الجديد للإستثمار في المادة الثانية منه على كون الحكامة الجيدة ضمن المبادئ الأساسية المنظمة لسياسة الدولة في مجال الإستثمار، حيث ورد في المادة الثانية من الميثاق أن سياسة الدولة في هذا المجال تقوم على بعض المبادئ الأساسية؛ كحرية المبادرة والمقاولة، المنافسة الحرة والشفافية، وكذلك المساواة في معاملة المستثمرين كيفما كانت جنسيتهم، ثم الأمن القانوني، وأخيرا الحكامة الجيدة[523].

ومن خلال المادة الثانية من القانون الإطار بمثابة ميثاق للإستثمار يتضح أن الدولة جعلت الحكامة الجيدة ضمن الركائز الأساسية المؤطرة لسياسة الدولة الاستثمارية، وبالاطلاع على الفصل 154 من الدستور ضمن الباب الثاني عشر نجد أن المشرع الدستوري جعل ضمن أهم مبادئ الحكامة الجيدة؛ الإنصاف في تغطية التراب الوطني[524]، وعليه فإن الدولة ملزمة بناء على الفصل الدستوري أعلاه واستنادا على المادة الثانية من ميثاق الإستثمار الجديد رقم 03.22 باستحضار أهم المبادئ المكونة للحكامة الجيدة[525] والمتمثلة في استحضار غاية العدالة المجالية في التدبير العمومي وعلى رأسها مجال الإستثمار، على اعتبار أنه يشكل قطاعا حيويا أكدت على أهميته المؤسسة الملكية في أكثر من مناسبة، ولكونه يعتبر آلية ناجعة في يد الدولة لتحقيق العديد من الغايات والأهداف ولعل أهمها اليوم؛ تقليص التفاوتات المجالية بين مختلف مناطق المملكة، حتى يستفيد جميع المواطنين على حد سواء بعدة حقوق من قبيل الحق في التنمية والشغل والإدماج الاقتصادي والحق في بنيات تحتية تتماشى وتطلعاتهم وانتظاراتهم.

إن الحكامة الجيدة كمبدأ أساسي مؤطر لسياسة الدولة في مجال الإستثمار طبقا للمادة الثانية من ميثاق الإستثمار، تحيلنا مباشرة إلى طموح تحقيق حكامة الإستثمار، وفي مجال العدالة المجالية ينبغي مراعاة الحكامة الإستثمارية من خلال أحد أهم مبادئها الدستورية المتمثل في الإنصاف في تغطية التراب الوطني طبقا للفصل 154، وهو ما تم التأكيد عليه بشكل حصري عبر ميثاق المرافق العمومية في المادة الخامسة منه[526].

---

[521]- سناء حمرالراس، التدبير المالي الترابي بين إكراهات الواقع ومتطلبات الحكامة، المرجع نفسه، صص. 16-17.

[522]- أنظر الفصول من 154 إلى 171 من دستور 2011، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.11.91 صادر في 27 من شعبان 1432 (29يوليو 2011)، الجريدة الرسمية عدد 5964 مكرر، الصادر بتاريخ 28 شعبان 1432 (30 يوليو 2011)، ص. 3600.

[523]- المادة الثانية من قانون إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق للإستثمار، مرجع سابق.

[524]- الفصل 154 من دستور 2011، مرجع سابق.

[525]- المادة الثانية من قانون إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق للإستثمار، مرجع سابق.

[526]- المادة الخامسة من القانون رقم 54.19 بمثابة ميثاق المرافق العمومية، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.21.58 صادر في 3 ذي الحجة 1442 (14 يوليو 2021)، الجريدة الرسمية عدد 7006- 11 ذو الحجة 1442 (23 يوليو 2021)، ص. 5661.

فعلى أرض الواقع ورغم أن المغرب راكم رصيدا مهما من الإصلاحات متعددة الأبعاد والبرامج التنموية المختلفة عن طريق سياسات عمومية وطنية متعددة الأبعاد، إلا أنها لم تصل لمستوى تطلعات المواطنين، إذ اتسمت بعدم التوازن وعدم الإنصاف الترابي لاسيما في بعض المجالات والجهات التي لا زالت تعاني من الإقصاء والتهميش.

إن الحديث عن مسألة الإنصاف الترابي في تدبير مجال الإستثمار يعني القطع مع كل أشكال الهيمنة القطاعية المركزية، وتدخل الدولة في الإقتصاد الجهوي بشكل يتنافى مع مبدأ المساواة ومبدأ العدالة المجالية، حيث تساهم في الناتج الداخلي الخام للجهات عبر خلق مشاريع وتوطين الإستثمارات، وفي السياق نفسه يلخص ميشيل مارمو هذه الإشكالية بقوله: <<يكمن أصل المشكل في الطريقة التي يولد بها الناس، ويكبرون ويعملون ويشيخون، ولكن أيضا في الفوارق التي تعود إلى السلطة والمال والموارد>>[527]، ومن تجليات ذلك مساهمة الدولة في الناتج الداخلي للأقاليم الجنوبية بما يفوق 54 في المائة[528].

من وجهة نظرنا فإن توجيه الدولة لعملية خلق الثروة من خلال استعمال آلية الإستثمار العمومي أمر مطلوب، لكن على أساس أن يتم توظيفه في إطار التمييز الإيجابي لصالح الجهات التي تعاني من تعثر كبير على مستوى مؤشرات التنمية والتي لم تنل نصيبها من البنيات التحتية الأساسية في شتى المجالات، فالمطلوب اليوم استخدام الإستثمار العمومي كتقنية من أجل التحكم في توزيع الثروة في كافة مجالات الدولة عن طريق استحضار مبادئ الحكامة الجيدة لاسيما المساواة والإنصاف في تغطية التراب الوطني.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن إرجاع الدولة لعدم تقدم عجلة التنمية في مجموعة من المناطق لعامل اختيار المستثمر الخاص للأماكن والجهات الأكثر جاذبية، لا يعني أن المستثمر الخاص هو الذي تسبب في زيادة الفوارق المجالية، لأن الدولة بإمكانها خلق هذه الجاذبية الترابية عبر مجموعة من الآليات والميكانيزمات التي تهدف إلى تنزيل الحكامة الجيدة كما وردت في دستور 2011[529] وكذلك الميثاق الجديد للإستثمار[530]، من قبيل التحفيزات الجبائية المرتبطة بمجالات ترابية على حدة، والمبادرة من طرف أشخاص القانون العام عبر استثمارات عمومية تشكل بداية لانطلاق المشاريع في مختلف المناطق المتعثرة تنمويا، هذا إلى جانب إرساء بنيات تحتية معاصرة من أحياء صناعية وطرق سيارة ومطارات دولية تشجع المستثمرين على توظيف أموالهم على المستوى الوطني عوض حصرها في الجهات الثلاث الكبرى اقتصاديا المتمثلة في جهة الدار البيضاء- سطات، وجهة الرباط- سلا- القنيطرة، ثم جهة طنجة- تطوان- الحسيمة.

### الفقرة الثانية: نظام الدعم الأساسي للاستثمار كدعامة لتحقيق العدالة المجالية

رغم الوعي لحاصل لدى صناع القرار العمومي بأهمية الإستثمار في تحقيق التنمية وخلق إقلاع اقتصادي وتنموي، وعلى الرغم من اتخاذ مجموعة من التدابير والمبادرات الرامية إلى تحفيز الإستثمار بعدما دعا إليها القانون- الإطار رقم 95-18 بمثابة ميثاق للإستثمارات في المادة الثانية منه ضمن الأهداف الرئيسية التي ترمي إليها التدابير التي جاء بها هذا القانون

---

[527]- تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "متطلبات الجهوية المتقدمة وتحديات إدماج السياسات القطاعية"، المغرب، إحالة ذاتية رقم 2016/22، ص. 74.

[528]- رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "التوزيع المجالي للإستثمار العمومي في أفق الجهوية المتقدمة، ودور المراكز الجهوية للاستثمار في إعداد وبلورة المخططات التنموية على الصعيد الجهوي وتعزيز الإستثمار وتحسين مناخ الأعمال على صعيد الجهة"، المغرب، إحالة رقم 17-2015، ص. 16.

[529]- أنظر الفصول من 154 إلى 171 من دستور 2011، مرجع سابق.

[530]- المادة الثانية من قانون- إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الإستثمار، مرجع سابق.

خاصة هدف سن نظام ضريبي تفضيلي لفائدة التنمية الجهوية[531]، إلا أن حجم التفاوتات المجالية على مستوى حركة التنمية لا زال مستمرا.

صحيح أن المغرب بدل مجهودات متنوعة لتحفيز الإستثمار تمثلت في تفعيل الجهوية المتقدمة وصدور الميثاق الوطني للاتمركز الإداري وإصلاح المراكز الجهوية للإستثمار، إلى جانب إحداث اللجان الجهوية الموحدة للاستثمار، وكذا تبسيط المساطر الإدارية وإحداث صندوق محمد السادس للإستثمار[532]، بالإضافة إلى وضع مجموعة من النفقات الجبائية[533] التي وصلت في مجملها من حيث التدابير إلى 255 تدبيرا ومن حيث التكلفة إلى 337 35 مليون درهم على مستوى النفقات الجبائية السابقة لسنة 2017، والتي تقلصت في السنوات اللاحقة باستثناء سنة 2020 التي شهدت إرتفاعا كبيرا نظرا للتدابير الانتقالية المرتبطة بالنشاطات العقارية وإجراءات الإصلاح الجبائي المتعلق بالضريبة على الشركات[534]، إلا أن هذه التحفيزات لا تعني تشجيع الإستثمار بشكل يأخذ بعين الاعتبار رهان تقليص الفوارق المجالية، إذ لم تعطي امتيازا للإستثمار في بعض الأقاليم والمناطق التي تعرف هشاشة من حيث التنمية أو ضعف الجاذبية أو نقص في البنيات التحتية، لكون أن المستثمر استفاد منها رغم استثماره في الجهات الكبرى التي تتميز بالجاذبية الكبيرة للإستثمار الأجنبي والوطني وهذا راجع لكونها لم تعطي الأهمية اللازمة لطموح العدالة المجالية.

وعلى خلاف ذلك تماما جاء القانون الإطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الإستثمار بمنظومة تحفيزية جديدة متنوعة من أجل بلوغ الأهداف الأساسية المحددة على سبيل الحصر في المادة الأولى منه وعلى رأسها تقليص الفوارق بين أقاليم وعمالات المملكة في مجال جذب الإستثمارات، حيث تم اعتماد أنظمة دعم للإستثمار تتكون من نظام الدعم الأساسي، وأنظمة أساسية تخصص لمشاريع الإستثمار ذات الطابع الاستراتيجي، وللمقاولات الصغيرة جدا والصغرى والمتوسطة، ولتحفيز المقاولات المغربية على الصعيد الدولي[535].

ويتضمن نظام الدعم الأساسي:

أ- المنح المشتركة للإستثمار؛

ب- منحة إضافية للإستثمار تسمى <<منحة ترابية>> تمنح لمشاريع الإستثمار المنجزة في الأقاليم أو العمالات المحددة قائمتها بنص تنظيمي؛

ج- منحة إضافية للإستثمار، تسمى <<منحة قطاعية>> تمنح لفائدة مشاريع الاستثمار المنجزة في قطاعات الأنشطة ذات الأولوية[536].

---

[531]- المادة الثانية من قانون- إطار رقم 95-18 بمثابة ميثاق للاستثمارات، مرجع سابق.

[532]- ديباجة قانون- إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الاستثمار، مرجع سابق.

[533]- تعتبر النفقات الجبائية آلية توظفها الدولة من أجل تخفيف العبء الضريبي على بعض الفئات من الملزمين أو الأنشطة الاقتصادية، مما يساعد الدولة على تحقيق أهدافها الاستراتيجية في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، وتأخذ النفقات الجبائية أشكالا متنوعة بين تخفيض معدلات الضرائب والإعفاء التام. المصدر: تقرير حول النفقات الجبائية، مشروع قانون المالية لسنة 2023، المملكة المغربية، وزارة الاقتصاد والمالية، ص. 1.

[534]- تقرير حول النفقات الجبائية، مشروع قانون المالية لسنة 2023، مرجع سابق، ص. 11.

[535]- المادة الثامنة من قانون- إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الاستثمار، مرجع سابق.

[536]- المادة الثامنة من قانون- إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الاستثمار، المرجع نفسه.

وعليه يتضح من خلال مقتضيات المادة الثامنة أعلاه، أن الميثاق الجديد للإستثمار قد بادر إلى النظر إلى الإستثمار بمعيار ترابي، من خلال إحداث منحة ترابية يتم منحها للإستثمارات التي يتم إنجازها في دائرة النفوذ الترابي لمناطق ومجالات يتم تحديدها على حدة بنص تنظيمي، وهو ما يكرس الوعي بكون الإستثمار آلية ناجعة لتوجيه التنمية الترابية من جهة أولى، وكون الدولة قادرة على تشجيع جاذبية بعض المجالات المتعثرة تنمويا من خلال الدعم المباشر للإستثمارات التي تحدث في مناطق ترابية معينة.

تجدر الإشارة إلى أن إحداث منحة ترابية لفائدة الإستثمارات المنشأة في مجالات معينة لتقليص الفوارق المجالية أمر مطلوب ومهم للغاية لكنه غير كافي، بل إن تحقيق العدالة المجالية يتطلب تكريس المساواة حتى على مستوى توطين الإستثمار العمومي على كافة جهات الدولة وهو ما ينسجم مع سياسة الجهوية المتقدمة.

**المحور الثاني: و اقع الإستثمار و آفاقه في ضوء الميثاق الجديد للإستثمار**

لقد أبان التشخيص الإقتصادي المبني على مجموعة من التقارير الصادرة عن مؤسسات الدولة المختصة في ما يتعلق بالتفاوتات المجالية بالمغرب وانعكاساتها على تطور التنمية عن واقع الإستثمار وما يعرفه من قصور من منظور المقاربة الترابية[537] (الفقرة الأولى)، لأن الرهان الحقيقي كان حول مدى قدرة السياسات العمومية في مجال الإستثمار على تحقيق التنمية على المستوى الوطني، بدل تحقيقها في بعض الجهات الكلاسيكية المعروفة والتي يتجاوز إسهامها في الناتج الداخلي الخام 50 في المائة، بيد أن السؤال الذي يطرح اليوم هو أية آفاق للإستثمار تحديدا على مستوى كسب رهان العدالة المجالية في ضوء الميثاق الجديد للإستثمار (الفقرة الثانية).

**الفقرة الأولى: و اقع الإستثمار من منظور العدالة المجالية**

إن التطرق لموضوع واقع الإستثمار من منظور العدالة المجالية ينطلق من أساس واضح يعتبر أن التنمية ليست عفوية وإنما هي عملية معقدة تتوخى تحقيق المطالب الاجتماعية وإشباع الحاجات الأساسية للأفراد، بمعنى أن التنمية هي عملية منظمة ومخططة تهدف إلى تحسين أحوال المجتمع، وإن المستشف من هذا التعريف هو كون الفقر الذي تشهده بعض الجهات في المملكة هو نتاج لا محالة لمجموعة من السياسات العمومية أبرزها سياسات الإستثمار[538].

ومنه فإن الوعي بكون التنمية هي منظومة تشمل مجموعة من الإجراءات والتدابير المتناسقة الرامية إلى خلق تطور اقتصادي، يؤدي إلى تغير النظرة التي ينظر بها الفاعل العمومي إلى الفوارق المجالية من إشكالية مستعصية إلى مشكل عمومي يمكن التحكم فيه والسيطرة عليه من خلال حسن توجيه التنمية، وذلك بطبيعة الحال عبر آلية الإستثمار بشقيه العمومي والخاص، باعتبارها مدخلا لخلق تنمية ترابية لاسيما إذا تم حسن إستغلال الموارد والمنتوجات الجهوية والمحلية.

---

[537]- أنظر رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "التوزيع المجالي للاستثمار العمومي في أفق الجهوية المتقدمة، ودور المراكز الجهوية للاستثمار في إعداد وبلورة المخططات التنموية على الصعيد الجهوي وتعزيز الاستثمار وتحسين مناخ الأعمال على صعيد الجهة"، مرجع سابق، ص. 16.
- أنظر أيضا تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "متطلبات الجهوية المتقدمة وتحديات إدماج السياسات القطاعية"، مرجع سابق، ص. 74.

[538]- إيمان الداودي، الوالي والعامل والتنمية المحلية بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس بالرباط، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، السنة الجامعية: 2014-2015، ص. 18.

فعدم تدبير الإستثمار بمقاربة ترابية كلف الدولة الكثير من النتائج السلبية على مستويات التنمية التي تمثلت خصوصا في حجم الفوارق المجالية بين جهات المملكة المغربية وبين مختلف المناطق داخل الجهة نفسها.

من المعلوم أن المغرب راكم بعض الإصلاحات المتخذة في مجال الإستثمار خاصة منذ ميثاق الإستثمارات الصادر سنة 1995 الذي سن نظاما تفضيليا لفائدة التنمية الجهوية، إلا أن الفوارق المجالية استمرت بشكل كبير بين مجالات الدولة، وذلك راجع لهيمنة المقاربة المركزية والقطاعية في تدبير التنمية، فميثاق الإستثمارات رقم 18.95 مثلا لم يتطرق لطموح العدالة المجالية ضمن الأهداف الأساسية له[539]، حيث نصت المادة الأولى منه على أنه: " تحدد وفقا لأحكام الفقرة الثانية من الفصل 45 من الدستور الأهداف الأساسية لعمل الدولة خلال السنوات العشر المقبلة قصد تنمية وإنعاش الإستثمارات وذلك بتحسين مناخ وظروف الإستثمار ومراجعة مجال التشجيعات الجبائية واتخاذ تدابير تحفيزية للإستثمار"[540].

أمام استمرار التفاوتات المجالية وعدم إعطاء ميثاق الإستثمارات لسنة 1995 لظاهرة الفوارق المجالية الأهمية التي تستحقها، جاءت الرسالة الملكية الموجهة للوزير لأول والمتعلقة بالتدبير اللامتمركز للإستثمار بتاريخ 9 يناير 2002 مبينة أهمية سياسة التدبير اللاتمركز في دعم التنمية بالمنظور الترابي وبالتالي تحقيق التنمية بالمنظور الشمولي[541]، ليتم في ما بعد إحداث المراكز الجهوية للإستثمار بناء على مقتضيات الرسالة الملكية نفسها، ثم إصلاحها إلى جانب إحداث لجان جهوية موحدة تعنى بالإستثمار بموجب القانون رقم 47.18[542]، وذلك بعد أن ظهرت مجموعة من مكامن الخلل في أداءها[543]، كل هذا إلى جانب سياسة التحفيزات الجبائية السنوية بموجب قوانين المالية.

ورغم كل هذه المجهودات المبذولة في سبيل تحفيز الإستثمار، إلا أن التقارير الرسمية التي تطرقت لموضوع التنمية الناتجة عن تقييم لمختلف السياسات العمومية لاسيما تلك المرتبطة بالإستثمار أبانت عن استمرار التفاوتات المجالية بشكل كبير، حيث إنه وكما سلف الذكر بلغت مساهمة ثلاث جهات من أصل 12 جهة إلى حدود سنة 2015 نسبة 58 في المائة من الناتج الداخلي الإجمالي للمغرب، وتتجلى هذه الجهات على وجه التحديد في جهة الدار البيضاء- سطات بنسبة 32.2 في المائة، وجهة الرباط- سلا- القنيطرة بنسبة 16 في المائة، ثم جهة طنجة- تطوان- الحسيمة بنسبة 10.1 في المائة، كل هذا يكشف عن وجود تركيز جغرافي قوي من حيث خلق الثروة[544].

وعلى هذا الأساس فإن المجهودات المبذولة حققت بعض النتائج الإيجابية على مستوى التنمية، لكنها ظلت حكرا على مناطق كلاسيكية كما تم توضيحه أعلاه، في حين كان من المطلوب أن تتحقق التنمية على المستوى الوطني بما يضمن تحقيق العدالة المجالية، وتسهيل ولوج المواطن أينما كان في جهات الدولة لمجموعة من الخدمات العمومية الأساسية كالشغل والنقل والبنيات التحتية الملائمة لما شهده العالم من تطورات وتحولات، فسياسة الإستثمار المعتمدة اتسمت بكونها سياسة قائمة على هيمنة البعد المركزي، وهو ما تم تداركه أخيرا من خلال القانون الإطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق

---

[539]- عادل تميم، البعد الجهوي في سياسات الإستثمار وانعكاسه على التنمية- على ضوء الجهوية المتقدمة-، مرجع سابق، ص. 9.

[540]- المادة الأولى من قانون- إطار رقم 98-15 بمثابة ميثاق الاستثمارات، مرجع سابق.

[541]- عادل تميم، البعد الجهوي في سياسات الإستثمار وانعكاسه على التنمية- على ضوء الجهوية المتقدمة-، مرجع سابق، ص. 9.

[542]- القانون رقم 47.18 المتعلق بإصلاح المراكز الجهوية للإستثمار وبإحداث اللجان الجهوية الموحدة للإستثمار، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.19.18 صادر في 7 جمادى الآخرة 1440 (13 فبراير 2019)، الجريدة الرسمية عدد 6754-15 جمادى الآخرة 1440 (21 فبراير 2019)، ص. 834.

[543]- عادل تميم، البعد الجهوي في سياسات الإستثمار وانعكاسه على التنمية- على ضوء الجهوية المتقدمة-، مرجع سابق، ص. 196.

[544]- الموضوع الخاص للتقرير السنوي للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "الفوارق الاجتماعية والبيئية"، المغرب، التقرير السنوي 2017، ص. 129.

الإستثمار الصادر سنة 2022 الذي نص بصريح العبارة على تقليص الفوارق بين الأقاليم والعمالات ضمن الأهداف الرئيسية له رغم أنه ميثاق جديد لم تظهر آثاره بعد[545].

عموما فإنه يصعب في الوضعية الراهنة الحديث عن آثار ناجعة لسياسات الإستثمار على مستوى كسب رهان العدالة المجالية دون تدخل الدولة، وذلك بناء على أساسين؛ الأول هو أنها هي التي تمتلك الإمكانات المالية الكفيلة بخلق التوازن الجهوي عبر الإستثمار العمومي، والثاني يتمثل في كونها تستطيع أن توجه نظرها نحو الجهات المهمشة وذلك عن طريق تشجيع الإستثمار الخاص، من خلال توفير البنيات التحتية الملائمة له لاسيما تأسيس الطرق السيارة والسكك الحديدية خاصة بالجهات المهمشة، مع تثمين الموارد الترابية الجهوية والمحلية[546]، إضافة إلى خلق تحفيزات جبائية ذات بعد ترابي تميز الجهات المتعثرة تنمويا عن الجهات التي استفادت من حقها في البنيات التحتية والإستثمارات، وهو ما ينسجم تماما مع توجهات القانون الإطار 03.22 بمثابة ميثاق الإستثمار.

**الفقرة الثانية: آفاق العدالة المجالية في ضوء الميثاق الجديد للإستثمار**

إن نهج سياسة التدبير المركزي للإستثمار كمقاربة لمعالجة مشكلة الفوارق المجالية أبانت عن محدوديتها وعدم قدرتها على تجاوز عوائق العملية الإستثمارية على المستوى الترابي[547]، بيد أن صدور القانون الإطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الإستثمار يدعو إلى إعادة النظر في كيفية تدبير السياسات الإستثمارية من خلال اعتماد المقاربة الترابية كحل لهيمنة الرؤية المركزية (أولا)، وكذلك رفع الإستثمار الخاص كشريك رئيسي في تحقيق العدالة المجالية (ثانيا).

**أولا: المقاربة الترابية: نحو تثمين الموارد والخصوصيات الجهوية والمحلية**

تحيل التنمية في أبسط تعريفاتها على "إنجاز عمليات كمية أو نوعية هادفة إلى تحسين مستديم للظروف المعيشية لسكان مقيمين في مجال محدد على الأصعدة المؤسساتية أو الجغرافية أو الثقافية"[548]، فالتنمية إذن ثمرة إنجاز يرمي إلى تحسين معيشة السكان، أما التنمية الترابية فيعنى بها سيرورة تنويع وإغناء الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية في مجال ترابي معين، انطلاقا من تعبئة موارده بشكل عقلاني وبإشراك كل الطاقات المتاحة[549].

أما بالنسبة للمقاربة الترابية في علاقتها المسألة التنموية، فالمعنى منها هو إسناد الدولة إلى الفاعلين الترابيين خصوصا الجماعات الترابية، مسؤولية الانتقال والارتقاء بالمواطنين إلى مستوى أفضل وأحسن إداريا واجتماعيا واقتصاديا[550] علما أن السياسات الترابية لاسيما الجهوية تعد أداة استراتيجية لاستكمال السياسات العمومية الوطنية المتخذة من قبل الدولة قصد تحقيق التنمية الترابية[551].

---

[545]- المادة الأولى من القانون رقم 03.22 بمثابة ميثاق الاستثمار، مرجع سابق.

[546]- زهير النامي، رشيد عدو، "العدالة المجالية وتوزيع المرافق والخدمات في إطار الجهوية المتقدمة"، ضمن مجلة الجهوية المتقدمة ورهان الحكامة الترابية بالمغرب: قراءات متقاطعة في القانون والممارسة، المجلة المغربية للدراسات القانونية والاقتصادية، عدد 6/ غشت 2020، صص. 153-154.

[547]- عبد الرفيع زعنون، تدبير التنمية الترابية بالمغرب- دراسة مقارنة، مكتبة الرشاد- سطات، الطبعة الأولى 2020، ص. 191.

[548]- إيمان الداودي، الوالي والعامل والتنمية المحلية بالمغرب، مرجع سابق، ص. 18.

[549]- عبد اللطيف طاهير، محمد الزبير، نور الدين طاهير، "آفاق السياحة الجبلية بأزيلال رهان لخلق تنمية محلية"، ضمن مجلة المجال والتنمية، مرجع سابق، ص. 347.

[550]- رشدي عبد العزيز، "الجماعات الترابية بالمغرب- التحديات والرهانات"، ضمن حول الأدوار التنموية للجماعات الترابية، مرجع سابق، صص. 254-255.

[551]- Chafik Bakour, Ouzzani Ahmed, Riad Abadli, "Dynamiques de développement et disparités régionales au maroc », Journal of Financial Accounting and Managerial studies, Volume 06, Number 02- September 2019.

إن المقاربة الترابية هي منظومة تدبيرية تروم تحقيق التوازن بين مختلف أقاليم الدولة عن طريق إشراك مؤثرين على المستوى الترابي، نظرا لكون التزامات الدولة المركزية متعددة وتزداد يوما بعد يوم، ففتح المجال أمام صناع القرار على المستوى الترابي سيمكن بشكل مباشر من تحريك عجلة التنمية بشكل أفقي ولو بنسب قليلة، حيث إن الفاعل الترابي أدرى بما يزخر به المجال الذي ينتمي إليه من موارد وثروات مادية ولامادية.

وعندما نتحدث عن الإستثمار ومسألة العدالة المجالية فإن استحضار المقاربة الترابية بمثابة تشخيص دقيق لخاصيات المرض، حيث إنه وكما سبق الذكر فتقليص الفوارق المجالية يقتضي إيجاد بديل عن التدبير المركزي المهيمن على السياسات الاستثمارية، والمتمثل في أساسا في المقاربة المجالية للإستثمار.

وتجدر الإشارة إلى أن الدولة المغربية قد أدركت أهمية المقاربة الترابية خاصة ابتداء من صدور دستور 2011 الذي نص بصريح العبارة على أن التنظيم الترابي للمملكة المغربية تنظيم لامركزي قائم على الجهوية المتقدمة[552]، وهو التوجه الذي تم تكريسه من خلال القوانين التنظيمية للجماعات الترابية التي خولت لهذه الأخيرة عدة صلاحيات على مستوى تحقيق التنمية عبر آليات التخطيط والبرمجة والإنجاز[553]، ثم ميثاق اللاتمركز الإداري[554] وكذا قانون إصلاح المراكز الجهوية للاستثمار وإحداث اللجان الجهوية الموحدة للاستثمار[555]، ليتم تتويج هذا المسار بقانون- إطار بمثابة ميثاق الاستثمار[556].

صحيح أن كل هذا الخطوات التي تعمل على نهج المقاربة الترابية في التدبير العمومي بصفة عامة وفي مجال الإستثمار بصفة خاصة قد ساهمت ولو بنسبة قليلة في خلق دينامية مجالية في جهات المملكة، فكل هؤلاء الفاعلين يساهمون كل من زاويته في خلق الجو الملائم للتنمية، مع تسهيل وتبسيط الإجراءات الإدارية المعقدة لتحفيز الاستثمار، غير أن المقاربة الترابية لا تعني فقط منح صلاحيات لفاعلين ترابيين دون توافر الإمكانيات والموارد المالية اللازمة، بحيث ينبغي أن تراعي الدولة المركزية محدودية أداء الفاعلين الترابيين على مستوى التنمية الاقتصادية خصوصا في الجهات المتأخرة تنمويا وذات الموارد الناتج الاقتصادي المحدود، وذلك عبر تسخير التدخل الاقتصادي الذي تقوم به الدولة للجهات المهمشة باعتبارها مجالات ذات أولوية في إطار التمييز الإيجابي لصالح كسب رهان العدالة المجالية.

إن توجيه الدعم الاقتصادي والتنموي الذي تقدمه الدولة في إطار تدخلها الجهوي نحو المجالات الأفقر حسب درجة الأولوية سوف يمكن آنذاك من الحديث عن توظيف مقاربة ترابية فعالة في تدبير الإستثمار، بل وسيسهل إمكانية توظيف الذكاء الترابي في تدبير عمليات الإستثمار العمومي والخاص مما سيعجل من الجهات الفضاء الأمثل للإستثمار.

وفي السياق نفسه يرى "جيرودو" أن الذكاء الترابي يطمح إلى أن يصبح علما متعدد الاختصاصات موضوعه التنمية المستدامة للمجالات الترابية، وهدفه العمل على إطلاق دينامية للتنمية المستدامة على مستوى المجال الترابي، ويذهب

---

[552]- الفصل الأول من دستور 2011، مرجع سابق.

[553]- المادة 80 من القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.83 صادر في 20 من رمضان 1436 (7 يونيو 2015)، الجريدة الرسمية عدد 6380- 6 شوال 1436 (23 يوليو 2015)، ص. 6685.

[554]- مرسوم رقم 2.17.618 صادر في 18 من ربيع الآخر 1440 (26 ديسمبر 2018) بمثابة ميثاق وطني للاتمركز الإداري، الجريدة الرسمية عدد 6738- 19 ربيع الآخر 1440 (27 ديسمبر 2018)، ص. 9787.

[555]- القانون رقم 47.18 المتعلق بإصلاح المراكز الجهوية للاستثمار وبإحداث اللجان الجهوية الموحدة للاستثمار، مرجع سابق.

[556]- قانون- إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الاستثمار، مرجع سابق.

"برتاشيني" إلى أن الذكاء الترابي يمكن تشبيهه بالإقليمية التي تترتب عنها ظاهرة الربط بين موارد إقليم معين ونقل الصلاحيات بين فاعلين لديهم توجهات ثقافية مختلفة[557].

ومن هذا المنطلق فإن الذكاء الترابي آلية تدبيرية أكثر دقة باعتبارها تحيل مباشرة إلى الإقليمية وإلى الفاعل الترابي، ولذلك فإن توفير البيئة المناسبة من موارد وإمكانيات بإنصاف بين الجهات، سوف يسمح للفاعل الترابي بطبيعة الحال من خلق مشاريع وأنشطة اقتصادية منسجمة من خلال تثمين المنتوجات المحلية والموارد المادية واللامادية التي تتوفر في دائرة نفوذه، وسيساهم بذلك في جذب الإستثمارات للمجالات التي ينتمي إليها في إطار التسويق الترابي[558]، والرهان هنا يعتمد على كفاءة الفاعل الترابي في مجال الاستثمار تحديدا الجماعات الترابية وعلى رأسها الجهات، إلى جانب المراكز الجهوية للإستثمار واللجان الجهوية الموحدة للإستثمار التي كلفها ميثاق الإستثمار بمهمة تنزيل سياسات الإستثمار على المستوى الترابي[559].

إجمالا فإن المقاربة الترابية للإستثمار تعتبر مدخلا رئيسيا ليس فقط لخلق دينامية اقتصادية مجالية، بل تشكل آلية ناجعة لجبر الضرر في عدة جهات مقصية لم تستفد من نصيبها من التنمية خاصة وأن الجماعات الترابية أضحت فاعلة في السياسات الترابية، نظرا لكونها الهيئات الأنسب لتدبير الشؤون المحلية[560].

من هذا المنطلق فإن المقاربة الترابية للإستثمار ستمكن من تسليط الضوء على المجالات المتضررة من سياسات المركزية، بحيث يتم خلق تنمية أفقية عادلة بين كل مجالات الدولة، وأكثر من ذلك ستكون قادرة على إعادة الاعتبار للجهات المتأخرة تنمويا، كل ذلك عن طريق توظيف آليات الذكاء الترابي والتسويق الترابي لتكريس قطيعة مع هيمنة الرؤية المركزية في تدبير الإستثمار العمومي وتشجيع الإستثمار الخاص كذلك، وهو ما جاء ميثاق الإستثمار الجديد للتأكيد عليه.

**ثانيا: رفع الإستثمار الخاص على المستوى الوطني وفق منظور مجالي**

لا شك في أن القطاع الخاص يعتبر شريكا استراتيجيا للدولة في كسب الرهانات التنموية الكبرى، وفي مجال الإستثمار تزيد أهمية القطاع الخاص، بل إن الرهان بشكل كبير يقع عليه للمضي بالإستثمار المغربي قدما ليس على المستوى الوطني فحسب وإنما على الصعيد الدولي.

إن أهمية الإستثمار الخاص لا تعني تقليص دور الإستثمار العمومي، بل على العكس تماما، فإن تحقيق العدالة المجالية يقتضي وضع سياسة إستثمارية مندمجة بين القطاع العام والقطاع الخاص وهو ما حرصت المملكة على القيام به، حيث

---

[557]- مشار إليه في: محمد الدرويش، التسويق الترابي ورهان التنمية المحلية بالمغرب نموذج جهة مكناس- تافيلالت وآفاق مشروع الجهوية المتقدمة، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية ظهر المهراز- فاس، السنة الجامعية 2014-2015، صص. 36-37.

[558]- عرف "فانسون كولان" التسويق الترابي: "بذلك الجهد المراد به تقييم التراب وإمكاناته في الأسواق التنافسية، لجعله ذو مؤهلات جذب فعالة، وهذا النشاط يدبر عموما من طرف وكالات التنمية لصالح السلطات العمومية والقطاع الخاص"، مشار إليه في: محمد الدرويش، التسويق الترابي ورهان التنمية المحلية بالمغرب نموذج جهة مكناس- تافيلالت وآفاق مشروع الجهوية المتقدمة، مرجع سابق.

[559]- المادة الثالثة من قانون- إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الإستثمار، مرجع سابق.

[560] - BOUNAR Abdelhadi, BANANE Mohamed Mouloud, «Le plan communal de développement (PCD) de la commune de Zagora entre utopie et réalité », RÉGIONALISATION, GOUVERNANCE ET Développement TERRITORIAL AU MAROC : PROBLÉMATIQUE DE CONCEPTION ET DÉFIT DAPPLICATION, UNIVERSITE IBN ZOHR, FACULTE DES LANGUE, ARTES ET SCIENCE HUMANS CAMPUS AIT MELLOUL, p. 87

تم رفع ميزانية الإستثمار العمومي من 245 مليار درهم إلى 300 مليار درهم برسم سنة 2023 أي بزيادة قدرها 55 مليار درهم مقارنة مع سنة 2022[561]، كما تم إحداث وزارة الإستثمار والتقائية وتقييم السياسات العمومية التي يناط بها إعداد وتتبع وتنفيذ سياسة الدولة في مجالات الإستثمار ومناخ الأعمال[562]، إضافة إلى إحداث صندوق محمد السادس للإستثمار[563] بميزانية بلغت 45 مليار درهم سنة 2023 من أجل تطوير مكانة المملكة كمركز استثماري على المستويين الإقليمي والدولي[564].

لقد توجت هذه الخطوات الهامة في مجال الإستثمار بصدور ميثاق الإستثمار الذي جاء بأنظمة دعم تشمل نظام دعم أساسي من جهة وأنظمة خاصة تخصص لمشاريع الإستثمارات ذات الطابع الإستراتيجي، وللمقاولات الصغيرة جدا والصغرى والمتوسطة، ولتشجيع المقاولات المغربية على التواجد على الصعيد الدولي[565]، ويأتي هذا في إطار السياسة الإصلاحية للدولة لمنظومة الإستثمار في شقيه العمومي والخاص.

ولكن على الرغم من كل هذه الخطوات فإن انعكاساتها على التنمية ظلت منحازة لفائدة بعض الجهات المحظوظة لاسيما جهات الدار البيضاء- سطات، والرباط- سلا- القنيطرة، وكذا طنجة- تطوان- الحسيمة، حيث ظلت الفوارق المجالية مستمرة سواء على مستوى الأنشطة الاقتصادية أو نسبة التشغيل أو البنيات التحتية[566]، وذلك راجع إلى السياسات العمومية في مجال الإستثمار التي لم تكن تعطي الأفضلية اللازمة للمناطق الفقيرة، بل ولا توفر الفضاء الأمثل فيها لجعلها قاطبة للإستثمار الخصوصي وتشجيعه، وحتى الإستثمار العمومي فقد كان يتم توجيهه نحو المدن الكبرى[567] الأمر الذي لا يراعي الديمقراطية التشاركية والتي تشكل حجر الزاوية للحكامة الترابية وتجويد السياسات العمومية[568].

وعلى هذا الأساس فإن المطلوب هو الحرص على تشجيع الإستثمار الخاص في الجهات المتعثرة تنمويا، بل وجعله من الأولويات الراهنة من أجل تحقيق العدالة المجالية، فتحفيز المستثمر الخاص على توظيف أمواله في أنشطة اقتصادية مختلفة داخل المجالات الفقيرة سوف يساعد على خلق دينامية مجالية بنسبة نمو سريعة على المستوى الترابي، هذا إلى جانب توظيف الإستثمار العمومي وتسخيره كذلك لخلق دينامية مجالية وفق منظور استراتيجي متكامل، يرمي إلى تحقيق التنمية بمفهومها الشمولي على كافة التراب الوطني في إطار محاولة الوصول إلى حكامة الإستثمار.

إن تحليل البنية الجهوية للناتج الجهوي الإجمالي، يكشف لنا أن جهة الدار البيضاء- سطات سجلت أكبر نسبة من حيث المساهمة في الناتج الداخلي الخام خلال الفترة الممتدة 2001-2020، وذلك بنسبة 32.6 في المائة، ثم تأتي بعدها جهات

---

561- مذكرة حول التوزيع الجهوي للإستثمار، مشروع قانون المالية لسنة 2023، المملكة المغربية، وزارة الاقتصاد والمالية، ص. 5.

562- المادة الأولى من مرسوم رقم 2.21.992 صادر في 7 رجب 1443 (9 فبراير 2022) بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة الاستثمار والتقائية وتقييم السياسات العمومية، الجريدة الرسمية عدد 7064- 8 رجب 1443 (10 فبراير 2022)، ص. 644.

563- القانون رقم 76.20 القاضي بإحداث <<صندوق محمد السادس للاستثمار>>، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.20.103 صادر في 16 جمادى الأولى 1442 (31 ديسمبر 2020)، الجريدة عدد 6951- 27 جمادى الأولى 1442 (11 يناير 2021)، ص. 283.

564- المادة الأولى من مرسوم رقم 2.21.992 بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة الاستثمار والتقائية وتقييم السياسات العمومية، مرجع سابق.

565- المادة الثامنة من قانون- إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الاستثمار، مرجع سابق.

566- مذكرة حول التوزيع الجهوي للإستثمار، مشروع قانون المالية لسنة 2023، مرجع سابق، ص.7.

567- الموضوع الخاص للتقرير السنوي للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "الفوارق الاجتماعية والمجالية"، مرجع سابق، ص. 129.

568- DERBAL Sara, « La régionalisation avancée au maroc, apports pour la gouvernance territoriale », Revue Internationale des siences de Gestion, Volume 4 : Numéro 2, p. 600.

الرباط- سلا- القنيطرة (16.7 في المائة)، وطنجة- تطوان- الحسيمة (10.3 في المائة)، تليها فاس- مكناس (9.1 في المائة)[569]، وهذه المعطيات الإحصائية المتفاوتة توضح جليا أنه آن الأوان أكثر من أي وقت مضى لبلورة سياسات إستثمارية تمييزية لصالح باقي الجهات المهمشة، وهو ما ينسجم مع روح الميثاق الجديد للإستثمار الصادر سنة 2022 الذي أكد على أهمية التدبير الترابي للإستثمار[570].

عموما لابد من الحرص على تركيز الإستثمار العمومي بالجهات المتضررة تنمويا من ناحية، وتوفير البنيات التحتية الضرورية بها لإستقطاب الإستثمار الخاص من ناحية أخرى خصوصا الطرق السيارة والسكك الحديدية والجامعات والمعاهد العليا في التخصصات العلمية المواكبة لسوق الشغل والمتلائمة مع الخصوصيات والموارد التي تتميز بها كل جهة على حدة، وذلك في أفق الرفع من الإستثمار الخاص وفق مقاربة ترابية، وإعادة توزيع الإستثمار العمومي على مختلف المجالات بالشكل الذي يضمن تقليص الفوارق المجالية، لأن ضعف الإستثمار الخاص في معظم المجالات سوف يكلف الكثير من الزمن من أجل الرفع من مستويات التنمية بها.

**خاتمة**

لقد عمل المغرب خصوصا منذ التسعينات من القرن الماضي على خلق التنمية الإقتصادية في مختلف المجالات استنادا بالأساس على تشجيع الإستثمار العمومي والخاص، وقد شكل ميثاق الاستثمارات لسنة 1995 طفرة مهمة لتحفيز الإستثمار، حيث ترتبت عنه نتائج مهمة على مستويات التنمية، بيد أن هذه النتائج تركزت بشكل كبير في مناطق جغرافية دون سواها، مما ساهم في بروز تفاوتات مجالية كبرى، كما أنه لم يعد مواكبا للتطورات التي شهدتها الحياة العامة للمغرب لاسيما بعد النموذج التنموي الجديد الذي رفع من حجم الطموح المغربي في مجال الإستثمار.

وفي سياق هذه التحولات والتطورات صدر الميثاق الجديد للإستثمار بتاريخ 12 ديسمبر 2022 الذي جاء بمجموعة من المستجدات لتنمية الإستثمار خاصة في القطاع الخاص، وذلك عن طريق إحداث نظام دعم أساسي يشمل المنح المشتركة ومنحة ترابية ومنحة قطاعية، ثم أنظمة خاصة تخصص لمشاريع الإستثمار ذات الطابع الاستراتيجي وللمقاولات الصغيرة جدا والصغرى والمتوسطة ولتشجيع المقاولات المغربية على التواجد على الصعيد الدولي، كما أن ما يحمد لهذا الميثاق كونه جعل من أهم أهدافه الأساسية تقليص الفوارق بين أقاليم وعمالات المملكة في مجال جذب الإستثمارات، الأمر الذي يوضح أن المغرب جعل ضمن أولوياته التنموية كسب رهان العدالة المجالية من خلال آلية الإستثمار.

إن التشخيص الترابي لكيفية توزيع الإستثمار بين مختلف مجالات الدولة أبان عن فوارق مجالية كبيرة في مختلف الميادين[571]، وهو ما يشكل خرقا مخالفة لمبدأي المساواة والإنصاف في تغطية التراب الوطني وما تقتضيه منظومة الحكامة الجيدة، حيث يتضح من خلال مقارنة مساهمات الجهات في الناتج الداخلي الخام أن هنالك تفاوت مجالي كبير لاسيما إذا تمت المقارنة بين أكبر جهة مع أصغر جهة من حيث المساهمة.

---

[569]- مذكرة حول التوزيع الجهوي للإستثمار، مشروع قانون المالية لسنة 2023، مرجع سابق، ص.7.

[570]- قانون- إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الإستثمار، مرجع سابق.

[571]- أنظر رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "التوزيع المجالي للاستثمار العمومي في أفق الجهوية المتقدمة، ودور المراكز الجهوية للاستثمار في إعداد وبلورة المخططات التنموية على الصعيد الجهوي وتعزيز الاستثمار وتحسين مناخ الأعمال على صعيد الجهة"، مرجع سابق، ص. 16.

وبناء عليه فقد آن الأوان لتوجيه الإستثمار العمومي نحو هذه الجهات الأقل تنمية من ناحية أولى، ثم تشجيع الإستثمارات الخاصة بهذه الجهات وفق آليات تحفيزية تأخذ بعين الإعتبار المقاربة الترابية القادرة على خلق دينامية مجالية سريعة من ناحية ثانية، وذلك عن طريق تحفيزات جبائية مجالية وتوفير البنيات التحتية التي تزيد من جاذبية هذه المناطق الجغرافية وترفع قدرتها على استقطاب الإستثمارات الخاصة، إلى جانب مبادرة القطاع العمومي بالإستثمار في جهات أخرى غير الجهات الكلاسيكية المعتادة قصد تشجيع القطاع الخاص، وهو ما يتطابق تماما مع أهداف الميثاق الجديد للإستثمار الصادر في ديسمبر 2022.

## قائمة المراجع

✓ **الأطاريح:**

- عادل تميم، البعد الجهوي في سياسات الإستثمار وانعكاسه على التنمية- على ضوء الجهوية المتقدمة-، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة عبد المالك السعدي، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية- طنجة، السنة الجامعية: 2015- 2016، ص. 22؛
- سناء حمرالراس، التدبير المالي الترابي بين إكراهات الواقع ومتطلبات الحكامة، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس بالرباط، السنة الجامعية: 2016-2017؛
- إيمان الداودي، الوالي والعامل والتنمية المحلية بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس بالرباط، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، السنة الجامعية: 2014-2015؛
- محمد الدرويش، التسويق الترابي ورهان التنمية المحلية بالمغرب نموذج جهة مكناس- تافيلالت وآفاق مشروع الجهوية المتقدمة، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية ظهر المهراز- فاس، السنة الجامعية 2014-2015.

✓ **النصوص القانونية:**

- دستور 2011 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.11.91 صادر في 27 من شعبان 1432 (29يوليو 2011)، الجريدة الرسمية عدد 5964 مكرر، الصادر بتاريخ 28 شعبان 1432 (30 يوليو 2011)؛
- القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.83 صادر في 20 من رمضان 1436 (7 يونيو 2015)، الجريدة الرسمية عدد 6380- 6 شوال 1436 (23 يوليو 2015)؛
- قانون إطار رقم 03.22 بمثابة ميثاق الإستثمار، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.22.76 صادر في 14 من جمادى الأولى 1444 (9 ديسمبر 2022)، الجريدة الرسمية عدد 7151- 17 جمادى الأولى 1444 (12 ديسمبر2022)؛
- قانون إطار رقم 18.95 بمثابة ميثاق للإستثمارات، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.95.213 صادر في 14 من جمادى الآخرة 1416 (8 نوفمبر 1995)، الجريدة الرسمية عدد 4335- 6 رجب 1416 (29 نوفمبر 1995)؛
- قانون رقم 54.19 بمثابة ميثاق المرافق العمومية، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.21.58 صادر في 3 ذي الحجة 1442 (14 يوليو 2021)، الجريدة الرسمية عدد 7006- 11 ذو الحجة 1442 (23 يوليو 2021)؛

- قانون رقم 47.18 المتعلق بإصلاح المراكز الجهوية للإستثمار وبإحداث اللجان الجهوية الموحدة للإستثمار، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.19.18 صادر في 7 جمادى الآخرة 1440 (13 فبراير 2019)، الجريدة الرسمية عدد 6754-15 جمادى الآخرة 1440 (21 فبراير 2019)؛
- القانون رقم 76.20 القاضي بإحداث <<صندوق محمد السادس للاستثمار>>، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.20.103 صادر في 16 جمادى الأولى 1442 (31 ديسمبر 2020)، الجريدة عدد 6951- 27 جمادى الأولى 1442 (11 يناير 2021)؛
- مرسوم رقم 2.17.618 صادر في 18 من ربيع الآخر 1440 (26 ديسمبر 2018) بمثابة ميثاق وطني للاتمركز الإداري، الجريدة الرسمية عدد 6738- 19 ربيع الآخر 1440 (27 ديسمبر 2018)؛
- مرسوم رقم 2.21.992 صادر في 7 رجب 1443 (9 فبراير 2022) بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة الاستثمار والتقائية وتقييم السياسات العمومية، الجريدة الرسمية عدد 7064- 8 رجب 1443 (10 فبراير 2022).

✓ **المقالات العلمية:**

- سعيد نكاوي، ميثاق اللاتمركز الإداري والتدبير اللامتمركز للإستثمار، دراسة تحليلية، دار الآفاق المغربية، مطبعة الأمنية- الرباط- 2019؛
- أوبلوش محمد، "الديمقراطية والتنمية بالمغرب: أي دور للعدالة المجالية في تعزيز الديمقراطية: دراسة مفاهيمية مقارنة"، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل- المركز الديمقراطي العربي، المجلد الثالث، العدد العاشر، ألمانيا- برلين، يناير 2021؛
- عبد اللطيف طاهير، محمد الزبير، نور الدين طاهير، "آفاق السياحة الجبلية بأزيلال رهان لخلق تنمية محلية"، ضمن مجلة المجال والتنمية، المركز المتوسطي للأبحاث والدراسات المجالية والاجتماعية والبيئية، العدد 4، يوليوز 2019؛
- زهير النامي، رشيد عدو، "العدالة المجالية وتوزيع المرافق والخدمات في إطار الجهوية المتقدمة"، ضمن مجلة الجهوية المتقدمة ورهان الحكامة الترابية بالمغرب: قراءات متقاطعة في القانون والممارسة، المجلة المغربية للدراسات القانونية والاقتصادية، عدد 6/ غشت 2020؛
- عبد الرفيع زعنون، تدبير التنمية الترابية بالمغرب- دراسة مقارنة، مكتبة الرشاد- سطات، الطبعة الأولى 2020؛

✓ **الخطب الملكية:**

- الخطاب الملكي السامي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية الحادية عشرة بتاريخ 14 أكتوبر 2022؛
- الخطاب الملكي بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية التشريعية العاشرة- 13 أكتوبر 2017.

✓ **التقارير:**

- التقرير العام، النموذج التنموي الجديد، تحرير الطاقات واستعادة الثقة لتسريع وتيرة التقدم وتحقيق الرفاه، المملكة المغربية، اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي، أبريل 2021؛
- الموضوع الخاص للتقرير السنوي للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "الفوارق الاجتماعية والمجالية"، المغرب، التقرير السنوي 2017؛
- تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "متطلبات الجهوية المتقدمة وتحديات إدماج السياسات القطاعية"، المغرب، إحالة ذاتية رقم 2016/22؛

- رأي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "التوزيع المجالي للإستثمار العمومي في أفق الجهوية المتقدمة، ودور المراكز الجهوية للاستثمار في إعداد وبلورة المخططات التنموية على الصعيد الجهوي وتعزيز الإستثمار وتحسين مناخ الأعمال على صعيد الجهة"، المغرب، إحالة رقم 17-2015؛
- تقرير حول النفقات الجبائية، مشروع قانون المالية لسنة 2023، المملكة المغربية، وزارة الاقتصاد والمالية؛
- .الموضوع الخاص للتقرير السنوي للمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، "الفوارق الاجتماعية والبيئية"، المغرب، التقرير السنوي 2017.

✓ **مراجع أخرى:**

- مذكرة حول التوزيع الجهوي للإستثمار، مشروع قانون المالية لسنة 2023، المملكة المغربية، وزارة الاقتصاد والمالية.

✓ **Revues :**

- BOUNAR Abdelhadi, BANANE Mohamed Mouloud, «Le plan communal de développement (PCD) de la commune de Zagora entre utopie et réalité », RÉGIONALISATION, GOUVERNANCE ET Développement TERRITORIAL AU MAROC : PROBLÉMATIQUE DE CONCEPTION ET DÉFIT DAPPLICATION, UNIVERSITE IBNZOHR, FACULTE DES LANGUE, ARTES ET SCIENCE HUMANS CAMPUS AIT MELLOU;
- DERBAL Sara, « La régionalisation avancée au maroc, apports pour la gouvernance territoriale », Revue Internationale des siences de Gestion, Volume 4 : Numéro 2 ;
- Chafik Bakour, Ouzzani Ahmed, Riad Abadli, "Dynamiques de développement et disparités régionales au maroc », Journal of Financial, Accounting and Managerial studies, Volume 06, Number 02- september 2019.

# Le Maroc des années soixante et soixante-dix ou le défi de la démocratisation

**Bouchta EL HAZIBI** -Université Sultan Moulay Slimane Maroc- elhazibi27@yahoo.fr

**الملخص:**

منذ فجر الاستقلال، كانت الطبقة السياسية المغربية، حركة وطنية وسلطان، عازمين على تمكين المغرب من نظام ديموقراطي يصون الحريات الأساسية ويضمن المساوات بين جميع المواطنين. وكان أن صوت المغاربة بالإجماع سنة 1962 مع أول دستور. غير أن حركة البناء الديموقراطي تعثرت بسبب الصراعات السياسية والأيديولوجية التي طبعت ستينات وسبعينات القرن الماضي، وكان يجب انتظار العقدين الأخيرين من نفس القرن وسقوط جدار برلين، لتتيقن بعض مكونات النخبة السياسية المغربية أن النظام الديموقراطي الغربي هو النظام القادر على المزج بين الأمن والاستقرار وضمان الحريات الأساسية.

الكلمات المفاتيح: استقلال، حركة وطنية، أحزاب، ملك، ديموقراطية، أيديولوجيا، نخبة، دستور، حرية.

Since the dawn of independence, the Moroccan political class, a national movement and a sultan, has been determined to empower Morocco with a democratic system that safeguards basic freedoms and guarantees equality for all citizens. And it was that the Moroccans voted unanimously in 1962 with the first constitution. However, the democratic construction movement faltered due to the political and ideological conflicts that characterized the sixties and seventies of the last century, and it was necessary to wait for the last two decades of the same century and the fall of the Berlin Wall, for some components of the Moroccan political elite to realize that the Western democratic system is the one capable of mixing security and stability and guaranteeing basic freedoms

Durant les années soixante et soixante-dix du XX$^{ème}$ siècle, le Maroc a dû faire face à de nombreux défis, économiques, sociaux et autres aggravés souvent par une lutte acharnée qui s'est déclenchée subitement entre l'institution monarchique et les partis politiques surtout le parti de l'Istiqlal et l'Union Nationale des Forces Populaires issus, tous les deux du mouvement nationaliste[572]. L'enjeu était la nature du régime politique à mettre en place au lendemain d'une indépendance politique acquise en 1956 mais chèrement payée. Cette lutte allait s'aggraver aux lendemains de la mort de Mohammed V (Père de la Nation Marocaine) en 1961 et atteindre son paroxysme à la suite de la disparition du leader socialiste Mehdi BEN BARKA à Paris au cours de l'hiver de 1965. En conséquence, le pays a dû prendre son mal en patience, jusqu'à la fin des années soixante-dix, pour voir enfin renaître l'espoir de mettre en place des institutions démocratiques, espoir rapidement évanoui avec l'avènement des « partis de l'administration » et leur propulsion au-devant de la scène politique par le ministre de l'intérieur de l'époque Driss EL BASRI. Comment expliquer alors l'incapacité de la classe politique marocaine à relever ce second défi du XX$^{ème}$ siècle, après celui du recouvrement de l'indépendance, qui consistait à doter le pays d'une véritable démocratie susceptible de faire entrer le Maroc, à l'instar des autres grandes nations dans la modernité politique.

Les années soixante du siècle dernier furent marquées par une grave crise caractérisée par le ralentissement de la croissance économique à peine 2% alors que la population connaissait une croissance plus forte estimée à 2,8%[573](explosion démographique[574]). Mais ce qui rendait la situation encore plus inextricable est le fait d'avoir confié la direction des affaires du royaume à des personnes corrompues ou n'ayant pas les compétences requises.

Les constats les plus marquants concernent l'école. Ceux qui prirent en main le destin de cette institution manquaient terriblement de visibilité et de choix clairs, surtout concernant la langue d'enseignement dans les écoles de base, les collèges, les lycées, les grandes écoles et les universités du pays. Une telle situation s'est traduite socialement par un chômage endémique, qui s'explique par l'inadéquation des formations avec le marché du travail, couplé d'une inflation galopante engendrant des mouvements sociaux violents et idéologiquement orientés : l'idéologie marxiste-léniniste fascinait alors.

---

[572]-Ensemble de partis, d'organisations et de personnalités qui ont œuvré pour l'indépendance du Maroc au moins depuis 1930 lors de l'éclatement des manifestations hostiles à la promulgation du Dahir berbère.

[573]-Pierre VERMEREN, **Histoire du Maroc depuis l'indépendance, édit. La Découverte, Paris 2002,** p.44.

[574] -Forte augmentation de la population.

Un autre facteur, qui ne manqua pas d'exacerber la situation, fut cette fois-ci une lutte sans merci entre les partenaires politiques : l'institution monarchique d'une part, et le parti de l'Istiqlal, l'Union Nationale des Forces Populaires et l'Union Nationale des Étudiants du Maroc d'autre part. Certains historiens appellent cette confrontation une « lutte entre le nationalisme monarchique et le nationalisme démocratique »[575]. L'enjeu de cette confrontation est de se positionner sur le modèle étatique national à mettre en place en remplacement du régime du Protectorat (1912-1956). A travers cette lutte, l'opposition accusait Feu HASSAN II, intronisé entre temps roi du Maroc le 26 février 1961 suite au décès prématuré de son père, Sidi Mohamed Ben Youssef, de vouloir instaurer un « régime théocratique »[576].

Face à une situation très tendue politiquement, socialement, voire aussi « territorialement »[577], la monarchie marocaine était la seule force capable de garantir la stabilité et l'unité nationale. Elle pouvait s'appuyer en cela sur les Forces armées royales acquises à sa cause parce qu'elles constituaient la colonne vertébrale[578] du régime en construction par Hassan II. Pour instaurer la nouvelle société marocaine, HASSAN II utilisa le patriotisme des ruraux marocains, gardiens de la tradition, pour contrer les partis historiques comme le parti l'Istiqlal et s'appuyer fortement sur l'Armée et les forces de sécurité pour réprimer les forces qui le combattaient et qui cherchaient à changer le régime par la force, parmi lesquelles l'Union Nationale des Forces Populaires, les manifestations populaires et l'Algérie »[579]. « Cette monarchie, disait-on à Alger, est une véritable hérésie ; elle ne saurait avoir sa place dans un Tiers-monde qui adopte, comme credo, le parti unique et le socialisme dirigiste »[580].

Face à tous ces défis, HASSAN II manœuvra avec plus de fermeté selon une vieille doctrine qui remonte à Lyautey en déclarant un jour, « *je ne gouvernerai pas l'épée à la main mais l'épée au fourreau, battant les bottes pour que l'on sache que nous ne sommes pas faibles* »[581]. L'historien Michel ABITBOL commente ce choix en écrivant : « *C'était le retour en force du Makhzen traditionnel, « revu et corrigé » par Lyautey, puis ressuscité par Mohamed V et son fils qui en élargit les bases politiques et sociales* »[582]. Ce choix (montrer sa force pour ne pas être amené à l'utiliser) sera la règle en dépit de l'approbation le 7 décembre 1962 de la première constitution marocaine par une écrasante majorité de marocains et de marocaines.

---

[575]-Revue *Zamane* (L'histoire du Maroc). n°60 – novembre 2015.

[576]- Pierre VERMEREN, ibid., p.33.

[577] - Le Maroc, fraichement indépendant, a dû faire face à deux graves mouvements sécessionnistes : celui du Tafilalet sous la houlette du caïd Adi ou bihi et celui du Rif entre 1958 et 1959.

[578]-Michel ABITBOL, Histoire du Maroc, éditions Perrin, 2009, p.571.

[579]- Pierre VERMEREN, ibid., p.40.

[580]- AOUAD Mohammed, D'un Maroc à l'autre : un siècle d'histoire contemporaine, éditions LPL, El Maarif Al-Jadida, Rabat, 2004, p.153.

[581]-Zakia DAOUD, Maroc : *les années de plomb 1958- 1988, chronique d'une résistance,* Editions Manuclus, 2007, p.62.

[582]- Michel ABITBOL, ibid., p 567

Cependant, « HASSAN II *pourrait-il revenir sur une promesse faite par son père et qui consisterait à doter le pays d'institutions modernes ?*» se demande Michel ABITBOL, « *d'autant plus que, dans son premier discours à la nation, le roi Mohammed V avait confirmé, franchement et solennellement, son attachement à une monarchie constitutionnelle et démocratique* »[583].

Et joignant l'acte à la parole, dès 1958 avec le Dahir (décret) sur les libertés publiques, MOHAMMED V montra la voie à suivre puisque ce décret posa les bases d'un régime libéral et démocratique et ceci à contre-courant de ce qui se passait dans la majorité des pays du tiers-monde récemment indépendants lesquels optèrent pour l'étatisation des moyens de production et le parti unique. Ainsi le fameux décret de 1958 prône les principes de la liberté d'expression en général, la liberté de la presse, le pluralisme, le droit de constituer des syndicats et des associations, le droit de faire grève et de manifester, etc.

Le parti l'Istiqlal prend fait et cause pour la première consultation populaire organisée au lendemain de l'indépendance en invitant ses partisans et les citoyens marocains en général à participer en nombre au référendum sur la constitution. Contrairement à l'Union Nationale des Forces populaires (UNFP) qui appela alors au boycott. A ce sujet, la position de l'Union des Étudiants du Maroc (UNEM) resta la plus radicale, puisqu'elle s'engagea pleinement à lutter contre le processus de la « *personnalisation du pouvoir » initié, d'après ses chefs, par le Souverain, et « à mettre en place « un régime politique démocratique et juste* »[584].

Selon le politologue Mohamed TOZY, parmi les facteurs qui ont fait monter la surenchère à propos de la nouvelle constitution et divisé les partis politiques, il y a son article 19 qui fait du souverain « *un monarque constitutionnel de droit divin* »[585], et à ce titre, il a autorité sur le pouvoir législatif et exécutif ce qui est, selon des membres de l'UNFP, contraire aux principes de la séparation des pouvoirs théorisée jadis, au dix-huitième siècle, par Montesquieu.

Or quelques mois seulement après l'adoption de la nouvelle constitution (Janvier 1963), le parti de l'Istiqlal décida à son tour de se retirer du gouvernement fraichement constitué. Est-ce parce qu'il avait perdu tout espoir de rééditer l'œuvre du Front National de Libération (FLN) algérien au Maroc, consistant à mettre un terme au pluralisme politique et à l'alternance au pouvoir en imposant la dictature du parti unique ? [586]De toute façon « *les politiciens de l'Istiqlal, émanation de la bourgeoisie urbaine, inspiraient*

[583]-Mohammed AOUAD, ibid. p.100.

[584]-Revue *Zamane*, n°49- décembre2014.

[585]-Mohamed TOZY, Monarchie et islam politique au Maroc, Paris, Presses de Sciences Po, 1999, p. 95.

[586]-Revue *Zamane* n°63, janvier 2016.

*autant de méfiance au Palais qu'à ses officiers, berbères pour la plupart, accusés d'avoir collaboré avec le Protectorat* »[587].

Le retrait des ministres du parti Istiqlal fut suivi de la formation d'un nouveau gouvernement dont aucun de ses membres n'est affilié aux deux principaux partis nationalistes[588] : l'Istiqlal et l'Union Nationale des Forces populaires. La première retombée de cette nouvelle configuration politique fut l'arrestation de centaines de militants appartenant à l'UNFP (*Union Nationale des Forces populaires)* et au Parti Communiste Marocain[589]. Par ailleurs, Rida Guédira, le directeur du cabinet du roi avait été investi à combler le vide créé par le retrait du gouvernement des partis historiques. Il « conçu l'idée de rassembler autour du roi tous les individus et tous les groupes qui avaient soutenu la monarchie contre les partis depuis l'indépendance. Il créa ainsi le « Front Démocratique des Institutions Constitutionnelles (FDIC) »[590]. Par cette initiative, le régime chercha à inciter « les notables ruraux à relever la tête»[591].

Toutefois, la série de consultations organisées suite à la création du FDIC furent décevantes pour ce dernier. Mais ces résultats inattendus « fut *perçu comme un échec, non seulement de Guédira qui faisait figure d'électron libre dans le paysage politique marocain, mais du régime lui-même* »[592]. C'est dans ce contexte, très tendu, que certains chefs de l'UNFP ainsi que certains de ses militants accusés d'atteinte à la personne du roi et à la sûreté de l'État sont arrêtés »[593]. Cependant un élément étranger à la vie politique marocaine allait compliquer davantage la situation. Il s'agit de « *la guerre des sables » qui éclata en 1963 entre le Maroc et l'Algérie à propos du tracet des frontières*[594]*. Cette confrontation permit à OUFKIR de devenir l'homme fort du régime grâce à ses qualités « d'homme de guerre et aux derniers résidents généraux qui l'avaient introduit dans la cabine de pilotage de l'État dont il ne sortira plus* »[595]. Ce dernier profita alors

---

[587]- Pierre VERMEREN, op. Ibid., p.39.

[588] - Revue *Zamane*, n°49- décembre2014.

[589]Pierre Vermeren, ibid., p37.

[590] - Michel ABITBOL, ibid., p.568.

[591]- Pierre VERMEREN, ibid., p.35.

[592]-Michel ABITBOL, ibid., p.569.

[593]-Revue *Zamane*. n°49-décembre2014.

[594]-Depuis sa conquête de l'Algérie en 1830, la France ne cessa de repousser les frontières de ce pays aux dépens du Maroc car ses dirigeants pensaient annexer ce pays définitivement (Mitterrand alors ministre de l'intérieur sous la IVème République répétait la formule suivante « l'Algérie, c'est la France »). Elle profita largement de la défaite marocaine à la bataille d'Oued Isly en 1844 pour lui imposer le funeste traité de Lalla Maghnia qui amputa le Royaume de larges territoires à l'Est et surtout de son Sahara oriental. Cependant à la veille de l'indépendance de l'Algérie, son gouvernement provisoire, présidé alors par Farhat Abbas, reconnait expressément la légitimité des revendications marocaines et se disait prêt à ouvrir un dialogue à ce sujet dès le départ des Français. Or le FLN sous l'influence d'A. Ben Bella et de Houari Boumediene qui prit le pouvoir par la force en Algérie en 1962 en éliminant tous ses opposants, renia les engagements pris à la veille de l'indépendance à l'égard du Maroc. Pire. Il s'engagea dans une guerre idéologique qui visait à renverser le régime marocain en armant certains opposants se réclamant de la gauche marocaine. L'affrontement militaire (la guerre des sables) fut donc inéluctable.

[595]-Daniel RIVET, *Histoire du Maroc*, Fayard, 2012, p. 373.

d'une déclaration hostile du leader socialiste Mehdi BEN BARKA aux intérêts du Maroc, pour accentuer sa répression contre les militants de l'UNFP.

Il faut dire que ce dernier et en pleine « *guerre des sables », lors d'une interview accordée à la radio égyptienne, Saout El Arab (la Voix des Arabes), déclara que « la guerre des sables est une lâche agression contre la révolution algérienne* ». *Cette déclaration amenuisait en fait terriblement la popularité dont il jouissait surtout dans « les milieux populaires* »[596].

Le nom d'OUFKIR allait s'illustrer encore au mois de mars 1965 lors «de violentes émeutes de lycées (...) à Casablanca en signe de protestation contre les restrictions de passage dans le secondaire »[597]. Le gouvernement marocain accusa alors la gauche d'être derrière ces malheureux événements qui occasionnèrent des dizaines de victimes et beaucoup de destructions de biens publics et privés. L'homme fort du régime, le général OUFKIR, ramena la paix et la tranquillité dans les rues de la capitale économique mais au prix d'une féroce répression.

Au paroxysme de la confrontation entre le régime et l'UNFP, HASSAN II proposa à son leader charismatique et historique, Mehdi BEN BARKA de rentrer au Maroc car, disait le souverain chérifien, « au Maroc il y a une équation à résoudre ». HASSAN II faisait allusion aux compétences reconnues de BEN BARKA en mathématiques, mais aussi à sa grande influence politique sur les « forces vives » de la nation : syndicalistes, ouvriers, étudiants, etc. En effet, le retour de la coopération et de l'entente entre les deux hommes aurait été susceptible de ramener la paix sociale et une certaine tranquillité au Maroc dont le pays avait grand besoin pour se consacrer à la reconstruction post - indépendance. Mais « méfiant, le leader de l'UNFP pose ses conditions (que la grâce royale le concernant soit inscrite au *journal officiel*) et repousse son retour, malgré plusieurs médiations »[598] . C'en est fini du rêve, caressé par beaucoup de Marocains, de voir à nouveau tous les enfants de la patrie, toutes tendances confondues, travailler main dans la main pour sa grandeur et sa prospérité. Personne n'a oublié « *la Route de l'Unité » quand, en 1957, sous l'inspiration de* HASSAN II*, à l'époque, Prince héritier, et de Mehdi BEN BARKA « 10000 jeunes avaient raccordé, pioche à la main, l'enclave du Rif central à l'avant-pays de Fès, dans une ambiance de ferveur patriotique qui fait penser aux chantiers de jeunesse (...) au camp de travail de Mao* »[599].

Entre temps la crise ne cessait de s'aggraver ce qui incita le souverain chérifien à proclamer, le 7 mars 1965, l'Etat d'urgence et à dissoudre le tout premier parlement post-indépendance. Par cette décision, le

---

[596]- RIVET **Daniel,** *Histoire du Maroc. De Moulay Idrîs à Mohammed VI*, Fayard, 2012, p. 365.

[597] - Michel ABITBOL, ibid., p.570.

[598]- Pierre VERMEREN, ibid., p.45.

[599]- Daniel RIVET, ibid., p.365.

Maroc s'engagea dans « *une phase de pouvoir personnel de cinq ans. Le roi détient les pouvoirs exceptionnels (...). Ce tournant signifie la victoire définitive du Palais sur le mouvement nationaliste* »[600], selon Pierre VERMEREN.

A la fin de cette même année, année décisive dans l'histoire du pays, le leader socialiste Mehdi BEN BARKA disparut à Paris. Rapidement, ce crime politique grave fit monter d'un cran la tension entre le régime et l'UNFP. Ce dernier s'en pressa d'accuser les autorités marocaines d'être les commanditaires de cet acte odieux. « Entre *nous et le palais il y a la dépouille de Ben Barka* », tonna le nouveau leader du parti A. Bouâbid qui interrompit « l*es négociations avec le Palais sitôt la nouvelle connue* »[601].

Mohamed AOUAD, dans son livre, « *D'un Maroc à l'autre* », accuse expressément OUFKIR d'avoir orchestré cet acte odieux de la disparition du leader socialiste afin de faire échouer justement le rapprochement déjà initié entre l'UNFP et le Palais. Pour étayer son propos, l'auteur se fonde sur ce qu'HASSAN II confirmait, lui-même, dans ses mémoires : «*Mémoire d'un Roi* ». Ainsi on pouvait y lire « *que lorsqu'il (le roi) avait informé OUFKIR d'une éventuelle décision d'associer la gauche à la gestion des affaires de l'État, celui-ci ne put s'empêcher de répondre : « il ne nous resterait donc, Sire, qu'à faire nos valises* »[602].

Mais les effets néfastes de cet événement dramatique ne se limitèrent pas seulement au Maroc puisque les relations franco-marocaines furent également affectées. En effet sous l'impulsion du Général De Gaulle[603], qui soupçonnait OUFKIR personnellement d'avoir fait disparaître Mehdi BEN BARKA, la France rompit pour quatre ans ses relations diplomatiques avec le Maroc, chose inimaginable à l'époque eu égard aux intérêts réciproques.

Cependant, eu égard à la stature internationale que BEN BARKA commençait à cultiver, surtout vers la fin des années soixante, nombreux étaient les États qui cherchaient à étouffer sa voix ; laquelle prônait l'anti-impérialisme et l'unité du Tiers-monde, et ceci par tous les moyens[604]. En effet, il dérangeait de nombreux pays à travers le monde « *en raison de l'action politique qu'il menait, tous azimuts, en faveur de l'unité arabe, de la libération de la Palestine et surtout de la création d'un mouvement tiers-mondiste qui prendrait le relais du mouvement des non-alignés, créé en 1955, à Bandoeng* »[605] et qui était tombée en léthargie. N'était-il pas, à la veille de sa disparition mystérieuse, entrain de régler les derniers préparatifs

---

[600]- Pierre VERMEREN, ibid., p.45.

[601]-Pierre VERMEREN, ibid., p.48.

[602]-Mohammed AOUAD, ibid., p.132.

[603] -Le Général de Gaulle est revenu aux affaires, en France en 1959 suite aux déboires de la IV$^{ème}$ République surtout ses échecs à mettre un terme à la Guerre d' Algérie (1954-1962).

[604] -Les prouesses de Fidèle Castro et du Che Guevara étaient encore dans toutes les mémoires.

[605]-Mohammed AOUAD, ibid. p.132.

pour la tenue chez Fidèle Castro à la Havane, et à quelques centaines de kilomètres seulement de la Floride, d'une conférence internationale regroupant les représentants de trois continents : Afrique, Asie et Amérique, la fameuse Tricontinentale. Réunion qui avait comme principal objectif la constitution d'un « *front uni contre l'impérialisme et le capitalisme* »[606]

Avant de clore ce chapitre sur les éventuels commanditaires de la disparition de BEN BARKA, il faut évoquer également le témoignage capital de Maître Maurice Buttin, avocat de la famille de Mehdi BEN BARKA. Celui-ci a écrit dans son livre « *HASSAN II, de Gaulle et BEN BARKA, ce que je sais d'eux* » ceci: « *HASSAN II affirme n'avoir jamais donné l'ordre dans l'assassinat de BEN BARKA* »[607].

Quoi qu'il en soit, la fin des années soixante ne connaît pas de répit dans la confrontation entre le régime et l'opposition, loin s'en faut. On assista plutôt à une recrudescence d'événements regrettables. Elle prit la forme de grèves incessantes au sein des lycées et des universités, mais aussi des attaques violentes contre les forces publiques, avec ses cortèges de victimes collatérales et de destructions de biens publics et privés. Outre la disparition de Mehdi BEN BARKA, plusieurs facteurs expliquent la montée des différentes tensions au sein du royaume durant cette période troublée. Tout d'abord, le renforcement de l'idéologie marxiste-léniniste au sein de la gauche avec « l'engagement[608] » de certains intellectuels renommés d'extrême gauche, tel le poète ABDELLATIF LAÂBI , et la publication de certains journaux et revues qui « vulgarisèrent » l'idéologie marxiste-léniniste ; ensuite le contexte international marqué alors par la défaite des pays arabes (« *la Naksa* ») devant Israël lors de la guerre des six jours en Juin 1967, sans oublier la révolte étudiante à Paris en Mai et Juin 1968 et ses mots d'ordre très bien accueillis par la jeunesse à travers le monde.

Cette période d'instabilités et d'incertitudes est désormais célèbre sous la désignation « *des années de plomb* »[609]. Ainsi, de peur de perdre le contrôle de la situation face à la violence extrême de certains groupuscules d'extrême-gauche (Mouvement du 23 Mars, Ila Alamam (En avant)...), et pour anticiper certaines menées subversives des Forces Armées Marocaines, dont certains éléments cherchaient à exploiter ce malaise social afin de renverser la monarchie, une période de répression s'installa dans le pays. Il faut noter par ailleurs que les décennies 60 et 70 ont vu pulluler les dictatures militaires dans ce qui était

---

[606]-Daniel RIVET, ibid. p. 365.

[607]-Revue *Zamane* , n°49- décembre2014.

[608] -« Depuis la fin des années 1960, la question de la portée politique de l'œuvre littéraire et artistique n'a cessé de se poser, interrogeant sa capacité à concilier enjeux politiques et esthétiques [...] Soulevée par Sartre au milieu du XXe siècle, la question de l'engagement politique de l'œuvre reste très actuelle ». https://laviedesidees.fr/Art-et-engagement.html

De nombreux intellectuels marocains, et non des moindre, ont pris part aux luttes politiques qu'avait connu le pays dans les années 60 et 70, soit pour soutenir l'opposition, soit pour justifier les politiques menées par le régime.

[609] - Pierre VERMEREN, ibid., p.56.

communément appelé le Tiers-monde[610]. En somme, le Maroc entra dans la décennie 70-80 avec un Projet de démocratisation en panne de réalisation.

Compte tenu du contexte du moment, HASSAN II croyait toujours fortement à ce Projet de démocratisation du royaume. C'est en tout cas ce qu'on pourrait déduire des initiatives prises sous ses auspices tout au long de la décennie 70 telle la suspension de l'État d'exception le 7 juillet 1970 et surtout la mise en place d'une nouvelle constitution pour le royaume chérifien. Néanmoins, ni l'UNFP, encore moins le parti de l'Istiqlal, ne sont séduits par ces nouvelles initiatives royales. Les deux partis historiques avancèrent l'argument selon lequel la nouvelle constitution, comme d'ailleurs l'ancienne, installerait le souverain dans « une place centrale »[611]au sein du système de gouvernement ce qui menace, d'après eux, toute séparation et équilibre entre les trois pouvoirs (législatif, exécutif et judiciaire).

En réplique à cette initiative, les deux principaux partis créèrent un front commun appelé « *Al Koutla Al Watania* » (le bloc national). Néanmoins leur boycott n'empêcha pas la tenue à la date prévue du référendum sur la nouvelle constitution. Quant aux résultats de ce dernier, ils traduisirent fortement la division du pays entre les grandes villes, acquises aux partis de l'opposition et qui ont boycotté cette consultation, et le « bon bled » (l'espace rural) qui y participa fortement et permis à la nouvelle constitution d'être adoptée à une écrasante majorité. Pourtant cette nouvelle tentative ne va en rien débloquer la situation politique.

La situation politique ne connut aucune évolution positive notable entre la fin des années soixante et tout au long des années soixante-dix. Par contre, la conjoncture économique connut, quant à elle, une embellie à travers des projets comme la réforme agraire, la construction de nombreux barrages, le développement de l'agriculture exportatrice ou la mise en place d'infrastructures susceptibles d'attirer le tourisme étranger.

L'amélioration de certains indicateurs économiques et financiers, profitèrent davantage à certains grands officiers de l'armée qui n'avaient pas hésité à se lancer dans les affaires. L'accumulation de grosses fortunes ne dissuada pas ces gradés de l'Armée royale de « se mêler de politique » en recourant à la violence. C'est ainsi que le 10 juillet 1971, le régime fit face à un premier coup d'État qui faillit l'emporter ; puis à un deuxième un an après.

Ce coup de force avorté consterna l'écrasante majorité des Marocain qui vouait un profond attachement à la dynastie alaouite plusieurs fois centenaire car elle ne se voyait pas vivre sans direction

[610] - De nos jours, les économistes et les géographes coïncidèrent le concept « Sud » plus pertinent, même si certains chercheurs continuent à employer le terme de « *Tiers-monde* » dont la paternité revient au démographe français Alfred Sauvy (1898 - 1990).

[611]-Michel ABITBOL، ibid.، p.571.

chérifienne[612]. HASSAN II nomma dans la foulée un nouveau premier ministre en la personne de Mohamed Karim El AMRANI en lui fixant en priorité deux objectifs principaux : la lutte contre la corruption, pour couper court aux allégations avancées par les putschistes[613], et la remise sur les rails du projet politique en collaboration avec l'opposition.

Or cette dernière perspective anéanti les ambitions inavouées d'un certain OUFKIR[614] : il guettait l'opportunité pour s'emparer illégalement du pouvoir afin d'imposer au pays une dictature militaire. Le coup d'Etat du colonel Boumediene en Algérie (1965) contre son frère d'arme Ben Bella, entre autres[615], l'a certainement inspiré. En conséquence, c'est dans la contrariété de son agenda caché et dans la précipitation qu'OUFKIR, l'homme fort du régime, tenta de s'emparer, à visage découvert cette fois, du pouvoir au mois de mai 1972 en tentant d'assassiner HASSAN II et certains membres de sa famille lors de leur retour d'un voyage à l'étranger.

Cette nouvelle tentative, qui eut comme premier mérite de démasquer les intentions cachées du putschiste OUFKIR, fut un échec également. Le souverain Alaouite sut la mettre alors à profit pour « chasser » définitivement les militaires marocains du champ politique. Il faut noter à ce propos que, dans le passé, le régime s'est beaucoup appuyé sur l'armée[616] pour faire face aux ambitions de l'Istiqlal qui cherchait alors à « domestiquer »[617] l'institution monarchique et à mettre fin au pluralisme, mais aussi à la gauche qui œuvrait pour que le Maroc devienne une « démocratie populaire »[618] sous influence soviétique.

Profitant de cette occasion, HASSAN II tenta une nouvelle ouverture en direction de l'opposition issue du mouvement nationaliste. Mais cette initiative fut vaine car les conditions n'étaient pas encore réunies

---

[612] -Le Maroc est parmi les rares pays musulmans dont le chef de l'Etat (Le Roi) est descendant du Prophète. Il s'agit d'une exception marocaine.

[613] - Les chefs putschistes prétendaient vouloir mettre fin à la corruption qui, d'après eux, rangeaient le système. Mais personne n'est dupe. S'il y avait corruption, ils y étaient pour beaucoup puisqu'ils n'hésitaient pas à s'approprier, par différents moyens, des entreprises travaillant dans le secteur agricole ou industriel.

[614] - Lors du premier coup d'Etat, il sut jouer les innocents. Il prétendit ne pas être au courant des manigances de certains éléments de ses administrés. Or les événements ultérieurs prouvèrent tout le contraire.

[615] -En effet les coups d'Etats militaires pullulaient alors surtout en Afrique et en Amérique latine.

[616]- Pierre VERMEREN, ibid., p. 58.

[617]- l'Istiqlal, conscient de l'importance que revêt de la monarchie aux yeux des Marocains sur le plan à la fois religieux et politique, chercha à la maintenir en place toute en la « vidant de sa substance » en attendant peut-être des « jours meilleurs ».

[618]-« « Démocratie populaire » est un terme issu du lexique politique communiste pour distinguer les États communistes des démocraties libérales, que les communistes désignent plutôt sous le terme de « républiques bourgeoises » ou de « pays capitalistes ». « Démocratie populaire » a été largement utilisé dans un but de propagande pour masquer les pratiques dictatoriales des régimes d'inspiration marxiste-léniniste, apparus après la Seconde Guerre mondiale dans les pays d'Europe centrale et orientale libérés, puis occupés par l'Union soviétique, et composant l'ensemble connu sous le nom de Bloc de l'Est ». https://fr.wikipedia.org

pour une participation au pouvoir proposée par le roi, rétorqua l'opposition. L'éventualité de l'installation d'une dictature militaire au Maroc, à l'instar de ce qui se passait dans son entourage proche, interpella les chefs de l'opposition qui réalisèrent le danger que courait le pays si cette lutte entre les acteurs de la vie politique marocaine, l'institution royale et l'opposition légale, persistait. Ce fut l'avis par exemple d'A.BOUÂBID qui s'employait à trouver un terrain d'entente avec le régime[619]. Peut-être l'échec de l'insurrection militaire fomentée, du côté de khénifra en 1973, par certains membres de son parti y fut pour quelque chose.

Ce rapprochement avec le régime fut précédé par une remise en cause générale de la politique menée par le parti depuis sa création en 1959 après scission du parti de l'Istiqlal. Ainsi lors de la réunion de Casablanca en 1975, A. BOUÂBID et ses proches, suite à « d'importantes remises en cause idéologiques » proclamèrent la naissance d'un nouveau parti, « l'Union socialiste des Forces Populaires » (l'USFP), doté « de structures nouvelles et d'une stratégie débarrassée des séquelles du passé»[620].

Ce changement de cap opéré par les socialistes modérés marocains, coïncida avec une autre initiative prise par HASSAN II. Il s'agit de la Marche Verte de 1975 qui visait à récupérer le Sahara (1974-1975)[621], territoire incontestablement marocain depuis toujours et que l'Espagne refusait de restituer dans la foulée des indépendances du milieu du XX$^{ème}$ siècle. Initiative qui, certes renforça le pouvoir du monarque, mais qui par la même occasion souda les Marocains autour de sa personne dans une euphorie générale sans précédent. Aussi l'engagement par Feu HASSAN II du processus de récupération du Sahara marocain (1974-1975) fut-il, sans conteste, un succès inespéré socialement et politiquement pour le royaume chérifien : tous les acteurs politiques, régime comme opposition, se trouvèrent unis autour du même projet national qui est « la défense de l'intégrité territoriale du pays »[622].

Ainsi A. BOUÂBID, en personne, fut parmi les émissaires du souverain, aux côtés de Allal El FASSI, chef de l'Istiqlal, auprès des dirigeants de certains pays de l'Europe de l'Est, alors encore adeptes du socialisme, pour leur expliquer les origines de la légitimité des revendications marocaines sur ses territoires qui étaient spoliés. En somme, la Marche verte de 1975 fut à l'origine du retour d'une « union sacrée »[623]. Une union, il faut le dire, perdue de vue depuis la fin du combat pour l'indépendance qui se couronna par

---

[619]-Pierre VERMEREN, ibid. p.49.

[620]-Mohammed AOUAD, ibid., p142.

[621]- Il faut noter à ce propos que le Maroc, lors de l'indépendance en 1956, n'a pas récupéré tous ses territoires perdus soit en 1912 avec l'installation du protectorat, soit avant cette date tels les enclaves de Sebta et Melilla, le Sahara oriental, la Maurétanie, etc.

[622]-Revue *Zamane*, n°60- novembre 2015.

[623]-La formule « Union sacrée » fut utilisée la première fois en France lors de la Grande guerre mondiale. Elle désigne l'oubli momentané par les dirigeants politiques français de leurs divisions politiques et idéologiques pour se consacrer au combat de leur « ennemi héréditaire » qui étaient les Allemands.

le retour du Roi Mohamed V de son exil et l'engagement des leaders nationalistes dans la construction de l'Etat national. C'est en tout cas le sentiment du souverain qui déclara le 17 novembre 1975 que « cette Marche a fait de nous un peuple nouveau. Un Maroc nouveau vient de naitre… ». Le célèbre historien Michel Abitbol commente, dans son livre « *Histoire du Maroc* », la déclaration du souverain en disant : "Force est de constater que la formule n'était pas de pure propagande »[624].

C'est pareillement le sentiment qu'éprouvent de nombreux historiens et intellectuels marocains. Ainsi l'historien A. LAROUI reconnut que « la Marche verte suscita chez lui un sentiment plus fort que celui suscité lors de l'indépendance ». Mais la Marche verte fut également une occasion en or où les acteurs politiques marocains, tous bords politiques confondus, renouèrent le dialogue après quelques années de rupture, de méfiance, et de vaines luttes intestines. En effet, parmi les conséquences immédiates de cette détente suscitée par la Marche verte, furent la libération de prisonniers politiques et la réapparition, dans tous les kiosques du royaume, de nombreux journaux et revues édités par l'opposition. Elle ouvrit également la voie à l'organisation d'élections législatives avec la participation de tous les partis politiques marocains, de gauche comme de droite. Aussi les partis de la Koutla participèrent-ils activement à cette échéance électorale animés par l'espoir d'accéder enfin démocratiquement et pacifiquement au pouvoir.

Aussitôt ils déchantèrent car les résultats furent décevants pour ces derniers. Ce furent les « partis de l'administration et des notables »[625] qui remportèrent la majorité des suffrages. Si l'Istiqlal put sauver les meubles, ce ne fut pas le cas de l'Union Socialiste des Forces Populaires (USFP) qui connut une défaite cuisante face aux « partis de l'administration », partis créés à la hâte et de toute pièce par l'homme fort du régime de l'époque, Driss EL Basri, pour contrer l'opposition. Même son chef charismatique et historique, A. Bouâbid, fut incapable de se maintenir comme député dans une circonscription d'Agadir, siège qu'il occupait depuis plusieurs décennies.

Au lendemain de ces législatives, le paysage politique marocain, connut un bouleversement total. Ainsi « Les partis de l'administration » rejoints bon gré mal gré par l'Istiqlal après une longue « traversée du désert » qui a duré 14 ans, constituèrent un gouvernement présidé par le beau-frère du roi, Ahmed OSMAN. Quant à l'USFP (Union Socialiste des Forces Populaires), qui accusa le ministre de l'intérieur DRISS EL BASRI, d'être responsable de sa débâcle électorale, choisit de se ranger dans l'opposition où elle se maintiendra

---

[624]-Michel ABITBOL, ibid., p.571.

[625]-« Les partis de l'administration et des notables », c'est l'appellation donnée à ces partis par leurs adversaires. Ils furent crées au milieu des années soixante-dix par des personnalités politique réputées être très proches du régime, et ceci sous l'impulsion du nouveau homme fort du régime, Driss El Basri. De nos jours, ils sont toujours présents dans le paysage politique marocain et participent à différents gouvernement même s'ils ne jouissent pas d'une solide assise populaire. On peut citer comme exemple l'Union Constitutionnelle ou l'Union nationale des Indépendants. Ce dernier préside actuellement le gouvernent dont le chef est Mr Aziz Akhnouch.

encore pendant deux décennies. C'est seulement en 1998 que le vieux parti socialiste réussit enfin à arriver aux affaires et à conduire un gouvernement dit d'alternance dirigé par l'éternel opposant au régime, ABDERRAHMANE EL YOUSSOUFI, l'un des compagnons de route de Mehdi BEN BARKA et farouche opposant, lui aussi, au Roi HASSAN II.

La relative ouverture politique que connut le Maroc à la fin des années soixante-dix coïncida avec l'apparition de graves défis stratégiques et socio-économiques. Tout d'abord, le refus catégorique de l'Algérie du colonel Boumediene, de la Libye de l'autre colonel KADDAFI et de certains pays qui profitaient de leur manne pétrolière en Afrique et Amérique latine, pour empêcher ou bloquer le parachèvement de l'unité territoriale du Maroc en armant la milice terroriste du Polisario. A leurs yeux, un Maroc réintégré dans sa profondeur africaine ne pouvait que porter « atteinte à l'équilibre qui prévalait dans la région » et surtout contrecarrer les ambitions hégémoniques d'Alger qui cherchait à atteindre « les eaux chaudes » de l'Atlantique quel que soit le prix. D'où leurs menées subversives dans les provinces du Sud marocain en soutenant des organisations de la milice armée du Polisario. Outre ces subversions extérieures, le Maroc connaissait une conjoncture économique la plus difficile de son histoire depuis plusieurs décennies. En effet, le renchérissement des produits pétroliers, suite aux guerres au Moyen Orient et à l'éclatement de la Révolution iranienne (1979) à un moment les prix des phosphates connaissaient une forte baisse, en plus des quelques années de sécheresses répétitives créèrent une situation explosive. La dégradation du niveau de vie des citoyens fit sortir en 1981 des centaines de personnes dans les rues des grandes métropoles, comme Fès ou Casablanca. Ce sont les fameuses « émeutes du pain » qui frappèrent aussi d'autres pays arabes non pétroliers comme la Tunisie. HASSAN II résuma ainsi la situation du Maroc par une formule lapidaire mais très significative en disant « *le pays est au bord de la crise cardiaque* ».

En somme, les années soixante et soixante-dix du siècle dernier ont montré l'incapacité des acteurs politiques marocains à relever le défi de la démocratisation du pays. Tout simplement parce que, selon nous, certains n'étaient pas convaincus par les principes démocratiques. Le parti de l'Istiqlal, tout d'abord, guettait l'occasion pour mettre en place le système du parti unique déjà en vogue dans la majorité de ce qu'on appelé le Tiers-monde, à commencer par l'Algérie, la Tunisie, etc. Quant à la gauche et à l'extrême gauche, leur idéal ne fut jamais une démocratie tempérée qui assurerait une alternance paisible au pouvoir, le pluralisme, les libertés individuelles et collectives pour tous, mais la mise en place d'une dictature du prolétariat où les moyens de productions seraient collectivisés, les élections « bourgeoises », la liberté d'expression et de conscience supprimées. Avec le recul, on pourrait cependant penser que la monarchie fut une chance pour le Maroc. En définitive, elle a su faire échouer les tentatives d'instauration des dictatures de différentes natures (du parti unique, militaire, marxiste). Certes le défi de la démocratie n'a pas été totalement relevé par le régime chérifien durant ces deux décennies en question, mais avec le recul qui est le nôtre, nous pouvons affirmer que le pays a évité cependant le pire.